

كتاب

تاريخ الخطيب

شرح الأمام المصنف

لأبي جعفر محمد بن عيسى بن محمد

١٠٧٤ - ١٠٧٤

الخطيب

روائع التراث العربي

تاريخ الطب

تاريخ الأمم والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٨٣١٠

الجزء الأول



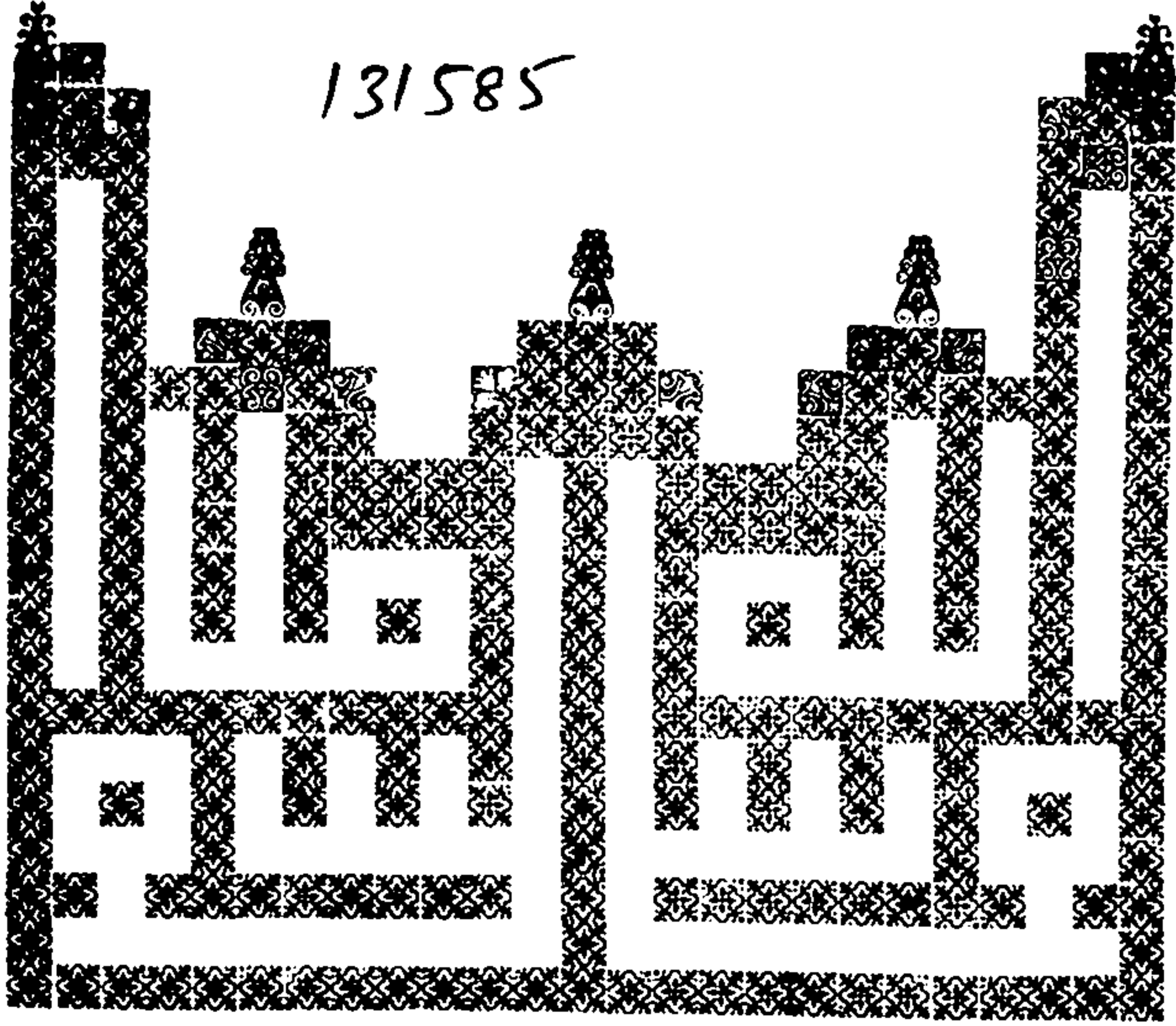
تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

دار السويديان

بيروت - لبنان

131585



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

تظهر الطبعة الثالثة للجزء الأول من هذا الكتاب ، ويتلوه بقية الأجزاء ، متميزة بكثير من الاستدراك والتصحيح ، موشاة بمزيد من الشرح والتعليق . بعد أن فرغ العمل من تحقيق جميعه وعمل فهارسه . وبعد أن أوشك أن يشغل مكانه في المكتبة العربية كاملاً إن شاء الله .

ويقع تاريخ الطبرى من هذه الطبعة وسابقتها في عشرة أجزاء بينة المعالم ، واضحة الحدود ، وألحقت الفهارس العامة بالجزء العاشر والأخير منها ؛ أما ذيل الكتاب فتستكون بعد الجزء العاشر ؛ كل منها مستقل بأرقام صحفه وفهارسه . وقد سبق لى أن فصلت في مقدمة الطبعة الأولى في هذا الجزء . وفي بيانات التى صدرت بها الأجزاء التالية له ، الجهود العلمية التى بذلت في تحقيقه ، ووصفت النسخ التى حصلت عليها ورجعت إليها من مكنتبات القاهرة وإستانبول ؛ مما لم يقع لمصححى الطبعة الأوربية ، التى اتخذتها أصلاً للتحقيق ، عدا ما رجعت إليه من كتب التاريخ والسبى والتراجم والمعاجم ودواوين الشعر ؛ ومن كل هذا . أكملتُ النقص ، وأصلحت الخطأ . وأوضحت الغامض والمبهم ، ورددت كلاً من المحرف والمصحف إلى أصله ، وزدتُ في الشرح والتعليق ؛ مما يدخل في المحض اللباب ، ويتعد عن الحشو والتطويل والفضول . كما زدت أنواعاً من الفهارس ، وأوضحت المصادر والمراجع ؛ مما أرجو أن تكون به هذه الطبعة أدنى إلى الكمال ، وأيسر للنفع والإفادة إن شاء الله .

هذا ، وبدلاً ما يلقاه هذا الكتاب من القبول والرضا عند العلماء والمحققين ، وما يقابل به من البشاشة والاطمئنان لدى الباحثين والدارسين ، على مكانته في الآداب العربية . ومترلة مؤلفه الثبت الجليل بين مؤرخى الإسلام ؛ لما اشتمل

عليه من الحقائق التاريخية الصادقة ، والمعارف المنخولة المصفاة . والنصوص
الأدبية الحميلة ، وما امتاز به من الأسلوب الخزل ، والبيان المشرق الرائع .
مع العرض المتسق والأداء المحكم .

فجزى الله مؤلفه أطيب الجزاء . كفاءً لما حفظ من تاريخ الإسلام
وحمل من أمانة العلم ، وما أخلص به العمل لوجهه الكريم .
ونحمده جل شأنه على تواتر نعمه . وسابغ فضله وكرمه . ونسأله دائماً
هداية وتوفيقاً .

محمد أبو الفضل إبراهيم

١ من جمادى الثانية سنة ١٣٨٧ هـ
٥ من سبتمبر سنة ١٩٦٧ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

١ - محمد بن جرير الطبري

لم يكد يطلع القرن الثالث للهجرة حتى كانت العلوم الإسلامية قد اقترنت من التنضج وشارفت الكمال؛ فقد وضعت الأسس الثابتة لمذاهب الفقه، وألفت الكتب الصّحاح في الحديث، وجمعت اللغة من أفواه الأعراب، وصنفت كتب السيرة والمغازي والفتوح، وتحدثت معالم الخلاف بين نحاة الكوفة والبصرة، واستوعبت العربية طائفة من علوم الفرس والهند واليونان، واتسعت آفاق المعرفة عند العلماء؛ فكان المشتغل باللغة والنحو عالماً بالحديث ووجوه التأويل، والمحدث عارفاً بالتاريخ وصنوف الفيرق والمذاهب ومراتب الرجال، والشاعر يأخذ بنصيب من اللغة والنحو والتصريف، والفقير يحفظ الشعر والمثل، ويروي الحديث والخبر، ويشارك في صنوف الآداب.

ولم تعد حلقات الدروس، ومجالس العلماء، ومدارس العلوم وصناعة التأليف موقوفة على الكوفة والبصرة وبغداد؛ بل امتدت شرقاً إلى فارس وخراسان والري وما وراء النهر؛ وسارت غرباً إلى الشام ومصر وبلاد المغرب والأندلس، وأصبحت الحواضر والقرى في هاتيك البلاد مأهولة بالفقهاء والقراء والرواة والمحدثين والنظار، وشيوخ الأدب وأئمة اللغة والنحو، تشدّ إليهم الرحال، ويقصدون من كل مكان.

• • •

وفي هذه الحقبة من الزمن، بزغ نجم المحدث الفقيه الجامع لأشتات العلوم، أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري. فقيه العلم صبياً وهو دون الإدراك، ورحل في سبيله يافعاً لم يبلغ مبلغ الرجال، ولقى المثين من الرواة والعلماء، وطالع صنوف الكتب، ولم يلبث أن أصبح إماماً وصاحب مذهب،

•

أملى اسمه على التاريخ ، وسار ذكره مع الزمان ؛ واقترن علمه بالثقة والاعتبار .
 كان مولده بآمل طبرستان ؛ وقد وقع الشك في تاريخ ولادته ، قال بعضهم :
 ولد آخر سنة أربع وعشرين ومائتين ، وقال بعضهم : أول سنة خمس وعشرين .
 وسأله أبو بكر بن كامل تلميذه ومؤرخ حياته : كيف وقع الشك في ذلك ؟
 فقال : لأن أهل بلدنا يؤرخون بالأحداث دون السنين ؛ فأرخ مولدى بحدث
 كان ، واختلف المخبرون ، فقال بعضهم سنة أربع ، وقال آخرون : سنة خمس
 وعشرين ومائتين^(١) .

وتحدث أبو جعفر عن أمره في حادثة سنه فقال : « حفظت القرآن ولي سبع
 سنين ، وصلت بالناس وأنا ابن ثمانى سنين ، وكتبت الحديث وأنا ابن تسع »
 قال : « ورأى لى أبى فى النوم أنى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛
 وكانت معى مخللة مملوءة حجارة » ، وأنا أرمى بين يديه ، فقال له المعبر : إنه إن
 كبير نصح فى دينه ، وذب عن شريعته . فحرص أبى على معونتى فى طلب العلم ،
 وأنا حينئذ صبى صغير^(٢) .

وصحّت الرؤيا وصدق التعبير ، وملاً ابن جرير الدنيا فقهاً وعلماً ، وناضل
 عن السنة وحارب الابتداع . وكان أبوه ورعاً تقياً متصوناً ؛ إلى يسار يعيش فيه ،
 وضيعة واسعة يملكها بطبرستان ؛ وما إن أحسّ مع أبى جعفر يقظة فى فؤاده ،
 ورجاحة فى عقله ، ونزوعاً إلى العلم ، ورغبة فى لقاء العلماء ؛ حتى دفعه إلى
 الرحلة فى سبيل العلم حيث كان ؛ فرحل عن مسقط رأسه آمل ؛ ولم تبلغ سنه
 الثانية عشرة ؛ وكفاه مئونة العيش ومعاناة الرزق ؛ فكان يرسل إليه نفقته حيث
 حل ؛ فصانه بذلك عن عطايا الخلفاء واستمناح الملوك والوزراء ؛ وزهده فى
 مناصب الدولة ، وأعانه على الانقطاع إلى المدارس والرواية والتصنيف ؛ بل إنه
 كان يُجبي إليه نصيبه مما خلفه أبوه بعد وفاته ؛ وظلّ ذلك الرزق موصولاً بحياته
 إلى أن مات .

وكان أول ما رحل إلى الرى وما جاورها من البلاد ، فأخذ عن شيوخها

(١) معجم الأدباء ١٨ : ٤٨ .

(٢) معجم الأدباء ١٨ : ٤٩ .

وأكثر . ودرّس فقه العراق على أبي مقاتل . وكتب عن أحمد بن حمّاد الدولابي كتاب « المبتدأ » ، وأخذ مغازي ابن إسحاق عن سلمة بن الفضل ؛ وعليه بنى تاريخه فيما بعد . ثم اختصر بابن حميد الرازي . قال أبو جعفر : « كنا نكتب عند محمد بن حميد الرازي فيخرج إلينا في الليل مرّات ؛ ويسألنا عمّا كتبناه ويقرؤه علينا ، قال : وكنا نمضي إلى أحمد بن حمّاد الدولابي . وكان في قرية من قرى الري ، بينها وبين الري قطعة ؛ ثم نعدّو كالمجانين ؛ حتى نصير إلى محمد بن حميد ؛ فنلحق مجلسه » (١) .

وترامت إلى الناس أنباء أحمد بن حنبل ؛ وتُسومع ذكره في أندية العلم ومجالس العلماء ، فعزم أبو جعفر على الرحلة إليه في بغداد ؛ ليأخذ عنه ويروي ؛ ولم يكد يصل إليها ؛ حتى علم بوفاته قبل دخوله بقليل ؛ فعدل عن الإقامة فيها ؛ وأخذ طريقه إلى البصرة ؛ فسمع عمّن بقي من شيوخها ، كمحمد بن موسى الحرشي . وعماد بن موسى القزاز ، ومحمد بن عبد الأعلى الصنعاني . وبشر بن معاذ ، ومحمد بن بشّار المعروف بسنّدار .

ثم رحل إلى الكوفة . فكتب فيها عن هناد بن السري وإسماعيل بن موسى الحديث ، وأخذ عن سليمان بن خلّاد الطلحي القراءات ، ولقى فيها أبا كريب محمد ابن العلاء الحمداني ؛ وكان عالم عصره . ونسيج وحده ؛ إلا أنه كان في خلقه جفاءً وخشونة ؛ قال أبو جعفر : « حضرتُ باب داره مع أصحاب الحديث ، فاطلع من باب خوخة له . وأصحاب الحديث يلتبسُون الحديث ويضجّون . فقال : أيكم يحفظ ما كتبتُ عنى ؟ فالتفت بعضهم إلى بعض ؛ ثم نظروا إلى وقالوا : أنت تحفظ ما كتبتُ عنه ؟ فقلت : نعم . فقالوا : هذا ، فسله . فقلت : حدثتُنا يوم كذا بكذا ، وفي يوم كذا بكذا » . قال أبو بكر بن كامل : وأخذ أبو كريب في مسألته إلى أن عظُم في نفسه ، فقال له : ادخل إلى ، فدخل إليه ، وعرف قدره على حدائته ، ومكّنه من حديثه . وكان الناس يسمعون منه ؛ فيقال : إنه سمع من أبي كريب أكثر من مائة ألف حديث (٢) .

(١) معجم الأدباء ١٨ : ٤٩ ، ٥٠ .

(٢) معجم الأدباء ١٨ : ٥١ ، ٥٢ .

ثم عاد أبو جعفر إلى مدينة السلام ؛ وفي هذه المرة أخذ في مدارسة علوم القرآن ؛ وانقطع إلى أحمد بن يوسف التغلبيّ المقرئ زماناً ؛ ثم جنح إلى دراسة فقه الشافعيّ ؛ وكان هناك الحسن بن محمد الصباح وأبو سعيد الإصطخريّ من أئمة الشافعيّة ؛ ولم يلبث أن اتخذ مذهباً ، وأفتى به سنوات .

وكان يقيم بمصر على عصره بقيّة من أصحاب الشافعيّ وحامل مذهبهم ؛ إسماعيل بن إبراهيم المزنيّ ، والربيع بن سليمان ، ومحمد بن عبد الله بن الحكم وأخوه عبد الرحمن ؛ فدعته نفسه إلى اللقاء بهم والرحلة إليهم ؛ وفي طريقه إلى مصر عرّج على أجناد الشام وسواحلها وثغورها ؛ وأطال أيامه في بيروت على الحصّوص ؛ حيث لقيّ العباس بن الوليد البيرونيّ المقرئ ؛ قضى منها سبع ليالٍ بالمسجد الجامع ؛ حتى ختم القرآن برواية الشاميين تلاوة عليه ؛ وتابع مسيره إلى القسطنطينية حتى بلغها في سنة ثلاث وخمسين ومائتين .

وكان أوّل من لقيه بها أبو الحسن السراج المصريّ ؛ وكان أديباً متصرفاً في فنون الآداب ، وكلّ من دخل القسطنطينية من أهل العلم يتلقاه ويتعرّض له ؛ فحينما لقيّ أبا جعفر ، ساءله عن فنون من الفقه والحديث واللغة والنحو والشعر ؛ فوجدته عالماً في كلّ ما سأل ، أخذاً من كلّ علم بنصيب وافر ، فسأله عن شعر الطرمّاح ، فإذا هو يحفظه ، فسئل أن يعلّيه ويشرح غريبه ؛ فأملأه عند بيت المال بالجامع .

وجاءه أيضاً رجل آخر يسأله في العروض . . قال أبو جعفر : « ولم أكن نشيطاً له من قبل ؛ فقلت له : على قول ألاّ أتكلّم اليوم في شيء من العروض ، فإذا كان في غد فصرّ إليّ ، وطلبت من صديق لي كتاب العروض للخليل بن أحمد ، فنظرت إليه في ليلتي ؛ فأمسيت غير عروضيّ ، وأصبحت عروضيّاً » (١) .

وروى الخطيب البغداديّ قصة طريفة وقعت لابن جرير في مصر ، قال : جمعت الرحلة بين محمد بن جرير ، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة ، ومحمد بن نصر المروزيّ ، ومحمد بن هارون الرويانيّ بمصر ، فأرملوا ولم يبق عندهم ما

(١) معجم البلدان ١٨ : ٥٦ .

يقوتهم ؛ وأضرّ بهم الجوع ، فاجتمعوا ليلة بي منزل كانوا يأوون إليه . فاتفق رأيهم على أن يستهيموا ويضربوا القرعة ، فمن خرجت عليه سأل لأصحابه الطعام . فخرجت القرعة على محمد بن إسحاق بن خزيمه . فقال لأصحابه : أمهلوني حتى أتوضأ وأصليّ صلاة الخيرة . قال : فاندفع في الصلاة فإذا هم بالشموع ، وخصي من قبل والى مصر يدقّ الباب . ففتحوا الباب ، فنزل عن دابته . فقال : أبتكم محمد بن نصر ؟ فقيل ؛ هو هذا . فأخرج صرة فيها خمسون ديناراً فدفعها إليه ، ثم قال : أبتكم محمد بن جرير ؟ فقالوا : هو ذا . فأخرج صرة فيها خمسون ديناراً فدفعها إليه ، ثم قال : أبتكم محمد بن هارون ؟ فقالوا : هو ذا ، فأخرج صرة فيها خمسون ديناراً فدفعها إليه ؛ ثم قال : أبتكم محمد بن إسحاق بن خزيمه ؟ فقالوا : هو ذا يصلّي . فلما فرغ دفع إليه الصرة وفيها خمسون ديناراً ، ثم قال : إن الأمير كان قائلاً بالأمس . فرأى في المنام خيالاً . قال : إن المحامد طوّوا كشحتهم جياعاً . فأنفذ إليكم هذه الصرّار ؛ وأقسم عليكم إذا نفدت فابعثوا إلى أحدكم (١) .

وظالت أيامه بمصر سنوات ، ذهب في أثنائها إلى الشام . ثم عاد فأخذ من فقه الشافعي عن الربيع والمزني وأبناء عبد الحكيم . ومن فقه مالك عن تلاميذ ابن وهب . وفي مصر أيضاً لقي يونس بن عبد الأعلى الصدفي ؛ شيخ الإقراء بها ؛ فأخذ عنه قراءة حمزة وورش .

ثم عاوده الحنين إلى بغداد ، وأحسن رغبة في أن يلقيّ العصا ويجنح إلى الاستقرار . فعاد إليها بعد رحلة طويلة . روى فيها وكتب وشاهد ؛ وقرأ الكثير ، وصحب أعلام عصره وأخذ عنهم .

وعزم على أن ينقطع للدرس والتأليف . وأن يمتنع عن كل ما يصرفه عنهما . نقل ابن عساكر أنه « لما تقلد الخاقاني الوزارة وجّه إلى أبي جعفر بمال كثير ، فامتنع من قبوله . وعرض عليه القضاء فأبى . وعرض عليه المظالم فامتنع ، فعاتبه أصحابه وقالوا له : لك في هذا ثواب . وتحبب سنة قد درّست ، وطمعوا في قبوله المظالم ؛ وباكروه ليركب معهم لقبول ذلك ، فأنهروهم وقال : قد كنت

(١) تاريخ بغداد ٢ : ١٦٤ . ١٦٥

أظن لو رغبت ذلك لنهيتموني عنه . ولا مهم « (١) .

ونقل أيضاً « أن بعض أصدقائه قال له : أنتشط لتأديب بعض ولد الوزير أبي الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ؟ قال له : نعم . ففضى الرجل وأحكّم له أمره ، وعاد إليه فأوصله إلى الوزير بعد أن أعاره ما يلبسه ؛ فلما رآه عبيدُ الله قرّبه ورفع مجلسه . وأجرى عليه عشرة دنانير في الشهر . واشترط عليه أن ذلك لا يعوّقه عن أوقات طلب العلم ومدارسته وأداء الصلاة في مواعيدها ، والطعام في وقته ؛ ثم طلب إسلافه رزق شهر ليصلح به حاله . ففعل به ذلك ، وأدخله حجرة التأديب . وخرج إليه النصي . فلما جلس بين يديه كتب . فأخذ الخادم اللوح ودخل به مستبشراً . فلم تبق جارية إلا أهدت إليه صينية فيها دراهم ودنانير . فردّ الجميع وقال : قدّ شُورطت على شيء . وما هذا لي بحق . وما آخذ غير ما شُورطت عليه . فعرف الخواري الوزير بذلك ، فدخل إليه وقال : يا أبا جعفر . سررت أمهات الأولاد في ولدنهن فبررتك . فغممتهن بردك ذلك . فقال له : لا أريد غير ما وافقتني عليه « (١) .

ثم ابنتى لنفسه داراً برحبة يعقوب في بغداد ؛ وزع فيها نفسه بين العبادة والقراءة والإملاء والتصنيف ؛ وعاش بها . رضى النفس . مرموق الخلق . مهيباً من الخلفاء والولاة . رفيع المنزلة والمكانة . إلى أن مات يوم السبت ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلاثمائة . ودفن يوم الأحد بالغداة . في داره . قال الخطيب : « واجتمع على جنازته من لا يحصى عددهم إلا الله . وصلى على قبره عدّة شهور ليلاً ونهاراً ، ورثاه خلق كثير من أهل الدين والأدب « (٢) .

• • •

وقد جال ابن جرير في نواحي كل فن ؛ وضرب فيها جميعها بسهم . حتى أصبح إمام عصره غير مدافع ؛ قال عبد العزيز الطبري في شأنه : « كان كالقارئ الذي لا يعرف إلا القرآن ، وكالمحدث الذي لا يعرف إلا الحديث . وكالفقيه الذي لا يعرف إلا الفقه . وكالنحوي الذي لا يعرف إلا النحو .

(١) تاريخ ابن عساكر ١٨ : ٣٥٦ .

(٢) تاريخ بغداد ٢ : ١٦٦ .

وكالحاسب الذي لا يعرف إلا الحساب ؛ وكان عالماً بالعبادات ، جامعاً للعلوم ، وإذا جمعت بين كتبه وكتب غيره وجدت لكتبه فضلاً على غيرها ^(١) . ولكن كان أكثر ما اشتهر به من هذه العلوم الفقه والتفسير والحديث والقراءات .

أما الفقه فقد درس المذاهب جميعها ، وفقه الشافعي على الخصوص ؛ واتخذ مذهباً له وأفتى به في بغداد عشرين ، ثم أحصى المسائل ، واستجلى الغوامض . وأمعن في التثقيف والتدقيق ؛ ولم يلبث أن أدت به البحث والاجتهاد إلى اختيار مذهب انفرد به ؛ وأودعه في كتبه الفقهية : المطولة والمختصرة . وضع كتاباً أسماه « لطيف القول » أداره على ثلاثة وثمانين باباً ؛ جعله خلاصة مذهبه في أحكام شرائع الإسلام ؛ مما اختاره وجوَّده واحتجَّ به . وفي كتابه البسيط تحدث عن علماء الأمصار ومراتبهم ؛ وشرح أبواب الفقه بالإسهاب والتفصيل . وفي كتاب « اختلاف الفقهاء » عرض لأقوال العلماء ؛ وهم : مالك . وأبو حنيفة . والشافعي . وسفيان الثوري . والأوزاعي ، وأبو يوسف . ومحمد بن الحسن . وإبراهيم بن خالد الكلبي ؛ وناقش أقوالهم ؛ ووازن بين حججهم وبراهينهم . واختار الأصوب عنده .

وقد تفقه بمذهبه كثير من العلماء . وأفرد ابن النديم باباً في أصحابه ؛ منهم علي بن عبد العزيز الدولابي . وأبو الحسن أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى المنجم - وله كتاب المدخل إلى مذهب الطبري . ونصرته . وكتاب الإجماع في انتقاه على مذهب أبي جعفر ، وأبو بكر بن كامل - وله كتب على مذهب الطبري . منها كتاب جامع الفقه . وكتاب الشروط . وكتاب الوقيوف ، ومنهم أبو الفرج المعافي بن زكريا النهرواني - وعرف بالحريري نسبةً إليه - قال ابن النديم : « وهو الذي نشر مذهبه . وحفظ كتبه . وشرح كتابه الخفيف » . وأما التفسير فإنه قد أفضى بعلمه فيه إلى كتابه الكبير « جامع القرآن في تفسير القرآن » . قال أبو جعفر : حدثتني به نفسي وأنا صبي . وقال :

(١) معجم الأدباء : ١٨ : ٦١ . (٢) معجم الأدباء : ١٨ : ٦٢ - ٦٥

« استخرتُ الله تعالى في عمل كتاب التفسير ، وسألتُه العون على ما نويته ثلاث سنين قبل أن أعمله فأعاني » . جعله ثلاثين جزءاً بعدد أجزاء القرآن ، وقدم له برسالة في بيان الإعجاز وطرق القراءات ، وتفسير أسماء السور ؛ ثم تلاها بتأويل القرآن حرفاً حرفاً ، فذكر أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من تابعي التابعين ، وكلام أهل الإعراب من الكوفيين والبصريين ، وجملاً من القراءات واختلاف القراء فيما فيه من المصادر واللغات والجمع والتثنية ، والكلام على ناسخه ومنسوخه وأحكام القرآن والخلاف فيه ، والردّ على مَنْ كان من أهل النظر فيما تكلم به أهل البدع والردّ عليهم ؛ على مذاهب أهل الإثبات ومبتغى السنن . وذكر فيه من كتب التفسير المصنفة الموثوقة ، عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والحسن وعكرمة والضحاك بن مزاحم ؛ ولم يتعرض لتفسير غير موثوق به ، فلم يُدخِل شيئاً من كتاب محمد بن السائب الكلبي ، ولا مقاتل بن سليمان . ولا محمد بن عمر الواقدي ؛ لأنهم عنده أظنّاء ، ولكن إذا رجع إلى التاريخ والسِّيَر وأخبار العرب حكى عنهم فيما يفتقر إليه ولا يؤخذ إلا منهم (١) .

واشتهر هذا التفسير وطار ذكره في الآفاق ؛ حتى روى عن أبي حامد الإسفراييني الفقيه أنه قال : « لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل على كتاب تفسير محمد بن جزير ؛ لم يكن ذلك كثيراً (٢) » .

وأما الحديث فقد عدّه الذهبي من رجال الطبقة السادسة . وذكر النووي في « كتاب تهذيب الأسماء واللغات » أنه في طبقة الترمذي والنسائي . ومن أشهر ما صنّف فيه كتاب « تهذيب الآثار » . قال ابن عساكر : وهو من عجائب كتبه . ابتدأ بما رواه أبو بكر الصديق مما صحّ عنده بسنده ، وتكتم على كل حديث منه . وابتدأ بعنه وخرقه وما فيه من الثقة والسنن واختلاف العلماء وحججهم ، وما فيه من المعاني والغريب . وما يضمن فيه الملحدون . والردّ عليهم وبيان فساد ما يطعنون به . فخرج من مسند العشرة وأهل البيت ومسند ابن عباس قطعة كبيرة . . . وكان

(١) معجم الأدباء ١٨ : ٦٢ - ٦٥ . (٢) تاريخ بغداد ٢ : ١٦٣ .

قصده فيه أن يأتي بكل ما يصح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتكلم على جميعه على حسب ما ابتدأ به ؛ فلا يكون لطاعن في شيء من علم رسول الله مطعن . وأن يأتي بجميع ما يحتاج إليه أهل العلم ؛ كما عمل في كتاب التفسير ، فيكون قد أتى على علم الشريعة : القرآن والسنة . ولكنه لم يتمه ، ولم يمكن أحداً بعده أن يفسر حديثاً واحداً ، ويتكلم فيه على ما فسره « (١) » .

ولغلبة الحديث عليه وضع كتابه في التاريخ على طريقة المحدثين ؛ كما سيأتي تفصيله عند الكلام عليه .

أما القراءة فقد تلقى حروف القرآن على شيوخ الإقراء ببغداد والكوفة والشام ومصر ، وأخذ بقراءة حمزة ؛ تلقاها عن يونس بن عبد الأعلى بمصر ؛ كما أخذ عليه قراءة ورش ؛ ثم لم يلبث أن اتخذ لنفسه قراءة لم يخرج بها عن المشهور ؛ كما فعل في الفقه والتفسير ؛ ووضع كتابه المسمى بالفصل بين القراءات ؛ ذكر فيه اختلاف القراء في حروف القرآن ، وفصل أسماء القراء في حروف القرآن ، وفصل أسماء القراء بمكة والمدينة والبصرة والشام ؛ وفصل بين كل قراءة وقراءة ، فيذكر وجهها وتأويلها والدلالة على كل قارئ لها ؛ ثم اختار من هذا قراءة له ؛ وبين أسباب اختياره والبرهان على صحته ؛ مستظهراً على ذلك بقدرته على التفسير والإعراب وكلام العرب ؛ الذي لم يشتمل على حفظ مثله سواه ؛ وهي القراءة التي عدت مذهباً له ، بعد أن درس جميع القراءات على شيوخها .

وإلى جانب علمه بالقراءة، كان حسن التلاوة حسن الترتيل ؛ سمعه أبو بكر ابن مجاهد وهو في طريقه إلى المسجد لصلاة التراويح ، يقرأ سورة الرحمن ؛ فقال : « ما ظننت أن الله تعالى خلق بشراً يحسن يقرأ هذه القراءة » .

• • •

وكان أيضاً شاعراً ؛ ذكره القفطي في كتاب « المحمدين من الشعراء » ؛ وقال : « كان له رحمه الله شعرٌ فوق شعر العلماء » . وأورد له :

إذا أعسرتُ لم يعلم رَفِيقِي وأسْتَغْنِي فَيَسْتَغْنِي صَدِيقِي

(١) تاريخ ابن عم، كمر ١٨ : ٣٥١

حياتي حافظ لي ماء وجهي ورفقي في مرافقي رفيقي
ولو أنني سمحت بماء وجهي لكنت إلى الغنى سهل الطريق
وقوله :

خُلُقَان لَا أَرْضَى طَرِيقَهُمَا بَطَرُ الْغِنَى وَمَذَلَّةُ الْفَقْرِ
فَإِذَا غَنَيْتَ فَلَا تَمَكُنْ بَطْرًا وَإِذَا افْتَقَرْتَ فَتَهْ عَنَّا الدَّهْرُ
وقد اختار في تاريخه من عيون الشعر ومنحول الخطب والرسائل والوصايا ،
ما يشير إلى طول باعه في هذا الشأن . قال أبو عمر الزاهد : سمعت ثعلباً
يقول : « قرأ عليّ أبو جعفر شعر الشعراء قبل أن يكثر الناس » . وقال في
حقه : « إنه من حذاق الكوفيين » . قال أبو عمر : وكان أبو العباس قليل
الشهادة للناس .

وكان حسن الرأي جميل الطريقة ، لا يُخلى ليله من تلاوة القرآن ،
ويذهب في جلّ مذهبه إلى ما عليه الجماعة من السلف ، جارياً على طريق
أهل السنة ؛ لم يقصد فيما ألف حاجة من سلطان ، أو تزلفاً إلى عظيم . دعاه
الخليفة المكتفي لتأليف كتاب في الوقف يجتمع عليه أقوال العلماء ، ويسلم من
الخلاف ، فلما ألفه وأملاه أعجب الخليفة ، وأمر له بجائزة سنوية فردّها ،
فروجع في ذلك وقيل له : من وصل إلى مقام الخليفة لم يحسن أن ينصرف إلا
بجائزة أو قضاء حاجة ؛ فقال : أمّا قضاء الحاجة فأنا أسأل أمير المؤمنين أن
يحمل أصحاب الشرط أن يمنعوا السؤال من دخول المقصورة يوم الجمعة حتى
تنقضي الخطبة .

وقد بلغ الغاية في شرف النفس ، وكمال العفة ؛ ونظافة الملبس والأعضاء ،
وحلاوة المعاشرة ؛ وحسن التفقد لإخوانه ، وجمال الرعاية لهم ؛ رقيق حواشي الكلام
مع دعابة وظرف . ورقة ولطف ؛ وله في كلّ ذلك قصص وأخبار ؛ أفردّها
أبو بكر بن كامل في كتابه ؛ وكذلك فعل عبد العزيز بن محمد الطبري ؛
وعن هذين الكتابين نقل ياقوت معظم ما أورد في كتابه عن محمد بن جرير .
وذكر القنطري في كتابه « إنباه الرواة » أنه وضع في سيرة الطبري كتاباً أسماه
« التحرير في أخبار محمد بن جرير » . وصفه بأنه « كتاب ممتع » ؛ وضاع فيما
ضاع من كتبه .

٢ - مؤلفاته

١ - آداب المناسك : قال ابن عساكر : هو لما يحتاج إليه الحاج من يوم خروجه ، وما يحتاج إليه من الإتمام لابتداء سفره ، وما يدعو إليه ربه عند ركوبه ونزوله ومعاينته المنازل والمشاهد إلى انقضاء حجه (١) .

٢ - آداب النفوس : قال ابن عساكر : «عمله على ما ينوب الإنسان من العرائض في جميع أجزاء جسده ؛ فبدأ بما ينوب القلب واللسان والبصر والسمع . على أن يأتي بجميع الأعضاء ؛ وما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وعن الصحابة والتابعين ، ويذكر كلام المتصوفة وما حكى من أفعالهم ، وإيضاح الصواب في ذلك . قال ياقوت : «عمل منه أربعة أجزاء ولم يخرجها إلى الناس في الإملاء : (٢)»

٣ - اختلاف علماء الأمصار ، في أحكام شرائع الإسلام : قصد به ذكر أقوال الفقهاء وهم : مالك والأوزاعي والثوري والشافعي وأبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد بن الحسن وإبراهيم بن خالد ، وسأله أحمد بن عيسى عن سبب تأليفه . فقال : ليتذكر به أقوال مَنْ يناظره . ولم يستقص في هذا الكتاب اختياره ؛ لأنه قد فعل ذلك في كتاب « اللطيف » (٣) .

٤ - أحاديث غدير خم ، قال ياقوت : كان قد قال بعض الشيوخ ببغداد بتكذيب خبر غدير خم ، وقال : إن علي بن أبي طالب كان باليمن في الوقت الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بغدير خم . . . وبلغ أبا جعفر ذلك ، فابتدأ بالكلام في فضائل علي بن أبي طالب ؛ وذكر طرق حديث خم . وقال ابن كثير : رأيت له كتاباً جمع فيه أحاديث غدير خم في مجلدين .

٥ - بسيط القول في أحكام شرائع الإسلام : قدّم له بكتاب سماه مراتب

(١) تاريخ ابن عساكر ٨ : ٣٥٢ . (٢) معجم الأدباء ١٧ : ١٨ .

(٣) نشره كيرن ، وطبع بمطبعتي الترق والموسوعات سنة ١٩٠٢ ، عن نسخة خطية بدار الكتب برقم ٦٤٥ فقه ، ونشر شاخنت قطعة منه وطبع في ليدن سنة ١٩٣٣ .

العلماء ؛ ممن تفقه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على مذهب
اختاره ثم من أخذ عنهم ؛ ومن أخذ عنهم ؛ من فقهاء الأمصار ؛ بدأ بالمدينة
ثم مكة ثم العراقين : الكوفة والبصرة ثم الشام وخراسان ؛ ثم أبواب الفقه ؛ وخرج
منه كتاب الطهارة ، وكتاب الصلاة ، وكتاب الزكاة ، وكتاب الشروط ،
وكتاب القضاة والمحاضر والسجلات ، وكتاب الوصايا ، وكتاب أدب القاضي ،
وكتاب البيان عن أصول الأحكام .

٦ - البصير في معالم الدين : قال ياقوت : « ومن كتب أبي جعفر رسالته
المسمّاة بالبصير في معالم الدين ؛ التي كتب بها إلى أهل طبرستان فيما وقع بينهم
فيه من الخلاف في الاسم والمسمى . وفي مذاهب أهل البدع ؛ وهو نحو ثلاثين
ورقة . واسمه في طبقات الشافعية والوافي بالوفيات : « التبصير » .

٧ - تاريخ الرسل والملوك : وسيأتي الكلام عليه .

٨ - تهذيب الآثار : وتفصيل الثابت من الأخبار . ابتدأه بما رواه أبو بكر
مما صحّ عنده بسنده . وتكلّم عن علّة كلّ حديث منه وطرقه وما فيه من الفقه
والمعنى والغريب . نقل ياقوت عن أبي بكر بن كامل ، قال : لم أر بعد أبي جعفر
أجمعّ للعلم وكتب العلماء منه ؛ لأنّ أروض نفسي في عمل مسند عبد الله بن
مسعود في حديث منه نظير ما عمله أبو جعفر فما أحسن عمله ، وما يستوى لي (١)

٩ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن : وهو أجلّ التفاسير على الإطلاق
وأعظمها . أملاه في بغداد من سنة ثلاث وثمانين إلى سنة تسعين (٢) . قال ابن
النديم : « وقد اختصره جماعة ؛ منهم أبو بكر بن الإخشيد وغيره (٣) . وترجم إلى
الفارسية بأمر منصور بن يحيى الساماني (٤) . وترجم أيضاً إلى التركية (٥)
وقد قام الأستاذ محمود شاكر بتحقيقه ونشره في طبعة علمية محررة بدارالمعارف
بالقاهرة ، وأصدر منه خمسة عشر جزءاً ، وهو يوالى إخراج بقية الأجزاء .

(١) منه نسخ خطية في كبريل وعاطف أفندي وبايزيد والفتاح بإستانبول .

(٢) معجم الأدباء ١٨ : ٤٢ .

(٣) الفهرست ٢٣٥ .

(٤) بروكلمان ١ : ٢١٣ (الملحق) .

(٥) بروكلمان ١ : ٢٤٩ (الملحق) .

١٠ - الجامع في القراءات : رآه ابن الجزرى وأخذ منه . وذكر صاحب كشف الظنون أن فيه نيفاً وعشرين قراءة . وقال أبو علي الحسن بن علي الأهوازي المقرئ في كتاب الإقناع فيه إحدى عشرة قراءة : « وله في القراءات كتاب جليل كبير ، رأيت في ثمانى عشرة مجلدة ؛ إلا أنه كان بخطوط كبار ؛ ذكر فيه جميع القراءات ؛ من المشهور والشواذ وعلل ذلك وشرحه ، واختار منها قراءة لم يخرج بها عن المشهور » (١) .

١١ - حديث الطير : قال ابن كثير : رأيت له كتاباً جمع فيه حديث الطير (٢) .

١٢ - الخفيف في الفقه : قال ياقوت : « ومن جياذ كتبه كتابه المعروف بكتاب الخفيف في أحكام شرائع الإسلام ؛ وهو مختصر من « اللطيف » ؛ وقد كان أبو أحمد العباس بن الحسن العزيزى أراد النظر فى شىء من الأحكام ، فراسله فى اختصار كتاب له ؛ فعمل هذا الكتاب ليقرب متناوله ؛ وهو نحو من أربعمائة ورقة ؛ وهو كتاب قريب على الناظر ؛ فيه كثير من المسائل ، ليصلح لتذكرة العالم والمبتدى والمتعلم » . وقال ابن عساكر بعد أن ذكر أمره مع الوزير : فوجته إليه بألف دينار فردّها عليه ، ولم يقبلها ؛ فقيل له : تصدق بها ؛ فلم يقبل وقال : أنتم أولى بأموالكم وأعرف بمن تتصدقون عليه (٣) .

١٣ - ذيل المذيل : قال ياقوت : ومنها كتابه المسمى "ذيل المذيل" المشتمل على تاريخ من قتل أو مات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته أو بعده ؛ على ترتيب الأقرب فالأقرب منه ، أو من قريش من القبائل ، ثم ذكر من مات من التابعين والسلف بعدهم ، ثم الخالفين ؛ إلى أن بلغ شيوخه الذين سمع منهم ، وجملاً من أخبارهم ومذاهبهم ، وتكلم فى الذب عن ذوى الفضل منهم ؛ ممن رُمى بمذهب وهو برىء منه ؛ نحو الحسن البصرى وقتادة وعكرمة وغيرهم ، وذكر صنف من نسب إلى ضعف من الناقلين ، وفى آخره أبواب حسان من باب من حدث عنه من الإخوة أو الرجل وولده ، ومن

(١) من كتاب الجامع نسخة خطية بالمكتبة الأزهرية .

(٢) تاريخ ابن كثير ١١ : ١٤٦ . (٣) تاريخ ابن عساكر ٨ : ٣٤٨ .

شهر بكنيته دون اسمه ، أو باسمه دون كنيته ؛ وهو من محاسن الكتب وأفاضلها ، يرغب فيه طلاب الحديث وأهل التواريخ ؛ وكان خرج إملأه بعد سنة ثلاثمائة ؛ وهو في نحو من ألف ورقة^(١) .

وذكره ابن خير في فهرسته قال : حدثني به أبو الحسن علي بن عبد الله بن مذهب الجذامي الحافظ قال : أنبأنا أبو عمر أحمد بن محمد الأموي قال : أنبأنا أبو بكر أحمد بن الفضل الدينوري ، عن أبي جعفر الطبري مؤلفه رحمه الله ، عشرون جزءاً^(٢) . ومنه أخذ كتاب «المنتخب من ذيل المذيل» ، لم يعلم من قام به ، وهو الذي طبع مع التاريخ .

١٤ - الرد على الحرقوصية : ذكره النجاشي في كتاب الرجال^(٣) .

١٥ - الرد على ذي الأسفار : يرد فيه علي داود بن علي الأصبهاني ؛

ذكره ياقوت .

١٦ - الرد على ابن عبد الحكم على مالك : قال ياقوت : « ولم يقع إلى

أصحابه » .

١٧ - صريح السنة : وهو رسالة ذكر فيها مذهبه وما يدين به وما يعتقده

والجزء الأخير منه في الاعتقاد^(٤) . واسمه في ابن عساكر « شرح السنة » . بين فيه مذهبه وما يدين الله عليه ؛ على ما مضى عليه الصحابة والتابعون ومتفقهة الأمصار .

١٨ - طرق الحديث : قال الذهبي : « رأيت مجلداً من طرق الحديث لابن

جرير ، فاند هشت له ولكثرة الطرق »^(٥) .

(١) معجم الأدباء : ١٨ : ٧١ .

(٢) فهرست ابن خير ٢٢٧ .

(٣) وفسر بروكلمان الحرقوصية بالحنايلة ، معللاً ذلك بأن أحمد بن حنبل كان من أولاد زهير ابن حرقوص ، ولم يصح عندنا ذلك ، والذي في تاج العروس ن حرقوص بن زهير السدي ، كان صحابياً ، ثم كان مع علي بصفين ، فصار خارجياً عليه وقتل ، وربما كان في ذلك تفسير سليم للكتاب .

(٤) طبع هذا القسم في بمباي سنة ١٣١١ و ١٣٢١ ، ومنه نسخة خطية في روان

كشك الملحقة بمكتبة أحمد الثالث بإستانبول ، ثم طبع أخيراً في مصر .

(٥) تذكرة الحفاظ ٢ : ٢٥٣

١٩ - عبارة الرؤيا: جمع فيه أحاديث، ومات ولم يتمه، ذكره ياقوت.
٢٠ - كتاب العدد والتنزيل، ذكره ابن عساكر والذهبي في تذكرة الحفاظ، والسبكي في الطبقات.

٢١ - كتاب الفضائل؛ قال ابن عساكر: «ولما بلغه أن أبا بكر بن أبي داود السجستاني تكلم في حديث غدیر خم». عمل كتاب الفضائل، فبدأ بفضائل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، واحتج لتصحيحه وأتى من فضائل أمير المؤمنين بما انتهى إليه. وقال ياقوت: «ثم سأله العباسيون في فضائل العباس، فابتدأ بخطبة حسنة، وأملى بعضه. وقطع جميع الإملاء قبل موته. ونقل أيضاً عن أبي بكر بن كامل سبب تأليفه، قال: وقد كان رجع إلى طبرستان فوجد الرفض قد ظهر وسب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انتشر؛ فأملى فضائل أبي بكر وعمر؛ حتى خاف أن يجرى عليه ما يكرهه، فخرج منها من أجل ذلك.

٢٢ - لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام، قال ياقوت: «هو مجموع مذهبه الذي يعول عليه جميع أصحابه، وهو من أنفس كتبه وكتب الفقهاء، وأفضل أمهات المذاهب وأسودها تصنيفاً، وكان أبو بكر بن راميك يقول: ما عمل كتاب في مذهب أجود منه. وكتبه تزيد على كتاب الاختلاف ثلاثة كتب: كتاب اللباس، كتاب أمهات الأولاد، كتاب الشرب. وأراد بتسمية اللطيف دقة معانيه وكثرة ما فيه من النظر والتعليقات، لاصغره وخفة حمل وزنه. وطلب إليه أبو أحمد العباس بن الحسن الغريزي أن يختصر له كتاباً في الأحكام، فاختصر له هذا الكتاب وسماه «اللطيف».

٢٣ - مختصر الفرائض، ذكره ياقوت والصفدي.

٢٤ - كتاب المسترشد، ذكره ابن النديم.

٢٥ - المسند المجرد: قال ياقوت: «وقد كتب أصحاب الحديث الأكثر منه، وذكر فيه من حديثه عن الشيوخ ما قرأه على الناس»^(١).

(١) معجم الأدباء ١٨ : ٦٥ .

٢٦ - كتاب الوقف : ألفه للخليفة المكتفي ؛ ذكر فيه ما اجتمعت عليه أقوال العلماء وسلم من الخلاف في هذا الموضوع .

• • •

ونقل ياقوت عن عبد العزيز بن محمد أنه وقع له كتاب في الرمي بالنشاب منسوب إلى أبي جعفر . قال : وما علمت أحداً قرأه عليه ولا ضابطاً ضبط عنه ؛ ويظهر أنه لعبد الرحمن بن أحمد الطبري ، واسمه : الواضح في علم الرمي . ومنه نسخة مصورة بدار الكتب المصرية ، عن نسخة مخطوطة سنة ٨٥٣ هـ^(١) .

وذكر بروكلمان^(٢) أنه يوجد كتاب له باسم « تاريخ صنعاء » ، والصواب أن هذا الكتاب من تأليف أبي العباس أحمد بن عبد الله الرازي الصنعاني المتوفى سنة ٤٦٠ ، وأصله من الطبريين الذين وفدوا إلى اليمن وأقاموا بها . ومن هذا الكتاب نسخة بدار الكتب .

ونسب إليه أيضاً كتاب « بشارة المصطفى » ، والصواب أنه لأبي جعفر محمد بن علي بن مسلم الطبري الآملي (كان موجوداً سنة ٥٥٣) ؛ وهو كتاب في منزلة التشيع ودرجات الشيعة وكرامات الأولياء ؛ يقع في ١٧ جزءاً ، كما صرح بذلك صاحب كتاب « أمل الآمل »^(٣) .

ونقل ياقوت عن أبي القاسم بن حبيش الوراق قال : « كان قد التمس مني أبو جعفر أن أجمع له كتب الناس في القياس ، فجمعت له نيفاً وثلاثين كتاباً ، فأقامت عنده مديدة ، ثم كان من قطعه الحديث قبل موته بشهور ما كان ؛ فردّها عليّ وفيها علامات له بحمرة قد علم عليها^(٤) .

وذكر الطبري في تاريخه^(٥) أنه سيؤلف كتاباً في « دلائل النبوة » ؛ ولم يذكره أحد ممن ترجم له .

(١) وانظر بروكلمان ١ : ٩٠٦ (الملحق) .

(٢) بروكلمان ١ : ٥٧٠ (الملحق) .

(٣) الذريعة إلى مصنفات الشيعة ٣ : ١١٧ .

(٤) معجم الأدباء ١٨ : ٨١ .

(٥) تاريخ الطبري ١ : ١٤٤٦ (طبع أوروبا) .

٣ - تاريخ الطبري

وكتابه « المسمى تاريخ الرسل والملوك »^(١) ، أو « تاريخ الأمم والملوك »^(٢) يعدّ أوفى عمل تاريخي بين مصنّفات العرب ، أقامه على منهج مرسوم ، وساقه في طريق استقرائيّ شامل ؛ بلغت فيه الرواية مبلغها من الثقة والأمانة والإتقان . أكمل ما قام به المؤرخون قبله ، كاليقوبى والبلاذرى والواقدي وابن سعد ؛ ومهدّ السبيل لمن جاء بعده كالمسعودي وابن مسكويه وابن الأثير وابن خلدون .

وقد كان التاريخ عند العرب في الجاهلية أخباراً متفرقة تتناقلها الشفاه ، وروايات متناثرة تدور حول الأشعار والأمثال والأيام ، وأساطير تكسوها المبالغة ويحوظها الهويل ؛ عدا نقوشاً كتبت بالخط المسند على حوائط المعابد والأديرة وأعمدة الحصون والقصور في الحيرة واليمن . ثم كانت بعثة محمد عليه السلام ، ومضى عهده وعهد الخلفاء الراشدين من بعده ، وإذا المسلمون يخفون لتدوين أخباره عليه السلام ، ويروون أنباء مولده ومبعثه وهجرته ومغازيه ؛ فكان من تدوين تلك السيرة اللبنة الأولى في تاريخ الإسلام ؛ على أنها لم تعد في ذلك الحين أن تكون نوعاً من رواية الحديث . وكان أول من وضع في ذلك كتاباً عروة بن الزبير بن العوام ، ثم تلاه أبان بن عثمان بن عفان ؛ إلى أن بلغ فنّ السيرة أوجه في كتاب ابن إسحاق .

ثم خرج المسلمون للغزو والجهاد ، فهزّوا عروش كسرى وقيصر ، وقوضوا دعائم الملك في بلاد الفرس والشام ومصر والروم ، ودخلوا البلاد فاتحين . ثم نبض عرق العصبية والقبليّة ، وشاعت أخبار الأمم القديمة ، وتاريخ الديانات عند الأمم الأخرى ؛ كلّ هذا وذاك دعا إلى إضافة مادة تاريخية جديدة ؛ فالعلماء حاولوا أن يفهموا إشارات الكتاب الكريم إلى تلك الأمم ، والخلفاء رغبوا في معرفة أخبار الملوك من الأمم قبلهم ؛ كان يفعل ذلك معاوية وعبد الملك بن مروان وأبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور ؛ ومست الحاجة إلى معرفة ما فتح

(١) معجم الأدباء ١٨ : ٦٨ .

(٢) تاريخ بغداد ٢ : ١٦٣ ، وكشف الظنون ٢٩٧ .

من البلاد صلحاً ، وما فتح منها عنوة ؛ ليقيموا الجزية والحراج على أساس ما رجع الإسلام في ذلك من تشريع ؛ وأخذت الرواية التاريخية تتخذ لوناً جديداً ، أطلق عليها اسم الأخبار ، ودعى من يرويها بالأخباري ، كما أطلقوا على من يروي الحديث اسم المحدث ؛ وظهرت في ذلك مؤلفات ، فصنف محمد بن السائب الكلبي كتاباً في الأنساب ، وعوانة بن الحكم في أخبار بني أمية وأبو مخنف في أخبار الردة والحمل وصفين ، وسيف في أخبار الفتوح ، وابن هشام في ملوك حمير . . . وما إن انقضى القرن الثاني حتى أخذت المادة التاريخية تزيد تبعاً لتطور الحياة العربية ، واستقرت دواوين الإنشاء والحند والبرء ، وتنوعت العهود والوثائق والمراسلات ، ومست الحاجة إلى معرفة المواليد والوفيات ، ومدد ولايات الخلفاء والولاة والقضاة والقواد وأمراء المواسم في الحج ؛ ثم ظهرت الكتب المترجمة عن الفرس واليونان والسريان ، وكثرت الرحلة بين البلاد ؛ وتعددت المشاهد ، واطلع العرب على ما لم يكونوا رأوه من عجائب البلاد ، وحضارات الأمم ؛ عدا ما كان من اتساع الفتوح ، وكثرة الأحداث ؛ فوجد العلماء للتاريخ منابع رافدة ، ومناهل متنوعة ، ومصادر كثيرة ؛ وأحسوا أن لعلم التاريخ أثراً في بناء الأمم ، وفهم الثقافات ، وإرساء العلوم على قواعد ثابتة ؛ ولم ير الأفاضل منهم بأساً في أن يضعوا أسفاراً في التاريخ ؛ فعل ذلك الواقدي في كتب الفتوح ، والبلاذري في كتابيه البلدان وأنساب الأشراف ، وابن قتيبة في المعارف ، وابن حبيب في المحيّر ، والدينوري في الأخبار الطوال ، إلى أن انتهى الأمر إلى الإمام محمد بن جرير الطبري ، فوضع فيه كتابه العتيد^(١) .

• • •

ولا يُعلم على وجه التحديد التاريخ الذي بدأ فيه أبو جعفر إملاء هذا الكتاب ؛ ويظهر أنه ألفه بعد كتاب التفسير ، روى الخطيب أن أبا جعفر الطبري قال لأصحابه : أنتشطون لتفسير القرآن ؟ قالوا : كم يكون قدره ؟ قال : ثلاثون ألف ورقة ، فقالوا : إن هذا مما يفنى الأعمار قبل تمامه ، فاختره في نحو ثلاثة آلاف ورقة ، ثم قال : أنتشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا ؟ قالوا :

(١) انظر ترجمة علم التاريخ لهرنشو ، والفصل الذي ألحقه به مترجمه عبد الحميد العبادي عن التاريخ عند العرب .

كم قدره ؟ فذكر نحواً مما ذكره في التفسير ، فأجابوه بمثل ذلك ، فقال :
 إن الله ! مات اللهم . فاختصره في نحو مما اختصر التفسير « (١) .
 وجاء في تاريخه : « وقيل أقوال في ذلك قد حكينا منها جملاً في كتابنا
 المسمى « جامع البيان عن تأويل آي القرآن » ، فكرهنا إطالة الكتاب ، بذكر
 ذلك في هذا الموضوع » (٢) .

وذكر ياقوت عن أبي بكر بن بالويه قال : قال لي أبو بكر محمد بن
 إسحاق - يعني ابن خزيمة - : بلغني أنك كتبت التفسير عن محمد بن
 جرير ؟ قلت : نعم ؛ كتبنا التفسير عنه إملاء ، قال : كله ! قلت : نعم ،
 قال في أمي سنة ؟ قلت : سنة ثلاث وثمانين إلى ستة وتسعين (٣) .

وإذن يكون قد أُملي التاريخ بعد سنة تسعين ومائتين .
 أما الانتهاء من هذا التاريخ ، فقد ذكر ياقوت أنه فرغ من تصنيفه وعرضه
 على المستملين له : « في يوم الأربعاء لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة
 ثلاث وثلثمائة ، وقطعه على آخر سنة اثنتين وثلثمائة » (٤) .

• • •

بدأ أبو جعفر تاريخه بذكر الدلالة على حدوث الزمان . وأن أول ما خلق بعد
 ذلك القلم وما بعد ذلك شيئاً فشيئاً ، على ما وردت بذلك الآثار ؛ ثم ذكر آدم .
 وما كان بعده من أخبار الأنبياء والرسل ؛ على ترتيب ذكرهم في التوراة ؛
 متعرضاً للحوادث التي وقعت في زمانهم ؛ مفسراً ما ورد في القرآن الكريم بشأنهم .
 معرجاً على أخبار الملوك الذين عاصروهم ، وملوك الفرس على الخصوص ؛ مع
 ذكر الأمم التي جاءت بعد الأنبياء حتى مبعث الرسول عليه السلام .

أما القسم الإسلامي فقد رتبته على الحوادث من عام الهجرة ، حتى سنة
 ثلاثمائة واثنين ؛ وذكر في كل سنة ما وقع فيها من الأحداث المذكورة ؛
 والأيام المشهورة ؛ وإذا كانت أخبار الحوادث طويلة جزأها على حسب السنين ؛

(١) تاريخ بغداد ٢ : ١٦٣ .

(٢) تاريخ الطبري ١ : ٨٩ (طبعة المعارف) .

(٣) معجم الأدباء ١٨ : ٤٢ .

(٤) معجم الأدباء ١٨ : ٤٤ .

أو يشير إليها بالإجمال ؛ ثم يذكرها في الموضع الملائم .

وترجع قيمة هذا الكتاب إلى أنه قد استطاع أن يجمع بين دفتيه جميع المواد المودعة في كتب الحديث والتفسير واللغة والأدب والسير والمغازي وتاريخ الأحداث والرجال ؛ ونصوص الشعر والخطب والعهود ؛ ونسق بينها تنسيقاً مناسباً ، وعرضها عرضاً رائعاً رائعاً ؛ ناسباً كل رواية إلى صاحبها ، وكل رأى إلى قائله ؛ كما أنه أودع هذا الكتاب فصولاً صالحة ومنتقاة متنوعة من متون الكتب التي أتت عليها عوادي الأيام ، وأورد من أقوال العلماء ما لا نجده إلا في هذا الكتاب .

ومصادر الطبري في هذا التاريخ هي كل ما سبقه من المواد التي عرفها العرب من قبله ، وأخذ من كل متخصص في فنه ، أخذ التفسير عن مجاهد وعكرمة وغيرهما ممن نقل عن ابن عباس ، ونقل السيرة عن أبان بن عثمان وعروة بن الزبير وشرحبيل ابن سعد وموسى بن عقبة وابن إسحاق ، وروى أخبار الردة والفتوح عن سيف بن عمر الاسدي ، وحوادث يومي الجمل وصفين عن أبي مخنف والمدائني ، وتاريخ الأمويين عن عوانة بن الحكم ، وأخبار العباسيين من كتب أحمد بن أبي خيثمة ؛ كما أخذ أخبار العرب قبل الإسلام من عبيد بن شربة الجهمي ومحمد بن كعب القرظي ووهب بن منبه ، وأخبار الفرس من الترجمات العربية من كتب الفرس ، ولا سيما كتب المقفع وابن الكلبي ؛ وغير هذا مما تراه في مباحث مواد تاريخ الطبري المستفيضة التي نشرها الدكتور جواد علي تباعاً في مجلة المجمع العلمي العراقي ببغداد^(١) .

• • •

والطريقة التي سار عليها الطبري في كتابه هي طريقة المحدثين ؛ بأن يذكر الحوادث مروية بمقدار ما عنده من الطرق ، ويذكر السند حتى يتصل بصاحبه ، لا يبدى في ذلك رأياً في معظم الأحيان ؛ وهذه الطريقة هي التي سلكها في معظم

(١) نشر الدكتور جواد علي في مجلة المجمع العلمي بالعراق ، مقالات ضافية بعنوان « مواد تاريخ الطبري » ، بلغ فيها الغاية في عمق البحث ودقة التحليل وحسن الأداء ، مع الإلمام الكامل بالموضوع من كل نواحيه ، وقد أفدت منه في هذا المقام .

الكتاب ، وفيما عدا ذلك ينقل من الكتب ؛ فيصرح باسم الكتاب أحياناً .
أو ينقل عن المؤلفين من غير تعيين الكتاب الذي نقل عنه أحياناً .

وقد كان اعتماد هذا المنهج مثاراً للنقد عند بعض الباحثين ، قالوا : إن
سياقة الأخبار دون تمحيصها أمر لا يليق بالمؤرخ الناقد البصير ؛ وإذا كانت
طريقة رواية الخبر بذكر السند - ورجاله معروفون عند علماء الجرح والتعديل -
تضمن صحة الأخبار وتمحيصها في الأخبار التي وقعت في الإسلام ؛ فإن
هذه الطريقة تقصر عن ضمان صحة ذلك فيما قبل الإسلام ؛ وخاصة وقد وقع في
هذا التاريخ كثير من الأخبار الواهية ، والقصص الزائفة ، كالإسرائيليات
وبعض أخبار الفرس ؛ كما أورد أيضاً كثيراً من الأحاديث الموضوعة
كالأحاديث الواردة في بدء الخلق وسير الأنبياء ؛ مما لا يرتضيه المحدثون .

وربما كان عذر الطبري في ذلك هو عذر رواة الحديث ؛ فيذكرون
الحديث بطرقه ورجاله ؛ تاركين الحكم للقارئ ؛ أمانة للعلم وإبراء للذمة ؛ قال
في مقدمة كتابه : « وليعلم الناظر في كتابنا أن اعتمادى في كل ما أحضرت ذكره
فيه ؛ مما شرطت أنى راسمه فيه ؛ إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا
ذاكرها فيه ، والآثار التي أنا مسندها إلى رواها ؛ دون ما أدرك بحجج العقول
واستنبط بفكر النفوس ؛ إلا اليسير القليل منه ؛ إذ كان العلم بأخبار الماضين ،
وما هو كائن من أبناء الحادئين ؛ غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم
إلا بأخبار المخبرين ونقل الناقلين ، دون الاستخراج بالعقول ، والاستنباط بفكر
النفوس ، فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين ؛ مما
يستنكره قارئه ، أو يستشعنه سامعه ؛ من أجل أنه لم يعرف له وجهاً من الصحة
ولا معنى في الحقيقة ؛ فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا ؛ وإنما أتى في بعض
ناقليه إلينا ؛ وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدت إلينا » (١) .

وفي هذا النص الصريح ؛ ما يشير إلى مذهبه فيما ورد في كتابه من تلك
الأخبار .

(١) تاريخ الطبري ١ : ٧ ، ٨ (طبعة المعارف) .

وأبأما كان ؛ فإن كتاب تاريخ الرسل والملوك ؛ سيظل بما اشتمل عليه من الروايات الأصيلة ، والنصوص النادرة ؛ في أسلوبه الرائع الرصين ، أشمل كتاب للتاريخ عند العرب .

• • •

وقد وقع لهذا الكتاب كثير من التكملات والمختصرات والترجمات . ولعل أول من ذيل عليه هو الطبري نفسه ؛ وإن كان لم يصل إلينا شيء من ذلك ؛ قال السخاوي : « وله على تاريخه المذكور ذيل ، بل ذيل على الذيل أيضاً » ،^(١) كما أن عبد الله بن أحمد بن جعفر الفرغاني عمل صلة له على ما رواه ياقوت . وقال ابن النديم : وقد ألحق به جماعة من حيث قَطَعَ إلى زماننا هذا لا يعول على إلحاقهم ؛ لأنه ليس ممن يختص بالدولة ولا بالعلم^(٢) ؛ وفي المكتبة الأهلية بباريس نسخة مخطوطة من الجزء الأول من كتاب محمد بن عبد الملك الهمداني ؛ المتوفى سنة ٥٢١ ، الذي جعله تكملة له ، يبدأه من الأيام المقتدرية إلى بدء خلافة المستظهر . أما بقية الكتاب ؛ فتنهى بأخبار عضد الدولة أبي شجاع في أول سنة ستين وثلاثمائة .

وقد اختصره كثيرون ؛ ذكر ابن النديم منهم محمد بن سليمان الهاشمي وأبا الحسن الشمشاطي من أهل الموصل واجل يعرف بالسليل بن أحمد^(٣) . ومن اختصره أيضاً مع إيراد زيادات عريب بن سعد القرطبي ؛ ونقل ابن عذارى منه ما يختص بتاريخ إفريقية والأندلس ، وأودعه كتابه « المغرب » ؛ وأما أخبار العراق فطبعت ملحقة بالتاريخ باسم « صلة تاريخ الطبري » ، من سنة ٢٩١ إلى سنة ٣٢٠ .

(١) كتاب الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، للسخاوي ١٤٤ .

(٢) معجم الأدباء ١٨ : ٤٤ .

(٣) الفهرست ٢٣٥ .

أما الترجمة ؛ فكان أول من قام بها أبو علي محمد بن عبد الله العلقمي ، المتوفى في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري إلى الفارسية ، بأمر الأمير أبي صالح منصور بن أحمد بن إسماعيل بن ساهان الساماني ؛ وكان مشغولاً به كثيراً لمطالعة ؛ ترجمه ترجمة راعي فيها الاقتصار على إيراد الأخبار دون الأسانيد ؛ وتصرف فيه بعض التصرف^(١) . ثم نقلت هذه الترجمة من الفارسية إلى التركية في عهد أمير الأمراء أحمد باشا ، ثم ترجم مرة ثانية ما بين ٩٢٨ - ٩٣٨ هـ ، وطبعت الترجمة التركية سنة ١٢٦٠ في الآستانة .

كما ترجم أيضاً من الفارسية إلى الفرنسية وطبعت سنة ١٨٧٤ ، في أربع مجلدات قام بها زوتنبرج Zotenberg ؛ ونقلت أيضاً إلى بعض اللغات اللاتينية ، وطبعت في غريفز والد سنة ١٨٦٣^(٢) .

وذكر سيدو Sédillot في كتابه « تاريخ العرب » أن جرجس النصراني المتوفى سنة ١٢٧٣ م ، والمعروف بالمكين بن العميد لخصه وذيله ؛ وترجم قسم من كتاب^(٣) المكين إلى اللغة اللاتينية ، من قبل إربينوس Erpininus وإلى الفرنسية من قبل قاتيه Vattier^(٤) .

• • •

ومنذ أن صدر هذا الكتاب عن مؤلفه ، تتابع الوراقون في نسخه ، وتنافس الأمراء والملوك في اقتنائه ؛ وعمرت به خزائن الكتب ودور العلم ؛ ذكر المقرئ أنه كان بخزانة كتب العزيز الفاطمي ما ينيف على عشرين نسخة منه ؛ إحداها بخط المؤلف^(٥) ؛ ومع مرور الزمن وعوادي الأيام ؛ ذهبت هذه النسخ شرقاً

(١) كشف الظنون ٢٩٨ .

(٢) جواد على ١٧٧ : ١٧٨ (مجلة المجمع العلمي ببغداد الجزء الأول) ، وتاريخ آداب

اللغة العربية لزيدان ٢ : ١٩٩ ، وكشف الظنون ٢٩٨ .

(٣) من هذا الكتاب نسخة خطية بدار الكتب المصرية .

(٤) تاريخ العرب لسيد يوهان ٤٧٦ .

(٥) خطط المقرئ ١ : ٤١٨ .

وغرباً ، وتعرض معظمها للضياع ؛ وحينما شرع في طبعه جماعة المستشرقين سنة ١٨٧٩ م ؛ لم يتيسر لهم الحصول على نسخة كاملة ؛ وكل الذي عثروا عليه - بعد بذل أقصى الجهد وإخلاص النية - أجزاء متفرقة ألفوا منها نسخة ، بها نقص يسيراً أكملوه من تاريخ ابن الأثير وكتاب المغازي والفتوح لابن حبيش^(١) ؛ وتم طبعه طبعة علمية ؛ على أكمل ما يكون التحقيق ؛ وأدق ما تكون المقابلة ؛ وذلك بين سنتي ١٨٧٩ و ١٨٩٨ م ؛ في ثلاثة أقسام :

القسم الأول : حياة ما قبل الإسلام ، ثم حياة محمد عليه السلام والخلفاء الراشدين من بعده إلى سنة ٤٠ هـ .

القسم الثاني من سنة ٤١ إلى سنة ١٣٠ هـ .

القسم الثالث من سنة ١٣١ إلى سنة ٣٠٢ هـ ؛ وهو نهاية الكتاب ، وألحقوا به الكتاب المسمى بالمنتخب من ذيل المذيل في أسماء الصحابة والتابعين ، وقسمها من مختصر الطبري لعريب بن سعد القرطبي ، أسموه « صلة تاريخ الطبري » ؛ مع مقدمة لاتينية ؛ تشتمل على ترجمة المؤلف ووصف نسخ الكتاب ؛ وشرح الكلمات اللغوية والاصطلاحية فيه ، ثم التصويبات والاستدراكات . ثم مجلداً كبيراً بالعربية يشتمل على الفهارس العامة . ثم أعيد طبعه مرة أخرى في ليدن من سنة ١٧٧٩ إلى سنة ١٩٠١ وقد أشرف على تحقيقه وتصحيحه العلامة دي خويه De Goeje وعاونه من المستشرقين : بارت Barth ، ونولدكه Noeldeke ، ولوت Loth ، وديونج De Jong ، وبريم Primm ، تورد بيك Thorbecke ، وفرانكل Fraenkel وجويدى Guidi ، ومولر Mueller

أما المخطوطات التي رجعوا إليها فتنتمي إلى المكتبات الآتية :

١ - المكتبة الأهلية بباريس ؛ رقم : ١٤٦٦ ، ١٤٦٧ ، ١٤٦٨ ، وقد رمز إليها بالحرف P .

٢ - مكتبة كبريلي بالآستانة رقم ١٠٤٠ إلى ١٠٤٢ ، وقد رمز إليها بالحرف C .

(١) هذا النقص يقع في المطبوعة الأوروبية ما بين ٢٣٨٢ ، ٢٤١٤ ، من الجزء الأول .

- ٣ - مكتبة جامعة الزيتونة بتونس ، وقد رمز إليها بالحرف Tn .
- ٤ - مكتبة الجمعية الآسيوية في كلكتا بالبنغال رقم : ٤٤٣ ، وقد رمز إليها برمز Ca .
- ٥ - مكتبة برلين رقم : ٩٤١٤ ، ٩٤٣٤ ، ٩٤١٦ ، ٩٤١٧ ، ٩٤١٨ ، ٩٤١٩ ، ٩٤٢٠ ، ٩٤٢١ ، ٩٤٢٢ ، وقد رمز إليها بالحرف B .
- ٦ - مكتبة المتحف البريطاني ، رقم : ٢٧١ ، ١٢٠٥ ، ١٦١٨ ، وقد أشير إليها برمز BM .
- ٧ - مكتبة توبنجن ، وقد رمز إليها بالحرف T .
- ٨ - مكتبة بودليان بأكسفورد رقم : ٧٨١ ، ٧٢٢ (أوري) ٦٥٠ (أوري) ٧١١ ، ٧٢٢ ، ٦٧٦ ، وقد أشير إليها بالحرف O .
- ٩ - مكتبة الجزائر ، رقم : ١٥٧٢ ، ١٥٩٤ وقد أشير إليها بالحرف A .
- ١٠ - مكتبة المكتب الهندي ، وقد رمز إليها بحرف M .
- ١١ - مكتبة جامعة استراسبورج ، وقد رمز إليها بالحرف S .
- ١٢ - مكتبة ليدن رقم ٤٩٧ ، وقد رمز إليها بالحرف L .

وأما كتاب المنتخب من ذيل المذيل فقد رجعوا فيه إلى نسخة مكتبة المتحف البريطاني برقم ٦١٨ ، والجزء المعروف بالصلة ، رجعوا فيه إلى نسخته المحفوظة بمكتبة غوطة رقم ١٥٥٤ .

وقد بذل هؤلاء العلماء الأفاضل جهداً عظيماً ؛ في صبر وأناة ، مع دأب ومثابرة ؛ ووشوا حواشياً بمقابلات للنسخ دقيقة ، وتعليقات مستفيضة مفيدة ؛ وستظل هذه النشرة من أمثل المطبوعات العربية وأدقها .

وعن هذه النسخة الأوربية قامت المطبعة الحسينية بطبعه في سنة ١٣٣٩ هـ ، ومطبعة الاستقامة بالقاهرة ؛ بعد حذف التعليقات والفهارس . وإن يكن في هاتين الطبعتين شيء من الخير فهو أنهما قد سدّتا حاجة جمهور العلماء والباحثين من هذا الكتاب ؛ بعد أن عزّت الطبعة الأوربية ، وتعذر على الناس اقتناؤها .

• • •

وحيثما شرعت في إعادة تحقيق هذا الكتاب كان من أكبر همى الحصول ؛
على نسخ أو أجزاء منه ؛ مما لم يرجع إليه مصححو نسخة أوربا ؛ وما عساه أن
يكون قد ظهر بعد تلك الحقبة البعيدة ؛ وقد تيسر لي الحصول على ما يأتي :

١ - خمسة أجزاء متفرقة مصورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ،
عن النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة أحمد الثالث بإستانبول برقم ٢٩٢٩ :

(أ) جزء من أول الكتاب وينتهي بأثناء الكلام على ملك الفرس .

(ب) جزء يبدأ من الكلام عن حوادث سنة ٦٥ إلى سنة ٨٠ .

(ج) جزء يبدأ من أثناء الكلام في أخبار سنة ١١٨ إلى سنة ١٣٢ .

(د) جزء يبدأ من أثناء سنة ١٦٢ وينتهي إلى آخر سنة ١٧٧ .

(هـ) جزء من سنة ٢٠٤ إلى خلافة المستضيء .

٢ - مجلد مصور بمعهد المخطوطات العربية عز. مكتبة پتنه خدابخش بالهند ،
محفوظ برقم ٢٢٢٠ .

٣ - مجلد آخر محفوظ بدار الكتب المصرية برقم ١٦٠٢ تاريخ ، يشمل
على قسم يتبدى من سنة ٢٠٥ هـ إلى قبيل سنة ٢٤٦ .

٤ - مجلد آخر بدار الكتب المصرية محفوظ برقم ١٣٧٣ تاريخ تيمور ؛
يبدأ بحوادث تقع في سنة ١٣٣ . وينتهي بحوادث سنة ١٤٥ .

• • •

وقد اتخذت النسخة المطبوعة في أوربا أصلا في التحقيق ؛ باعتبارها
النسخة الكاملة ؛ التي نشرت نشرأ علمياً ؛ على أساس المخطوطات المتنوعة التي وقعت
للمصححين ، وأثبت في حواشيا فروق النسخ التي رجع إليها المصححون ،
وخاصة الفروق التي لها دلالة خاصة . وزدت عليها فروق النسخ التي حصلت
عليها ، مع ما عن لي من التعليق والشرح والتوضيح ؛ كما أني أثبت على الهامش
أرقام صفحاتها ، ورمزت إليها بالحرف (ظ) .

وقد رمزت لمخطوطات باريس بالحرف (ر) ، ولمخطوطات كبريلي
بالآستانة بالحرف (س) ، ولمخطوطات تونس بالحرف (ن) ، ولمخطوطات كلكتا
بالحرف (ك) ، ولمخطوطات برلين بالحرف (ب) ، ولمخطوطات المتحف
البريطاني بالحرف (ح) ، ولمخطوطات توبنجن بالحرف (ت) ، ولمخطوطات ليدن
بالحرف (ل) ، ولمخطوطات أوكسفورد بالحرف (ف) ، ولمخطوطات الجزائر
بالحرف (ج) ، ولمخطوطات المكتب الهندي بالحرف (م) ، ولمخطوطات استراسبورج
بالحرف (و) .

وأما المخطوطات التي حصلت عليها مما لم يرجع إليه مصححو نسخة أوربا ،
فقد أشرت لمخطوطات أحمد الثالث بالحرف (ا) ، وإلى مخطوطة مكتبة پتته
بالحرف (هـ) ، ولمخطوطات دار الكتب بالحرف (د) ، ولمخطوطات المكتبة التيمورية
بالحرف (ي) .

• • •

وقد وافقت المخطوطة الأولى من نسخة أحمد الثالث من هذا الجزء من أوله
إلى ص ٥١١ السطر العاشر ؛ وهي جزء ناقص من آخره ، يقع في ٢٣٨ ،
كتب على غلافه : « الجزء الأول من كتاب التاريخ تأليف أبي جعفر محمد بن
جرير الطبري ، رواية القائل أبي محمد عبد الله بن أحمد الفرغاني رضي الله عنه » .
وعليه وقفية من المقر الأشرف الجمالي محمود الأستاذار لهذا المجلد وما بعده من
المجلدات ، وعددها خمسة عشر مجلداً ؛ على مدرسته التي أنشأها بخط الموازين .
بالشارع الأعظم ، وعليها تملك بتاريخ جمادى الأولى سنة إحدى وستمائة ؛
ثم في موضع آخر تملك نصه : « أول رمضان سنة ٧٢٦ » ، ومسطرتها ١٩ سطراً ؛
في كل سطر ١٢ كلمة .

وأما باقي النسخ فسيأتي وصفها عند موضعها في الأجزاء المقبلة • •
وأرجو حينما يتم طبع بقية الأجزاء ؛ بعونه تعالى وتوفيقه ، أن ألحق به كتاب
المنتخب من ذيل المذيل ، والمختصر لعريب ؛ وتكملة الهمداني ؛ ثم الفهارس
العامة .

• • •

وأذكر بالفضل والشكر الأساتذة : الدكتور عبد الحلیم النجار والأب قنوتی
والدكتور هنس إرنست Hans Ernst لما لقيت منهم من عون في الانتفاع
بمقدمة الطبعة الأوربية ، وما جاء في تعليقاتها باللاتينية ؛ فلهم مني أطيب
الثناء والتقدير .

والله سبحانه الموفق والمعين ؛ ومنه الرضا والتوفيق .

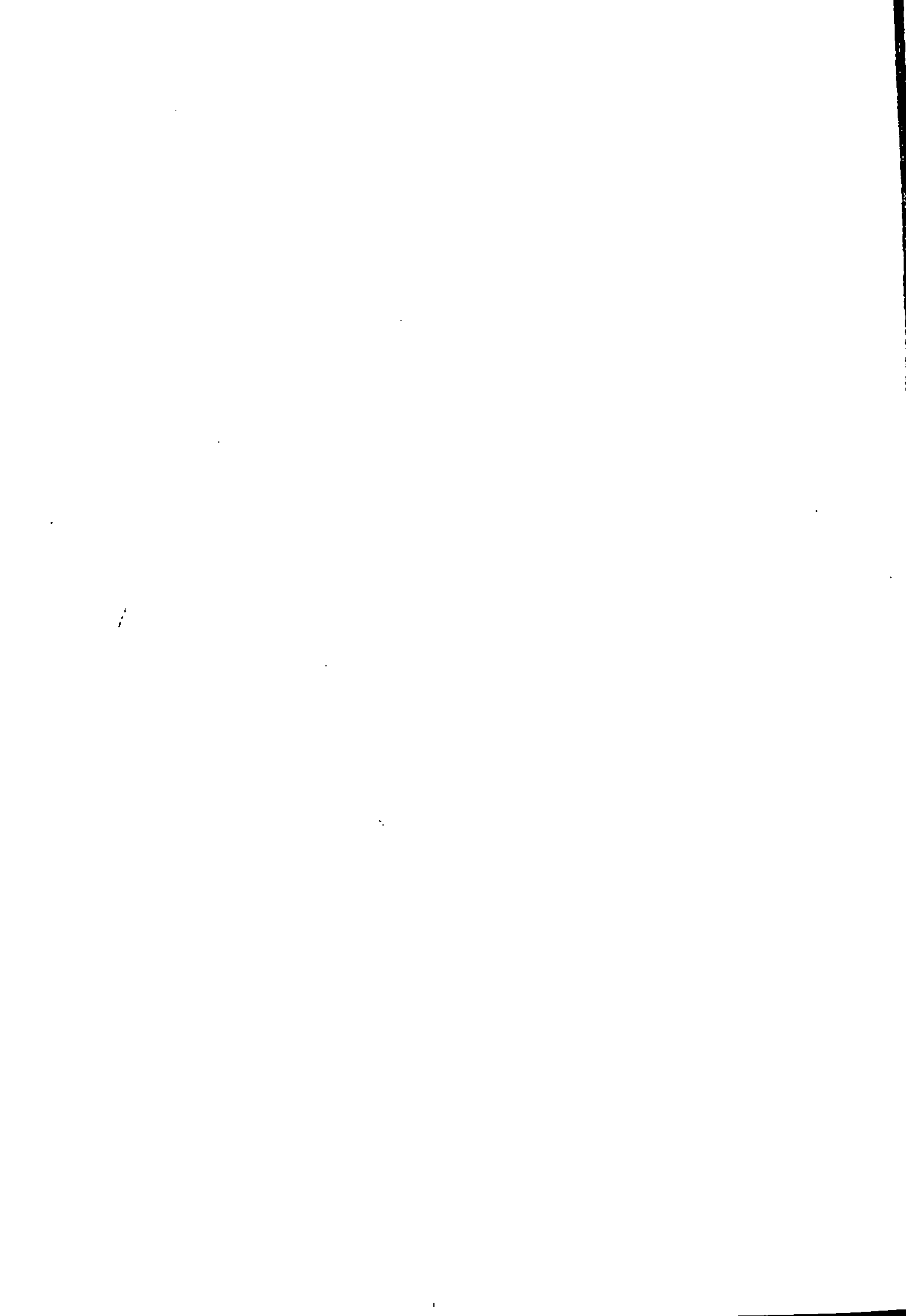
محمد أبو الفضل إبراهيم

١٩ جمادى الأولى سنة ١٣٨٠ هـ

٨ نوفمبر سنة ١٩٦٠ م

• مصادر البحث :

- | | |
|--|--|
| طبقات المفسرين للداودي الورقة ٢٢٠ - ٢٢٤ | إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطى ٢ : ٨٩-٩٠ |
| طبقات المفسرين للسيوطي ٣٠ - ٣١ | تاريخ ابن الأثير ٦ : ١٧١ - ١٧٢ |
| علم التاريخ لهرنشوت ترجمة العبادي ٥١ - ٦٩ | تاريخ ابن كثير ١١ : ١٤٥ |
| عيون التواريخ لابن شاکر (وفيات سنة ٢١٠) | تاريخ بغداد ٢ : ١٦٢ - ١٦٨ |
| الفهرست لابن النديم ٢٣٤ - ٢٣٥ | الأنساب للسماني ٣٦٧ |
| كشف الظنون ٢٩٨ ، ٢٣٧ ، ٥١٤ ، ١٤٤٩ | تاريخ التشريع الإسلامي لمحمد الحضري |
| اللباب لابن الأثير ٢ : ٨١ | تاريخ ابن عساكر ١٨ : ٣٢٩ - ٣٧٠ |
| لسان الميزان ٥ : ١٠٠ - ١٠٣ | (مخطوطة دار الكتب) |
| المحدثون من الشعراء ٦٦ - ٦٧ | تذكرة الحفاظ للذهبي ٢ : ٢٥١ - ٢٥٥ |
| مرآة الجنان لياقني ٢ : ٢٦١ | تهذيب الأسماء واللغات للنورى ١ : ٧٨ - ٧٩ |
| معجم الأدباء ١٨ : ٤٠ - ٩٤ | ابن خلكان ١ : ٤٥٦ |
| المستظم لابن الجوزي ٦ : ١٧٠ - ١٧٢ | الرجال للنجاشي ٢٢٥ |
| مواد تاريخ الطبري للدكتور جواد علي (مجلة
المجمع العلمي العربي ببغداد) | روضات الجنات ٦٧٢ - ٦٧٥ |
| الوفاء بالوفيات ٢ : ٢٦٤ - ٢٨٦ | شفرات الذهب ٢ : ٢٦٠ |
| | طبقات الشافعية لسبكي ٢ : ١٣٥ - ١٤٠ |
| | طبقات الفقهاء لابن الجزري ٢ : ٢٦٠ - ٢٦١ |



تاريخ الأمم والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الأول قبل كل أول ، والآخِر بعد كل آخر ، [والدائم بلا زوال] ^(١) ، والقائم ^(٢) على كل شيء بغير انتقال ، والحالق خلقه من غير أصل ^(٣) ولا مثال ؛ فهو ^(٤) الفرد الواحد من غير عدد ؛ وهو الباقي بعد كل أحد ، إلى غير نهاية ولا أمد . له الكبرياء والعظمة ، والبهاء والعزة ، والسلطان والقدرة ، تعالى عن أن يكون له شريك في سلطانه أو في ^(٥) وحدانيته نديد ، أو في تدبيره معين أو ظهير ، أو أن يكون له ولد ، أو صاحبة أو كُفء أحد ، لا تحيط به الأوهام ، ولا تحويه الأقطار ، ولا تدركه الأبصار ، [وهو يلبرك الأبصار] ^(١) ، وهو اللطيف الخبير .

أحمده على آلائه ، وأشكره على نعمائه ، حمد من أفردته بالحمد ، وشكر من رجا بالشكر منه المزيد ، وأشهد به من القول والعمل لما يفرّني منه ويرضيه ، وأومن به إيمان مخلص له التوحيد ، ومفرد له التمجيد .

٢/١

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده النجيب ، ورسوله الأمين ، اصطفاه لرسالته ، وابتعثه بوحيه ، داعياً خلقه إلى عبادته ؛ فصدع بأمره ، وجاهد في سبيله ، ونصح لأمنه ، وعبده حتى أتاه اليقين من عنده ، غير مقصر في بلاغ ، ولا وان في جهاد ؛ صلى الله عليه أفضل صلاة وأزكاها ، وسلم .

(١) ما بين العلامتين تكلة من أ .

(٢) ط : « القادر » ، وما أثبتته عن أ .

(٣) ط : « شكل » ، وما أثبتته عن أ .

(٤) ط : « وهو » ، وما أثبتته عن أ .

(٥) ط : « وفي » ، وما أثبتته عن أ .

أما بعد، فإن الله جلّ جلاله، وتقدست أسماؤه، خلق خلقه من غير ضرورة كانت به إلى خلقهم، وأنشأهم من غير حاجة كانت به إلى إنشائهم، بل خلق من خصته منهم بأمره ونهيه، وامتنحنه بعبادته، ليعبدوه [فيجود عليهم بنعمه]^(١)، وليحمدوه على نعمه فيزيدهم من فضله ومينته، و«يسبغ عليهم فضله وطوله»^(٢)، كما قال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ . مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا . إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾^(٣). فلم يزد خلقه إياهم - إذ خلقهم - في سلطانه على ما لم يزل قبل خلقه إياهم مثقال ذرة، ولا هو إن أفناهم وأعدمهم ينقصه إفناؤه إياهم ميزان شعرة^(٤)، لأنه لا تغيره الأحوال، ولا يدخله الملل، ولا ينقص سلطانه الأيام والليال^(٥)؛ لأنه خالق الدهور والأزمان، فعمّ جميعهم في العاجل فضله وجوده، وشملهم كرمه وطوله، فجعل لهم أسماعاً وأبصاراً وأفئدة، وخصهم بعقول يصلون بها إلى التمييز^(٦) بين الحق والباطل، ويعرفون بها المنافع والمضار، وجعل لهم الأرض بساطاً ليسلكوا منها سبلاً فجاجاً، والسماء سقناً محفوظاً، [وبناء مسموكاً]^(٧)؛ وأنزل^(٨) لهم منها الغيث بالإدراج، والأرزاق بالمقدار، وأجرى لهم [فيها]^(٩) قمر الليل وشمس النهار يتعاقبان بمصالحهم دائبين، فجعل لهم الليل لباساً^(١٠)، والنهار معاشاً، وخالف - مناً منه عليهم وتطولاً - بين قمر الليل وشمس النهار، فحأية الليل وجعل آية النهار مبصرة، كما قال جلّ جلاله وتقدست أسماؤه: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لَتَبْتَغُوا فَضلاً

٣ / ١

(١) تكملة من ١ .

(٢-٢) ١ : « ويسبغ عليهم من كرامته وطوله » .

(٣) سورة الذاريات ٥٦ - ٥٨ .

(٤) ط : « مثقال ذرة » ، وما أثبتته عن ١ .

(٥) في جميع الأصول : « الليالي » .

(٦) ط : « يعقلون بها التمييز » ، من تصرف مصححه ؛ وما أثبتته من ١ .

(٧) ط : « كما قال » ، من تصرف مصححه ؛ والصواب ما أثبتته من ١ .

(٨) ١ : « سكباً » .

مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلَّنَاهُ تَفْصِيلاً^(١).

وليصلوا بذلك إلى العلم بأوقات فروضهم التي فرضها عليهم في ساعات الليل والنهار والشهور والسنين؛ من الصلوات والزكوات والحج والصيام وغير ذلك من فروضهم،
وحيث حلّ ديونهم وحقوقهم؛ كما قال عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِةِ
قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾^(٢)، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي جَمَعَ الشَّمْسَ ضِيَاءً
وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ
ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ • إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾^(٣).
إنعاماً منه بكل ذلك على خلقه، وتفضلاً منه به عليهم وتطولاً، فشكره على نعمه
التي أنعمها عليهم من خلقه خلقاً عظيماً، فزاد كثيراً منهم من آلائه وأباده، على
ما ابتدأهم به من فضله وطوله، كما وعدمهم جلّ جلاله بقوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ
رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(٤)،
وجمع لهم إلى^(٥) الزيادة التي زادهم في عاجل دنياهم، الفوز^(٦) بالنعيم المقيم،
والخلود في جنات النعيم، في آجل آخرتهم. وأخّر لكثير منهم الزيادة التي وعدمهم
فدّتهم إلى حين مصيرهم [إليه]^(٧). ووقت قدومهم عليه، توفيراً منه كرامته
عليهم يوم تُبلى السرائر^(٨). وكفر نعمته خلق منهم عظيم، فجحدوا آلاءه
وعبدوا سواه، فسلب^(٩) كثيراً منهم ما ابتدأهم^(٩) به من الفضل والإحسان، وأحلّ

(١) سورة الإسراء ١٢

(٢) سورة البقرة ١٨٩

(٣) سورة يونس ٦، ٥

(٤) سورة إبراهيم ٧

(٥) ط: «بين» .

(٦) ط: «والفوز» .

(٧) تكلّة من ا .

(٨) ا: «يوم يرجعون إليه» .

(٩-٩) ط: «فسلبهم ما ابتدأهم» : وما أثبتته عن ا

بهم النعمة^(١) المهلكة في العاجل ، وذخر لهم العقوبة الخزية في الآجل ، وتمتع كثيراً منهم بنعمه أيام حياتهم استدراجاً منه لهم ، وتوقيراً منه عليهم أوزارهم ؛ ليستحقوا من عقوبته في الآجل ما قد أعد لهم .

نعوذ بالله من عمل يقرب من سخطه^(٢) ، ونسأله التوفيق لما يُدنى من رضاه ومحبته .

• • •

قال أبو جعفر : وأنا ذاكر في كتابي هذا من ملوك كل زمان ، من [لدن]^(٣) ابتداء ربنا جلّ جلاله خلق خلقه إلى حال فناءهم^(٤) ، من انتهى إلينا خبره من ابتداء الله تعالى بآلائه ونعمه فشكر نعمته ؛ من رسول له مرسل ، أو ملك مسلط ، أو خليفة مستخلف ، فزاده إلى ما ابتدأه به من نعمه في العاجل نعماً ، وإلى ما تفضل به عليه فضلاً ، ومن أخصر ذلك له منهم ، وجعله له عنده ذخراً . ومن كفر منهم نعمه فسلبه ما ابتدأه به من نعمه ، وعجل له نقمه . ومن كفر منهم نعمه فنتعه بما أنعم به عليه إلى حين وفاته وهلاكه . ؛ مقروناً ذكر كل من أنا ذاكره منهم في كتابي هذا بذكر زمانه^(٥) ، وجمّل ما كان من حوادث الأمور في عصره وأيامه ؛ إذ كان الاستقصاء في ذلك يقصر عنه العمر ، وتطول به الكتب ، مع ذكرى مع ذلك مبلغ مدة أكله^(٦) ، وحين أجله ، بعد تقديمي أمام ذلك ما تقديمه بنا أولى ، والابتداء به قبله أحجى ؛ من البيان عن الزمان : ما هو ؟ وكم قدر جميعه ، وابتداء أوله ، وانتهاء آخره ؟ وهل كان قبل خلق الله تعالى إياه شيء غيره ؟ وهل هو فان ؟ وهل بعد فئانه شيء غير وجه المسبح الخلاق ، تعالى ذكره ؟ وما الذي كان قبل خلق الله إياه ؟ وما هو كائن بعد فئانه وانقضائه ؟ وكيف

(١) : « النعم » .

(٢) : « إلى سخطه » .

(٣) تكلّة من ا .

(٤) كذا في ا ، وفي ط : « قيامهم » ، وفي ن : « انتباههم » .

(٥) ط : « نعمائه » ، والأجود ما أثبتته عن ا .

(٦) يراد بالأكل هنا مدة العمر التي يعيشها المرء في الحياة يأكل فيها ، وانظر التفسير

كان ابتداء خلق الله تعالى إياه؟ وكيف يكون فناؤه؟ والدلالة على أن لا قديم إلا الله الواحد القهار، الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى . ١/ ٦
 بوجيزٍ من الدلالة غيرٍ طويل؛ إذ لم نقصد بكتابنا هذا قصدَ الاحتجاج لذلك، بل لما ذكرنا من تاريخ الملوك الماضين وجمل من أخبارهم، وأزمان الرسل والأنبياء ومقادير أعمارهم، وأيام الخلفاء السالفين وبعض سيرهم، ومبالغ ولاياتهم، والكائن الذى كان من الأحداث في أعصارهم. ثم أنا متبعٌ^(١) آخر ذلك كله - إن شاء الله وأيد منه بعون وقوة - ذكر صحابة نبينا محمداً. صلى الله عليه وسلم وأسمائهم وكُنَاهم ومبالغ أنسابهم ومبالغ أعمارهم، ووقت وفاة كل إنسان منهم، والموضع الذى كانت به وفاته. ثم متبعهم ذكر من كان بعدهم من التابعين لهم بإحسان، على نحو ما شرطنا من ذكرهم. ثم ملحق بهم ذكر من كان بعدهم من الخلفاء لهم كذلك، وزائد في أمورهم للإبانة^(٢) عمن حميت منهم روايته، وتقبَّلت^(٣) أخباره، ومن رفضت منهم روايته ونبذت أخباره، ومن وهن منهم نقله، وضعف خبره. و [ما]^(٤) السبب الذى من أجله نُبذ من نُبذ منهم خبره، والعلة التى من أجلها وهن من وهن منهم نقله.

وإلى الله عز وجل أنا راغب^(٥) فى العون على ما أقصده وأنويه، والتوفيق لما أتمسه وأبغيه؛ فإنه ولى الحول والقوة، وصلى الله على محمد نبيه وآله وسلم تسليماً.

• • •

وليعلم الناظر فى كتابنا^(٦) هذا أن اعتمادى فى كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أنى راسمه فيه؛ إنما هو على ما رويت من الأخبار التى أنا ذاكرها فيه، والآثار التى أنا مسندها إلى روايتها فيه، دون ما أدرك بحجج العقول، واستنبط

(١) ١ : « نتبع » .

(٢) ١ : « الإبانة » .

(٣) ط : « ونقلت » .

(٤) تكلة من ا .

(٥) ١ : « أرغب » .

(٦) ١ : « كتابى » .

بفكر النفوس ، إلا اليسير القليل منه ، إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين ، وما هو كائن من أنباء الحادئين ، غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم ؛ إلا بإخبار المخبرين ، ونقل الناقلين ، دون الاستخراج بالعقول ، والاستنباط بفكر النفوس . فما يكن في كتابي^(١) هذا من خبرٍ ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه ، أو يستشعنه^(٢) سامعه ، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ، ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم أنه لم يثبت في ذلك من قبلنا ، وإنما أتى من قبل بعض ناقله إلينا ؛ وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدت إلينا .

٧/١

٤

(١) : « كتابنا » .

(٢) : « يتشعنه » .

القول في الزمان ما هو

قال أبو جعفر : فالزمانُ هو ساعات الليل والنهار ، وقد يقال ذلك للطويل من المدة والقصير منها ، والعرب تقول : أتيتك زمانَ الحجاج أمير ، وزمنَ الحجاج أمير - تعنى به : إذ الحجاج أمير . وتقول : أتيتك زمان الصَّرام [وزمن الصَّرام]^(١) - تعنى به وقت الصرام . ويقولون أيضاً : أتيتك أزمان الحجاج أمير ، فيجمعون الزمان ، يريدون بذلك أن يجعلوا كلَّ وقت من أوقات إمارته زماناً^(٢) من الأزمنة ، كما قال الراجز :

جَاءَ الشُّتَاءُ وَقَمِيصِي أَخْلَاقُ شَرَاذِمٌ يَضْحَكُ مِنْهُ التَّوَّاقُ^(٣)

فجعل القميص أخلاقاً ، يريد بذلك وصف كل قطعة منه بالإخلاق ؛ كما يقولون : أرض سباسب ، ونحو ذلك .

ومن قولهم للزمان : « زمن » قولُ أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

وَكُنْتُ امْرَأً زَمَنًا بِالْعِرَاقِ عَفِيفَ الْمَنَاخِ طَوِيلَ التَّفْنِ^(٤)

يريد بقوله : « زماناً » ، فالزمان اسم لما ذكرت من ساعات الليل والنهار على ما قد بينت ووصفت .

٨/١

(١) تكملة من ١ ، وابن الأثير ١ : ١١ . وصرام النخلة : أوان اجتناء ثمرها .

(٢) ١ : « زماناً » .

(٣) البيتان في اللسان (توق - شرذم) من غير عزو . وخلق القميص : بلى ، ويقال :

قميص أخلاق ، يصفون به الواحد إذا كان بين الخلوقة . وشراذم : قطع . والتواق : ابنه .

(٤) ديوانه ٢٢ ؛ وهو في أمالي المرتضى ١ : ٣١ ، واللسان (غنى) . والتغنى هنا :

الاستغناء ؛ وفي ط : « الثفن » ، تحريف ، صوابه في ١ .

القول في كم قدر جميع الزمان من ابتدائه إلى انتهائه وأوله إلى آخره

اختلف السلف قبلنا من أهل العلم في ذلك ، فقال بعضهم : قدر جميع ذلك سبعة آلاف سنة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا يحيى بن يعقوب ، عن حماد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : الدنيا جمعة من جمع الآخرة ، سبعة آلاف سنة ، فقد مضى ستة آلاف سنة ومائتا سنة^(١) ، وليأتين عليها مئتون [من^(٢)] سنين ، ليس عليها^(٣) موحد .

• • •

وقال آخرون : قدر جميع ذلك ستة آلاف سنة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو هشام ، قال : حدثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، قال : قال كعب : الدنيا ستة آلاف سنة .
حدثنا محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهباً يقول : قد خلا من الدنيا خمسة آلاف سنة وستمائة سنة ، وإني^(٤) لأعرف كل زمان منها ، ما كان فيه من الملوك والأنبياء . قلت^(٥) لوهب بن منبّه : كم الدنيا ؟ قال : ستة آلاف سنة .

• • •

(١) ط : « ومئو سنة » ، ن : « ومائتين » ، وما أثبتته عن أ .

(٢) تكله من أ .

(٣) ط : « لها » ، وما أثبتته عن أ ، ر .

(٤) ط : « إني » ، بحذف الواو ، وما أثبتته عن أ .

(٥) ط : « قلنا » ، وما أثبتته عن أ .

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك ما دل على صحته الخبرُ الوارد
 ٩/١ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك ما حدثنا به محمد بن بشار وعلی بن سهل،
 قالوا: حدثنا مؤمل، قال: حدثنا سفيان، عن عبد الله بن دينار، عن ابن
 عمر، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أجلُكم في أجل من
 كان قبلكم، من صلاة العصر إلى مغرب الشمس».

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق،
 عن نافع، عن ابن عمر، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «ألا إنما
 أجلُكم في أجل من خلا من الأمم، كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس».

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: حدثني عمار بن محمد، ابن أخت
 سفيان الثوري، أبو اليقظان، عن ليث بن أبي سليم، عن مغيرة بن حكيم،
 عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما بقي لأمتي
 من الدنيا إلا كمقدار الشمس إذا صُدِّيت العصر».

حدثني محمد بن عوف، قال: حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا شريك،
 قال: سمعت سلمة بن كهيل، عن مجاهد، عن ابن عمر، قال: كنا جلوساً
 عند النبي صلى الله عليه وسلم والشمس مرتفعة على قُعَيْمَان^(١) بعد العصر، فقال:
 «ما أعماركم في أعمار من مضى إلا كما بقي من هذا النهار فيما مضى منه».

حدثنا ابن بشار ومحمد بن المثنى— قال ابن بشار: حدثني خلف
 ابن موسى، وقال ابن المثنى: حدثنا خلف بن موسى— قال: حدثني أبي، عن
 قتادة، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب أصحابه يوماً—
 وقد كادت الشمس أن تغيب، ولم يبق منها إلا شِقٌّ يسير— فقال^(٢): «والذي

(١) قُعَيْمَان، بالضم ثم الفتح، على التصغير: أحد جبال مكة. (ياقوت).

(٢) ط: «قال»، وما أثبت من أ.

١٠/١ نفس محمد بيده ما بقي من دنياكم فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه ، وما تروون من الشمس إلا اليسير .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا ابن عيينة ، عن علي بن زيد ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم عند غروب الشمس : « إنما مثل ما بقي من الدنيا فيما مضى منها كبقية يومكم هذا فيما مضى منه » .

حدثنا هناد بن السرى وأبو هشام الرفاعي ، قالا : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت [أنا] ^(١) والساعة كهاتين » - وأشار بالسبابة والوسطى .

حدثنا أبو كريب ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن أبي بكر ، عن أبي حصين ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي بنحوه .

حدثنا هناد ، قال : حدثنا أبو الأحوص وأبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي خالد الوالى ، عن جابر بن سمرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة كهاتين » .

حدثنا أبو كريب ^(٢) ، قال : حدثنا عثمان بن علي ، عن الأعمش ، عن أبي خالد الوالى ، عن جابر بن سمرة ، قال : كأنى أنظر إلى إصبعي رسول الله صلى الله عليه وسلم - وأشار بالمسبحة والتي تليها - وهو يقول : « بعثت أنا والساعة كهذه من هذه » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثني يحيى بن واضح ، قال : حدثنا فطر ^(٣) ، عن أبي خالد الوالى ، عن جابر بن سمرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت من الساعة كهاتين » - وجمع بين إصبعيه السبابة والوسطى .

(١) تكله من ا .

(٢) ط : « أبو كبير » تصحيف ، صوابه في ا .

(٣) ط : « قطن » ، تصحيف ، صوابه في ا ، وهو فطر بن خليفة القرشي ، ذكره

ابن حجر فيمن روى عن أبي خالد الوالى ، وانظر تهذيب التهذيب ١٢ : ٨٢ .

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا ١١/١
شعبة ، قال : سمعت قتادة يحدث ، قال : حدثنا أنس بن مالك ، قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة كهاتين » . قال شعبة :
سمعت قتادة يقول في قصصه : كفضل إحداهما على الأخرى ، قال : لا أدري
أذكره عن أنس أو قاله قتادة .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : حدثنا النضر بن شميل ، قال :
حدثنا شعبة ، عن قتادة ، قال : حدثنا أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة كهاتين » .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا شعبة ، عن
قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله ، وزاد في حديثه :
وأشار بالوسطى والسبابة .

حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدثنا أيوب بن
سويد ، عن الأوزاعي ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبيد الله ، قال : قدم أنس بن
مالك على الوليد بن عبد الملك ، فقال له الوليد : ماذا سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يذكر به الساعة ؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« أنتم [و] ^(١) الساعة كهاتين » ، وأشار بإصبعيه .

حدثني العباس بن الوليد ، قال : أخبرني أبي ، قال : حدثنا الأوزاعي ،
قال : حدثني إسماعيل بن عبيد الله ، قال : قدم أنس بن مالك على الوليد بن عبد الملك ،
فقال له الوليد : ماذا سمعت [من] ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر به
الساعة ؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أنتم والساعة كتبين » .

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، قال : حدثنا عمرو بن أبي سلمة ،

(١) تكله من ا .

عن الأوزاعي، قال: حدثني إسماعيل بن عبيد الله، قال: قدم أنس بن مالك على الوليد بن عبد الملك، فذكر مثله.

حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: حدثني معبد، حدث أنس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، وقال بإصبعيه: هكذا.

١٢/١

حدثنا ابن المنثى قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثنا شعبة، عن أبي التياح، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بعثت أنا والساعة كهاتين»: السبابة والوسطى. قال أبو موسى^(١): وأشار وهب بالسبابة والوسطى.

حدثني عبد الله بن أبي زياد، قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثنا شعبة، عن أبي التياح وقتادة، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، وقرآن بين إصبعيه.

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: حدثنا الفضيل بن سليمان، حدثنا أبو حازم، قال: حدثنا سهل بن سعد، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بإصبعيه هكذا، الوسطى والتي تلى الإبهام: «بعثت أنا والساعة كهاتين».

حدثنا محمد بن يزيد الأدمي، قال: حدثنا أبو ضمرة، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بعثت الساعة كهاتين» - وضم بين إصبعيه الوسطى والتي تلى الإبهام - وقال: «ما مثلي ومثل الساعة إلا كفرسي رهان»، ثم قال: «ما مثلي ومثل الساعة إلا كمثل رجل بعثه قوم طليعة، فلما خشي أن يسبق ألاح بثوبه: أتيتم، أتيتم، أنا ذاك أنا ذاك».

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا خالد، عن محمد بن جعفر، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، وجمع بين إصبعيه.

١٣/١

(١) أبو موسى: كنية ابن المنثى.

حدثنا أبو كُريب ، قال : حدثنا خالد ، قال : حدثنا سليمان بن بلال ، قال : حدثني أبو حازم ، عن سهل بن سعد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة هكذا » ، وقرن بين إصبعيه : الوسطى والتي تلي الإبهام .

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، قال : حدثنا ابن أبي مریم ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثني أبو حازم ، عن سهل بن سعد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة كهاتين » ، وجمع بين إصبعيه .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو نعیم ، عن بشير بن المهاجر ، قال : حدثني عبد الله بن بُرَيْدة ^(١) ، عن أبيه ، قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بعثت أنا والساعة جميعاً ، إن كادت لتسبقني » .

حدثني محمد بن عمر بن هياج ، قال : حدثنا يحيى بن عبد الرحمن ، قال : حدثني عبادة بن الأسود ، عن مجالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن المستورد بن شداد الفهري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بعثت في نفس الساعة ^(٢) ، سبقتها كما سبقت هذه هذه » ، لإصبعيه السبابة والوسطى ، ووصف لنا أبو عبد الله ، وجمعهما .

حدثني أحمد بن محمد بن محمد بن حبيب ، قال : حدثنا أبو نصر ، قال : حدثنا المسعودي ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، عن أبي جبيرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت مع الساعة كهاتين » ، - وأشار بإصبعيه الوسطى والسبابة - « كفضل هذه على هذه » .

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا إسماعيل ، عن شبيل بن عوف ، عن أبي جبيرة ، عن أشياخ من الأنصار ، قالوا :

(١) كذا ضبطه ابن الأثير ١ : ١٢ : « بضم الموحدة وسكون الياء تحتهما نقطتان وآخرها هاء » .

(٢) بعثت في نفس الساعة ، أي بعثت وقد جان قيامها وقرب . النهاية لابن الأثير

سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « جئت أنا والساعة هكذا » - قال الطبري : وأرانا تميم ، وضم السبابة والوسطى وقال لنا : أشار يزيد بإصبعيه السبابة والوسطى وضمهما - وقال : « سبقتها كما سبقت هذه هذه في نفس من الساعة » ، أو « [في]^(١) نفس الساعة » .

فعلوم إذ كان اليوم أوله طلوع الفجر وآخره غروب الشمس ، وكان صحيحاً عن نبينا صلى الله عليه وسلم ، ما روينا عنه قبل ، أنه قال بعد ما صلى العصر : « ما بقي من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه » . وأنه قال لأصحابه : « بُعثت أنا والساعة كهاتين » - وجمع بين السبابة والوسطى - « سبقتها بقدر هذه من هذه » ، يعنى الوسطى من السبابة . وكان قدر ما بين أوسط أوقات صلاة العصر - وذلك إذا صار ظل كل شيء مثليه - على التحرى إنما يكون قدر نصف سبع اليوم ، يزيد قليلاً أو ينقص قليلاً ، وكذلك فضل ما بين الوسطى والسبابة ، إنما يكون نحواً من ذلك وقريباً منه .

وكان صحيحاً مع ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدثني عمي عبد الله بن وهب ، قال : حدثني معاوية بن صالح ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفيير ، عن أبيه جبير بن نفيير ، أنه سمع أبا ثعلبة الخشني صاحب النبي صلى الله عليه وسلم يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لن يعجز الله هذه الأمة من نصف يوم » ، وكان معنى قول النبي ذلك أن « لن يعجز الله هذه الأمة من نصف يوم » الذي مقداره ألف سنة = كان بيناً أن أولي القولين - اللذين ذكرت في مبلغ قدر مدة جميع الزمان ، اللذين أحدهما عن ابن عباس ، والآخر منهما عن كعب - بالصواب ، وأشبههما بما دلت عليه الأخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قول ابن عباس ، الذي روينا عنه أنه قال : الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة .

(١) تكملة من ١ ، ر .

وإذ كان ذلك كذلك، وكان الخبرُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحاً أنه أخبر عن الباقي من ذلك في حياته أنه نصف يوم، وذلك خمسمائة عام؛ إذ كان ذلك نصف يوم من الأيام التي^(١) قدر اليوم الواحد منها ألف عام = كان معلوماً أن الماضي من الدنيا إلى وقت قول النبي صلى الله عليه وسلم ما رويناها عن أبي ثعلبة الخشني عنه، كان قدر ستة آلاف سنة وخمسمائة سنة، أو نحواً من ذلك وقريباً منه . والله أعلم .

• • •

فهذا الذي قلنا - في قدر مدة أزمان الدنيا، من مبدأ أولها إلى منتهى آخرها - من أثبت ما قيل في ذلك عندنا من القول، للشواهد الدالة التي بينهاها على صحة ذلك . وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرٌ يدلُّ على صحة قول من قال : إن الدنيا كلها ستة آلاف سنة، لو كان صحيحاً سندُه لم نعدُ القولَ به إلى غيره؛ وذلك ما حدثني به محمد بن سنان القزاز، قال : حدثنا عبد الصمد ابن عبد الوارث، حدثنا زبَّان، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «الحقُّب ثمانون عاماً، اليوم منها سدس الدنيا» . فبيِّن في هذا الخبر أن الدنيا كلها ستة آلاف سنة، وذلك أن اليوم الذي هو من أيام الآخرة إذا كان مقداره ألف سنة من سنين الدنيا، وكان اليوم الواحد من ذلك سدس الدنيا، كان معلوماً بذلك أن جميعها ستة أيام من أيام الآخرة، وذلك ستة آلاف سنة .

• • •

وقد زعم^(٢) اليهود أن جميع ما ثبت عندهم - على ما في التوراة مما هو^(٣) فيها من لدن خلق الله آدم إلى وقت الهجرة، وذلك في التوراة التي هي في أيديهم اليوم - أربعة آلاف سنة وستمائة سنة واثنان وأربعون سنة، وقد ذكروا تفصيل ذلك بولادة رجل رجل، ونبي نبي، وموته من عهد آدم إلى هجرة نبينا محمد صلى الله عليه

(١) ط « الذي » ، وصوابه من ا .

(٢) ط : « تزعم » ، وما أثبتته من ا .

(٣) كذا في ا ، ب ، ك ، وفي ط : « ما بين » .

وسلم . وسأذكر تفصيلهم ذلك إن شاء الله ، وتفصيل غيرهم ممن فصله من علماء أهل الكتب وغيرهم من أهل العلم بالسيرة وأخبار الناس إذا انتهيت إليه إن شاء الله .
وأما اليونانية من النصارى فإنها تزعم أن الذي ادّعت اليهود من ذلك باطل ، وأن الصحيح من القول في قدر مدة أيام الدنيا - من لدُنْ خلق الله آدم إلى وقت هجرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على سياق ما عندهم في التوراة التي هي في أيديهم - خمسة آلاف سنة وتسعمائة سنة واثنان وتسعون سنة وأشهر . وذكروا تفصيل ما ادّعوه من ذلك بولادة نبيّ نبيّ . وملك ملك . ووفاته من عهد آدم إلى وقت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزعموا أن اليهود إنما نقصوا ما نقصوا من عدد سني ما بين تاريخهم وتاريخ النصارى دفعاً منهم لنبوة عيسى بن مريم عليه السلام إذ كانت صفته ووقت مبعثه مثبتة في التوراة . وقالوا : لم يأت الوقت الذي وُقت لنا في التوراة أن الذي صفته صفة عيسى يكون فيه ، وهم ينتظرون - بزعمهم - خروجه ووقته .

١٧/١

وأحسب^(١) أن الذي ينتظرونه ويدّعون أن صفته في التوراة مثبتة ، هو الدجال الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وآله ، وذكر لهم أن عامة أتباعه اليهود ، فإن كان ذلك هو عبد الله بن صياد ، فهو من نسل اليهود .
وأما المجوس فإنهم يزعمون أن قدر مدة الزمان من لدن ملك جيئومرت إلى وقت هجرة نبينا صلى الله عليه وسلم ثلاثة آلاف سنة ومائة سنة وتسع وثلاثون سنة . وهم لا يذكرون مع ذلك نسباً يعرف فوق جيئومرت ، يزعمون أنه آدم أبو البشر ، صلى الله عليه وسلم وعلى جميع أنبياء الله ورسله .

ثم أهلُ الأخبار بعد في أمره مختلفون ؛ فمن قائل منهم فيه مثل قول المجوس . ومن قائل منهم إنه تسمى بآدم بعد أن ملك الأقاليم السبعة وأنه إنما هو جامر بن يافث^(٢) ابن نوح . كان بنوح عليه السلام برّاً وخدمته ملازماً ، وعليه حدٌّ شقيقاً ، فأثاب الله له ولذريته [نوح]^(٣) - لذلك من بره به وخدمته له - بطول العمر ، والتمكين في

(١) ط : « فأحسب » .

(٢) كذا ضبط في نسخة موسى ، كصاحب ، ووقع في سفر التكوين مضبوطاً بالفتح

(٣) من أ .

البلاد ؛ والنصر على من ناوأه وإياهم ، واتصال الملك له ولذريته ، ودوامه (١) له ولم ؛ فاستجيب له فيه ، فأعطى جيُومَرت ذلك وولده ، فهو أبو الفرس ، ولم يزل الملك فيه وفي ولده إلى أن زال عنهم بدخول المسلمين مدائن كسرى ، وغلبة أهل الإسلام إياهم على ملكهم .

ومن قائل غير ذلك ؛ وسندكر إن شاء الله ما انتهى إلينا من القول فيه إذا انتهينا إلى ذكرنا تاريخ الملوك ومبالغ أعمارهم ، وأنسابهم وأسباب ملكهم .

القول في الدلالة

على حدوث الأوقات والأزمان والليل والنهار

١٠/١

قد قلنا قبلُ إن الزمان إنما هو اسم لساعات الليل والنهار ، وساعات الليل والنهار إنما هي مقادير من جري الشمس والقمر في الفلك ، كما قال الله عز وجل : ﴿وآيةٌ لهم الليلُ نسلخُ منه النهارَ فإذا هم مُظلمُونَ . وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ . لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(١) .

فإذا كان الزمان ما ذكرنا من ساعات الليل والنهار ، وكانت ساعات الليل والنهار إنما هي قطع الشمس والقمر درجات الفلك ، كان بيقين معلوماً أن الزمان محدث والليل والنهار محدثان ، وأن مُحدث ذلك الله الذي تفرّد بإحداث جميع خلقه ، كما قال : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(٢) .

ومن جهيل حدوث ذلك من خلق الله فإنه لن يجهل اختلاف أحوال الليل والنهار ؛ بأن أحدهما يترد على الخلق - وهو الليل - بسواد وظلمة ، وأن الآخر منهما يرد عليهم بنور وضياء ، وتسخ لسواد الليل وظلمته ، وهو النهار .

فإذا كان ذلك كذلك ، وكان من المحال اجتماعهما مع اختلاف أحوالهما في وقت واحد في جزء واحد - كان معلوماً يقيناً أنه لا بد [من]^(٣) أن يكون أحدهما كان قبل الآخر منهما ؛ وأيتهما كان منهما قبل صاحبه فإن الآخر منهما كان

(١) سورة يس ٣٧ - ٤٠

(٢) سورة الأنبياء ٣٣

(٣) من ١ .

لا شك بعده ، وذلك إبانة^(١) ودليل على حدوثهما ، وأنهما خلقان لخالفهما^(٢) . ١٩/١

ومن الدلالة أيضاً على حدوث الأيام والليالي أنه لا يوم إلا وهو بعد يوم كان قبله ، وقبل يوم كائن بعده ، فعلوم أن ما لم يكن ثم كان ، أنه محدث مخلوق ، وأن له خالقاً ومحدثاً .

وأخرى ، ^(٣) أن الأيام والليالي معدودة ، وما عدت من الأشياء فغير خارج من أحد العددين : شفع أو وتر ؛ فإن يكن شفعا فإن أولها اثنان ، وذلك تصحيح القول بأن لها ابتداء وأولاً ، وإن كان وتراً فإن أولها واحد ، وذلك دليل على أن لها ابتداء وأولاً ، وما كان له ابتداء فإنه لا بد له من مبتدئ ، هو خالقه .

(١) ١ : « بتخالفهما » .

(٢) ط : « والأخرى » ، وما أثبتته عن ١ .

القول في هل كان الله عز وجل خلق قبل خلقه الزمان

والليل والنهار شيئاً غير ذلك من الخلق

قد قلنا قبل: إن الزمان إنما هو ساعات الليل والنهار، وإن الساعات إنما هي قَطْعُ (١) الشمس والقمر درجات الفلك .

فإذا (٢) كان ذلك كذلك ، وكان صحيحاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) ما حدثناه هناد بن السري، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي سعد البقالي، عن عكرمة، عن ابن عباس - قال هناد: وقرأت سائر الحديث (٤) [على أبي بكر] - (٥) أن اليهود أتت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والأرض فقال: خَلَقَ اللهُ الأَرْضَ يَوْمَ الأَحَدِ والأثنين ، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيها من منافع . وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والحراب ؛ فهذه أربعة: [ثم] (٥) قال : ﴿ قُلْ أَتَيْنَكُم لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ العَالَمِينَ ۗ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِّنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءِ اللِّسَانِ ۗ ﴾ (٦) ، لمن سأل . قال : وخلق يوم الخميس السماء ، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة ، إلى ثلاث ساعات بقيت منه ، فخلق في أول ساعة من هذه الثلاث الساعات الآجال مَنْ يَحْيَا وَمَنْ يَمُوتُ ، وفي الثانية أُلْقِيَ الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس ، وفي الثالثة آدم وأسكنه الجنة ، وأمر إبليس بالسجود له

(١) : « مطلع » تحريف .

(٢) جواب « إذا » : « فإن كان كذلك » ص ٢٠ .

(٣) الخبر في التفسير ٢٤ : ٦١ (بولاق) .

(٤) ط : « في سائر الحديث » ، وما أثبتته عن أ .

(٥) زيادة من التفسير .

(٦) سورة فصلت ٩ - ١٠ .

وأخرجه منها في آخر ساعة . ثم قالت اليهود : ثم ماذا يا محمد ؟ قال : ثم استوى على العرش ، قالوا : قد أصبت لو أتممت : قالوا : ثم استراح ، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً ، فنزل : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ۗ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ (١) .

حدثني القاسم بن بشر بن معروف والحسين بن علي الصُّدَّ آتَى ، قالوا : حدثنا حجاج ، قال : قال ابن جرير : أخبرني إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، عن أبي هريرة قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال : « خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة ، آخر خلق خلق ، في آخر ساعة من ساعات الجمعة ، فيما بين العصر إلى الليل » .

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع (٢) ، قال : حدثنا الفضيل (٣) بن سليمان ، حدثني محمد بن زيد ، قال : حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : ٢١/١ أخبرني ابن سلام وأبو هريرة ، فذكرنا عن النبي صلى الله عليه وسلم الساعة التي في يوم الجمعة ، وذكرنا أنه قالها ؛ قال (٤) عبد الله بن سلام : أنا أعلم أي ساعة هي ؛ بدأ الله في خلق السموات والأرض يوم الأحد ، وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة ، فهي في آخر ساعة من يوم الجمعة .

حدثني المثنى ، قال : حدثنا الحجاج ، حدثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن عكرمة : أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : ما يوم الأحد ؟ فقال رسول

(١) سورة ق ٣٨ ، ٣٩

(٢) كذا ضبطه صاحب التقریب ؛ بفتح الموحدة وكسر الزاي .

(٣) ط : « الفضل » تحريف ؛ وانظر تهذيب التهذيب ٨ : ٢٩١ ، ٩٦ : ٢٤٨

(٤) ط : « فقال » .

الله صلى الله عليه وسلم : خلق الله فيه الأرض وبسطها^(١) ، قالوا : فالأثنين؟ قال : خلق الله فيه آدم ، قالوا : فالثلاثاء؟ قال : خلق فيه الجبال والماء وكذا وكذا وما شاء الله ، قالوا : فيوم الأربعاء؟ قال : الأقوات ، قالوا : فيوم الخميس؟ قال : خلق السموات ، قالوا : فيوم الجمعة؟ قال : خلق الله في ساعتين الليل والنهار ، ثم قالوا : السبت - وذكروا الراحة - قال : سبحان الله! فأنزل الله : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ .

فقد بين هذان الخبران اللذان رويناهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الشمس والقمر خُلِقا بعد خالق الله أشياء كثيرة من خلقه ؛ وذلك أن حديث ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد بأن الله خلق الشمس والقمر يوم الجمعة = فإن^(٢) كان ذلك كذلك ، فقد كانت الأرض والسماء وما فيهما - سوى الملائكة وآدم - مخلوقة قبل خلق الله الشمس والقمر ، وكان ذلك كله ولا ليل ولا نهار ؛ إذ كان الليل والنهار إنما هو اسم لساعات معلومة من قطع الشمس والقمر درج الفلك .

وإذا كان صحيحاً أن الأرض والسماء وما فيهما ، سوى ما ذكرنا ، قد كانت ولا شمس ولا قمر - كان معلوماً أن ذلك كله كان ولا ليل ولا نهار . وكذلك حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه أخبر عنه أنه قال : « خلق الله النور يوم الأربعاء » ، يعنى بالنور الشمس إن شاء الله .

• • •

فإن قال لنا قائل : قد زعمت أن اليوم إنما هو اسم لميقات ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، ثم زعمت الآن أن الله خلق الشمس والقمر بعد أيام من أول ابتدائه خلق الأشياء التي خلقها ، فأثبتت مواقيت ، وسميتها بالأيام ، ولا شمس ولا قمر ، وهذا إن لم تأت ببرهان على صحته ، فهو كلام ينقض بعضه بعضاً !

(١) ط : « كسبها » ، س « وكسبها » ؛ وما أثبتته من أ .

(٢) « فإن كان » ، جواب : « إذا » فيما سبق ص ٢٤ .

قيل: إن الله سَمِيَ ما ذكرته ^(١) أياماً، فسميته بالاسم الذي سماه به، وكان وجهُ تسميه ذلك أياماً، ولا شمس ولا قمر؛ نظير قوله عز وجل: ﴿وَأَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ ^(٢) ولا بكرة ولا عشية هنالك؛ إذ كان لا ليل في الآخرة ولا شمس ولا قمر؛ كما قال جل وعز: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ ^(٣). فسمى تعالى ذكره يوم القيامة يوماً عقيماً، إذ كان يوماً لا ليل بعده مجيئه؛ وإنما أريد بتسمية ما سَمِيَ أياماً قبل خلق الشمس والقمر قدرُ مدة ألف عام من أعوام الدنيا، التي العام منها اثنا عشر شهراً من شهور أهل الدنيا، التي تُعدّ ساعاتها وأيامها بقطع الشمس والقمر درج الفلك، كما سَمِيَ بكرةً وعشيّاً لما يرزقه أهل الجنة في قدر المدة التي كانوا يعرفون ذلك من الزمان في الدنيا بالشمس ومجراها في الفلك، ولا شمس عندهم ولا ليل.

٢٣/١

. . .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال السلف من أهل العلم.

• ذكر بعض من حضرنا ذكره ممن قال ذلك:

حدثني القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني الحجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد أنه قال: ^(٤) يقضى الله عز وجل أمر كل شيء ألف سنة إلى الملائكة؛ ثم كذلك حتى يمضي ألف سنة، ثم يقضى أمر كل شيء ألفاً، ثم كذلك أبداً، قال: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ^(٥) قال: اليوم أن يقول لما يقضى إلى الملائكة ألف سنة: «كن فيكون»، ولكن سماه يوماً، سماه كما شاء. كل ذلك

(١) ١: «ذكرت»

(٢) سورة مريم ٦٢

(٣) سورة الحج ٥٥

(٤) الخبر في التفسير ٢١: ٥٩ (بلاق).

(٥) سورة السجدة ٥

عن مجاهد . قال : وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (١)
قال : هو هو سواء .

• • •

وبنحو الذي ورد (٢) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخبر ، بأن الله جل جلاله خلق الشمس والقمر بعد خلقه السموات والأرض وأشياء غير ذلك ، ورد الخبر عن جماعة من السلف أنهم قالوه .
• ذكر الخبر عمن قال ذلك منهم :

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، حدثنا ابنُ يمان ، حدثنا سفيان ،
عن ابنِ جُريج ، عن سليمان بن موسى . عن مجاهد . عن ابنِ عباس :
﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ انْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ (٣) .
قال : قال الله عز وجل للسموات : أطلعي شمسي وقمرى . وأظنعي نجوى (٤) .
وقال للأرض : شققي أنهارك ، وأخرجي ثمارك ، فقالتا : أتينا طائعين .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال حدثنا يزيد . قال : حدثنا سعيد . عن قتادة :
﴿ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴾ (٥) ، خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها
وصلاحها (٦) .

• • •

فقد بينت هذه الأخبار التي ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعمن ذكرناها عنه أن الله عز وجل خلق السموات والأرض قبل خلقه
الزمان والأيام والليالي ، وقبل الشمس والقمر . والله أعلم .

(١) سورة الحج ٤٧ .

(٢) ١ : « روى » .

(٣) سورة فصلت ١١ .

(٤) كذا في ١ ، والتفسير ، وفي ط : « وقمرى ونجوى » .

(٥) سورة فصلت ١٢ . (٦) الخبر في التفسير ٢٤ : ٦٤ (بولاق) .

القول في الإبانة عن فناء الزمان والليل والنهار

وأن لا شيء يبقى غير الله تعالى ذكره

والدلالة على صحة ذلك قول الله تعالى ذكره : ﴿ كَلُّمَنْ عَلَيَّهَا فَإِنَّهُ يَبْقَى وَجْهٌ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۗ ۞ ﴾^(١) ، وقوله تعالى : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۗ ۞ ﴾^(٢) .

فإن^(٣) كان كلُّ شيء هالك غير وجهه . . . كما قال جل وعز - وكان الليل والنهار ظلمة أو نوراً خلقتهما لمصالح خلقه . فلا شك أنهما فانيان هالكان ، كما أخبر ، وكما قال : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ ﴾^(٤) يعني بذلك أنها عُميت فذهب ضوءها ، وذلك عند قيام الساعة ، وهذا ما لا يحتاج إلى الإكثار فيه ، إذ كان مما يدين بالإقرار^(٥) به جميع أهل التوحيد من أهل الإسلام وأهل التوراة والإنجيل والمجوس ، وإنما ينكره قومٌ من غير أهل التوحيد ، لم نقصد بهذا الكتاب قصد الإبانة عن خطأ قولهم . فكل الذين^(٦) ذكرنا عنهم أنهم مقرون بفناء جميع العالم حتى لا يبقى غير القديم الواحد . مقرون بأن الله عز وجل محييهم بعد فناهم ، وباعثهم بعد هلاكهم ، خلا قوم من عبدة الأوثان ، فإنهم يُقرون بالفناء ، وينكرون البعث .

(١) سورة الرحمن : ٢٦-٢٧ .

(٢) سورة القصص : ٨٨ .

(٣) ١ : « فإذ » .

(٤) سورة التكوير : ١ .

(٥) ر : « إذ كان مما يقر به » .

(٦) ط : « وكل الذي » ، وما أثبتته عن أ .

القول في الدلالة على أن الله عز وجل القديم الأول قبل شيء
وأنه هو المحدث كل شيء بقدرته تعالى ذكره

فمن الدلالة على ذلك أنه لا شيء في العالم مشاهد إلا جسم أو قائم بجسم، وأنه لا جسم إلا مفترق أو مجتمع، وأنه لا مفترق منه إلا وهو موهوم فيه الائتلاف إلى غيره من أشكاله، ولا مجتمع منه إلا وهو موهوم فيه الاقتراق، وأنه متى عدم أحدهما عدم الآخر معه، وأنه إذا اجتمع الجزآن منه بعد الاقتراق، فمعلوم أن اجتماعهما حادث فيهما بعد أن لم يكن، وأن الاقتراق إذا حدث فيهما بعد الاجتماع، فمعلوم أن الاقتراق فيهما حادث بعد أن لم يكن.

وإذا كان الأمر في العالم من شيء كذلك، وكان حكم ما لم يشاهد وما هو من جنس^(١) ما شاهدنا في معنى جسم أو قائم بجسم، وكان ما لم يخل من الحدث لا شك أنه محدث بتأليف مؤلف له إن كان مجتمعاً، وتفريق مفترق له إن كان مفترقاً. وكان معلوماً بذلك أن جامع ذلك إن كان مجتمعاً، ومفترقه إن كان مفترقاً من لا يشبهه، ومن لا يجوز عليه الاجتماع والاقتراق، وهو الواحد القادر الجامع بين المختلفات، الذي لا يشبه شيء، وهو على كل شيء قدير - فبين بما وصفنا أن باري الأشياء ومحدثها كان قبل كل شيء، وأن الليل والنهار والزمان والساعات ومحدثات، وأن محدثها الذي يدبرها ويصرفها قبلها، إذ كان من المحال أن يكون شيء يحدث شيئاً إلا ومحدثه قبله، وأن في قوله تعالى ذكره:

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ • وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ • وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ • وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾^(٢)، لأبلغ الحجج،

(١) ١، ١ : « ما هو جنس ما شاهدنا » .

(٢) سورة الفاشية ١٧ - ٢٠

وأدلة الدلائل - لمن فكّر بعقل ، واعتبر^(١) بفهم - على قِدَم بارئها ، وحدث كل ما جانسها ، وأن لها خالقاً لا يشبهها .

وذلك أن كل ما ذكر ربنا تبارك وتعالى في هذه الآية من الجبال والأرض والإبل فإن ابن آدم يعالجه ويدبره بتحويل وتصريف وحفر ونحت وهدم ، غير ممتنع عليه شيء من ذلك . ثم إن ابن آدم مع ذلك غير قادر على إيجاد^(٢) شيء من ذلك من غير أصل ؛ فمعلوم أن العاجز عن إيجاد^(٢) ذلك لم يحدث نفسه ، وأن الذي هو غير ممتنع ممن أراد تصريفه وتقليبه لم يوجد من هو مثله ، ولا هو أوجد نفسه ، وأن الذي أنشأه وأوجد عينه هو الذي لا يُعجزه شيء أراده ، ولا يمتنع عليه إحداث شيء شاء إحداثه ، وهو الله الواحد القهار .

• • •

فإن قال قائل : فما تنكر أن تكون الأشياء التي ذكرت من فعل قديمين ؟
 قيل : أنكرنا ذلك لوجودنا اتصال التدبير وتمام الخلق ، فقلنا : لو كان المدبر اثنين ، لم يخلوا من اتفاق أو اختلاف ؛ فإن كانا متفقين فعناهما واحد ، وإنما جعل الواحد اثنين من قال بالاثنين . وإن كانا مختلفين كان محالاً وجود الخلق ٢٧/١ على التمام والتدبير على الاتصال ؛ لأن المختلفين ، فعل كل واحد منهما خلاف فعل صاحبه ؛ بأن أحدهما إذا أحيا أمات الآخر ، وإذا أوجد أحدهما أفنى الآخر ، فكان محالاً وجود شيء من الخلق على ما وُجد عليه من التمام والاتصال .
 وفي قول الله عز وجل ذكره : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾^(٣) ، وقوله عز وجل : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ . عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^(٤)

(١) ١ : « أعين » .

(٢) ١ ، ر : « اتخذ » .

(٣) سورة الأنبياء ٢٢

(٤) سورة المؤمنين ٩١ ، ٩٢

أبلغ حجة، وأوجز بيان، وأدل دليل على بطول^(١) ما قاله المبطلون من أهل الشرك بالله، وذلك أن السموات والأرض لو كان فيهما إله غير الله، لم يخل أمرهما مما وصفت من اتفاق واختلاف. وفي القول باتفاقهما فساد القول بالتثنية، وإقرار بالتوحيد، وإحالة في الكلام بأن قائله سمى الواحد اثنين. وفي القول باختلافهما، القول بفساد السموات والأرض، كما قال ربنا جل وعز: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ لأن أحدهما كان إذا أحدث شيئاً وخلقه كان من شأن الآخر إعدامه وإبطاله؛ وذلك أن كل مختلفين فأفعالهما مختلفة، كالنار التي تسخن، والثلج الذي يبرد ما أسخنته النار.

وأخرى، أن ذلك لو كان كما قاله المشركون بالله لم يخل كل واحد من الاثنين اللذين أثبتوهما قديمين من أن يكونا قوين أو عاجزين؛ فإن كانا عاجزين فالعاجز متهور وغير كائن إلهاً. وإن كانا قوين فإن كل واحد منهما بعجزه عن صاحبه عاجز. والعاجز لا يكون إلهاً. وإن كان كل واحد منهما قوياً على صاحبه؛ فهو بقوة صاحبه عليه عاجز. تعاضى ذكره عما يشرك المشركون!

فتبين إذاً أن القديم باري الأشياء وصانعها هو الواحد الذي كان قبل كل شيء. وهو الكائن بعد كل شيء. والأول قبل كل شيء. والآخر بعد كل شيء؛ وأنه كان ولا وقت ولا زمان. ولا ليل ولا نهار. ولا ظلمة ولا نور^(٢) إلا نور وجهه الكريم. ولا سماء ولا أرض، ولا شمس ولا قمر ولا نجوم؛ وأن كل شيء سواه محدث مدبر مصنوع. انفراد بخلق جميعه بغير شريك ولا معين ولا ظهير، سبحانه من قادر قاهر!

وقد حدثني علي بن سهل الرملي، قال: حدثنا زيد بن أبي الزرقاء، عن جعفر، عن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(١) : « بطلان » : وهما مصدران صحيحان .

(٢) : « ولا ضياء » .

« إنكم تُسألون بعدى عن كلِّ شيء ، حتى يقول القائل : هذا الله خلق كلَّ شيء فمن ذا خلقه ! » .

حدثني عليّ ، حدثنا زيد ، عن جعفر ، قال : قال يزيد بن الأصمّ : حدثني نجبة بن صبيغ ، قال : كنت عند أبي هريرة فسألوه عن هذا فكبر وقال : ما حدثني خليلي بشيء إلا قد رأيته - أو^(١) أنا أنتظره . قال جعفر : فبلغني أنه قال : إذا سألكم الناس عن هذا فقولوا : الله خالق كلِّ شيء ، والله كان قبل كلِّ شيء ، والله كائن بعد كلِّ شيء .

• • •

فإذا كان معلوماً أن خالق الأشياء وبارئها كان ولا شيء غيره ، وأنه أحدث الأشياء فدبرها ، وأنه قد خلق صنوفاً من خلقه قبل خلق الأزمنة والأوقات ، وقبل خلق الشمس والقمر اللذين يُجريهما في أفلاكهما ، وبهما عُرفت الأوقات والساعات ، وأرخت التواريخ ، وفصل بين الليل والنهار ، فلنقل : فمِمَّ ذلك الخلق الذي خلق قبل ذلك ؟ وما كان أوله ؟

(١) ط : « وأنا » ، وما أثبتته عن ١

القول في ابتداء الخلق ما كان أوله

صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حدثني به يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثني معاوية بن صالح - وحدثني عبيد بن آدم بن أبي إياس العسقلاني ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا الليث بن سعد ، عن معاوية بن صالح - عن أيوب بن زياد ، قال : حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، قال : أخبرني أبي ، قال : قال أبي عبادة بن الصامت : يا بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب ، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن » .

حدثني أحمد بن محمد بن حبيب ، قال : حدثنا علي بن الحسن بن شقيق ، قال : أخبرنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا رباح بن زيد ، عن عمر بن محبيب ، عن القاسم بن أبي بزّة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أنه كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أول شيء خلق الله القلم ، وأمره أن يكتب كل شيء » .

حدثني موسى بن سهل الرملي ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا ابن المبارك ، أخبرنا رباح بن زيد^(١) ، عن عمر بن حبيب ، عن القاسم بن أبي بزّة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه .

٢٠/١

حدثني محمد بن معاوية الأنماطي ، حدثنا عباد بن العوام ، حدثنا عبد الواحد بن سليم ، قال : سمعت عطاء ، قال : سألت الوليد بن عبادة بن الصامت : كيف كانت وصية أبيك حين حضره الموت ؟ قال : دعاني فقال :

(١) ط : « رباح بن يزيد » ؛ وما أثبتته عن أ ؛ ذكره ابن حجر فيمن روى عن عمر ابن حبيب . وانظر تهذيب التهذيب ٣ : ٢٢٣ ، و ٧ : ٤٣١ .

أى بنى ، اتق الله واعلم أنك لن تتقى^(۱) الله ، ولن تبلغ العلم حتى تؤمن بالله وحده ،
والقدر خيريه وشره ، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أول ما خلق
الله عز وجل خلق القلم ، فقال له : اكتب ، قال : يا رب وما أكتب ؟ قال :
اكتب القدر ، قال : فجري القلم في تلك الساعة بما كان وبما هو كائن إلى الأبد .

• • •

وقد اختلف [أهل]^(۲) السلف قبلنا في ذلك ، فنذكر أقوالهم ، ثم نتبع
البيان عن ذلك إن شاء الله تعالى .
فقال بعضهم في ذلك بنحو الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه .
• ذكر من قال ذلك :

حدثني واصل بن عبد الأعلى الأسدي ، قال : حدثنا محمد بن
فضيل ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ؛ عن ابن عباس ، قال : أول ما خلق الله
من شيء القلم فقال له : اكتب ، فقال^(۳) : وما أكتب يا رب ؟ قال : اكتب
القدر ، قال : فجري القلم بما هو كائن من ذلك إلى قيام الساعة ، ثم رفع
بخار الماء ففتق منه السموات .

حدثنا واصل بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا وكيع ، عن الأعمش ،
عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس نحوه .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : حدثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ،
عن سليمان ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، قال : أول ما خلق الله من شيء
القلم ، فجري بما هو كائن .

حدثنا تميم بن المنتصر ، أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن الأعمش ،
عن أبي ظبيان - أو مجاهد - ، عن ابن عباس بنحوه .

(۱) ط : « لن تلق الله » ، وصوابه من ا ، ر ، ن ، س .

(۲) تكله من ا .

(۳) ا : « قال » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا ابن ثور ، قال : حدثنا معمر ،
حدثنا الأعمش أن ابن عباس قال : إن أول شيء خلق القلم .

حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن عطاء^(١) ، عن أبي الضحاح مسلم بن
صبيح ، عن ابن عباس ، قال : إن أول شيء خلق ربي عز وجل القلم ،
فقال له : اكتب ، فكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة .

• • •

وقال آخرون : بل أول شيء خلق الله عز وجل من خلقه النور والظلمة .
• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ؛ قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : قال ابن اسحاق :
كان أول ما خلق الله عز وجل النور والظلمة ، ثم ميز بينهما ، فجعل الظلمة
ليلاً أسود مظلماً ، وجعل النور نهراً مضيئاً مبصراً .

• • •

قال أبو جعفر : وأولى القواين في ذلك عندي بالصواب قول ابن عباس ،
للخبر الذي ذكرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [قبل]^(٢) ، أنه قال :
أول شيء خلق الله القلم .

فإن قال لنا قائل : فإنك قلت : أولى القواين – اللذين أحدهما أن أول
شيء خلق الله من خلقه القلم ، والآخر أنه النور والظلمة – قول من قال : إن أول
شيء خلق الله من خلقه القلم ، فما وجه الرواية عن ابن عباس التي حد ثكموها ابن بشار
قال : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن أبي هاشم^(٣) ، عن مجاهد ، قال : قلت
لابن عباس : إن ناساً يكذبون بالقدَر ، فقال : «إنهم يكذبون بكتاب الله ،
لأخذنَ بشعر أحدهم فلا تفضنَ به ؛ إن الله تعالى ذكره كان على عرشه قبل أن
يخلق شيئاً ، فكان أول ما خلق الله القلم ، فجري بما هو كائن إلى يوم القيامة ،

٣٢/١

(١) هو جرير بن عبد الحميد الضبي ، أخذ عن عطاء ، وعطاء هو ابن السائب الكوفي ، وانظر
تهذيب التهذيب ٢ : ٧٥ . (٢) تكله من ا .

(٣) في ر ، ك : «أبي هاشم» ، وهو خطأ . وأبو هاشم هو إسماعيل بن كثير الحجازي
المكي ؛ روى عن مجاهد وروى عنه سفيان الثوري . تهذيب التهذيب ١ : ٣٢٦ .

ولئنا يجرى الناس على أمر قد فرغ منه ؟ .

وعن ابن إسحاق ، التي حدثتكموها ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : يقول الله عز وجل : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ۗ ﴾^(١) ، فكان كما وصف نفسه عز وجل ، إذ ليس إلا الماء عليه العرش ، وعلى العرش ذو الجلال والإكرام ، فكان أول ما خلق الله النور والظلمة ؟

قيل : أما قول ابن عباس : إن الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء قبل أن يخلق شيئاً ، فكان أول ما خلق الله القلم — إن كان صحيحاً عنه أنه قاله — فهو خبرٌ منه أن الله خلق القلم بعد خلقه عرشه ، وقد روى عن أبي هاشم هذا الخبر شعبة ، ولم يقل فيه ما قال سفيان ؛ من أن الله عز وجل كان على عرشه ، فكان أول ما خلق القلم ، بل روى ذلك كالذي رواه سائر من ذكرنا من الرواة عن ابن عباس أنه قال : أول ما خلق الله عز وجل القلم .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن المنني ، قال : حدثني عبد الصمد ، قال : حدثنا شعبة ،

قال : حدثنا أبو هاشم ، سمع مجاهداً قال : سمعت عبد الله — لا يدري ابن عمر ٣٣/١
أوابن عباس — قال : إن أول ما خلق الله القلم فقال له : اجر ، فجرى القلم بما هو كائن ؛ ولئنا يعمل الناس اليوم فيما قد فرغ منه .

وكذلك قول ابن إسحاق الذي ذكرناه عنه معناه أن الله خلق النور والظلمة بعد خلقه عرشه ، والماء الذي عليه عرشه . وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي روينا عنه أولى قول في ذلك بالصواب ، لأنه كان أعلم قائل في ذلك قولاً بحقيقته وصحته ، وقد روينا عنه عليه السلام أنه قال : « أول شيء خلقه الله عز وجل القلم » من غير استثناء منه شيئاً من الأشياء أنه تقدم خلق الله إياه خلق القلم ، بل عم بقوله صلى الله عليه وسلم : « إن أول شيء خلقه الله القلم » ، كل

(١) سورة هود ٧ .

شيء (١) ، وأن (٢) القلم مخلوق قبله من غير استثنائه من ذلك عرشاً ولا ماء ولا شيئاً غير ذلك .

فالرواية التي رويناها عن أبي ظَبْيَان وأبي الضَّحَا ، عن ابن عباس ، أولى بالصحة عن ابن عباس من خبر مجاهد عنه الذي رواه عنه أبو هاشم ؛ إذ كان أبو هاشم قد اختلف في رواية ذلك عنه شعبة وسفيان ، على ما قد ذكرت من اختلافهما فيها .

وأما ابن إسحاق فإنه لم يسند قوله الذي قاله في ذلك إلى أحد ، وذلك من الأمور التي لا يدركُ علمها إلا بخبر من الله عز وجل ، أو خبر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكرت الرواية فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٥

(١) ط : قبل كل شيء ، وما أثبتته عن ا .

(٢) ط : أن ، بنير وار .

القول في الذي ثنى خلق القلم

ثم إن الله جل جلاله خلق بعد القلم - وبعد أن أمره فكتب ما هو كائن إلى قيام الساعة - سحاباً رقيقاً، وهو الغمام الذي ذكره جل وعز ذكره في محكم كتابه فقال : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾ (١) ، وذلك قبل أن يخلق عرشه ، وبذلك ورد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ومحمد بن هارون القطان ، قالوا : حدثنا يزيد بن هارون ، عن حماد بن سلمة ، عن يعلى بن عطاء ، عن وكيع بن حُدُس ، عن عمه أبي رزین ، قال : قلت : يا رسول الله ، أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : « كان في السماء (٢) ، ما تحته هواء ، وما فوقه (٣) هواء ، ثم خلق عرشه على الماء (٤) »

حدثني المشي بن إبراهيم ، قال : حدثنا الحجاج ، قال : حدثنا حماد ، عن يعلى بن عطاء ، عن وكيع بن حُدُس ، عن عمه أبي رزین العُقَيْلِيّ ، قال :

(١) سورة البقرة : ٢١٠ .

(٢) ك ، وابن الأثير ١ : ١٢ : « في غمام » . والمعناه ، بالفتح والمد : السحاب . قال أبو عبيد : لا يدري كيف كان ذلك الغمام . وفي رواية : « كان في عما » بالقصر ، ومعناه : ليس معه شيء ؛ وقيل : هو كل أمر لا تدركه عقول بني آدم ، ولا يبلغ كنهه الوصف واللفظ ؛ ولا بد من تقدير مضاف محذوف في قوله : « أين كان ربنا » كما حذف في قوله تعالى : (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله) ، فيكون التقدير : أين كان عرش ربنا ؟ ويدل عليه قوله تعالى : (وكان عرشه على الماء) . وانظر النهاية لابن الأثير ٣ : ١٣٠ .

(٣) ر : « ولا فوقه » . وفي ك : « تحته هواء ، وما فوقه هواء » .

(٤) عقب عليه ابن الأثير بقوله : « فيه نظر ؛ لأنه قد تقدم أن أول ما خلق الله تعالى القلم وقال له : اكتب ، فجري في تلك الساعة ، ثم ذكر في أول هذا الفصل أن الله خلق بعد القلم وبعد أن جرى بما هو كائن سحاباً رقيقاً . ومن المعلوم أن الكتابة لا بد فيها من آلة يكتب بها - وهو القلم - ومن شيء يكتب فيه - وهو الذي يعبر عنه هنا باللوح المحفوظ - وكان ينبغي أن يذكر اللوح المحفوظ ثانياً للقلم ، والله أعلم . ويحتمل أن يكون ترك ذكره لأنه معلوم من مفهوم اللفظ بطريق الملازمة » .

قلت: يا رسول الله، أين كان ربنا عز وجل قبل أن يخلق^(١) السموات والأرض؟ قال: «في^(٢) أعماق، فوقه هواء، وتحتة هواء^(٣)، ثم خلق عرشه على الماء».

حدثنا خلاد بن أسلم، حدثنا النضر بن شميل، قال: حدثنا المسعودي، أخبرنا جامع بن شداد، عن صفوان بن محرز، عن ابن حصين— وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم— قال: أتى قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلوا عليه، فجعل يبشرهم ويقولون: أعطينا، حتى ساء ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم خرجوا من عنده. وجاء قوم آخرون، فدخلوا عليه فقالوا: جئنا نسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونتفق في الدين، ونسأله عن بدء هذا الأمر، قال: فاقبلوا البشرى إذ لم يقبلها أولئك الذين خرجوا، قالوا: قبلنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كان الله لا شيء غيره^(٤)، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر قبل كل شيء، ثم خلق سبع سموات». ثم أتاني آت فقال: تلك ناقتك قد ذهبت، فخرجت ينقطع دونها السراب، ولو ددت أنى تركتها^(٥).

٣٥/١

حدثني أبو كريب، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن جامع ابن شداد، عن صفوان بن محرز، عن عمران بن الحصين، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقبلوا البشرى يا بني تميم»، فقالوا: قد بشرتنا فأعطنا، فقال: «اقبلوا البشرى يا أهل اليمن»، فقالوا: قد قبلنا، فأخبرنا عن هذا الأمر كيف كان؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كان الله عز وجل على العرش، وكان قبل كل شيء، وكتب في اللوح كل شيء يكون». قال: فأتاني آت فقال: يا عمران، هذه ناقتك قد حلت عقالها، فقمت، فإذا السراب ينقطع بيني وبينها، فلا أدري ما كان بعد ذلك

• • •

(١) ١: «خلق».

(٢-٢) ك: «في غمام فوقه هواء وماء».

(٣) التفسير: «ولا شيء غيره».

(٤) الخبر في التفسير ١٢: ٤ (بولاق)

ثم اختلف في الذي خلق تعالى ذكره بعد العماء، فقال بعضهم : خلق بعد ذلك عرشه .

• ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن سنان ، حدثنا أبو سلمة ، قال : حدثنا حيان^(١) ابن عبيد الله ، عن الضحاك بن مزاحم ، قال ، قال ابن عباس : إن الله عز وجل خلق العرش أول ما خلق ، فاستوى عليه .

• • •

وقال آخرون : خلق الله عز وجل الماء قبل العرش ، ثم خلق عرشه فوضعه على الماء .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط بن نصر ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود - وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - قالوا : إن الله عز وجل كان عرشه على الماء ، ولم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء .

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن العرش كان قبل أن يخلق السموات والأرض على الماء ، فلما أراد أن يخلق السموات والأرض قبض من صفاة الماء قبضة ، ثم فتح القبضة فارتفعت دخاناً ، ثم قضاهن سبع سموات في يومين ، ودحا الأرض في يومين ، وفرغ من الخلق اليوم السابع . وقد قيل : إن الذي خلق ربنا عز وجل بعد القلم الكرسي ، ثم خلق بعد الكرسي العرش ، ثم بعد ذلك خلق الهواء والظلمات ، ثم خلق الماء ، فوضع عرشه عليه .

• • •

(١) في ط : « حدثنا حيان عن عبيد الله » ، وما أثبتته عن ١ ، وانظر لسان الميزان ٢ : ٣٧٠ .

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك عندى بالصواب قول من قال : إن الله تبارك وتعالى خلق الماء قبل العرش ؛ لصحة الخبر الذى ذكرتُ قبلُ عن أبي رزين العُقَيْبِيِّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال حين سئل : أين كان ربنا عز وجل قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : « كان في عماء ، ما تحته هواء ، وما فوقه هواء ، ثم خلق عرشه على الماء » ، فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الله خلق عرشه على الماء . ومحال إذ كان خلقه على الماء أن يكون خلقه عليه ؛ والذى خلقه عليه غير موجود ، إما قبله أو معه ؛ فإذا كان ذلك كذلك ، فالعرش لا يخلو من أحد أمرين ؛ إما أن يكون خُلِقَ بعد خلق الله الماء ، وإما أن يكون خُلِقَ هو والماء معا . فأما (١) أن يكون خلقه قبل خلق الماء ؛ فذلك غير جائز صحته على ما روى عن أبي رزين ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

٣٧/١

. . .

وقد قيل : إن الماء كان على متن الريح حين خلق عرشه عليه ، فإن (٢) كان ذلك كذلك ، فقد كان الماء والريح خُلِقَا قبل العرش .

• ذكر من قال : كان الماء على متن للريح :

حدثني ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، قال : سئل ابن عباس عن قوله عز وجل : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ (٣) : على أى شيء كان الماء ؟ قال : على متن الريح .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، قال : سئل ابن عباس عن قوله عز وجل : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ : على أى شيء كان الماء ؟ قال : على متن الريح (٤) .

(١) ط : « وأما » ، وما أثبتته عن ا .

(٢) ا : « فإذا » .

(٣) سورة هود ٧ .

(٤) الخبر في التفسير ١٢ : ٤ (بولاق) .

حدثنا القاسم بن الحسن ، حدثنا الحسين بن داود ، حدثني حجاج ،
عن ابن جريج ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس مثله .

• • •

قال : والسموات والأرض وكل ما فيهن من شيء يحيط بها البحار ، ويحيط
بذلك كله الهيكل ، ويحيط بالهيكل - فيما قيل - الكرسي .
• ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ،
قال : حدثني عبد الصمد أنه سمع وهباً يقول - وذكر من عظمته - فقال : إن السموات
والأرض والبحار لفي الهيكل ، وإن الهيكل لفي الكرسي ، وإن قدميه عز وجل
لعلي الكرسي ، وهو يحمل الكرسي ، و [قد] ^(١) عاد الكرسي كالنعل في قدميه .
وسئل وهب : ما الهيكل ؟ قال : شيء من أطراف السموات محدد بالأرضين
والبحار كأطناب الفسطاط .

وسئل وهب عن الأرضين : كيف هي ؟ قال : هي سبع أرضين ممتدة
جزائر ، بين كل أرضين بحر ، والبحر يحيط بذلك كله ، والهيكل من وراء البحر .

• • •

وقد قيل : إنه كان بين خلقه القلم وخلقته سائر خلقه ألف عام .
• ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثنا
مبشر الحلبي ، عن أرطاة بن المنذر ، قال : سمعتُ ضمرة يقول : إن الله خلق القلم ،
فكتب به ما هو خالق وما هو كائن من خلقه ، ثم إن ذلك الكتاب سبح الله
ومجده ألف عام قبل أن يخلق شيئاً من الخلق ، فلما أراد جل جلاله خلق
السموات والأرض خلق - فيما ذكر - أياماً ستة ، فسمى كل يوم منهن باسم
غير الذي سمي به الآخر .

• • •

(١) تكلة من ا .

وقيل : إن اسم أحد تلك الأيام الستة أبجد ، واسم الآخر منهن هوز ، واسم الثالث منهن حطى ، واسم الرابع [منهن] ^(١) كلمن ، واسم الخامس [منهن] ^(٢) سعفص ، واسم السادس منهن قرشت .

• ذكر من قال ذلك :

حدثني الحضرمي ، قال : حدثنا مصرف بن عمرو واليامي ^(٣) ، حدثنا حفص ابن غياث ، عن العلاء بن المسيب ، عن رجل من كندة ، قال : سمعت الضحاك ابن مزاحم يقول : خلق الله السموات والأرض في ستة أيام ، ليس منها ^(٤) يوم إلا له اسم : أبجد ، هوز ، حطى ، كلمن ، سعفص ، قرشت .

وقد حدثت به عن حفص غير مصرف وقال ^(٤) : عنه ، عن العلاء بن المسيب ، قال : حدثني شيخ من كندة قال : لقيت الضحاك بن مزاحم : فحدثني قال : سمعت زيد بن أرقم قال : إن الله تعالى خلق السموات والأرض في ستة أيام : لكل يوم منها اسم : أبجد ، هوز ، حطى ، كلمن ، سعفص ، قرشت .

• • •

وقال آخرون : بل خلق الله واحداً فسماه الأحد ، وخلق ثانياً فسماه الاثنين ، وخلق ثالثاً فسماه الثلاثاء ، ورابعاً فسماه الأربعاء ، وخامساً فسماه الخميس .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن غالب بن غلاب ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : إن الله خلق يوماً واحداً فسماه الأحد ، ثم خلق ثانياً فسماه الاثنين ، ثم خلق ثالثاً فسماه الثلاثاء ، ثم خلق رابعاً فسماه الأربعاء ، ثم خلق خامساً فسماه الخميس .

• • •

(١) تكملة من ١

(٢) ط : « الإيام » ، صوابه من ١ .

(٣) ١ : « فيها » .

(٤) ١ : « فقال » .

وهذان القولان غير مختلفين ، إذ كان جائزاً (١) أن تكون أسماء ذلك بلسان العرب على ما قاله عطاء ، وبلسان آخرين ، على ما قاله الضحاك بن مزاحم .

• • •

وقد قيل إن الأيام سبعة لا ستة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ،

حدثني عبد الصمد بن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبته : يقول : الأيام سبعة . ١٠/١

• • •

وكلا القولين - اللذَيْن روينا أحدهما عن الضحاك وعطاء ، من أن الله خلق

الأيام الستة ، والآخر منهما عن وهب بن منبته من أن الأيام سبعة - صحيح مؤتلف

غير مختلف ، وذلك أن معنى قول عطاء والضحاك في ذلك كان أن الأيام التي

خلق الله فيهنّ الخلق من حين ابتدائه (٢) في خلق السماء والأرض وما فيهنّ إلى أن

فرغ من جميعه ستة أيام ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ۚ ﴾ (٣) ، وأن معنى قول وهب بن منبته في ذلك كان أن

عدد الأيام التي هي أيام الجمعة سبعة أيام لا ستة .

• • •

واختلف السلف في اليوم الذي ابتداء الله عزّ وجل فيه في خلق السموات

والأرض ، فقال بعضهم : ابتداء في ذلك يوم الأحد .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا إسحاق بن شاهين ، حدثنا خالد بن عبد الله ، عن الشيباني ،

عن عون بن عبد الله بن عتبة ، عن أخيه عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، قال : قال

عبد الله بن سلام : إن الله تبارك وتعالى ابتداء الخلق ، فخلق الأرض يوم الأحد

ويوم الاثنين .

(١) ط : • إذ كان ذلك جائزاً • .

(٢) ا : • ابتداء • .

(٣) سورة هود ٧ .

حدثني المثنى بن إبراهيم ، حدثني عبد الله بن صالح ، حدثني أبو معشر ، عن سعيد بن أبي سعيد، عن عبد الله بن سلام أنه قال: إن الله عز وجل بدأ الخلق يوم الأحد ، فخلق الأرضين في الأحد والاثنين .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن كعب ، قال : بدأ الله خلق^(١) السموات والأرض يوم الأحد والاثنين .

٤١/١

حدثني محمد بن أبي منصور الأملى ، حدثنا علي بن الهيثم ، عن المسيب بن شريك ، عن أبي روق ، عن الضحاك في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ قال : من أيام الآخرة ، كل يوم مقداره ألف سنة ، ابتداء الخلق يوم الأحد .

حدثني المثنى ، حدثنا الحجاج ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ، قال : بدأ الخلق يوم الأحد .

. . .

وقال آخرون : اليوم الذي ابتداء الله فيه في ذلك يوم السبت .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : حدثني محمد ابن أبي إسحاق ، قال : يقول أهل التوراة : ابتداء الله الخلق يوم الأحد : وقال أهل الإنجيل : ابتداء الله الخلق يوم الإثنين . ونقول نحن المسلمون^(٢) فيما انتهى إلينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم : ابتداء الله الخلق يوم السبت . وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال كل فريق من هذين الفريقين اللذين قال أحدهما : ابتداء الله الخلق في يوم الأحد ، وقال الآخر منهما : ابتداء في يوم السبت ، وقد مضى ذكرنا الخبرين ، غير أنا نعيد من ذلك في هذا

(١) ط : « بخلق » ، وما أثبت عن ا .

(٢) كذا في الأصول ، والوجه النصب على الاختصاص .

الموضع بعض ما فيه من الدلالة على صحة قول كل فريق منهما .

• • •

فأما الخبر عنه بتحقيق ما قال القائلون : كان ابتداء الخلق يوم ٤٢/١ الأحد ، فما حدثنا به هناد بن السرى ، قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي سعد البقال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس - قال هناد : وقرأت سائر الحديث - أن اليهود - أنت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والأرض فقال : « خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين » .

وأما الخبر عنه بتحقيق ما قاله القائلون من أن ابتداء الخلق كان يوم السبت ، فما حدثني القاسم بن بشر بن معروف والحسين بن علي الصّدّائي ، قالوا : حدثنا حجاج ، قال ابن جريج : أخبرني إسماعيل بن أمية ، عن أبوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : أخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه بيدي ، فقال : « خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق الجبال يوم الأحد » .

• • •

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال : اليوم الذي ابتداء الله تعالى ذكره فيه خلق السموات والأرض يوم الأحد ؛ لإجماع السلف من أهل العلم على ذلك .

فأما ما قال ابن إسحاق في ذلك ، فإنه إنما استدل - بزعمه - على أن ذلك كذلك ؛ لأن الله عزّ ذكره فرغ من خلق جميع خلقه يوم الجمعة ، وذلك اليوم السابع ، وفيه استوى على العرش ، وجعل ذلك اليوم عيداً للمسلمين ؛ ودليله على ما زعم أنه استدل به على صحة قوله فيما حكينا عنه من ذلك هو الدليل على خطئه فيه ، وذلك أن الله تعالى أخبر عباده في غير موضع من [محكم]^(١) تنزيله ، أنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، فقال : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ

(١) تكلة من ا .

٤٣/١ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ
 مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ . وقال تعالى ذكره :
 ﴿ قُلْ أَئِنِّي لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ
 لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًّا مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ
 فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ . ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى
 السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا
 طَائِعِينَ . فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا
 وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ .

ولا خلاف بين (٣) جميع أهل العلم أن اليومين اللذين ذكرهما الله تبارك
 وتعالى في قوله : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ داخلان في الأيام
 الستة اللاتي ذكرهن قبل ذلك ، فمعلوم إذ كان الله عز وجل إنما
 خلق السموات والأرضين وما فيهن في ستة أيام ، وكانت الأخبار مع ذلك
 متظاهرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن آخر ما خلق الله من خلقه آدم ، وأن
 خلقه إياه كان في يوم الجمعة - أن يوم الجمعة الذي فرغ فيه من خلق خلقه داخل
 في الأيام الستة التي أخبر الله تعالى ذكره أنه خلق خلقه فيهن ؛ لأن ذلك لو لم يكن
 داخلًا في الأيام الستة . كان إنما خلق خلقه في سبعة أيام ، لا في ستة ، وذلك
 خلاف ما جاء به التنزيل ؛ فتبين (٤) إذًا - إذ كان الأمر كالذي وصفنا في
 ذلك - أن أول الأيام التي ابتداء الله فيها خلق السموات والأرض وما فيهن من خلقه
 يوم الأحد ؛ إذ كان الآخر يوم الجمعة ، وذلك ستة أيام ، كما قال ربنا جل جلاله .
 ٤٤/١ فأما الأخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه بأن الفراغ
 من الخلق كان يوم الجمعة ، فسنذكرها في مواضعها إن شاء الله تعالى .

(١) سورة السجدة ٤

(٢) سورة فصلت ٩ - ١٢ .

(٣) ط : « عند » .

(٤) (٤) ا ، س ، ن : « فيهن » .

القول فيما خلق الله في كل يوم من الأيام الستة التي ذكر الله في كتابه أنه خلق فيهن السموات والأرض وما بينهما

اختلف السلف من أهل العلم في ذلك :

فقال بعضهم ما حدثني به المثني بن إبراهيم ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثني أبو معشر ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن عبد الله بن سلام ، أنه قال : إن الله بدأ الخلق ^(١) يوم الأحد ، فخلق الأرضين في الأحد والاثنين ، وخلق الأقوات والرواسي في الثلاثاء والأربعاء ، وخلق السموات في الخميس والجمعة ، وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة ، فخلق فيها آدم على عَجَلٍ . فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة .

حدثني موسى بن هارون ، حدثنا عمرو بن حماد ، حدثنا أسباط ، عن السدي ، في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : جعل - يعنون ربنا تبارك وتعالى - سبع أرضين في يومين : الأحد والاثنين ، وجعل فيها رواسي أن تميد بكم ؛ وخلق الجبال فيها وأقوات أهلها ، وشجرها وما ينبغى لها في يومين : في الثلاثاء والأربعاء ، ثم استوى إلى السماء وهي دخان فجعلها سماء واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين : الخميس والجمعة .

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن غالب [ابن غلاب] ^(٢) ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : خلق الله الأرض في يومين . الأحد والاثنين .

ففي قول هؤلاء خلقت الأرض قبل السماء ؛ لأنها خلقت عندهم في الأحد ^(٣) والاثنين .

(١) ط : « بالخلق » ، وما أثبتته عن أ .

(٢) تكلة من أ .

(٣) أ : « يوم الأحد » .

• • •

وقال آخرون : خلق الله عز وجل الأرض قبل السماء بأقواتها من غير أن يدحوها ، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ، ثم دحا الأرض بعد ذلك .
• ذكر من قال ذلك :

حدثني علي بن داود ، قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : قوله عز وجل حيث ذكر خلق الأرض قبل السماء ، ثم ذكر السماء قبل الأرض ، وذلك أن الله خلق الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء ، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ، ثم دحا الأرض بعد ذلك ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ^(١) ، يعني أنه خلق السموات والأرض ، فلما فرغ من السماء قبل أن يخلق أقوات الأرض بث أقوات الأرض فيها بعد خلق السماء ، وأرسي الجبال - يعني بذلك دحوها - (لا) ولم تكن تصلح أقوات الأرض ونباتها إلا بالليل والنهار ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ ؛ ألم تسمع أنه قال : ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ ؟

قال أبو جعفر : والنصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله الذين قالوا : إن الله خلق الأرض يوم الأحد ، وخلق السماء يوم الخميس ، وخلق النجوم والشمس والقمر يوم الجمعة لصحة الخبر الذي ذكرنا قبل عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . وغير مستحيل ما روينا في ذلك عن ابن عباس من القول ، وهو أن يكون الله تعالى ذكره خلق الأرض ولم يدحها ، ثم خلق السموات فسواهن ، ثم دحا الأرض بعد ذلك ، فأخرج منها ماءها

(١) سورة النازعات ٣٠ - ٣٢

(٢) ط : دحاهها ، وما أثبت عن التفسير ٣٠ : ٢٩ (بولاق) .

ومرعاها ، والجبال أرساها ، بل ذلك عندي هو الصواب من القول في ذلك ؛ وذلك أن معنى الدَّحْوِ غيرُ معنى الخلق ، وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ اأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا . رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا . وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا . وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا . أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا . وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴾ (١) .

فإن قال قائل : فإنك قد علمت أن جماعة من أهل التأويل قد وجهت قول الله : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ إلى معنى «مع ذلك دحاها» ، فما برهانك على صحة ما قلت ، من أن «ذلك» بمعنى «بعده» التي هي خلاف «قبل» ؟
 قيل : المعروف من معنى «بعد» في كلام العرب هو الذي قلنا من أنها بخلاف معنى «قبل» لا بمعنى «مع» ؛ وإنما توجَّه معاني الكلام إلى الأغلب عليه من معانيه المعروفة في أهله ، لا إلى غير ذلك .

• • •

وقد قيل : إن الله خلق البيتَ العتيق على الماء على أربعة أركان ، قبل أن يخلق الدنيا بألني عام ، ثم دُحيت الأرض من تحته .

• ذكر من قال ذلك :

٤٧/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب القُصَمِيُّ ، عن جعفر ، عن عيكرمة ، عن ابن عباس قال : وُضِعَ البيت على الماء على أربعة أركان ، قبل أن يخلق الدنيا بألني عام (٢) ، ثم دُحيت الأرض من تحت البيت .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا مِهْرَان ، عن سُفْيَانَ ، عن الأعمش ، عن بُكَيْرِ بْنِ الْأَخْنَسِ ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمر (٣) ، قال : خلق الله البيت قبل الأرض بألني سنة ، ومنه دُحيت الأرض .

وإذا كان الأمر كذلك كان خلق الأرض قبل خلق السموات ، ودحْوُ

(١) سورة النازعات ٢٧ - ٢٢ .

(٢) س : « بألف عام » .

(٣) ١ : « عمرو » .

الأرض وهو بسطها بأقواتها ومراعيا ونباتها ، بعد خلق السموات ، كما ذكرنا عن ابن عباس .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال : حدثني مهران ، عن أبي سينان ، عن أبي بكر ، قال : (١) جاء اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد ، أخبرنا : ما خلق الله من الخلق في هذه الأيام الستة ؟ فقال : خلق الأرض يوم الأحد والاثنين ، وخلق الجبال يوم الثلاثاء ، وخلق المدائن والأقوات والأنهار وعمراتها وخرابها يوم الأربعاء ، وخلق السموات والملائكة يوم الخميس ، إلى ثلاث ساعات بقرين من يوم الجمعة (٢) ، وخلق في أول الثلاث ساعات الآجال ، وفي الثانية الآفة ، وفي الثالثة آدم . قالوا : صدقت إن أتمت ، فعرف النبي صلى الله عليه وسلم ما يريدون ، فغضب ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ . فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ (٣).

٤٨/١

فإن قال قائل : فإن (٤) كان الأمر كما وصفت من أن الله تعالى خلق الأرض قبل السماء ، فما معنى قول ابن عباس الذي حدثكُموه واصل ابن عبد الأعلى الأسدي ، قال : حدثنا محمد بن فضيل ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس قال : أول (٥) ما خلق الله تعالى من شيء القلم ، فقال له : اكتب ، فقال : وما أكتب يارب ؟ قال : اكتب القدر ، قال : فجرى القلم بما هو كائن من ذلك إلى قيام الساعة ، ثم رفع بخار الماء ففتق منه السموات ، ثم خلق النون (٦) ، فدُحيت الأرض على ظهره ، فاضطرب النون ، فادت الأرض فأثبتت بالجبال ، فإنها لتفتخر (٧) على الأرض .

(١) الخبر في التفسير ٢٦ : ١١١ (بولاق) .

(٢) كذا في ط ، وفي ا ، ن ، والتفسير : « يعني من يوم الجمعة » . وفي س : « يعني يوم الجمعة » .

(٣) سورة ق ٣٨ ، ٣٩ .

(٤) ا : « فاذا » .

(٥) الخبر في التفسير ٢٩ : ١٠ (بولاق) .

(٦) النون هنا : الحوت .

(٧) س : « لتفتخر » .

حدثني واصل ، قال : حدثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس نحوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، قال : أول^(١) ما خلق الله تعالى القلم فجرى بما هو كائن ، ثم رفع بخار الماء ، فخلقت منه السموات ، ثم خلق النون ، فبسطت الأرض على ظهر النون ، فتحرك النون ، فمادت الأرض فأثبتت بالجبال ، فإن الجبال لتفخر على الأرض . قال : وقرأ : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾^(٢) .

حدثني تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان - أو مجاهد^(٣) - عن ابن عباس بنحوه ، إلا أنه قال : ففتقت منه السموات .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا يحيى ، قال : حدثنا سفيان ، قال : حدثني سليمان ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس قال : أول ما خلق الله تعالى القلم فقال : اكتب ، فقال^(٤) : ما أكتب ؟ قال : اكتب القدر ، قال : فجرى بما هو كائن من ذلك اليوم إلى قيام الساعة . ثم خلق النون ، ورفع بخار الماء ففتقت منه السماء ، وبسطت الأرض على ظهر النون ، فاضطرب النون ، فمادت الأرض فأثبتت بالجبال ، قال : فإنها لتفخر على الأرض^(٥) .

حدثنا ابن حميد ، قال ، حدثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الضحى مسلم بن صبيح ، عن ابن عباس قال : أول شيء خلق

(١) الخبر في التفسير ٢٩ : ٩ (بولاق) .

(٢) سورة القلم ١ .

(٣) كذا في ١ ، والتفسير ٢٩ : ٩ (بولاق) ، وفي ط : « أبي ظبيان عن مجاهد » والأعمش يروى عن أبي ظبيان وعن مجاهد ؛ وهما أيضاً يرويان عن ابن عباس . وانظر تهذيب التهذيب ٤ : ٢٢٢ .

(٤) ١ والتفسير : « قال » .

(٥) الخبر في التفسير ٢٩ : ٩ (بولاق) .

الله تعالى القلم ، فقال له : اكتب ، فكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ، ثم خلق النون فوق الماء ، ثم كبس الأرض عليه .
 قيل : ذلك صحيح على ما روى عنه وعن غيره من معنى ذلك مشروحاً مفسراً غير مخالف شيئاً مما روينا عنه في ذلك .

• • •

فإن قال : وما الذي روى عنه وعن غيره من شرح ذلك الدال على صحة كل ما رويت لنا في هذا المعنى عنه ؟

قبل له : حدثني موسى بن هارون الهمداني وغيره ، قالوا : حدثنا عمرو بن حماد ، حدثنا أسباط بن نصر ، عن السدي ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن عبد الله بن - وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾^(١) قال : إن الله تعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء ، فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء ، فسما عليه ، فسماه سماء ، ثم أيبس^(٢) الماء ، فجعله أرضاً واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين ، في الأحد والاثنين ، فخلق الأرض على حوت - والحوت هو النون الذي ذكر الله عز وجل في القرآن : ﴿ ن وَالْقَلَمِ ﴾ ... والحوت في الماء ، والماء على ظهر صفاة ، والصفاء على ظهر ملك ، والملك على صخرة ، والصخرة على الريح^(٣) - وهي الصخرة التي ذكر لقمان - ليست في السماء ولا في الأرض ، فتحرك الحوت فاضطرب ، فتزلزلت الأرض ، فأرسي عليها الجبال فقرت ، فالجبال

٥٠/١

(١) سورة البقرة ٢٩

(٢) كذا في ١ ، والتفسير ١ : ٤٣٥ (المعارف) وفي ط : « ييس » .

(٣) كذا في ١ ، وفي ط والتفسير : « في الريح » .

تفخر على الأرض؛ فذلك قوله تعالى : ﴿ وَالتِّي فِي الْأَرْضِ رَوَّاسِي أَنْ تَمِيدَ بِسُوءِ بَأْسٍ ﴾ (١).

قال أبو جعفر : فقد أنبا قول هؤلاء الذين ذكرت : إن الله تعالى أخرج من الماء دخاناً حين أراد أن يخلق السموات والأرض ، فسما عليه - يعنون بقولهم : « فسما عليه » علا على الماء ، وكل شيء كان فوق شيء عالياً عليه فهو له سماء - ثم آيبس بعد ذلك الماء ، فجعله أرضاً واحدة = أن الله خلق السماء غير مسواة قبل الأرض ، ثم خلق الأرض .

وإن كان الأمر كما قال هؤلاء ، فغير محال أن يكون الله تعالى أثار من الماء دخاناً فعلاًه على الماء ، فكان له سماء ، ثم آيبس الماء فصار الدخان الذي سما عليه أرضاً ، ولم يدحها ، ولم يقدر فيها أقواتها ، ولم يخرج منها ماءها ومرعاها ، حتى استوى إلى السماء ؛ التي هي الدخان الثائر من الماء العالى عليه ، فسواءهن سبع سموات ، ثم دحا الأرض التي كانت ماءً فيبسه ففتقه ، فجعلها سبع أرضين ، وقد رفيها أقواتها ، و ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴾ ، كما قال عز وجل . فيكون كل الذي روى عن ابن عباس في ذلك - على ما روينا - صحيحاً معناه .

وأما يوم الاثنين فقد ذكرنا اختلاف العلماء فيما خلق فيه ، وما روى في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل .

وأما ما خلق في يوم الثلاثاء والأربعاء ، فقد ذكرنا أيضاً بعض ما روى فيه ، ونذكر في هذا الموضع بعض ما لم نذكر منه قبل .

فالذي صح عندنا أنه خلق فيهما ما حدثني به موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، حدثنا أسباط ، عن السدي ، في خبر ذكره

عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني ، عن عبد الله بن مسعود - وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : وخلق الجبال فيها - يعني في الأرض - وأقوات أهلها وشجرها وما ينبغى لها في يومين : في الثلاثاء والأربعاء ؛ وذلك حين يقول الله عز وجل : ﴿ قُلْ أَنْتُمْ أَنْتُمْ لَمْ تَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءَ لِلْسَّائِدِينَ ﴾ (١) ؛ يقول : من سأل . فهكذا الأمر ، ثم استوى إلى السماء وهي دخان ، وكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس ، فجعلها سماء واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين في الخميس والجمعة (٢) .

حدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثني أبو معشر ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن عبد الله بن سلام ، قال : إن الله تعالى خلق الأقوات والرواسي في الثلاثاء والأربعاء .

حدثني تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن غالب بن غلاب ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : إن الله تعالى خلق الجبال يوم الثلاثاء . فذلك قول الناس : هو يوم ثقيل .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا ، ما روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « إن الله تعالى خلق يوم الثلاثاء الجبال وما فيها من المنافع ، وخلق يوم الأربعاء الشجر ، والماء ، والمدائن ، والعمران ، والحراب . حدثنا بذلك هناد ، قال : حدثنا أبو بكر بن عبيد ، عن أبي سعد البقالي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم (٣) .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله خلق الجبال يوم الأحد ، والشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، والنور يوم الأربعاء ،

(١) سورة فصلت ، ٩ ، ١٠ .

(٢) الخبر في التفسير ٢٤ : ٦٣ (بولاق) .

(٣) ط : بعدما كلمة « مثله » ، صواب حذفها من أ .

حدثني به القاسم بن بشر بن معروف ، والحسين بن علي الصُّدائي ، قالا :
حدثنا حجاج ، قال ابن جريج : أخبرني إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن
خالد ، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله
عليه وسلم .

والخبيرُ الأولُ أصحُّ مخرجاً ، وأوّلُ بالحق ، لأنه قول أكثر السلف .

وأما يوم الخميس فإنه خلق فيه السموات ، ففتقت بعد أن كانت
رتقاً ، كما حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال :
حدثنا أسباط ، عن السُّدي ، في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح
عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود - وعن ناس من
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾^(١) ،
وكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس وجعلها سماء واحدة ، ثم فتقها
فجعلها سبع سموات في يومين ، في الخميس والجمعة .

وإنما سُمِّي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض ﴿ وَأَوْحَى فِي
كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴾^(٢) قال : خلق في كل سماء خلقها من الملائكة ، والخلق الذي
فيها من البحار وجبال البرد وما لم يُعلم ، ثم زين السماء الدنيا بالكواكب ، فجعلها
زينة وحفظاً ، تحفظ من الشياطين ، فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على
العرش . فذلك حين يقول : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾^(٣) ، ويقول :
﴿ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾^(٤) .

حدثني المثني ، حدثنا أبو صالح ، قال : حدثني أبو معشر ،
عن سعيد بن أبي سعيد ، عن عبد الله بن سلام ، قال : إن الله تعالى خلق
السموات في الخميس والجمعة ، وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة ،

(١) سورة فصلت ١١ ، ١٢

(٢) سورة هود ٧

(٣) سورة الأنبياء ٣٠

فخلق فيها آدم على عَجَل ، فتلك الساعةُ التي تقوم فيها الساعة .

حدثني تميم [بن المنتصر] (١) ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن غالب بن غلاب ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : إن الله تعالى خلق مواضع الأنهار والشجر يوم الأربعاء ، وخلق الطير والوحوش (٢) والهوام والسباع يوم الخميس ، وخلق الإنسان يوم الجمعة ، ففرغ من خلق كل شيء يوم الجمعة .

وهذا الذي قاله مَنْ ذكرنا قوله ؛ من أن الله عزَّ وجلَّ خلق السموات والملائكة وآدم في يوم الخميس والجمعة ، هو (٣) الصحيح عندنا ، للخبر الذي حدثنا به هناد [بن السري] (٤) قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي سعد البقال ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم - قال : هناد ، وقرأت سائر الحديث - قال : وخلق يوم الخميس السماء ، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه ، فخلق في أول ساعة من هذه الثلاث ساعات الآجال ؛ مَنْ يحيى ومن يموت ، وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس ؛ وفي الثالثة آدم وأسكنه الجنة ، وأمر إبليس بالسجود ، وأخرجه منها في آخر ساعة .

٥٤/١

حدثني القاسم بن بشر [بن معروف] (٥) ، والحسين بن علي الصُّدَائِي ، قالا : حدثنا حجاج ، قال ابن جريج : أخبرني إسماعيل بن أمية ، عن أيوب ابن خالد ، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، عن أبي هريرة : قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال : « وبث فيها - يعني في الأرض - الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة آخر خلق في آخر ساعة ، من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل » .

فإذا كان الله تعالى ذكره خلق الخلق من لذن ابتداء خلق السموات والأرض إلى حين فراغه من خلق جميعهم في ستة أيام ، وكان كل يوم من

(١) ط : « الوحش » وما أثبتته من أ .

(٢) نكته من أ .

(٣) ط : « وهو » ، وما أثبتته من أ .

الأيام الستة التي خلقهم فيها مقدارُه ألف سنة من أيام الدنيا ، وكان بين ابتدائه في خلق ذلك وخلق القلم الذي أمره بكتابة [كل] ^(١) ما هو كائن إلى قيام الساعة ألف عام ، وذلك يوم من أيام الآخرة التي قدرَ اليوم الواحد منها ألف عام من أيام الدنيا - كان معلوماً أن قدرَ مدة ما بين أول ابتداء ربنا عز وجل في خلق ما خلق من خلقه إلى الفراغ من آخرهم سبعة آلاف عام ^(٢) . يزيد إن شاء الله شيئاً أو ينقص شيئاً ، على ما قد روينا من الآثار والأخبار التي ذكرناها ، وتركنا ذكرَ كثيرٍ منها كراهة إطالة الكتاب بذكرها .

وإذا كان ذلك كذلك ، وكان صحيحاً أن مدّة ما بين فراغ ربنا تعالى ذكره - من خلق جميع خلقه إلى وقت فناء جميعهم بما قد دللنا قبلُ ، واستشهدنا من الشواهد ، وبما سنشرح فيما بعد - سبعة آلاف سنة ، تزيد قليلاً أو تنقص قليلاً ^(٣) - كان معلوماً بذلك أن مدّة ما بين أول خلق خلقه الله تعالى إلى قيام الساعة وفناء جميع العالم ، أربعة عشر ألف عام من أعوام الدنيا ؛ وذلك أربعة عشر يوماً من أيام الآخرة ، سبعة أيام من ذلك - وهي سبعة آلاف عام من أعوام الدنيا - مدة ما بين أول ابتداء الله جلّ وتقدس في خلق أول خلقه إلى فراغه من خلق آخرهم - وهو آدم أبو البشر صلوات الله عليه ، وسبعة أيام آخر . وهي سبعة آلاف عام من أعوام الدنيا ، من ذلك مدّة ما بين فراغه جلّ ثناؤه من خلق آخر خلقه - وهو آدم - إلى فناء آخرهم وقيام الساعة ، وعود الأمر إلى ما كان عليه قبل أن يكون شيء غير القديم الباري الذي له الخلق والأمر الذي كان قبل كل شيء ، فلا شيء كان قبله ، والكائن بعد كل شيء فلا شيء يبقى غير وجهه الكريم .

• • •

فإن قال قائل : وما دليلك على أن الأيام الستة التي خلق الله فيهن خلقه كان قدر كل يوم منهن قدر ألف عام من أعوام الدنيا دون أن يكون ذلك

(١) تكملة من ا .

(٢) ا : « سنة » .

(٣) ا : « يسيراً » .

كأيام أهل الدنيا التي يتعارفونها بينهم ، وإنما قال الله عز وجل في كتابه : ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾^(١) ، فلم يعلمنا أن ذلك كما ذكرت ، بل أخبرنا أنه خلق ذلك في ستة أيام ، والأيام المعروفة عند المخاطبين بهذه المخاطبة هي أيامهم التي أول^(٢) اليوم منها طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، ومن قولك : إن خطاب الله عباده بما خاطبهم به في تنزيله إنما هو موجه إلى الأشهر والأغلب عليه من معانيه ، وقد وجهت خبر الله في كتابه عن خلقه السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام إلى غير المعروف من معاني الأيام ، وأمر الله عز وجل إذا أراد شيئاً أن يكونه أنفذ وأمضى من أن يوصف بأنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام؛ مقدارهن ستة آلاف عام من أعوام الدنيا ، وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون ؛ وذلك كما قال ربنا تبارك وتعالى : ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾^(٣) ؟

قيل له : قد قلنا فيما تقدم من كتابنا هذا إنا إنما نعتمد في عظم ما نرسمه في كتابنا هذا على الآثار والأخبار عن نبينا صلى الله عليه وسلم وعن السلف الصالحين قبلنا دون الاستخراج بالعقول والفكر ، إذ أكثره خبر عما مضى من الأمور ، وعما هو كائن من الأحداث ، وذلك غير مدرك علمه بالاستنباط الاستخراج بالعقول .

فإن قال : فهل من حجة على صحة ذلك من جهة الخبر ؟

قيل : ذلك ما لا نعلم قائلًا من أئمة الدين قال خلافه .

فإن قال : فهل من رواية عن أحد منهم بذلك ؟

قيل : علم ذلك عند أهل العلم من السلف كان أشهر من أن يحتاج فيه إلى رواية منسوبة إلى شخص منهم بعينه ، وقد روى ذلك عن جماعة منهم مسمين بأعيانهم .

(١) سورة الفرقان ٥٩

(٢) س : « أول يوم » .

(٣) سورة القمر ٥٠

فإن قال : فاذا كرم لنا .

قيل : حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكيم : عن عنبسة^(١) ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : خاق الله السموات والأرض في ستة أيام ، فكل يوم من هذه الأيام كالف سنة مما تعدون أنتم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾^(٢) . قال : الستة الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض .

حدثنا عبدة ، حدثني الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ : يعني هذا اليوم من الأيام الستة التي خلق الله فيهن السموات والأرض وما بينهما .

حدثني المثني ، حدثنا علي ، عن المسيب بن شريك ، عن أبي روق ، عن الضحاک : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾^(٣) . قال : من أيام الآخرة ، كل يوم كان مقداره ألف سنة ، ابتداء في الخلق يوم الأحد ، واجتمع الخلق يوم الجمعة .

حدثنا ابن حميد قال : حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح : عن كعب ، قال : بدأ الله خلق السموات والأرض يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ، وفرغ منها يوم الجمعة ، قال : فجعل مكان كل يوم ألف سنة .

(١) في ط : « عبيبة » تصحيف ؛ وهو عنبسة بن سعيد ؛ ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ٣ : ٤٢٢ فيمن روى عنهم حكيم بن سلم ؛ وذكره الطبري أيضاً في ١ : ٤٥٩ ، ٥٣٨ : « حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكيم بن سلم ، عن عنبسة . . . » .

(٢) سورة السجدة ٥

(٣) سورة هود ٧

حدثني المثني ، قال : حدثنا الحجاج ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ، قال : يوم من الستة الأيام ، كآلف سنة مما تعدّون .

فهذا هذا . وبعد ؛ فلا وجه لقول قائل : وكيف يوصف الله تعالى ذكره بأنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام قدر مدتها من أيام الدنيا ستة آلاف سنة ؛ وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون ، لأنه لا شيء يتوهمه متوهم في قول قائل ذلك إلا وهو موجود في قول قائل : خلق ذلك كله في ستة أيام مدتها مدة ستة أيام من أيام الدنيا ، لأن أمره جلّ جلاله إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون^(١) .

٤

(١) علق ابن الأثير (١ : ٤١) على القول فيما خلق الله في كل يوم من الأيام الستة بقوله : أما ما ورد في هذه الأخبار من أن الله تعالى خلق الأرض في يوم كذا والسماء في يوم كذا إنما هو مجاز ؛ وإلا فلم يكن ذلك الوقت أيام وليال ؛ لأن الأيام عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها والليال عبارة عما بين غروبها وطلوعها ؛ ولم يكن ذلك الوقت سماء ولا شمس ؛ وإنما المراد به أنه خلق كل شيء بمقدار يوم ؛ كقوله تعالى : (ولم رزقهم فيها بكرة وعشيا) : وليس في الجنة بكرة وعشي .

القول في الليل والنهار أيهما خلق قبل صاحبه

وفي بدء خلق الشمس والقمر وصفتهما إذ كانت الأزمنة بهما تعرف

قد قلنا في خلق^(١) الله عزّ ذكره ما خلق من الأشياء قبل خلقه الأوقات والأزمنة، وبيّنا أن الأوقات والأزمنة إنما هي ساعات الليل والنهار، وأن ذلك إنما هو قطع الشمس والقمر درجات الفلك ؛ فلنقل الآن : بأيّ ذلك كان الابتداء؛ بالليل أم بالنهار^(٢)؟ إذ كان الاختلاف في ذلك موجوداً بين ذوى النظر فيه؛ بأن بعضهم يقول فيه: خلق الله الليل قبل النهار، ويستشهد على حقيقة قوله ذلك بأن الشمس إذا غابت وذهب ضوءها الذي هو نهار هجم الليل بظلامه، فكان معلوماً بذلك أن الضياء هو المتورد على الليل، وأن الليل إن لم يبطله النهار المتورد عليه هو الثابت، فكان بذلك من أمرهما دلالة على أن الليل هو الأول خلقاً، وأن الشمس هو الآخر منهما خلقاً، وهذا قول يروى عن ابن عباس.

٥٩/١

حدثنا ابن بشار، حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: سئل: هل^(٣) الليل كان قبل النهار؟ قال: رأيتم حين كانت السموات والأرض رتقاً، هل كان بينهما إلاظمة! ذلك لتعلموا أن الليل كان قبل النهار.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق. أخبرنا الثوري، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: إن الليل قبل النهار، ثم قال: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾.

حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا وهب بن جرير، حدثنا أبي، قال: سمعت يحيى بن أيوب يحدث عن يزيد بن أبي حبيب، عن مرثد

(١) : قول .

(٢) : أم النهار .

(٣) : عن الليل .

ابن عبد الله اليزني، قال: لم يكن عقبة بن عامر إذا رأى الهلال - هلال رمضان - يقوم تلك الليلة حتى يصوم يومها، ثم يقوم بعد ذلك. فذكرت ذلك لابن حُجيرة فقال: الليل قبل النهار أم النهار قبل الليل؟

• • •

وقال آخرون: كان النهار قبل الليل: واستشهدوا لصحة قولهم هذا بأن الله عز ذكره كان ولا ليل ولا نهار ولا شيء غيره، وأن نوره كان يضيء به كل شيء خلقه بعد ما خلقه حتى خلق الليل.

• ذكر من قال ذلك:

حدثني علي بن سهل، حدثنا الحسن بن بلال، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن الزبير أبي^(١) عبد السلام، عن أيوب بن عبد الله الفهري قال: إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار، نور السموات من نور وجهه، وإن مقدار كل يوم من أيامكم هذه اثنتا عشرة ساعة.

• • •

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: كان الليل قبل النهار، لأن النهار هو ما ذُكرت من ضوء الشمس؛ وإنما خلق الله الشمس وأجراها في الفلك بعد ما دحا الأرض فبسطها، كما قال عز وجل: ﴿الْأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكَهَا فَدَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾^(٢)، فإذا كانت الشمس خلقت بعد ما سُمكت السماء، وأغطش ليلها، فمعلوم أنها كانت - قبل أن تخلق الشمس، وقبل أن يُخرج الله من السماء ضحاها - مظلمة لا مضيئة.

٦٠/١

وبعد، فإن في مشاهدتنا من أمر الليل والنهار ما نشاهده^(٣) دليلاً بيناً

(١) ط: «الزبير بن عبد السلام»؛ وصوابه من أ؛ ذكره ابن حجر فيمن روى عن أيوب بن عبد الله. وانظر تهذيب التهذيب ١: ٤٠٧.

(٢) سورة النازعات ٢٧ - ٢٩.

(٣) ١: ونشاهد.

على أن النهار هو الهاجم على الليل لأن الشمس متى غابت فذهب ضوءها ليلاً [أو نهاراً] ^(١) أظلم الجو ، فكان معلوماً بذلك أن النهار هو الهاجم على الليل بضوئه ونوره . والله أعلم .

فأما القول في بدء خلقهما فإن الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بوقت خلق الله الشمس والقمر مختلف .

فأما ابن عباس فروى عنه أنه قال : خلق الله يوم الجمعة الشمس والقمر والنجوم والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه ، حدثنا بذلك هناد بن السرى ، قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي سعد البقال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خلق الله النور يوم الأربعاء » ، حدثني بذلك القاسم بن بشر والحسين بن علي ، قالا : حدثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جرير ، عن إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وأي ذلك كان ؛ فقد خلق الله قبل خلقه إياهما خلقاً كثيراً غيرهما ، ثم خلقهما عز وجل لما هو أعلم به من مصلحة خلقه ، فجعلهما دائبي الجرى ، ثم فصل بينهما ، فجعل إحداهما آية الليل ، والأخرى آية النهار ، فحأ آية الليل ، وجعل آية النهار مبصرة . وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبب اختلاف حالتى آية ^(٢) الليل وآية النهار أخباراً أنا ذاكر منها بعض ما حضرني ذكره . وعن جماعة من السلف أيضاً نحو ذلك .

فمأ ^(٣) روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، ما حدثني محمد بن أبي منصور الآملى ، حدثنا خلف بن واصل ، قال : حدثنا عمر بن

(١) تكله من ا .

(٢) ر : « حالتى الشمس والقمر وآية الليل » .

(٣) ا : « فأ » .

صُبْحٌ^(١) أبو نعيم الباقخي، عن مقاتل بن حيان، عن عبد الرحمن بن أبزي، عن أبي ذر الغفاري، قال: كنت أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نماشى جميعاً نحو المغرب، وقد طَفَلَت^(٢) الشمس، فما زلنا ننظر إليها حتى غابت؛ قال: قلت: يا رسول الله، أين تغرب؟ قال: تغرب في السماء، ثم تُرْفَع من سماء إلى سماء حتى ترفع إلى السماء السابعة العليا؛ حتى تكون تحت العرش، فتخر ساجدة، فتسجد معها الملائكة الموكِّلون بها، ثم تقول: يا رب، من أين تأمرني أن أطلع، أمن مغربي أم من مطلعي؟ قال: فذلك قوله عز وجل: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ حيث تحبس تحت العرش، ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾^(٣) قال: يعني بـ «ذلك»^(٤) صنَّعَ الربُّ العزيز في ملكه العليم بخلقها. قال: فيأتيها جبرئيل بحلَّة ضوء من نور العرش، على مقادير ساعات النهار، في طوله في الصيف، أو قصره في الشتاء، أو ما بين ذلك في الخريف والربيع. قال: فتلبس تلك الحلة كما يلبس أحدكم ثيابه، ثم تنطلق^(٥) بها في جو السماء حتى تطلع من مطلعها^(٦)، قال النبي صلى الله عليه وسلم: فكانها قد حبست مقدار ثلاث ليال ثم لا تكسي ضوءاً، وتؤمر أن تطلع من مغربها، فذلك قوله عز وجل: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾^(٧). قال: والقمر كذلك في مطلعته ومجراه في أفق السماء ومغربته وارتفاعه إلى السماء السابعة العليا، ومحبسه تحت العرش وسجوده واستئذانه، ولكن جبرائيل عليه السلام يأتيه بالحلَّة من نور الكرسي. قال: فذلك قوله عز وجل: ﴿جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾^(٨). قال أبو ذر: ثم عدلت مع رسول الله صلى

(١) كذا في «عمر بن صحيح»، ترجم له ابن حجر في تهذيب التهذيب ٧ : ٤٦٣؛ وذكر أنه أخذ عن مقاتل. وفي ط: «صبيح». وانظر خلاصة تهذيب الكمال ٢٤٠.

(٢) طفلت الشمس: مالت للغروب.

(٣) سورة يس ٣٨

(٤) كذا في ا، ر، ك، وفي ط: «ذلك».

(٥) ط: «ينطلق»، وما أثبتته عن ا، ر، ن.

(٦) ط: «مطلعها»، وما أثبتته من ا.

(٧) سورة التكوير ١

(٨) سورة يونس ٥

الله عليه وسلم فصلينا المغرب . فهذا الخبر عن رسول الله [يُنْبِئُ] ^(١) أن سبب اختلاف حالة الشمس والقمر إنما هو أن ضوء الشمس من كسوة كسيتها من ضوء العرش ، وأن نور القمر من كسوة كسيتها من نور الكرمي .

فأما الخبر الآخر الذي يدل على غير هذا المعنى ؛ فما حدثني محمد ابن أبي منصور ، قال : حدثنا خلف بن واصل ، قال : حدثنا أبو نعيم ، عن مقاتل بن حيان ، عن عكرمة قال : بينا ابن عباس ذات يوم جالس إذ جاءه رجل ، فقال : يا ابن عباس ، سمعتُ العجب من كعب الحبر ^(٢) يذكر في الشمس والقمر . قال : وكان متكئاً فاحتفز ^(٣) ثم قال : وما ذاك ؟ قال : زعم أنه يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران ، فيُقذَّان في جهنم . قال عكرمة : فطارت من ابن عباس شقمة ووقعت أخرى غضبا ، ثم قال : كذب كعب ! كذب كعب ! كذب كعب ! ثلاث مرات ، بل هذه يهودية يريد إدخالها في الإسلام ، الله أجل وأكرم من أن يعذب على طاعته ، ألم تسمع لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ ﴾ ^(٤) ، إنما يعنى دءوبهما في الطاعة . فكيف يعذب عبدين يُثنى عليهما ، أنهما دائبان في طاعته ! قاتل الله هذا الحبر وقبح حبريته ! ما أجرأه على الله وأعظم فيريته على هذين العبدین المطيعين لله ! قال : ثم استرجع مراراً ، وأخذ عويداً من الأرض ، فجعل ينكته في الأرض . فظل كذلك ما شاء الله ، ثم إنه رفع رأسه ، ورمى بالعويد فقال : ألا أحدثكم بما سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول في الشمس والقمر وبدء خلقهما ومصير أمرهما ؟ فقلنا : بلى رحمك الله ! فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك ، فقال : إن الله تبارك وتعالى لما أبرم خلقه إحكاماً فلم يبق من خلقه غير آدم خلقت شمس من نور عرشه ، فأما ما كان في سابق علمه ^(٥) أنه يدعها شمساً ، فإنه خلقها مثل الدنيا ما بين مشارقها ومغاربها ،

(١) : « عن أن » .

(٢) : ر ، ن : « الأخبار » .

(٣) : احتفز : استوى حالاً على وركيه .

(٤) : سورة إبراهيم ٣٣ .

(٥) : ر ، س : « من سابق علمه » .

وأما ما كان في سابق علمه (١) أنه يطمسها ويحوّلها قمراً ، فإنه دون الشمس في العِظَم ، ولكن إنما يُرَى صغرها من شدة ارتفاع السماء وبعدها من الأرض .

قال : فلو ترك الله الشمسين كما كان خلقهما في بدء الأمر لم يكن يُعرَف الليل من النهار ، ولا النهار من الليل ، وكان لا يدري الأجير إلى متى يعمل ، ومتى يأخذ أجره . ولا يدري الصائم إلى متى يصوم ، ولا تدرى المرأة كيف تعتدّ ، ولا يدري المسلمون متى وقت الحج ، ولا يدري الدُّيَّان متى تحلّ ديونهم ، ولا يدري الناس متى ينصرفون لمعايشهم ، ومتى يسكنون لراحة أجسادهم . وكان الربّ عزّ وجلّ أنظر لعباده وأرحم بهم ، فأرسل جبرئيل عليه السلام فأمرّ جناحه على وجه القمر - وهو يومئذ شمس - ثلاث مرات ، فطمس عنه الضوء ، وبقي فيه النور ، فذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ (٢) . قال : فالسُّوَاد الذي ترونه في القمر شبه الخطوط فيه فهو أثرُ المحو . ثم خلق الله للشمس عجلة من ضوء نور العرش لها ثلثمائة وستون عروة ، ووكل بالشمس وعجلتها ثلثمائة وستين ملكاً من الملائكة من أهل السماء الدنيا ، قد تعلق كل ملك منهم بعروة من تلك العُرَا ، ووكل بالقمر وعجلته ثلثمائة وستين ملكاً من الملائكة من أهل السماء ، قد تعلق بكل عروة من تلك العُرَا ملك منهم .

ثم قال : وخلق الله لهما مشارق ومغارب في قُطْرَيِ الأرض وكنفي السماء ثمانين ومائة عين في المغرب ، طينة سوداء ، فذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَجَدَّهَا تَفْرُبُ فِي عَيْنِ حَمِيَّةٍ ﴾ (٣) إنما يعني (٤) حمأة سوداء من طين ، وثمانين ومائة عين في

(١) ر : من سابق علمه .

(٢) سورة الإسراء ١٢

(٣) سورة الكهف ٨٦

(٤) كذا في ١ ، س وفي ط : هي حمته .

المشرق مثل ذلك طينة سوداء تفور غليظاً كغلي القيدر إذا ما اشتد غليها. قال :
 فكل يوم [وكل]^(١) ليلة لها مطلع جديد ومغرب جديد ، ما بين أولها مطلعاً ، وآخرها
 مغرباً أطول ما يكون النهار في الصيف إلى آخرها مطلعاً ، وأولها مغرباً أقصر ما يكون
 النهار في الشتاء ، فذلك قوله تعالى : ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾^(٢)
 يعني آخرها هاهنا وآخرها ثم ، وترك ما بين ذلك من المشرق والمغرب ، ثم
 جمعهما فقال : ﴿ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾^(٣) ، فذكر عِدَّة تلك العيون كلها .

قال : وخلق الله بحراً ، فجرى دون السماء^(٤) مقدار ثلاث فراسخ ، وهو موج
 مكفوف قائم في الهواء بأمر الله عز وجل لا يقطر منه قطرة ، والبحار كلها
 ساكنة ، وذلك البحر جارٍ في سرعة السهم ثم انطلقه في الهواء مستويًا ، كأنه
 حبلٌ ممدود ما بين المشرق والمغرب ، فتجرى الشمس والقمر والخنس في لجة
 غمر ذلك البحر ؛ فذلك قوله تعالى : ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾^(٥) ، والفلك
 دوران العجلة في لجة غمر ذلك البحر . والذي نفس محمد بيده ، لو بدت
 الشمس من ذلك البحر لأحرقت كل شيء في الأرض ، حتى الصخور
 والحجارة ، ولو بدا القمر من ذلك لافتتن أهل الأرض حتى يعبدوه من دون
 الله ، إلا من شاء الله أن يعصم من أوليائه .

قال ابن عباس : فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : بأبي أنت
 وأمي يا رسول الله ! ذكرت مجرى الخنس مع الشمس والقمر ، وقد أقسم الله
 بالخنس في القرآن إلى ما كان من ذكرك ، فما الخنس ؟ قال : يا علي ، هن
 خمسة كواكب : البرجيس^(٦) ، وزحل ، وعطارد ، وبهرام ، والزهرة ،

(١) تكلة من ا .

(٢) سورة الرحمن ١٧

(٣) سورة المارج ٤٠

(٤) كذا في ط ، وفي اللآلء المصنوعة ١ : ٧ : « بينه وبين السماء » ، وفي ا : « فجرى

بين السماء » .

(٥) سورة الأنبياء ٣٣

(٦) كذا ضبطه صاحب القاموس بكسر الباء ؛ وقال : هو نجم أو هو المشتري .

فهذه الكواكب الخمسة الطالعات الجاريات ، مثل الشمس والقمر ، العاديات^(١) معها ، فأما سائر الكواكب فمعلقات من السماء كتعليق^(٢) القناديل من المساجد ، وهي تحوم مع السماء دوراناً بالتسبيح والتقديس والصلاة لله ، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : فإن أحببتم أن تستبينوا^(٣) ذلك ، فانظروا إلى دوران الفلك مرة هاهنا ومرة هاهنا ، فذلك دوران السماء ، ودوران الكواكب معها كلها سوى هذه الخمسة ، ودورانها اليوم كما ترون ، وتلك صلاتها ، ودورانها إلى يوم القيامة في سرعة دوران الرّحا من أهوال يوم القيامة وزلازله ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا • وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا • فَوَيْلٌ لِلْيَوْمِئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾^(٤) .

قال : فإذا طلعت الشمس فإنها تطلع من بعض تلك العيون على عجلتها ومعها ثلثمائة وستون ملكاً ناشري أجنحتهم ، يجرونها في الفلك بالتسبيح والتقديس والصلاة لله على قدر ساعات الليل وساعات النهار ليلاً كان أو نهاراً ، فإذا أحب الله أن يبتلى الشمس والقمر فيرى العباد آية من الآيات فيستعذبهم رجوعاً عن معصيته وإقبالاً على طاعته ، خرت الشمس من العجلة فتقع في غمر ذلك البحر وهو الفلك ، فإذا أحب الله أن يعظم الأهمية ويشدد تخويف العباد وقعت الشمس كلها فلا يبقى منها على العجلة شيء ، فذلك حين يظلم النهار وتبدو النجوم ، وهو المنهى من كسوفها . فإذا أراد أن يجعل آية دون آية وقع منها النصف أو الثلث أو الثلثان في الماء ، ويبقى سائر ذلك على العجلة ، فهو كسوف دون كسوف ، وبلاء للشمس أو للقمر ، وتخويف للعباد ، واستعذاب من الرب عز وجل ، فأى ذلك كان صارت الملائكة الموكلون بعجلتها فرقتين : فرقة منها يقبلون على الشمس فيجرونها نحو العجلة ، والفرقة الأخرى

(١) ا ، ر ، ن : « العاديات » وفي اللآله المصنوعة : « الغاربات » .

(٢) ر ، س : « كتعلق » .

(٣) ن : « أن تستبينوا » .

(٤) سورة الطور ٩ - ١١

يُقبلون على العجلة فيجرونها نحو الشمس ، وهم في ذلك ^(١) يقرّونها ^(٢) في الفلك بالتسح والتقدّيس والصلاة لله على قدر ساعات النهار أو ساعات الليل ، ليلاً كان أو نهاراً ، في الصيف كان ذلك أو في الشتاء ، أو ما بين ذلك في الحريف والربيع ، لكيلا يزيد في طولهما شيء ، ولكن قد ألهمهم الله علم ذلك ، وجعل لهم تلك القوة ، والذي ترون من خروج الشمس أو القمر بعد الكسوف قليلاً قليلاً ، من غمر ذلك البحر الذي يعلوهما ، فإذا أخرجوها كلّها اجتمعت الملائكة كلهم ، فاحتملوها حتى يضعوها على العجلة ، فيحمدون الله على ما قوّاهم لذلك ، ويتعلقون بعُرّاء العجلة ، ويَجْرُونَهَا في الفلك بالتسبيح والتقدّيس والصلاة لله حتى يبلغوا بها المغرب ، فإذا بلغوا بها المغرب أدخلوها تلك العين ، فتسقط من أفق السماء في العين .

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ، وعجب من خلق الله : ولتَعْجَب من القدرة فيما لم ندر ^(٣) أعجب من ذلك ؛ وذلك قول جبرئيل عليه السلام لسارة : ﴿ أَنْتَ عَجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ ^(٤) وذلك أن الله عزّ وجلّ خلق مدينتين : إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب ، أهل المدينة التي بالمشرق من بقايا عاد من نسل مؤمنينهم ، وأهل التي بالمغرب من بقايا ثمود من نسل الذين آمنوا بصالح ، اسم التي بالمشرق بالسريانية «مرقيسيا» وبالعربية «جابلق» ^(٥) واسم التي بالمغرب بالسريانية «برجيسيا» ^(٦) وبالعربية «جابرِس» ولكل مدينة منهما عشرة آلاف باب ، ما بين

٦٨/١

(١) ن : « مع ذلك » .

(٢) كذا في ا ، س ، ك ، وفي ط : « يجرونها » .

(٣) ط : « لم يخلق » ، وما أثبتته من اللآلئ المصنوعة .

(٤) سورة هود ٧٣

(٥) ضبطها ياقوت بالباء المفتوحة المفتحة وسكون اللام ، ونقل عن ابن عباس أنها مدينة بأقصى المغرب وأهلها من ولد عاد .

(٦) كذا ضبطت بالقلم في معجم البلدان . ونقل أيضاً عن ابن عباس أن أهلها من ولد ثمود .

كل باين فرسخ، ينوب كل يوم على كل باب من أبواب هاتين المدينتين عشرة آلاف (١) رجل من الحراسة، عليهم السلاح، لا تنوبهم (٢) الحراسة بعد ذلك إلى يوم ينفخ في الصور، فوالذي نفس محمد بيده، لولا كثرة هؤلاء القوم وضجيج أصواتهم لسمع الناس من جميع أهل الدنيا هدة وقعة الشمس حين تطلع وحين تغرب، ومن ورائهم ثلاث أمم: منسك (٣)، ونافيل، وتاريس (٤)، ومن دونهم ياجوج وماجوج.

وإن جبرئيل عليه السلام انطلق بي إليهم ليلة أسرى بي من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فدعوت ياجوج وماجوج إلى عبادة الله عز وجل فأبوا أن يجيبوني، ثم انطلق بي إلى أهل المدينتين، فدعوتهم إلى دين الله عز وجل وإلى عبادته فأجابوا وأنابوا، فهم في الدين [إخواننا] (٥)، من أحسن منهم فهو مع محسنكم، ومن أساء منهم فأولئك مع المسيئين منكم. ثم انطلق بي إلى الأمم الثلاث، فدعوتهم إلى دين الله وإلى عبادته فأنكروا ما دعوتهم إليه، فكفروا بالله عز وجل وكذبوا رسله، فهم مع ياجوج وماجوج وساير من عصى الله في النار؛ فإذا ما غربت الشمس رُفع بها من سماء إلى سماء في سرعة طيران الملائكة؛ حتى يبلغ بها إلى السماء السابعة العليا، حتى تكون تحت العرش فتخرت ساجدة، وتسجد معها الملائكة الموكلون بها، فيحدر بها من سماء إلى سماء؛ فإذا وصلت إلى هذه السماء فذلك حين ينفجر الفجر (٦)، فإذا انحدرت من بعض تلك العيون، فذاك حين يضيء الصبح، فإذا وصلت إلى هذا الوجه من السماء فذاك حين يضيء النهار.

قال: وجعل الله عند المشرق حجاباً من الظلمة على البحر السابع، مقدار

(١) كذا في ١ وابن الأثير واللالء المصنوعة. وفي ط: عشرة آلاف ألف.

(٢) كذا في ١. وفي ط: ولما تلحقهم نوبة الحراسة. وفي ابن الأثير: ولا تعود

الحراسة إليهم.

(٣) ر، س: نافييل.

(٤) س: «باريس»، «ا» «تاريس»، وابن الأثير «تاريس».

(٥) تكللة من ١ واللالء المصنوعة.

(٦) ط: «الصبح»، وما أثبتته من ١.

عدة الليالي منذ يوم خلق الله الدنيا إلى يوم تُصْرَم، فإذا كان عند الغروب أقبل ملك قد وُكِّل بالليل فيقبض قبضةً من ظلمة ذلك الحجاب، ثم يستقبلُ المغرب؛ فلا يزال يُرسل من الظلمة من خلل أصابعه قليلاً قليلاً وهو يراعى الشفق، فإذا غاب الشفق أرسل الظلمة كلها ثم ينشر جناحيه، فيبلغان قطري الأرض وكنفي السماء، ويجاوزان ما شاء الله عز وجل خارجاً في الهواء، فيسوق ظلمة الليل بجناحيه بالتسييح والتقديس والصلاة لله حتى يبلغ المغرب، فإذا بلغ المغرب انفجر الصبح من المشرق، فضم جناحيه، ثم يضم الظلمة بعضها إلى بعض بكفيه، ثم يقبض عليها بكف واحدة نحو قبضته إذا تناولها من الحجاب بالمشرق، فيضعها عند المغرب على البحر السابع من هناك ظلمة الليل. فإذا ما نقل ذلك الحجاب من المشرق إلى المغرب نفخ في الصور، وانقضت الدنيا، فضوء النهار من قبل المشرق، وظلمة الليل من قبل ذلك الحجاب، فلا تزال الشمس والقمر كذلك من مطالعهما إلى مغاربهما إلى ارتفاعهما، إلى السماء السابعة العليا، إلى مجلسهما^(١) تحت العرش، حتى يأتي الوقت الذي ضرب الله لتوبة العباد، فتكثر المعاصي في الأرض ويذهب المعروف، فلا يأمر به أحد، ويفشو المنكر فلا ينهى عنه أحد.

فإذا كان ذلك حبست الشمس مقدار ليلة تحت العرش، فكلما سجدت وأستأذنت: من أين تطلع؟ لم يُحسّر^(٢) إليها جواب؛ حتى يوافقها القمر ويسجد معها. ويستأذن: من أين يطلع؟ فلا يحار إليه جواب، حتى يجلسهما مقدار ثلاث ليالٍ للشمس، وليلتين للقمر، فلا يعرف طول تلك الليلة إلا المهجدون في الأرض؛ وهم حينئذ عصابة قليلة في كل بلدة من بلاد المسلمين؛ في هوان من الناس وذلة من أنفسهم، فينام أحدهم تلك الليلة قدراً ما كان ينام قبلها من الليالي، ثم يقوم فيتوضأ ويدخل مصلاه فيصلي ورده، كما كان يصلي

(١) ط: «إلى مجلسهما»، وما أثبتته من أ.

(٢) لم يحسّر إليها جواب؛ أي لم يرجع إليها جواب؛ ويقال: ما أحر جواباً؛

أي ما رجع.

قبل ذلك ، ثم يخرج فلا يرى الصبح ، فينكر ذلك ويظن فيه الظنون من الشر ثم يقول : فلعلني خففتُ قراءتي ، أو قصرتُ صلاتي ، أو قمت قبل حينى ! قال : ثم يعود أيضاً فيصلّي ورّده كمثل ورّده ، الليلة الثانية ، ثم يخرج فلا يرى الصبح ، فيزيده ذلك إنكاراً ، وبخالطه الخوف ، ويظن في ذلك الظنون من الشر ، ثم يقول : فلعلني خففت قراءتي ، أو قصرت صلاتي ، أو قمت من أول الليل ! ثم يعود أيضاً الثالثة وهو وجيل مُشفق لما يتوقع من هول تلك الليلة ، فيصلّي أيضاً مثل ورّده ، الليلة الثالثة ، ثم يخرج فإذا هو بالليل مكانه والنجوم قد استدارت وصارت إلى مكانها من أول الليل . فيشفق عند ذلك ^(١) شفقة الخائف العارف بما كان يتوقع من هول تلك الليلة فيستلحمه ^(٢) الخوف ، ويستخفه البكاء . ثم ينادى بعضهم بعضاً ، وقبل ذلك كانوا يتعارفون ويتواصلون ، فيجتمع المهجدون من أهل كل بلدة إلى مسجد من مساجدها ، ويجأرون إلى الله عزّ وجلّ بالبكاء والصراخ بقية تلك الليلة ، والغافلون في غفلتهم ، حتى إذا ما تمّ لهما مقدارُ ثلاث ليالٍ للشمس والقمر ليلتين ، أتاهما جبرئيل فيقول : إن الرب عزّ وجلّ يأمركما أن ترجعا إلى مغارِبكما فتطلعا منها ، وأنه لا ضوء لكما عندنا ولا نور . قال : فيبكيان عند ذلك بكاء يسمعه أهل سبع سموات من دونهما وأهل سرادقات العرش وحملة العرش من فوقهما ، فيكون لبكائهما مع ما يخالطهم من خوف الموت ، وخوف يوم القيامة .

قال : فبينما الناس ينتظرون طلوعهما من المشرق إذا هما قد طلعا خلتف أفضيتهم من المغرب أسودين مكورين كالغرايين ^(٣) ، ولا ضوء للشمس ولا نور للقمر ، مثلهما في كسوفهما قبل ذلك ؛ فيتصايح أهل الدنيا وتذهل الأمهات عن أولادها ، والأحبة عن ثمرة قلوبها ، فتشتغل كل نفس بما أتاه . قال : فأما الصالحون والأبرار فإنه ينفعهم بكاؤهم يومئذ ، ويكتب ذلك لهم عبادة . وأما الفاسقون والفجار فإنه لا ينفعهم بكاؤهم يومئذ ، ويكتب ذلك عليهم خسارة . قال : فيرتفعان مثل البعيرين القرينين ، ينازع كل واحد منهما

(١) : « عندها » .

(٢) استلحم الخوف : نشب فيه .

(٣) ط : « كالغرايين » ، وما أثبت من ا .

صاحبه استيقاقاً ، حتى إذا بلغا سُرّة السماء - وهو منصفها - أتاهما جبرئيل فأخذ بقرونيهما ثم ردهما إلى المغرب ، فلا يُغربهما في مغاربهما من تلك العيون ، ولكن يغربهما في باب التوبة .

فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أنا وأهلى فداؤك يا رسول الله ! فما باب التوبة ؟ قال : يا عمر ، خلق الله عزّ وجلّ باباً للتوبة خلف المغرب ، مصراعين من ذهب ، مكللا بالدّر والجوهر ، ما بين المصراع إلى المصراع ^(١) الآخر مسيرة أربعين عاماً للراكب المسرع . فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله خلقه إلى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغاربهما ، ولم يتبّ عبد من عباد الله توبة نصوحاً من لدن آدم إلى صبيحة تلك الليلة إلا ولجت تلك التوبة في ذلك الباب ، ثم ترفع إلى الله عزّ وجلّ .

قال معاذ بن جبل : بأبي أنت وأمى يا رسول الله ! وما التوبة النصوح ؟ قال : أن يندم المذنب على الذنب الذى أصابه فيعتذر إلى الله ثم لا يعود إليه ، كما لا يعود اللبن إلى الضرع . قال : فيردّ جبرئيل بالمصراعين فيلأم ^(٢) بينهما ويصيرهما كأنه لم يكن فيما بينهما صدعٌ قط ، فإذا أغلق ^(٣) باب التوبة لم يقبل بعد ذلك توبة ، ولم ينفع بعد ذلك حسنة يعملها في الإسلام إلا ممن كان قبل ذلك محسناً ، فإنه يجزى لهم وعليهم بعد ذلك ما كان يجزى قبل ذلك ، قال فذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ ^(٤) .

فقال أبى بن كعب : بأبي أنت وأمى يا رسول الله ! فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك ! وكيف بالناس والدنيا ! فقال : يا أبى ، إن الشمس والقمر

(١) ا : « والمصراع »

(٢) ك : « فيلأم » .

(٣) ط : « غلق » وهى لغة رديئة فى « أغلق » .

(٤) سورة الأنعام ١٥٨

بعد ذلك يُكسيان النور والضوء، ويطلعان على الناس ويغرُبان كما كانا^(١) قبل ذلك، وأما الناس فإنهم نظروا إلى ما نظروا إليه من فظاعة الآفة، فيُلجئون على الدنيا حتى يُجروا فيها الأنهار، ويغرسوا فيها الشجر، وبينوا فيها البنيان. وأما الدنيا فإنه لو أنتج رجل مهراً لم يركبه من لدن طلوع الشمس من مغربها إلى يوم ينفخ في الصور.

٧٣/١

فقال حذيفة بن اليمان : أنا وأهلي فداؤك يا رسول الله ! فكيف هم عند النفخ في الصور ! فقال : يا حذيفة ، والذي نفس محمد بيده ، لتقومن الساعة ولينفخن في الصور والرجل قد لَطَّ^(٢) حوضه فلا يستقي منه، ولتقومن الساعة والثوب بين الرجلين فلا يطويانه ، ولا يتبايعانه . ولتقومن الساعة والرجل قد رفع لقمته إلى فيه فلا يَطْعَمُها ، ولتقومن الساعة والرجل قد انصرف بلبن لقمته^(٣) من تحتها فلا يشربه ، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : ﴿ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾^(٤).

فإذا نُفِخَ في الصور، وقامت الساعة ، وميز الله بين أهل الجنة وأهل النار ولما يدخلوهما بعد، إذ يدعو الله عز وجل بالشمس والقمر، فيجاء بهما أسودين مكورين قد وقعا في زلزال وبابال، تُرعد فرائصهما من هول ذلك اليوم ومخافة الرحمن، حتى إذا كانا حيال العرش خرا لهما ساجدين؛ فيقولان: إلهنا قد علمت طاعتنا ودءوبنا في عبادتك، وسرعتنا للمضى^(٥) في أمرك أيام الدنيا ، فلا تُعذبنا بعبادة المشركين إيانا، فلما لم ندع إلى عبادتنا ، ولم نذهل عن عبادتك! قال: فيقول الرب تبارك وتعالى: صدقما، وإني قضيت على نفسي أن أبدئ وأعيد ، وإني معيدكما فيما بدأتكما منه ، فارجعا إلى ما خلقتما منه ،

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « كان » .

(٢) ١ : « لاط » ، و لاط الحوض بالطين ولطه : طينه .

(٣) اللقمة ، بالكسر : الناقة الحلوب .

(٤) سورة النكبات ٥٣

(٥) ١ : « المضى » ، ن : « بالمضى » .

قالا : إلهنا ، ومِمَّ خلقتنا؟ قال : خلقتكما من نور عرشي ، فارجعا إليه . قال : ٧٤/١
فيلتمع من كل واحد منهما بركة تكاد تَخْطَفُ الأبصار نوراً ، فتختلط بنور
العرش . فذلك قوله عز وجل : ﴿ يَبْدِي وَيُعِيدُ ﴾^(١) .

قال عكرمة : فقامت مع النفر الذين حَدَّثُوا به ، حتى أتينا كعباً فأخبرناه
بما كان من وجد ابن عباس من حديثه ، وبما^(٢) حدث عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فقام كعب معنا حتى أتينا ابن عباس ، فقال : قد بلغني ما كان من
وجدك من حديثي ، وأستغفر الله وأتوب إليه ، وإني إنما حدثت عن كتاب
دارسٍ قد تداولته الأيدي ، ولا أدري ما كان فيه من تبديل اليهود ، وإنك
حدثت عن كتاب جديد حديث العهد بالرحمن عز وجل وعن سيد الأنبياء
وخير النبيين ، فأنا أحب أن تحدثني الحديث فأحفظه عنك ، فإذا حدثت
به كان مكان حديثي الأول .

قال عكرمة : فأعاد عليه ابن عباس الحديث ، وأنا أستقره في قلبي
باباً باباً ، فما زاد شيئاً ولا نقص ، ولا قدم شيئاً ولا أخر ، فزادني ذلك في ابن
عباس رغبة ، وللحديث حفظاً^(٣) .

• • •

ومما روى عن السلف في ذلك ما حدثناه ابن حميد ، قال :
حدثنا جرير ، عن عبد العزيز بن رُفَيْع ، عن أبي الطفيل ، قال : قال
ابن الكواء لعل عليه السلام : يا أمير المؤمنين ، ما هذه اللطخة التي في القمر؟
فقال : ويحك ! أما تقرأ القرآن : ﴿ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ ﴾^(١) ! فهذه محوه .

(١) سورة البروج ١٣ .

(٢) ط : « وما » .

(٣) أورد ابن الأثير في الكامل : (١ : ١٤-١٥) هذا الخبر مختصراً ؛ ولم يذكر تفصيل
ما فيه من أشياء ؛ ثم قال : « عرضت عنها لمنافاتها العقول ، ولو صح إسنادها لذكرناها وقلنا
به ؛ ولكن الحديث غير صحيح ؛ ومثل هذا الأمر العظيم لا يجوز أن يسطر في الكتب بمثل هذا
الإسناد الضعيف » ، ونقله أيضاً السيوطي في اللآلئ المصنوعة ١ : ٤٥-٦٠ من طريقين آخرين ؛
وقال عنه : « موضوع ، في إسناده مجاهيل وضعفاء » .

(٤) سورة الإسراء ١٢ .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا طلق ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن علي بن ربيعة ، قال : سألت ابن الكواء علياً عليه السلام فقال : ما هذا السواد في القمر؟ فقال علي : ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾^(١) ، هو المحو^(٢) .

٧٥/١

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبيد بن عمير ، قال : كنت عند علي عليه السلام ، فسأله ابن الكواء عن السواد الذي في القمر فقال : ذاك آية الليل محيت^(٣) .

حدثنا ابن أبي الشوارب ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا عمران بن حدير ، عن رفيع^(٤) ، أبي كثيرة ، قال : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : سلوا عما شئتم ، فقام ابن الكواء فقال : ما السواد الذي في القمر؟ فقال : قاتلك الله ! هلا سألت عن أمر دينك وآخرتك ! ثم قال : ذاك محو الليل .

حدثنا زكرياء بن يحيى بن أبان المصري ، قال : حدثنا ابن عفير ، قال : حدثنا ابن لهيعة ، عن حبي بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أن رجلاً قال لعلي رضي الله عنه : ما السواد الذي في القمر؟ قال : إن الله يقول : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾^(١) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿وَجَعَلْنَا

(١) سورة الإسراء ١٢ .

(٢) الخبر في التفسير ١٥ : ٣٨ (بولاق) .

(٣) الخبر في التفسير ١٥ : ٣٨ (بولاق) .

(٤) ط : « ابن أبي كثيرة » ، وفي التفسير : « رفيع بن أبي كثير » ؛ والصواب

ما أثبتته ؛ ذكره أبو حاتم الرازي في الجرح والتعديل ٥١٠/٢/١ والدولابي في الكنى ٩٠

اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ ﴿١﴾ ، قال : هو السواد بالليل .
 حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ،
 عن ابن جريج قال : قال ابن عباس : كان القمر يضيء كما تضيء الشمس ،
 والقمر آية الليل ، والشمس آية النهار ، ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ ، السواد الذي في
 القمر .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن أبي زائدة ، قال : ذكر
 ابن جريج عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ ،
 قال : الشمس آية النهار ، والقمر آية الليل ، ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ ، قال : السواد
 الذي في القمر ، كذلك خلقه الله .

حدثنا القاسم ، قال : حدثني الحسين ، قال : حدثني حجاج ،
 عن ابن جريج ، عن مجاهد : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ ، قال : ليلاً ونهاراً
 كذلك خلقهما الله عز وجل .

قال ابن جريج : وأخبرنا عبد الله بن كثير ، قال : ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ
 وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ ، قال : ظلمة الليل وسداف النهار .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا
 سعيد عن قتادة ، قوله عز وجل : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ
 اللَّيْلِ﴾ ، كنا نحدث أن محو آية الليل سواد القمر الذي فيه ، ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ
 النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ ، منيرة ، وخلق الشمس أنور من القمر وأعظم .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا
 عيسى^(١) . وحدثني الحارث^(٢) ، قال : حدثنا الحسن ، قال : حدثنا ورقاء ،
 جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ ،
 قال : ليلاً ونهاراً ، كذلك جعلهما الله عز وجل .

(١) هو عيسى بن ميمون الجرشى ، روى عنه أبو عاصم النبيل . تهذيب التهذيب ٨ : ٢٣٥ .

(٢) هو الحارث بن عماد بن أسامة . تاريخ بغداد ٨ : ٢١٨ .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إن الله تعالى ذكره خلق شمس النهار وقمر الليل آيتين ، فجعل آية النهار التي هي الشمس مبصرةً يبصر بها ، ومحا آية الليل التي هي القمر^(١) بالسواد الذي فيه . وجائز أن يكون الله تعالى ذكره خلَقَهُما شمسين من نور عرشه ، ثم محا نور القمر بالليل على نحو ما قاله مَنْ ذكرنا قوله ، فكان ذلك سبب اختلاف حالتيهما .

وجائز أن يكون إضاءة الشمس للكسوة التي تُكساها من ضوء العرش ، ونور القمر من الكسوة التي يكساها من نور الكرسي .

٧٧/١

ولو صحَّ سندُ أحد الخبرين اللذين ذكرتهما^(٢) لقلنا به ؛ ولكن في أسانيدهما^(٣) نظراً ؛ فلم نستجز قطع القول بتصحيح ما فيهما من الخبر عن سبب اختلاف حال الشمس والقمر ؛ غير أننا بيقين نعلم^(٤) أن الله عزَّ وجلَّ خالف بين صفتيهما في الإضاءة لما كان أعلم به من صلاح خلقه باختلاف أمريهما ، فخالف بينهما ، فجعل أحدهما مضيئاً مبصراً به ، والآخر ممحوً الضوء .

وإنما ذكرنا قدر ما ذكرنا من أمر الشمس والقمر في كتابنا هذا ، وإن كنا قد أعرضنا عن ذكر كثير من أمرهما وأخبارهما ، مع إعراضنا عن ذكر بدء خلق الله السموات والأرض وصفة ذلك ، وسائر ما تركنا ذكره من جميع خلق الله في هذا الكتاب ؛ لأنَّ قصدنا في كتابنا هذا ذكر ما قدمنا الخبر عنه أننا ذاكره فيه من ذكر الأزمنة وتاريخ الملوك والأنبياء والرسل ، على ما قد شرطنا في أول هذا الكتاب ، وكانت التواريخ والأزمنة إنما توقَّت بالليالي والأيام التي إنما هي مقادير ساعات جري الشمس والقمر في أفلاكهما على ما قد ذكرنا في الأخبار التي رويناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ما كان قبل

(١) : « قمر » .

(٢) انظر صفحتي ٦٤ ، ٦٥ .

(٣) : « ولكن في أسانيدهما نظر » .

(٤) كذا في ط ، وفي س : « نعلم بيقين » ، وفي ن : « نتيقن ونعلم » ، وفي ا ، ك

« نتيقن بعلم » .

خلق الله عزّ ذكره إياهما من خلقه في غير أوقات ولا ساعات ولا ليل ولا نهار .

• • •

وإذ كنّا قد بينا مقدار مدة ما بين أول ابتداء الله عزّ وجلّ في إنشاء ما أراد إنشاءه من خلقه إلى حين فراغه من إنشاء جميعهم من سني الدنيا ومدة أزمانها بالشواهد التي استشهدنا بها^(١) من الآثار والأخبار ، وأتينا على القول في مدة ما بعد أن فرغ من خلق جميعه إلى فناء الجميع بالأدلة التي دللنا بها على صحة ذلك من الأخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة وغيرهم من علماء الأمة ، وكان الغرض في كتابنا هذا ذكر ما قد بينا أنا ذاكره من تاريخ الملوك الجبابرة العاصية ربّتها عزّ وجلّ والمطبعة ربها منهم ، وأزمان الرسل والأنبياء ، وكنا قد أتينا على ذكر ما به تصحّ التاريخات ، وتعرف به الأوقات والساعات ، وذلك الشمس والقمر اللذان بأحدهما تُدرّك معرفة ساعات الليل وأوقاته ، وبالأخر تُدرّك علم ساعات النهار وأوقاته . فلنقل الآن في أول من أعطاه الله ملكاً ، وأنعم عليه فكفر نعمته ، وجحد ربوبيته ، وعتّا على ربه واستكبر ، فسلبه الله نعمته ، وأخزاه وأذله . ثمّ تُتبعه ذكر من استنّ في ذلك سنته ، واقتنى فيه أثره ، فأحلّ الله به نعمته ، وجعله من شيعة ، وألحقه به في الخزي والذلّ . ونذكر من كان بإزائه أو بعده من الملوك المطبعة ربها المحمودة آثارها ، أو من الرسل والأنبياء إن شاء الله عزّ وجلّ .

• • •

فأولهم وإمامهم في ذلك ورئيسهم وقائدهم فيه إبليس لعنه الله . وكان الله عزّ وجلّ قد أحسن^(٢) خلقه وشرفه وكرّمه وملّكه على سماء^(٣) الدنيا والأرض فيما ذكر ، وجعله مع ذلك من خزّان الجنة ، فاستكبر على ربه

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « استشهدناها » .

(٢) ط : « حسن » .

(٣) كذا في ١ ، وفي ط : « السماء الدنيا » .

وإدعى الربوبية ، ودعا مَنْ كان تحت يده فيما ذكر إلى عبادته ، فسخه الله تعالى شيطاناً رجماً . وشوّه خلقه ، وسلبه ما كان حوله ، ولعنه وطرده عن سمواته في العاجل ، ثم جعل مسكنه ومسكن أتباعه وشيعته في الآخرة نار جهنم ، نعوذ بالله من غضبه . ومن عمل يقرب من غضبه ، ومن الحور بعد الكور ^(١) .

٧٩/١

ونبدأ بذكر جمل من الأخبار الواردة عن السلف بما كان الله عز وجل أعطاه من الكرامة قبل استكباره عليه ، وإدعائه ما لم يكن له ادعائه . ثم ننتبع ذلك ما كان من الأحداث في أيام سلطانه وملكه إلى حين زوال ذلك عنه ، والسبب الذي به زال عنه ما كان فيه من نعمة الله عليه ، وجميل آلائه ^(٢) ، وغير ذلك من أموره ^(٣) ، إن شاء الله مختصراً .

ع

(١) أصله في الحديث : « نعوذ بالله من الحور بعد الكور » . قال ابن الأثير
 في من التنقيح بعد الزيادة . وقيل : من فساد أمورنا بعد صلاحها ، وقيل من الرجوع عن
 الجماعة بعد أن كسبها ، وأصله من نقض المصانعة بعد لفها . النهاية ١ : ٢٦٩ .
 (٢) « بلائه » .
 (٣) ط : « أمره » ، وما أثبتته عن .

ذكر الأخبار الواردة بأن إبليس كان له ملك السماء الدنيا والأرض وما بين ذلك

حدثنا القاسم بن الحسين ، قال : حدثنا الحسين بن داود ،
قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : كان إبليس
من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيلة ، وكان خازناً على الجنان ، وكان له سلطان
سماء الدنيا ، وكان له سلطان الأرض .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ،
عن ابن جريج ، عن صالح مولى التوءمة وشريك بن أبي نمر - أحدهما أو كلاهما -
عن ابن عباس ، قال : إن من الملائكة قبيلة من الجن وكان إبليس منها ،
وكان يسوس ما بين السماء والأرض .

حدثنا موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حمّاد ،
قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن
أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود ، وعن ناس من
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : جعل إبليس على سماء الدنيا ، وكان
من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن ، وإنما سموا الجن لأنهم خزان الجنة ، وكان
إبليس مع ملكه خازناً .

حدثني عبدان المروزي ، حدثني الحسين بن الفرج ، قال : سمعت
أبا معاذ الفضل بن خالد قال : أخبرنا عبيد الله بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك
ابن مزاحم يقول في قوله عز وجل : ﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾^(١) ،
قال : كان ابن عباس يقول : إن إبليس كان من أشرف^(٢) الملائكة وأكرمهم

(١) سورة الكهف ٥٠

(٢) كذا في ز و ق ط : « أشرف » .

قبيلة ، وكان خازناً على الجنان ، وكان له سلطان سماء الدنيا ، وكان له سلطان الأرض .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا المبارك بن مجاهد أبو الأزهر ، عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر ، عن صالح مولى التوءمة . عن ابن عباس ، قال : إن من الملائكة قبيلة يقال لهم الجن ، فكان إبليس منهم ، وكان يسوس ما بين السماء والأرض فعصى ، فسخه الله شيطاناً رجيماً .

ذكر الخبر عن غمط عدو الله نعمة ربه واستكباره عليه وادعائه الربوبية

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ ﴾^(١) قال : قال ، ابن جريج : من يقل من الملائكة إني إله من دونه ، فلم يقله إلا إبليس ، دعا إلى عبادة نفسه ، فنزلت هذه الآية في إبليس .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ ، وإنما كانت^(٢) هذه الآية خاصة لعدو الله إبليس لما قال ٨١/١ ما قال ، لعنه الله وجعله رجبا ، فقال : ﴿ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾^(١) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ﴾^(١) ، قال : هي خاصة لإبليس .

(١) سورة الأنبياء . ٢٩ .

(٢) ١ : « وكان » .

القول في الأحداث التي كانت في أيام ملك إبليس وسلطانه والسبب الذي به هلك وادعى الربوبية

فمن الأحداث التي كانت في ملك عدو الله - إذ كان لله مطيعاً - ما ذكر لنا عن ابن عباس في الخبر الذي حدثناه أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك . عن ابن عباس ، قال : كان إبليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم : الجن^(١) خلقوا من نار السموم من بين الملائكة . قال : وكان اسمه الحارث . قال : وكان خازناً من خزائن الجنة . قال : وخلقت الملائكة كلهم من نور غير هذا الحي ، قال : وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار ، وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا أهببت ، قال : وخلق الإنسان من طين . فأول من سكن الأرض الجن فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء ، وقتل بعضهم بعضاً . قال : فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة وهم^(٢) هذا الحي الذين يقال لهم الجن . فقتلهم إبليس ومن معه حتى أحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال . فلما فعل إبليس ذلك اغتر في نفسه . وقال : قد صنعت شيئاً لم يصنعه أحد ، قال : فاطلع الله على ذلك من قلبه . ولم تطلع عليه الملائكة الذين كانوا معه .

٨٢/١

حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحاق بن الحجاج ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : إن الله خلق الملائكة يوم الأربعاء ، وخلق الجن يوم الخميس ، وخلق آدم يوم الجمعة ، قال : فكفر قوم من الجن ، فكانت الملائكة تهبط إليهم في الأرض فتقتلهم فكانت الدماء وكان الفساد في الأرض .

(١) كذا في ١ ، ط وابن الأثير ، بالجيم المعجمة ، والخبر في التفسير ١ : ٥٥ :

(العارف) وانظر حواشيه .

(٢) ط : « فهم » .

ذكر السبب الذي به هلك عدو الله وسولت له نفسه
من أجله الاستكبار على ربه عز وجل

اختلف السلف من الصحابة والتابعين في ذلك ، وقد ذكرنا أحد الأقوال
التي رُويت في ذلك عن ابن عباس ، وذلك ما ذكر الضحاك عنه ، أنه لما قتل
الجن الذين عصوا الله ، وأفسدوا في الأرض وشرّدهم ، أعجبتهم نفسه ورأى
في نفسه أن له بذلك من الفضيلة ما ليس لغيره .

• • •

والقول الثاني من الأقوال المروية في ذلك عن ابن عباس ، أنه كان ملك
سما الدنيا وسائسها ، وسائس ما بينها وبين الأرض ، وخازن الجنة ، مع اجتهاده في
العبادة ، فأعجب بنفسه ، ورأى أن له بذلك الفضل ، فاستكبر على ربه
عز وجل .

• ذكر الرواية عنه بذلك :

حدثنا موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ،
قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، في خبر ذكره عن أبي مالك وعن
أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : لما فرغ الله عز وجل من خلق ما أحب
استوى على العرش ، فجعل إبليس على ملك سما الدنيا وكان من قبيلة^(١)
من الملائكة يقال لهم الجن ، وإنما سُمّوا الجن لأنهم خزّان الجنة ، وكان
إبليس مع ملكه خازناً ، فوقع في صدره كبر ، وقال : ما أعطاني الله هذا
إلا لمزية ؛ هكذا حدثني موسى بن هارون .

(١) كذا في ط وتاريخ ابن كثير ١ : ٥٥ ، وفي ١ : « وكان قبيله » .

وحدثني به أحمد بن أبي خَيْشَمَةَ ، عن عمرو بن حماد ، قال (١) :
لمزبئة لى على الملائكة . فلما وقع ذلك الكيبر في نفسه اطلع الله عز وجل
على ذلك منه ، فقال الله للملائكة : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن ابن
إسحاق ، عن خَلَادِ بْنِ عَطَاءٍ ، عن طاوس ، عن ابن عباس ، قال : كان
إبليس قبل أن يركب المعصية من الملائكة اسمه عزازيل ، وكان من سكان
الأرض ، وكان من أشد الملائكة اجتهاداً ، وأكثرهم عنماً ، فذلك الذى
دعاه إلى الكيبر ، وكان من حى يسمون جنناً .

وحدثنا به ابن حميد مرة أخرى ، قال : حدثنا سلمة ، عن
ابن إسحاق ، عن خَلَادِ بْنِ عَطَاءٍ ، عن طاوس - أو مجاهد أبي الحجاج -
عن ابن عباس وغيره بنحوه ، إلا أنه قال : كان ملكاً من الملائكة اسمه عزازيل ،
وكان من سكان الأرض وعمّارها ، وكان سكان الأرض فيهم يسمون الجن
من بين الملائكة .

حدثنا ابن المنثى ، قال : حدثنا شيان ، قال : حدثنا سلام
ابن مسكين ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : كان إبليس رئيس
ملائكة سماء الدنيا .

• • •

والقول الثالث من الأقوال المروية عنه أنه كان يقول : السبب في ذلك
أنه كان من بقايا خلق خلقهم الله عز وجل ، فأمرهم بأمر فأبوا طاعته (٣) .

٨٤/١

• ذكر الرواية عنه بذلك :

(١) ١ : • فقال • .

(٢) سورة البقرة ٣٠

(٣) ن : • فأبوا عنه • .

حدثني محمد بن سنان القزّاز ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : إن الله خلق خلقاً فقال : اسجدوا لآدم ، فقالوا : لا نفعل ، قال : فبعث الله عليهم نارا ، ثم خلق خلقاً آخر فقال : إني خالق بشراً من طين فاسجدوا لآدم ، فأبوا ، فبعث الله عليهم ناراً فأحرقهم ، قال : ثم خلق هؤلاء فقال : ألا تسجدوا لآدم^(١) ! قالوا : نعم ، قال : وكان إبليس من أولئك الذين أبوا أن يسجدوا لآدم .

وقال آخرون : بل السبب في ذلك أنه كان من بقايا الجنّ الذين كانوا في الأرض ، فسفكوا فيها الدماء ، وأفسدوا فيها ، وعصوا ربهم ؛ فقاتلتهم الملائكة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا أبو سعيد اليمحمديّ إسماعيل بن إبراهيم ، قال : حدثني سوار بن الجعد اليمحمديّ ، عن شهر بن حوشب ، قوله : ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ^(٢) ﴾ ، قال : كان إبليس من الجنّ الذين طردتهم الملائكة ، فأسرّه بعض الملائكة فذهب به إلى السماء .

حدثني علي بن الحسن ، قال : حدثني أبو نصر أحمد بن محمد الخلال ، قال : حدثني سنيد بن داود ، قال : حدثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى ، عن موسى بن نُمَيْر وعثمان بن سعيد بن كامل ، عن سعد ابن مسعود ، قال : كانت الملائكة تقاتل الجنّ فسبى إبليس ، وكان صغيراً ، وكان مع الملائكة يتعبد معهم ، فلما أمروا أن يسجدوا لآدم سجّدوا وأبى إبليس ، فلذلك قال الله عزّ وجلّ : ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ^(٢) ﴾ .

• • •

(١) ١ : « اسجدوا لآدم » .

(٢) سورة الكهف ٥٠ .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال كما قال الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾^(١)؛ وجائز أن يكون فسوقه عن أمر ربه كان من أجل أنه كان من الجن ، وجائز^(٢) أن يكون من أجل إعجابه بنفسه لشدة اجتهاده كان في عبادة ربه ، وكثرة علمه ، وما كان أوتي من ملك السماء الدنيا والأرض وخزن الجنان^(٣) . وجائز أن يكون كان لغير ذلك من الأمور ، ولا يدرك^(٤) علم ذلك إلا بخبر تقوم به الحجة ، ولا خبر في ذلك عندنا كذلك ، والاختلاف في أمره على ما حكينا وروينا .

وقد قيل : إن سبب هلاكه كان من أجل أن الأرض كان فيها قبل آدم الجن ، فبعث الله إبليس قاضياً يقضي بينهم ، فلم يزل يقضي بينهم بالحق ألف سنة حتى سمي حكماً ، وسماه الله به ، وأوحى إليه اسمه ، فعند ذلك دخله الكبر ، فتعظم وتكبر ، وألقى بين الذين كان الله بعثه إليهم حكماً البأس والعداوة والبغضاء ، فاقتتلوا عند ذلك في الأرض ألف سنة فيما زعموا ؛ حتى إن خيولهم تخوض في دماهم ، قالوا : وذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ مَا فَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾^(٥) ؛ وقول الملائكة : ﴿ أَنْجَعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾^(٥) ! فبعث الله تعالى عند ذلك ناراً فأحرقهم . قالوا : فلما رأى إبليس ما نزل بقومه من العذاب عرج إلى السماء : فأقام عند الملائكة يعبد الله في السماء مجتهداً لم يعبده شيء من خلقه مثل عبادته ، فلم يزل مجتهداً في العبادة حتى خلق الله آدم ، فكان من أمره ومعصيته ربه ما كان .

٨٦/١

(١) سورة الكهف ٥٠

(٢ - ٢) ساقط من أ .

(٣) ر : لا يدري .

(٤) سورة ق ١٥

(٥) سورة البقرة ٣٠

القول في خلق آدم عليه السلام

وكان مما حدث في أيام سلطانه وملكه خلق الله تعالى ذكره أبانا آدم أبا البشر؛ وذلك لما أراد جلّ جلاله أن يطلع ملائكته على ما قد علم من انطواء إبليس على الكبر ولم يعلمه الملائكة، وأراد إظهار أمره لهم حين دنا أمره للبوارج، وملكه وسلطانه للزوال، فقال عزّ ذكره لما أراد ذلك للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، فأجابوه بأن قالوا [له] (١): ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ (٢)؛ فروى عن ابن عباس أن الملائكة قالت ذلك كذلك للذين (٣) قد كانوا عهدوا من أمر الجنّ الذين كانوا سكان الأرض قبل ذلك، فقالوا لربهم جلّ ثناؤه لما قال لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٢) أتجعل فيها من يكون فيها مثل الجنّ الذين كانوا فيها، فكانوا يسفكون فيها الدماء ويفسدون فيها ويعصونك، ونحن نسبح بحمّتك ونُقَدِّسُ لك، فقال الربّ تعالى ذكره لهم: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢)، يقول: أعلم ما لا تعلمون من انطواء إبليس على التكبر، وعزّميّ على خلافه أمرى، وتسويل نفسه له الباطل (٤) واغتراره، وأنا مبدئ ذلك لكم منه لترؤا ذلك منه عياناً.

٨٧/١

وقيل أقوال كثيرة في ذلك، قد حكينا منها جملاً في كتابنا المسمى: «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (٥)، فكرهنا إطالة الكتاب بذكر ذلك في هذا الموضع.

فلما أراد الله عزّ وجلّ أن يخلق آدم عليه السلام أمر بتربته أن تؤخذ من الأرض، كما حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا

(١) تكلّم من أ

(٢) سورة البقرة ٣٠

(٣) كذا في أ، وفي ط: «الذي».

(٤) ك: «الباطل».

(٥) كذا في ط، وفي أ، ر، ك: «الفرقان».

بشر بن عمارة ، عن أبي رَوْق ، عن الضحَّاك ، عن ابن عباس ؛ قال : ثم أمر
- يعنى الربّ تبارك وتعالى - بتربة آدم فرفعت ، فخلق الله آدم من طين
لازب - واللّازب اللّزج الطيّب - من حمماً مسنونٍ ؛ مُنتن ، قال :
وإنما كان حمماً مسنوناً بعد التراب . قال : فخلق منه آدم بيده .

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال :
حدثنا أسباط ، عن السُّدى - في خبر ذكره - عن أنى مالك وعن
أبى صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الخَمْدَانِي ، عن ابن مسعود - وعن ناس
من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . قال : قالت الملائكة : ﴿ أَتَجْمَلُ فِيهَا
مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ قَالَ
إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿ يعنى من شأن إبليس . فبعث الله جبرئيل عليه
السلام إلى الأرض ليأتيه بطين منها ، فقالت الأرض : إني أعوذ بالله منك أن تنقص
منى شيئاً وتشينى ، فرجع ولم يأخذ ، وقال : يا رب إنها عاذت بك فأعانتها ،
فبعث ميكائيل فعاذت منه فأعادها . فرجع . فقال كما قال جبرئيل .
فبعث ملك الموت فعاذت منه ، فقال : وأنا أعوذ بالله أن أرجع . ولم أنفذ
أمره ، فأخذ من وجه الأرض ، وخلط فلم يأخذ من مكان واحد ، وأخذ من
تربة حمراء وبيضاء وسوداء ، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين ، فصعد به قبلاً
التراب حتى عاد طيناً لازباً - واللّازب هو الذى يلتزق بفضه ببعض - ثم ترك
حتى تغير وأنتن ، وذلك حين يقول : ﴿ مِنْ حَمَمٍ مَسْنُونٍ ﴾ ^(١) ، قال : مُنتن .

٨٨/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب القُسمِي ، عن جعفر بن أبي
المغيرة ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس ، قال : بعث ربّ العزة عزّ
وجلّ إبليس ، فأخذ من أديم الأرض ، من عذبا ومِلْحِهَا ^(٢) ، فخلق منه آدم ،

(١) سورة الحجر ٢٦

(٢) ١ : « وما لها » .

ومن ثمَّ سُمِّيَ آدَمَ ، لأنه خلق من أديم الأرض ، ومن ثمَّ قال إبليس : ﴿أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقَ طِينًا﴾^(١) ، أي هذه الطينة أنا جئتُ بها .

حدثنا ابن المنثي ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا شعبة ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جببئر ، قال : إنما سُمِّيَ آدَمَ لأنه خلق من أديم الأرض .

حدثني أحمد بن إسحاق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جببئر ، قال : خلق آدم من أديم الأرض فُسِمِيَ آدَمَ .

حدثني أحمد بن إسحاق ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا عمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن عليّ رضي الله عنه ، قال : إن آدم خلق من أديم الأرض ، فيه الطيب والصالح والردىء ، فكلّ ذلك أنت راء في ولده الصالح والردىء .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن علبية ، عن عوف - وحدثنا محمد بن بشر وعمر بن شبة ، قالا : حدثنا يحيى بن سعيد ، قال : حدثنا عوف . وحدثنا ابن بشر ، قال : حدثنا ابن أبي عديّ ومحمد بن جعفر وعبد الوهاب الثقفي ، قالوا : حدثنا عوف . وحدثني محمد بن عمارة الأسديّ ، قال : حدثنا إسماعيل بن أبان ، قال : حدثنا عنبسة ، عن عوف الأعرابي - عن قسامة بن زهير ، عن أبي موسى الأشعريّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ؛ جاء منهم الأحمر ، والأسود ، والأبيض ، وبين ذلك . والسهل ، والحزن ، والخبيث ، والطيب ، ثم بلّت طيبته حتى صارت طينا لازبا ، ثم تركت حتى صارت حمأ مسنونا ، ثم تركت حتى صارت صلصالا

(١) سورة الإسراء ٦١ ، والخبر في التفسير ١٥ : ٨٠ (بولاق) .

كما قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾^(١) .

وحدثنا ابن بَشَّار ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي ، قالا : حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم البَطِين ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، قال : خُلِقَ آدَمُ مِنْ ثَلَاثَةِ : مِنْ صَلْصَالٍ ، وَمِنْ حَمَإٍ ، وَمِنْ طِينٍ لَازِبٍ . فَأَمَّا اللَّازِبُ فَالْحَيْدُ ، وَأَمَّا الْحَمَاءُ فَالْحَمَّةُ ، وَأَمَّا الصَّلْصَالُ فَالْتَرَابُ الْمَدْقَقُ ، وَيَعْنِي تَعَالَى ذِكْرَهُ بِقَوْلِهِ : ﴿مِنْ صَلْصَالٍ﴾ ؛ مِنْ طِينٍ يَابِسٍ لَهُ صَلْصَلَةٌ ، وَالصَّلْصَلَةُ : الصَّوْتُ .

وذكر أن الله تعالى ذكره لما خَمَّرَ طِينَةَ آدَمَ تَرَكَهَا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، وَقِيلَ أَرْبَعِينَ عَامًا جَسَدًا مَلْقَى .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة . عن أبي رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاك ، عن ابن عباس ، قال : أمر الله تبارك وتعالى بترية آدم فرفعت ، فخلق آدم من طين لازب من حمأ مسنون . قال : وإنما كان حمأ مسنوناً بعد التراب ؛ قال : فخلق منه آدم بيده ، قال : فكث أربعين ليلة جسداً ملقى ، فكان إبليس يأتيه فيضربه برجله ، فيصلصل فيصوت . قال : فهو قول الله تبارك وتعالى : ﴿مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾^(٢) ؛ يقول : كالشيء المنفرج الذي ليس بمصمت ، قال : ثم يدخل في فيه ويخرج من دُبُرِهِ . ويدخل في دُبُرِهِ ويخرج من فيه ، ثم يقول : لست شيئاً للصلصلة ، وأشيء مما خلقت ، ولئن سلطت عليك لأهلكنك ، ولئن سلطت علي لأعصينك^(٣) .

(١) سورة الحجر ٢٦

(٢) - سورة الرحمن ١٤

(٣) الخبر في التفسير ٢٧ : ٧٣ (بولاق) .

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حمّاد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السديّ - في الخبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهَمْدَانِي عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الله للملائكة : ﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ . فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ ^(١) ؛ فخلق الله عز وجلّ بيديه لكيلا يتكبر إبليس عنه ^(٢) ليقول حين يتكبر : ^(٣) تنكبرت عما عملت بيدي ولم أتكبر أنا عنه ! فخلقه بشراً ، فكان جسداً من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة ، فمرت به الملائكة ففرغوا منه لما رأوه ، وكان أشدّهم فرغاً إبليس ، فكان يمرّ به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخّار تكون له صلصلة ، فذلك حين يقول : ﴿ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ ، ويقول : لأمر ما خلقت . ودخل ^{٩١/١} من فيه وخرج من دُبُرِهِ ، فقال للملائكة : لا ترهبوا من هذا ؛ فإن ربكم صَمَدٌ ^(٤) وهذا أجوف ، لئن سلطت عليه لأهلكته ^(٥) .

وحدثنا عن الحسن بن بلال ، قال : حدثنا حمّاد بن سلمة ، عن سليمان التيميّ ، عن أبي عثمان النهديّ ، عن سلمان الفارسيّ ، قال : خمر الله تعالى طينة آدم عليه السلام أربعين يوماً . ثم جمعه بيديه ، فخرج طيبه يمينه ، وخبثه بشماله ، ثم مسح يديه إحداهما على الأخرى ، فخلط بعضه ببعض ، فنمّ يخرج الطيب من الخبيث ، والخبيث من الطيب .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : يقال - والله أعلم : خالق الله آدم ، ثم وخرمه ينظر إليه أربعين يوماً ^(٦) قبل أن ينفخ فيه الروح ، حتى عاد صلصالاً كالفخّار ، ولم تمسه نار ^(٧) ، قال : فلما

(١) سورة ص ٧١ ، ٧٢

(٢) ر ، ن : « عليه » .

(٣) ط : « تكبر » .

(٤) الصمد ، بفتحين : المصمت الذي لا جوف له .

(٥) ر : « لأهلكته » .

(٦) ا : « عاماً » .

(٧) ن : « النار » .

مضى له من المدّة ما مضى وهو طين صلصال كالفخّار؛ وأراد عزّ وجلّ أن
ينفخ فيه الروح؛ تقدّم إلى الملائكة فقال لهم: إذا نفختُ فيه من روحي
فقدّموا له ساجدين.

• • •

فلما نفخ فيه الروح أتته الروح من قبل رأسه، فيما ذكر عن السلف
قبلنا أنهم قالوه.

• ذكر من قال ذلك:

حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا
أسباط، عن السديّ - في خبر ذكره - عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن
ابن عباس - وعن مرّة الهمدانيّ، عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب
النبيّ صلى الله عليه وسلم: فلما بلغ الحين الذي أراد^(١) الله عزّ وجلّ أن ينفخ
فيه الروح قال للملائكة: إذا نفختُ فيه من روحي فاسجدوا له، فلما نفخ
فيه الروح فدخل الروح، في رأسه عطّس، فقالت الملائكة: قل الحمد لله،
فقال: الحمد لله، فقال الله عزّ وجلّ له: رحمك ربّك. فلما دخل الروح في
عينيه نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخل في جوفه إشتهى الطعام، فوثب قبل أن
تبلغ الروح رجليه عَجَلان إلى ثمار الجنة، فذلك حين يقول: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ
مِنْ عَجَلٍ﴾^(٢)، ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ • إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ
يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾^(٣)، ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٤)،
فقال الله له: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾^(٥) لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِي، قال:
أنا خير منه، لم أكن لأسجدَ لبشر خلقتَه من طين، قال الله له:
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ الْإِنْسَانَ - أَنْ تَكُونَ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

٩٢/١

(١) ١: • يريد • .

(٢) سورة الأنبياء ٣٧

(٣) سورة الحجر ٣١

(٤) سورة البقرة ٣٤

(٥) سورة الأعراف ١٢

فِيهَا فَأَخْرُجُ إِيَّاكَ مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿١﴾ ، وَالصَّغَارِ الذَّلَّ .

حدثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن
عمارة ، عن أبي رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابن عباس ، قال : فلما نفخ
الله عزَّ وجلَّ فيه - يعني في آدم - مِنْ رُوحِهِ أتت النفخة من قِبَلِ رَأْسِهِ ،
فجعل لا يجرى شيء منها في جسده إلا صار لحمًا ودمًا ، فلما انتهت النفخة
إلى سرتِه نظر إلى جسده فأعجبه ما رأى من حسنه ، فذهب لينهض فلم يقدر ، فهو
قول الله عزَّ وجلَّ ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ^(٢) ، قال : ضَجْرًا لا صبر
له على سراء ولا ضراء ، قال : فلما تمت النفخة في جسده عطس فقال : الحمد
لله ربِّ العالمين ، بإلهام الله ، فقال : يرحمك الله يا آدم ، ثم قال للملائكة
الذين كانوا مع إبليس خاصة دون الملائكة الذين في السموات : اسجدوا
لآدم ؛ فسجدوا كلُّهمُ أجمعون إلا إبليس أبى واستكبر ، لما كان حدثت به نفسه
من كبره واغتراره ، فقال : لا أسجد ، وأنا خير منه وأكبر سنًا ، وأقوى خلقًا ،
﴿ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ ^(٣) ، يقول : إن النار أقوى من الطين ،
قال : فلما أبى إبليس أن يسجد أبلسه الله تعالى ، أيَّسه ^(٤) من الخير كله ،
وجعله شيطانًا رجيمًا عقوبة لمعصيته .

حدثنا ابن حميد ، قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال :
فيقال - والله أعلم - : إنه لما انتهى الروحُ إلى رأسه عطس فقال : الحمد لله ،
قال : فقال له ربه : يرحمك ربك ، ووقعت الملائكة حين استوى سجوداً
له ، حفظاً لعهد الله الذي عهد إليهم ، وطاعة لأمره الذي أمرهم به ، وقام عدوُّ
الله إبليس من بينهم ، فلم يسجد متكبراً ^(٥) متعظماً بغياً وحسداً ، فقال :
﴿ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي ﴾ لَمَّا خَلَقْتُ بِإَيْدِي : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ

(١) سورة الأعراف ١٣

(٢) سورة الأنبياء ٣٧

(٣) سورة ص ٧٦

(٤) ن : « وآيسه » ، ا : « آيسه » .

(٥) ا : « مكابرا » .

جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ^(١)، قال: فلما فرغ الله تعالى من إبليس ومعانته وأبى إلا المعصية أوقع الله تعالى عليه اللعنة، وأخرجه من الجنة .

حدثني محمد بن خلف ، قال : حدثنا آدم بن أبي إياس ، قال : حدثنا أبو خالد سليمان بن حيّان ، قال : حدثني محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، عليه السلام . قال أبو خالد : [وحدثني الأعمش عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه] . قال أبو خالد : وحدثني داود بن أبي هند عن الشعبي ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال أبو خالد : وحدثني ابن أبي ذباب الدؤسي ، قال : حدثني سعيد المقبري ، ويزيد بن هرمز عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه أنه قال : «خلق الله عزّ وجلّ آدم بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا له ، فجلس فعطس فقال : الحمد لله ، فقال له ربه : يرحمك ربك ، إيت أولئك الملائكة فقل لهم : السلام عليكم . فأتاهم فقال : السلام عليكم ، فقالوا له : وعليك السلام ورحمة الله ، ثم رجع إلى ربه عزّ وجلّ فقال له : هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم . فلما أظهر إبليس من نفسه ما كان له مخفياً فيها من الكبر والمعصية لربه ، وكانت الملائكة قد قالت لربها عزّ وجلّ حين قال لهم : إني جاعل في الأرض خليفة : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . فقال لهم ربهم : إني أعلم ما لا تعلمون ، تبين لهم ما كان عنهم مستتراً ، وعلموا أن فيهم من منه المعصية لله عزّ وجلّ والخلاف لأمره .

• •

ثم علّم الله عزّ وجلّ آدم الأسماء كلها . واختلف السلف من أهل العلم قبلنا في الأسماء التي علّمها آدم : أخصاً من الأسماء علّم ، أم عاماً ؟ فقال بعضهم : علّم اسم كل شيء .

(١) سورة ص ٧٥ - ٨٥

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر ابن عُمارة ، عن أبي رَوْق ، عن الضحّاك ، عن ابن عباس ، قال : علم الله تعالى آدم الأسماء كلها ، وهي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس : إنسان ، ودابة ، وأرض ، وسهل ، وبحر ، وجبل ، وحمار ، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها .

حدثني أحمد بن إسحاق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد ، حدثنا شريك ، عن عاصم بن كليب ، عن الحسن بن سعد ، عن ابن عباس ، في قوله : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ ،^(١) قال : علمه اسم كل شيء ، حتى الفسوة والفسية .

حدثني علي بن الحسن ، حدثنا مسلم الجرمي^(٢) ، قال : حدثنا محمد بن مصعب ، عن قيس بن الربيع ، عن عاصم بن كليب ، عن سعيد بن معبد ، عن ابن عباس في قول الله عز وجل : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ قال : علمه اسم كل شيء حتى الهنة والهنية ، والفسوة والضرطة .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى ابن ميمون ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله عز وجل : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ قال : ما خلق الله تعالى كله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفیان ، عن خصيف ، عن مجاهد : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ قال : علمه اسم كل شيء .

(١) سورة البقرة ٣١

(٢) ط : « وحدثنا مسلم » ؛ والصواب ما أثبتته عن ١ ، والتفسير ١ : ٤٨٤

(٧)

حدثنا سفيان ، قال : حدثنا أبي ، عن شريك ، عن سالم الأفظس ،
عن سعيد بن جبّير ، قال : علّمه اسم كل شيء ؛ حتى البعير ،
والبقرة ، والشاة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا
مَعْمَرٌ ، عن قتادة في قوله عز وجل : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ ،
قال : علّمه اسم كل شيء : هذا جبل ، وهذا بحر ، وهذا كذا . وهذا كذا .
لكل شيء . ثم عرضهم^(١) على الملائكة ، فقال : ﴿ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ ،
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٢) .

حدثنا بشر بن معاذ ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة .
قوله عز وجل : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ حتى بلغ ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ
الْحَكِيمُ ﴾^(٣) ، قال : يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فأنبا كل صنف من الخلق
باسمه ، وألجأه إلى جنسه .

حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين [بن داود]^(٤) ؛
قال : حدثنا حجاج ، عن جرير بن حازم ومبارك ، عن الحسن وأبي بكر ،
عن الحسن وقاتادة ، قالا : علّمه اسم كل شيء ؛ هذه الخيل ، وهذه البغال ،
والإبل ، والجن ، والوحش ، وجعل يسمي كل شيء برسمه .

• • •

وقال آخرون : بل إنما علّمه اسما خاصا من الأسماء^(٥) ، قالوا : والذي علّمه
أسماء الملائكة .

• ذكر من قال ذلك :

(١) كذا في ط ، وفي ا ، ر ، س : « ثم عرض تلك الأسماء » .

(٢) سورة البقرة ٣١ .

(٣) سورة البقرة ٣٢ .

(٤) تكملة من ا .

(٥) ن : « الأشياء » .

حدثني عبدة المروزي ، قال : حدثنا عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع^(١) ، قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ ، قال : أسماء الملائكة .

وقال آخرون مثل قول هؤلاء في أن الذي علم آدم [من]^(٢) الأسماء [اسما]^(٣) خاصاً من الأشياء ؛ غير أنهم قالوا : الذي علم من ذلك أسماء ذريته .

• • •

ذکر من قال ذلك :

٩٧/١

حدثني يونس ، قال : حدثنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله عز وجل : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ ، قال : أسماء ذريته ، فلما علم الله آدم الأسماء كلها عرض الله عز وجل أهل الأسماء على الملائكة ، فقال لهم : ﴿ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٤) ، وإنما قال ذلك عز وجل للملائكة - فيما ذكر - لقولهم إذ قال لهم : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾^(٥) فعرض - بعد أن خلق آدم عليه السلام ونفخ فيه الروح ، وعلمه أسماء كل شيء - مما^(٥) خلق من الخلق - عليهم ، فقال لهم : أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين أنتي إن جعلت منكم خليفتي في الأرض أطيعوني وسببحتموني وقدستموني ولم تعصوني ، وإن جعلته من غيركم أفسد فيها وسفك ، فإنكم إن لم تعلموا ما أسماؤهم وأنتم مشاهدوهم ومعابنهم ، فأنتم بالآل تعلموا ما يكون من أمركم - إن جعلت خليفتي في الأرض منكم ، أو من غيركم إن جعلته من غيركم ، فهم عن أبصاركم غيب لا ترونهم ولا تعابنونهم ، ولم تخبروا بما هو كائن منكم ومنهم - أحترى .

• • •

(١) هو أبو جعفر الرازي ، والربيع هو ابن أنس ، وانظر تهذيب التهذيب ٣ : ٢٢٨ ،

١٢٩ : ٥٦ .

(٢) تكله من ا . (٤) سورة البقرة ٣٠ .

(٣) سورة البقرة ٣١ . (٥) ط « ما خلق » وما أثبتته من ا ، ر .

وهذا قول روى عن جماعة من السلف .

• ذكر بعض من روى ذلك عنه :

٩٨/١

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثني عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدّي - في خبر ذكره - عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني ، عن عبد الله بن مسعود - وعن ناسٍ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أن بنى آدم يُفسلون في الأرض ويسفكون الدماء .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ، إن كنتم تعلمون ليم أجعل في الأرض خليفة .

• • •

وقد قيل : إن الله جل جلاله قال ذلك للملائكة لأنه جل جلاله لما ابتداء في خلق آدم قالوا فيما بينهم : لِيُخْلَقَ رَبُّنَا مَا شَاءَ أَنْ يَخْلُقَ ، فلن يَخْلُقَ خَلْقًا إِلَّا كُنَّا أَعْلَمُ مِنْهُ ، وَأَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْهُ ، فلما خلق آدم عليه السلام وعلمه أسماء كل شيء عرض الأشياء التي علم آدم أسماءها عليهم ، فقال لهم : أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين في قبلكم : إن الله لم يخلق خلقاً إلا كنتم أعلم منه ، وأكرم عليه منه .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة : قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ الْمَلَائِكَةَ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ، فاستشار الملائكة في خلق آدم عليه السلام فقالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ ، وقد علمت الملائكة من علم الله أنه لا شيء أكره إلى الله عز وجل من سفك الدماء والفساد في الأرض ،

﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ، ٩٩/١
فكان^(١) في علم الله عز وجل أنه سيكون من تلك الخليقة^(٢) أنبياء ورسلاً وقوم
صالحون وساكنو الجنة .

قال : وذُكِرَ لنا أن ابن عباس كان يقول : إن الله تعالى لما أخذ في خلق
آدم قالت الملائكة : ما الله تعالى بخالق خلقاً أكرم عليه منا ، ولا أعلم
منا ، فابتلوا بخلق آدم عليه السلام - وكلّ خلق مبتلي ، كما ابتليت
السموات والأرض بالطاعة - فقال الله تعالى : ﴿ إِنِّي آتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا
أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾^(٣) .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثني حجاج ،
عن جرير بن حازم ، ومبارك عن الحسن وأبي بكر عن الحسن وقتادة
قالا : قال الله عز وجل للملائكة : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾
قال لهم : إني فاعل ، فعرضوا برأيهم ، فعلمهم علماً وطوى منهم علماً عليه
لا يعلمونه ، فقالوا بالعلم الذي علمهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ
الدِّمَاءَ ﴾ - وقد كانت الملائكة علمت من علم الله تعالى أنه لا ذنب
عزده الله تعالى أعظم من سفك الدماء - ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ
قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ، فلما أخذ تعالى في خلق آدم عليه السلام
همست الملائكة فيما بينهم ، فقالوا : ليخلق ربنا عز وجل ما شاء أن يخلق ، فلن يخلق
خلقاً إلا كنا أعلم منه ، وأكرم عليه منه ، فلما خلقه ونفخ فيه من روحه أمرهم
أن يسجدوا له لما قالوا ، فتمضيه عليهم ، فعلموا أنهم ليسوا بخير منه ، فقالوا :
إن لم نكن خيراً منه ، فنحن أعلم منه ، لأننا كنا قبله ، وخلقنا الأمم قبله ،

١٠٠/١

(١) ط : « وكان » وما أثبتته من أ .

(٢) كذا في أ : وفي ط « من ذلك الخليقة » .

(٣) سورة فصلت ١١

فلما أعجبوا بعلمهم ابتلوا ، فعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال : أنبئوني بأسماء هؤلاء ؛ إن كنتم صادقين أنى لم^(١) أخلق خلقاً إلا كنتم أعلم منه ، فأخبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا^(٢) : ففرع القوم إلى التوبة ، وإليها يفرع كل مؤمن ، فقالوا : ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾^(٣) . لقولهم : ليخلق ربنا ما شاء ، فلن يخلق خلقاً أكرم عليه منا ، ولا أعلم منا ، قال : علمه اسم كل شيء : هذه الخيل ، وهذه البغال ، والإبل ، والجن ، والوحش ، وجعل يسمى كل شيء باسمه ، وعرضت عليه أمة أمة ، قال : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ ، قال : أما ما أبدوا فقولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ ؛ وأما ما كتموا فقولهم^(٤) بعضهم لبعض : نحن خير منه وأعلم .

حدثنا عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه^(٥) ، عن الربيع بن أنس : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ ؛ قال : وذلك حين قالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ إلى قوله ﴿ وَنَقَدَسُ لَكَ ﴾ . قال : فلما عرفوا أنه جاعل في الأرض خليفة قالوا بينهم : لن يخلق الله تعالى خلقاً إلا كنا نحن أعلم منه وأكرم عليه ، فأراد الله تعالى أن يخبرهم أنه قد فضل عليهم آدم ، وعلمه الأسماء كلها ؛ وقال

١٠١/١

(١) : لا أخلق .

(٢) ط : قال « وما أثبتته عن ا .

(٣) سورة البقرة ٣٢ ، ٣٣

(٤) ا ، ن : « فقول بعضهم . (٥) هو أبو جعفر الرازي (عيسى بن أبي عيسى) .

للملائكة : ﴿ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ إلى ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ ، فكان الذي أبدوا حين قالوا : ﴿ أَتَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ ، وكان الذي كتموا بينهم [قولهم] ^(١) : لن يخلق ربنا خلقاً إلا كنا نحن أعلم منه وأكرم ، فعرفوا أن الله عز وجل فضل عليهم آدم في العلم والكرم .

فلما ظهر للملائكة من استكبار إبليس ما ظهر ، ومن خلافه أمر ربه ما كان مستتراً عنهم من ذلك ، عاتبه ^(٢) ربه على ما أظهر من معصيته إياه بتركه السجود لآدم ، فأصر على معصيته ، وأقام على غيه ^(٣) وطغيانه - لعنه الله - فأخرجه من الجنة ، وطرده منها ، وسلبه ما كان أتاه من ملك السماء الدنيا والأرض ، وعزله عن خزائن الجنة فقال له جل جلاله : ﴿ فَأَخْرِجْ مِنْهَا ﴾ ، يعني من الجنة ﴿ فَإِنَّكَ رَجِيمٌ . وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ^(٤) ، وهو بعد في السماء لم يهبط إلى الأرض .

وأسكن ^(٥) الله عز وجل حيثن آدم جنته ؛ كما حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي - في خبر ذكره - عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأخرج إبليس من الجنة حين لعن وأسكن آدم الجنة ، فكان يمشي فيها وحشياً ^(٦) ليس له زوج يسكن إليها ، فنام نومة فاستيقظ ؛ فإذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه ، فسألها : ما أنت ^(٧) ؟ قالت : امرأة ، قال : ولم تخلقت ؟ قالت :

(١) تكملة من ا

(٢) ط : « وعاتبه » ؛ وما أثبتته عن ا

(٣) س : « عيبه » .

(٤) سورة الحجر ٣٤ ، ٣٥

(٥) ط : « فأسكن » ، وما أثبتته عن ا

(٦) كذا في ا ، س ، وفي ط والتفسير : « وحشاً » .

(٧) ر والتفسير : « من أنت ؟ » .

لتسكن^(١) إلى ، قالت له الملائكة ينظرون ما بلغ علمه : ما اسمها يا آدم ؟ قال : حواء ، قالوا : لم سميت حواء ؟ قال : لأنها خلقت من شيء حتى ، فقال الله تعالى : ﴿ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ .^(٢)

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة^(٣) ، عن ابن إسحاق ، قال : لما فرغ الله تعالى من معاتبة إبليس أقبل على آدم عليه السلام وقد علمه الأسماء كلها ، فقال : ﴿ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ إلى ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾^(٤) ، قال : ثم ألقى السنة على آدم - فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم - عن عبد الله بن العباس وغيره ، ثم أخذ ضلعاً من أضلاعه من شقه الأيسر ، ولأم مكانها لحماً ، وآدم عليه السلام نائم لم يهت من نومه ، حتى خلق الله تعالى من ضلعه تلك زوجة حواء ، فسواها امرأة ليسكن إليها ، فلما كشف عنه السنة وهب من نومه رآها إلى جنبه ، فقال - فيما يزعمون والله أعلم : لحمي ودمي وزوجتي ، فسكن إليها ، فلما زوجه الله عز وجل وجعل له سكناً من نفسه ، قال له قبلاً^(٥) : ﴿ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى^(٦) ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد^(٧) في قوله عز وجل : ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا ﴾

١٠٣/١

(١) ر : « تسكن » .

(٢) سورة البقرة ٣٥ ، والحبر في التفسير ١ : ٥١٣ .

(٣) هو سلمة بن الفضل .

(٤) سورة البقرة ٣٣ ، وفي الأصول : إلى (إنك أنت العزيز الحكيم) ؛ وهو من الآية

التي قبلها .

(٥) قبلاً ، أي عياناً ، وانظر تفسير ابن كثير ١ : ٧٨ .

(٦) هو عيسى بن ميمون .

(٧) هو مجاهد بن جبر .

زَوْجَهَا ﴿^(١)﴾ . قال : حواء من قُصَيْرَى^(٢) آدم ، وهونائم فاستيقظ فقال :
« أئنا » بالنَّبَطِيَّة ، امرأة .

حدثنا المنثى^(٣) ، قال : حدثنا أبو حذيفة^(٤) ، قال : حدثنا شَيْبَل^(٥) ،
عن ابن أبي نَجِيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيْع ، قال : حدثنا
سعيد^(٦) ، عن قتادة : ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ، يعني حواء ، خلقت من
آدم من ضِلَعٍ من أضلاعه .

-
- (١) سورة النساء ١ .
(٢) القصيرى : أسفل الأضلاع .
(٣) المنثى بن إبراهيم الأمل .
(٤) أبو حذيفة (موسى بن مسعود الهندي) .
(٥) شبل بن عباد الحلبي .
(٦) سعيد بن أبي عروبة .

القول في ذكر امتحان الله تعالى أبانا آدم عليه السلام

وابتلائه إياه بما امتحنه به من طاعته، وذكر ركوب آدم بمعصية ربه بعد الذي كان أعطاه من كرامته وشريف المنزلة عنده، ومكثه في جنته من رغد العيش وهنيئه، وما أزال ذلك عنه، فصار من نعيم الجنة ولذيد رغد العيش إلى نكد عيش أهل الأرض وعلاج الحرث والعمل بالمساحي والزراعة فيها.

فلما أسكن الله عز وجل آدم عليه السلام وزوجه أطلق لهما أن يأكلا كل ما شاء أكله من كل ما فيها من ثمارها، غير ثمر شجرة واحدة ابتلاءً منه لهما بذلك، وليمضي قضاء الله فيهما وفي ذريتهما، كما قال عز وجل: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(١)، فوسوس لهما الشيطان حتى زين لهما أكل ما نهاهما ربُّهما عن أكله من ثمر تلك الشجرة، وحسن لهما معصية الله في ذلك، حتى أكلا منها؛ فبدت لهما من سوء آتئها ما كان مؤارياً^(٢) عنهما منها.

فكان^(٣) وصول عدو الله إبليس إلى تزوين ذلك لهما ما ذكر في الخبر الذي حدثني موسى بن هارون الهمداني، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي - في خبر ذكره - عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود - وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، قال: لما قال الله عز وجل لآدم: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، أراد إبليس أن يدخل عليهما الجنة

(١) سورة البقرة ٣٥

(٢) س: «متوارياً».

(٣) ١: «وكان».

فمنعه الخنزرة، فأتى الحية، وهي دابة لها أربع قوائم، كأنها البعير، وهي كأحسن الدواب فكلمها أن تدخله في فمها حتى تدخل به إلى آدم، فأدخلته في فمها، فمرت الحية على الخنزرة [فدخلت] ^(١) وهم لا يعلمون، لِمَا أراد الله عز وجل من الأمر، فكلّمه من فمها ولم يُبال كلامه، فخرج إليه فقال: ﴿يَا آدَمُ هَلْ أَذُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمَلِكٍ لَا يَبْلَى﴾ ^(٢)، يقول: هل أدلك على شجرة إن أكلت منها كنت ملكاً مثل الله تبارك وتعالى أو تكونا ^(٣) من الخالدين فلا تموتان أبداً. وحلف لهما بالله إنى لكما لمن الناصحين، وإنما أراد بذلك أن يبدي ^(٤) لهما ما توارى عنهما من ١٠٥/١ سوءاتهما بهتتك ^(٥) لباسهما، وكان قد علم أن لهما سوءة لما كان يقرأ من كتب الملائكة، ولم يكن آدم يعلم ذلك، وكان لباسهما الظنفر، فأبى آدم أن يأكل منها، فتقدمت حواء فأكلت، ثم قالت: يا آدم كُلْ، فإني قد أكلت، فلم يضرني، فلما أكل بدت لهما سوءاتهما، وطمعنا يَخْصِفَانِ عليهما من ورق الجنة ^(٦).

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن ليث ابن أبي سليم، عن طاوس اليماني، عن ابن عباس، قال: إن علو الله إبليس عرض نفسه على دواب الأرض: أيها ^(٧) تحمله حتى تدخل به الجنة حتى يكلم آدم وزوجه، فكلّ الدواب أبي ذلك عليه، حتى كلّم الحية، فقال لها: أمنعك من بني آدم، فأنت في ذمتي إن أنت أدخلتني الجنة، فجعلته بين نابيين من أنيابها ثم دخلت به، فكلّمهما من فمها ^(٨) وكانت كاسية تمشي على أربع قوائم، فأعراها الله تعالى وجعلها تمشي على بطنها، قال: يقول ابن عباس: اقتلوا حيث وجدتموها، وأخفروا ذمة علو الله فيها ^(٩).

(١) نكلة من ١

(٢) سورة طه ١٢٠

(٣) ا، س، ن: «أو تكون».

(٤) ا، ن والتفسير: «بذلك ليبيدي»، س: «ذلك ليبيدي».

(٥) س: «لهتك».

(٦) الخبر في التفسير ١: ٢٧٥.

(٧) س، ن: «أنها تحمله».

(٨) ا والتفسير: «من فمها».

(٩) الخبر في التفسير ١: ٥٣٠.

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ^(١) ، قال : أخبرنا
 عمر بن عبد الرحمن بن مَهْرِب ^(٢) ، قال : سمعت وهب بن منبه يقول :
 لما أسكن الله تعالى آدم وزوجته الجنة ، ونهاه عن الشجرة ، وكانت شجرة
 غصونها متشعب بعضها في بعض ، وكان لها ثمر تأكله الملائكة للخلد ، ^(٣)
 وهي الثمرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته ، فلما أراد إبليس أن يستزلهما دخل
 في جوف الحية ، وكان للحية أربع قوائم ، كأنها بُخْتِيَّة من أحسن دابة
 خلقها الله تعالى ، فلما دخلت الحية الجنة خرج من جوفها إبليس ، فأخذ
 من الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته ، فجاء بها إلى حواء ، فقال :
 انظري إلى هذه الشجرة ، ما أطيب ريحها ، وأطيب طعمها ، وأحسن لونها !
 فأخذت حواء فأكلت منها ، ثم ذهبت بها إلى آدم ، فقالت : انظر إلى هذه
 الشجرة ما أطيب ريحها ، وأطيب طعمها ، وأحسن لونها ! فأكل منها آدم ،
 فبدت لهما سواتهما ، فدخل آدم في جوف الشجرة ، فناداه ربه : يا آدم ،
 أين أنت ؟ قال : أنا هذا يا رب ، قال : ألا تخرج ؟ قال : أستحي منك
 يا رب ، قال : ملعونة الأرض التي خلقت منها لعنة حتى يتحول ثمارها شوكة !
 قال : ولم يكن في الجنة ولا في الأرض شجرة كانت أفضل من الطلع والسنبل .
 ثم قال : يا حواء ، أنت التي غررتِ عبدى ، فإنك لا تحمليين حملاً إلا
 حملته كرهاً ، فإذا أردت أن تضعي ما في بطنك أشرفتِ على الموت مراراً . وقال
 للحية : أنت التي دخل الملعون في بطنك حتى غرّ عبدى ، ملعونة أنت لعنة
 حتى تتحول قوائمك في بطنك ، ولا يكن لك رزق إلا التراب ، أنتِ عدوة
 بنى آدم وهم أعداؤك ، حيث لقيت أحداً منهم أخذتِ بعقبه ، وحيث
 لقيت شداًخ رأسك ^(٤) .

(١) هو عبد الرزاق بن همام . (٢) في ط : « عمر بن عبد الرحمن بن مهران » ؛
 وصوابه ما أثبتته من ١ ؛ وهو يوافق ما في التفسير .
 (٣) كذا في التفسير ؛ وفي ط : « بخلد » .
 (٤) الخبر في التفسير ١ : ٥٢٥ ، وانظر حواشيه .

قيل لوهب^(١) : وما كانت الملائكة تأكل ؟ قال : يفعل الله ما يشاء .

حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، ١٠٧/١
 قال : حدثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس ، قال : نهى
 الله تعالى آدم وحواء أن يأكلا من شجرة واحدة في الجنة ، ويأكلا منها رغداً
 حيث شاءا ، فجاء الشيطان فدخل في جوف الحية ، فكلتم حواء ، ووسوس
 إلى آدم فقال : ﴿ مَا نَهَا كُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا
 مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ . وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾^(٢)
 قال : فقطعت حواء الشجرة فدميت الشجرة ، وسقط عنهما ريشهما الذي كان عليهما ،
 ﴿ وَطَفِقَا يَخْضِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا
 عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلُّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾^(٣) لم أكلتها
 وقد نهيتك عنها ؟ قال : يا رب أطعمتني حواء ، قال لحواء : لم أطعمتني ؟ قالت :
 أمرتني الحية ، قال للحية : لم أمرتها ؟ قالت : أمرني إبليس ، قال : ملعونٌ مدحورٌ !
 أما أنت يا حواء ، فكما أدميت الشجرة تدمين في كل هلال ، وأما أنت
 يا حية ، فأقطع قوائمك فتمشين جرياً على وجهك ، وسيشدخ رأسك من
 لقبك بالحجر ، اهبطوا بعضكم لبعض عدو^(٤) .

حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي
 جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : حدثني نحدث أن الشيطان دخل الجنة
 في صورة دابة ذات قوائم ، فكان يرى أنه البعير ، قال : فليعن ، فسقطت
 قوائمه فصار حية^(٤) .

حدثت عن عمار ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن

(١) التفسير : « قال عمر قيل لوهب . . . »

(٢) سورة الأعراف ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢

(٣) الخبر في التفسير ١ : ٥٣٠ .

(٤) الخبر في التفسير ١ : ٥٢٨

أبيه ، عن الربيع قال : وحدثني أبو العالية ؛ قال : إن من الإبل ما كان أولها من الجن . قال : فأبيحت له الجنة كلها - يعني آدم - إلا الشجرة ، وقيل لهما : ﴿ لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾^(١) ، قال : فأتى الشيطان حواء فبدأ بها ، فقال : نهيتا عن شيء ؟ قالت : نعم ، عن هذه الشجرة ، فقال : ﴿ مَا نَهَا كَمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾^(٢) . قال : فبدأت^(٣) حواء فأكلت منها ، ثم أمرت آدم فأكل منها . قال : وكانت شجرة ، من أكل منها أحدث ، قال : ولا ينبغي أن يكون في الجنة حدث^(٤) ، قال : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾^(٥) ، قال : فأخرج آدم من الجنة^(٦) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم أن آدم عليه السلام حين دخل الجنة ورأى ما فيها من الكرامة ، وما أعطاه الله منها ؛ قال : لو أنا خلدنا^(٧) ! فاغتمز فيها منه الشيطان لما سمعها منه ، فأتاه من قبل الخلد^(٨) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثت^(٩) أن أول ما ابتدأهما به من كيد إياهما أنه ناح عليهما نياحة أحزنتهما^(١٠) حين سمعاها ، فقالا له : ما يبكيك ؟ قال : أبكى عليكما ،

(١) سورة البقرة ٣٥

(٢) سورة الأعراف ٢٠

(٣) كذا في الأصول ، وفي التفسير : « فبدأت » .

(٤) ن : « شيء من الحدث » .

(٥) سورة البقرة ٣٦

(٦) الخبر في التفسير ١ : ٥٢٨

(٧) كذا في ط ؛ وفي ا ، س ، ن : « لرأى خلدا » ، وفي التفسير : « لو أن

خلدا كان » .

(٨) الخبر في التفسير ١ : ٥٢٨

(٩) الخبر في التفسير ١ : ٥٢٩

(١٠) ا ، س « حزنتهما » .

تموتان فتفارقان ما أنما فيه من النعمة والكرامة . فوقع ذلك في أنفسهما ، ثم أتاهما فوسوس إليهما ، فقال : يا آدم هل أدلتك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ؟ وقال : ﴿ مَا تَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ . وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكَمَّا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ ، ١٠٩/١
 أى تكونان ملكين أو تخلدان ، أى إن لم تكونا ملكين في نعمة الجنة فلا تموتان^(١) يقول الله عز وجل : ﴿ فَذَلَّلَاهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ .

حدثني يونس^(٢) ، قال أخبرنا ابن وهب^(٣) ، قال : قال ابن زيد^(٤) في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ فَوَسَّوَسَ ﴾ : وسوس الشيطان إلى حواء في الشجرة حتى أتى بها إليها ، ثم حسنتها في عين آدم ، قال : فدعاها آدم لحاجته ، قالت : لا : إلا أن تأتيها هنا ، فلما أتى قالت : لا ، إلا أن تأكل من هذه الشجرة ، قال : فأكلا منها ، فبذت لهما سوءاتهما . قال : وذهب آدم هارباً في الجنة ، فناداه ربُّه : يا آدم ، أمتى تفرّ؟ قال : لا يارب ، ولكن حياءً منك ، قال : يا آدم ، أنى أتيت؟ قال : من قبل حواء يارب ، فقال الله عز وجل : فإن لها على أن أدميتها في كل شهر مرة ، كما أدمت^(٥) هذه الشجرة ، وأن أجعلها سفية ، وقد كنت خلقتها حليلة ، وأن أجعلها تحمل كرهاً وتضع كرهاً ، وقد كنت جعلتها تحمل يسراً وتضع يسراً . قال ابن زيد : ولولا البليّة التي أصابت حواء لكان نساء أهل الدنيا لا يحضن ، ولكنّ حليّات ، ولكنّ يحملن يسراً ، ويضعن يسراً^(٦) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة^(٧) ، عن محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيّط ، عن سعيد بن المسيّب ، قال : سمعته يحلف بالله ما يستثنى : ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ، ولكن حواء سقتة

- (١) في التفسير : « أى تكونا ملكين أو تخلدان إن لم تكونا ملكين » .
 (٢) يونس بن عبد الأهل .
 (٣) هو عبد الله .
 (٤) هو عبد الرحمن زيد بن أسلم .
 (٥) في التفسير : « كما أدمت » .
 (٦) الخبر في التفسير ١ : ٥٢٩ .
 (٧) هو سلمة بن الفضل الأبرش .

١١٠/١ الخمر حتى إذا سكير قادته إليها ، فأكل منها^(١) . فلما وقع آدم^(٢) وحواء الخطيئة ، أخرجهما الله تعالى من الجنة وسلبهما ما كانا فيه من النعمة والكرامة ، وأهبطهما وعدوهما إبليس والحية إلى الأرض ، فقال لهم ربهم : اهبطوا بعضكم لبعض عدوًا .

• • •

وكالذي قلنا في ذلك قال السلف من أهل العلم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثنا عبد الرحمن ابن مهدي ، عن إسرائيل^(٣) عن إسماعيل السدي ، قال : حدثني من سمع ابن عباس يقول : ﴿ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوًّا ﴾^(٤) ، قال : آدم وحواء وإبليس والحية .^(٥)

حدثنا سفيان بن وكيع ، وموسى بن هارون ، قالا : حدثنا عمرو ابن حماد ، عن أسباط ، عن السدي - في خبر ذكره - عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الممندانى ، عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوًّا ﴾ ، فلعن الحية فقطع قوائمها ، وتركها تمشى على بطنها ، وجعل رزقها من التراب ، وأهبط إلى الأرض آدم وحواء وإبليس والحية .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون ، عن ابن أبي نجيب ، عن مجاهد ، في قول الله عز وجل : ﴿ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوًّا ﴾ ، قال : آدم وحواء وإبليس والحية^(٦) .

(١) الخبر إلى هنا في التفسير ١ : ٥٣٠

(٢) ر : « فلما وقع من آدم » . (٣) إسرائيل بن يونس .

(٤) سورة البقرة ٣٦ .

(٥) الخبر في التفسير ١ : ٥٣٦ .

(٦) الخبر في التفسير ١ : ٥٣٥ .

القول في قدر مكث آدم في الجنة ووقت خلق الله عز وجل

إياه ووقت إهباطه إياه من السماء إلى الأرض

قد تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الله عز وجل خلق آدم عليه السلام يوم الجمعة، وأنه أخرجه فيه من الجنة، وأهبطه إلى الأرض فيه، وأنه فيه تاب عليه، وفيه قبضه.

• • •

• ذكر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك :

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكيم ، قال : حدثنا علي بن معبد ، قال : حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن عمرو بن شرحبيل عن سعيد بن سعد بن عبادة ، عن سعد بن عبادة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « إن في الجمعة خمس خلال : فيه خلق آدم ، وفيه أهبط إلى الأرض ، وفيه توفى الله آدم ، وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها ربه شيئاً إلا أعطاه الله إياه ؛ ما لم يسأل إثمًا أو قطيعة ، وفيه : تقوم الساعة ، وما من ملك مقرب . ولا سماء ولا جبل ولا أرض ولا ربح ؛ إلا مشفق من يوم الجمعة . »

حدثني محمد بن بشار ومحمد بن معمر ، قالوا : حدثنا أبو عامر ، حدثنا زهير بن محمد ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن عبد الرحمن بن يزيد الأنصاري ؛ عن أبي لُبابة بن عبد المنذر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سيد الأيام يوم الجمعة ، وأعظمها وأعظم عند الله من يوم الفطر ويوم النحر ؛ وفيه خمس خلال : خلق الله تعالى فيه آدم ، وأهبطه فيه إلى الأرض ، وفيه توفى الله تعالى آدم ، وفيه ساعة لا يسأل الله العبد شيئاً إلا أعطاه إياه ما لم يكن حراماً . وفيه تقوم الساعة ؛ ما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا جبال ولا رياح ولا بحر إلا وهو مشفق من يوم الجمعة ، أن تقوم فيه الساعة . » واللفظ لحديث ابن بشار .

حدثنا محمد بن معمر ، قال : حدثنا أبو عامر ، قال : حدثنا زهير
ابن محمد ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن عمرو بن شرحبيل بن
سعيد بن سعد بن عبادة ، عن أبيه ، عن جده ، عن سعد بن عبادة ، أن
رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، أخبرنا عن يوم
الجمعة ، ماذا^(١) فيه من الخير ؟ فقال : « فيه خلق آدم ، وفيه أهبط آدم ،
وفيه توفى آدم ، وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيئاً إلا أعطاه^(٢) الله إياه ؛ ما لم
يسأل مأثماً أو قطيعة ، وفيه تقوم الساعة ؛ ما من ملك مقرب ولا سماء ولا
أرض ولا جبال ولا ريح إلا هنّ يشفقن من يوم الجمعة . »

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكيم ، قال : حدثنا
أبو زرعة ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن عبد الرحمن الأعرج ،
أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير يوم طلعت
الشمس عليه يوم الجمعة ؛ فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة وأخرج منها . »

حدثني بحر بن نصر ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن أبي
الزناد ، عن أبيه ، عن موسى بن أبي عثمان ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : « سيد الأيام يوم الجمعة ؛ فيه خلق آدم ، وفيه أدخل
الجنة ، وفيه أخرج منها ، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة . »

١١٣/١

حدثنا الربيع بن سليمان ، قال : حدثنا شعيب بن الليث ، قال : حدثنا
الليث بن سعد ، عن جعفر بن ربيعة ، عن عبد الرحمن بن هرمز ، أنه
قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لم
تطلع الشمس على يوم مثل يوم الجمعة ؛ فيه خلق آدم ، وفيه أخرج من الجنة ،
وفيه أعيد فيها . »

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن منصور ومغيرة ، عن
زياد بن كليب أبي معشر ، عن إبراهيم ، عن القرظع الضبيّ - وكان القرظع

(١) : « ما روى فيه . »

(٢) : « آناه الله . »

من القراء الأولين - قال : قال سلمان : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« يا سلمان ، أتدرى ما يوم الجمعة ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم ، يقولها ثلاثاً :
« يا سلمان ، أتدرى ما يوم الجمعة ؟ فيه جمع أبوك » ، أو « أبوكم » .

حدثني محمد بن عُمارة الأُسديّ ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى
قال : أخبرنا شيبان ، عن يحيى ، عن أبي سلمة ، أنه سمع أبا هريرة
يحدث أنه سمع كعباً يقول : خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه
خُلِقَ آدم عليه السلام ، وفيه دخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، وفيه تقوم الساعة .

حدثني الحسين بن يزيد الأَدَميُّ (١) ، قال : حدثنا رُوْح بن عبادة ،
قال : حدثنا زكرياء بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، عن عبيد بن عمير ،
قال : إن أول يوم طلعت فيه شمس يوم الجمعة ، وهو أفضل الأيام : فيه
خلق الله تعالى ذكره آدم ، خلقه على مثل صورته ، فلما فرغ عطس آدم فالتى
الله تعالى عليه الحمد ، فقال الله : يرحمك ربك .

حدثنا أبو كَرَيْب ، قال : حدثنا إسحاق بن منصور ، عن أبي كُدَيْبَةَ ،
عن مغيرة ، عن زياد ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن القرظع ، عن
سلمان ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتدرى ما يوم الجمعة ؟
هو يوم جمع فيه أبوك » ، أو « أبوكم آدم » عليه السلام .

حدثنا أبو كَرَيْب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، عن أبي الأحوص ،
عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن علقمة (٢) ، قال : قال سلمان . قال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم : « يا سلمان ، أتدرى ما يوم الجمعة ؟ » مرتين أو
ثلاثاً ، قال : « هو اليوم الذي جمع فيه أبوكم آدم » ، أو « جمع فيه أبوكم » .

حدثنا أبو كَرَيْب ، قال : حدثنا حسن بن عطية ، قال : حدثنا
قيس ، عن الأعمش ، عن إبراهيم . عن القرظع ، عن سلمان ، قال : قال

(١) س : « زيد » ، ب : « الحسن بن يزيد الأزدي » ؛ ولم يقع لي وجه الصواب
فيما لدى من كتب التراجم . (٢) علقمة بن قيس .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتدري ما الجمعة (۱) ؟ » أو قال : كذا ،
« فيها جمع أبوكم آدم » .

حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق ، قال : سمعت أبي يقول : ۱۱۵/۱
أخبرنا أبو حمزة (۲) ، عن منصور (۳) ، عن إبراهيم (۴) ، عن القرظي (۵) ،
عن سلمان ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتدري ما يوم
الجمعة ؟ » قلت : لا ، قال : « فيه جمع أبوك » .

-
- (۱) كذا في ۱ ، وفي ط : « ما يوم الجمعة » .
(۲) محمد بن ميمون أبو حمزة السكري .
(۳) منصور بن المعتمر .
(۴) إبراهيم النخعي .
(۵) القرظي الضبي .

ذكر الوقت الذي فيه خلق آدم عليه السلام من يوم الجمعة والوقت الذي أهبط إلى الأرض

اختلف في ذلك، فروى عن عبد الله بن سلام وغيره في ذلك ما حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير يوم طلعت فيه^(١) الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أسكن الجنة، وفيه أهبط، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة - [يقتلها] -^(٢) لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها خيراً إلا آتاه الله إياه»، فقال عبد الله بن سلام: قد علمت أي ساعة هي، هي آخر ساعات النهار من يوم الجمعة، قال الله عز وجل: ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ ﴾^(٣).

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا المحاربي وعبد بن سليمان وأسد بن عمرو؛ عن محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه، وذكر فيه كلام عبد الله بن سلام بنحوه.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله عز وجل: ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾، قال: قول آدم حين خلق بعد كل شيء آخر النهار من يوم [الجمعة]^(٤)؛ خلق الخلق، فلما أحيا الروح عينيه ولسانه ورأسه ولم يبلغ أسفله، قال: يا رب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس.

(١) ن: « عليه » .

(٢) تكله من ا، والتفسير، وفي ابن كثير: « وقبض أصابعه يقاتلها » .

(٣) سورة الأنبياء ٣٧، والخبر في التفسير ١٧، ٢١ (بولاق). وتفسير ابن كثير ٣: ١٧٩ .

(٤) تكله من ا، س .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا الحسن^(١) ، قال : حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ، قال : آدم حين خلق بعد كل شيء ، ثم ذكره نحوه ؛ غير أنه قال في حديثه : استعجل بخلق ، قد غربت الشمس .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ، قال : على عجل خلق آدم آخر ذلك اليوم من ذينك اليومين - يريد يوم الجمعة - وخلقه على عجلة^(١) وجعله عجولا .

• • •

وقد زعم بعضهم أن الله عز وجل أسكن آدم وزوجته الفردوس لساعتين مضتاً من نهار يوم الجمعة ، وقيل لثلاث ساعات مضين منه ، وأهبطه إلى الأرض لسبع ساعات مضين من ذلك اليوم ، فكان مقدار مكثهما في الجنة خمس ساعات منه . وقيل : كان ذلك ثلاث ساعات . وقال بعضهم : أخرج آدم عليه السلام من الجنة الساعة التاسعة أو العاشرة

• ذكر من قال ذلك :

١١٧/١

قال أبو جعفر : قرأتُ على عبدان بن محمد المروزي ، قال : حدثنا عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أنس عن أبي العالية ، قال : أخرج آدم من الجنة للساعة التاسعة أو العاشرة ، فقال لي : نعم ؛ خمسة أيام مضين من نيسان .

فإن كان قائل هذا القول أراد الله أن تبارك وتعالى أسكن آدم وزوجته الفردوس لساعتين مضتاً من نهار يوم الجمعة من أيام أهل الدنيا التي هي على

(١) هو الحارث بن محمد روى عن الحسن بن موسى الأشيب . تاريخ بغداد ٢ : ٢١٨ .

(٢) ١ : عجل .

ما [هى] ^(١) به اليوم؛ فلم يبعد قوله من الصواب في ذلك؛ لأن الأخبار إذا كانت واردة عن السلف من أهل العلم، بأن آدم خُلِقَ في آخر ساعة من اليوم السادس من الأيام التي مقدار اليوم الواحد منها ^(٢) ألف سنة من سنيننا. فمعلوم أن الساعة الواحدة من ساعات ذلك اليوم ثلاثة وثمانون عاماً من أعوامنا، وقد ذكرنا أن آدم بعد أن خَمَّرَ ربنا عزَّ وجلَّ طيبته ببقٍ قبل أن ينفخ فيه الروح أربعين عاماً؛ وذلك لا شك أنه عَسَى به من أعوامنا وسنيننا، ثم [من] ^(١) بعد أن نفخ فيه الروح إلى أن تنهى أمره، وأُسكن الفردوس، وأهبط إلى الأرض - غير مستنكر أن يكون كان مقداره من سنيننا قدر خمس وثلاثين سنة. فإن ^{١١٨/١} كان أراد أنه أُسكن الفردوس لساعتين مضتا من نهار يوم الجمعة من الأيام التي مقدار اليوم الواحد منها ^(٢) ألف سنة من سنيننا، فقد قال غير الحق، وذلك أن جميع مَنْ حَفِظَ له قول في ذلك من أهل العلم؛ فإنه كان يقول إنَّ آدم نفخ فيه الروح في آخر النهار من يوم الجمعة قبل غروب الشمس من ذلك اليوم. ثم الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم متظاهرة بأن الله تبارك وتعالى أسكنه الجنة فيه، وفيه أهبطه إلى الأرض. فإن ^(٣) كان ذلك صحيحاً، فمعلوم أن آخر ساعة من نهار يوم من أيام الآخرة ومن الأيام التي اليوم الواحد منها مقداره ألف سنة من سنيننا، إنما هي ساعة بعد مَضَى إحدى عشرة ساعة، وذلك ساعة من اثنتي عشرة ساعة، وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر من سنيننا؛ فأدم صلوات الله عليه إذ كان الأمر كذلك؛ إنما خُلِقَ لمضَى إحدى عشرة ساعة من نهار يوم الجمعة من الأيام التي اليوم الواحد منها ^(٢) ألف سنة من سنيننا، فكث جسداً ملقى لم يُنفخ فيه الروح أربعين عاماً من أعوامنا. ثم نفخ فيه الروح. فكان مكثه في السماء بعد ذلك ومُقامه في الجنة؛ إلى أن أصاب الخطيئة وأهبط إلى الأرض ثلاثاً وأربعين سنة من سنيننا وأربعة أشهر، وذلك ساعة من ساعات يوم من الأيام الستة التي خلق الله تعالى فيها الخلق.

(١) تكله من ا

(٢) في الأصول: « منه » .

(٣) ١ : • فاذا • .

وقد حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال :
حدثنا هشام بن محمد ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ،
قال : خرج آدم من الجنة بين الصلاتين : صلاة الظهر وصلاة العصر ،
فأنزل إلى الأرض وكان مكثه في الجنة نصف يوم يوم من أيام الآخرة ، وهو
خمسمائة سنة ، من يوم كان مقداره اثنتي عشرة ساعة ، واليوم ألف سنة
مما يعدّ أهل الدنيا ، وهذا أيضاً قولٌ خلاف ما وردت به الأخبار عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وعن السلف من علمائنا .

القول في الموضع الذي أهبط آدم وحواء إليه من الأرض حين أهبطا إليها

ثم إن الله عز وجل أهبط آدم قبل غروب الشمس من اليوم الذي خلقه فيه -
وذلك يوم الجمعة - من السماء مع زوجته ، وأنزل آدم - فيما قال علماء سلف
أمة نبينا صلى الله عليه وسلم - بالهند .

• ذكر من حضرنا ذكره ممن قال ذلك منهم :

٢٢٠ - حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال :

أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : أهبط الله عز وجل آدم إلى الأرض ، وكان
مهبطه بأرض الهند .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : حدثنا عمران بن عبيدة ، قال : أخبرنا
عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : إن أول ما
أهبط الله تعالى آدم أهبطه بدهنا أرض الهند .

حدثت عن عمارة ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ،
عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال : أهبط آدم إلى الهند .

حدثني ابن سنان ، قال : حدثنا الحجاج ، قال : حدثنا حماد بن
سلمة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال :
قال علي بن أبي طالب عليه السلام : أطيب أرض في الأرض ريحاً أرض
الهند ، أهبط بها آدم ، فعلق شجرها من ربيع الجنة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا هشام بن
محمد ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : أهبط آدم
بالهند ، وحواء بجدة ، فجاء في طلبها حتى اجتمعا^(١) ، فازدلفت إليه حواء ، فلذلك

(١) ا ، ن : وجماء ، س : وجمها .

سميت المزدلفة ، وتعارفا بعرفات ، فلذلك سميت عرفات ، واجتمعا بجمع
فلذلك سميت جمعا . قال : وأهبط آدم على جبل بالهند يقال له بتوذ .

حدثنا أبو همام^(١) ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا زياد بن خيثمة ،
عن أبي يحيى بائع القت ، قال : قال لي مجاهد : لقد حدثنا عبد الله بن عباس
أن آدم نزل حين نزل بالهند .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وأما
أهل التوراة فإنهم قالوا : أهبط آدم بالهند على جبل يقال له واسم^(٢) ، عند
واد يقال له بهيل^(٣) بين الدهنج والمندل : بلدين بأرض الهند . قالوا :
وأهبطت حواء بجدة من أرض مكة .

١٢١/١

وقال آخرون : بل أهبط آدم بسرنديب ، على جبل يدعى بتوذ، وحواء
بجدة من أرض مكة ، وإبليس بميسان^(٤) ، والحية بأصبهان . وقد قيل : أهبطت
الحية بالبرية ، وإبليس بساحل بحر الأبلّة^(٥) .

وهذا مما لا يوصل إلى علم صحته إلا بنجربجيء مجيء الحجّة ، ولا يعلم خبر
في ذلك ورد كذلك ؛ غير ما ورد من خبر هبوط آدم بأرض الهند ؛ فإن ذلك
مما لا يدفع صحته علماء^(٦) الإسلام وأهل التوراة والإنجيل ، والحجّة قد ثبتت
بأخبار بعض هؤلاء

وذُكر أن الجبل الذي أهبط عليه آدم عليه السلام ذرّوته من أقرب ذرّاء
جبال الأرض إلى السماء ، وأن آدم حين أهبط عليه كانت رجلاه عليه ورأسه
في السماء يسمع دعاء الملائكة وتسييحهم ؛ فكان آدم يأنس بذلك ، وكانت

(١) هو أبو همام الوليد بن شجاع ، وشجاع هو ابن الوليد بن قيس .

(٢) واسم ، ذكره ياقوت ، وقال : « جبل بين الدهنج والمندل من أرض الهند » .

(٣) ر : « بهيل » .

(٤) ميسان ، بالفتح ثم السكون : اسم لكورة واسعة بين البصرة وواسط . معجم البلدان

٨ : ٢٢٤ .

(٥) الأبلّة ، بضم أوله وتشديد اللام وفتحها : بلد على شاطئ دجلة بالبصرة . معجم

البلدان ١ : ٨٩ .

الملائكة تهابه ، فنُقِصَ من طول آدم لذلك .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا هشام بن حسان ، عن سَوَّارِ خَتَنِ عطاء ، عن عطاء بن أبي رباح ، قال : لما أهبط الله عز وجل آدم من الجنة كان رجلاه في الأرض ، ورأسه في السماء ، ١٢٢/١ يسمع كلام أهل السماء ودعاءهم ، يأنس إليهم ، فهابته الملائكة حتى شككت إلى الله تعالى في دعائها وفي صلاتها ، فخفضه إلى الأرض ، فلما فقد ما كان يسمع منهم استوحش حتى شكوا ذلك إلى الله عز وجل في دعائه وفي صلاته ، فوجّه إلى مكة فصار^(١) موضع قدمه قرية ، وخطوته^(٢) مفازة ، حتى انتهى إلى مكة ، وأنزل الله تعالى ياقوتة من ياقوت الجنة ، فكانت على موضع البيت الآن ، فلم يزل يطوف به حتى أنزل الله تعالى الطوفان ، فرفعت تلك الياقوتة حتى بعث الله تعالى إبراهيم الخليل عليه السلام فبناه ، فذلك قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾^(٣) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر^(٤) ، عن قتادة ، قال : وضع الله تعالى البيت مع آدم ، فكان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض ، فكانت الملائكة تهابه ، فنقص إلى ستين ذراعاً ، فحزن آدم إذ فقد أصوات الملائكة وتسييحهم ، فشكا ذلك إلى الله ، فقال الله : يا آدم ، إنني أهبطت لك^(٥) بيتاً تطوف به كما يطاف حول عرشي ، وتصلني عنده كما يصلني عند عرشي . فانطلق إليه آدم عليه السلام ، فخرج ومُدَّ له في خطوه ، فكان بين كل خطوة مفازة ، فلم تزل تلك المفاوز^(٦) بعد ذلك ، فأتى آدم عليه السلام البيت ، فطاف به ومن بعده [من]^(٧) الأنبياء .

(١) : « فكان » .

(٢) : « وخطوه » .

(٣) سورة الحج ٢٦ (٤) معمر بن راشد البحراني .

(٥) ن : « إليك » .

(٦) س : « المفازة » .

(٧) تكملة من ا ، ن .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا هشام بن محمد ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : لما حُطَّ من طول آدم عليه السلام إلى ستين ذراعاً أنشأ يقول : ربُّ ، كنتُ جارَكَ في دارك ؛ ليس لي ربٌّ غيرك ، ولا رقيب دونك ، آكل فيها رغداً ، وأسكن حيث أحببت ، فأهبطتني إلى هذا الجبل المقدس ، فكنت أسمع أصوات الملائكة ، وأراهم كيف يحفون بعرشك ، وأجد ریح الجنة وطيبها ، ثم أهبطتني إلى الأرض ، وحططتني إلى ستين ذراعاً ، فقد انقطع عني الصوت والنظر ، وذهب عني ریح الجنة . فأجابه الله عز وجل : لمعصيتك^(١) يا آدم فعلت ذلك بك . فلما رأى الله تعالى عُرَى آدم وحواء أمره أن يذبح كبشاً من الضأن من الثمانية الأزواج التي أنزل من الجنة ، فأخذ كبشاً فذبحه ، ثم أخذ صوفه فغزلته حواء ، ونسجه هو وحواء ، فنسج آدم جبّة لنفسه ، وجعل لحواء درعاً وخماراً ، فلبسا ذلك ، وأوحى^(٢) الله تعالى إلى آدم أن لي حرماً بحیال عرشي ، فانطلق فابن لي فيه بيتاً ، ثم حفّ به كما رأيت ملائكتي يحفون بعرشي ، فهناك أستجيب لك ولوليك ؛ من كان منهم في طاعتي ، فقال آدم : أي رب ، فكيف لي بذلك ، لست أقوى عليه ولا اهتدي له ! فقبض الله له ملكاً ؛ فانطلق به نحو مكة ، فكان آدم إذا مرّ بروضة^(٣) ومكان يُعجبه قال للملك : انزل بنا ها هنا ، فيقول له الملك : مكانك ، حتى قدم مكة ، فكان كل مكان نزل به صار عمراناً ، وكل مكان تعدّاه صار مفاوز وقفاراً ، فبنى البيت من خمسة أجبل : من طور سيناء وطور زيتون ولبنان والحدودي ، وبنى قواعده من حيراء ، فلما فرغ من بنائه خرج به الملك إلى عرفات ، فأراه المناسك كلّها التي تفعلها الناس اليوم ، ثم قدم به مكة ؛ فطاف بالبيت أسبوعاً ،^(٤) ثم رجع إلى أرض الهند ، فمات على بوذ^(٥) .

(١) سر ، وابن الأثير ١ : ٢٢ (فيما نقل عن الطبري) : بمعصيتك .

(٢) ط : د فلوحى . وما أثبت من .

(٣) ١ : مرروضة .

(٤) ر : أسبوعاً سبعا .

(٥) كذا ورد في الأصول ؛ وفي معجم البلدان : بوذ ، بالفتح ثم السكون وذال مجبة :

جبل بسرنديب عنده مهبط آدم عليه السلام ، وهو أخصب جبل في الأرض ؛ ويقال : أمرح في =

حدثنا أبو همام ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني زياد بن خيثمة ، عن أبي يحيى بائع القَتِّ ، قال : قال لي مجاهد : لقد حدثني عبد الله ابن عباس أن آدم عليه السلام نزل حين نزل بالهند ، ولقد حجَّ منها أربعين حجةً على رجله ، فقلت له : يا أبا الحجاج ، ألا كان يركب ؟ قال : فأى شيء كان يحمله ! فوالله إن خطوه مسيرة ثلاثة أيام ، وإن كان رأسه ليبلغ السماء ، فاشتكت الملائكة نفسَه ، فهمزه الرحمن همزةً ؛ فتطأاً مقدار أربعين سنة .

حدثني صالح بن حرب أبو معمر مولى بني هاشم ، قال : حدثنا ثمامة بن عبيدة السلمى ، قال : أخبرنا أبو الزبير ، قال : قال نافع : سمعت ابن عمر ، يقول : إن الله تعالى أوحى إلى آدم عليه السلام وهو ببلاد الهند^(١) : أن حجَّ هذا البيت . فحجَّ آدم من بلاد الهند ، فكان كلما وضع قدمه صار قرية ، وما بين خطوتيه مفازة ، حتى انتهى إلى البيت فطاف به ، وقضى المناسك كلها ، ثم أراد الرجوع إلى بلاد الهند فمضى ، حتى إذا كان بمأزمى عرفات ، تلقته الملائكة ؛ فقالوا : برَّ حجُّك يا آدم ! فدخله من ذلك عجب ، فلما رأت الملائكة ذلك منه قالوا : يا آدم ، إنا قد حجَّجنا هذا البيت قبل أن تُخلقَ بألى سنة ، قال : فتقاصرت إلى آدم نفسه .

وذكر أن آدم عليه السلام أهبط إلى الأرض ، وعلى رأسه إكليل من شجر الجنة ، فلما صار إلى الأرض ، وبيس الإكليل ؛ تحات ورقة فنبت^(١) منه أنواع الطيب .

وقال بعضهم : بل كان ذلك ما أخبر الله عنهما ، أنهما جعلتا يخصيفان عليهما من ورق الجنة ، فلما بيس ذلك الورق الذى خصفاه عليهما تحات فنبت من ذلك الورق أنواع الطيب . والله أعلم .

• • •

= الأرض ؛ ويقال : أمرع من نود . وقال ابن الأثير ١ : ٢٤ • نود ؛ بضم النون وسكون الواو وآخره دال مهملة ؛ وفى س : قال الطبرى : الذى حدثنا به فى أمر الجبل أن اسمه نود ؛ بالنون ، قال : ولكن اسم الموضع بالباه ؛ وهو بوذ .

(١) أبو الزبير محمد بن مسلم بن تدرس الأسدى ، ونافع مولى ابن عمر . (٢) ١ : • فنبتت • .

وقال آخرون : [بل]^(١) لما علم آدم أن الله عز وجل مُهَيِّطُهُ إِلَى الْأَرْضِ ، جعل لا يمرُّ بشجرة من شجر الجنة إلا أخذ غصناً من أغصانها ، فهبط إلى الأرض وتلك الأغصان معه ، فلما يبس ورقها تحات ، فكان ذلك أصل الطيب .

ذكر من قال ذلك :

٢٣٢ - حدثنا أبو همام ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا زياد بن خيثمة ، عن أبي يحيى بائع القت قال : قال [لي]^(١) مجاهد : لقد حدثني عبد الله ابن عباس ، أن آدم حين خرج من الجنة كان لا يمرُّ بشيء إلا عبث به ، فقيل للملائكة : دعوه فليترود منها ما شاء ، فترل حين نزل بالهند ، وإن هذا الطيب الذي يُجاء به من الهند مما خرج به آدم من الجنة .

• • •

• ذكر من قال : كان على رأس آدم عليه السلام حين أهبط من الجنة إكليل من شجر الجنة :

حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه^(٢) ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال : خرج آدم من الجنة ، فخرج منها ومعه عصا من شجر الجنة ، وعلى رأسه تاج أو إكليل من شجر الجنة ، قال : فأهبط إلى الهند ، ومنه كل طيب بالهند .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : هبط آدم عليه - يعني على الجبل الذي هبط عليه - ومعه ورق من ورق الجنة ، فبثه في ذلك الجبل ، فنه كان أصل الطيب كله ، وكل فاكهة لا توجد إلا بأرض الهند .

١٢٦/١

(٢) أبو جعفر الرازي التميمي .

(١) من ١ .

• • •

وقال آخرون : بل زوّده الله من ثمار الجنة ، فثمارنا هذه من تلك الثمار .
• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا ابن أبي عديّ وعبد الوهاب ^(١) ومحمد بن جعفر ، عن عوف ^(٢) ، عن قسامة بن زهير ، عن الأشعري ^(٣) ، قال : إن الله تبارك وتعالى لما أخرج آدم من الجنة زوّده من ثمار الجنة ، وعلّمه صنعة كل شيء ، فثماركم هذه من ثمار الجنة ؛ غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير .

• • •

وقال آخرون : إنما علق بأشجار الهند طيب ريح آدم عليه السلام .

• ذكر من قال إنما صار الطيب بالهند لأن آدم حين أهبط إليها علق بأشجارها طيب ريحه :

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا هشام بن محمد ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : نزل آدم عليه السلام معه ريح الجنة ، فعلق بشجرها وأوديتها وامتلاً ما هنالك طيباً ، فمن ثمّ يؤتى بالطيب من ريح الجنة .
وقالوا : أنزل معه من طيب الجنة .

وقال : أنزل معه الحجر الأسود ، وكان أشدّ بياضاً من الثلج ، وعصا موسى ، وكانت من آس الجنة ؛ طولها عشرة أذرع على طول موسى ، ومربّع ولبان ^(٤) ، ثم أنزل عليه بعد ذلك العلاء والمطرقة والكلبتان ^(٥) ، فنظر آدم

(١) عبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصلت (٢) هو عوف الأعرابي (٣) هو أبو موسى الأشعري .
(٤) المر : صنغ شجرة تكون ببلاد العرب ؛ شبيهة بالشوكة المصرية ، تشرط فتخرج منها هذه الصمغة . واللبان : هو الملك الذي يمضغ ؛ وشجرته تسمى الكندر ، طولها قدر ذراعين ، تعقر بالفأس فيظهر في مواضع العقر اللبان فيجتنى . المعتمد في الأدوية ٣٠٠ ، ٣٤٠ .
(٥) العلاء : السندان ؛ حجراً كان أو حديداً . والمطرقة : من أدوات الحداد أو الصائغ يطرّق بها . والكلبتان : ما يأخذ به الحداد الحديد المحسى .

حين أهبط على الجبل إلى قضيب من حديد نابت على الجبل ، فقال : هذا من هذا ، فجعل يكسّر أشجاراً قد عتقت وييست بالمطرقة ، ثم أوقد على ذلك الغصن حتى ذاب ، فكان أوّل شيء ضربه مدّية ، فكان يعمل بها ، ثم ضرب التنور ، وهو الذي ورثه نوح ، وهو الذي فار بالعذاب بالهند . وكان آدم حين هبط يمسح رأسه السماء ، فمن ثمّ صلّع ، وأورث ولده الصلّع ونفرت من طوله دوابّ البرّ ، فصارت وحشاً من يومئذ ، وكان آدم عليه السلام وهو على ذلك الجبل قائم يسمع أصوات الملائكة ، ويجد ريح الجنة ، فحطّ من طوله ذلك إلى ستين ذراعاً ، فكان ذلك طوله إلى أن مات . ولم يُجمع حسن آدم عليه السلام لأحد من ولده إلا ليوسف عليه السلام .

وقيل : إن من الثمار التي زوّد الله عزّ وجلّ آدم عليه السلام حين أهبط إلى الأرض ثلاثين نوعاً ، عشرة منها في القشور وعشرة لها نوى ، وعشرة لا قشور لها ولا نوى . فأما التي في القشور منها فالجوز ، واللوز ، والفسق ، والبندق ، والحشخاش ، والبلوط ، والشاهبلوط ، والرانج ، والرمان ، والموز . وأما التي لها نوى منها فالخوخ ، والمشمش ، والإجاص ، والرطب ، والغيراء ، والنبق ، والزعرور ، والعناب ، والمقل ، والشاهلوج . وأما التي لا قشور لها ولا نوى فالتفّاح ، والسفرجل ، والكمثرى ، والعنب ، والتوت ، والتين ، والأترج ، والحرنوب ، والخيار ، والبطيخ .

وقيل : كان مما أخرج آدم معه من الجنة صرة من حنطة ، وقيل : إن الحنطة إنما جاءه بها جبرئيل عليه السلام بعد أن جاع آدم ، واستطم ربه ، فبعث الله إليه مع جبرئيل عليه السلام سبع حبات من حنطة ، فوضعها في يد آدم عليه السلام ، فقال آدم لجبرئيل : ما هذا ؟ فقال له جبرئيل : هذا الذي أخرجك من الجنة ، وكان وزن الحبة منها مائة ألف درهم وثمانمائة درهم ، فقال آدم : ما أصنع بهذا ؟ قال : انثره في الأرض فقل ، فأنبته الله عزّ وجلّ من ساعته ، فجرت سنة في ولده البئر في الأرض ، ثم أمره فحصده ، ثم أمره فجمعه وفركه بيده ، ثم أمره أن يدرّيه ، ثم أتاه بمجرين فوضع أحدهما على الآخر

فطحنه ، ثم أمره أن يعجنه ، ثم أمره أن يخبزه مَلَّةً^(١) ، وجمع له جبرئيل عليه السلام الحجر والحديد فقدحه ، فخرجت منه النار ، فهو أول مَنْ خبز المَلَّةَ .

• • •

وهذا [القول]^(٢) الذى حكيناه عن قائل هذا القول ، خلاف ما جاءت به الروايات عن سلف أمة نبينا صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن المشتى بن إبراهيم حدثني أن إسحاق^(٣) حدثه ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا سفيان بن عيينة وابن المبارك ، عن الحسن بن عُمارة ، عن المهال بن عمرو ، وعن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كانت الشجرة التى نهى الله عنها آدم وزوجته السنبلة ، فلما أكلا منها بدت لهما سوءاتهما ، وكان الذى وارى عنهما من سوءاتهما أظفارهما ، وطفقا يخرصان عليهما من ورق الجنة ، ورق التين يلصقان^(٤) بعضها إلى بعض ، فانطلق آدم مولياً فى الجنة ، فأخذت برأسه شجرة من الجنة^(٥) فناداه : يا آدم ، أمتى تفرّ؟ قال : لا ، ولكنى استحييتك يا ربّ ، قال : أما كان لك فيما منحتك من الجنة وأبحتك منها مندوحة عما حرمت عليك ! قال : بلى يا ربّ ، ولكن وعزتك ما حسبت أن أحداً يحلف بك كاذباً ، قال - وهو قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾^(٦) - قال : فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض ، فلا تنال العيش إلا كدّاً . قال : فأهبط من الجنة ، وكانا يأكلان فيها رغداً ، فأهبط إلى غير رغد من طعام وشراب ، فعلم صنعة الحديد ، وأمر بالحرث فحرث وزرع ثم سقى ، حتى إذا بلغ حصده ، ثم داسه ، ثم ذراه ، ثم طحنه ، ثم عجنه ، ثم خبزه ، ثم أكله ، فلم يبلغه حتى بلغ منه ما شاء الله أن يبلغ^(٧) .

١٢٩/١

(١) يريد بخبز الملة ما يصنع فى الرماد أو الجمر من الخبز .

(٢) تكلة من ا .

(٣) هو إسحاق بن يوسف الأزرق .

(٤) ا : يلصقان .

(٥) س : فى الجنة .

(٦) سورة الأعراف ٢١ . (٧) الخبر فى التفسير ١٢ : ٣٥٢ - ٣٥٣ .

حدثنا ابن حميد . قال : حدثنا يعقوب ، عن جعفر . عن سعيد^(١) ، قال : أهبط إلى آدم ثور أحمر ، فكان يحدث عليه ، ويمسح العرق عن جبينه ، فهو الذي قال الله عز وجل : ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ : فكان ذلك شقاؤه .

فهذا الذي قاله هؤلاء هو أولى بالصواب ، وأشبهه بما دل عليه كتاب ربنا عز وجل ، وذلك أن الله عز ذكره لما تقدم إلى آدم وزوجته حواء بالنبى عن طاعة عدوتهما ، قال لآدم : ﴿ يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى • إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى • وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴾^(٢) ، فكان معلوماً أن الشقاء الذى أعلمه أنه يكون إن أطاع عدوه إبليس ، هو مشقة الوصول إلى ما يُزِيل الجوع والعرى عنه ؛ وذلك هى الأسباب التى بها يتصل أولاده إلى الغذاء ، من حراثة وبذر وعلاج وسقى ، وغير ذلك من الأسباب الشاقة المؤلمة . ولو كان جبرئيل أتاه بالغذاء الذى يصل إليه بيئته دون سائر المؤمن غيره ، لم يكن هناك من الشقاء الذى توعدته به ربه على طاعة الشيطان ومعصية الرحمن كبير خطب^(٣) ، ولكن الأمر^(٤) كان - والله أعلم - على ما روينا عن ابن عباس وغيره .

١٣٠/١

• • •

وقد قيل : إن آدم عليه السلام نزل معه السندان ، والكلبتان ، والميقعة^(٥) ، والميطرقة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا الحسين^(٦) ، عن علباء بن أحمر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : ثلاثة أشياء نزلت مع آدم عليه السلام : السندان ، والكلبتان ، والميقعة ، والميطرقة .

(١) هو يعقوب القمى ، روى عن جعفر بن أبي المنيرة عن سعيد بن جبير ، وانظر ص ٤٩ ، ٩٠ .

(٢) سورة طه ١١٧ - ١١٩ . (٣) س : « حظ » .

(٤) كذا فى ١ ، وفى ط : « لأمر » . (٥) الميقعة : خشبة القصار يدق عليها .

(٦) هو الحسين بن واقد .

ثم إن الله عزّ ذكره فيما ذكر أنزل آدم من الجبل الذي أهبطه عليه إلى سفحه ، وملكه الأرض كلها ، وجميع ما عليها من الجنّ والبهائم والدوابّ والوحش والطيور وغير ذلك ، وأن آدم عليه السلام لما نزل من رأس ذلك الجبل ، وفقد كلام أهل السماء ، وغابت عنه أصوات الملائكة ، ونظر إلى سعة الأرض وبسطها ، ولم ير فيها أحداً غيره ، استوحش فقال : يا ربّ ، أما لأرضك هذه عامراً يسبّجك غيري !

فأجيب بما حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : أخبرنا إسحاق بن الحجاج ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد ابن معقل ، أنه سمع وهباً يقول : إن آدم لما أهبط إلى الأرض فرأى سعتها ولم ير فيها أحداً غيره قال : يا ربّ ، أما لأرضك هذه عامراً يسبّج بحمدك ويقدم لك غيري ! قال الله : إني سأجعل فيها من ولدك منّ يسبّج بحمدي ويقدم سني ، ٣١/١ وسأجعل فيها بيوتاً ترفع لذكري ، ويسبّج فيها خلقي ، ويذكر فيها اسمي ، وسأجعل من تلك البيوت بيتاً أخصّه بكرامتي ، وأوثره باسمي ، وأسميه بيتي ، أنطقه بعظمتي ، وعليه وضعت جلالتي . ثم أنا مع ذلك في كل شيء ومع كل شيء ؛ أجعل ذلك البيت حرماً آمناً يحرم بحرمته منّ حوله ومن تحته ومن فوقه ، فمن حرّمه بحرمتي استوجب بذلك كرامتي ، ومن أخاف أهله فيه فقد أخفر (١) ذمتي ، وأباح حرمتي (٢) . أجمعه أول بيت وُضع للناس ببطن مكة مباركاً ، يأتونه شعناً غبراً على كل ضامر ، من كل فج عميق ، يرجون بالتلبية رجياً ، ويشجون بالبكاء ثجياً ، ويعجّون بالتكبير عجباً ، فمن اعتمده ولا يريد (٣) غيره فقد وفد إلى وزارتي وضافني (٤) ، وحقّ على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه ، وأن يسعف كلاً بحاجته . تعمره يا آدم ما كنت حياً ، ثم تعمره الأمم والقرون والأنبياء من ولدك أمة بعد أمة ، وقرناً بعد قرن .

ثم أمر آدم عليه السلام - فيما ذكر - أن يأتي البيت الحرام الذي أهبط

(١) أخفر الذمة ، أي نقضها .

(٢) في ك بعدها : « واستوجب بذلك عقوبتي » .

(٣) ١ : « لا يريد » .

(٤) ضافني ، أي نزل بي ضيفاً ، وفي ك : « فقد وفى لي وزاد في ضيافتي » .

له إلى الأرض ، فيطوف به كما كان يرى الملائكة تطوف حول عرش الله ، وكان ذلك ياقوته واحدة أو درة واحدة ؛ كما حدثني الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر^(١) ، عن أبان ، أن البيت أهبط ياقوته واحدة أو درة واحدة ، حتى إذا أغرق الله قوم نوح رفعه وبقي أساسه ، فبوأه الله عز وجل لإبراهيم فبناه ، وقد ذكرت الأخبار الواردة بذلك فيما مضى قبل .

١٣٢/١

. . .

فذكر أن آدم عليه السلام بكى واشتد بكاءؤه على خطيئته ، وندم عليها ، وسأل الله عز وجل قبول توبته ، وغفران خطيئته ، فقال في مسأله إياه : ما سأل من ذلك ، كما حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن عطية^(٢) ، عن قيس ، عن ابن أبي ليلى^(٣) ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾^(٤) قال : أى رب ، ألم تخلقني بيديك ؟ قال : بلى ، قال : أى رب ، ألم تنفخ في من روحك ؟ قال : بلى ، قال : أى رب ، ألم تسكنني جنتك ؟ قال : بلى ، قال : أى رب ، ألم تسبق رحمتك غضبك ؟ قال : بلى ، قال : أرأيت إن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة ؟ قال : بلى ، قال : فهو قوله تعالى : ﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ .

حدثني بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، قوله تعالى ﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ ذكر لنا أنه قال : يا رب : أرأيت إن أنا تبت وأصلحت ! قال : إذا أرجعك^(٥) إلى الجنة ، قال : وقال الحسن : إنهما قالا : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^(٦) .

حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا سفيان وقيس^(٧) ، عن خُصَيْف ، عن مجاهد ، في قوله عز وجل :

(١) معمر بن راشد .

(٢) هو الحسن بن عطية .

(٣) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، روى عن المنهال بن عمرو .

(٤) سورة البقرة ٣٧ . (٥) ١ : « أرجعك » . (٦) سورة الأعراف ٢٣ .

(٧) سفيان الثوري وقيس بن سليم .

﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ قال : قوله : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا هشام بن محمد . قال : أخبرنا أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : أنزل آدم معه حين أهبط من الجنة الحجر الأسود^(١) ، وكان أشدّ بياضاً من الثلج ، وبكى آدم وحواء على ما فاتهما - يعني من نعيم الجنة - مائتي سنة ، ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوماً ، ثم أكلا وشربا ، وهما يومئذ على بؤذ؛ الجبل الذي أهبط عليه آدم ولم يقرب حواء مائة سنة .

١٣٣/١

حدثنا أبو همام ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني زياد بن خيثمة ، عن أبي يحيى بائع القتب؛ قال : قال لي مجاهد ، ونحن جلوس في المسجد : هل ترى هذا ؟ قلت : يا أبا الحجاج ، الحجر ؟ قال : كذلك تقول ؟ قلت : أو ليس حجراً ! قال : فوالله لحدثني عبد الله بن عباس أنها ياقوتة بيضاء ، خرج بها آدم من الجنة ، كان يمسح بها دموعه ، [و] ^(٢) أن آدم لم ترقأ دموعه ^(٣) منذ خرج من الجنة حتى رجع إليها ألفي سنة ، وما قدر منه إبليس على شيء ، فقلت له : يا أبا الحجاج ، فمن أي شيء أسود ؟ قال : كان الحبيّض يلمسّنه في الجاهلية . فخرج آدم عليه السلام من الهند يوم البيت الذي أمره الله عزّ وجلّ بالمصير إليه ، حتى أتاه ، فظاف به ، ونسك المناسك ، فذكر أنه التقى هو وحواء بعرفات ، فتعارفا بها ، ثم ازدلف إليها بالمزدلفة ، ثم رجع إلى الهند مع حواء ، فاتخذتا مغارة بأويان إليها في ليلتهما ونهارهما ، وأرسل الله إليهما ملكاً يُعلمهما ما يلبسانه ويستتران به ، فزعموا أن ذلك كان من جلود الضأن والأنعام والسباع . وقال بعضهم : إنما كان ذلك لباساً أولادهما ، فأما آدم وحواء فإن لباسهما كان ما كانا خَصَفَا على أنفسهما من ورق الجنة . ثم إن الله عزّ ذكره مسح ظهر آدم عليه السلام بينَ عَمَمان من عرفة ؛ وأخرج

(١) ١ : « أنزل آدم من الجنة الحجر الأسود » .

(٢) من ١

(٣) رقا الدمع : جف ، وفي ١ : « لم ترقأ عينه » .

ذريته ، فنثرهم بين يديه كالذرة ، فأخذ موثيقهم ، وأشهدهم على أنفسهم :
أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قالوا : بلى ، كما قال عز وجل : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي
آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۗ ﴾^(١) .

وقد حدثني أحمد بن محمد الطوسي ، قال : حدثنا الحسين بن
محمد ، قال : حدثنا جرير بن حازم ، عن كلثوم بن جبر ، عن سعيد
ابن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : أخذ الله
الميثاق من ظهر آدم بنوعمان - يعني عرفة - فأخرج من صلبه كل ذرية
ذراها ، فنثرهم بين يديه كالذرة ، ثم كلمهم قبلاً^(٢) ، وقال : ﴿ أَلَسْتُ
بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ إلى قوله : ﴿ بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾^(١) .

حدثني عمران بن موسى القزاز ، حدثنا عبد الوارث بن سعيد ،
قال : حدثنا كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله :
﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ
أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۗ ﴾ ، قال : مسح ربنا ظهر آدم ، فخرجت كل
نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة بنوعمان هذه - وأشار بيده - فأخذ موثيقهم ،
وأشهدهم على أنفسهم : أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قالوا : بلى^(٣) .

حدثنا ابن وكيع ويعقوب بن إبراهيم ، قالوا : حدثنا ابن علية ،
عن كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله عز وجل :
﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى
أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۗ ﴾ ، قال : مسح ظهر آدم فخرج كل نسمة
هو خالقها إلى يوم القيامة بنوعمان . هذا الذي وراء عرفة . وأخذ ميثاقهم : أَلَسْتُ
بِرَبِّكُمْ ؟ قالوا : بلى شهدنا . واللفظ لحديث يعقوب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمران بن عبيدة ، عن عطاء ،

(١) سورة الأعراف ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٢) قبلا ، أى عيانا ومشاهدة ، وانظر اللسان ١٤ : ٥٤ .

(٣) الخبر في التفسير ١٣ : ٢٢٣ .

عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : أهبط آدم حين أهبط فسح الله ظهره ، فأخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، ثم قال : ألت بربكم قالوا : بلى ، ثم تلى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ؛ فجفف القلم من يومئذ بما هو كائن إلى يوم القيامة .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا يحيى بن عيسى . عن الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبیر . عن ابن عباس [في (١)] ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ، قال : لما خلق الله عز وجل آدم عليه السلام أخذ ذريته من ظهره مثل الذر ، فقبض قبضتين ، فقال لأصحاب اليمين : ادخلوا الجنة بسلام ، وقال للآخرين : ادخلوا النار ولا أبالي .

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، قال : حدثنا روح بن عبادة وسعد بن عبد الحميد بن جعفر ، عن مالك بن أنس ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، عن مسلم بن يسار الجهني ؛ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه الآية : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ . فقال عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إن الله خلق آدم ثم مسح على ظهره يمينه واستخرج منه ذرية ، فقال : خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح على ظهره فاستخرج منه ذرية فقال : خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون» ، فقال رجل : يا رسول الله ، فقيم العمل ؟ قال : «إن الله تبارك وتعالى إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة ، [حتى يموت على عمل من عمل أهل الجنة] (٢) فيدخله الجنة ، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من عمل أهل النار فيدخله النار» (٣) .

• • •

وقيل : إنه أخذ ذرية آدم عليه السلام من ظهره بدحنا .

(١) تكملة من ١

(٢) تكملة من التفسير .

(٣) الخبر في التفسير ٣ : ٢٢٣

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكام ^(١) ، قال : حدثنا عمرو بن قيس ، عن عطاء ، عن سعيد ، عن ابن عباس : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ . قال : لما خلق الله عز وجل آدم مسح ظهره بدحنا ^(٢) فأخرج من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، فقال : ألسن بربكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فيرون يومئذ ، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة ^(٣) .

• • •

وقال بعضهم : أخرج الله ذرية آدم من صلبه في السماء قبل أن يهبطه إلى الأرض ، وبعد أن أخرجه من الجنة .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدي : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ قالوا بلى ، قال : أخرج الله آدم من الجنة ولم يهبطه من السماء ، ثم إنه مسح من آدم صفحة ظهره اليمنى ، فأخرج منه ذرية كهيفة الدر بيضاء مثل اللؤلؤ ، فقال لهم : ادخلوا الجنة برحمتي ، ومسح صفحة ظهره اليسرى ، فأخرج منه كهيفة الدر سوداً ، فقال : ادخلوا النار ولا أبالي . فذلك حين يقول : « أصحاب اليمين » و « أصحاب الشمال » . ثم أخذ الميثاق فقال : ألسن بربكم ؟ قالوا بلى ، فأعطاها طائفة طائعين ، وطائفة على وجه التقية ^(٤) .

١٣٧/١

(١) حكام بن مسلم . (٢) بمجم البلدان : دحنا : بفتح أوله وسكون ثانيه

ونون ، وألفه يروى فيها المد والقصر : أرض خلق الله منها آدم .

(٣) الخبر في التفسير ١٣ : ٢٢٨

(٤) الخبر في التفسير ١٣ : ٢٤٢

ذكر الأحداث التي كانت في عهد آدم عليه السلام بعد أن أهبط إلى الأرض

فكان أول ذلك قتل قابيل بن آدم أخاه هاويل ، وأهل العلم يختلفون في اسم قابيل ، فيقول بعضهم : هو قَيْن بن آدم ، ويقول بعضهم : هو قايين ابن آدم . ويقول بعضهم : [هو] ^(١) قايين . ويقول بعضهم : هو قابيل . واختلفوا أيضاً في السبب الذي من أجله قتله :

فقال بعضهم في ذلك ما حدثني به موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي - في خبر ذكره - عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : كان ^(٢) لا يولد لآدم مولوداً إلا ولد معه جارية ، فكان يزوج غلام هذا البطن جارية هذا البطن [الآخر] ^(٣) ويزوج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر ، حتى وُلد له ابنان ، يقال لهما قابيل وهاويل ، وكان قابيل صاحب زرع ، وكان هاويل صاحب ضرع ، وكان قابيل أكبرهما ، وكانت له أخت أحسن من أخت هاويل ، وإن هاويل طلب أن ينكح أخت قابيل ، فأبى عليه وقال : هي أختي وُلدت معي ، وهي أحسن من أختك ، وأنا أحق أن أتزوجها ، فأمره أبوه أن يزوجه هاويل ، فأبى . وإنيهما قربا قرباناً إلى الله أيهما أحق بالجارية ، وكان

١٣٨/١

(١) تكملة من ١ .

(٢) التفسير : • فكان • .

(٣) تكملة من التفسير .

آدم يومئذ قد غاب عنهما وأتى مكة ينظر إليها ، قال الله لآدم : يا آدم ، هل تعلم أن لي بيتاً في الأرض ؟ قال : اللهم لا ، قال : فإن لي بيتاً بمكة فأتته ، فقال آدم للسماء : احفظي ولدي بالأمانة ، فأبت ، وقال للأرض فأبت ، وقال للجبال : فأبت ، فقال لقبايل ، فقال^(١) : نعم ، تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرك . فلما انطلق آدم قرباً قرباناً ، وكان قبايل يفخر عليه فيقول : أنا أحق بها منك هي أختي ، وأنا أكبر منك ، وأنا وصي والدي ، فلما قربا ، قرب هايل جدّعة سمينة ، وقرب قبايل حزمة سنبل ، فوجد فيها سنبله عظيمة ففركها فأكلها ، فنزلت النار فأكلت قربان هايل ، وتركت قربان قبايل ، فغضب وقال : لأقتلنك حتى لا تنكح أختي ، فقال هايل : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ • لَئِن بَسَطْتَ إِلَىٰ يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِمَاسِطٍ بِدِي إِيكَ لِأَقْتُلَكَ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ ﴾^(٢) ، فطلبه ليقتله ، فراغ الغلام منه في رموس الجبال ، فأناه يوماً من الأيام وهو يرعى غنمه في جبل وهو نائم ، فرفع صخرة فشدخ بها رأسه ، فمات وتركه بالعراء ، لا يعلم كيف يدفن ، فبعث الله غرابين أخوين فاقتلا ، فقتل أحدهما صاحبه ، فحفر له ثم حثا عليه ، فلما رآه قال : ﴿ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ﴾^(٣) ، فهو قوله عز وجل : ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِي ﴾^(٤) . فرجع آدم فوجد ابنه قد قتل أخاه ، فذلك حين يقول الله عز وجل : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ﴾ - إلى آخر الآية - ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾^(٥) يعني قبايل حين حمل أمانة آدم ، ثم لم يحفظ له أهله^(٦) .

١٣٩/١

(١) ط : ه قال ه ، وما أثبتته عن ا والتفسير .

(٢) سورة المائدة ٢٧ - ٣١

(٣) سورة الأحزاب ٧٢

(٤) الخبر في التفسير ١٠ : ٢٠٦

وقال آخرون : كان السبب في ذلك أن آدم كان يولد له من حواء في كل بطن ذكر وأنثى ، فإذا بلغ الذكر منهما زوج منه [ولده] ^(١) الأنثى التي وُلدت مع أخيه الذي ولد في البطن الآخر ؛ قبله أو بعده .

فرغب قبايل بتوئمه عن ها بيل .

كما حدثني القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عبد الله بن عثمان بن خثيم ، قال : أقبلت مع سعيد بن جبير أرمي الحمرة ، وهو متقنع متوكئي على يدي ؛ حتى إذا وازينا ^(٢) بمنزل سمرة الصواف ، وقف يحدثني عن ابن عباس ، قال : نهى أن تنكح المرأة أخاها توئمها ، وينكحها غيره من إختوها ، وكان يولد في كل بطن رجل وامرأة ، فولدت امرأة وسيمة وولدت امرأة قبيحة ، فقال أخو الدميمة : أنكحني أختك وأنكحك أختي ، قال : لا ، أنا أحق بأختي ، فقربا قربانا فتقبل من صاحب الكبش ، ولم يتقبل من صاحب الزرع ، فقتله ، فلم يزل ذلك الكبش محبوساً عند الله عز وجل حتى أخرجه ز. فداء إسحاق ، فذبحه على هذا الصفا ، في ثبير ، عند منزل سمرة الصواف ، وهو على يمينك حين ترمى الجمار . ^(٣)

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد

بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم من أهل الكتاب الأول ، أن آدم عليه السلام كان يغشى حواء في الجنة قبل أن تصيب الخطيئة ، فحملت له بقين بن آدم وتوئمه ، فلم تجد عليهما وحمًا ولا وصبًا ، ولم تجد عليهما طلقًا حين ولدتهما ، ولم تر معهما دمًا لظهر الجنة ، فلما أكلا من الشجرة وأصابا المعصية ، وهبطا إلى الأرض واطمأنا بها تغشاهما ، فحملت بها بيل وتوئمه ، فوجدت عليهما الوحم والوصب ، ووجدت حين ولدتهما الطلق ^(٤) ورأت معهما الدم ، وكانت حواء -

(١) تكملة من ا

(٢) ا ، ر ، س ، ن : « وازينا » .

(٣) الخبر في التفسير ١٠ : ٢٢٣ .

(٤) الطلق : وجع الولادة

فيما يذكرون— لا تحمل إلا توئماً ذكراً وأنثى ، فولدت حواء لآدم أربعين ولدًا لصلبه^(١) من ذكر وأنثى في عشرين بطناً ، وكان الرجل منهم أيّ أخواته شاء تزوج^(٢) إلا توئمه التي تولد معه^(٣) ، فإنها لا تحلّ له ، وذلك أنه لم يكن نساء يومئذ إلا أخواتهم وأمهم حواء .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول^(٤) أن آدم أمر ابنه قيناً^(٥) أن ينكح توئمه هابيل ، وأمر هابيل أن ينكح أخته توئمه قينا ، فسلم لذلك هابيل ورضى ، وأبى ذلك قين وكره تكرماً عن أخت هابيل ، ورضب بأخته عن هابيل ، وقال ، نحن ولادة الجنة ، وهما من ولادة الأرض ، وأنا أحق بأختي — ويقول بعض أهل العلم من أهل الكتاب الأول : بل كانت أخت قين من أحسن الناس ، فضنّ بها عن أخيه ، وأرادها لنفسه — والله أعلم أيّ ذلك كان — فقال له أبوه : يا بنيّ إنها لا تحلّ لك ، فأبى قين أن يقبل ذلك من قول أبيه ، فقال له أبوه : يا بنيّ ، فقرب قرباناً ، ويقرب أخوك هابيل قرباناً ، فأبى كما قبل الله قربانه فهو أحقّ بها ، وكان قين على بذر الأرض ، وكان هابيل على رعاية الماشية ، فقرب قين قمحاً ، وقرب هابيل أبقاراً من أبقار غنمته — وبعضهم يقول : قرب بقرة — فأرسل الله جلّ وعزّ ناراً بيضاء ، فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قين^(٦) . وبذلك كان يقبل القربان إذا قبله الله عزّ وجلّ ، فلما قبل الله قربان هابيل — وكان في ذلك القضاء له بأخت قين — غضب قين ، وغلب عليه الكبر واستحوذ عليه الشيطان ، فاتبع أخاه هابيل ، وهو في ماشيته فقتله ، فهما اللذان قصّ الله خبرهما في القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ ﴾ يعني أهل الكتاب ﴿ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا

١٤١/١

(١) ر : « من صلبه » .

(٢) في ط : « يتزوج » ، وأثبت ما في ا وابن الأثير ١ : ٢٥ .

(٣) في ط : « ولدت » ، وأثبت ما في ا وابن الأثير .

(٤) في جميع الأصول : « عن الكتاب الأول » ، وما أثبتته من التفسير .

(٥) في التفسير « قابيل » ، وكذلك حيث ورد في باقي الخبر .

(٦) الخبر إلى هنا في التفسير ١٠ : ٢٠٥ .

فَتُقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِمَا ﴿^(١)﴾ إلى آخر القصة، قال : فلما قتله سَقِطَ في يديه ، ولم يدرك كيف يُواريه ، وذلك أنه كان - فيما يزعمون - أولَ قَتِيلٍ من بني آدم : ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي سَوْءَةَ أَخِي. ﴾ إلى قوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ ^(١)

قال : ويزعم أهل التوراة أن قَيْنَا ^(٢) حين قتل أخاه هابيل ، قال الله له : أين أخوك هابيل ؟ قال : ما أدري ، ما كنت عليه رقيباً ؛ فقال الله له : إن صوتَ دم أخيك لَيَنَادِينِي مِنَ الْأَرْضِ ! الآن أنت ملعون من الأرض التي فتحتُ فاهَا ، فتلقَّتْ دم أخيك من يدك ، فإذا أنت عملت في الأرض ، فإنها لا تعود تعطيك حرثها حتى تكونَ فزعاً تائهاً في الأرض ، فقال قين : عَظُمْتُ خَطِيئَتِي مِنْ أَنْ تَغْفِرَهَا ، قد أخرجتني اليوم عن وجه الأرض [وأتوارى] ^(٣) من قدامك ، وأكون فزعاً تائهاً في الأرض ، وكل من اقميتني ؛ قتلني . فقال الله عز وجل : ليس ذلك كذلك ؛ فلا يكون كل من قتل قتيلاً يجزى بواحد سبعة ، ولكن من قتل قيناً يجزى سبعة ، وجعل الله في قين آية لئلا يقتله كل من وجدته ، وخرج قين من قدام الله عز وجل من شرقي عدن الجنة ^(٤) .

• • •

وقال آخرون في ذلك : إنما كان قتل القاتل منهما أخاه أن الله عز وجل أمرهما بتقريب قربان ، فتقبل قربان أحدهما ، ولم يتقبل من الآخر ، فبغاه الذي لم يتقبل قربانه فقتله .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا

(١) سورة المائدة ٢٧ - ٣٢

(٢) في التفسير : « قاييل » .

(٣) تكملة من التفسير .

(٤) الخبر في التفسير ١٠ : ٢٢٨

عوف ، عن أبي المغيرة ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : إن ابني آدم اللذين قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر كان أحدهما صاحب حرث ، والآخر صاحب غنم ، وأنها أميرا أن يقربا قرباناً ، وأن صاحب الغنم قرب أكرم غنمه وأسمها وأحسنها ، طيبة بها نفسه ، وأن صاحب الحرث قرب ، شر حرثه : الكوزر^(١) والزوان ، غير طيبة بها نفسه ، وأن الله عز وجل تقبل قربان صاحب الغنم ، ولم يتقبل قربان صاحب الحرث ، وكان من قصتهما ما قص الله في كتابه وقال : ايم الله ، إن كان المقتول لأشدّ الرجلين ، ولكن منعه التحرج أن ينبسط^(٢) إلى أخيه^(٣) .

١٤٣/١

وقال آخرون بما حدثني به محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن ابن عباس ، قال : كان من شأنهما أنه لم يكن مسكين يتصدق عليه ، وإنما كان القربان يقربه الرجل ، فبينما ابنا آدم قاعدان إذ قالا : لو قربنا قرباناً ! وكان الرجل إذا قرب قرباناً فرضيه الله عز وجل أرسل إليه ناراً فأكلته ، وإن لم يكن رضيه الله خبت النار ، فقربا قرباناً ، وكان أحدهما راعياً والآخر حرثاً ، وإن صاحب الغنم قرب خير غنمه وأسمها ، وقرب الآخر بعض زرع ، فجاءت النار فتزلت [بينهما]^(٤) فأكلت الشاة وتركت الزرع ، وإن ابن آدم قال لأخيه : أتمشى في الناس ، وقد علموا أنك قربت قرباناً فتقبل منك ورد علي قرباني ! فلا والله لا ينظر الناس إلى وإليك وأنت خير مني ، فقال : لأقتلنك ، فقال له أخوه : ما ذنبي ! إنما يتقبل الله من المتقين^(٥) .

• • •

وقال آخرون : لم تكن قصة هذين الرجلين في عهد آدم ، ولا كان القربان

(١) ط : الكوزر ، وفي التفسير : الكوزن ، وأثبت ما في ا ، ر ، ك .

(٢) في ط والتفسير : يبسط ، وأثبت ما في ا

(٣) الخبر في التفسير ١٠ : ٢٠٢

(٤) الخبر في التفسير ١٠ : ٢٠٣

(٥) تكملة من ا والتفسير .

في عصره ، وقالوا : إنما كان هذان رجلين من بني إسرائيل ، وقالوا : إن أول
ميت مات في الأرض آدم عليه السلام ، لم يمّت قبله أحد .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا سهل بن يوسف ، عن
عمرو ، عن الحسن ، قال : كان الرجلان اللذان في القرآن قال الله عز وجل
فيهما : ﴿ وَآتَىٰ عَلَيْهِم نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ ﴾ من بني إسرائيل ، ولم
يكونا ابني آدم لصلبه ، وإنما كان القربان في بني إسرائيل ، وكان آدم أول
من مات (١) .

• • •

وقال بعضهم : إن آدم غشي حواء بعد مهبطهما إلى الأرض بمائة سنة ،
فولدت له قابيل وتوأمته قليما في بطن واحد ، ثم هاويل وتوأمته في بطن واحد ،
فلما شبوا أراد آدم عليه السلام أن يزوج أخت قابيل التي ولدت معه في بطن
واحد من هاويل ، فامتنع من ذلك قابيل ، وقربا بهذا السبب قرباناً فتقبّل
قربان هاويل ، ولم يتقبّل قربان قابيل ، فحسده قابيل ، فقتله عند عقبة
حيرى (٢) ثم نزل قابيل من الجبل ، آخذاً بيد أخته قليما ، فهرب بها إلى عدن
من أرض اليمن .

حدثني بذلك الحارث . قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني
هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : لما قتل
قابيل أخاه هاويل أخذ بيد أخته ثم هبط بها من جبل بتوذ إلى الحضيض ، فقال
آدم لقابيل : اذهب فلا تزال مرعوباً لا تأمن من تراه ، فكان لا يمرّ به أحد
من ولده إلا رماه ، فأقبل ابن لقابيل أعمى ، ومعه ابن له ، فقال للأعمى ابنه :
هذا أبوك قابيل ، فرمى الأعمى أباه قابيل فقتله ، فقال ابن الأعمى : قتلت

(١) الخبر في التفسير ١٠ : ٢٠٨ .

(٢) كذا في ١ ، ك ، وفي ط : « حراء » .

يا أبتاه أباك، فرفع الأعمى يده، فلطم ابنه فمات ابنه، فقال الأعمى: ويل لي! قتلتُ أبي برميتي، وقتلتُ ابني بلطمتي!
 وذكر في التوراة أن هابيل قُتل وله عشرون سنة، وأن قابيل كان له يوم قتله خمس وعشرون سنة.

• • •

والصحيح من القول عندنا أن الذي ذكر الله في كتابه أنه قتل أخاه من ابني آدم هو ابن آدم لصلبه، لنقل الحجّة أن ذلك كذلك، وأن هناد بن السري حدثنا، قال: حدثنا أبو معاوية ووكيع جميعاً عن الأعمش. ١٤٥/١
 - وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير. وحدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا جرير وأبو معاوية عن الأعمش - عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله^(١)، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من نفس تُقتل ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كِفْلٌ منها»، وذلك لأنه أول من سنّ القتل.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي - وحدثنا ابن وكيع قال: حدثنا أبي - جميعاً عن سفيان^(٢)، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه^(٣).

فقد بين هذا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحة قول من قال: إن اللذين قصّ الله في كتابه قصتهما من ابني آدم كانا ابنيه لصلبه؛ لأنه لاشكّ أنهما لو كانا من بني إسرائيل - كما روى عن الحسن - لم يكن الذي وُصف منهما بأنه قتل أخاه أول من سنّ القتل، إذ كان القتل في بني آدم قد كان قبل إسرائيل وولده.

• • •

فإن قال قائل: فما برهانك على أنهما ولدا آدم لصلبه، وأن لم يكنا من بني إسرائيل؟

(١) مسروق بن الأجدع، روى عن عبد الله بن مسعود. (٢) سفيان الثوري.

(٣) الخبر في التفسير ١٠: ٢١٤.

قيل : لا خلاف بين سلف علماء أمتنا في ذلك ، إذا فسد قول من قال :
كانا من بني إسرائيل .

• • •

وذكر أن قابيل لما قتل أخاه هاويل بكاه آدم عليه السلام فقال - فيما
حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن غياث بن إبراهيم ، عن أبي
إسحاق الهمداني ، قال : قال ^(١) علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : لما قتل
ابن آدم أخاه بكاه آدم ، فقال :

١٤٦/١

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا فَوَجَّهُ الْأَرْضِ مُغْبَرٌ قَبِيحٌ ^(٢)
تَمَيَّرَ كُلُّ ذِي طَعْمٍ وَلَوْنٍ وَقَلَّ بِشَاشَةِ الْوَجْهِ الْمَلِيحِ

قال : فأجيب آدم عليه السلام :

أبا هاويلَ قَدْ قَتَلَا جَمِيمًا وصار الحى كالميت الذبيح ^(٣)
وجاء بِشِرَّةٍ قَدْ كَانَ مِنْهَا على خَوْفٍ فجاء بها يصيح ^(٤)

• • •

وذكر أن حواء ولدت لآدم عليه السلام عشرين ومائة بطن ، أولهم
قابيل وتوأمته قليا ، وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أمة المغيث .
وأما ابن إسحاق فذكر عنه ما قد ذكرت قبل ؛ وهو أن جميع ما ولدته
حواء لآدم لصلبه أربعون من ذكر وأنثى في عشرين بطناً ، وقال : قد بلغنا
أسماء بعضهم ولم يبلغنا بعض .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
فكان من بلغنا اسمه خمسة عشر رجلاً وأربع نسوة ؛ منهم قين وتوأمته ، وهاويل
وليوزا ^(٥) وأشوث بنت آدم وتوأمها ، وشيث ^(٦) وتوأمته ، وحزورة وتوأمها ؛ على

(١) الخبر في التفسير ١٠ : ٢٠٩

(٢) التفسير : « فلين » .

(٣) ١ ، س ، ك : « بالميت » .

(٤) في الأبيات إقواء .

(٥) ن : « كيوزا » .

(٦) ١ : « شث » .

ثلاثين ومائة سنة من عمره . ثم أباد^(١) بن آدم وتوعمته ، ثم بالغ^(٢) بن آدم وتوعمته ، ثم أنثى^(٣) بن آدم وتوعمته ، ثم توبة^(٤) بن آدم وتوعمته ، ثم بنان^(٥) ابن آدم وتوعمته ، ثم شبوبة^(٦) بن آدم وتوعمته ، ثم حيان بن آدم وتوعمته ، ثم صرابيس^(٧) بن آدم وتوعمته ، ثم هدز^(٨) بن آدم وتوعمته ، ثم يحود^(٩) بن آدم وتوعمته ، ثم سندل بن آدم وتوعمته ، ثم بارق بن آدم وتوعمته ، كلُّ رجل منهم تولد معه امرأة في بطنه الذي يُحمَل به فيه .

١٤٧/١

• • •

وقد زعم أكثر علماء الفرس أن جيومرت هو آدم ، وزعم بعضهم أنه ابن آدم لصلبه من حواء .

وقال فيه غيرهم أقوالاً كثيرة ، يطول بذكر أقوالهم الكتاب ، وتركنا ذكر ذلك إذ كان قصدنا في كتابنا هذا ذكر الملوك وأيامهم ، وما قد شرطنا في كتابنا هذا أننا إذا كروه فيه ، ولم يكن ذكر اختلاف المختلفين في نسب ملك من جنس ما أنشأنا له صنعة الكتاب ، فإن ذكرنا من ذلك شيئاً فلتعريف من ذكرنا؛ ليعرفه من لم يكن به عارفاً؛ فأما ذكر الاختلاف في نسبة فإنه غير المقصود به في كتابنا هذا .

• • •

وقد خالف علماء الفرس فيما قالوا من ذلك آخرون من غيرهم ممن زعم أنه آدم ، ووافق علماء الفرس على اسمه وخالفه في عينه وصفته ، فزعم أن

(١) كذا في ا ، ن ، وفي ط : « إيد » .

(٢) ك : « بالغ » .

(٣) ا : « أنات » ، ر : « إياثي » .

(٤) ر : « ثوبة » .

(٥) ا ، ن : « بيان » ، ر : « لبنان » .

(٦) ر : « ثوبه » ، ك : « شوبة » ، ن : « سبوبة » .

(٧) س : « صرابيس » .

(٨) ا : « حزر » ، س : « هوز » ، ك : « هرز » ، ن : « هدن » .

(٩) ا : « نجود » ، س : « يحور » ، ن : « بجود » .

جِيومَرْت^(١) الذي زعمت الفرس أنه آدم عليه السلام إنما هو جامر^(٢) بن يافث ابن نوح ، وأنه كان معمرأ سيّدا ، نزل جبل دُنْبَاوَنَد^(٣) من جبال طَبْرِسْتَان من أرض المشرق ، وتملك بها وبفارس ، ثم عظم أمره وأمر ولده ، حتى ملكوا بابل ، وملكوا في بعض الأوقات الأقاليم كلّها ، وأن جِيومَرْت منع من البلاد ما صار إليه ، وابتنى المدن والحصون وعمّرها ، وأعدّ السلاح ، واتخذ الخيل ، وأنه تجبّر في آخر عمره ، وتسمى بآدم ؛ وقال : من سمانى بغير هذا الاسم ضربت عنقه ، وأنه تزوج ثلاثين امرأة ، فكثرت منهن نسله ، وأن ماري^(٤) ابنة وماريانه^(٥) أخته ، ممن كان ولد له في آخر عمره ، فأعجب بهما وقد مهما ، فصار الملوك بذلك السبب من نسلهما ، وأن ملكه اتسع وعظم .

١٤٨/١

وإنما ذكرت من أمر جِيومَرْت في هذا الموضع ما ذكرت ، لأنه لا تدافع بين علماء الأمم أن جِيومَرْت هو أبو الفرس من العجم ؛ وإنما اختلفوا فيه : هل هو آدم أبو البشر على ما قاله الذين ذكرنا قولهم أم هو غيره ؟ ثم مع ذلك فلأن ملكه وملك أولاده لم يزل منتظماً على سياق ، متسقاً بأرض المشرق وجبالها إلى أن قتل يَزْدَجِرْد بن شهر يار من ولد ولده بَمَرُو - أبعده الله - أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فتأريخ ما مضى من سني العالم على أعمار ملوكهم أسهل بياناً ، وأوضح مناراً منه على أعمار ملوك غيرهم من الأمم ؛ إذ لا تعلم أمة من الأمم الذين ينتسبون إلى^(٦) آدم عليه السلام دامت لها المملكة ، واتصل لهم^(٧) الملك ، وكانت لهم ملوك تجمعهم ، ورعوس تحامي عنهم من ناوأمهم ، وتغالب بهم من عآزهم ، وتدفع ظالمهم عن مظلومهم ، وتحملهم من الأمور على ما فيه حظهم

(١) جيومرت ، كذا كتب في الأصول ، بالجيم والياء المثناة ، وكذا في الشاهنامه ١ : ١٣ ، ومعناه عند الفرس اسم الإنسان الأول .

(٢) ر ، وابن الأثير ١ : ٢٨ : « حام بن يافث » .

(٣) دنباوند ، ضبطه ياقوت بضم أوله وسكون ثانيه وبعدها باء موحدة ، وبعده الألف واو ثم نون ساكنة وآخره دال ، قال : « ويقال دباوند : جبل من نواحي الري » . وفي س : « دباوند » .

(٤) ك : « أماري »

(٥) ر : « ماريانة » ، س : « ماريا » ، ك : « ماريانة » .

(٦) أ : « ينسبون » .

(٧) أ : « بها » .

على اتصال ودوام ونظام، يأخذ ذلك آخرهم عن أولهم، وغابهم عن سالفهم -
سواهم، فالتأريخ على أعمار ملوكهم أصبح مخرجاً، وأحسن وضوحاً.

• • •

وأنا ذاكر ما انتهى إلينا من القول في عمر آدم عليه السلام وأعمار من كان
بعده من ولده الذين خلفوه في النبوة والملك، على قول من خالف قول الفرس الذين
زعموا أنه جيئومرت، وعلى قول من قال: إنه هو جيومرت أبو الفرس، وذاكر
ما اختلفوا فيه من أمرهم إلى الحال التي اجتمعوا عليها، فاتفقوا على من ملك
منهم في زمان بعينه أنه كان هو الملك في ذلك الزمان إن شاء الله، ولا حول
ولا قوة إلا بالله، ثم سائق ذلك كذلك إلى زماننا هذا.

١٤٩/١

• • •

ونرجع الآن إلى الزيادة في الإبانة عن خطأ قول من قال: إن أول ميت
كان في أول الأرض آدم، وإنكاره الذين قص الله نباهما في قوله:
﴿وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾^(١)، أن يكونا من
صُلب آدم من أجل ذلك.

فحدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث،
قال: حدثنا عمر بن إبراهيم، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة بن جندب،
عن النبي عليه السلام قال: «كانت حواء لا يعيش لها ولد، فنذرت لئن
عاش لها ولد لتسمينه عبد الحارث، فعاش لها ولد فسمته عبد الحارث، وإنما
كان ذلك عن وحى الشيطان^(٢)».

وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن
داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كانت حواء تلد
لآدم فتعبدهم الله^(٣) عز وجل وتسميهم: عبد الله، وعبيد الله، ونحو ذلك،

(١) سورة المائدة ٢٧.

(٢) الخبر في التفسير ١٣ : ١٩٠.

(٣) ١ والتفسير: «الله».

فيصيبهم الموت ، فأناها إبليس وآدمَ عليه السلام ؛ فقال : إنكما لو تسميانه
بغير الذي تسميانه به لعاش ، فولدت له ذكراً ، فسمياه عبد الحارث ؛ ففيه أنزل
الله عزّ ذكره ، يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ ؛
إلى قوله : ﴿ جَمَلًا لَهُ شُرَكَاءُ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ ^(١) إلى آخر الآية ^(٢) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا ابن فضيل ، عن سالم بن أبي
حفصة ، عن سعيد بن جبير : ﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهُ رَبَّهُمَا ﴾ إلى قوله :
﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ^(١) .

قال : ولما حملت حواء في أول ولد ولدته حين أثقلت أتاها إبليسُ قبل
أن تلد فقال : يا حواء ، ما هذا في بطنك ؟ فقالت : ما أدري مَنْ ؟ فقال :
أين يخرج ؟ من أنفك ؟ أو من عينك ؟ أو من أذنك ؟ قالت : لا أدري ،
قال : رأيت إن خرج سليماً أمطعتني أنتِ فيما أمركِ به ؟ قالت : نعم ، قال :
سميه عبد الحارث - وقد كان يسمي إبليس لعنه الله الحارث - فقالت : نعم ،
ثم قالت بعد ذلك لآدم : أتاني آت في النوم فقال لي : كذا وكذا ، فقال : إن
ذاك الشيطان فاحذريه ، فإنه عدونا الذي أخرجنا من الجنة ، ثم أتاها إبليس
لعنه الله فأعاد عليها ، فقالت : نعم ، فلما وضعته أخرجته الله سليماً فسمته
عبد الحارث ، فهو قوله : ﴿ جَمَلًا لَهُ شُرَكَاءُ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ إلى قوله : ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ^(٣) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا جرير وابن فضيل ^(٤) ، عن
عبد الملك ^(٥) ، عن سعيد بن جبير ، قال : قيل له : أشرك آدم ؟ قال : أعوذ
بالله أن أزعم أن آدم عليه السلام أشرك ! ولكن حواء لما أثقلت أتاها إبليسُ

(١) سورة الأعراف ١٨٩ ، ١٩٠

(٢) الخبر في التفسير ١٣ : ٣٠٩

(٣) الخبر في التفسير ١٣ : ٣١٣ (٤) محمد بن فضيل بن غزوان .

(٥) عبد الملك بن أبي سلمان .

فقال لها : من أين يخرج هذا ؟ من أنفك ، أو من عينك ، أو من فيك ؟
فقتطها ، ثم قال : رأيت إن خرج سويا - قال ابن وكيع : زاد ابن فضيل :
« لم يضرّك ولم يقتلك » - أنطعيني ؟ قالت : نعم ، قال : فسميه عبد الحارث ،
فعلت - زاد جرير : فإنما كان شرّك في الاسم^(١) .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال :
حدثنا أسباط ، عن السديّ : فولدت - يعني حواء - غلاماً ، فأتاها إبليس
فقال : سمّوه عبدى ، وإلا قتلتك ، قال له آدم : قد أطعتك وأخرجتني من
الجنة . فأبى أن يطيعه ، فسماه « عبد الرحمن » ، فسلب عليه إبليس لعنه الله فقتله ،
فحملت بآخر فلما ولدته ، قال : سميه عبدى وإلا قتلتك ، قال له آدم عليه
السلام : قد أطعتك فأخرجتني من الجنة . فأبى فسماه صالحاً ، فقتله ، فلما
كان الثالث قال لهما : فإذا غلبتموني فسمّوه عبد الحارث ، وكان امم إبليس
الحارث ، - وإنما سمى إبليس حين أبلس (تحبير)^(٢) - فذلك حين يقول
الله عز وجل : ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ - يعني في الأسماء^(٣) .

• • •

فهؤلاء الذين ذكرت الرواية عنهم بما ذكرت ، من أنه مات لآدم وحواء
أولاد قبلهما ، ومن لم نذكر أقوالهم ممن عددهم أكثر من عدد من ذكرت
قوله والرواية عنه ، قالوا خلاف قول الحسن الذي روى عنه أنه قال : أول من
مات آدم عليه السلام .

وكان آدم مع ما كان الله عز وجل قد أعطاه من ملك الأرض والسلطان
فيها قد نبأه ، وجعله رسولا إلى ولده ، وأنزل عليه إحدى وعشرين صحيفة كتبها
آدم عليه السلام بخطه ، علّمه إياها جبرئيل عليه السلام .

وقد حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدثنا عمي ،

قال : حدثني الماضي بن محمد ، عن أبي سليمان ، عن القاسم بن محمد ، عن

(١) الخبر في التفسير ١٣ : ٢١٣

(٢) ط : « تحيرا » تصحيف .

(٣) الخبر في التفسير ١٣ : ٢١٣

أبي إدريس الخولاني ، عن أبي ذر الغفاري ، قال : دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده ، فجلست إليه فقال لي : «يا أبا ذر ، إن للمسجد تحية وإن تحيته ركعتان ، فقم فاركعهما» ، فلما ركعتهما جلست إليه فقلت : يا رسول الله ، إنك أمرتني بالصلاة فما الصلاة ؟ قال : «خير موضوع ، استكثر أو استقل» ، ثم ذكر قصة طويلة قال فيها : قلت : يا رسول الله ، كم الأنبياء؟ قال : «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً» ، قال : قلت : يا رسول الله ، كم المرسل من ذلك؟ قال : «ثلثمائة وثلاثة عشر جمماً غفيراً» ، يعني كثيراً طيباً ، قال : قلت يا رسول الله ، من كان أولهم ؟ قال : «آدم» ، قال : قلت يا رسول الله ، وآدم نبي مرسل؟ قال : «نعم خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، ثم سواه قبلاً» .^(١)

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن جعفر بن الزبير ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبي أمامة ، عن أبي ذر قال : قلت ، يا نبي الله ، أنبياءاً كان آدم ؟ قال : «نعم ، كان نبياً ، كلمه الله قبلاً» .

وقيل : إنه كان مما أنزل الله تعالى على آدم تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وحروف المعجم في إحدى وعشرين ورقة .

(١) قبلا ، أي عياناً .

ذكر ولادة حواء شيثاً

ولما مضى لآدم صلى الله عليه وسلم من عمره مائة وثلاثون سنة ، وذلك بعد قتل قابيل هاويل بخمس سنين ، ولدت له حواء ابنة شيثاً ، فذكر أهل التوراة أن شيثاً ولد فرداً بغير توأم ، وتفسير « شيث » عندهم « هبة الله » ، ومعناه أنه خلف من هاويل .

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثني ابن سعد ، قال : أخبرنا هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : ولدت حواء لآدم شيثاً وأخته عزورا^(١) ، فسمي هبة الله ، اشتق له من هاويل ، قال لها جبرئيل حين ولدته : هذا هبة الله بدل هاويل ، وهو بالعربية شيث ، وبالسريانية شاث ، وبالعبرانية شيث ، وإليه أوصى آدم ، وكان آدم يوم ولد له شيث ابن ثلاثين ومائة سنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : لما حضرت آدم الوفاة - فيما يذكره الله أعلم - دعا ابنه شيثاً فعهد إليه عهده ، وعلمه ساعات الليل والنهار ، وأعلمه عبادة الخلق في كل ساعة منهن ، فأخبره أن لكل ساعة صنفاً من الخلق فيها عبادته . وقال له : يا بني إن الطوفان سيكون في الأرض يلبث فيها سبع سنين . وكتب وصيته ، فكان شيث - فيما ذكر - وصي أبيه آدم عليه السلام ، وصارت الرياسة من بعد وفاة آدم لشيث ، فأنزل^(٢) الله عليه فيما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين صحيفة .

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدثنا عمي ، قال : حدثنا الماضي بن محمد ، عن أبي سليمان ، عن القاسم بن محمد ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن أبي ذر الغفاري ، قال : قلت : يا رسول الله ، كم

(١) كذا في ١ ، ن وف ط : « عزورا » .

(٢) ١ : « وأنزل » .

كتاب أنزله الله عز وجل؟ قال: «مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل الله على شيث خمسين صحيفة» .

• • •

وإلى شيث أنسابُ بني آدم كلهم اليوم؛ وذلك أن نسل سائر ولد آدم غير نسل شيث، انقرضوا وبادوا فلم يبق منهم أحد، فأنسابُ الناس كلهم اليوم إلى شيث عليه السلام.

• • •

وأما الفرس الذين قالوا إن جِيومَرْت هو آدم؛ فإنهم قالوا: ولد لجيومَرْت ابنه ميشي، وتزوج ميشي^(١) أخته ميشانه فولدت له سيامك بن ميشي، وسيامى ابنة ميشي، فولد لسيامك بن ميشي بن جيومرت أفرواك، وديس، وبراسب، وأجوب^(٢)، وأوراش^(٣) بنو سيامك، وأفري، وددى^(٤)، وبرى^(٥) وأوراشي بنات سيامك، أمهم جميعاً سيامى بنت ميشي، وهى أخت أبيهم.

وذكروا أن الأرض كلها سبعة أقاليم، فأرض بابل وما يوصل إليه مما يأتيه الناس براً أو بحراً فهو إقليم واحد، وسكانه نسل ولد أفرواك بن سيامك وأعقابهم، وأما الأقاليم الستة الباقية التي لا يوصل إليها اليوم براً أو بحراً فنسلُ سائر ولد سيامك، من بنيه وبناته.

فولد لأفرواك بن سيامك من أفري بنت سيامك هوشنك يشداد الملك، وهو الذي خلف جده جِيومَرْت في الملك، وأول من جمع له ملك الأقاليم السبعة، وسنذكر أخباره إن شاء الله إذا انتهينا إليه. وكان بعضهم يزعم أن أوشهنج هذا، هو ابن آدم لصلبه من حواء.

وأما هشام الكلبي فإنه فيما حدثتُ عنه قال: بلغنا والله أعلم - أول ملك ملك الأرض أوشهنق بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح. قال:

(١) كذا في ١، والشاهنامه، وفي ط: «مشا... ميشان»، وانظر الشاهنامه وحواشيها

١٥٠، ١٤: ١

(٢) كذا في ١، وفي ط: «أجرب».

(٣) ر، ك: «أوراس»، س: «أوراس».

(٤) ١: «دخري».

(٥) ١: «بزي».

والفرس تدّعيه وتزعم أنه كان بعد وفاة آدم بمائتي سنة، قال : وإنما كان هذا الملك فيما بلغنا بعد نوح بمائتي سنة، فصيرَه أهل فارس بعد آدم بمائتي سنة ، ولم يعرفوا ما كان قبل نوح .

١٥٥/١

وهذا الذي قاله هشام قول لا وجه له ، لأن هوشهنگ الملك في أهل المعرفة بأنساب الفرس أشهر من الحجاج بن يوسف في أهل الإسلام ، وكلّ قوم فهم بآبائهم وأنسابهم وما آثرهم أعلم من غيرهم ؛ وإنما يُرجع في كل أمر التبس إلى أهله .

وقد زعم بعض نسابة الفرس أن أوشهنگ بيشداد الملك هذا هو مهلائيل ، وأن أباه فرواك هو قينان أبو مهلائيل ، وأن سيامك هو أنوش أبوقينان ، وأن ميشي هو شيث أبو أنوش ، وأن جيومرت هو آدم صلى الله عليه وسلم . فإن كان الأمر كما قال ، فلا شك أن أوشهنگ كان في زمان آدم رجلاً ، وذلك أن مهلائيل فيما ذكر في الكتاب الأول كانت ولادة أمه دينة^(١) ابنة براكيل ابن محويل بن خنوخ بن قيسن بن آدم إياه بعد ما مضى من عمر آدم صلى الله عليه وسلم ثلثمائة سنة وخمس وتسعون سنة ، فقد كان له حين وفاة آدم ستمائة سنة وخمس سنين ، على حساب ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمر آدم أنه كان عمره ألف سنة .

وقد زعمت علماء الفرس أن مُلُك أوشهنگ هذا كان أربعين سنة . فإن كان الأمر في هذا الملك كالذي قاله النسابة الذي ذكرت عنه ما ذكرت فلم يُبتعد من قال : إن مُلُكُه كان بعد وفاة آدم صلى الله عليه وسلم بمائتي سنة .

ذكر وفاة آدم عليه السلام

اختُلف في مدة عمره ، وابن كَمْ كان يوم قبضه الله عز وجل إليه .
 فاما الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها واردة بما حدثني
 ١٥٦/١ محمد بن خلف العسقلاني ، قال : حدثنا آدم بن أبي إياس ، قال :
 حدثنا أبو خالد سليمان بن حيان ، قال : حدثني محمد بن عمرو ، عن أبي
 سلمة ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم - قال أبو خالد : وحدثني
 الأعمش ، عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال
 أبو خالد : وحدثني داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله
 عليه وسلم . قال أبو خالد : وحدثني ابن أبي ذباب الدؤسي ، قال : حدثنا
 سعيد المقبري ويزيد بن هرمز ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم -
 أنه قال : « خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا له ،
 فجلس فعطس فقال : الحمد لله ، فقال له ربه : يرحمك ربك ، إيت أولئك
 الملائكة فقل لهم : السلام عليكم ، فاتاهم فقال [لهم] (١) : السلام
 عليكم . قالوا له : وعليك السلام ورحمة الله ، ثم رجع إلى ربه فقال له : هذه
 تحيتك وتحية ذريتك بينهم ، ثم قبض له بديه ، فقال له : خذ واختر ، قال :
 اخترت يمين ربي وكأنا بين يمين : ففتحها له ، فإذا فيها صورة آدم وذريته
 كلهم ، فإذا كل رجل مكتوب عنده أجله ، وإذا آدم قد كتب له عمر ألف
 سنة ، وإذا قوم عليهم النور ، فقال : يا رب ، من هؤلاء الذين عليهم النور ،
 فقال : هؤلاء الأنبياء والرسل الذين أرسل إلى عبادي ، وإذا فيهم رجل هو
 أضوءهم نوراً ، ولم يكتب له من العمر إلا أربعون سنة ، فقال : [يا رب ،
 ما بال هذا ، من أضوئهم نوراً ولم يكتب له من العمر إلا أربعون سنة ؟ فقال] (١) :
 ذلك ما كتب له ، فقال : يا رب ، انقص له من عمري ستين سنة . فقال رسول
 ١٥٧/١ الله صلى الله عليه وسلم : « فلما أسكنه الله الجنة ثم أهبط إلى الأرض كان يعدّ

(١) تكملة من ١

أيامه ، فلما أتاه ملك الموت ليقبضه قال له آدم : عجّلتَ عليّ يا ملك الموت ! فقال : ما فعلت ، فقال : قد بقيَ من عمري ستون سنة ، فقال له ملك الموت : ما بقيَ من عمرك شيء ، قد سألتَ ربّك أن يكتبه لابنك داود ، فقال : ما فعلتُ . فقال : رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « فَنَسِيَ آدَمُ ، فَنَسِيَ ذُرِّيَّتَهُ ، وَجَعَدَ آدَمُ فَجَعَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ ، فَيَوْمَئِذٍ وَضَعَ اللَّهُ الْكِتَابَ ، وَأَمَرَ بِالشُّهُودِ » .

حدثني ابن سنان ، قال : حدثنا موسى بن إسماعيل ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن عليّ بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت آية الدّين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ أَوْلَى مَنْ جَعَدَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا خَلَقَهُ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَأَخْرَجَ مِنْهُ مَا هُوَ ذَارٌّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَجَعَلَ يَعْضُهُمْ عَلَى آدَمَ ، فَرَأَى فِيهِمْ رَجُلًا يَزْهَرُ ، فَقَالَ : أَيُّ رَبِّ ، أَيُّ نَبِيٍّ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا ابْنُكَ دَاوُدَ ، قَالَ : أَيُّ رَبِّ ، كَمْ عَمْرُهُ ؟ قَالَ : سِتُونَ سَنَةً ، قَالَ : أَيُّ رَبِّ ، زِدْهُ فِي عَمْرِهِ ، قَالَ : لَا ، إِلَّا أَنْ تَزِيدَهُ أَنْتَ مِنْ عَمْرِكَ ، وَكَانَ عَمْرُ آدَمَ أَلْفَ سَنَةٍ ، فَوَهَبَ لَهُ مِنْ عَمْرِهِ أَرْبَعِينَ عَامًا ، فَكَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ كِتَابًا وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ ، فَلَمَّا احْتَضَرَ آدَمَ أَتَتْهُ الْمَلَائِكَةُ لِتَقْبِضَ رُوحَهُ ، قَالَ : إِنَّهُ قَدْ بَقِيََ مِنْ عَمْرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً ، قَالُوا : إِنَّكَ قَدْ وَهَبْتَهَا لابنك داود ، قَالَ : مَا فَعَلْتُ وَلَا وَهَبْتُ لَهُ شَيْئًا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْكِتَابَ ، وَأَقَامَ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ شُهُودًا ، فَأَكَمَلَ لآدَمَ أَلْفَ سَنَةٍ ، وَأَكَمَلَ لِدَاوُدَ مِائَةَ سَنَةٍ » .

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ^(١) ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ﴾ ^(٢) ، قال ابن عباس : إن الله عز وجل لما خلق آدم مسح ظهره ، وأخرج ذريته

١٥٨/١

(١) ط : حدثني محمد بن سعد ، قال حدثنا هشام ، قال حدثني أبي قال حدثني عمي ، وما أثبتته عن ا والتفسير .

(٢) سورة الأعراف ١٧٢

كلّهم كهيئة النور ، فأنطقهم فتكلموا ، وأشهدهم على أنفسهم ، وجعل مع بعضهم النور . وأنه قال لآدم : هؤلاء ذريتك أخذ عليهم الميثاق : أنى أنا ربهم لثلاثي عشر كواكب شيتاً ، وعلى رزقهم . قال آدم : فمن هذا الذى معه النور ؟ قال : هو داود ، قال : يا رب ، كم كتبت له من الأجل ؟ قال : ستين سنة ، قال : كم كتبت لى ؟ قال : ألف سنة ، وقد كتبت لكل إنسان منهم : كم يعمر ، وكم يلبث ، قال : يا رب زدّه ، قال : هذا الكتاب موضوع فأعطه إن شئت من عمرك ، قال : نعم ، وقد جفّ القلم عن سائر بنى آدم^(١) ، فكتب له من أجل آدم أربعين سنة ، فصار أجله مائة سنة ، فلما عمّر تسعمائة سنة وستين سنة جاءه ملك الموت ، فلما أن رآه آدم قال : مالك ؟ قال له : قد استوفيت أجلك ، قال له آدم : إنما عمّرت تسعمائة سنة وستين سنة ، وبقى [لى]^(٢) أربعون سنة ، فلما قال ذلك للملك ، قال الملك : قد أخبرنى بها ربى ، قال : فارجع إلى ربك فسله ، فرجع الملك إلى ربه فقال^(٣) : مالك ؟ قال : يا رب رجعت إليك لما كنت أعلم من تكرمك إياه ، قال الله عز وجل : ارجع فأخبره ، أنه قد أعطى ابنه داود أربعين سنة^(٤) .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبيرة فى هذه الآية : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ ، قال : أخرجهم من ظهر آدم ، وجعل لآدم عمر ألف سنة ، قال : فعرضوا على آدم ، فرأى رجلاً من ذريته له نور ، فأعجبه فسأله عنه فقال : هو داود ، وقد جعل عمره ستين سنة ، فجعل له من عمره أربعين سنة ، فلما احتضّر آدم عليه السلام جعل يخاصمهم فى الأربعين السنة ، فقبل له : إنك قد أعطيتها داود ، قال : فجعل يخاصمهم^(٥) .

(١) فى التفسير : « عن أجل سائر بنى آدم » .

(٢) تكملة من ١

(٣) فى الأصول : « قال » . وما أثبتته من التفسير .

(٤) الخبر فى التفسير ١٣ : ٢٣٧

(٥) الخبر فى التفسير ١٣ : ٢٤٠

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ،
 في قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾
 قال : أخرج ذريته من ظهره في صورة كهيئة الذر ، فعرضهم على آدم
 بأسمائهم وأسماء آبائهم وأجالهم ، قال : فعرض عليه روح داود في نور ساطع ،
 فقال : من هذا ؟ قال : هذا من ذريتك ، نبي خلقته ، قال : كم عمره ؟
 قال : ستون سنة ، قال : زيدوه من عمري أربعين سنة ، قال : والأقلام^(١) رطبة
 تجرى ، وأثبتت لداود عليه السلام الأربعون ، وكان عمر آدم ألف سنة ،
 فلما استكملها إلا الأربعين سنة^(٢) بعث إليه ملك الموت قال : يا آدم أميرت
 أن أقبضك ، قال : ألم يبق من عمري أربعون سنة ؟ قال : فرجع ملك الموت إلى
 ربه عز وجل فقال : إن آدم يدعى من عمره أربعين سنة ، قال : أخبر آدم
 أنه جعلها لابنه داود . والأقلام رطبة ، وأثبتت لداود [الأربعون]^(٣) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبو داود ، عن يعقوب ، عن
 جعفر ، عن سعيد ، بنحوه .

وذكر أن آدم عليه السلام مرض قبل موته أحد عشر يوماً ، وأوصى إلى
 ابنه شيث عليه السلام وكتب وصيته ، ثم دفع كتاب وصيته إلى شيث ، وأمره
 أن يخفيه من قابيل وولده ، لأن قابيل قد كان قتل هايل حسداً منه حين
 خصه آدم بالعلم ، فاستخفى شيث وولده بما عندهم من العلم ، ولم يكن عند
 قابيل وولده علم ينتفعون به^(٤) .

ويزعم أهل التوراة أن عمر آدم عليه السلام كله كان تسعمائة سنة
 وثلاثين سنة .

حدثنا الحارث قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام
 ابن محمد ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : كان
 عمر آدم تسعمائة سنة وستاً وثلاثين سنة ؛ والله أعلم .

(١) ط : ه فالأقلام ، وما أثبتته عن ا والتفسير .

(٢) ا : ه السنة .

(٣) الخبر في التفسير ١٣ : ٢٤١ ، والتكلمة من ا .

(٤) ا : ه ينتفعون .

والأخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والعلماء من سلفنا ما قد ذكرت ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان أعلم الخلق بذلك .

• • •

وقد ذكرت الأخبار الواردة عنه أنه قال : كان عمره ألف سنة ، وأنه بعد ما جعل لابنه داود من ذلك ما جعل له ، أكمل الله له عِدَّة ما كان أعطاه من العمر قبل أن يهب لداود ما وهب له من ذلك ، ولعل ما كان جعل من ذلك ادم عليه السلام لداود عليه السلام لم يُحسَب في عمر آدم في التوراة ، فقيل : كان عمره تسعمائة وثلاثين سنة .

فإن قال قائل : فإن الأمر وإن كان كذلك ؛ فإن آدم إنما كان جعل لابنه داود من عمره أربعين سنة ، فكان ينبغي أن يكون في التوراة تسعمائة سنة وستون ؛ ليوافق ذلك ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قيل : قد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك أن الذي كان جعل آدم لابنه داود من عمره ستون سنة ، وذلك في رواية لأبي هريرة ^(١) عنه . وقد ذكرناها قبل . فإن يكن ذلك كذلك ، فالذي زعموا أنه في التوراة من الخبر عن مدة حياة آدم عليه السلام موافق لما روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، أنه قال : لما كتب آدم الوصية مات صلوات الله عليه ، واجتمعت عليه الملائكة من أجل أنه كان صني الرحمن ، فقبرته الملائكة ، وشيئ وإخوته في مشارق الفردوس ، عند قرية هي أول قرية كانت في الأرض ، وكسفت عليه الشمس والقمر سبعة أيام ولياليهن ، فلما اجتمعت عليه الملائكة وجمع الوصية ، جعلها في معراج ، ومعها القرن الذي أخرج أبونا آدم من الفردوس ؛ لكيلا يغفل عن ذكر الله عز وجل .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يحيى بن عباد ، عن أبيه ، قال : سمعته يقول : بلغني أن آدم عليه السلام حين

(١) ط : هـ أبي هريرة ، وما أثبت من ا .

مات بعث الله إليه بكفنه وحنوطه من الجنة ، ثم وليت الملائكة قبره ودفنه حتى
غيبوه .

حدثنا علي بن حرب ، قال : حدثنا روح بن أسلم ، قال :
حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني ، عن الحسن ، عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال : « لما توفي آدم غسلته الملائكة بالماء وتراً ، وألحدوا^(١) له ، وقالت :
هذه سنة آدم في ولده . »

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن
ابن ذكوان ، عن الحسن بن أبي الحسن ، عن أبي بن كعب ، قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أباكم آدم كان طُوالاً كالنخلة
السَّحوق ، ستين ذراعاً ، كثير الشعر ، موارى العورة ، وأنه لما أصاب الخطيئة
بدت له سوءته فخرج هارباً في الجنة فتلقاه شجرة ، فأخذت بناصيته ،
وناداه ربه : أفراراً مني يا آدم ! قال : لا والله يا رب ولكن حياءً منك
مما [قد]^(٢) جنيت ، فأهبطه الله إلى الأرض ، فلما حضرته الوفاة بعث الله إليه
بحنوطه^(٣) وكفنه من الجنة ، فلما رأت حواء الملائكة ذهبت لتدخل دونهم إليه ،
فقال : خلتني عنى وعن رسل ربي ، فإني ما لقيت ما لقيت إلا منك ، ولا
أصابني ما أصابني إلا فيك . فلما قبض غسلوه بالسُّدْر والماء وتراً ، وكفنوه في
وتر من الثياب ، ثم لحدوا له فدفنوه ، ثم قالوا : هذه سنة ولد آدم من بعده .

حدثني أحمد بن المقدم ، قال : حدثنا المعتمر بن سليمان ، قال :
قال أبي : — وزعم قتادة عن صاحب له حدث عن أبي بن كعب قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان آدم رجلاً طُوالاً كأنه نخلة سحوق . »

حدثنا الحارث بن محمد ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني
هشام [بن محمد]^(٢) قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال :

(١) ألحدوا له ولحدوا : عملوا له لحداً ؛ وهو القبر .

(٢) تكلمة من أ

(٣) الحنوط ، بالفتح : كل طيب يخلط للبيت .

لما مات آدم عليه السلام قال شيث لجبرئيل صلى الله عليهما: صلّ على آدم، قال: تقدم أنت فصلّ على أبيك، وكبّر عليه ثلاثين تكبيرة، فأما خمس فهي الصلاة، وأما خمس وعشرون فتفضيلاً لآدم صلى الله عليه وسلم.

• • •

وقد اختلف في موضع قبر آدم عليه السلام، فقال ابن إسحاق ما قد مضى ذكره، وأما غيره فإنه قال: دفن بمكة في غار أبي قبيس، وهو غار يقال له غار الكثر^(١).

وروى عن ابن عباس في ذلك، ما حدثني به الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: حدثنا هشام قال: أخبرنا أبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: لما خرج نوح من السفينة دفن آدم عليه السلام بيت المقدس.

• • •

وكانت وفاته يوم الجمعة، وقد مضى ذكرنا الرواية بذلك، فكرهنا إعادته.

وروى عن ابن عباس في ذلك ما حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرني هشام بن محمد، قال: أخبرني أبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: مات آدم عليه السلام على بوذ - قال أبو جعفر يعني الجبل الذي أهبط عليه - وذكر أن حواء عاشت بعده سنة ثم ماتت رحمهما الله، فدفنت مع زوجها في الغار الذي ذكرت، وأنهما لم يزالا مدفونين في ذلك المكان، حتى كان الطوفان، فاستخرجهما نوح، وجعلهما في تابوت، ثم حملهما معه في السفينة، فلما غاضت الأرض الماء ردهما إلى مكانهما الذي كانا فيه قبل الطوفان، وكانت حواء قد غزّلت - فيما ذكر -

(١) ذكره ياقوت وقال: غار الكثر: موضع في جبل أبي قبيس، دفن فيه آدم كسبه فيما

زعموا. معجم البلدان ٦: ٢٦١

ونسجت وعجنت وخبزت ، وعملت أعمال النساء كلها .

• • •

ونرجع الآن إلى قصة قابيل وخبره وأخبار ولده وأخبار شيث وخبر ولده -
إذ كنا قد أتينا^(١) من ذكر آدم وعدوه إبليس وذكر أخبارهما ، وما صنع الله
بإبليس إذ تجبر وتعظم وطفى على ربه عز وجل فأشير وبطر نعمته التي أنعمها
الله عليه ، وتمادى في جهله وغيه ، وسأل ربه النظرة ، فأنظره^(٢) إلى يوم الوقت
المعلوم ، وما صنع [الله]^(٣) بآدم صلوات الله عليه إذ خطى^(٤) ونسى عهد الله
من تعجيل عقوبته له على خطيئته ، ثم متفمده إياه بفضلته ورحمته ، إذ تاب
إليه من زلته فتاب عليه وهداه ، وأنقذه من الضلالة والردى - حتى نأتى على
ذكر من سلك سبيل كل واحد منهما ؛ من تباع آدم عليه السلام على
مناهجه^(٥) وشيعة إبليس والمقتدين به في ضلالتهم ، إن شاء الله ، وما كان من
صنع الله تبارك وتعالى بكل فريق مهم .

١٦٤/١

فأما شيث عليه السلام فقد ذكرنا بعض أمره ، وأنه كان وصى أبيه آدم
عليه السلام في مختلفيه^(٦) بعد مضيه لسيله ، وما أنزل الله عليه من الصحف .
وقيل : إنه لم يزل مقبلاً بمكة يحج ويعتمر إلى أن مات ، وإنه كان جمع
ما أنزل الله عز وجل عليه من الصحف إلى صحف أبيه آدم عليه السلام ، وعمل
بما فيها ، وأنه بنى الكعبة بالحجارة والطين .

وأما السلف من علمائنا فإنهم قالوا : لم تزل القبّة التي جعل الله لآدم في
مكان البيت إلى أيام الطوفان ، وإنما رفعها الله عز وجل حين أرسل الطوفان .
وقيل : إن شيئاً لما مرض أوصى ابنه أنوش ومات ، فدفن مع أبويه في غار
أبي قبيس ، وكان مولده لمضى مائتي سنة وخمسين وثلاثين سنة ، من عمر آدم

(١) ن : « على ذكر آدم » .

(٢) ك : « فأنظر » بالناء للمجهول .

(٣) تكلمة من أ

(٤) أ : « أخطأ » ، وهما سواء .

(٥) أ : « مناهجه » .

(٦) كذا في أ ، س ، ن ، ط : « مختلفيه » .

عليه السلام . وكانت وفاته وقد أتت له تسعمائة سنة واثنان عشرة سنة .
 وولد لشيث أنوش^(١) ، بعد أن مضى من عمره ستمائة سنة وخمس سنين ؛ فيما
 يزعم أهل التوراة .

وأما ابن إسحاق ، فإنه قال فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا
 سلمة بن الفضل ، عنه : نكح شيث بن آدم أخته حزورة ابنة آدم ، فولدت
 له يانش بن شيث ، ونعمة ابنة شيث ، وشيث يومئذ ابن مائة سنة وخمس
 سنين ، فعاش بعد ما وُلد له يانش ثمانمائة سنة وسبع سنين .

وقام أنوش بعد مضى أبيه شيث لسبيله بسياسة^(٢) الملك ، وتدبير من
 تحت يديه من رعيته مقام أبيه شيث ، ولم يزل - فيما ذكر - على منهاج أبيه ،
 لا يوقف منه على تغيير ولا تبديل . وكان جميع عمر أنوش - فيما ذكر أهل
 التوراة - تسعمائة سنة وخمس سنين .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثني هشام ، قال :
 أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : ولد شيث أنوش
 ونفراً كثيراً ، وإليه أوصى شيث ، ثم وُلد لأنوش بن شيث بن آدم ابنه
 قَيْنَان^(٣) من أخته نعمة ابنة شيث بعد مضى تسعين سنة من عمر أنوش ،
 ومن عمر آدم ثلثمائة سنة وخمس وعشرين سنة .

وأما ابن إسحاق فإنه قال فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن
 ابن إسحاق : نكح يانش بن شيث أخته نعمة ابنة شيث ، فولدت له قَيْنَان ،
 ويانش يومئذ ابن تسعين سنة ، فعاش يانش بعد ما ولد له قَيْنَان ثمانمائة
 سنة وخمس عشرة سنة ، وولد له بنون وبنات ، فكان كل ما عاش
 يانش تسعمائة سنة وخمس سنين . ثم نكح قَيْنَان بن يانش - وهو ابن

(١) أنوش كصبور ، كذا ضبطه صاحب تاج العروس في ٤ : ٢٨٠ ، قال :
 « ويقال : يانش كصاحب وآدم ، ويقال إنوش ، بكسر الهمزة بمعنى إنسان » .

(٢) ر ، س : « لسياسة » .

(٣) قينان ، كذا ضبطه صاحب اللسان ؛ بفتح القاف ومد النون الأولى ، وفي سفر التكوين
 ٥ : ١٢ ضبط بكسر القاف . ويقال أيضاً « قينين » بإسقاط الألف ؛ كما نقله صاحب التاج .

سبعين سنة - دينة^(١) ابنة براكيل بن محويل بن خنوخ^(٢) بن قين^(٣) بن آدم . فولدت له مهلائيل^(٤) بن قينان ، فعاش قينان بعد ما ولد له مهلائيل ثمانمائة سنة وأربعين سنة ، فكان كل ما عاش قينان تسعمائة سنة وعشر سنين .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : ولد أنوش قينان ، ونفراً كثيراً ، وإليه الوصية ، فولد قينان مهلائيل ونفراً معه ، وإليه الوصية ، فولد مهلائيل يرّده^(٥) - وهو اليارد - ونفراً معه ، وإليه الوصية ، فولد يرّده أخنوخ وهو إدريس النبي صلى الله عليه وسلم ونفراً معه ، فولد أخنوخ متوشلخ^(٦) ونفراً معه وإليه الوصية ، [فولد متوشلخ لملك^(٧) ونفراً معه وإليه الوصية] .^(٨)

وأما التوراة فما ذكره أهل الكتاب أنه فيها أن مولد مهلائيل بعد أن مضت من عمر آدم ثلثمائة سنة وخمس وتسعون سنة ، ومن عمر قينان سبعون سنة .

ونكح مهلائيل بن قينان - وهو ابن خمس وستين سنة ، فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق - خالته سمعن ابنة براكيل ابن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم ، فولدت له يرّده بن مهلائيل ، فعاش مهلائيل بعد ما ولد له يرّده ثمانمائة سنة وثلاثين سنة ، فولد له بنون وبنات ، فكان كل ما عاش مهلائيل ثمانمائة سنة وخمسا وتسعين سنة ، ثم مات .

وأما في التوراة فإنه ذكر أن فيها أن يرّده ولد لمهلائيل بعد ما مضى من عمر آدم أربعمائة سنة وستون سنة ، وأنه كان على منهاج أبيه قينان ، غير أن الأحداث بدت في زمانه .

(١) في « ذنية » ، وفي ن : « ذنية » بالدال .

(٢) كذا في الأصول ، وفي القاموس : خنوخ بالفتح وأخنوخ بالهمز .

(٣) في القاموس : « قايين ابن لآدم عليه السلام » ، وقال في التاج : « إنه انقرض » .

وفي سفر التكوين ٤ : ١ « قايين » .

(٤) في سفر التكوين ٥ : ١٥ « مهلائيل » .

(٥) كذا ورد في الأصول ، وحكى أبو الفدا في ١ : ٩ إعجام الذال أيضاً .

(٦) كذا في الأصول ، وسطه ابن الأثير في ١ : ٣٦ بفتح الميم وبالهاء المعجمة باثنتين من فوق

وبالسين المعجمة وبهاء مهملة ، قال : وقيل خاء معجمة .

(٧) في أبي الفدا : « لامخ » ، ويقال : لملك وملك أيضاً . (٨) تكملة من ا

ذكر الأحداث التي كانت في أيام بني آدم من لدن ملك شيث بن آدم إلى أيام يرد

١٦٧/١ ذكر أن قابيل لما قتل هابيل ، وهرب من أبيه آدم إلى اليمن ، أتاه إبليس ، فقال له : إن هابيل إنما قبيل قربانه وأكلته النار ، لأنه كان يخدم النار ويعبدها ، فانصب أنت أيضاً ناراً تكون لك ولعقبك . فبنى بيت نار ، فهو أول من نصب النار وعبدها .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : إن قيناً نكح أخته آشوث بنت آدم ، فولدت له رجلاً وامراًة : خنوخ بن قين ، وعذب^(١) بنت قين ، فنكح خنوخ بن قين أخته عذب بنت قين ، فولدت له ثلاثة نفر وامراًة : عيرد بن خنوخ ومحويل بن خنوخ وأنوشيل^(٢) بن خنوخ ، وموليث بنت خنوخ ، فنكح أنوشيل بن خنوخ موليث ابنة خنوخ ، فولدت لأنوشيل رجلاً اسمه لامك ، فنكح لامك امرأتين : اسم إحداهما عدى واسم الأخرى صلتى^(٣) ، فولدت له عدى تولين بن لامك ، فكان أول من سكن القباب ، واقتنى المال ، وتوبيش^(٤) ، وكان أول من ضرب بالونج^(٥) والصنج ، وولدت رجلاً اسمه توبلقين ، فكان أول من عمل النحاس والحديد ، وكان أولادهم جبابرة وفراعنة ، وكانوا قد أعطوا بسطة في الخلق ؛ كان الرجل فيما يزعمون يكون ثلاثين ذراعاً . قال : ثم انقرض ولد قين ، ولم يتركوا عقباً إلا قليلاً ، وذرية آدم كلهم جهلت^(٦) أنسابهم وانقطع نسلهم ، إلا ما كان من شيث بن آدم ، فمنه كان النسل ، وأنساب الناس اليوم كلهم إليه دون أبيه آدم ، فهو أبو البشر ، إلا ما كان من أبيه وإخوته ممن لم يترك عقباً .

١٦٨/١

(١) كذا في ا ، س ، ن ، وابن الأثير ١ : ٣٢ ، وفي ط : « عدن » .

(٢) كذا في ا ، ك ، وابن الأثير ، وفي ط : « أبوشيل » .

(٣) سفر التكوين : « عادة » و « صلة » . بتشديد اللام .

(٤) في ابن الأثير : « توبلين » .

(٥) الونج : المعزف ؛ وهو المزهر أو العود .

(٦) في الأصول : « فجهلت » ، وما أثبتته عن ابن الأثير .

قال : ويقول أهل التوراة : بل نكح قَيْنَ آشوث ، فولدت له خَنوخ ، فولد
لخنوخ عيرد^(١) ، فولد عيرد محويل ، فولد محويل أنوشيل ، فولد أنوشيل ،
لامك ، فنكح لامك عدى وصلتى ، فولدتا له مَن سميت . والله أعلم .
فلم يذكر ابن إسحاق من أمر قاييل وعقبه إلا ما حكيت .

وأما غيرد من أهل العلم بالتوراة فإنه ذكر أن الذى اتخذ الملاهى من ولد
قايين رجل يقال له توبال^(٢) ، اتخذ فى زمان مهلائيل بن قينان آلات اللهو
من المزامير والطبول والعيدان والطنابير والمعازف ، فانهمك ولد قايين فى اللهو ،
وتناهى خبرهم إلى مَن بالجبل من نسل شيث ، فهم منهم مائة رجل بالتزول
إليهم ، وبمخالفة ما أوصاهم به آبائهم ، وبلغ ذلك يارد ، فوعظهم ونهاهم ،
فأبوا إلا تمادياً ، ونزلوا إلى ولد قايين ، فأعجبوا بما رأوا منهم ، فلما أرادوا
الرجوع حيل بينهم وبين ذلك لدعوة سبقت من آبائهم ، فلما أبطنوا بمواضعهم ،
ظن من كان فى نفسه زيغ من كان بالجبل أنهم أقاموا اعتباطاً ، فتسألوا^(٣)
ينزلون عن الجبل ، ورأوا اللهو فأعجبهم ، ووافقوا نساء من ولد قايين متسرعات
إليهم ، وصرن معهم ، وانهمسكوا فى الطفيان ، وفشت الفاحشة وشرب الخمر .

ع

قال أبو جعفر : وهذا القول غير بعيد من الحق ، وذلك أنه قول قد
رُوى عن جماعة من سلف علماء أمة نبينا صلى الله عليه وسلم نحو منه ، وإن
لم يكونوا بينوا زمان مَن حدث ذلك فى ملكه ، سوى ذكرهم أن ذلك كان فيما
بين آدم ونوح صلى الله عليهما وسلم .

١٦٩/١

ذكر من روى ذلك عنه :

حدثنا أحمد بن زهير ، قال : حدثنا موسى بن إسماعيل ، قال : حدثنا
داود . - يعنى ابن أنى الثمرات - قال : حدثنا علباء بن أحمر ، عن عكرمة ،

(١) فى سفر التكوين : « عيراد » .

(٢) كذا فى « ، وفى ط من غير نسخة ، وفى ابن الأثير : توبال » .

(٣) كذا فى « ، وفى ابن الأثير : « فتسألوا » . وفى « : « فتسألوا » .

عن ابن عباس ، أنه تلا هذه الآية : ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (١) .
 قال : كانت فيما بين نوح وإدريس ، وكانت ألف سنة ، وإن بطنين من
 ولد آدم ، كان أحدهما يسكن السهل ، والآخر يسكن الجبل ، وكان رجال
 الجبل صباحاً وفي النساء دمامة (٢) ، وكان نساء السهل صباحاً وفي الرجال
 دمامة ، وإن إبليس أتى رجلاً من أهل السهل في صورة غلام فأجر نفسه
 منه ، وكان يخدمه ، واتخذ إبليس لعنه الله شيئاً مثل الذي يزمُر فيه الرعاء ،
 فجاء فيه بصوت لم يسمع الناس مثله ، فبلغ ذلك من حولهم ، فانتابوهم (٣)
 يسمعون إليه ، واتخذوا عيداً يجتمعون إليه في السنة ، فتبرج النساء للرجال ،
 قال : وينزل الرجال هن . وإن رجلاً من أهل الجبل هجم عليهم وهم في
 عيدهم ذلك ، فرأى النساء وصباحتهن ، فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك ، فتحولوا
 إليهن ، فترلوا عليهن (٤) ، فظهرت الفاحشة فيهن ، فهو قول الله عز وجل :
 ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (٥) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا ابن أبي غنينة ، عن أبيه ، عن الحكم : ١٧٠/١
 ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ ، قال : كان بين آدم ونوح ثمانمائة
 سنة ، وكان (٦) نساؤهم أقبح ما يكون من النساء ، ورجالهم حسان ، فكانت المرأة تريد
 الرجل على نفسها ، فأنزلت هذه الآية : ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (٧) .
 حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال :
 أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : لم يمُتْ آدم حتى
 بلغ ولدُه وولدُ ولدِه أربعين ألفاً بيوتاً .

(١) سورة الأحزاب ٣٣

(٢) كذا في التفسير ، وفي باقي الأصول : « دمامة » .

(٣) ك : « فأتوهم » .

(٤) كذا في ط ، وفي ١ ، ك والتفسير : « مهن » .

(٥) الخبر في التفسير ٢٢ : ٤ (بولاق)

(٦) ١ ، والتفسير : « فكان » .

(٧) الخبر في التفسير ٢٢ : ٤ (بولاق) .

ورأى آدم فيهم الزنا وشرب الخمر والفساد ، فأوصى ألا يناكح بنو شيث
 بنى قابيل ، فجعل بنو شيث آدم في مغارة ، وجعلوا عليه حافظاً^(١) ، لا يقربه
 أحد من بنى قابيل^(٢) ، وكان الذين يأتونه ويستغفر لهم من بنى شيث^(٣) ،
 فقال مائة من بنى شيث صباح : لو نظرنا إلى ما فعل بنو عمنا ! يعنون بنى قابيل .
 فهبطت المائة إلى نساء صباح من بنى قابيل ، فاحتبس النساء الرجال ، ثم
 مكثوا ما شاء الله . ثم قال مائة آخرون : لو نظرنا ما فعل إخوتنا ! فهبطوا
 من الجبل إليهم ، فاحتبسهم النساء . ثم هبط بنو شيث كلهم ، فجاءت المعصية ،
 وتناكحوا واختلطوا^(٤) ، وكثر بنو قابيل حتى ملئوا^(٥) الأرض ، وهم الذين
 غرقوا أيام نوح .

• • •

وأما نسابو الفرس فقد ذكرت ما قالوا في مهلائيل بن قيسان ، وأنه هو
 أوشهنج الذى ملك الأقاليم السبعة ، وبيئت قول من خالفهم في ذلك من
 نسابى العرب .

فإن كان الأمر فيه كالذى قاله نسابو الفرس ، فإنى حدثت عن هشام
 ابن محمد بن السائب ، أنه هو أول من قطع الشجر ، وبنى البناء ، وأول من
 استخرج المعادن وفطن الناس لها ، وأمر أهل زمانه باتخاذ المساجد ، وبنى
 مدينتين كانتا أول ما بنى على ظهر الأرض من المدائن ، وهما مدينة بابل
 التى بسواد الكوفة ، ومدينة السوس . وكان^(٦) ملكه أربعين سنة .

وأما غيره فإنه قال : هو أول من استنبط الحديد فى ملكه ، فاتخذ منه
 الأدوات للصناعات ، وقدر المياه فى مواضع المناقع ، وحض الناس على الحراثة
 والزراعة والحصاد واعمال الأعمال ، وأمر بقتل السباع الضارية ، واتخاذ الملابس

(١) ك : « حائطا » .

(٢) ط : « من بنى آدم » ، وما ذكرته من ا ، وكذلك فيما يأتى .

(٣) ا : « بنو شيث » .

(٤) ط : « فاختلطوا » .

(٥) ط : « ملئوا » .

(٦) ط : « فكان » .

من جلودها والمفارش ، وبذبح البقر والغنم والوحش والأكل من لحومها ، وأن
مُلْكَه كان أربعين سنة ، وأنه بنى مدينة الرّعى. قالوا: وهى أوّل مدينة بنيت
بعد مدينة جيومرت التى كان يسكنها يدُنْبَاوَنَد من طبرستان .

وقالت الفرس : إن أوشهَنْج هذا وُلِد ملكًا، وكان فاضلاً محموداً فى
سيرته وسياسة رعيته ، وذكروا أنه أوّل من وَضَعَ الأحكام والحدود ، وكان
ملقباً بذلك ، يُدعى فيشداذ ومعناه بالفارسية أوّل مَنْ حَكَم بالعدل ، وذلك
أن « فاش » معناه أوّل ، وأن « داذ » عدل وقضاء ، وذكروا أنه نزل الهند ،
وتنقل فى البلاد ، فلما استقام أمره واستوثق له الملك عقد على رأسه تاجاً ،
وخطب خطبة ، فقال فى خطبته : إنه وريث الملك عن جده جيومرت ، وإنه
عذاب ونقمة على مَرَدَةِ الإنس والشياطين . وذكروا أنه قهر إبليس وجنوده ،
ومنعهم الاختلاط بالناس ، وكتب عليهم كتاباً فى طِرْس أبيض أخذ عليهم
فيه المواثيق ألاّ يعرضوا لأحد من الإنس ، وتوعدهم على ذلك ، وقتل مردتهم
وجماعة من الغيلان ، فهربوا من خوفه إلى المفاوز والجبال والأودية ، وأنه ملك
الأقاليم كلها ، وأنه كان بين موت جيومرت إلى مولد أوشهَنْج وملكه مائتا سنة
وثلاث وعشرون سنة .

١٧٢/١

وذكروا أن إبليس وجنوده فرحوا بموت أوشهَنْج ، وذلك أنهم دخلوا بموته
مساكن بنى آدم ، ونزلوا إليهم من الجبال والأودية .

. . .

ونرجع الآن إلى ذكر يرد - وبعضهم يقول هر يارد - فولد يرد لمهلائيل من
خالته سمعن ابنة براكيل بن محويل بن خنوخ بن قين ، بعد ما مضى من عمر آدم
أربعمائة وستون سنة ، فكان وصى أبيه وخليفته فيما كان والد مهلائيل أوصى
إلى مهلائيل ، واستخلفه عليه بعد وفاته ، وكانت ولادة أمه إياه بعد ما مضى
من عمر أبيه مهلائيل - فيما ذكروا - خمس وستون سنة ، فقام من بعد منهنك
أبيه من وصية أجداده وآبائه بما كانوا يقومون به أيام حياتهم .

ثم نكح يرد - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن

إسحاق ، وهو ابن مائة سنة واثنين وستين سنة - بركنا ابنة الدرسميل^(١) بن
محويل بن خنوخ بن قين بن آدم. فولدت له أحنوخ بن يرد - وأحنوخ إدريس
النبي ، وكان أول بني آدم أعطى النبوة - فيما زعم ابن إسحاق - . وخطب
بالقلم ، فعاش يرد بعد ما ولد له أحنوخ ثمانمائة سنة ، وولد له بنون وبنات .
فكان كل ما عاش يرد تسعمائة سنة واثنين وستين سنة ثم مات .

١٧٣/١

وقال غيره من أهل التوراة : ولد ليرد أحنوخ - وهو إدريس - فنبأه الله عز
وجل ، وقد مضى من عمر آدم ستمائة سنة واثنان وعشرون سنة ، وأنزل عليه
ثلاثون صحيفة . وهو أول من خطب بعد آدم وجاهد في سبيل الله ، وقطع الثياب
وخاطها ، وأول من سبى من ولد قابيل ، فاسترق منهم ، وكان وصى والده يرد
فيما كان آباؤه أوصوا به إليه ، وفيما أوصى به بعضهم بعضاً ، وذلك كله من
فعله في حياة آدم .

قال : وتوفى آدم عنده السلام بعد أن مضى من عمر أحنوخ ثلثمائة سنة
وثنان سنين ، تسعمائة وثلاثين سنة التي ذكرنا أنها عمر آدم . قال :
وبعد أحنوخ قومه ووعظهم ، وأمرهم بطاعة الله عز وجل ومعصية الشيطان .
وألا يلبسوا ولد قابيل ، فلم يقبلوا منه ، وكانت العصابة بعد العصابة من ولد
شيث تنزل إلى ولد قايين .

قال : وفي التوراة : إن الله تبارك وتعالى رفع إدريس بعد ثلثمائة سنة وخمس
وستين سنة مضت من عمره ، وبعد خمسمائة سنة وسبع وعشرين سنة مضت من
عمر أبيه ، فعاش أبوه بعد ارتفاعه أربعمائة وخمسة وثلاثين سنة تمام تسعمائة
واثنين وستين سنة ، وكان عمر يرد تسعمائة واثنين وستين سنة ، وولد أحنوخ
وقد مضت من عمر يرد مائة واثنان وستون سنة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال :
أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : في زمان يرد عملت
الأصنام ، ورجع من رجوع عن الإسلام .

٤/١

وقد حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدثني عمي ، قال :

(١) الدرسميل .

حدثني الماضي بن محمد ، عن أبي سليمان ، عن القاسم بن محمد ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن أبي ذر الغفاري ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا ذر ، أربعة - يعني من الرسل - سربانيون : آدم ، وشيث ، ونوح ، وأخنوخ ، وهو أول من خط بالقلم ، وأنزل الله تعالى على أخنوخ ثلاثين صحيفة .

وقد رُغم بعضهم أن الله بعث^(١) إدريس إلى جميع أهل الأرض في زمانه ، وجمع له علم الماضين ، وأن الله عز وجل زاد مع ذلك ثلاثين صحيفة ، قال : فذلك قول الله عز وجل : ﴿إِن هَذَا لَآلِ الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾^(٢)

وقال : يعني بالصحف الأولى [الصحف]^(٣) التي أنزلت على ابن آدم هبة الله وإدريس عليهما السلام .

وقال بعضهم : ملك بيوراسب في عهد إدريس ، وقد كان وقع إليه كلام من كلام آدم صلوات الله عليه ، فاتخذ في ذلك الزمان سحراً ، وكان بيوراسب يعمل به ، وكان إذا أراد شيئاً من جميع مملكته أو أعجبه دابة أو امرأة نفخ بقصبته^(٤) كانت له من ذهب ، وكان يجيء إليه كل شيء يريد ، فمن ثم تنفخ^(٥) في الشبورات^(٥) .

وأما الفرس فإنهم قالوا : ملك بعد موت أوشهنج طهمورث بن ويونجهان ابن خبانداذ بن خنيا يذار^(٦) بن أوشهنج .

وقد اختلف في نسب طهمورث إلى أوشهنج ، فنسبه بعضهم النسبة التي ذكرت . وقال بعض نسابة الفرس : هو طهمورث بن أيونكهان بن أنكهده ابن أسكهده بن أوشهنج .

(١) : « ابعث » .

(٢) سورة الأعلى ١٨ - ١٩

(٣) من ١

(٤) ك : « بعصية » .

(٥) نكلمة من غرر أخبار ملوك الفرس من ٢٤ فيما نقله عن نظري .

(٦) كذا أورد الاسم مفصلاً معجماً في ... وفي ... من ...

وقال هشام بن محمد الكلبي - فيما حدثت عنه : ذكر أهل العلم أن أول ملك بابل طهمورث ، قال : وبلغنا - والله أعلم - أن الله أعطاه من القوة ما خضع له إبليس وشياطينه ، وأنه كان مطيعاً لله ، وكان ملكه أربعين سنة وأما الفرس فإنها تزعم أن طهمورث ملك الأقاليم كلها ، وعقد على رأسه تاجاً ، وقال يوم ملك : نحن دافعون بعون الله عن خليفته المردة الفسدة .^(١) وكان محموداً في ملكه ، حَدِّباً على رعيته ، وأنه ابنتى سابور من فارس ونزلها ، وتنقل في البلدان ، وأنه وثب بإبليس حتى ركب ، فطاف عليه في أداني الأرض وأقاصيها ، وأفرعه ومردة أصحابه حتى تطايروا وتفرقوا ، وأنه أول من اتخذ الصوف والشعر للباس^(٢) والفُرُش ، وأول من اتخذ زينة الملوك من الخيل والبغال والحمير ، وأمر باتخاذ الكلاب لحفظ المواشى وحراستها من السباع والحوارح للصيد ، وكتب بالفارسية ، وأن بيوراسب ظهر في أول سنة من ملكه ، ودعا إلى ملة الصابئين .

١٧٦/١

ثم رجعنا إلى ذكر أخنوخ ، وهو إدريس عليه السلام .

ثم نكح - فيما حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : أخنوخ بن يرد هدانة^(٣) - ويقال أدانة^(٤) - ابنة باويل^(٥) ابن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم ، وهو ابن خمس وستين سنة ، فولدت له متوشلخ بن أخنوخ ، فعاش بعد ما ولد له متوشلخ ثلثمائة سنة . وولد له بنون وبنات : فكان كل ما عاش أخنوخ ثلثمائة سنة وخمسة وستين سنة ثم مات .

وأما غيره من أهل التوراة فإنه قال فيما ذكر عن^(٦) التوراة : وُلد لأخنوخ بعد ستمائة سنة وسبع وثمانين سنة خلت من عمر آدم متوشلخ ، فاستخلفه

١٧٧/١

(١) : « والفسدة » .

(٢) : « ن » : « للناس » .

(٣) : كذا ضبطت في ا بنشديد الدال .

(٤) : « إدابة » .

(٥) : « ياويل » ، « ك » : « تاويل » ، « ن » : « واويل » .

(٦) : « ذكر أهل التوراة » وما أثبت من ا .

أخْنُوخ على أمر الله ، وأوصاه وأهل بيته قبل أن يُرفع ، وأعلمهم أن الله عز وجل سيُعَذِّب ولد قايين ومن خالطهم ومال إليهم ، ونهاهم عن مخالطتهم ، وذُكِرَ أنه كان أول من ركب الخيل ، لأنه اقتنى رسم أبيه في الجهاد ، وسلك في أيامه في العمل بطاعة الله طريق آباه . وكان عمر أخْنُوخ إلى أن رفع ثلاثمائة سنة وخمسة وستين سنة . وولد له متوشلخ بعد ما مضى من عمره خمس وستون سنة .

ثم نكح - فيما حدثني ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق - متوشلخ بن أخنوخ عربا ابنة عزرائيل^(١) بن أنوشيل بن خنوخ بن قين بن آدم ، وهو ابن مائة سنة وسبع وثلاثين سنة . فولدت له ملك بن متوشلخ ، فعاش بعد ما ولد له ملك سبعمائة سنة ، فولد له بنون وبنات ، وكان كل ما عاش متوشلخ تسعمائة سنة وتسع عشرة سنة . ثم مات ونكح ملك بن متوشلخ بن أخنوخ بتنوس ابنة براكيل بن محويل^(٢) بن خنوخ بن قين بن آدم عليه السلام ، وهو ابن مائة سنة وسبع وثمانين سنة . فولدت له نوحا الذي صلى الله عليه وسلم ، فعاش ملك بعد ما ولد له نوح خمسمائة سنة وخمسة وتسعين سنة ، [وولد له بنون وبنات] ^(٣) ، فكان كل ما عاش سبعمائة سنة وثمانين سنة . ثم مات . ونكح نوح ابن ملك عمذرة^(٤) ابنة براكيل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم ، وهو ابن خمسمائة سنة ، فولدت له بنيه : سام ، وحام ، ويافث ، بنى نوح .

١٧٨/١

وقال أهل التوراة : ولد لمتوشلخ بعد ثمانمائة سنة وأربع وسبعين سنة من عمر آدم ملك ، فأقام على ما كان عليه آباؤه : من طاعة الله وحفظ عهده . قالوا : فلما حضرت متوشلخ الوفاة استخلف ملك على أمره ، وأوصاه بمثل ما كان آباؤه يوصون به . قالوا : وكان ملك يعظ قومه ، وينهاهم عن النزول إلى ولد قايين فلا يتعظون ، حتى نزل جميع من كان في الجبل إلى ولد قايين .

(١) وابن الأثير : « عزازيل » .

(٢) محويل ، ضبطه ابن الأثير ١ : ٣١ : « بجاء مهملة وياه معجمة باثنين من تحت » .

(٣) نكته من ا .

(٤) ١ : « عمزورة » . ر : « عززرة » ، ك : « عمزيرة » ، ابن الأثير ١ : ٣٦ .

وقيل : إنه كان متوشلخ ابن آخر غير لسمك ، يقال له صابئ - وقيل : إن الصابئين به سُموا صابئين - وكان عمر متوشلخ تسعمائة وستين سنة ، وكان مولد لملك بعد أن مضى من عمر متوشلخ مائة وسبع وثمانون سنة . ثم ولد لملك نوحاً بعد وفاة آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة ، وذلك لألف سنة وست وخمسين سنة مضت من يوم أهبط الله عز وجل آدم إلى مولد نوح عليه السلام ، فلما أدرك نوح قال له لملك : قد علمت أنه لم يبق في هذا الموضع غيرنا ، فلا تستوحش ولا تتبع الأمة الخاطئة ؛ فكان نوح يدعو إلى ربه . ويعظ قومه فيستخفون به ، فأوحى الله عز وجل إليه أنه قد أمهلهم ، ^(١) فأنظرهم ليراجعوا ويتوبوا مدة ، فانقضت المدة قبل أن يتوبوا وبُنيوا .

• • •

وقال آخرون غير من ذكرت قوله : كان نوح في عهد بيورااسب . وكان قومه يعبدون الأصنام . فدعاهم إلى الله جل وعز تسعمائة وستة وخمسين سنة ؛ كلما مضى قرن تبعهم قرن . على ملة واحدة من الكفر . حتى أنزل الله عليهم العذاب فأفناهم .

حدثنا الحارث . قال : حدثنا ابن سعد . قال : حدثني هشام ، قال : أخبرني أبي . عن أبي صالح . عن ابن عباس ، قال : ولد متوشلخ ملك ونفرًا معه ، وإليه الوصية . فولد ملك نوحاً ، وكان لملك يوم ولد نوح اثنتان وثمانون سنة . ولم يكن أحد في ذلك الزمان ينهى عن منكر ، فبعث الله إليهم نوحاً ؛ وهو ابن أربعمائة سنة وثمانين سنة ، ثم دعاهم في نبوته مائة وعشرين سنة ، ثم أمره بصناعة السفينة فصنعها وركبها وهو ابن ستمائة سنة ، وغرق من غرق ، ثم مكث بعد السفينة ثلاثمائة سنة وخمسين سنة .

١٧٩/١

وأما علماء الفرس فإنهم قالوا : ملك بعد طهمورث جم الشيد - والشيد معناه عندهم الشعاع ، لقبوه بذلك فيما زعموا بحسالة - وهو جم بن ويونجهان . وهو أخو طهمورث . وقيل إنه ملك الأقاليم السبعة كلها ، وسُخر له ما فيها من

(١) ط . . أمهلهم . . وما انت من ا .

الجن والإنس ، وعقيد على رأسه التاج . وقال حين قعد في ملكه : إن الله تبارك وتعالى قد أكمل بهاءنا وأحسن تأييدنا ، وسنوسع رعبتنا خيراً . وإنه ابتدع صنعة السيوف والسلاح ، ودل على صنعة الإبريسم والقز وغيره مما يُغزَل . وأمر بنسج الثياب وصَبغها ، ونحت السروج والأكف وتذليل الدواب بها . وذكر بعضهم أنه توارى بعد ما مضى من ملكه ستمائة سنة وست عشرة سنة وستة أشهر ، فخلت البلادُ منه سنة ، وأنه أمر لمُضَيَّي سنة من ملكه إلى سنة خمس منه بصناعة السيوف والدروع والبيض وسائر صنوف الأسلحة وآلة الصنّاع من الحديد . ومن سنة خمسين من ملكه إلى سنة مائة بغزَل الإبريسم والقز والقطن والكتان وكل ما يُستطاع غزله وحياكة ذلك وصَبغته ألواناً وتقطيعه أنواعاً ولبسه . ومن سنة مائة إلى سنة خمسين ومائة صنّف الناس أربع طبقات : طبقة مقاتلة ، وطبقة فقهاء ، وطبقة كتاباً وصناعاً وحرّاثين ، واتخذ طبقة منهم خدماً ، وأمر كل طبقة من تلك الطبقات بلزوم العمل الذي ألزمها إياه . ومن سنة مائة وخمسين إلى سنة خمسين ومائتين حارب الشياطين والجن وأثخنهم وأذلّتهم وسُخروا له وانقادوا لأمره . ومن سنة خمسين ومائتين إلى سنة ست عشرة وثلاثمائة وكَل الشياطين بقطع الحجارة والصخور من الجبال ، وعمل الرخام والحصى والكلس ، والبناء بذلك ، وبالطين البياض والخمّامات ، وصنعة النورة والنقل من البحار والجبال والمعادن والفلوات كل ما ينتفع به الناس . والذهب والفضة وسائر ما يذاب من الجواهر ، وأنواع الطيب والأدوية فنغذوا في كل ذلك لأمره . ثم أمر فصنعت له عَجَلَة من زجاج ، فصنّدت فيها الشياطين وركبها ، وأقبل عليها في الهواء من بلده ، من دَنبَاوند إلى بابل في يوم واحد ، وذلك يوم هرمز أز فروردين ماه^(١) ، فاتخذ الناس للأعجوبة التي رأوا من إجرائه ما أجرى على تلك الحال نوروز ؛ وأمرهم باتخاذ ذلك اليوم وخمسة أيام بعده عيداً ، والتنعم والتلذذ فيها ، وكتب إلى الناس اليوم السادس ، وهو خُرْدَاذروز يخبرهم أنه قد سار فيهم بسيرة ارتضاها الله ، فكان من جزائه

(١) هرمز اسم اليوم الأول من السنة الشمسية ، وكلمة «أز» بمعنى «من» ، وفروردين ماه : اسم الشهر الأول منها .

إياه عليها أن جنبهم الحرّ والبرد والأسقام والمهرم والحسد ، فكث الناس ثلثمائة سنة بعد الثلثمائة والست عشرة سنة التي خات من مُلْكِهِ ، لا يصيبهم شيء مما ذكر أن الله جلّ وعزّ جنبهم إياه . ١٨١/١

ثم إن جمّاً بطر بعد ذلك نعمة الله عنده ، وجمع الإنس والجن ، فأخبرهم أنه وليّهم ومالكهم والدافع بقوته عنهم الأتقام والمهرم والموت ، وجحد إحسان الله عزّ وجلّ إليه ، وتمادى في غيبه فلم يُحير^(١) أحد ممن حضره له جواباً ، وفقد مكانه بهاءه وعزّه ، وتخلت عنه الملائكة الذين كان الله أمرهم بسياسة أمره ، فأحسّ بذلك بيوراسب الذي يسمى الضحاك فابتدر إلى جَمّ ليتها^(٢) فهرب منه ، ثم ظفر به بيوراسب بعد ذلك ، فامتلخ أمعاه واسترطها^(٣) ، ونشره بمنشار . وقال بعض علماء الفرس : إن جمّاً لم يزل محمود السيرة إلى أن بقي من ملكه مائة سنة فخلط حينئذ ، وادّعى الربوبية ، فلما فعل ذلك اضطرب عليه أمره . ووُثب عليه أخوه اسفتور^(٤) وطلبه ليقتله ، فتوزى عنه ، وكان في تواريه ملكاً ينتقل من موضع إلى موضع ، ثم خرج عليه بيوراسب فغلبه على ملكه ، ونشره بالمنشار .

وزعم بعضهم أن ملك جمّ كان سبعمائة سنة وست عشرة سنة وأربعة أشهر وعشرين يوماً^(٥) .

• • •

وقد ذكرت عن وهب بن منبّه ، عن ملك من ملوك الماضين قصة شبيهة بقصة جمّ شاذ الملك ، ولولا أن تاريخه خلاف تاريخ جمّ لقلت إنها قصة جمّ .

(١) ن : « فلم يحير » .

(٢) كذا في أوائل الأثير ، وفي ط : « ليتها » .

(٣) استرطه . من السرط ؛ وهو « البلع » .

(٤) أو بن الأثير ١ : ٣٧ : « اسفتور » .

(٥) قال ابن الأثير بعد أن نقل هذا الخبر : « قلت : وهذا الفصل من حديث جمّ قد

أتينا به تماماً بعد أن كنا عازمين على تركه ؛ لما فيه من الأشياء التي أحباها الأعراب . وبأبوابها العقول والطباع ؛ فإنها من خرافات الفرس مع أشياء آخر قد تقدمت فعلها ، وإنما ذكرناها ليعلم جهل الفرس ؛ فإنهم كثيراً ما يشتمون على العرب بجهلهم ، وما يلائموا ذلك ، ولأننا تركنا هذا الفصل لخلا من شيء تذكره من أخبارهم » .

وذلك ما حدثني محمد بن سهل بن عسكر . قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، عن وهب بن منبه ، أنه قال : إن رجلاً ملك وهو فتى شاب^(١) . فقال : إني لأجدُ للملِك لذة وطعمًا ، فلا أدري : ألكلِك كلَّ الناس أم أنا وجدته من بينهم ؟ فقيل له : بل الملِك كذلك ، فقال : ما الذي يقيمه لي ؟ فقيل له : يقيمه لك أن تطيعَ الله فلا تعصيه . فدعا ناسًا من خيار مَنْ كان في ملكه فقال لهم : كونوا بحضرتي في مجلسي ؛ فما رأيتم أنه طاعة لله عزَّ وجلَّ فأمروني أن أعمل به ، وما رأيتم أنه معصيةٌ لله فاجروني عنه أنزجر ؛ ففعل ذلك هو وهم : واستقام له ملكه بذلك أربعمئة سنة مطيعًا لله عزَّ وجلَّ . ثم إن إبليس انتبه لذلك فقال : تركت رجلاً يعبد الله ملكًا أربعمئة سنة ! فجاء فدخل عليه فتمثل له برجل ، ففزع منه الملك ، فقال : من أنت ؟ قال إبليس : لا تُرَع ، ولكن أخبرني مَنْ أنت ؟ قال الملك : أنا رجل من بني آدم ، فقال له إبليس : لو كنت من بني آدم لقد متَّ كما يموت بنو آدم ؛ ألم ترَّ كمَّ قد مات من الناس وذهب من القرون ! لو كنت منهم لقد متَّ كما ماتوا ؛ ولكنك إله . فادعُ الناس إلى عبادتك . فدخل ذلك في قلبه . ثم صعد المنبر ، فخطب الناس فقال : أيها الناس . إني قد كنت أخفيت عنكم أمرًا بآن لي إظهاره ؛ لكم تعلمون أني ملكتكم منذ أربعمئة سنة ، ولو كنت من بني آدم لقد متُّ كما ماتوا ؛ ولكني إلهٌ فاعبدوني . فأرعى مكانه ، وأوحى الله إلى بعض مَنْ كان معه فقال : أخبره أني قد استقيمت له ما استقام لي ، فإذا تحول عن طاعتي إلى معصيتي فلم يستقم لي ؛ فبعزتي حللتُ لأسلطنَ عليه بخت ناصر ؛ فليضربنَّ عنقه ، وليأخذنَّ ما في خزائنه . وكان في ذلك الزمان لا يسخط الله على أحد إلا سلط عليه بخت ناصر ؛ فلم يتحول الملك عن قوله ، حتى سلط الله عليه بخت ناصر ، فضرب عنقه . وأوقر من خزائنه سبعين سفينة ذهبًا .

١٨٢/١

قال أبو جعفر : ولكن بين بخت ناصر وجم دهر طويل ؛ إلا أن يكون الضحاك كان يدعى في ذلك الزمان بخت ناصر .

(١) : « وهو ذو شباب » ، ن : « وهو شاب » .

وأما هشام بن الكلبي فإني حَدَّثْتُ عنه أنه قال : ملك بعد طهمورث جم ، وكان أصبَحَ أهل زمانه وجهًا ، وأعظمهم جسمًا ، قال : فذكروا أنه غيَّرَ^(١) سبعمائة سنة وتسع عشرة سنة مطيعًا لله مستعلبًا أمره مستوثقة له البلاد . ثم إنه طغى وبغى ، فسَلَطَ الله عليه الضحَّاح ، فسار إليه في مائتي ألف ، فهرب جم منه مائة سنة ، ثم إن الضحَّاح ظفِرَ به فنشره بمنشار . قال : فكان جميع ملك جم ، منذ ملك إلى أن قتل سبعمائة وتسع عشرة سنة .

وقد روى عن جماعة من السلف أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون ؛ كلُّهم على ملة الحق . وأن الكفر بالله إنما حدث في القرن الذين بعث إليهم نوح عليه السلام ، وقالوا : إن أول نبي أرسله الله إلى قوم بالإنذار والدعاء إلى توحيدِه نوح عليه السلام .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا همام ، عن قتادة ، عن عيكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان بين نوح وآدم عليهما السلام عشرة قرون ، كلُّهم على شريعة من الحق ؟ فاختلفوا ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، قال : وكذلك هي في قراءة عبد الله : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ﴾^(٢)

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : قوله عز وجل : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ ، قال : كانوا على الهدى جميعًا فاختلفوا ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، فكان أول نبي بعث نوح عليه السلام^(٣) .

(١) ط : « عمر » ، وما أثبتته من ١

(٢) سورة البقرة ٢١٣ ، والخبر في التفسير ٤ : ٢٧٥

(٣) الخبر في التفسير ٤ : ٢٧٥

ذكر الأحداث التي كانت في عهد نوح عليه السلام

قد ذكرنا اختلاف المختلفين في ديانة القوم الذين أرسل إليهم نوح عليه السلام ، وأن منهم من يقول : كانوا قد أجمعوا على العمل بما يكرمه الله ، من ركوب الفواحش وشرب الخمر والاشتغال بالملاهي عن طاعة الله عز وجل ، وأن منهم من يقول : كانوا أهل طاعة بيوراسب ، وكان بيوراسب أول من أظهر القول بقول الصابئين ؛ وتبعه على ذلك الذين أرسل إليهم نوح عليه السلام ، وسأذكر إن شاء الله خبر بيوراسب فيما بعد .

فأما كتاب الله فإنه ينبي عنهم أنهم كانوا أهل أوثان ، وذلك أن الله عز وجل يقول مخبراً عن نوح : ﴿ قَالَ نُوحُ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَالِدَهُ إِلَّا خَسَارًا . وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا . وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا ، وَلَا يَفُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا . وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ۗ ﴾^(١) . فبعث الله إليهم نوحاً مخوفهم بأسه ، ومخذّهم سطوته ، وداعياً لهم إلى التوبة والمراجعة إلى الحق ، والعمل بما أمر الله به رسله وأنزله في صحف آدم وشيث وأخنوخ . ونوح يوم ابتعثه الله نبياً إليهم - فيما ذكر - ابن خمسين سنة .

وقيل أيضاً ما حدثنا به نصر بن علي الجهضمي ، قال : حدثنا نوح بن قيس ، قال : حدثنا عون بن أبي شداد ، قال : إن الله تبارك وتعالى أرسل نوحاً إلى قومه وهو ابن خمسين وثلثمائة سنة ، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، ثم عاش بعد ذلك خمسين وثلثمائة سنة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : بعث الله نوحاً إليهم وهو ابن أربعمائة سنة وثمانين سنة ، ثم دعاهم في نبوته مائة وعشرين سنة ،

(١) سورة نوح ٢١ - ٢٤

وركب السفينة وهو ابن ستمائة سنة ، ثم مكث بعد ذلك ثلاثمائة وخمسين سنة .
قال أبو جعفر : فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً كما قال الله عز وجل يدعوهم إلى الله سرّاً وجهراً ، يمضى قرنٌ بعد قرن ، فلا يستجيبون له ، حتى مضى قرون ثلاثة على ذلك من حاله وحالهم ، فلما أراد الله عز وجل إهلاكهم دعا عليهم نوح عليه السلام فقال : ﴿ رَبُّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَاراً ﴾ ، فأمره الله تعالى ذكره أن يفرس شجرة ففرسها ، فعظمت وذهبت كل مذهب ، ثم أمره بقطعها من بعد ما غرسها بأربعين سنة ، فيتخذ منها سفينة ، كما قال الله له : ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِينَا ﴾ (١) ، فقطعها وجعل يعملها .

وحدثنا صالح بن مسمار المروزي والمثنى بن إبراهيم ، قالا : حدثنا ابن أبي مریم ، قال : حدثنا موسى بن يعقوب ، قال : حدثني فائد مولى عبيد الله ابن علي بن أبي رافع ، أن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة ، أخبره أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لورحم الله أحداً من قوم نوح لرحم أم الصبي » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان نوح مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، يدعوهم إلى الله عز وجل ، حتى كان آخر زمانه غرس شجرة فعظمت وذهبت كل مذهب ثم قطعها ، ثم جعل يعمل سفينة فيمرّون فيسألونه فيقول : أعملها سفينة ، فيسخرون منه ، ويقولون : تعمل سفينة في البرّ فكيف تجرى ! فيقول : سوف تعلمون . فلما فرغ منها وفار التنور وكثر الماء في السكك خشيت أم الصبي عليه - وكانت تحبه حباً شديداً - فخرجت إلى الجبل حتى بلغت ثلثه ، فلما بلغها الماء خرجت حتى بلغت ثلثي الجبل ، فلما بلغها الماء خرجت حتى استوت على الجبل ، فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بيدها ، حتى ذهب به الماء ، فلو رحم الله منهم أحداً لرحم أم الصبي » .

حدثني ابن أبي منصور ، قال : حدثنا علي بن الهيثم ، عن المسيّب بن

شريك ، عن أبي رَوْق ، عن الضَّحَّاك ، قال : قال سلمان الفارسي : عمل نوح السفينة أربعمئة سنة ، وأبنت الساج أربعين سنة ، حتى كان طوله ثلثمائة ذراع ، والذراع إلى المنكب .

١٨٧/١ فعل نوح بوحي الله إليه ، وتعليمه إياه ، عملها فكانت إن شاء الله كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة : قال : ذُكِرَ لنا أن طول السفينة ثلثمائة ذراع ، وعرضها خمسون ذراعاً ، وطولها في السماء ثلاثون ذراعاً ، وبابها في عرضها .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : حدثنا مبارك ، عن الحسن ، قال : كان طول سفينة نوح ألف ذراع ومائتي ذراع ، وعرضها ستمائة ذراع . حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن مفضل بن فضالة ، عن علي بن زيد بن جندعان ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : قال الحواريون لعيسى بن مريم : لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة فحدثنا عنها ! فانطلق بهم حتى انتهى إلى كتيب من تراب ، فأخذ كفاً من ذلك التراب بكفه ، فقال : أتدرون ما هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذا قبر حام بن نوح ، قال : فضرب الكتيب بعصاه وقال : قم ياذن الله ، فإذا هو قائم ينفخ التراب عن رأسه ، وقد شاب ، فقال له عيسى عليه السلام : هكذا هلكت ؟ قال : لا ، ولكني مت وأنا شاب ، ولكني ظننت أنها الساعة . فمن ثمَّ شبت . قال : حدثنا عن سفينة نوح ، قال : كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع ، وكانت ثلاث طبقات : طبقة فيها الدواب والوحش ، وطبقة فيها الإنس ، وطبقة فيها الطير ، فلما كثر أرواث الدواب أوحى الله إلى نوح أن اغمر ذنب الفيل ، فغمز فوق منه خنزير وخنزيرة ، فأقبلا على الروث ، فلما وقع الفأر بخرز السفينة يقرضه ، أوحى الله إلى نوح أن اضرب بين عيني الأسد ، فخرج من منخره سنور وسنورة ، فأقبلا على الفأر . فقال له عيسى : كيف علم نوح أن البلاد قد غرقت ؟ قال : بعث الغراب يأتيه بالخبر ، فوجد جيفة فوق عليها ، فدعا عليه بالخوف ، فلذلك لا يألف البيوت . قال : ثم بعث الحمامة ، فجاءت

بورق زيتون بمنقارها وطين برجليها ، فعلم أن البلاد قد غرقت . قال : فطوقها الخضره التي في عنقها ، دعا لها أن تكون في أنس وأمان ، فن ثم تألف البيوت . قال : فقالت الحواريون : يا رسول الله ، ألا ننطلق به إلى أهلنا ، فيجلس معنا ويحدثنا ؟ قال : كيف يتبعكم من لا رزق له ؟ قال : فقال له : عدّ بإذن الله ، فعاد تراباً .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : نجّر^(١) نوح السفينة بجبل بؤذ ، من ثم تبدى الطوفان . قال : وكان طول السفينة ثلاثمائة ذراع بذراع جد أبي نوح ، وعرضها خمسين ذراعاً ، وطولها في السماء ثلاثين ذراعاً ، وخرج منها من الماء ستة أذرع ، وكانت مطبقة ، وجعل لها ثلاثة أبواب ، بعضها أسفل من بعض .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عمن لا يتهم ، عن عبّيد بن عمير الليثي ، أنه كان يحدث أنه بلغه أنهم كانوا يبطشون به - يعني قوم نوح بنوح - فيخسّفونه حتى يَغشى عليه ، فإذا أفاق قال : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون .

قال ابن إسحاق : حتى إذا تمادوا في المعصية ، وعظمت في الأرض منهم الخطيئة ، وتناول عليه وعليهم الشأن ، واشتدّ عليه منهم البلاء ، وانتظر النجل بعد النجل ، فلا يأتي قرن إلا كان أخبث من الذي قبله ، حتى إن كان الآخر منهم ليقول : قد كان هذا مع آبائنا ومع أجدادنا ؛ هكذا مجنوناً ! لا يقبلون منه شيئاً ، حتى شكوا ذلك من أمرهم نوح إلى الله عز وجل ، فقال كما قصّ الله عز وجل علينا في كتابه : ﴿ رَبُّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا . فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۖ إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ ، حَتَّى قَالَ : ﴿ رَبُّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۚ إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۖ ﴾^(٢) ، إلى آخر القصة . فلما شكوا ذلك منهم نوح إلى الله عز وجل

(١) يقال . نجر الخشب ؛ أي نحته وسواه .

(٢) سورة نوح ٥ ، ٦ ، ٦٠ ، ٢٦ - ٢٧ .

واستنصره عليهم أوحى الله إليه أن ﴿أَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ (١). فأقبل نوح على عمل الفلك ، ولها عن قومه ، وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ، ، ويهيئ عدة الفلك من القار وغيره مما لا يصلحه إلا هو ، وجعل قومه يمرُّون به ، وهو في ذلك من عمله ، فيسخرون منه ، ويستهزئون به فيقول : ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ . فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ (٢) . قال : ويقولون - فيما بلغني - : يا نوح قد صرت نجاراً بعد النبوة ! قال : وأعقم الله أرحام النساء فلا يولد لهم .

قال : ويزعم أهل التوراة أن الله عز وجل أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج ، وأن يصنعه أزور (٣) ، وأن يطليه بالقار من داخله وخارجه . وأن يجعل طوله ثمانين ذراعاً وعرضه خمسين ذراعاً ، وطوله في السماء ثلاثين ذراعاً ، وأن يجعله ثلاثة أطباق : سفلاً ووسطاً وعلواً ، وأن يجعل فيه كؤواً . ففعل نوح كما أمره الله عز وجل ، حتى إذا فرغ منه وقد عهد الله إليه : ﴿إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (٤) . وقد جعل التنور آية فيما بينه وبينه ، فقال : إذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واركب . فلما فار التنور حمل نوح في الفلك من أمره الله تعالى به - وكانوا قليلاً كما قال - وحمل فيها من كل زوجين اثنين مما فيه الروح والشجر ، ذكراً وأنثى . فحمل فيه بنيه الثلاثة : سام وحام ويافث ونساءهم ، وستة أناس ممن كان آمن به فكانوا عشرة نفر : نوح وبنوه وأزواجهم ، ثم أدخل ما أمره الله به من الدواب ، وتخلف عنه ابنه يام ، وكان كافراً .

(١) سورة هود ٣٧

(٢) سورة هود ٣٨ - ٣٩

(٣) أزور ، أى مانلا .

(٤) سورة هود ٤٠

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن
ابن دينار ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال :
سمعتة يقول : كان أول ما حمل نوح في الفلك من الدواب الذرة ، وآخر
، حمار الحمار . فلما أدخل الحمار ودخل صدره تعلق إبليس لعنه الله بذنبيه
فلم تستقل رجلاه ، فجعل نوح يقول : ويحك ! ادخل ، فينهض فلا يستطيع ،
حتى قال نوح ، ويحك ! ادخل وإن كان الشيطان معك ، قال كلمة زلت عن
لسانه ، فلما قالها نوح خلت الشيطان سبيله ، فدخل ودخل الشيطان معه ،
فقال له نوح : ما أدخلك عني يا عدو الله ! قال : ألم تقل : « ادخل وإن كان
الشيطان معك ! » قال : اخرج عني يا عدو الله ، فقال : مالك بدئ من أن
تحمدي ، فكان . فيما يزعمون . في ظهر الفلك ، فلما اطمأن نوح في الفلك
وأدخل فيه كل من آمن به ، وكان ذلك في الشهر من السنة التي دخل فيها
نوح بعد ستمائة سنة من عمره لسبع عشرة ليلة مضت من الشهر . فلما دخل
وحمل معه من حمل ، تحرك بناييع الغوط الأكبر . وفتحت أبواب السماء . كما
قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا
الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ (١) . فدخل نوح ومن معه الفلك
وغطاه عليه وعلى من معه بطبقة ، فكان بين أن أرسل الله الماء وبين أن
احتمل الماء الفلك أربعين يوماً وأربعين ليلة . ثم احتمل الماء كما يزعم أهل
التوراة ، وكثر واشتد وارتفع ، يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم :
﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوَاحِ وَدُسِرَ . تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفِرًا ﴾ (١) .
والدُسُرُ : المسامير . مسامير الحديد . فجعلت الفلك تجرى به وتمن معه في
موج كالجبال ، ونادى نوح ابنه الذي هلك فيمن هلك ، وكان في معز
حين رأى نوح من صدق موعود ربه ما رأى ، فقال : ﴿ يَا بَنِيَّ ارْكَبْ
مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾ ، وكان شقيفاً قد أضمر كفراً ، ﴿ قَالَ
سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴾ ، وكان عهد الجبال وهي حرز

١٩٢/١

من الأمطار إذا كانت . فظن أن ذلك كما كان يكون ، قال [نوح] ^(١) : ﴿ لا عاصم
اليوم من أمر الله إلا من رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمَغْرِقِينَ ﴾ ^(٢) .
وكثر الماء وطفئ . وارتفع فوق الجبال - كما يزعم أهل التوراة - خمسة عشر
ذراعاً ، فباد ما على وجه الأرض من الخلق ، [من] ^(٣) كل شيء فيه الروح أو شجر ،
فلم يبق شيء من الخلائق إلا نوحٌ ومن معه في الفلك ، وإلا عوج بن عنق ^(٣)
- فيما يزعم أهل الكتاب - فكان بين أن أرسل الله الطوفان وبين أن غاص الماء
سنة أشهر وعشر ليال .

حدثني الحارث . قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال :
أخبرني أبي . عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : أرسل الله المطر أربعين
يوماً وأربعين ليلة . فأقبلت الوحوش حين أصابها المطر والدواب والطيور
كلها إلى نوح ، وسُخرت له ، فحمل منها كما أمره الله عز وجل : ﴿ مِنْ كُلِّ
زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ ، وحمل معه جسد آدم ، فجعله حاجزاً بين النساء والرجال ،
فركبوا فيها لعشر ليال مضيئ من رجب ، وخرجوا منها يوم عاشوراء من الحرم .
فلذلك صام من صام يوم عاشوراء . وأخرج الماء نصفين ، فذلك قول الله
عز وجل ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ ﴾ ، يقول : منصب ، ﴿ وَفَجَّرْنَا
الْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ ، يقول : شققنا الأرض . ﴿ فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قَدِرَ ﴾ فصار
الماء نصفين : نصف من السماء ونصف من الأرض ، وارتفع الماء على
أطول جبل في الأرض خمسة عشر راعاً . فسارت بهم السفينة . فطافت بهم
الأرض كلها في ستة أشهر . تسير على شيء . حتى أتت الحرم فلم تدخله .
ودارت بالحرم أسبوعاً ، ورفع بيت الذي بناه آدم عليه السلام ، رفع من الفرق .
- وهو البيت المعمور والحجر الأسود - على أبي قبيس . فلما دارت بالحرم ذهبت
في الأرض تسير بهم . حتى انتهت إلى الجودي - وهو جبل بأخضص من

(١) تكله من ا

(٢) سورة هود ٤٣

(٣) كذا في ا ، وفي ط : « أعنق » .

أرض الموصل - فاستقرت بعد ستة أشهر لتنام السبع ، فقيل بعد السبعة الأشهر : ﴿بُعْدًا لِلنَّوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١) ، فلما استقرت على الجودي ﴿قِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ﴾ ؛ يقول : أنشئ ماءك الذي خرج منك ، ﴿وَيَا سَمَاءَ اقْلَعِي﴾ ؛ يقول : احبسي ماءك ، ﴿وَوَغِيضَ الْمَاءِ﴾^(٢) نشفته الأرض ، فصار ما نزل من السماء هذه البحور التي ترون في الأرض ، فأخر ما بقي من الطوفان في الأرض ماءً بحسبي^(٣) بقي في الأرض أربعين سنة^(٤) بعد الطوفان ثم ذهب .
وكان التنور الذي جعل الله تعالى ذكره آية ما بينه وبين نوح فوران الماء منه تنوراً كان لحواء من حجارة ، و صار إلى نوح .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا هشيم ، عن أبي محمد ، عن الحسن ، قال : كان تنوراً من حجارة ، كان لحواء حتى صار إلى نوح ، قال : فقيل له : إذا رأيت الماء يفور من التنور ، فاركب أنت وأصحابك .

• • •

وقد اختلف في المكان الذي كان به التنور الذي جعل الله فوران مائه آية ، ما بينه وبين نوح ، فقال بعضهم : كان بالهند .
• ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عبد الحميد الحماني ، عن النضر أبي عمر الخزاز ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : في ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾^(٥) . قال : فار بالهند .

• • •

وقال آخرون : كان ذلك بناحية الكوفة .
• ذكر من قال ذلك :

(١) سورة هود ٤٤
(٢) حسي : أرض ببادية الشام ؛ ذكرها ياقوت في معجم البلدان وقال : آخر ماء نضد من ماء الطوفان حسي ، فبقيت منه هذه البقية إلى اليوم فلذلك هي أخبث ماء .
(٣) ١ : « يعني بعد الطوفان » .
(٤) سورة هود ٤٠

حدثني الحارث ، قال : حدثنا الحسن^(١) ؛ قال : حدثنا خلف بن خليفة ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : نبع الماء في التنور ، فعلمت به امرأته فأخبرته ، قال : وكان ذلك في ناحية الكوفة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا القاسم ، قال : حدثنا علي بن ثابت ، عن السري بن إسماعيل ، عن الشعبي ، أنه كان يحلف بالله : ما فار التنور إلا من ناحية الكوفة .

واختلاف في عدد من ركب الفلک من بني آدم ، فقال بعضهم : كانوا ثمانين نفساً .

• ذكر من قال ذلك :

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : حدثنا زيد بن الحباب ، قال : حدثني حسين بن واقد الحراساني ، قال : حدثنا أبو هيبك ، قال : سمعت ابن عباس يقول : كان في سفينة نوح ثمانون رجلاً ، أحدهم جرهم .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، قال : قال ابن جريج : قال ابن عباس : حمل نوح معه في السفينة ثمانين إنساناً .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : قال سفيان : كان بعضهم يقول : كانوا ثمانين - يعني التليل الذين قال الله عز وجل : ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(٢) .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : حمل نوح في السفينة بنيه : سام ، وحام ، ويافث . وكنائنه ؛ نساء بنيه هؤلاء ، وثلاثة وسبعين من بني شيث ؛ ممن آمن به ، فكانوا ثمانين في السفينة .

• • •

(١) كذا في ط ؛ وفي ا : « حدثنا الحارث ، حدثنا القاسم » ؛ وهو يوافق ما في التفسير : ١٢ : ٢٥ (بولاق) ، وانظر تاريخ بغداد ٨ : ٢١٨ .
(٢) سورة هود ٤٠

وقال بعضهم : بل كانوا ثمانية أنفس .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أنه لم يتم^(١) في السفينة إلا نوح وامرأته وثلاثة بنيه ، ونساؤهم ، فجميعهم ثمانية .

حدثنا ابن وكيع والحسن بن عرفة ، قالا : حدثنا يحيى بن عبد الملك ابن أبي غنبيّة ، عن أبيه ، عن الحكم : ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ، قال : نوح ، وثلاثة بنيه ، وأربع كنائه .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، قال : قال ابن جريج : حدثت أن نوحاً حمل معه بنيه الثلاثة وثلاث نسوة لبنيه ، وامرأة نوح ، فهم ثمانية بأزواجهم ، وأسماءُ بنيه : يافث ، وحام ، وسام . فأصاب حامٌ امرأته في السفينة ، فدعا نوح أن تُغَيَّرَ^(٢) نطفته ، فجاء بالسودان .

١٩٠/١

• • •

وقال آخرون : بل كانوا سبعة أنفس .

• ذكر من قال ذلك :

حدثني الحارث . قال : حدثني عبد العزيز ، قال : حدثنا سُفْيَانُ ، عن الأعمش : ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ، قال : كانوا سبعة : نوح ، وثلاث كنانن ، وثلاثة بنين له .

• • •

وقال آخرون : كانوا عشرة سوى نساؤهم .

• ذكر من قال ذلك :

(١) من : « لم يتم » . ك : « لم يتم » .

(٢) : « يغير » . ك : « تغير » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حمل بنيه الثلاثة : سام ، وحام ، ويافث ونساءهم ، وستة أناسي ممن كان آمن به^(١) . فكانوا عشرة نفر بنوح وبنيه وأزواجهم . وأرسل^(٢) الله تبارك وتعالى الطوفان لنضى ستمائة سنة من عمر نوح - فيما ذكره أهل العلم من أهل الكتاب وغيرهم - ولتتمة ألى سنة ومائتى سنة وست وخمسين سنة من لدن أهبط آدم إلى الأرض .

وقيل : إن الله عز وجل أرسل الطوفان لثلاث عشرة خلت من آب ، وإن نوحاً أقام في الفلك إلى أن غاض الماء ، واستوت الفلك على جبل الجودي^(٣) بقردى^(٤) ، في اليوم السابع عشر من الشهر السادس . فلما خرج نوح منها اتخذ بناحية قردى من أرض الجزيرة موضعاً ، وابتنى هناك قرية سماها ثمانين^(٥) ؛ لأنه كان بنى فيها بيتاً لكل إنسان ممن آمن معه وهم ثمانون ، فهي إلى اليوم تسمى سوق ثمانين .

١٩٧/٩

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثني هشام بن محمد ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : هبط نوح عليه السلام إلى قرية^(٦) ، فبنى كل رجل منهم بيتاً ، فسميت سوق ثمانين ، ففرق بنو قبايل كلهم ، وما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام . قال أبو جعفر : فصار هو وأهله فيه ، فأوحى الله إليه أنه لا يعيد الطوفان إلى الأرض أبداً .

وقد حدثني عباد بن يعقوب الأسدي ، قال : حدثنا المحاربي ، عن عثمان

(١) ١ : « معه » . (٢) كذا في ١ ، وفي ط : « فأرسل » .

(٣) الجودي ؛ بالتشديد : جبل مطلق على جزيرة ابن عمر ، في الجانب الشرق من دجلة ، من أعمال الموصل .

(٤) قردى ، بالفتح ثم السكون ، ثم دال مهملة . ياقوت .

(٥) قال ياقوت : « ثمانين ، بليدة عند جبل الجودي ، قرب جزيرة ابن عمر التغلبي فوق الموصل . كان أول من نزله نوح عليه السلام لما خرج من السفينة ومعه ثمانون إنساناً ؛ فبنوا لهم مساكن بهذا الموضع ، وأقاموا به ، فسمى الموضع بهم ، ثم أصابهم وباء ، فات الثمانون غير نوح عليه السلام وولده ؛ فهو أبو البشر كلهم » . معجم البلدان ٣ : ٢٣ (٦) ١ : « في قرية » .

ابن مطر ، عن عبد العزيز بن عبد الغفور ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « في أول يوم من رجب ركب نوح السفينة ، فصام هو وجميع مَنْ معه ، وجرت بهم السفينة ستة أشهر ، فأنهى ذلك إلى المحرم ، فأرست^(١) السفينة على الجودي يوم عاشوراء ، فصام نوح ، وأمر جميع من معه من الوحش والدواب فصاموا شكراً لله عز وجل » .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : كانت السفينة أعلاها الطير ، ووسطها الناس ، وأسفلها السباع . وكان طولها في السماء ثلاثين ذراعاً ، ودَفَعَتْ^(٢) من عين وردة^(٣) يوم الجمعة لعشر ليل مضين من رجب ، وأرست على الجودي يوم عاشوراء ، ومرت بالبيت ، فطافت به سبعة ، وقد رفعه الله من الفرق ، ثم جاءت اليمن ، ثم رجعت .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن قتادة . قال : هبط نوح من السفينة يوم العاشر من المحرم ، فقال لمن معه : مَنْ كان منكم صائماً فليتم صومه ، ومن كان منكم مُفْطِراً فليصم .

١٩٨/١

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أنها - يعني الفألك - استقلت بهم في عشر خَلَوْنَ من رجب ، فكانت في الماء خمسين ومائة يوم ، واستقرت على الجودي شهراً ، وأهبط بهم في عشر خَلَوْنَ من المحرم يوم عاشوراء .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس ، قال : ما كان زمان نوح شبراً من الأرض إلا إنسان يدعيه .

(١) رست السفينة وأرست : وقفت .

(٢) كذا في ١ ، ر ، وفي ط : « رفعت » . . . وودعت من عين وردة ، أي ابتداء سيرها

من هذا المكان .

(٣) عين وردة ، ذكرها ياقوت باسم « عين الوردة » . وقال : « رأس عين المدينة المشهورة

بالجزيرة » .

ثم عاش نوح بعد الطوفان فيما حدثني نصر بن علي الجهضمي ، قال : أخبرنا نوح بن قيس ، قال : حدثنا عون بن أبي شداد ، قال : عاش - يعني نوحاً - بعد ذلك - يعني بعد الألف سنة إلا خمسين عاماً التي لبثها في قومه - ثلثمائة وخمسين سنة .

وأما ابن إسحاق ، فإن ابن حميد حدثنا ، قال : حدثنا سلمة ، عنه ، قال : وعمر نوح - فيما يزعم أهل التوراة - بعد أن أهبط من الفلك ثلثمائة سنة وثمانين وأربعين سنة ، قال : فكان جميع عمر نوح ألف سنة إلا خمسين عاماً ، ثم قبضه الله عز وجل إليه .

وقيل : إن ساماً ولد لنوح قبل الطوفان بثمان وتسعين سنة . وقال بعض أهل التوراة : لم يكن التناسل ، ولا ولد لنوح ولد إلا بعد الطوفان ، وبعد خروج نوح من الفلك .

قالوا : إنما الذين كانوا معه في الفلك قوم كانوا آمنوا به واتبعوه ، غير أنهم بادوا وهلكوا ، فلم يبق لهم عقب ، وإنما الذين هم اليوم في الدنيا من بني آدم ولد نوح وذريته دون سائر ولد آدم ؛ كما قال الله عز وجل : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ (١) .

١٩٩/١

وقيل : إنه كان لنوح قبل الطوفان ابنان هلكا جميعاً ؛ كان أحدهما يقال له كنعان ، قالوا : وهو الذي غرق في الطوفان ، والآخر منهما يقال له عابر (٢) ، مات قبل الطوفان .

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : ولد لنوح سام ، وفي ولده بياض وأدم (٣) ، وحام وفي ولده سواد وبياض قليل ، ويافث وفيهم الشقرة والحمر ، وكنعان وهو الذي غرق ، والعرب تسميه يام ؛ وذلك قول العرب : إنما هام عمنا يام ؛ وأم هؤلاء واحدة .

(١) سورة الصافات ٧٧ (٢) ن : « عابر » .

(٣) كذا في ١ ، ن ، وفي ط : « آدم » .

فأما المجوس فإنهم لا يعرفون الطوفان ، ويقولون : لم يزل الملك فينا من عهد جيومرت ، وقالوا : جيومرت هو آدم بتوارثه آخر عن أول إلى عهد فيروز بن يزدجرد بن شهريار ، قالوا : ولو كان لذلك صحة كان نسب القوم قد انقطع ، وملك القوم قد اضمحل ، وكان بعضهم يقر بالطوفان ويزعم أنه كان في إقليم بابل وما قرب منه ، وأن مساكن ولد جيومرت كانت^(١) بالمشرق ، فلم يصل ذلك إليهم .

قال أبو جعفر : وقد أخبر الله تعالى ذكره من الخبر عن الطوفان بخلاف ما قالوا ، فقال وقوله الحق : ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ . وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ . وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾^(٢) فأخبر عز ذكره أن ذرية نوح هم الباقون دون غيرهم . وقد ذكرت اختلاف الناس في جيومرت ومن يخالف الفرس في عينه ، ومن هو . ومن نسبه إلى نوح عليه السلام .

١٠٠٠/١ بشر ، عن قتادة . عن الحسن ، عن سمرة بن جندب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ . قال : « سام وحام وبافث » .

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ ، قال : فالناس كلهم من ذرية نوح . حدثني علي بن داود ، قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثني معاوية ، عن علي . عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ . يقول : لم يبق إلا ذرية نوح .

وروى عن علي بن مجاهد . عن ابن إسحاق ، عن الزهري . وعن محمد بن

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « كان » .

(٢) سورة الصافات : ٧٥ - ٧٧ .

صالح ، عن الشعبي قالاً : لما هبط آدم من الجنة ، وانتشر ولدُه أرخ بنوهُ من هبوط آدم ؛ فكان ذلك التاريخ حتى بعث الله نوحاً فأرخوا ببعث^(١) نوح ، حتى كان الفرق ، فهلك من هلك ممن كان على وجه الأرض . فلما هبط نوح وذريته وكل من كان في السفينة إلى الأرض قسّم الأرض بين ولده أثلاثاً : فجعل لسام وسطاً من الأرض ، ففيها بيت المقدس ، والنيل ، والفُرات ، ودجلة ، وسينحان ، وجيحان ، وفيثون ؛ وذلك ما بين فيثون إلى شرق النيل ، وما بين منخر ربيع الجنوب^(٢) إلى منخر الشمال . وجعل لحام قسمه غربى النيل ، فما وراءه إلى منخر ربيع الدَّبُور . وجعل قسم يافث في فيثون^(٣) ، فما وراءه إلى منخر ربيع الصبا ؛ فكان التاريخ من الطوفان إلى نار إبراهيم ، ومن نار إبراهيم إلى مبعث يوسف ، ومن مبعث يوسف إلى مبعث موسى ، ومن مبعث موسى إلى ملك سليمان ، ومن ملك سليمان إلى مبعث عيسى بن مريم ، ومن مبعث عيسى بن مريم إلى أن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢٠١/١

وهذا الذى ذكر عن الشعبي من التاريخ ينبغى أن يكون على تاريخ اليهود ، فأما أهل الإسلام فإنهم لم يؤرخوا إلا من الهجرة ، ولم يكونوا يؤرخون بشىء من قبل ذلك ، غير أن قريشاً كانوا - فيما ذكر - يؤرخون قبل الإسلام بعام الفيل ، وكان سائر العرب يؤرخون بأيامهم المذكورة ، كتاريخهم بيوم جبلة ، وبالكلاب الأول ، والكلاب الثانى .

وكانت النصارى تؤرخ بعهد الإسكندر ذى القرنين ؛ وأحسبهم على ذلك من التاريخ إلى اليوم .

وأما الفرس فإنهم كانوا يؤرخون بملوكهم ، وهم اليوم فيما أعلم يؤرخون بعهد يزدجيرد بن شهريار ، لأنه كان آخر من كان من ملوكهم له ملك بابل والمشرق^(٤) .

(١) كذا فى ا ، وهو الصواب ، وفى باقى الأصول : « أرخوا ببعث نوح » ؛ وصوبها مصحح ط : « ببعث » .

(٢) منخر ربيع الجنوب ، أى موضع هبوطها .

(٣) ا ، ر ، ن : « قيسون » .

(٤) س : « لأنه كان آخر من ملك من ملوكهم » .

ذكر بيوراسب ، وهو الازدهاق

والعرب تسميه الضحاك ، فتجعل الحرف الذي بين السين والزاي في الفارسية ضاداً ، والهاء حاءً ، والقاف كافاً ، وإياه عنتى حبيب بن أوس بقوله :

مَا نَالَ مَا قَدَّ نَالَ فِرْعَوْنُ وَلَا هَامَانُ فِي الدُّنْيَا وَلَا قَارُونُ^(١)

بَلْ كَانَ كَالضَّحَّاكِ فِي سَطَوَاتِهِ بِالْعَالَمِينَ ، وَأَنْتَ أَفْرِيدُونُ

وهو الذي افتخر بادعائه أنه منهم الحسن بن هاني في قوله :

وَكَانَ مِنَّا الضَّحَّاكُ يَمْبُدُهُ الْخَابِلُ وَالْجِنُّ فِي مَسَارِبِهَا^(٢)

٢٠٢/١

قال : واليمن تدعيه .

حدثت عن هشام بن محمد بن السائب - فيما ذكر من أمر الضحاك هذا - قال : والعجم تدعى الضحاك وتزعم أن جما كان زوج أخته من بعض أشرف أهل بيته ، وملكه على اليمن ، فولدت له الضحاك .

قال : واليمن تدعيه ، وتزعم أنه من أنفسها ، وأنه الضحاك بن علوان بن عبيد بن عويج ، وأنه ملك على مصر أخاه سنان بن علوان بن عبيد^(٣) بن عويج ، وهو أول الفراعنة ، وأنه كان ملك مصر حين قدمها إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام .

وأما الفرس فإنها تنسب الازدهاق هذا غير النسبة التي ذكر^(٤) هشام عن أهل اليمن ، وتذكر أنه بيوراسب بن أرونداسب بن زينكاو^(٥) بن ويراوشك^(٦)

(١) ديوانه ٣ : ٣٢١ ؛ من قصيدة يمدح فيها الأفسين .

(٢) ديوانه ١٥٥ ، وروايته : « والوحش في مساربها » . والخابل : ضرب من الجن .

(٣) س : « عبيدة » .

(٤) ن : « ذكرها » .

(٥) ا : « زينكار » .

(٦) ا : « ريشك » .

ابن تاز^(١) بن فرواك^(٢) بن سيامك^(٣) بن مشا بن جيومرت .
 ومنهم من ينسبه هذه النسبة ؛ غير أنه يخالف النطق بأسماء آباءه فيقول :
 هو الضحاك بن أندرماسب بن زنجدار^(٤) بن وندريسج^(٥) بن تاج^(٦) بن
 فرياك^(٧) بن ساهمك^(٨) بن تاذى^(٩) بن جيومرت .

والهجوس تزعم أن تاج هذا هو أبو العرب ، ويزعمون^(١٠) أن أم الضحاك كانت
 ودك بنت ويونجهان^(١١) ، وأنه قتل أباه تقريبًا بقتله إلى الشياطين ، وأنه كان
 كثير المقام ببابل ، وكان له ابنان يقال لأحدهما : سرهوار^(١٢) ، وللآخر
 نفوار^(١٣) .

• • •

وقد ذكر عن الشعبي أنه كان يقول : هو « قرشت » مسخه الله « ازدهاق » .

• ذكر الرواية عنه بذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن يحيى بن العلاء ،
 عن القاسم بن سلمان ، عن الشعبي ، قال : أبجد ، وهوز ، وحطى ، وكلمن ،
 وسعفص ، وقرشت ؛ كانوا ملوكًا جبابرة ، فتفكر^(١٤) قرشت يومًا ، فقال :
 تبارك الله أحسن الخالقين ! فسخه الله فجعله « اجدهاق » ،^(١٥) وله سبعة

- (١) ا ، ن : « تاز » .
- (٢) ر ، ك : « فردال » ، س : « فروال » ، ن : « عيردال » .
- (٣) ر : « سيامل » ، ك : « مسامك » .
- (٤) كذا في ا ، ن ، وفي س : « زنجدار » ، وفي ر : « ريجدان » وفي ط بدون نقط .
- (٥) كذا في ا ، وفي ط بدون نقط .
- (٦) س : « باح » ، ر ، ك : « راج » .
- (٧) في ن : « فريال » وفي رس : « فرمال » .
- (٨) س : « شاهمك » .
- (٩) ر ، س : « مادي » .
- (١٠) كذا في ا ، وفي ط : « فيزعمون » .
- (١١) ا : « ونوبنجهان » .
- (١٢) كذا في ا ، وفي ن : « سريقوار » ، وفي ط بدون نقط .
- (١٣) كذا في ا ، وفي ط بدون نقط .
- (١٤) ر ، ك : « قفكر » .
- (١٥) ر ، س ، ك ، ن : « ازدهان » .

أرؤس ، فهو الذي بدُّنباوند ، وجميع أهل الأخبار من العرب والعجم تزعم أنه ملك الأقاليم كلها ، وأنه كان ساحراً فاجراً .

وحدثت عن هشام بن محمد ، قال : ملك الضحاك بعد جم - فيما يزعمون ، والله أعلم - ألف سنة ، ونزل السواد في قرية يقال لها نرس^(١) في ناحية طريق الكوفة^(٢) ، وملك الأرض كلها ، وسار بالبحر والعسف^(٣) ، وبسط يده في القتل ، وكان أول من سنَّ الصَّلب والقطع ، وأول من وضع العُشور ، وضرب الدراهم ، وأول من تغنى وغنى له ، قال : ويقال إنه خرج في منكبهِ سِلْعَتان^(٤) فكانتا تضربان عليه ، فيشتدَّ عليه الوجع حتى يطلبهُما بدماع إنسان ، فكان يقتل لذلك في كل يوم رجلين ويَطْلِي سِلْعَتِيهِ بدماعيهما ، فإذا فعل ذلك سكن ما يجيد ، فخرج عليه رجل من أهل بابل فاعتقد لواء ، واجتمع إليه بشر كثير ، فلما بلغ الضحاك خبره راعه ، فبعث إليه : ما أمرك ؟ وما تريد ؟ قال : أأست تزعم أنك ملك الدنيا ، وأن الدنيا لك ! قال : بلى ، قال : فليكن كَلْبُكَ^(٥) على الدنيا ، ولا يكوننَّ علينا خاصة ، فإنك إنما تقتلنا دون الناس . فأجابه الضحاك إلى ذلك ، وأمر بالرجلين اللذين كان يقتلهما في كل يوم أن يُقسِّما على الناس جميعاً ، ولا يخصَّ بهما مكان دون مكان . قال : فبلغنا أن أهل أصبهان من ولد ذلك الرجل الذي رفع اللواء ، وأن ذلك اللواء لم يزل محفوظاً عند ملوك فارس في خزائهم^(٦) ، وكان فيما بلغنا جلد أسد ، فألبسه ملوك فارس الذهب^(٧) والديباج تيمناً به .

قال : وبلغنا أن الضحاك هو نمرود ، وأن إبراهيم خليل الرحمن صلى

(١) نرس ، بفتح أوله وسكون ثانيه ؛ ذكرها ياقوت وقال : « وقيل نرس ، قرية كان ينزلها الضحاك بيوراسب ببابل » .

(٢) ك : « في ناحية الطريق إلى الكوفة » .

(٣) ر ، ك : « والعسف » .

(٤) السلعة ، بالكسر : زيادة تحدث في الجسد مثل الندة ؛ تمور بين الجلد واللحم إذا حركتها .

(٥) ا ، س : « كلك » .

(٦) ر ، ك : « خزائهم » .

(٧) ك : « من الذهب » .

الله عليه وُلد في زمانه ، وأنه صاحبه الذي أراد إحراقه .

قال : وبلغنا أن أفريدون — هو^(١) من نسل جم الملك الذي كان [من] ^(٢) قبل الضحاك ، ويزعمون أنه التاسع من ولده ، وكان مولده بدُنباوند ، خرج حتى ورد منزل الضحاك وهو عنه غائب بالهند ، فحوى^(٣) على منزله وما فيه ، فبلغ الضحاك ذلك ، فأقبل وقد سلبه الله قوته ، وذهبت دولته ، فوثب^(٤) به أفريدون فأوثقه وصيَّره يجبال دُنباوند ؛ فالعجمُ تزعم أنه إلى اليوم مؤثق في الحديد يُعذَّب هناك .

وذكر غيرُ هشام أن الضحاك لم يكن غائبًا عن مسكنه ، ولكن أفريدون ابن أنبيان جاء إلى مسكن له في حصن يُدعى زرنج ماه مهر روز مهر ، فنكح امرأتين له : تسمى إحداهما : أروناز^(٥) والأخرى سنوار . فوهل بيوراسب لما عاين ذلك ، وخرَّ مُدلتها لا يعقل ، فضرب أفريدون هامته بجُرز^(٦) له ملتوى ٢٠٦/١ الرأس ، فزاده ذلك وهلاً وعزوبَ عقل ، ثم توجه به أفريدون إلى جبل دُنباوند ، وشده هناك وثاقًا ، وأمر الناس باتخاذ مهرماه مهر روز — وهو المهرجان اليوم الذي أوثق فيه بيوراسب — عيداً ، وعلا أفريدون سرير الملك .

وذكر عن الضحاك أنه قال يومَ ملك وعُقد عليه التاج : نحن ملوك الدنيا ، المالكون لما فيها .

والفرس تزعم أن الملك لم يكن إلا اللبطن الذي منه أوشهنج وجم وطهمورث ، وأن الضحاك كان غاصباً^(٧) وأنه غصب^(٨) أهل الأرض بسحره وخبثه ، وهول عليهم بالحيتين اللتين كانتا على منكبيه ، وأنه بنى بأرض بابل مدينة

(١) كذا في ا ، س ، ن ؛ وفي ط : « وهو » .

(٢) تكلمة من ا .

(٣) كذا في جميع الأصول ، وفي ن : « فاحتوى » .

(٤) ن : « فأقبل عليه » .

(٥) ا : « أروناز » ، س : « أردنان » ، ر ، ك : « أرونا » .

(٦) الجز : عمود من حديد .

(٧) كذا في ا ، ر ، س ، وفي ط : « عاصيا » .

(٨) س : « غلب » .

سماها حوب^(١) ، وجعل التَّبَط أصحابه وبيطانته ، فلقى الناس منه كل جهد ، وذَبَح الصبيان .

ويقول كثير من أهل الكتب : إن الذي كان على منكبيه كان لحمتين طويلتين ناتئتين على منكبيه ، كل واحدة منهما كراس الثعبان ، وأنه كان بخبثه^(٢) ومكره يسترهما بالثياب . ويذكر على طريق التهويل أنهما حيتان يقتضيانه الطعام ، وكانتا تتحركان تحت ثوبه إذا جاع كما يتحرك العضو من الإنسان عند التهابه بالجوع والغضب . ومن الناس من يقول : كان ذلك حيتين ، وقد ذكرت ما روى عن الشعبي في ذلك ، والله أعلم بحقيقته وصحته .

• • •

وذكر بعض أهل العلم بأنساب الفرس وأمورهم أن الناس لم يزالوا من بيوراسب هذا في جهنم شديد، حتى إذا أراد الله إهلاكه وثب به رجل من العامة من أهل أصبهان يقال له كابي^(٣) ، بسبب ابنين كانا له أخذهما رسل بيوراسب بسبب الحيتين اللتين كانتا على منكبيه . وقيل : إنه لما بلغ الجزع من كابي هذا على ولده أخذ عصا كانت بيده ، فعلق بأطرافها جراباً كان معه ، ثم نصب ذلك العلم ، ودعا الناس إلى مجاهدة بيوراسب ومحاربتة ، فأسرع إلى إجابته خلق كثير ؛ لما كانوا فيه معه من البلاء وفنون الجور ، فلما غلب كابي تغافل الناس بذلك العلم ، فعظموا أمره ، وزادوا فيه حتى صار عند ملوك العجم علمهم الأكبر الذي يتبركون به ، وسموه درفش كابيان^(٤) ، فكانوا لا يسيرونه^(٥) إلا في الأمور العظام ، ولا يرفع إلا لأولاد الملوك إذا وجهوا في الأمور العظام . وكان من خبر كابي أنه شخص عن أصبهان بمن تبعه والتف إليه في طريقه ، فلما قرب من الضحاك وأشرف عليه ، قذف في قلب الضحاك

٢٠٧/١

(١) س : « حوف » ، ك : « تسمى هاجوب » .

(٢) ر : « لحيته » .

(٣) ر : « كافي » .

(٤) أ : « درفين كابيان » ، ر : « درقين كابينان » ، ك : « دريس كاتبان » ، ن :

« دفن كابيان » .

(٥) س : « لا يسيرون به » .

منه الرعب، فهرب عن منزله، ونحلتى مكانه، وانفتح للأعاجم فيه^(١) ما أرادوا، فاجتمعوا إلى كابي وتناظروا، فأعلمهم كابي أنه لا يتعرض للملك؛ لأنه ليس من أهله، وأمرهم أن يملكوا بعض ولد جم، لأنه ابن الملك الأكبر أو شهنتق بن فرواك الذى رسم الملك، وسبق إلى القيام به، وكان أفريدون بن ٢٠٨/١ أنفيان مستخفياً فى بعض النواحي من الضحاك، فوافى كابي ومن كان معه، فاستبشر القوم بموافاته، وذلك أنه كان مرشحاً للملك برواية كانت لهم فى ذلك، فلنكوه، وصار كابي والوجه لأفريدون أعواناً على أمره، فلما ملك وأحكم ما احتاج إليه من أمر الملك، واحتوى على منزل الضحاك، اتبعه فأسره بدُنياوند فى جبالها.

وبعض المجوس تزعم أنه جعله أسيراً حبيساً فى تلك الجبال، موكتلاً به قوم من الجن.

ومنهم من يقول: إنه قتله، وزعموا أنه لم يُسمع من أمور الضحاك شيء يستحسن غير شيء واحد؛ وهو أن بليته^(٢) لما اشتدت ودام جورُه وطالت أيامه، عظم على الناس ما لقوا منه، فراسل الوجه فى أمره، فأجمعوا على المصير إلى بابه، فوافى بابه الوجه والعظماء من الكور والنواحي، فتناظروا فى الدخول عليه والتظلم إليه^(٣)، والتأتى لاستعطافه، فاتفقوا على أن يقدموا للخطاب عنهم كابي الأصهبانى، فلما صاروا إلى بابه أعلم بمكانهم، فأذن لهم، فدخلوا وكابي متقدّم لهم^(٤)، فقتل بين يديه، وأمسك عن السلام، ثم قال: أيها الملك، أى السلام أسلم عليك؟ أسلام من يملك هذه الأقاليم كلها، أم سلام من يملك هذا الإقليم الواحد؟ يعنى بابل، فقال له الضحاك: بل سلام من يملك هذه الأقاليم كلها، لأنى ملك الأرض. فقال له الأصهبانى: فإذا كنت تملك الأقاليم كلها، وكانت يدك تناها أجمع، فما بالنأ قد خصصنا بمؤنتك ٢٠٩/١

(١) كذا فى ا، س، ن، وفى ط: «منه».

(٢) ر: «نكته».

(٣) كذا فى ا، ر، ك: «منه».

(٤) ن: «مقدمهم».

وتحاملك وإساءتك من بين أهل الأقاليم ! وكيف لم تقسم أمر كذا وكذا بيننا وبين الأقاليم ؟ وعدد عليه أشياء كان يمكنه تخفيفها عنهم ، وجرّد له الصدق والقول في ذلك ، ففدح في قلب الضحّاك قوله ، وعمل فيه حتى انخزل وأقرّ بالإساءة ، وتآلف القوم ووعدهم ما يُحبّون ، وأمرهم بالانصراف لينزلوا ويتدعوا ، ثم يعودوا ليقضى حوائجهم ، ثم ينصرفوا إلى بلادهم .

وزعموا أن أمه ودك كانت شرّاً منه وأردى ، وأنها كانت في وقت معاينة القوم إياه بالقرب منه تتعرف ما يقولونه ، فتغتاظ وتُنكره ، فلما خرج القوم دخلت مُستشيطة مُنكرة على الضحّاك احتمال القوم ، وقالت له : قد بلغنى كلّ ما كان وجراًة هؤلاء القوم عليك حتى قرّعوك^(١) بكذا ، وأسمعوك كذا ،^(٢) أفلا دمّرت عليهم ودمدمتهم ، أو قطعت أيديهم^(٣) !

فلما أكثرت على الضحّاك قال لها مع عتوه : يا هذه ، إنك لم تفكرى في شيء إلا وقد سبقت إليه ؛ إلا أن القوم بدّهوني بالحق ، وقرّعوني^(٤) به ، فلما هممت بالسطوة بهم والوثوب عليهم تخيل^(٥) الحق قتل بيبى وبينهم بمنزلة الجبل ، فما أمكننى فيهم شيء . ثم سكّتها وأخرجها ، ثم جلس لأهل النواحي بعد أيام ، فوفى لهم بما وعدهم ، وردّهم وقد لان لهم ، وقضى أكثر حوائجهم ، ولا يُعرف للضحّاك - فيما ذكر - فعلة استحسنت [منه]^(٥) غير هذه .

وقد ذكر أن عمر الأجدهاق^(٦) هذا كان ألف سنة ، وأن ملكه منها كان ستمائة سنة ، وأنه كان في باقى عمره شبيهاً بالملك لقدرته ونفوذ أمره . وقال

(١) نى ط : « فرّعوك » ؛ وما أثبتته من ا ؛ وابن الأثير ١ : ٤٤

(٢-٣) ا : « أفلا دمر عليهم ودمدم بهم ، أولاً قطعت أيديهم ! » . ودمدمهم ودمدم عليهم ؛ أى أهلكهم .

(٣) ط : « فرّعوني » .

(٤) ن : « تجبل » ؛ أى صار مثل الجبل .

(٥) من ن .

(٦) ر ، ك : « الازدهاق » .

بعضهم : إنه ملك ألف سنة ، وكان عمره ألف سنة ومائة سنة ، إلى أن خرج عليه أفريدون فقهره وقتله .

وقال بعض علماء الفرس : لا نعلم أحداً كان أطول عمراً - ممن لم يُذكر عمره في التوراة - من الضحاك هذا ، ومن جامر بن يافث بن نوح أبي الفرس ؛ فإنه ذكر أن عمره كان ألف سنة .

وإنما ذكرنا خبر بيوراسب في هذا الموضع ؛ لأن بعضهم زعم أن نوحاً عليه السلام كان في زمانه ، وأنه إنما كان أرسل إليه وإلى من كان في مملكته ، ممن دان بطاعته واتبعه على ما كان عليه من العتو والتمرد على الله ، فذكرنا إحسان الله وأياديه عند نوح عليه السلام بطاعته ربه وصبره على ما لقي منه^(١) من الأذى والمكروه في عاجل الدنيا ، بأن نجّاه ومن آمن معه واتبعه من قومه ، وجعل ذريته هم الباقيين في الدنيا ، وأبقى له ذكره بالثناء الحميل ، مع ما ذخّر له عنده في الآجل من النعيم المقيم والعيش الهنيء ، وإهلاكه الآخرين بمعصيتهم إياه وتمردهم عليه ، وخلافهم أمره ، فسلبهم ما كانوا فيه من النعيم ، وجعلهم عبرة وعظة للغابرين ؛ مع ما ذخّر لهم عنده في الآجل من العذاب الأليم .

...

ونرجع الآن إلى ذكر نوح عليه السلام والخبر عنه وعن ذريته ، إذ كانوا هم الباقيين اليوم كما أخبر الله عنهم ؛ وكان الآخرون الذين بُعث نوح إليهم خلا ولده ونسله قد بادوا وذريتهم ، فلم يبق منهم ولا من أعقابهم أحد .

قد ذكرنا قبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في قول الله عز وجل : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ : إنهم سام ، وحام ، ويافث .

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثنا عبد الصمد بن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبه ؛ يقول : إن سام بن نوح أبو العرب وفارس والروم ، وإن حام أبو السودان ، وإن يافث أبو الترك وأبو بأجوج وأجوج ، وهو بنو عم الترك .

(١) ط : « فيه » ، وما أثبتته عن ا .

وقيل : كانت زوجة يافث أربسية^(١) بنت مرازيل بن الدرمسيل بن محويل بن خنوخ بن قيسن بن آدم عليه السلام ، فولدت له سبعة نفر وامرأة . فمن ولدت له من الذكور جومر بن يافث وهو - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق - أبوأجوج ومأجوج ، ومارج^(٢) بن يافث ووائل بن يافث ، وحوآن بن يافث ، وتوبيل بن يافث ، وهوشل^(٣) بن يافث ، وترس بن يافث ، وشبكة بنت يافث . قال : فمن بنى يافث كانت يأجوج ومأجوج والصقالبة والترك فيما يزعمون . وكانت امرأة حام بن نوح نحل^(٤) بنت مارب بن الدرمسيل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم . فولدت له ثلاثة نفر : كوش بن حام بن نوح ، وقوط بن حام بن نوح ، وكنعان بن حام . فنكح كوش بن حام بن نوح قرنيل ابنة بتاويل بن ترس بن يافث ، فولدت له الحبشة والسند والهند فيما يزعمون . ونكح قوط بن حام بن نوح بخت ابنة بتاويل ابن ترس بن يافث بن نوح ، فولدت له القبط - قبط مصر - فيما يزعمون . ونكح كنعان بن حام بن نوح أرتيل^(٥) ابنة بتاويل بن ترس بن يافث بن نوح ، فولدت له الأساود : نوبة ، وفرزان ، والزنج ، والزغاوة ؛ وأجناس السودان كلها .

٢١٢/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، في الحديث قال : ويزعم أهل التوراة أن ذلك لم يكن إلا عن دعوة دعاها نوح على ابنه حام ، وذلك أن نوحاً نام فانكشف عن عورته ، فرآها حام فلم يغطها ، ورآها سام ويافث فألقيا عليها ثوباً فواريا عورته ، فلما هب من نومته علم ما صنع حام وسام ويافث ، فقال : ملعون كنعان بن حام ؛ عبداً يكونون لإخوته ، وقال : يبارك الله ربى فى سام ، ويكون حام عبداً أخويه ، ويقرض الله يافث^(٦) ، ويحل فى مساكن حام ، ويكون كنعان عبداً لهم^(٦) . قال : وكانت امرأة سام

(١) ا ، س : « أربسية » .

(٢) ا ، ن : « مارج » .

(٣) ا : « هوشك » ، س : « هوشد » . (٤) كذا فى ا ، وفى ط مهمل .

(٥) كذا فى ا ، ك ؛ وفى ط : « أرسل » .

(٦-٦) كذا فى ا ، وفى ط : « ويحل فى مساكن سام ، ويكون حام عبداً لهم » .

ابن نوح صليب ابنة بتاويل بن محويل بن خنوخ بن قيس بن آدم، فولدت له نفراً : أرفخشذ بن سام، وأشوذ بن سام، ولاوذ بن سام، وعويلم بن سام، وكان لسام إرم بن سام، قال : ولا أدري إرم لأم أرفخشذ وإخوته أم لا ؟

حدثني الحارث، قال : حدثنا ابن سعد، قال : أخبرني هشام بن محمد، قال : أخبرني أبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال : لما ضاقت بولد نوح سوق ثمانين تحولوا إلى بابل فبنوها، وهي بين الفرات والصرّة، وكانت اثني عشر فرسخاً في اثني عشر فرسخاً، وكان بابها موضع دوران^(١) اليوم، فوق جسر الكوفة يسيرة إذا عبرت، فكثروا بها حتى بلغوا مائة ألف، وهم على الإسلام.

ورجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . فنكح لاوذ بن سام بن نوح شبكة ابنة يافث بن نوح، فولدت له فارس وجرجان وأجناس فارس، وولد للاوذ مع الفرس طسم وعمليق، ولا أدري أهو لأم الفرس أم لا ؟ فعملق أبو العماليق . كلهم أم تفرقت في البلاد، وكان أهل المشرق وأهل عُمان وأهل الحجاز وأهل الشام وأهل مصر منهم، ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون، ومنهم كانت الفراعنة بمصر، وكان أهل البحرَيْن وأهل عمان منهم أمة يُسمون جاسم، وكان^(٢) ساكني المدينة منهم، بنوهف وسعد بن هزان، وبنو مطر، وبنو الأزرق . وأهل نجد منهم بديل وراجل^(٣) وغيفار، وأهل تيماء منهم . وكان ملك الحجاز منهم بتيماء اسمه الأرقم^(٤)، وكانوا ساكني^(٥) نجد مع ذلك . وكان ساكني الطائف بنو عبد بن ضخم، حتى من عبس الأول .

قال : وكان بنو أميسم بن لاوذ بن سام بن نوح أهل وبار بأرض الرمل،

(١) دوران، بضم أوله : موضع خلف جسر الكوفة . ياقوت .

(٢) ط : « وكانوا » ، والصواب ما أثبتته من أ .

(٣) أ ، ن : « راجل » . (٤) ن : « الأذفر » .

(٥) أ : « من ساكني نجد » .

رمل عالج ، وكانوا قد كثروا بها ورَبَلُوا^(١) ؛ فأصابتهُم من الله عز وجل نعمة من معصية أصابوها ، فهلكوا وبقيت منهم بقية ، وهم الذين يقال لهم النسناس .

قال : وكان طسم بن لاوذ ساكن اليمامة وما حولها ، قد كثروا بها ورَبَلُوا إلى البحرين ؛ فكانت طسم والعماليق وأمّيم وجاسم قومًا عربيًا ، لسانهم الذي جَبَلُوا عليه لسانٌ عربيّ . وكانت فارس من أهل المشرق ببلاد فارس ، يتكلمون بهذا اللسان الفارسيّ .

قال : وولد إرم بن سام بن نوح عَوْص بن إرم ، وغاثر^(٢) بن إرم ، وحويل بن إرم . فولد عوص بن إرم غاثر بن عوص ، وعاد بن عوص ، وعبيل ابن عوص . وولد غاثر بن إرم ثمود بن غاثر ، وجديس بن غاثر . وكانوا قومًا عربيًا يتكلمون بهذا اللسان المضريّ ، فكانت العرب تقول لهذه الأمم : العرب العاربة ، لأنه لسانهم الذي جَبَلُوا عليه ، ويقولون لبني إسماعيل بن إبراهيم : العرب المتعربة ، لأنهم إنما تكلموا بلسان هذه الأمم حين سكنوا بين أظهرهم . فعاد وثمرود والعماليق وأمّيم وجاسم وجديس وطسم هم العرب ؛ فكانت عاد بهذه الرمل إلى حضرموت واليمن كله ، وكانت ثمود بالحِجْر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله ، ولحقت جديس بطسم ، فكانوا معهم باليمامة وما حولها إلى البحرين ، واسم اليمامة إذ ذاك جَوّ ، وسكنت جاسم عُمان فكانوا بها .

٢١٥/١

وقال غير ابن إسحاق : إن نوحًا دعا لسام بأن يكون الأنبياء والرسل من ولده ، ودعا لياث بأن يكون الملوك من ولده ، وبدأ بالدعاء لياث وقدّمه في ذلك على سام ، ودعا على حام بأن يتغير لونه ، ويكون ولده عبيدًا لولد سام وياث .

قال : وذكر في الكتب أنه رقّ على حام بعد ذلك ، فدعا له بأن يرزق الرأفة من إخوته ، ودعا من ولد ولده لكوش بن حام ولحامير بن يافث بن نوح ،

(١) ربلوا : كثر عددهم .

(٢) س : « عابر » ، ك : « غابر » .

وذلك أن عدة من ولد الولد لحقوا نوحاً فخدموه، كما خدمه ولده لصلبه، فدعا لعدة منهم .

٢١٦/١

قال: فولد لسام عابر وعُليم وأشوذ وأرفخشذ ولاوذ وإرم^(١)، وكان مقامه بمكة . قال : فمن ولد أرفخشذ الأنبياء والرسل وخيار الناس ، والعرب كلها، والفراعنة بمصر . ومن ولد يافث بن نوح ملوك الأعاجم كلها من الترك والخرز وغيرهم ، والفرس الذين آخروا من ملوكهم يزدد جرد بن شهر يار ابن أبرويز ، ونسبه ينتهي إلى جيومرت بن يافث بن نوح .

قال : ويقال إن قوماً من ولد لاوذ بن سام بن نوح وغيره من إخوته نزحوا إلى جامر هذا ، فأدخلهم جامر في نعمته ومملكه ، وأن منهم ماذى بن يافث ، وهو الذي تُنسب السيوف الماذية إليه . قال : وهو الذي يقال إن كيرش الماذوي قاتل بلشصر^(٢) بن أولرودخ بن بختنصر من ولده .

قال : ومن ولد حام بن نوح ، النوبة ، والحبشة ، وفزان ، والهند ، والسند ، وأهل السواحل في المشرق والمغرب .

قال : ومنهم نمروذ ، وهو نمروذ بن كوش بن حام .

قال : وولد لأرفخشذ بن سام ابنه قينان ، ولا ذِكر له في التوراة ، وهو الذي قيل إنه لم يستحق أن يذكر في الكتب المنزلة ، لأنه كان ساحراً ، وسمى نفسه إلهاً ، فسيقت المواليدي في التوراة على أرفخشذ بن سام ثم على شالغ بن قينان بن أرفخشذ من غير أن يذكر قينان في النسب ، لما ذكر من ذلك .

قال : وقيل في شالغ : إنه شالغ بن أرفخشذ من ولد لقينان . وولد لشالغ عابر . وولد لعابر ابنان : أحدهما فالغ ، ومعناه بالعربية قاسم - وإنما سمي بذلك لأن الأرض قسمت والألسن تبلبلت في أيامه - وسمى الآخر قحطان . فولد لقحطان يعرب ويقطان ابنا قحطان بن عابر بن شالغ ، فتزلا أرض اليمن ، وكان قحطان أول من ملك اليمن ، وأول من سلّم عليه به أبيت اللعن ، كما كان يقال للملوك . وولد لفالغ بن عابر أرغوا - وولد لأرغوا ساروغ ، وولد لساروغ ناحورا ، وولد لناحورا تارخ - واسمه بالعربية آزر - وولد لتارخ

٢١٧/١

(١) في سفر التكوين ١٠ : ٢١ : « بنو سام عيلام وأشور وأرفكشار ولوذ وآرام » .

(٢) ن : « تلشصر » ، ل : « بلشهر » .

إبراهيم صلوات الله عليه . وولد لأرفخشذ أيضاً نمرود بن أرفخشذ، وكان منزله بناحية الحجّر . وولد للاوّد بن سام طسم وجديس ، وكان منزلهما البامة . وولد للاوّد أيضاً عمليق بن لاوذ ، وكان منزله الحرم وأكناف مكة ، ولحق بعض ولده بالشام ؛ فمنهم كانت العماليق ، ومن العماليق الفراعنة بمصر . وولد للاوّد أيضاً أميم بن لاوذ بن سام ، وكان كثير الولد ، فترع بعضهم إلى جامر بن يافث بالمشرق . وولد لإرم بن سام عوّص بن إرم ، وكان منزله الأحقاف . وولد لعوص عاد بن عوص .

وأما حام بن نوح ، فولد له كوش ومصرام^(١) وقوط وكنعان ، فمن ولد كوش نمرود المتجبر الذي كان ببابل ، وهو نمرود بن كوش بن حام ، وصارت بقية ولد حام بالسواحل من المشرق والمغرب والنوبة والحبشة وقزّان .

قال : ويقال : إن مصرام ولد القبط والبربر ، وإن قوطاً صار إلى أرض الهند وفتزلها ، وإن أهلها من ولده .

وأما يافث بن نوح فولد له جامر وموعج^(٢) وموادي^(٣) وبوان^(٤) وثوبال وماشج وتيرش . ومن ولد جامر ملوك فارس . ومن ولد تيرش الترك والخزر . ومن ولد ماشج الأشبان . ومن ولد موعج بأجوج ومأجوج ، وهم في شرق أرض الترك والخزر . ومن ولد بوان الصقالبة وبرجان والأشبان ، كانوا في القديم بأرض الروم قبل أن يقع بها من وقع من ولد العيص وغيرهم ؛ وقصد كل فرجيق من هؤلاء الثلاثة : سام وحام ويافث أرضاً ، فسكنوها ودفعوا غيرهم عنها .

٢١٨/١

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام بن محمد بن السائب ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس : قال : أوحى الله إلى موسى عليه السلام : إنك يا موسى وقومك وأهل الجزيرة وأهل العال من ولد سام بن نوح . وقال ابن عباس : والعرب والفرس والنبط والهند والسند من ولد سام بن نوح .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام بن

(١) ن : « مصرام » .

(٢) كذا في ١ ، وفي ط : « موعج » .

(٣) ١ : « موراي » . ن : « موراي » .

(٤) ط : « بوان » .

محمد ، عن أبيه : قال : الهند والسند بنو توقير ^(١) بن يقطن بن عابر بن شالخ ابن أرفخشذ بن سام بن نوح . ومُكران بن البند ، وجرهم ، اسمه هنرم ^(٢) بن عابر بن سبأ بن يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح . ٢١٩/١ وحضرموت بن يقطن بن عابر بن شالخ . ويقطن هو قحطان بن عابر بن شالخ ابن أرفخشذ بن سام بن نوح ، في قول من نسبته إلى غير إسماعيل . والفرس بنو فارس بن تيرش ^(٣) بن ناسور بن نوح . والنَّبَط بنو نبيط بن ماش ابن إرم بن سام بن نوح . وأهل الجزيرة والعال من ولد ماش بن إرم بن سام ابن نوح . وعمليق - وهو عريب - وطسم وأمّيم بنو لوذ بن سام بن نوح . وعمليق هو أبو العمالقة ، ومنهم البربر وهم بنو ثميلا بن مارب بن فاران بن عمرو بن عمليق بن لوذ بن سام بن نوح ، ما خلا صنهاجة وكتامة ، فإنهما بنو فريقيش بن قيس بن صيني بن سبأ .

ويقال : إن عمليق أول من تكلم بالعربية حين ظعنوا من بابل ؛ فكان يقال لهم وجرهم : العرب العاربة . وثمود وجديس ابنا عابر بن إرم بن سام ابن نوح ، وعاد وعبيل ابنا عوص بن إرم بن سام بن نوح ، والروم بنو لنطي ^(٤) ابن يونان بن يافث بن نوح . ونمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح ، وهو صاحب بابل ؛ وهو صاحب إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه .

قال : وكان يقال لعاد في دهرهم عاد إرم ، فلما هلكت عاد قيل لثمود إرم ، فلما هلكت ثمود قيل لسائر بني إرم : إرمان ؛ فهم النبط ، فكل هؤلاء كان على الإسلام وهم ببابل ، حتى ملكتهم نمرود بن كوش بن كنعان بن حام ابن نوح ، فدعاهم إلى عبادة الأوثان ففعلوا ، فأمسوا وكلامهم السريانية ، ثم أصبحوا وقد بلبل الله ألسنتهم ، فجعل لا يعرف بعضهم كلام بعض ، فصار لبني سام ثمانية عشر لساناً ، ولبني حام ثمانية عشر لساناً ، ولبني يافث

(١) كذا في ١ وهو يوافق ما في ابن الأثير ١ : ٤٥ ، وفي ر : « بنوقين » ، وفي ن : « توفين » .

(٢) ١ : « هنوم » .

(٣) كذا في ١ ، وفي ر : « فرس » ، وابن الأثير « تيرش » ، وفي ط مهمل .

(٤) ١ : « ليطى » .

سنة وثلاثون لساناً ، ففهم الله العربية عاداً وعبيل وثمود وجديس وعِمليق
وطسم وأمّيم وبنى يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح .

وكان الذي عقد لهم الألوية ببابل بوناظر^(١) بن نوح ، وكان نوح فيما حدثني
الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال : أخبرني أبي عن
أبي صالح عن ابن عباس : تزوج امرأة من بنى قابيل ، فولدت له غلاماً ،
فسمّاه بوناظر ، فولده بمدينة بالمشرق يقال لها معلون^(٢) شمسا ، فنزل بنو سام
المجدل^(٣) سرّة^(٤) الأرض ، وهو ما بين سائيدما^(٥) إلى البحر ، وما بين
اليمن إلى الشام ، وجعل الله النبوة والكتاب والجمال والأدّمة والبياض فيهم .
ونزل بنو حام مجرى الجنوب والدّبور ، ويقال لتلك الناحية الداروم^(٦) ، وجعل الله
فيهم أدّمة وبياضاً قليلاً ، وأعمّر بلادهم وسماهم ، ورفع عنهم الطاعون ،
وجعل في أرضهم الأثل والأراك والعُشْر والغار والنخل ، وجرت الشمس والقمر
في سماهم . ونزل بنو يافث الصفون مجرى الشمال والصباء ، وفيهم الحمرة والشقرة ،
وأخلى الله أرضهم فاشتدّ بردها ، وأخلى سماهم ، فليس يجرى فوقهم شيء من
النجوم السبعة الجارية ، لأنهم صاروا تحت بنات نعش والحدى والفرقدين ،
فابتلوا بالطاعون . ثم لحقت عاد بالشحر ، فعليه هلكوا بواد يقال له مغيث ،
فلحقتهم بعد مهرة^(٧) بالشحر . ولحقت عبيل بموضع يثرب . ولحقت العماليق
بصنعاء قبل أن تسمى صنعاء ، ثم انحدر بعضهم إلى يثرب ، فأخرجوا منها
عبيل ، فنزلوا موضع الجحفة ، فأقبل السيل فاجتحنفهم فذهب بهم فسميت
الجحفة . ولحقت ثمود بالحجر وما يليه فهلكوا ثم ، ولحقت طسم وجديس
باليامة فهلكوا ، ولحقت أميم بأرض أبار فهلكوا بها ، وهي بين اليامة والشحر ،
ولا يصل إليها اليوم أحد ، غلبت عليها الجن . وإنما سميت أبار بأبار بن أميم .

٢٢١/١

(١) : « يوناظر » ، ن : « نوياطن » .

(٢) : « معلون » .

(٣) : المجدل ، ضبطها ياقوت بكسر الميم وسكون الجيم وفتح الدال .

(٤) : ر ، ك : « من الأرض » .

(٥) : سائيدما ، ضبطها ياقوت : « بعد الألف تاء مشناة من فوق مكسورة وياء مشناة من

تحت ؛ ودال مهمله مفتوحة ثم ميم وألف مقصورة » . (٦) : « الزاروم » .

ولحقت بنو يقطن بن عابر باليمن ، فسميت اليمن حيث تيامنوا إليها ، ولحق قوم من بني كنعان بالشام فسميت الشام حيث تشاءموا إليها ، وكانت الشام يقال لها أرض بني كنعان ، ثم جاءت بنو إسرائيل فقتلوهم بها ، ونفّوهم عنها ، فكانت الشام لبني إسرائيل . ثم وثبت الروم على بني إسرائيل فقتلوهم ، وأجلوهم إلى العراق إلا قليلا منهم ، ثم جاءت العرب فغلبوا على الشام ، وكان فالغ - وهو فالغ بن عابر بن أرفخشذ بن سام بن نوح - هو الذي قسم الأرض بين بني نوح كما سمينا .

وأما الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن علماء سلفنا في أنساب الأمم التي هي في الأرض اليوم ، فعلى ما حدثني أحمد بن بشير بن أبي عبد الله الوراق ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سام أبو العرب ، ويافث أبو الروم ، وحام أبو الحبش » .

حدثني القاسم بن بشر بن معروف ، قال : حدثنا روح ، قال : حدثنا سعيد بن أبي عمرو ، عن قتادة . عن الحسن ، عن سمرة بن جندب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « ولد نوح ثلاثة : سام وحام ويافث ، فسام أبو العرب ، وحام أبو الزنج ، ويافث أبو الروم » .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا عباد بن العوام ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سام أبو العرب ، ويافث أبو الروم ، وحام أبو الحبش » .

حدثني عبد الله بن أبي زياد ، قال : حدثني روح ، قال : حدثنا سعيد بن أبي عمرو ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « ولد نوح سام وحام ويافث » . قال عبد الله : قال روح : أحفظ « يافث » ، وسمعت مرة « يافت » .

وقد روى هذا الحديث عن عبد الأعلى بن عبد الأعلى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة وعمران بن حصين ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثني عمران بن بكّار الكتلاعي قال : حدثنا أبو اليمان ، قال : حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن يحيى بن سعيد ، قال : سمعت سعيد بن المسيّب يقول : ولد نوح ثلاثة ، وولد كل واحد ثلاثة : سام ، وحام ، ويافث . فولد سام العرب وفارس والروم ؛ وفي كل هؤلاء خير . وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج ؛ وليس في واحد من هؤلاء خير ، وولد حام القبط والسودان والبربر .

وروي عن ضمرة بن ربيعة ، عن ابن عطاء ، عن أبيه ، قال : ولد حام كل أسود جعد الشعر ، وولد يافث كل عظيم الوجه صغير العينين ، وولد سام كل حسن الوجه حسن الشعر . قال : ودعا نوح على حام ألا يعدو شعثاً ولده آذانتهم ، وحيثما لقي ولده ولد سام استعبدوهم .

وزعم أهل التوراة أن سام ولد لنوح بعد أن مضى من عمره خمسمائة سنة ، ثم ولد لسام أرفخشذ بعد أن مضى من عمر سام مائة سنة وستان ، فكان (١) جميع عمر سام - فيما زعموا - ستمائة سنة . ثم ولد لأرفخشذ قينان ، وكان عمر أرفخشذ أربعمائة سنة وثمانيا وثلاثين سنة . وولد قينان لأرفخشذ بعد أن مضى من عمره خمس وثلاثون سنة ، ثم ولد لقينان شالغ بعد أن مضى من عمره تسع وثلاثون سنة ، ولم يذكر مدة عمر قينان في الكتب فيما ذكر لما ذكرنا من أمره قبل . ثم ولد لشالغ عابر بعد أن مضى من عمره ثلاثون سنة ، وكان عمر شالغ كنه أربعمائة سنة وثلاثا وثلاثين سنة .

ثم ولد لعابر فالغ وأخوه قحطان ، وكان مولد فالغ بعد الطوفان بمائة وأربعين سنة ، فلما كثر الناس بعد ذلك مع قرب عهدهم بالطوفان هموا ببناء مدينة تجمعهم فلا يفرقون ، أو صرح عال يحرزهم من الطوفان إن كان مرة أخرى فلا يفرقون ، فأراد الله عز وجل أن يؤمن أمرهم ، ويخلف ظنهم ويعلمهم أن الحول والقوة له ، فبدد شملهم (٢) ، وشتت جمعهم ، وفرق ألسنتهم . وكان عمر عابر أربعمائة سنة وأربعاً وسبعين سنة .

(١) : ا : وكان .

(٢) ط : وبدوهم ؛ وما أثبت عن ا .

ثم ولد لفالغ أرغوا ، وكان عمر فالغ مائتين وتسعا وثلاثين سنة ، وولد أرغوا لفالغ وقد مضى من عمره ثلاثون سنة ، ثم ولد لأرغوا ساروغ ، وكان عمر أرغوا مائتين وتسعا وثلاثين سنة ، وولد له ساروغ بعد ما مضى من عمره اثنتان وثلاثون سنة . ثم ولد لساروغ ناحور^(١) ، وكان عمر ساروغ مائتين وثلاثين سنة . وولد له ناحور ، وقد مضى من عمره ثلاثون سنة .

ثم ولد لناحور تارخ أبو إبراهيم ، صلوات الله عليه ، وكان هذا الاسم اسمه الذي سماه أبوه ، فلما صار مع نمرود قبيما على خيزانة آلهته سماه آزر . وقد قيل : إن آزر ليس باسم أبيه ؛ وإنما هو اسم صنم ؛ فهذا قول يروى عن مجاهد . وقد قيل إنه عيبٌ عابه به بمعنى « معوج » ، بعد ما مضى من عمر ناحور سبع وعشرون سنة ، وكان عمر ناحور كله مائتين وثمانيا وأربعين سنة .

وولد لتارخ إبراهيم ، وكان بين الطوفان ومولد إبراهيم ألف سنة وتسع وسبعون سنة ، وكان بعض أهل الكتاب يقول : كان بين الطوفان ومولد إبراهيم ألف سنة ومائتا سنة وثلاث وستون سنة ، وذلك بعد خلق آدم بثلاثة آلاف وثلاثمائة سنة وسبع وثلاثين سنة .

وولد لقحطان بن عابر يعرب ، فولد يعرب يشجب بن يعرب ، فولد يشجب سبأ بن يشجب ، فولد سبأ حمير بن سبأ وكهلان بن سبأ وعمرو ابن سبأ ، والأشعر بن سبأ وأنمار بن سبأ ومر بن سبأ وعاملة بن سبأ . فولد عمرو ابن سبأ عدى بن عمرو ، فولد عدى لحم بن عدى وجدآم بن عدى .

• • •

وقد زعم بعض نسائي الفرس أن نوحا هو أفريدون الذي قهر الازدهاق ، وسلبه ملكه . وزعم بعضهم أن أفريدون هو ذو القرنين صاحب إبراهيم عليه السلام الذي قضى له بيئر السبع^(٢) ، الذي ذكر الله في كتابه . وقال بعضهم : هو سليمان بن داود .

وإنما ذكرته في هذا الموضع لما ذكرت فيه من قول من قال : إنه نوح ،

(١) ا : « ناحور » ر : « ياحور » ، س : « ياجور » .

(٢) بئر السبع ، نقل القرطبي في تفسيره ١١ : ٤٧ عن السهيلي أنه موضع بالشام .

وإن قصته شبيهة بقصة نوح في أولاد له ثلاثة، وعدله وحسن سيرته ، وهلاك الضحاك على يده . وأنه قيل إن هلاك الضحاك كان على يد نوح وأن^(١) نوحاً إنما كان أرسل - في قول من ذكرت عنه أنه قال : كان هلاك الضحاك على يدى نوح -^(١) حين أرسل إلى قومه ، وهم كانوا قوم الضحاك .

٢٢٦/١

فأما الفرس فإنهم ينسبونه النسبة التي أنا ذاكرها ؛ وذلك أنهم يزعمون أن أفريدون من ولد جهم شاذ الملك الذي قتله الازدهاق ، على ما قد بيئنا من أمره قبل ، وأن بينه وبين جهم عشرة آباء .

وقد حدثت عن هشام بن محمد بن السائب ، قال : بلغنا أن أفريدون - وهو من نسل جهم الملك الذي كان من قبل الضحاك ، قال : يزعمون أنه التاسع من ولده ، وكان مولده بـدُنْباوند - خرج حتى ورد منزل الضحاك ، فأخذه وأوثقه ، وملك مائتي سنة ، ورد المظالم ، وأمر الناس بعبادة الله والإنصاف والإحسان، ونظر إلى ما كان الضحاك غصب الناس من الأرضين وغيرها، فرد ذلك كله على أهله، إلا ما لم يجد له أهلاً ، فإنه وقفه على المساكين والعامه . قال : ويقال إنه أول من سمي الصوائف ، وأول من نظر في الطب والنجوم ، وإنه كان له ثلاثة بنين : اسم الأكبر سلم^(٢) ، والثاني طوج ، والثالث إيرج ، وأن أفريدون تخوف ألا يتفق بنوه، وأن يبغي بعضهم على بعض، فقسّم ملكه بينهم ثلاثاً ، وجعل ذلك في سهام كتب أسماءهم عليها ، وأمر كل واحد منهم فأخذ سهماً، فصارت الروم وناحية المغرب لسلم ، وصارت الترك والصين لـطوج ، وصارت للثالث - وهو إيرج - العراق والهند ، فدفع التاج والسريبر إليه ، ومات أفريدون ، فوثب بإيرج أخواه فقتلاه ، وملك الأرض بينهما ثلثمائة سنة .

٢٢٧/١

قال : والفرس تزعم أن لأفريدون عشرة آباء ، كلهم يسمى أنفيان باسم واحد . قالوا : وإنما فعلوا ذلك خوفاً من الضحاك على أولادهم، لرواية كانت عندهم، بأن بعضهم يغلب الضحاك على ملكه، ويُدرك منه ثار جهم ،

(١ - ١) كذا وردت العبارة في ١ .

(٢) في الأصول : « سرم » ، وانظر ما يأتي .

وكانوا يعرفون ويميّزون بألقاب لقبوها ، فكان يقال للواحد منهم : أنفيان صاحب البقر الحمر ، وأنفيان صاحب البقر البلق ، وأنفيان صاحب البقر الكدر^(١) . وهو أفريدون بن أنفيان بـوكاو - وتفسيره صاحب البقر الكثير - بن أنفيان نيككاو - وتفسيره صاحب البقر الحياض ، بن أنفيان سيركاو^(٢) - وتفسيره صاحب البقر السمان العظام - بن أنفيان بوركاو - وتفسيره صاحب البقر التي بلون حمير الوحش - بن أنفيان أخشين كاو - وتفسيره صاحب البقر الصفر - بن أنفيان سياه كاو - وتفسيره صاحب البقر السود - بن أنفيان اسبيدكاو - وتفسيره صاحب البقر البيض - بن أنفيان كيركاو - وتفسيره صاحب البقر الرمادية - بن أنفيان رمين - وتفسيره كل ضرب من الألوان والقطعان - بن أنفيان بنفر وسن ؛ بن جم الشاذ .

وقيل : إن أفريدون أول من سُمي بالكبيبة فقيل له : كئى أفريدون ، وتفسير الكبيبة أنها بمعنى التنزيه ، كما يقال : روحاني ، يعنون به أن أمره أمر مخلص منزّه يتصل بالروحانية . وقيل إن معنى « كئى » أى طالب الدخيل^(٣) ، ويؤمن بعضهم أن « كئى » من البهاء ، وأن البهاء تغشى أفريدون حين قتل الضحاك ؛ وتذكر العجم من الفرس أنه كان رجلاً جسيماً وسيماً بهيئاً مجرباً ، وأن أكثر قتاله كان بالحرز ، وأن جرزه كان رأسه كرأس الثور ، وأن ملك ابنه إيرج العراق ونواحيها كان في حياته ، وأن أيام إيرج داخلة في ملك أفريدون ، وأنه ملك الأقاليم كلها ، وتنقل في البلدان ، وأنه لما جلس على سريرته يوم الملك قال : نحن القاهرون بعون الله وتأيدته للضحك ، القامعون للشيطان وأحزابه ، ثم وعظ الناس ، فأمرهم بالتناصف وتعاطى الحق وبذل الخير بينهم ، وحثهم على الشكر والتمسك به ، ورتب سبعة من القوهباريين^(٤) - وتفسير ذلك محولو الجبال سبع مراتب - وصيّر إلى كل واحد منهم ناحية من دُنْبَاوند وغيرها على شبيه بالتملك . قالوا : فلما ظفر بالضحاك قال له الضحاك : لا تقتلني بجدك

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « الكذا » .

(٢) ١ ، ب ، ك ، ن : « شوكاو » . س « سوكاو » .

(٣) ك : « الجمل » .

(٤) ١ : « القوهبارين » . س : « القوهارين » .

جم ، فقال له أفريدون منكرأ لقوله : لقد سميت بك همتك ، وعظمت في نفسك حين قدرتها لهذا ، وطمعت لها فيه ! وأعلمه أن جدّه كان أعظم قدراً من أن يكون مثله كفتناً له في القود ، وأعلمه أنه يقتله بثور كان في دار جدّه . وقيل إن أفريدون أول من ذلّل الفيّلة وامتطأها ، ونَتَجَ البغال ، واتخذ الإوزَ والحمام ، وعالج الدّرياق^(١) ، وقاتل الأعداء فقتلهم ونفاهم ، وأنه قسم الأرضَ بين أولاده الثلاثة : طوج وسلّم وإيرج ، فللك طوجاً ناحية الترك والخزر والصين ، فكانوا يسمونها صين بَغْناً ، وجمع إليها النواحي التي اتصلت بها ، وملك سلّم ابنه الثاني الروم والصقالبة والبُرْجان وما في حدود ذلك ، وجعل وسط الأرض وعامرهما - وهو إقليم بابل ، وكانوا يسمونها خنارث^(٢) بعد أن جمع إلى ذلك ما اتصل به من السند والهند والحجاز وغيرها - لأيرج وهو الأصغر من بنيه الثلاثة ، وكان أحبّهم إليه . وبهذا السبب سُمِّيَ إقليم بابل إيرانشهر ، وبه أيضاً نشبت العداوة بين ولد أفريدون وأولادهم بعد ، وصار ملوك خنارث والترك والروم إلى المحاربة ومطالبة بعضهم بعضاً بالدماء والترات . وقيل : إن طوجاً وسلّمًا لمّا علما أن أباهما قد خصّ إيرج وقدّمه عليهما أظهرًا له البغضاء ، ولم يزل التحاسد ينمى بينهم إلى أن وثب طوج وسلّم على أخيهم إيرج ، فقتلاه متعاونين^(٣) عليه ، وأن طوجاً رماه بوَهَق^(٤) فخنقه ، فن أجل ذلك استعملت الترك الوَهَق ، وكان لإيرج ابنان ؛ يقال لهما وندان^(٥) وأسطوبة^(٦) ، وابنة يقال لها خوزك^(٧) ، ويقال خوشك ، فقتل سلّم وطوج الابنين مع أبيهما ، وبقيت الابنة .

وقيل : إن اليوم الذي غلب فيه أفريدون الضحاك كان روزمهر من مهرماه ، فاتخذ الناس ذلك اليوم عيداً لارتفاع بليّة الضحاك عن الناس ، وسمّاه المِهْرْجان ؛

(١) ك : « وعالج بالدرياق » .

(٢) ١ ، س : « خيارث » ، ك : « حنارث » ، ن : « خنباث » .

(٣) ن : « متقاوين » .

(٤) الوهق : الحبل يرمى في أنشودة فتؤخذ به الدابة والإنسان .

(٥) ك : « ويدان » ب : « وبدان » .

(٦) كذا في ١ ؛ وفي ر : « أستويه » ، وفي ن : « أستوية » وفي ك : « وسلطنة » وفي ط مهمل .

(٧) ١ : « خورك » .

فقبيل : إن أفريدون كان جباراً عادلاً في ملكه ، وكان طولُه تسعة أرماع ، كلُّ رمح ثلاثة أبواع ، وعرض حُجْرته ثلاثة أرماع ، وعرض صدره أربعة أرماع ، وأنه كان يتبع مَنْ كان بقيَ بالسودان من آل نمرود والنَّبَط ، وقصدهم حتى أتى على وجوههم ، وبها أعلامهم وآثارهم ؛ وكان ملكه خمسمائة سنة .

ذكر الأحداث التي كانت بين نوح وإبراهيم خليل الرحمن عليهما السلام

٢٣١/١

قد ذكرنا قبل ما كان من أمر نوح عليه السلام وأمر ولده واقتسامهم الأرض بعده ، ومساكن كل فريق منهم ، وأى ناحية سكن من البلاد . وكان من طغا وعتا على الله عز وجل بعد نوح ، فأرسل الله إليهم رسولا فكذبوه وتمادوا في غيبتهم ، فأهلكهم الله هذان الحيان من إرم بن سام بن نوح : أحدهما عاد ابن عوص بن إرم ابن سام بن نوح ، وهي عاد الأولى ، والثاني ثمود بن جاثر بن إرم بن سام بن نوح ، وهم كانوا العرب العاربة .

• • •

فأما عاد فإن الله عز وجل أرسل إليهم هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود ابن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح . ومن أهل الأنساب من يزعم أن هوداً هو عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، وكانوا أهل أوثان ثلاثة يعبدونها ، يقال لإحداها : صدآء ، وللآخر صيمود ، ولالثالث الهباء^(١) . فدعاهم إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة دون غيره ، وترك ظلم الناس ، فكذبوه وقالوا : من أشد منا قوة ! فلم يؤمن بهود منهم إلا قليل ، فوعظهم هود إذ تمادوا في طغيانهم ، فقال لهم : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ - وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ - وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ - فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا - وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ - أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ - وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ - إِنْ أَنْخَفُ عَلَيْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ . فكان جوابهم له أن قالوا :

٢٣٢/١

(١) : الهباء .

﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾^(١). وقالوا له: ﴿يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ . إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾^(٢)، فحبس الله عنهم - فيما ذكر - القَطْرَ سنين ثلاثاً ، حتى جهدوا ، فأوفدوا وفداً ليستسقوا لهم .

فكان من قصتهم ما حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو بكر بن عيَّاش ، قال : حدثنا عاصم ، عن أبي وائل ، عن الحارث بن حَسَّان البكري ، قال : قدمتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم : فررتُ بامرأة بالربذة ، فقالت : هل أنتَ حاملي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلتُ : نعم ، فحملتها حتى قدمت المدينة ، فدخلتُ المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر ، وإذا بلالٌ متقلدُ السيف ، وإذا^(٣) راياتُ سودٌ ، قال : قلتُ : ما هذا ؟ قالوا : عمرو بن العاص قدم من غزوته ، فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن منبره أثبتته فاستأذنته ، فأذن لي ، فقلتُ : يا رسول الله ، إنَّ بالباب امرأةً من بني تميم ، قد سألتني أن أحملها إليك ، قال : يا بلال ، ائذنْ لها ، قال : فدخلتُ ، فلما جلستُ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل كان بينكم وبين تميم شيء ؟ قلتُ : نعم ، وكانت الدبيرة^(٤) عليهم ، فإن رأيت أن تجعل الدَّهْناءَ بيننا وبينهم فعلت ، قال : تقول المرأةُ فأين تضطرُّ مضرَّك يا رسول الله؟ قال : قلتُ : مثلِّي مثل معزِّي حملت حَتَفًا ، قال : قلتُ : أو حملتُك تكونين على خصما ! أعوذ بالله أن أكون كوفد^(٥) عاد . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما وفد عاد ؟ قال : قلتُ : على الخبير سقطت ؛ إن عاداً قحطت ، فبعثت من يستسقي لها ، فرأوا على بكر بن معاوية بمكة يستقيهم الحمر ، وتغنيهم الجرادتان شهراً ، ثم بعثوا رجلاً من عنده ، حتى أتى جبال مَهْرَةَ ، فدعا ، فجاءت سحابات ، قال : وكَلَّمَا جاءت قال :

(١) سورة الشعراء ١٢٨ - ١٢٦

(٢) سورة هود ٥٣ ، ٥٤

(٣) ط والتفسير « فإذا » ، وما أثبتته من ا .

(٤) الدبيرة عليهم ، أي الهزيمة ، وفي ا : « الدائرة » .

(٥) ا والتفسير : « وافد » .

اذهبي إلى كذا، حتى جاءت سحابة، فنودي [منها] (١) : خذها رماداً رمداً (٢) ، لا تدع من عاد أحدا . قال : فسمعه وكنتمهم حتى جاءهم العذاب .

قال أبو كريب : قال أبو بكر بعد ذلك في حديث عاد، قال : فأقبل الذي أتاهم ، فأتى جبال مهرة فصعد فقال : اللهم إني لم أجثك لأسير فأفاديه ، ولا لمريض أشفيه ، فأسقى عاداً ما كنت مسقيه ! قال : فرفعت له سحابات . قال : فنودي منها : اختر ، فجعل يقول : اذهبي إلى بني فلان [اذهبي إلى بني فلان] (١) . قال : فررت آخرها سحابة سوداء ؛ فقال : اذهبي إلى عاد . قال : فنودي منها : خذها رماداً رمداً ، لا تدع من عاد أحداً . قال : وكنتمهم والقوم عند بكر بن معاوية يشربون . قال : وكره بكر بن معاوية أن يقول لهم من أجل أنهم عنده ، وأنهم في طعامه . قال : فأخذ في الغناء وذكّرهم (٣) .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا زيد بن حباب ، قال : حدثنا سلام أبو المنذر النحوي ، قال : حدثنا عاصم ، عن أبي وائل ، عن الحارث بن يزيد البكري ، قال : خرجت لأشكو العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فررت بالربذة ، فإذا عجوز منقطع بها من بني تميم ، فقالت : يا عبد الله ، إن لي إلى رسول الله حاجة ، فهل أنت مبغى إليه ؟ قال : فحملتها ، فقدمت المدينة - قال أبو جعفر : أظنه أنا قال : « فإذا رايات سود » - قال : قلت : ما شأن الناس ؟ قالوا : يريد أن يبعث بعمر بن العاص وجهاً . قال : فجلست حتى فرغ ، قال : فدخل منزله - أو قال رحله - فاستأذنت عليه ، فأذن لي . قال : فدخلت فقعدت ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل كان بينكم وبين تميم شيء ؟ قال : قلت : نعم ، وكانت الدبرة عليهم ، وقد مررت بالربذة ، فإذا عجوز منهم منقطع بها ، فسألني أن أحملها إليك ، وما هي بالباب ، فأذن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت ، فقلت : يا رسول الله ، اجعل بيننا وبين تميم الدهناء حجازاً ، فحميت العجوز واستوفزت ، وقالت : فأين تضطرّ مضرك يا رسول الله ؟ قال :

٢٣٤/١

(١) تكلمة من التفسير .

(٢) الرمديد : المتناهي في الاحتراق . (٣) الخبر في التفسير ١٢ : ٥١٣ - ٥١٥ .

قُلْتُ : أَنَا كَمَا قَالُوا : «مَعزَى حَمَلَتْ حَتْفًا»^(١) ، حَمَلَتْ هَذِهِ وَلَا أَشْعُرُ أَنَّهَا كَائِنَةٌ لِي خَصِيًّا ، أَعُوذُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنْ أَكُونَ كَوَافِدَ عَادٍ ! قَالَ : وَمَا وَافِدَ عَادٍ ؟ قُلْتُ : عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطَتْ ، قَالَ : وَهُوَ يَسْتَطْعِمُنِي^(٢) الْحَدِيثُ قُلْتُ : إِنْ عَادًا قَحِطُوا فَبِعَثُوا «قَيْلًا» وَافِدًا ، فَتَزَلُ عَلَى بَكْرٍ ، فَسَقَاهُ الْخَمْرَ شَهْرًا ، وَتَغْنِيهِ جَارِيَتَانِ يُقَالُ لِهَمَا الْجَرَادَتَانِ ، فَخَرَجَ إِلَى جِبَالِ مَهْرَةَ ، فَنَادَى : إِنِّي لَمْ أَجِئْ لِمَرِيضٍ فَادَاوِيهِ ، وَلَا لِأَسِيرٍ فَأَفَادِيهِ ، اللَّهُمَّ أَسْقِ عَادًا مَا كُنْتُ تُسْقِيهِ ! فَفَرَّتْ بِهِ سَحَابَاتُ سُودٍ ، فَنُودِيَ مِنْهَا : خُذْهَا رِمَادًا رِمْدًا ، لَا تَبْقَى مِنْ عَادٍ أَحَدًا . قَالَ : فَكَانَتْ الْمَرْأَةُ تَقُولُ : لَا تَكُنْ كَوَافِدَ عَادٍ ، فَمَا بَلَغَنِي أَنَّهُ أُرْسِلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الرِّيحِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا قَدَرًا مَا يَجْرِي فِي خَاتَمِي . قَالَ أَبُو وَائِلٍ : وَكَذَلِكَ بَلَغَنِي^(٣) .

وَأَمَّا ابْنُ إِسْحَاقَ فَإِنَّهُ قَالَ كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ عَنْهُ : ٢٣٥/١
أَنَّ عَادًا لَمَّا أَصَابَهُمْ مِنَ الْقَحْطِ مَا أَصَابَهُمْ قَالُوا : جَهَّزُوا مِنْكُمْ وَفَدَّأُوا إِلَى مَكَّةَ فَيَسْتَسْقُوا لَكُمْ ، فَبِعَثُوا قَيْلَ بَنِ عَتْرٍ وَلُقَيْمِ بْنِ هَزَّالِ بْنِ هَزِيلِ بْنِ عَتَيْلِ بْنِ صَدِّ بْنِ عَادِ الْأَكْبَرِ ، وَمَرْثَدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عَفِيرٍ - وَكَانَ مُسْلِمًا يَكْتُمُ إِسْلَامَهُ - وَجُلْهُمَةَ بِنِ الْخَبِيرِيِّ ، خَالَ مَعَاوِيَةَ بْنَ بَكْرٍ أَخَا أُمِّهِ ، ثُمَّ بَعَثُوا لِقَمَانَ بْنَ عَادِ بْنِ فُلَانِ بْنِ فُلَانِ بْنِ صَدِّ بْنِ عَادِ الْأَكْبَرِ ، فَانْطَلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ مَعَهُ رَهْطٌ مِنْ قَوْمِهِ ، حَتَّى بَلَغَ عِدَّةً وَفَدَّهُمْ سَبْعِينَ رَجُلًا ، فَلَمَّا قَدَمُوا مَكَّةَ نَزَلُوا عَلَى مَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرٍ وَهُوَ بَظَاهِرِ مَكَّةَ خَارِجًا مِنَ الْحَرَمِ ، فَأَنْزَلَهُمْ وَأَكْرَمَهُمْ ، وَكَانُوا أَسْوَابًا وَصَهْرَهُ . وَكَانَتْ هَزِيلَةُ ابْنَةُ بَكْرٍ أُخْتُ مَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرٍ لِأَبِيهِ وَأُمُّهُ كَلْهَدَةُ ابْنَةُ الْخَبِيرِيِّ عِنْدَ لُقَيْمِ بْنِ هَزَّالِ بْنِ عَتَيْلِ بْنِ صَدِّ بْنِ عَادِ الْأَكْبَرِ^(٤)] ، فَوُلِدَتْ لَهُ عَبِيدُ بْنُ لُقَيْمِ بْنِ هَزَّالِ وَعَمْرُو بْنُ لُقَيْمِ بْنِ هَزَّالِ وَعَامِرُ بْنُ لُقَيْمِ بْنِ هَزَّالِ وَعُمَيْرُ بْنُ لُقَيْمِ بْنِ هَزَّالِ ، فَكَانُوا فِي أَسْوَابِهِمْ مَكَّةَ عِنْدَ آلِ مَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرٍ ، وَهُمْ عَادُ الْأَخِيرَةِ الَّتِي بَقِيَتْ مِنْ عَادِ الْأُولَى . فَلَمَّا نَزَلَ

(١) ط : «حيفا» ، وما أثبتته من التفسير ، ومعزى مصروف ؛ لأن الألف للإلحاق وليست للتأنيث ؛ ذكره سيبويه .

(٢) استطعمه الحديث : أغراه أن يحدته . (٣) الخبر في التفسير ١٢ : ٥١٦ - ٥١٨ .

(٤) تكلة من أ .

٢٣٦/١ وقد عاد على معاوية بن بكر أقاموا عنده شهراً يشربون الخمر ، وتغنيهم الجرادتان - قيتان لمعاوية بن بكر - وكان مسيرهم شهراً ، ومقامهم شهراً ، فلما رأى معاوية بن بكر طول مقامهم ، وقد بعثهم قومهم يتغوثون بهم^(١) من البلاء الذي أصابهم ، شق ذلك عليه فقال : هلك أخوالي وأصهارى وهؤلاء مقيمون عندى ، وهم ضيقى نازلون على ، والله ما أدري : كيف أصنع بهم ! أستحي أن آمرهم بالخروج إلى ما بعثوا إليه ، فيظنوا أنه ضيق منى بمقامهم عندى ، وقد هلك من وراءهم من قومهم جهداً وعطشاً ، أو كما قال . فشكا ذلك من أمرهم إلى قيتيه الجرادتين ، فقالتا : قل شعراً نغنيهم به لا يدرون من قاله ، لعل ذلك أن يحركهم ! فقال معاوية بن بكر حين أشارتا عليه بذلك :

ألا يا قيل ، ويحك قم فهينم
فيسقى أرض عاد ، إن عاداً
من العطش الشديد ، فليس نرجو^(٢)
وقد كانت نساؤهم بخير
وإن الوحش تأتيهم جهاراً
وأنت ها هنا فيما اشتبهتم^(٣)
فقبح وفدكم من وفد قوم
لعل الله يسقينا نماماً^(٤)
قد أمسوا لا يبينون الكلاما
به الشيخ الكبير ولا الغلاما
فقد أمست نساؤهم عيامى^(٥)
ولا تخشى لعادى سهاما
نهاركم وإيلكم التماما
ولا لقوا التحية والسلاما

٢٣٧/١ فلما قال معاوية ذلك الشعر ، غنتهم به الجرادتان . فلما سمع القوم ما غنتا به ، قال بعضهم لبعض : يا قوم إنما بعثكم قومكم يتغوثون بكم من هذا البلاء الذى نزل بهم ، وقد أبطأتم عليهم ، فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا لقومكم ، فقال مرثد بن سعد بن عفير : إنكم والله لا تستقون بدعائكم ؛ ولكن إن أطعم

(١) ر : « لم » وفى التفسير : « يتمذون » ،

(٢) ر ، ا ، ر ، ك والتفسير : « يصبحنا نماماً » ، والميمنة : الكلام الخفى .

(٣) ط : « يرجى » ، وما أثبتته عن ا ، ر ، والتفسير .

(٤) اللسان : المرأة التى مات عنها زوجها ولا مال لها يقال لها : عى وأيمى ، والجمع عيام .

نبيكم، وأنبتم إليه سقيتم . فأظهر إسلامه عند ذلك ، فقال لهم جُلهممة بن
الخيبري، خال معاوية بن بكر حين سمع قوله، وعرف أنه قد تبع دين هود
وآمن به :

أَبَا سَعْدٍ فَإِنَّكَ مِنْ قَبِيلِ ذَوِي كَرَمٍ وَأُمَّكَ مِنْ ثَمُودِ
فَإِنَّا لَنْ نَطِيعَكَ مَا بَقِينَا وَلَسْنَا فَاعِلِينَ لِمَا تَرِيدُ
أَتَأْمُرُنَا لِنَتْرِكَ آلَ رِفْدٍ^(١) وَزَمْلَ وَآلَ صُدِّ وَالْعُبُودِ^(٢)
وَنَتْرِكَ دِينَ آبَاءِ كَرَامِ ذَوِي رَأْيٍ وَنَتَّبِعُ دِينَ هُودِ

ورفد وزمل وصد قبائل من عاد ، والعبود منهم . ثم قال لمعاوية بن بكر
وأبيه بكر : احبسا عننا مرثد بن سعد فلا يقدمن معنا مكة ، فإنه قد اتبع دين
هود ، وترك ديننا . ثم خرجوا إلى مكة يستسقون بها لعاد، فلما أولوا إلى مكة خرج
مرثد بن سعد من منزل معاوية ، حتى أدركهم بها قبل أن يدعوا الله بشيء
مما خرجوا له . فلما انتهى إليهم قام يدعو الله، وبها وفد عاد قد اجتمعوا يدعون.
فقال : اللهم أعطني سُؤلي وحدي ، ولا تُدخلني في شيء مما يدعوك به وفد
عاد . وكان قبيل بن عتر رأس وفد عاد . وقال وفد عاد : « اللهم أعط قبيلنا
ما سألك ، واجعل سُؤلنا مع سُؤله » . وقد كان تخلف عن وفد عاد لقمان
ابن عاد ، وكان سيد عاد ، حتى إذا فرغوا من دعوتهم قال : اللهم إني جئتك
وحدي في حاجتي فأعطني سُؤلي . وقال قبيل بن عتر حين دعا : يا إلهنا ، إن
كان هود صادقاً فاستننا فإننا قد هلكنا . فأنشأ الله سحاب ثلاثاً : بيضاء
وحمراء ، وسوداء ، ثم ناداه مُناد من السحاب : يا قبيل ، اختر لنفسك وقومك
من هذا السحاب . فقال : قد اخترت السحابة السوداء ، فإنها أكثر السحاب
ماءً ، فناداه مُناد : اخترت رماداً رَمَدَ دَاءٍ ، لا تُبقي من عاد أحداً ، لا والداً
ترك ولا ولداً ، إلا جعلته هَمِيداً ، إلا بني اللوذية المهدي^(٣) — وبني اللوذية

(١) كذا في ١ ، وفي ط والتفسير : « دين رِفْد » .

(٢) هدا ؛ إى مالكا . (٣) كذا ضبط في ١ بضم الميم وفتح الدال .

بنو لُقَيْمِ بن هَزَال بن هَزِيل بن هزيلة ابنة بكر ، كانوا سُكَّانًا بِمَكَّةَ مع
أخوالهم ، لم يكونوا مع عاد بأرضهم ، فهم عاد الآخرة ، ومن كان من نسلهم
الذين بقوا من عاد -

وساق الله السحابة السوداء فيما يذكرون التي اختار قبيل بن عتر بما فيها
من النعمة إلى عاد، حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث . ولما رأوها ٢٣٩/١
استبشروا بها، وقالوا: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾، يقول الله عز وجل: ﴿بَلْ هُوَ
مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۖ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾^(١)،
أي كل شيء أمرت به. فكان أول من أبصر ما فيها أنها ريح - فيما يذكرون -
امرأة من عاد يقال لها مهتدد، لما تبينت ما فيها صاحت ثم صعت ، فلما
أفاقت قالوا: ماذا رأيت يا مهتدد ؟ قالت: رأيت ريحاً فيها كشهب النار،
أمامها رجال يقودونها. فسخرها الله عليهم ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾،
كما قال الله: وَالْحُسُومُ: الدائمة ؛ فلم تدع من عادٍ أحداً إلا هلك .

فاعترل هود - فيما ذكر - ومن معه من المؤمنين في حظيرة ، ما يُصِيبُهُ ومن
معه منها إلا ما تلين عليه الجلود، وتلتذ الأنفس؛ وإنما لتُمرُّ من عاد بالظن
ما بين السماء والأرض ، وتدمغهم بالحجارة . وخرج وفد عاد من مكة حتى
مرُّوا بمعاوية بن بكر وأبيه ، فترلوا عليه ، فبيناهم عنده، إذ أقبل رجل على ناقة
له في ليلة مقمرة مُسَيِّ^(٢) ثالثة من مصاب عاد، فأخبرهم الخبر، فقالوا : فأين
فارت هودا وأصحابه ؟ قال : فارقتهم بساحل البحر ؛ فكأنهم شكوا فيما
حدثهم ، فقالت هزيلة ابنة بكر: صدقَ وربُّ مكة^(٣) . ومثوب بن يعفر بن
أخي معاوية بن بكر معهم . وقد كان قبيل - فيما يزعمون والله أعلم - لمرثد بن
سعد ولقمان بن عاد، وقبيل بن عتر حين دعوا بمكة : قد أعطيتُم منَّاكم
فاختاروا لأنفسكم ، إلا أنه لا سبيلَ إلى الخلد ، فإنه لا بدَّ من الموت ،
فقال مرثد بن سعد: يا ربِّ ، أعطني برًّا وصدقًا ، فأعطيتني ذلك ، وقال

(١) سورة الأحقاف ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) كذا في ١ ، س ، وفي ط : وساء .

(٣) الخبر إلى هنا في التفسير ١٢ : ٥٠٩ - ٥١٣ .

لقمان بن عاد : أعطى عُمرًا ، فقيل له : اختر لنفسك ، إلا إنه لاسبيل إلى الخلد : بقاء أيعار^(١) ضأن عُفر ، في جبل وعمر ، لا يُلقي به إلا القطر ، أم سبعة أنسر إذا مضى نَسْر حلوت إلى نسر ؟ فاختار لقمان لنفسه النسر ، فَعُمِّرَ - فيما يزعمون - عُمرَ سبعة أنسر ؛ يأخذ الفرخ حين يخرج من بيضته ، فيأخذ الذكر منها لقوته ؛ حتى إذا مات أخذ غيره ، فلم يزل يفعل ذلك ، حتى أتى على السابع . وكان كلُّ نسر فيما زعموا يعيش ثمانين سنة ، فلما لم يبق غير السابع قال ابن أخ للقمان : أي عم ، ما بقي من عمرك إلا عمر هذا النسر ؛ فقال له لقمان : أي ابن أخي : هذا لُبْدٌ - ولُبْدٌ بلسانهم الدهر - فلما أدرك نسر لقمان ، وانقضى عمره ، طارت النسر غداةً من رأس الجبل ، ولم ينهض فيها لُبْدٌ ، وكانت نسر لقمان تلك لا تغيب عنه ؛ إنما هي بعينه^(٢) . فلما لم ير لقمان لُبْدًا نهض مع النسر ؛ نهض إلى الجبل لينظر ما فعل لُبْدٌ ، فوجد لقمان في نفسه وهنًا لم يكن يجده قبل ذلك ؛ فلما انتهى إلى الجبل رأى نسر لُبْدًا واقفًا من بين النسر ، فناداه : انهض لُبْدٌ ، فذهب لُبْدٌ لينهض فلم يستطع ، عريت قواده وقد سقطت ؛ فماتا جميعًا .

٢٤١/١

وقيل لقيل بن عتر حين سمع ما قيل له في السحاب : اختر لنفسك كما اختار صاحبك ، فقال : أختار أن يصيبني ما أصاب قومي ، فقيل : إنه الهلاك ، قال : لا أبالي ؛ لا حاجة لي في البقاء بعدهم . فأصابه ما أصاب عادًا من العذاب فهلك ، فقال مرثد بن سعد بن عُفَيْر حين سمع من قول الراكب الذي أخبر عن عاد بما أخبر من الهلاك :

عَصَتْ عَادُ رَسُولَهُمْ فَأَمْسَوْا عَطِشًا مَا تَبَلَّهْمُ السَّمَاءُ
وَسِيرَ وَفَدَّهُمْ شَهْرًا لِيَسْقُوا فَأَرَدَفَهُمْ مَعَ الْعَطَشِ الْعَمَاءُ
بَكَفَرِهِمْ بَرَبَّهُمْ جِهَارًا عَلَى آثَارِ عَادِهِمُ الْعَفَاءُ
أَلَا نَزَعَ إِلَهُ حُلُومَ عَادٍ فَإِنَّ قُلُوبَهُمْ قَفْرٌ هَوَاءُ

(١) الأيعار : جمع يعر ؛ وهي الشياه .

(٢) كذا في ١ ، س ، ن ، وفي ط : « تميمه » .

مِنَ الْخَبْرِ الْمُبِينِ أَنْ يَعْمُوهُ
فَنَفْسِي وَأَنْتَايَ وَأُمُّهُ وَلَدِي
أَتَانَا وَالْقَاوِبُ مُصَمَّدَاتُ
لَنَا صَمٌّ يُقَالُ لَهُ صَمُودٌ
فَأَبْصَرَهُ الَّذِينَ لَهُ أَنْابُوا
فَأِنِّي سَوْفَ الْحَقِّ آلَ هُودٍ
وَمَا تُغْنِي النَّصِيحَةُ وَالشَّفَاءُ (١)
لِنَفْسٍ نَبِينًا هُودٍ فِدَاهِ
عَلَى ظُلْمٍ ، وَقَدْ ذَهَبَ الضِّيَاءُ
يُقَابِلُهُ صُدَاةٌ وَالْهَبَاءُ
وَأَذْرَكَ مَنْ يُكْذِبُ الشَّقَاءُ
وَإِخْوَتَهُ إِذَا جَنَّ الْمَسَاءُ

وقيل : إن رئيسهم وكبيرهم في ذلك الزمان الخلتجان .

حدثني العباس بن الوليد . قال : حدثنا أبي . عن إسماعيل بن عياش ،
عن محمد بن إسحاق . قال : لما خرجت الرياحُ على عاد من الوادي . قال سبعة
رهط منهم ، أحدهم الخلتجان : تعالوا حتى نقوم على شفير الوادي فنردها ،
فجعلت الرياح تدخل تحت الواحد منهم فتحمله ، ثم ترمى به فتندق عنقه ،
فتركهم كما قال الله عز وجل : ﴿ صَرَعْنَاهُمْ كَأَنَّهُمْ أَشْجَارٌ نَخْلٌ خَاوِيَةٌ ﴾ (٢)
حتى لم يبق منهم إلا الخلتجان ، فقال إلى الجبل ، فأخذ بجانب منه ، فهزه فاهتر
في يده ، ثم أنشأ يقول :

لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْخَلْتَجَانُ نَفْسُهُ نَالَكَ مِنْ يَوْمٍ دَهَانِي أَمْسُهُ
بِثَابِتِ الْوَطِّ بِشَدِيدِ وَطْئِهِ لَوْ لَمْ يَحِثِّي جِئْتُهُ أَجْسُهُ

فقال له هود : ويحك يا خلتجان ! أسلمت تسلم ، فقال له : وما لي عند ربك
إن أسلمت ؟ قال : الجنة ، قال : فما هؤلاء الذين أراهم في هذا السحاب كأنهم
البُخْت ، قال هود : تلك ملائكة ربي ، قال : فإن أسلمت أبعيدني
ربك منهم ؟ قال : وبيك ! هل رأيت مديكاً يعيد من جنده ! قال : لو فعل
ما رضيت ، قال : ثم جاءت الرياح فألحقته بأصحابه ؛ أو كلاماً هذا معناه .
قال أبو جعفر : فأهلك الله الخلتجان ، وأفي عاداً خلا من بقي

(١) ا ، ك : « من الخير » .

(٢) سورة الحاقة ٧

منهم ، ثم بادوا بعد ، ونجى الله هوداً ومن آمن به . وقيل : كان عمر هود
مائة سنة وخمسين سنة .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا
أسباط ، عن السدى ، قال : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ
مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ ﴾^(١) ؛ إن عاداً أتاهم هود ، فوعظهم وذكرهم بما قص
الله في القرآن ، فكذبوه وكفروا ، وسألوه أن يأتيهم العذاب فقال لهم :
﴿ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ۗ ﴾^(٢) ؛ وإن عاداً أصابهم حين
كفروا قحط من المطر ، حتى جهدوا لذلك جهداً شديداً ؛ وذلك أن هوداً دعا
عليهم ، فبعث الله عليهم الريح العقيم ، وهي الريح التي لا تُلْقِحُ الشجر ،
فلما نظروا إليها قالوا : هذا عارض ممطرنا ، فلما دنت منهم نظروا إلى الإبل
والرجال ، تطيرُ بهم الريح بين السماء والأرض ، فلما رأوها تبادروا إلى البيوت ،
حتى دخلوا البيوت دخلت عليهم فأهلكتهم فيها ، ثم أخرجتهم من البيوت ،
فأصابتهم ﴿ فِي يَوْمٍ نَحَسٍ ﴾ ، والنحس هو الشؤم ﴿ مُسْتَمِرًّا ﴾^(٣) استمر عليهم
بالعذاب . ﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾^(٤) ، حسمت كل شئء مرت به ،
حتى أخرجتهم من البيوت ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ تَنْزِعُ النَّاسَ عَنِ الْبُيُوتِ ،
﴿ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾^(٥) ، انقعر من أصوله . ﴿ خَاوِيَةً ﴾^(٦) خوت
فسقطت ، فلما أهلكهم الله أرسل عليهم طيراً سوداً ، فنقلتهم إلى البحر ،

(١) سورة هود ٥٠

(٢) سورة الأحقاف ٢٣

(٣) سورة القمر ١٩

(٤) سورة الحاقة ٧

(٥) سورة القمر ٢٠

(٦) من قوله تعالى في سورة الحاقة ٧ : ﴿ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرَغِي كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ

نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۗ ﴾ .

۲۴۴/۱ فآلقتهم فيه ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَٰكِينُهُمْ ﴾^(۱) .
 ولم تخرج الريح قط إلا بمكيال إلا يومئذ ، فإنها عنت على الخزنة فغلبتهم .
 فلم يعلموا كم كان مكيالها ؛ فذلك قوله : ﴿ فَأَهْلِكُوا بِيَرِّحٍ صَرَ صَرَ عَاتِيَةً ﴾^(۲) .
 والصرصر : ذات الصوت الشديد .

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ،
 قال : حدثني عبد الصمد ، أنه سمع وهباً يقول : إن عاداً لما عذبهم الله بالريح
 التي عذبوا بها ، كانت تقلع الشجرة العظيمة بعروقها وتهدم عليهم بيوتهم ، فمن
 لم يكن في بيت هبت به الريح حتى تقطعه بالجبال ، فهلكوا بذلك كلهم .

• • •

وأما ثمود فإنهم عتوا على ربهم ، وكفروا به ، وأفسدوا في الأرض ؛ فبعث
 الله إليهم صالح بن عبيد بن أسف بن ماسخ^(۳) بن عبيد بن خادر بن ثمود
 ابن جاثر بن إرم بن سام بن نوح ، رسولا يدعوهم إلى توحيد الله وإفراده
 بالعبادة .

وقيل : صالح ، هو صالح بن أسف بن كماشج بن إرم بن ثمود بن جاثر
 ابن إرم بن سام بن نوح .

فكان من جوابهم له أن قالوا له : ﴿ يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ
 هَذَا أَتَنهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ
 مُرِيبٍ ﴾^(۴) . وكان الله عز وجل قد مد لهم في الأعمار ، وكانوا يسكنون الحجر

(۱) سورة الأحقاف ۲۵

(۲) سورة الحاقة ۶ (۳) ۱ : « ماشج » .

(۴) سورة هود ۶۲ .

إلى وادي القرى ، بين الحجاز والشام ، ولم يزل صالح يدعوهم إلى الله على تمردهم وطغيانهم . فلا يزيدهم دعاؤه إياهم إلى الله إلا مباعداً من الإجابة ، فلما طال ذلك من أمرهم وأمر صالح قالوا له : إن كنت صادقاً فأتنا بآية .

فكان من أمرهم وأمره ما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن عبد العزيز بن ربيع ، عن أبي الطفيل ، قال : قالت ثمود لصالح : ائتنا بآية إن كنت من الصادقين . قال : فقال لهم صالح : اخرجوا إلى هضبة من الأرض ؛ فإذا هي تمخض كما تمخض الحامل ، ثم تفرجت فخرجت من وسطها الناقة ، فقال صالح عليه السلام : ﴿ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَدَرُّوْهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوْهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .^(١) ﴿ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾^(٢) فلما ملئوها عقروها . فقال لهم : ﴿ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْدُوبٍ ﴾ .^(٣) قال عبد العزيز : وحدثني رجل آخر أن صالحاً قال لهم : إن آية العذاب أن تصبحوا غداً حمراً ، واليوم الثاني صفراً ، واليوم الثالث سوداً . فصبتهم العذاب ، فلما رأوا ذلك تحنطوا واستعدوا^(٤) .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، عن شهر بن حوشب ، عن عمرو بن خارجة ، قال : قلنا له : حدثنا حديث ثمود ، قال : أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثمود . كانت^(٥) ثمود قوم صالح عمّتهم الله عز وجل في الدنيا ، فأطال أعمارهم حتى جعل أحدهم يبني المسكن من المدر فيتهدم^(٦) والرجل منهم حتى ، فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتاً فرهين ، فنحتوها وجابوها وجوفوها ،

(١) سورة الأعراف ٧٣ (٢) سورة الشعراء ١٥٥

(٣) سورة هود ٦٥ (٤) الخبر في التفسير ١٢ : ٥٢٥ - ٥٢٦ .

(٥) ر ، س : « وكانت » .

(٦) ر : « فيهدم » ، س : « فيهدم » .

وكانوا في سعة من معاشهم^(١) ، فقالوا : يا صالح ، ادع لنا ربك يخرج^(٢) لنا آية نعلم أنك رسول الله . فدعا صالح ربه ، فأخرج لهم الناقة فكان شربها يوماً وشربهم يوماً معلوماً^(٣) ، فإذا كان يوم شربها خللوا عنها وعن الماء ، وحلبوها لبناً ، ملثوا كل إناء ووعاء وسقاء ، فإذا كان يوم شربهم صرفوها عن الماء ولم تشرب منه شيئاً ، فملثوا كل إناء ووعاء وسقاء ، فأوحى الله عز وجل إلى صالح أن قومك سيعقرون ناقتك ، فقال لهم ؛ فقالوا : ما كنا لنفعل ، قال : إلا تعقروها أنتم أو شك أن يولد فيكم مولود يعقرها ، قالوا : ما علامة ذلك المولود ؟ فوالله لا نجده إلا قتلناه ، قال : فإنه غلام أشقر أزرق أصهب أحمر ، قال : فكان في المدينة شيخان عزيزان منيعان ، لأحدهما ابن يرغب له عن المناكح ، وللآخر ابنة لا يجد لها كفتاً ، فجمع بينهما مجلس ، فقال أحدهما لصاحبه : ما يمنعك^(٤) أن تزوج ابنتك ؟ قال : لا أجد له كفتاً ، قال : فإن ابنتي كفاء له ؛ وأنا أزوجك ، فزوجه فولد منهما^(٥) ذلك المولود .

٢٤٧/١

وكان في المدينة ثمانية رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، فلما قات لهم صالح : إنما يعقرها مولود فيكم ؛ اختاروا ثمانى نسوة قوابل من القرية ، وجعلوا معهن شُرطاً كانوا يطوفون في القرية ؛ فإذا وجدوا المرأة تمخض نظروا ما ولدتها ؛ فإن كان غلاماً قتلته^(٦) ، وإن كانت جارية أعرضن^(٧) عنها ، فلما وجدوا ذلك المولود صرخ^(٨) النسوة ، وقلن : هذا الذي يريد^(٩) رسول الله صالح ، فأراد الشُرط أن يأخذوها ، فحال جدّاه بينه وبينهم . وقالوا : إن أراد صالح هذا قتلناه ، وكان شراً مولود ، وكان يشب في اليوم شباب غيره في الجمعة ، ويشب

(١) س : « العيش » .

(٢) ن : « يظهر » .

(٣) ن : « فكان شربهم يوماً معلوماً وشربها كذلك » .

(٤) ب : « ما منعك » .

(٥) ا ، ن ، وابن الأثير « بينهما » .

(٦) ا ، س ، ن : « قلبه فنظرن ما هو » .

(٧) ن : « انصرفن » .

(٨) ط : « صرخن » ، والأجود ما أثبتته عن ا .

(٩) ن : « أخبر عنه » .

في الجمعة شباب غيره في الشهر ، ويشبّ في الشهر شباب غيره في السنة ، فاجتمع الثمانية الذين يفسدون في الأرض ولا يُصلحون ، وفيهم الشيخان ، فقالوا : استعمل علينا هذا الغلام لمزلته وشرف جدّيه ، فصاروا تسعة ، وكان صالح عليه السلام لا ينام معهم في القرية ، بل كان في مسجد يقال له مسجد صالح ، فيه بيت بالليل ؛ فإذا أصبح أتاهم فوعظهم وذكّرهم ، فإذا أمسى خرج إلى مسجده^(١) فبات فيه .

قال حجاج : قال ابن جريج : لما قال لهم صالح عليه السلام : إنه سيولد غلام يكون هلاكهم على يديه ، قالوا : فكيف تأمرنا ؟ قال : آمركم بقتلهم ، فقتلوهم إلا واحداً ، قال : فلما بلغ ذلك المولود قالوا : لو كنّا لم نقتل أولادنا لكان لكل واحد منا مثل هذا ، هذا عمل صالح ! فأثمروا بينهم بقتله ، وقالوا : نخرج مسافرين والناس يروننا علانية ، ثم نرجع من ليلة كذا وكذا فرصده عند مصلاه فنقتله ، فلا يحسب الناس إلا أنا مسافرون كما نحن . فأقبلوا حتى دخلوا تحت صخرة يرصدونه ، فأنزل الله عزّ وجلّ عليهم الصخرة فرضختهم فاصبحوا رُضخاً ، فانطلق رجال ممن قد اطلع على ذلك منهم ؛ فإذا هم رُضخ ، فرجعوا يصيحون في القرية : أي عباد الله ، أما رضيّ صالح أن أمرهم أن يقتلوا أولادهم حتى قتلهم ! فاجتمع أهل القرية على عقّر الناقة أجمعون ، فأحجموا عنها إلا ذلك ابن العاشر .

قال أبو جعفر : ثم رجع الحديث إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فأرادوا أن يمكروا بصالح ، فمشوا حتى أتوا على سرب على طريق صالح ، فاختموا فيه ثمانية وقالوا : إذا خرج علينا قتلناه وأتينا أهله فبيتناهم ، فأمر الله عزّ وجلّ الأرض فاستوت عليهم ، قال : فاجتمعوا ومشوا إلى الناقة ، وهي على حوضها قائمة ، فقال الشقي لأحدهم : ائتها فاعقرها ، فأتاها ، فتعاضمه ذلك ، فأضرب عن ذلك ، فبعث آخر فأعظم ذلك ، فجعل لا يبعث أحداً إلا تعاضمه أمرها ؛ حتى مشى إليها وتناول

(١) س : « منزله » .

(٢) ١ : « فأرسل » .

فضرب عرقوبيئها^(١) ، فوقعت تركض . فأتى رجلٌ منهم صالحًا فقال : أدرك الناقة فقد عقرت . فأقبل ؛ فخرجوا يتلقونه ويعتذرون إليه : يا نبي الله ، إنما عقرها فلان ؛ إنه لا ذنب لنا ، قال : انظروا هل تُدركون فصيلها ! فإن أدركتموه فعسى الله أن يرفع عنكم العذاب ! فخرجوا يطلبونه . فلما رأى الفصيلُ أمه تضطرب أتى جبلا - يقال له : القارة - قصيرا فصعده وذهبوا ليأخذوه ، فأوحى الله عز وجل إلى الجبل ، فطال في السماء حتى ما تناله الطير ، قال : ودخل صالح القرية ، فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ، ثم استقبل صالحا ، فرغا رغبة ، ثم رغا أخرى ، ثم رغا أخرى . فقال صالح : اكل رغبة أجل يوم ؛ تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ، ذلك وعد غير مكذوب ؛ إلا أن آية العذاب أن اليوم الأول تصبح وجوهكم مصفرة ، واليوم الثاني محمرة ، واليوم الثالث مسودة ، فلما أصبحوا إذا وجوههم كأنما طليت بالحلوق ، صغيرهم وكبيرهم ، ذكرهم وأنثاهم ، فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم : ألا قد مضى يومٌ من الأجل وحضركم العذاب ؛ فلما أصبحوا اليوم الثاني إذا وجوههم محمرة ؛ كأنما خضبت بالدماء ، فصاحوا وضجوا وبكوا وعرفوا أنه العذاب . فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم : ألا قد مضى يومان من الأجل ، وحضركم^(٢) العذاب ، فلما أصبحوا اليوم الثالث فإذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار ، فصاحوا جميعا : ألا قد حضركم العذاب ، فتكفنا وتحنطوا ، وكان حنوطهم الصبر والمقبر^(٣) ، وكانت أكفانهم الأنطاع ، ثم ألقوا أنفسهم إلى الأرض ، فجعلوا يقلبون أبصارهم إلى السماء مرة ، وإلى الأرض مرة ، لا يدرون من حيث^(٤) يأتيهم العذاب ؛ من فوقهم من السماء ، أو من تحت أرجلهم من الأرض خشعا وفرقا ؛ فلما أصبحوا اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء له صوت في الأرض ، فتقطعت قلوبهم في صدورهم فأصبحوا في ديارهم جاثمين .

(١) ا ، س : « عرقوبها » .

(٢) س : « وحضرهم » .

(٣) الصبر : عبارة شعر مر ، والمقبر شبيهه .

(٤) ن : « من أين » .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : حدثت أنه لما أخذتهم الصيحة أهلك الله من بين المشارق والمغرب منهم ، إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله ، منعه حرم الله من عذاب الله^(١) قيل : ومن هو يا رسول الله : ؟ قال : أبو رغال ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتى على قرية ثمود لأصحابه : « لا يدخلن أحدٌ منكم القرية ، ولا تشربوا من ماءهم » ، وأراهم مرتقى الفصيل ، حين ارتقى في القارة^(٢) قال ابن جريج : وأخبرني موسى بن عقبة ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم حين أتى على قرية ثمود قال : « لا تدخلن »^(٣) على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين ، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم ، أن يصيبكم ما أصابهم .»

قال ابن جريج : قال جابر بن عبد الله : إن النبي صلى الله عليه وسلم لما أتى على الحجر ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد ، فلا تسألوا رسولكم الآيات ، هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآية ، فبعث الله لهم الناقة ، فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج ، فتشرب ماءهم يوم وردها .»

حدثني إسماعيل بن المتوكل الأشجعي ، قال : حدثنا محمد بن كثير ، قال : حدثنا عبد الله بن واقد ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، قال : حدثنا أبو الطفيل [قال] ^(٤) : لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزاة تبوك ، نزل الحجر فقال : « أيها الناس لا تسألوا نبيكم الآيات ، هؤلاء قوم صالح سألوا نبيهم أن يبعث لهم آية ، فبعث الله تعالى ذكره لهم الناقة آية ، فكانت تليج عليهم يوم وردها من هذا الفج فتشرب ماءهم ، ويوم وردهم كانوا يتزودون منه ، ثم يجلبونها مثل ما كانوا يتزودون من ماءهم قبل ذلك لبناً : ثم تخرج من ذلك الفج . فعتوا عن أمر ربهم وعقروها ، فوعدهم الله العذاب بعد ثلاثة أيام ،

(١) ن : « منعه من العذاب » .

(٢) ن : « حين أتى في المغارة » ، والقارة ، الجبل الصغير .

(٣) ١ : « لا تدخلوا » .

(٤) تكملة من ١ .

وكان وعداً من الله غير مكذوب ، فأهلك الله مَنْ كان منهم في مشارق الأرض ومغاربها إلا رجلاً^(١) واحداً كان في حرم الله ، فنعه حرم الله من عذاب الله ، قالوا : وَمَنْ ذلك الرجل يا رسول الله ؟ قال : أبو رغال .

• • •

فأما أهلُ التوراة فإنهم يزعمون أن لا ذكر لعاد ولا^(٢) ثمود ولا لهود وصالح في التوراة ، وأمرهم عند العرب في الشهرة في الجاهلية والإسلام كشهرة إبراهيم وقومه .

قال : ولولا كراهة إطالة الكتاب بما ليس من جنسه ، لذكرت من شعر شعراء الجاهلية الذي قيل في عاد وثمود وأمورهم بعض ما قيل . ما يعلم به مَنْ ظنّ خلاف ما قلنا في شهرة أمرهم في العرب صحة ذلك .

٢٥٢/١

ومن أهل العلم من يزعم أن صالحاً عليه السلام توفي بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، وأنه أقام في قومه عشرين سنة .

• • •

قال أبو جعفر : نرجع الآن إلى :

(١) ١ : « ليس رجلاً » .

(٢) لم يذكر « لا » في ١ .

ذكر إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام وذكر من كان في عصره من ملوك العجم

إذ كنا قد ذكرنا من بينه وبين نوح من الآباء وتاريخ السنين التي مضت قبل ذلك . وهو إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغوا^(١) بن فالغ بن عابر بن شالغ بن قيينان بن أرفخشذ بن سام بن نوح .
واختلفوا في الموضع الذي كان منه ، والموضع الذي ولد فيه ، فقال بعضهم : كان مولده بالسوس من أرض الأهواز ، وقال بعضهم : كان مولده ببابل من أرض السواد . وقال بعضهم : كان بالسواد بناحية كوثى . وقال بعضهم : كان مولده بالوركاء بناحية الزوابى وحدود كسكر ، ثم نقله أبوه إلى الموضع الذي كان به نمرود من ناحية كوثى . وقال بعضهم : كان مولده بجران ، ولكن أباه تارخ نقله إلى أرض بابل . وقال عامة السلف من أهل العلم : كان مولد إبراهيم عليه السلام في عهد نمرود بن كوش . ويقول عامة أهل الأخبار : كان نمرود عاملاً للازدهاق الذي زعم^(٢) بعض من زعم أن نوحاً عليه السلام كان مبعوثاً إليه على أرض بابل وما حولها . وأما جماعة من سلف العلماء فإنهم يقولون : كان ملكاً برأسه ، واسمه الذي هو اسمه فيما قيل : زهى بن طهاسلفان^(٣) .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق — فيما ذكر لنا والله أعلم — أن آزر كان رجلاً من أهل كوثى ، من قرية بالسواد سواد الكوفة ، وكان إذ ذاك ملك المشرق لنمرود الخاطي ، وكان يقال له الهاصر ، وكان ملكه فيما يزعمون — قد أحاط بمشارك الأرض ومغاريها ، وكان ببابل ، قال : وكان ملكه وملك قومه بالمشرق قبل ملك فارس .
قال : ويقال لم يجتمع ملك الأرض ولم يجتمع الناس على ملك واحد إلا

(١) س : « أرعوا » ، ن : « أرغوا » .

(٢) ر : « يزعم » .

(٣) س : « طهاسلفان » .

على ثلاثة ملوك : نُسُروود بن أرغوا ، وذى القرنين ، وسليمان بن داود .

وقال بعضهم : نمرود هو الضحَّاك نفسه .

حدثت عن هشام بن محمد ، قال : بلغنا والله أعلم أن الضحَّاك هو نُسُروود ، وأن إبراهيم خليل الرحمن ولد في زمانه ، وأنه صاحبه الذى أراد إحراقه .

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى في خبر ذكره عن أبي صالح وعن أبي مالك ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : إن أول ملكٍ مَلَكَ في الأرض شرقها وغربها نُسُروود بن كنعان ابن كوش بن سام بن نوح ، وكانت الملوك الذين ملكوا الأرض كلها أربعة : نمرود ، وسليمان بن داود ، وذو القرنين ، وبخت نصر : مؤمنان وكافران .

وقال ابن إسحاق فيما حدثني ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : فلما أراد الله عز وجل أن يبعث إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن حجة على قومه ورسولاً إلى عباده ، ولم يكن فيما بين نوح وإبراهيم عليهما السلام من نبي قبله إلا هود وصالح ، فلما تقارب زمان إبراهيم الذى أراد الله تعالى ذكره ما أراد ، أتى أصحاب النجوم نمرود ، فقالوا له : تعلم أنا نجد في علمنا أن غلاماً يُولد في قرينتك هذه يقال له إبراهيم . يفارق دينكم . ويكسر أوثانكم ، في شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا . فلما دخلت السنة التي وصف أصحاب النجوم لنمرود ، بعث نمرود إلى كل امرأة حبلى بقرينته . فحبسها عنده ، إلا ما كان من أم إبراهيم امرأة آزر فإنه لم يعلم بحبليها . وذلك أنها كانت جارية - حدثت فيما يذكر - لم يعرف الحبل في بطنها . فجعل لا تلد امرأة غلاماً في ذلك الشهر من تلك السنة إلا أمر به فذبح : فلما وجدت أم إبراهيم الطلق خرجت ليلاً إلى مغارة كانت قريباً منها . فولدت فيها إبراهيم عليه السلام . وأصلحت من شأنه ما يُصنع بالمولود . ثم سدّت عايه المغارة ، ثم رجعت إلى بيتها . ثم كانت تظالعه في المغارة لتنظر ما فعل . فتجده حيناً

٢٥٤/١

٢٥٥/١

يمص إبهامه^(١). يزعمون - والله أعلم - أن الله جعل رزق إبراهيم عليه السلام فيها ما يجينه من مصه ، وكان آزر فيها يزعمون قد سأل أم إبراهيم عن حملها ما فعل ، فقالت : ولدت غلاماً فمات . فصدقتها فسكت عنها ، وكان اليوم - فيما يذكر - على إبراهيم في الشباب كالشهر ، والشهر كالسنة ؛ ولم يمكث إبراهيم عليه السلام في المغارة إلا خمسة عشر شهراً ، حتى قال لأمه : أخرجيني أنظر . فأخرجته عشاء ، فنظر وتفكر في خلق السموات والأرض ، وقال : إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لرَبِّي ، ماني إله غيره . ثم نظر في السماء ورأى كوكباً ، فقال : ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ . ثم اتبعه ينظر إليه ببصره حتى غاب ﴿ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ . ثم اطلع للقمر^(٢) فرآه بازغاً فقال : ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ . ثم اتبعه ببصره حتى غاب ﴿ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ . فلما دخل عليه النهار وطلعت الشمس رأى عظم الشمس ورأى شيئاً هو أعظم نوراً من كل شيء رآه قبل ذلك ، فقال : ﴿ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ، فَمَا أَفَلْتُ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٣) .

ثم رجع إبراهيم إلى أبيه آزر وقد استقامت وجهته ، وعرف ربه وبرئ من دين قومه إلا أنه لم يبادهم^(٤) بذلك ، فأخبره أنه ابنه ، فأخبرته أم إبراهيم عليه السلام أنه ابنه ، فأخبرته بما كانت صنعت في شأنه ، فسر بذلك آزر وفرح فرحاً شديداً . وكان آزر يصنع أصنام قومه التي يعبدون ، ثم يعطيها إبراهيم يبيعها ، فيذهب بها إبراهيم عليه السلام فيما يذكر فيقول : مَنْ يَشْتَرِي مَا يَضُرُّهُ وَلَا يَنْفَعُهُ ! فلا يشتريها منه أحد . فإذا بارت عليه ذهب بها إلى نهر فصوب فيه رءوسها ، وقال : اشتريني ... استهزاء بقومه ، وبما هم^(٥) عليه من الضلالة - حتى فشا عيبه إياها ، واستهزأوه بها في قومه وأهل قريته :

(١) ر : « أصابه » .

(٢) ط : « أطلع القمر » . وما أتتبه عن ا .

(٣) سورة الأنعام ٧٦ - ٧٩

(٤) يقال : بادي فلان بالعداوة ؛ أي جاهر بها .

(٥) كذاني ا ، ن ، وفي ط : « وما هم » .

من غير أن يكون ذلك بلغ نمرود الملك^(١) . ثم إنه لما بدا لإبراهيم أن يبادى قومه بخلاف ما هم عليه وبأمر الله والدعاء إليه ﴿ نَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ ، يقول الله عز وجل : ﴿ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴾^(٢) ، وقوله : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾^(٣) أى طعين^(٤) ، أو لسقم^(٥) كانوا يهـربون منه إذا سمعوا به ، وإنما يريد إبراهيم أن يخرجوا عنه ليبلغ من أصنامهم الذى يريد . فلما خرجوا عنه خالف إلى أصنامهم التى كانوا يعبدون من دون الله ، فقرب لها طعاماً ، ثم قال : ألا تأكلون ! ما لكم لا تنطقون ! تعبيراً فى شأنها واستهزاء بها .

وقال فى ذلك غير ابن إسحاق ، ما حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى ، فى خبر ذكره عن أبى صالح ، وعن أبى مالك ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : كان من شأن إبراهيم عليه السلام أنه طلع كوكب على نمرود ، فذهب بضوء الشمس والقمر ، ففزع من ذلك فزعاً شديداً ، فدعا السحرة والكهنة والقافة والحازة ، فسألهم عنه ، فقالوا : يخرج من ملكك رجل يكون على وجهه هلاكك وهلاك ملكك - وكان مسكنه ببابل الكوفة - فخرج من قريته إلى قرية أخرى ، فأخرج الرجال وترك النساء ، وأمر ألا يؤلد مولود ذكر إلا ذبحه ، فذبح أولادهم . ثم إنه بدت له حاجة فى المدينة لم يأمن عليها إلا آزر أباً إبراهيم ، فدعاه فأرسله . فقال له : انظر لا توقع أهلك ، فقال له آزر : أنا أضن بدنى من ذلك ، فلما دخل القرية نظر إلى أهله فلم يملك نفسه أن وقع عليها ، فقربها إلى قرية بين الكوفة والبصرة ، يقال لها أور ، فجعلها فى سرب ، فكان يتعاهدها بالطعام

(١) إلى هنا الخبر فى التفسير ١١ : ٤٨١ - ٤٨٣

(٢) سورة الصافات ٨٨ - ٩٠

(٣) طعين ، أى أصابه الطاعون . اللسان - طعن .

(٤) ط : « بالسقم » ؛ وما أثبتته عن ا ، س ؛ وهو يوافق ما فى التفسير ٢٣ : ٤٤

(بولاق) .

والشراب وما يصلحها . وإن الملك لما طال عليه الأمر قال : قول سحرة كذابين .
ارجعوا إلى بلدكم ، فرجعوا . وولد إبراهيم فكان في كل يوم يمر كأنه جمعة ،
والجمعة كالشهر ، والشهر كالسنة من سرعة شبابه ، ونسى الملك ذلك ، وكبر
إبراهيم ولا يرى أن أحداً من الخلق غيره وغير أبيه وأمه ، فقال أبو إبراهيم
لأصحابه : إن لي ابناً قد خبأته ، أفتخافون عليه الملك إن أنا جئت به ؟ قالوا :
لا ، فأت به . فانطلق فأخرجه ، فلما خرج الغلام من السرب نظر إلى الدواب
والبهائم والخلق ، فجعل يسأل أباه : ما هذا ؟ فيخبره عن البعير أنه بغير ،
وعن البقرة أنها بقرة ، وعن الفرس أنه فرس ، وعن الشاة أنها شاة ، فقال :
ما لهؤلاء الخلق بد من أن يكون لهم رب ، وكان خروجه حين خرج من السرب
بعد غروب الشمس ، فرفع رأسه إلى السماء فإذا هو بالكوكب وهو المشتري ،
فقال : ﴿ هذا ربِّي ﴾ ، فلم يلبث أن غاب ، فقَالَ ﴿ لاَ أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ ، أى
لا أحبُّ ربّاً يغيب . قال ابن عباس : وخرج في آخر الشهر ، فلذلك لم ير
القمر قبل الكواكب ، فلما كان آخر الليل رأى القمر بازغاً قد طلع ، فقال :
﴿ هذا ربِّي ، فلماً أفل ﴾ يقول : غاب ، ﴿ قال لئن لم يهدني ربي لأكوننَّ من
القوم الضالين ﴾ ، فلما أصبح ورأى الشمس بازغة ، قال : ﴿ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ﴾ ،
فلما غابت قال الله له : أسلم ، قال : قد أسلمت لرب العالمين . ثم أتى قومه
فدعاهم فقال : ﴿ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ . إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي
فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً ﴾ (١) . يقول مخلصاً : فجعل يدعو قومه وينذرهم .
وكان أبوه يصنع الأصنام فيعطئها ولدته فيبيعونها ، وكان يعطئها فينادى :
مَنْ يَشْرِي مَا يَضُرُّهُ وَلَا يَنْفَعُهُ ؟ فيرجع إخوته وقد باعوا أصنامهم ، ويرجع
إبراهيم بأصنامه كما هي ، ثم دعا أباه فقال : ﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ
وَلَا يَبْصُرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً ﴾ (٢) قال : ﴿ أَرَأَيْبٌ أَنْتَ عَنِ الْإِلَهِ يَا إِبْرَاهِيمَ
لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمَنَّكَ وَآمَجُرْنِي مَلِيّاً ﴾ (٣) . قال : أبدأ . ثم قال له أبوه :

(١) سورة الأنعام ٧٦ - ٧٩

(٢) سورة مريم ٤٢

(٣) سورة مريم ٤٦

يا إبراهيم . إن لنا عيداً لو قد خرجت معنا لأعجبك ديننا ، فلما كان يوم العيد ، فخرجوا إليه خرج معهم إبراهيم ، فلما كان ببعض الطريق أتى نفسه وقال : ﴿ إِنَّ سَقِيمٌ ﴾ . يقول : أشتكى رجلى ، فتوطئوا رجليه ، وهو صريع ، فلما مضوا نادى في آخرهم وقد بقي^(١) ضعتى الناس : ﴿ تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾^(٢) فسمعوا منه ، ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة ، فإذا هو في بهو عظيم ، مستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه أصغر منه ، بعضها إلى جنب بعض ، كل صنم يليه أصغر منه ، حتى بلغوا باب البهو وإذا هم قد صنعوا^(٣) طعاماً ، فوضعه بين يدي الآلهة ، قالوا : إذا كان حين نرجع رجعنا ، وقد باركت الآلهة في طعامنا فأكلنا . فلما نظر إليهم إبراهيم عليه السلام ، وإلى ما بين أيديهم من الطعام قال : ألاتا تاكلون ؟ فلما لم تجبه قال : ما لكم لا تنطقون ! فراغ عليهم ضرباً باليمين ، فأخذ حديدة فبقّر كل صنم في حافتيه ، ثم علق الفأس في عنق الصنم الأكبر ، ثم خرج فلما جاء القوم إلى طعامهم ، ونظروا إلى آلتهم ، قالوا : ﴿ مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۗ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾^(٤) .

قال أبو جعفر : رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق .

٢٦٠/١

ثم أقبل عليهم كما قال الله عز وجل : ﴿ ضَرَبْنَا بِالْيَمِينِ ﴾^(٥) . ثم جعل يكسرهن بنأس في يده . حتى إذا بقي أعظم صنم منها ربط الفأس بيده ، ثم تركهن . فلما رجع قومه رأوا ما صنع بأصنامهم . فراعهم ذلك ، فأعظموه وقالوا : ﴿ مَنْ فَعَلَ بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۗ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾^(٤) .

(١) ط : « بقوا » ، والصواب ما أثبتته عن ١ ، والتفسير .

(٢) سورة الأنبياء ٥٧ .

(٣) ١ . والتفسير : « جعلوا » .

(٤) سورة الأنبياء ٥٩ ، ٦٠ ، والخبر في تفسير ١٧ : ٢٩ (بولاق) .

(٥) سورة الصافات ٩٣ .

يَذَكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿١﴾ - يعنون (٢) فتى يسبها ويعيبها ويستهزئ بها ،
لم نسمع أحداً يقول ذلك غيره ، وهو الذى نظنّ صنع هذا بها . وبلغ ذلك
نمرود وأشراف قومه ، فقالوا : ﴿ فَاتُّوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ (١) ،
أى ما يصنع به .

فكان جماعة من أهل التأويل ، منهم قتادة والسدى يقولون فى ذلك :
لعلهم يشهدون عليه أنه هو الذى فعل ذلك ، وقالوا : كرهوا أن يأخذوه
بغير بيّنة

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق :

قال : فلما أتى به فاجتمع له قومه عند ملكهم نمرود ، قالوا : ﴿ أَنْتَ
فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ . قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ
إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ (١) ، غضب من أن يعبدوا معه هذه الصغار وهو أكبر منها ،
فكسروهم ، فارعوا وارجعوا عنه فيما ادعوا عليه من كسروهم إلى أنفسهم فيما بينهم ،
فقالوا : لقد ظلمناه وما نراه إلا كما قال . ثم قالوا وعرفوا أنها لا تضر ولا تنفع ولا
تبطش : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ (٢) ، أى لا يتكلمون فيخبرونا :
مَنْ صَنَعَ هَذَا بِهَا ، وما تبطش بالأيدى فنصدقك ، يقول الله عز وجل : ٢٦١/١
﴿ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ (٣) ، أى نكسوا على
رؤوسهم فى الحجّة عليهم لإبراهيم حين جادلهم ، فقال عند ذلك إبراهيم حين
ظهرت الحجّة عليهم بقولهم : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ . قَالَ
أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ . أَفَ لَكُمْ
وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٣) .

قال : وحاجته قومه عند ذلك فى الله جل ثناؤه يستوصفونه إياه ويخبرونه

(١) سورة الأنبياء ٦٠ ، ٦٣

(٢) ١ : « يعنون : سمعنا فى » .

(٣) سورة الأنبياء ٦٥ - ٦٧

أن آلهتهم خير مما يعبد، فقال: ﴿أَتَحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ ، إلى قوله: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١)، يضرب لهم الأمثال، ويصرف لهم العبر، ليعلموا أن الله هو الحق أن يخاف ويُعبَد مما يعبدون من دونه.

قال أبو جعفر : ثم إن نمرود - فيما يذكر - قال لإبراهيم: أرايت إهلك هذا الذي تعبد وتدعو إلى عبادته ، وتذكره من قدرته التي تعظمه بها على غيره ما هو؟ ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ ، فقال نمرود: فأنا ﴿الْحَيِّ وَأُمِيتُ﴾ ، فقال له إبراهيم: كيف تحيي وتميت؟ قال: آخذ الرجلين قد استوجبا القتل في حكمي، فأقتل أحدهما فأكون قد أمته ، وأعفو عن الآخر فأتركه فأكون قد أحييته ، فقال له إبراهيم عند ذلك: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾^(٢)، فعرف^(٣) أنه كما يقول، فبهت عند ذلك نمرود ولم يرجع إليه شيئاً، وعرف أنه لا يطبق ذلك . يقول الله عز وجل: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾^(٤) ، يعني وقعت عليه الحجة .

٢٦٢/١

قال : ثم إن نمرود وقومه أجمعوا في إبراهيم فقالوا : ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾^(٥) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد ، قال : تلوت هذه الآية على عبد الله بن عمر ، فقال : أتدرى يا مجاهد، من الذي أشار بتحريق إبراهيم عليه السلام بالنار؟ قال : قلت : لا ، قال : رجل من أعراب فارس ، قال : قلت : يا أبا عبد الرحمن ، وهل للفرس أعراب؟ قال : نعم ، الكرْدُ هم أعراب فارس ، فرجل منهم هو الذي أشار بتحريق إبراهيم بالنار .

حدثني يعقوب ، قال : حدثنا ابن عُلَيَّة ، عن ليث ، عن مجاهد في

(١) سورة الأنعام ٨٠ ، ٨١

(٢) سورة البقرة ٢٥٨

(٣) كذا في ١ ، وفي ط ه أعرف ه .

(٤) سورة الأنبياء ٦٨

قوله: ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلَتَكُمْ﴾ قال : قالها رجل من أعراب فارس - يعنى الأكراد .

وحدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني وهب بن سليمان ، عن شعيب الجُبَّتَانِي ، قال : إن اسم الذى قال حرقوه « هينون » ، فحسف الله به الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة

ثم رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق .

قال : فأمر نمروذ ، بجمع الحطب^(١) ، فجمعوا له صلاب الحطب من أصناف الحشب ، حتى أن كانت المرأة من قرية إبراهيم - فيما يُذكر - لتندرفى بعض ما تطلب مما تحب أن تدرك : لئن أصابته لتحطين فى نار إبراهيم التى يحرق بها احتساباً فى دينها ، حتى إذا أرادوا أن يلقوه فيها قدّموه وأشعلوا فى كل ناحية من الحطب الذى جمعوا له ، حتى إذا اشتعلت النار ، واجتمعوا^(٢) لقتله فيها ، صاحت السماء والأرض وما فيها من الخلق إلا الثَّقَلَيْنِ - فيما يذكرون - إلى الله عزّ وجلّ صيحةً واحدة : أى ربنا ! إبراهيم ليس فى أرضك أحدٌ يعبدك غيره ، يحرق بالنار فيك ! فأذن لنا فى نصرته ، فيذكرون - والله أعلم - أن الله عزّ وجلّ حين قالوا ذلك قال : إن استغاث بشيء منكم أو دعاه فلينصره ، فقد أذنت له فى ذلك ، فإن لم يدعُ غيرى فأنا وليّه ، فخلّوا بينى وبينه ، فأنا أمنعه ، فلما ألقوه فيها قال : ﴿ يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾^(٣) ، فكانت كما قال الله عزّ وجلّ .

وحدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى قال ﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴾^(٤) ،

(١) ط : « فجمع له الحطب » ، وما أثبتته عن ا .

(٢) ط : « واجتمعوا » .

(٣) سورة الأنبياء ٦٩

(٤) سورة الصافات ٩٧

قال : فحبسوه في بيت ، وجمعوا له حطباً حتى أن كانت المرأة لتمرض فتقول :
 لئن عافاني الله لأجمعن حطباً لإبراهيم ، فلما جمعوا له وأكثروا من الحطب
 حتى أن كان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهجتها وحرها . فعمدوا إليه فرفعوه
 على رأس البنيان ، فرفع إبراهيم رأسه إلى السماء ، فقالت السماء والأرض
 والجنان والملائكة : ربنا ! إبراهيم يحرق فيك . فقال : أنا أعلم به . فإن
 دعاكم فأغيثوه . وقال إبراهيم حين رفع رأسه إلى السماء : اللهم أنت الواحد
 في السماء وأنا الواحد في الأرض . ليس في الأرض أحد يعبدك غيري . حسبي الله
 ونعم الوكيل ! فتدفوه في النار . فنادها فقال : يا نار كوني برداً وسلاماً
 على إبراهيم . وكان جبرئيل هو الذي ناداها . وقال ابن عباس : لو لم يتبع
 بردها سلاماً لما مات إبراهيم من بردها . فلم تبق يوماً نار في الأرض إلا طففت .
 ضنت أنها تعنى . فلما طفت النار نظروا إلى إبراهيم فإذا هو ورجل آخر معه ،
 وإذا رأس إبراهيم في حجره يمسح عن وجهه العرق . وذكر أن ذلك الرجل
 ملك الظل ، وأنزل الله ناراً وانتفع بها بنو آدم ، فأخرجوا إبراهيم ، فأدخلوه على
 الملك . ولم يكن قبل ذلك دخل عليه^(١)

٢٦٤/١

ثم رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق .

قال : وبعث الله عز وجل ملك الظل في صورة إبراهيم ، فمعد فيها إلى
 جنبه يؤنسه ، فكث نمرود أياماً لا يشك إلا أن النار قد أكلت إبراهيم وفرغت منه ،
 ثم ركب فرساً بها وهي تحرق ما جمعوا لها من الحطب . فنظر إليها ، فرأى إبراهيم
 جالساً فيها إلى جنبه رجل مثله ، فرجع من مركبه ذلك . فقال لقومه : لقد
 رأيت إبراهيم حياً في النار ، ولقد شبه علي ، ابنوا لي صرحاً يشرفني على
 النار حتى أستثبت ، فبنوا له صرحاً ، فأشرف عليه فاطلع منه إلى النار . فرأى
 إبراهيم جالساً فيها ، ورأى الملك قاعداً إلى جنبه في مثل صورته ، فناداه
 نمرود : يا إبراهيم ، كبير إهلك الذي بلغت قدرته وعزته أن حال بين ما
 أرى وبينك ، حتى لم تصرفك يا إبراهيم ، هل تستطيع أن تخرج منها ؟

٢٦٥/١

(١) الخبر في التفسير ١٧ : ٣٣ (بولاق) .

قال : نعم ، قال : هل تخشى إن أقمت فيها أن تضرك ؟ قال : لا ، قال : فقم واخرج منها ، فقام إبراهيم يمشى فيها حتى خرج منها ، فلما خرج إليه قال : يا إبراهيم ، من الرجل الذي رأيتُ معك في مثل صورتك قاعداً إلى جنبك ؟ قال : ذلك ملك الظل ، أرسله إلى ربّي ليكون معي فيها ليؤنّسني ، وجعلها عليّ برداً وسلاماً . فقال نمرود - فيما حدثت - : يا إبراهيم ، إني مقرب إلى إلهك قرباناً لما رأيت من عزّته وقدرته ، ولما صنع بك حين أبيت إلا عبادته وتوحيده ؛ إني ذابح له أربعة آلاف بتمرة . فقال له إبراهيم : إذا لا يقبل الله منك ما كنت على شيء من دينك هذا حتى تفارقه إلى ديني ! فقال : يا إبراهيم ، لا أستطيع ترك ملكي ، ولكنني سوف أذبحها له ، فذبحها نمرود ، ثم كفّ عن إبراهيم ، ومنعه الله عزّ وجلّ منه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الحارث ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة ، قال : إن أحسن شيء قاله أبو إبراهيم^(١) لما رفع عنه الطبق وهو في النار وحده يرشعُ جبينه ، فقال عند ذلك : نعم الربُّ ربُّك يا إبراهيم .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا مُعْتَمِر بن سليمان التيميّ ، عن بعض أصحابه قال : جاء جبرئيل إلى إبراهيم عليه السلام وهو يوثق ويقسّط ليلتي في النار ، قال : يا إبراهيم ، ألك حاجة ؟ قال : أما إليك فلا .

حدثني أحمد بن المقدم ، قال : حدثني المعتمر ، قال : سمعت أبي قال : حدثنا قتادة ، عن أبي سليمان ، قال : ما أحرقت النار من إبراهيم إلا وثاقه .

قال أبو جعفر : رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، قال : واستجاب لإبراهيم عليه السلام رجالٌ من قومه حين رأوا ما صنع الله به على خوف من نمرود

(١) كذا في ا ، ن ، وفي ط : « قاله لإبراهيم » .

وملئهم ، فأمن له لوط - وكان ابن أخيه - وهو لوط بن هاران بن تارخ ، وهاران هو أخو إبراهيم ، وكان لهما أخ ثالث يقال له ناحور بن تارخ ، فهاران أبو لوط ، وناحور أبو بتويل ، وبتويل أبو لابان ، وربقا ابنة بتويل امرأة إسحاق بن إبراهيم أم يعقوب ، وليا وراحيل زوجتا يعقوب ابنتا لابان . وآمنت به سارة وهي ابنة عمه ، وهي سارة بنت هاران الأكبر عم إبراهيم ، وكانت لها أخت يقال لها ملكا امرأة ناحور .

وقد قيل : إن سارة كانت ابنة ملك حرّان .

• ذكر من قال ذلك :

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، قال : انطلق إبراهيم ولوط قبيل الشام ، فلقى إبراهيم سارة ، وهي ابنة ملك حرّان ، وقد طعنت على قومها في دينهم ، فترّوجها على ألاّ يغيّرها ، ودعا إبراهيم أباه آزر إلى دينه ، فقال له : يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً ! فأبى أبوه الإجابة إلى ما دعاه إليه . ثم إن إبراهيم ومن كان معه من أصحابه الذين اجتمعوا أمره أجمعوا لفراق قومهم ، فقالوا : ﴿ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ ﴾ ، أيها المعبودون من دون الله ﴿ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا ﴾ أيها العابدون ﴿ حَتَّى تَوَآمِنُوا بِاللَّهِ وَخَدَّهٖ ﴾^(١) . ثم خرج إبراهيم مهاجراً إلى ربه وخرج معه لوط مهاجراً ، وتزوج سارة ابنة عمه ، فخرج بها معه يلتمس الفرار بدينه ، والأمان على عبادة ربه^(٢) حتى نزل حرّان ، فكث بها ما شاء الله أن يكث ، ثم خرج منها مهاجراً حتى قدم مصر ، وبها فرعون من الفراعنة الأولى . وكانت سارة من أحسن الناس فيما يقال ، وكانت^(٣) لا تعصى إبراهيم

٢٦٧/١

(١) سورة المتحنة ٤

(٢) ١ « على عباده » .

(٣) ط : « فكانت » ؛ وما أثبتته عن ١ .

شيئا ، وبذلك أكرمها الله عز وجل ، فلما وصفت لفرعون ووصف له حسنها
وجماها أرسل إلى إبراهيم ، فقال : ما هذه المرأة التي معك ؟ قال : هي أختي ،
وتخوف إبراهيم إن قال هي امرأتى أن يقتله عنها . فقال لإبراهيم : زيتنها ،
ثم أرسلها إلى حتى أنظر إليها ، فرجع إبراهيم إلى سارة وأمرها فتهيأت ، ثم
أرسلها إليه ، فأقبلت حتى دخلت عليه ، فلما قعدت إليه تناولها بيده ، فبيست
إلى صدره ، فلما رأى ذلك فرعون أعظم أمرها ، وقال : ادعني الله أن يطلق
عني ، فوالله لا أريبك ولأحسبنن إليك ، فقالت : اللهم إن كان صادقا
فأطلق يده ، فأطلق الله يده ، فردّها إلى إبراهيم ، ووهب لها هاجر ، جارية
كانت له قبطية .

٢٦٨/١

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو أسامة ، قال : حدثني هشام ،
عن محمد ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال :
« لم يكذب إبراهيم عليه السلام غير ثلاث : ثنتين في ذات الله ، قوله : ﴿ إِنِّي
سَقِيمٌ ﴾ ، وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ . وبينما هو يسير في أرض جبّار من
الجبابرة ، إذ نزل منزلا ، فأتى الجبّار رجل فقال : إن في أرضك - أو قال :
ها هنا - رجلا معه امرأة من أحسن الناس ، فأرسل إليه ، فجاء فقال : ما هذه
المرأة منك ؟ قال : هي أختي ، قال : اذهب فأرسل بها إلى ، فانطلق إلى
سارة ، فقال : إن هذا الجبار قد سألتني عنك فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني
عنده ، فإنك أختي في كتاب الله ، فإنه ^(١) ليس في الأرض مسلم غيري
وغيرك ، قال : فانطلق بها وقام إبراهيم عليه السلام يصلي قال : فلما دخلت
عليه فرآها أهوى إليها [وذهب] ^(٢) يتناولها ، فأخذ أخذاً شديداً ، فقال :
ادعني الله ولا أضرك ، فدعت له فأرسل فأهوى إليها [فذهب] ^(٢) يتناولها ،
فأخذ أخذاً شديداً ، فقال : ادعني الله ولا أضرك ، فدعت له فأرسل ، ثم

(١) : « وإنه » .

(٢) نكلة من ١ .

فعل ذلك الثالثة ، فأخذ ، فذكر مثل المرتين فأرسل . [قال] : (١) فدعا أدنى حُجَّابِه فقال : إنك لم تأتني بإنسان ، وإكنك أتيتني بشيطان ، أخرجها وأعطيتها هاجر ، فأخرجت وأعطيت هاجر ، فأقبلتُ بها ، فلما أحسَّ إبراهيم بمجيئها انفتل من صلاته ، فقال : مهيم ! فقالت : كفى الله كيد الفاجر الكافر ! وأخدم هاجر .

٢٦٩/١

قال محمد بن سيرين : فكان أبو هريرة إذا حدث هذا الحديث يقول : فتلك أمكم يا بني ماء السماء .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد . عن أبيه ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لم يقل إبراهيم شيئاً قط » لم يكن « إلا ثلاثاً : قوله ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ لم يكن به سقم ، وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسَاءُوا لَهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ ، وقوله لفرعون حين سأله عن سارة فقال : من هذه المرأة معك ؟ قال : أختي ، قال : فما قال إبراهيم عليه السلام شيئاً قط « لم يكن » إلا ذلك .

حدثني سعيد بن يحيى الأموي . قال : حدثني أبي . قال : حدثنا محمد ابن إسحاق ، قال : حدثنا أبو الزناد ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لم يكذب إبراهيم في شيء قط إلا في ثلاث . . . » . ثم ذكر نحوه .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو أسامة ، قال : حدثني هشام ، عن محمد ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لم يكذب إبراهيم غير ثلاث : ثنتين في ذات الله . قوله : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ ، وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ ، وقوله في سارة : هي أختي » .

(١) تكله من ا .

(٢) ط : « وأخدم هاجر » . وما أثبت من ا

حدثني ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن المسيب بن رافع ، عن أبي هريرة قال : ما كذب إبراهيم عليه السلام غير ثلاث كذبات : قوله : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ ، وقوله : ﴿ بَلْ فَعَمَلُهُ كَبِيرٌ هُمْ هَذَا ﴾ ، وإنما قاله موعظة ، وقوله حين سأله الملك فقال : أختي - لسارة - وكانت امرأته .

حدثني يعقوب ، قال : حدثني ابن عُلَيْبَةَ ، عن أيوب ، عن محمد ، قال : إن إبراهيم لم يكذب إلا ثلاث كذبات : ثنتان في الله ، وواحدة في ذات نفسه ، وأما الثنتان فقوله : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ ، وقوله : ﴿ بَلْ فَعَمَلُهُ كَبِيرٌ هُمْ هَذَا ﴾ وقصته في سارة . وذكر قصتها وقصة الملك

قال أبو جعفر : رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق .

قال : وكانت هاجر جارية ذات هيئة ، فوهبتها سارة لإبراهيم ، وقالت : إني أراها امرأة وضيئة فخذها ، لعلَّ الله يرزقك منها ولداً ، وكانت سارة قد منعت الولد فلا تلد لإبراهيم حتى أسنت ، وكان إبراهيم قد دعا الله أن يهبَ له من الصالحين ، وأخرت الدعوة حتى كبر إبراهيم وعقمت سارة . ثم إن إبراهيم وقع على هاجر ، فولدت له إسماعيل عليهما السلام .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا فتحتم ^(١) مصر فاستوصوا بأهلها خيراً ، فإنَّ لهم ذمة ورحيماً » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، قال : سألت الزهري : ما الرحم التي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ؟ قال : كانت هاجر أم إسماعيل منهم . فبزعمون - والله أعلم - أن سارة حزنت عند ذلك على ما فاتها من الولد حزناً شديداً ، وقد كان إبراهيم خرج من مصر إلى الشام ، وهاب ذلك الملك الذي كان بها ، وأشفق من شره حتى قدمها ، فنزل السبع من أرض فلسطين ، وهي برية الشام ، ونزل لوط بالمؤتفكة ، وهي من

(١) : « افتحتم » .

السَّبْعُ عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ . وَأَقْرَبُ مِنْ ذَلِكَ ، فَبِعَثَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيًّا ، وَأَقَامَ إِبْرَاهِيمَ فِيهَا ذِكْرًا لِي بِالسَّبْعِ ، فَاحْتَفَرَ بِهِ بَيْرًا وَاتَّخَذَ بِهِ مَسْجِدًا ، فَكَانَ مَاءُ تِلْكَ الْبَيْرِ مَعِينًا طَاهِرًا ، فَكَانَتْ غَنَمُهُ تَرِدُهَا . ثُمَّ إِنَّ أَهْلَهَا آذَوْهُ فِيهَا بِبَعْضِ الْأَذَى ، فَخَرَجَ مِنْهَا حَتَّى نَزَلَ بِنَاحِيَةِ مِنْ أَرْضِ فَلَسْطِينَ بَيْنَ الرَّمْلَةِ وَإِيلِيَا ، بِلَدٍ يُقَالُ لَهُ قَطٌّ - أَوْ قِطٌّ^(١) - فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ نَضِبَ الْمَاءَ فَذَهَبَ . وَاتَّبَعَهُ أَهْلُ السَّبْعِ ، حَتَّى أَدْرَكُوهُ وَنَدَمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا ، وَقَالُوا : أَخْرَجْنَا مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِنَا رِجَالًا صَالِحًا ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ : مَا أَنَا بِرَاجِعٍ إِلَى بِلَدٍ أَخْرَجْتُمْ مِنْهُ ، قَالُوا لَهُ : فَإِنَّ الْمَاءَ الَّذِي كُنْتَ تَشْرَبُ مِنْهُ وَنَشْرَبُ مَعَكَ مِنْهُ قَدْ نَضِبَ فَذَهَبَ ، فَأَعْطَاهُمْ سَبْعَ أَعْنَزٍ مِنْ غَنَمِهِ ، فَقَالَ : اذْهَبُوا بِهَا مَعَكُمْ ، فَإِنَّكُمْ لَوْ قَدْ أوردتموها الْبَيْرَ ، قَدْ ظَهَرَ الْمَاءُ ، حَتَّى يَكُونَ مَعِينًا طَاهِرًا كَمَا كَانَ ، فَاشْرَبُوا مِنْهَا ، فَلَا تَتَغَرَّفَنَّ مِنْهَا امْرَأَةٌ حَائِضٌ ، فَخَرَجُوا بِالْأَعْنَزِ ، فَلَمَّا وَقَفَتْ عَلَى الْبَيْرِ ظَهَرَ إِلَيْهَا الْمَاءُ ، فَكَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْهَا وَهِيَ عَلَى ذَلِكَ ، حَتَّى أَتَتْ امْرَأَةً طَامِثًا ، فَاعْتَرَفَتْ مِنْهَا ، فَانْكَصَ مَاؤُهَا إِلَى الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ ، ثُمَّ ثَبَتَ .

٢٧٢/١

قال : وكان إبراهيم يُضَيِّفُ مِنْ نَزْلِ بِهِ ، وَكَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَوْسَعَ عَلَيْهِ ، وَبَسَطَ لَهُ فِي الرِّزْقِ وَالْمَالِ وَالْخِدْمِ ، فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَلَاكَ قَوْمِ لُوطَ ، بَعَثَ إِلَيْهِ رَسَلَهُ بِأَمْرِهِ بِالْخُرُوجِ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ ، وَكَانُوا قَدْ عَمَلُوا مِنَ الْفَاحِشَةِ مَا لَمْ يَسْبِقْهُمْ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ ، مَعَ تَكْذِيبِهِمْ نَبِيَّهُمْ ، وَرَدِّهِمْ عَلَيْهِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ النَّصِيحَةِ مِنْ رَبِّهِمْ ، وَأَمَرَتْ الرِّسَالَ أَنْ يَنْزِلُوا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، وَأَنْ يَشْرُوهُ وَسَارَةَ بِإِسْحَاقَ ، وَمَنْ وَرَاءَ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ، فَلَمَّا نَزَلُوا عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَكَانَ الضَّيْفُ قَدْ حُبِسَ عَنْهُ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ - فِيمَا يَذْكُرُونَ - لَا يَضِيفُهُ أَحَدٌ ، وَلَا يَأْتِيهِ ، فَلَمَّا رَأَاهُمْ سَرَّ بِهِمْ رَأَى ضَيْفًا لَمْ يَضِفْهُ مِثْلَهُمْ حَسَنًا وَجَمَالًا ، فَقَالَ : لَا يَخْدُمُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ أَحَدٌ إِلَّا أَنَا بِيَدِي ، فَخَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ ، فَجَاءَ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ بِمِجْلِ سَمِينٍ ﴾^(٢) قَدْ حَسَنَدَهُ - وَالْحَنَاذِ :^(٣) الْإِنْضَاجُ يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ جَاءَ بِمِجْلِ حَنِيدٍ ﴾^(٤) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ ، فَأَمْسَكُوا أَيْدِيَهُمْ

(١) ذَكَرَهَا يَاقُوتُ ، وَقَالَ : « بِلَدٍ بِفَلَسْطِينَ ، بَيْنَ الرَّمْلَةِ وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ » .

(٢) سُورَةُ الذَّارِيَّاتِ ٢٦ .

(٣) ط : « التَّحْنَاذُ » ؛ وَمَا ذَكَرْتَهُ مِنْ أ ، وَالتَّفْسِيرُ : ١٢ : ٤٢ . (٤) سُورَةُ هُودٍ ٦٩

عنه ، ﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾
 حين لم يأكلوا من طعامه ، ﴿ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطَ . وَامْرَأَتُهُ
 سَارَةَ ﴾ قائمة فضحكت ﴿ لما عرفت من أمر الله عز وجل ، ولما تعلم من قوم
 لوط ، فبشروها ﴾ بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴿^(١) بابن ، وبابن ابن ،
 فقالت - وَصَكَّتْ^(٢) وَجْهَيْهَا ، يقال : ضربت على جبينها : ﴿ يَا وَيْلَتَىٰ أَلِدُ
 وَأَنَا عَجُوزٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾^(٣) . وكانت سارة يومئذ
 - فيما ذكر لي بعض أهل العلم - ابنة تسعين سنة ، وإبراهيم ابن عشرين
 ومائة سنة ، فلما ذهب عن إبراهيم الروح وجاءته البشري بإسحاق ويعقوب
 ولد من صلب إسحاق وأمن ما كان يخاف ، قال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي
 عَلَىٰ الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾^(٤) .

• • •

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن
 جريج ، قال : أخبرني وهب بن سليمان ، عن شعيب الجبائي ، قال : ألقى
 إبراهيم في النار وهو ابن ست عشرة سنة ، وذبح إسحاق وهو ابن سبع سنين ،
 وولده سارة وهي ابنة تسعين سنة ، وكان مذبحه من بيت إيليا على ميلين ،
 فلما علمت سارة بما أراد بإسحاق مرضت يومين ، وماتت اليوم الثالث ، وقيل :
 ماتت سارة وهي ابنة مائة وسبع وعشرين سنة .

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا

(١) سورة هود ٦٩ ، ٧١

(٢) من قوله تعالى في سورة الذاريات ٢٩ : ﴿ فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَوةٍ فَصَكَّتْ

وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ .

(٣) سورة هود ٧٢ ، ٧٣

(٤) سورة إبراهيم ٣٩ ؛ وهذا آخر حديث ابن إسحاق الذي بدأ به في ص ٢٣٤ .

أسباط ، عن السدي ، قال : بعث الله الملائكة لتهلك قوم لوط ، فأقبلت
تمشى في صورة رجال شباب ، حتى نزلوا على إبراهيم ، فتضيّفوه ، فلما رآهم
إبراهيم أجلتهم ، فراغ إلى أهله ، فجاء بعجل سمين فذبحه ، ثم شواه في الرضف^(١)
وهو الخنيز حين شواه ، وأتاهم فقعد معهم ، وقامت سارة تخدمهم ، فذلك
حين يقول جل ثناؤه : ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ وَهُوَ جَالِسٌ ﴾^(٢) في قراءة ابن مسعود ،
فلما قرب به إليهم قال : ألا تأكلون ! قالوا : يا إبراهيم ، إنا لا نأكل طعاماً
إلا بئمن ، قال : فإن لهذا ثمننا ، قالوا : وما ثمنه ؟ قال : تذكرون اسم الله
على أوله وتحمدونه على آخره ، فنظر جبرئيل إلى ميكائيل ، فقال : حق لهذا أن
يتخذه ربه خليلاً ، ﴿ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ ﴾ يقول : لا يأكلون ،
﴿ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾^(٣) : فلما نظرت إليه سارة أنه قد أكرمهم
وقامت هي تخدمهم ضحكت وقالت : عجباً لأضيافنا ! هؤلاء إنا نخدمهم
بأنفسنا تكريماً لهم ، وهم لا يأكلون طعامنا !

٢٧٤/١

ع

(١) الرضف : الحجارة التي حميت بالشمس أو النار .

(٢) سورة هود ٧١

(٣) سورة هود : ٧٠ .

ذكر أمر بناء البيت

قال : ثم إن الله عز وجل أمر إبراهيم بعد ما ولد له إسماعيل وإسحاق - فيما ذكر - ببناء بيت له يعبد فيه ، ويذكر . فلم يدر إبراهيم في أي موضع يبني ؛ إذ لم يكن بين له ذلك ، فضايق بذلك ذرعاً ، فقال بعض أهل العلم : بعث الله إليه السكينة لتدلته على موضع البيت ، فضت به السكينة ، ومع إبراهيم هاجر زوجته وابنه إسماعيل ، وهو طفل صغير .
وقال بعضهم : بل بعث الله إليه جبرئيل عليه السلام ، حتى دله على موضعه ، وبين له ما ينبغي أن يعمل .

• • •

٢٧٥/١

• ذكر من قال : الذي بعثه الله إليه لذلك السكينة :

حدثنا هناد بن السرى ، قال : حدثنا أبو الأحوص ، عن سماك بن حرب ، عن خالد بن عرعة : أن رجلاً قام إلى علي بن أبي طالب ، فقال : ألا تخبرني عن البيت ، أهو أول بيت وضع في الأرض ؟ فقال : لا ، ولكنه أول بيت وضع في البركة مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمناً ، وإن شئت أنبأتك كيف بُني . إن الله عز وجل أوحى إلى إبراهيم أن ابن لي بيتاً في الأرض ، فضايق إبراهيم بذلك ذرعاً ، فأرسل عز وجل السكينة ، وهي ريح خجوج^(١) ولها رأسان ، فاتبع أحدهما صاحبه حتى انتهت إلى مكة فتطوت على موضع البيت كتطوى الحية ، وأمر إبراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة ، فبنى إبراهيم وبنى حجر ، فذهب الغلام يبنى شيئاً ، فقال إبراهيم : أبغني^(٢) حجراً كما أمرك ، فانطلق الغلام يلتمس له حجراً ، فأتاه به ، فوجده قد ركب الحجر الأسود في مكانه ، فقال : يا أبت ، من أتاك بهذا الحجر ؟ فقال : أتاني به من لم يتكل على بنائك ، أتاني به جبرئيل من السماء . فأنماه^(٣) .

• لم يرد في ا ، ر ، س .

(١) الخجوج : الريح الشديدة المر .

(٢) كذا في ا ، يقال : أبغاه الشيء ؛ إذا أعانه على طلبه .

(٣) الخبر في التفسير ٣ : ٧٠ .

حدثنا ابن بشار وابن المنثي ، قالا : حدثنا مؤتمل ، قال : حدثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرب ، عن عليّ عليه السلام قال : لما أمر إبراهيمُ ببناء البيت خرج معه إسماعيل وهاجر ، فلما قدم مكة رأى^(١) عليّ رأسه في موضع البيت مثل الغمامة فيه مثل الرأس ، فكلّمه ؛ وقال : يا إبراهيم ، ابن عليّ ظلّتي - أو عليّ قدّري - ولا تزد ولا تنقص ، فلما بنى خرج وخلف إسماعيل وهاجر ، فقالت هاجر : يا إبراهيم ، إلى^(٢) مَنْ تَكَلَّمْنَا ؟ قال : إلى الله ، قالت : انطلق فإنه لا يُضيعنا ، قال : فعطش إسماعيل عطشاً شديداً ، فصعدت هاجر الصفا ، فنظرت فلم تر شيئاً ، ثم أتت المروة فنظرت فلم تر شيئاً ، ثم رجعت إلى الصفا ، فنظرت فلم تر شيئاً ، حتى فعلت ذلك سبع مرات ، فقالت : يا إسماعيل ، مُتْ حيث لا أراك . فأنته وهو يفحص^(٣) برجله من العطش ، فنادها جبرائيل ، فقال : مَنْ أَنْتِ ؟ قالت : أنا هاجر ، أم ولد إبراهيم ، قال : إلى مَنْ وَكَلَّمَا ؟ قالت : وكلنا إلى الله ، قال : وَكَلَّمَا إلى كَافٍ ، قال : ففحص الغلام الأرضَ بإصبعه ، فنبعت زمزم ، فجعلت تحبس الماء ، فقال : دعيه ، فإنها رواء^(٤) .

٢٧٦/١

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما عهد الله إلى إبراهيم وإسماعيل : أن طهرا بيتي للطائفين ، انطلق إبراهيم حتى أتى مكة ، فقام هو وإسماعيل ، وأخذ المعاول لا يدريان أين البيت ، فبعث الله عز وجل ريحاً يقال لها ريح الحججوج لها جناحان ورأس في صورة حية ، فكنست لهما ما حول الكعبة عن أساس البيت الأول ، واتبعاها بالمعاول يحفران حتى وضعا الأساس ، فذلك حين نقول عز وجل : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾^(٥) .

٢٧٧/١

(١) ر : « أتى » .

(٢) ر : « على » .

(٣) يفحص برجله ، أي يبحث ويزيل التراب عن حفرة .

(٤) الرواء : الماء العذب ، والخبر في التفسير ٣ : ٦٨ .

(٥) سورة الحج ٢٦ .

وحدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن الحسن بن عُمارة ، عن سماك بن حرب ، عن خالد بن عرعة ، عن عليّ ابن أبي طالب عليه السلام أنه كان يقول : لما أمر الله إبراهيمَ بعمارة البيت والأذان بالحج في الناس خرج من الشام ومعه ابنه إسماعيل ، وأم إسماعيل هاجر ، وبعث الله معه السكينة ، وهي ريح^(١) لها لسان تكلم به ، يغدو معها إبراهيم إذا غدت ، ويروح معها إذا راحت ، حتى انتهت به إلى مكة ، فلما أتت موضع البيت استدارت به ، ثم قالت لإبراهيم : ابن عليّ ، ابن عليّ ، ابن عليّ ، فوضع إبراهيم الأساس ورفع البيت هو وإسماعيل ، حتى انتهيا^(٢) إلى موضع الركن ، قال إبراهيم لإسماعيل : يا بنيّ ، ابغ لي حجراً أجعله علماً للناس ، فجاءه بحجر ، فلم يرضه وقال : ابغني غير هذا ، فذهب إسماعيل ليتمس^(٣) له حجراً ، فجاءه وقد^(٤) أتى بالركن ، فوضعه في موضعه ، فقال : يا أبت ، من جاءك بهذا الحجر ؟ قال : من لم يكلتي إليك يا بنيّ .

• • •

وقال آخرون : إن الذي خرج مع إبراهيم من الشام لدلالته على موضع البيت جببرئيل عليه السلام ، وقالوا : كان إخراجه هاجر وإسماعيل إلى مكة لما كان من غير سارة بسبب ولادة هاجر منه إسماعيل .
• ذكر من قال ذلك :

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي بالإسناد الذي قد ذكرناه أن سارة قالت لإبراهيم : تسرّ هاجر^(٥) ، فقد أذنت لك فوطئها ، فحملت بإسماعيل ، ثم إنه وقع على سارة فحملت بإسحاق ، فلما ولدته^(٦) وكبر اقتتل هو وإسماعيل ، فغضبت سارة

(١) كذا في ا ، وفي ط : « ريح » ، وفي ب : « وريحا » .

(٢) ر ، س ، ن : « انتهى » .

(٣) ب ، ر : « يلتمس » .

(٤) ط : « فقد » ، وما أثبتته عن ا .

(٥) ط : « بهاجر » ، وما أثبتته عن ا ، ر ، ن .

(٦) ا ، س : « ولد له » .

على أمّ إسماعيل ، وغارت عليها ، فأخرجتها ، ثم إنها دعيتها فأدخلتها . ثم غضبت أيضاً فأخرجتها ثم أدخلتها . وحلفت لتقطعنّ منها بضعة . فقالت : أقطع أذنفا . أقطع أذنفا ، فيشيتها ذلك ، ثم قالت : لا بل أخفيضا^(١) ، فمضت ذلك منها . فاتخذت هاجر عند ذلك ذبيلاً تعنى به عن الدم ، فلذلك خفضت النساء ، واتخذت ذبيلاً . ثم قالت : لا تساكينني في بلد . وأوحى الله إلى إبراهيم أن يأتي مكة . وليس يومئذ بمكة بيت . فذهب بها إلى مكة وابنها فوضعهما ، وقالت له هاجر : إلى من تركتنا^(٢) هاهنا ؟ ثم ذكر خبرها ، وخبر ابنها .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة . عن ابن إسحاق ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي نعيم . عن مجاهد وغيره من أهل العلم أن الله عز وجل لما بوأ إبراهيم مكان البيت ومعالم الحرم . فخرج وخرج معه جبرئيل ، يقال : كان لا يمر بقربة إلا قال : بهذه أمرت يا جبرئيل ؟ فيقول : جبرئيل : امضه . حتى قدم به مكة . وهي إذ ذاك عيساء سلم وسدر . وبها أناس يقال لهم العماليق . خارج مكة وما حولها . والبيت يومئذ ربوة حمراء مدرة ، فقال إبراهيم لجبرئيل : أهنا هنا أمرت أن أضعهما ؟ قال : نعم ، فعسدا بهما ٢٧٩ / ١ . ووضع الحجر . وأنزلهما فيه . وأمر هاجر أم إسماعيل أن تتخذ فيه عريشاً فقال : يا ربنا إني أشكيت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرعٍ عند بيتك المحرم . إلى - ^(٣) ^(٤) ^(٥) ثم انصرف إلى أهله بالشام وتركهما عند البيت . قال : فظنى إسماعيل ظمأ شديداً . فالتمس له أمه ماء فلم تجده . فاستسعت^(٤) : هل تسمع صوتاً ؟ لتلمس له شرباً . فسمعت كالصوت عند الصفا ، فأقبلت حتى قامت عليه فلم تر شيئاً ، ثم سمعت صوتاً نحو المروة ،

(١) الخفض المحارية . مثل الختان نصبي .

(٢) ر : « تركنا » .

(٣) سورة إبراهيم ٣٨ .

(٤) في كتابها . ن . وفي ط : « فاستسعت » .

فأقبلت حتى قامت عليه فلم تر شيئاً ، ويقال : بل قامت على^(١) الصفا تدعو الله وتستغيثه لإسماعيل ، ثم عمدت إلى المروة ففعلت ذلك . ثم إنها سمعت أصوات سباع الوادي نحو إسماعيل حيث تركته ، فأقبلت إليه تشتد ، فوجدته يفحص الماء بيده من عين قد انفجرت من تحت يده ، فشرب منها ، وجاءتها أم إسماعيل فجعلتها^(٢) حسياً ، ثم استقت منها في قربتها تذخره لإسماعيل ، فلولا الذي فعلت ما زالت زمزم معيناً طاهراً ماؤها أبداً . قال مجاهد : ولم نزل نسمع أن زمزم هزيمة^(٣) جبرئيل بعقبه لإسماعيل حين ظمى .

حدثني يعقوب بن إبراهيم والحسن بن محمد ، قالا : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن أيوب ، قال : نُبِّئْتُ عن سعيد بن جبير أنه حدث عن ابن عباس أن أول من سعى بين الصفا والمروة لأم إسماعيل ، وأن أول من أحدث من نساء العرب جرّ الذبول لأم إسماعيل . قال : لما فرّت من سارة أرخت ذيلها^(٤) لتعفى أثرها ، فجاء بها إبراهيم ومعها إسماعيل حتى انتهى بهما إلى موضع البيت ، فوضعهما ثم رجع ، فاتبعته فقالت : إلى أي شيء نكلنا ؟ إلى طعام نكلنا ؟ إلى شراب نكلنا ؟ لا يرد عليها شيئاً ، فقالت : آله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذا لا يضيعنا ، قال : فرجعت ومضى حتى إذا استوى على ثنية كداء ، أقبل على الوادي فقال : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ... ﴾ الآية . قال : ومع الإنسانية^(٥) شنة فيها ماء ، فنفذ الماء ، فعطشت فانقطع لبنها ، فعطش الصبي فنظرت : أي الجبال أدنى إلى الأرض ، فصعدت الصفا فسمعت : هل تسمع صوتاً ، أو ترى أنيساً ؟^(٦) فلم تسمع شيئاً فانحدرت ، فلما

(١) ا : « عند » .

(٢) ن : « فوجدتها » ، والحصى : حفيرة قريبة القمر ؛ ولا يكون إلا في أرض أسفلها حجارة وفوقها رمل ؛ فإذا مطرت نشفه الرمل ؛ فإذا انتهى إلى الحجارة أمسكته ، وجمعه أحساء .

(٣) هزيمة جبريل ؛ أي ضرب برجله فانخفض المكان فنبع الماء . النهاية لابن الأثير ٤ : ٢٤٨

(٤) ا : « أرخت من ذيلها » .

(٥) ر : « هاجر » .

(٦) س : « إنسا » .

أنت على الوادى سعت - وما تريد السعى - كالإنسان المجهود الذى يسعى
وما يريد السعى ، فنظرت أى الجبال أدنى إلى الأرض ، فصعدت المرؤة ،
فسمعت : هل تسمع صوتاً أو ترى أنيساً^(١) ؟ فسمعت صوتاً ، فقالت
كالإنسان الذى يكذب سمعه : صه ! حتى استيقنت ، فقالت : قد أسمعنى
صوتك فأغثنى ، فقد هلكت وهلك منى ، فجاء الملك بها حتى انتهى
بها إلى موضع زمزم ، فضرب بقدمه ففارت عيناً ، فعجلت^(٢) الإنسانة تُفرغ
فى شنتها^(٣) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله أم إسماعيل ، لولا
أنها عجلت لكانت زمزم عيناً معيناً » .

٢٨١/١

وقال لها الملك : لا تخافى الظمأ على أهل هذا البلد ، فإنها عين يشرب^(٤)
ضيفان الله منها ، وقال : إن أبا هذا الغلام سيبنى فى بينان لله بيتاً هذا موضعه .
قال : ومرت رُفقة من جرهم تريد الشام ، فرأوا الطير على الجبل ، فقالوا :
إن هذا الطير لعائف^(٥) على ماء ، فهل علمتم بهذا الوادى من ماء ؟ فقالوا : لا ،
فأشرفوا فإذا هم بالإنسانة ، فأتوها فطلبوا إليها أن ينزلوا معها ، فأذنت لهم ،
قال : وأتى عليها ما يأتى على هؤلاء الناس من الموت ، فماتت وتزوج إسماعيل
امرأة منهم ، فجاء إبراهيم فسأل عن منزل إسماعيل حتى دلَّ عليه فلم يجده ،
ووجد امرأة له^(٦) فظنة غليظة ، فقال لها : إذا جاء زوجك فقولى له : جاء^(٧)
ها هنا شيخ من صفته كذا وكذا ، وأنه يقول لك : إني لا أرضى لك عتبة
بابك فحوها ، وانطلق^(٨) . فلما جاء إسماعيل أخبرته فقال : ذلك أبى ،
وأنت عتبة بابى . فطلقها ، وتزوج امرأة أخرى منهم^(٩) ، وجاء إبراهيم حتى

٢٨٢/١

(١) س : « أنيساً » .

(٢) ا : « فجعلت » .

(٣) ر : « شنها » ، والشن والشنه : القربة .

(٤) ط : « لشرب » ، وما أثبتته من ؟

(٥) قال أبو عبيدة : « العائف هنا : الذى يتردد على الماء ويحوم ولا يمشى » . وانظر

اللسان ٦٣ : ١٦٩ .

(٦) ن : « امرأته » .

(٧) ر : « كان » .

(٨) كذا فى ا ، ن ، وفى ط : « فانطلق » .

(٩) ن : « منهن » .

انتهى إلى منزل^(١) إسماعيل فلم يجده ووجد امرأة له سهلة طليقة^(٢) فقال لها : أين انطلق زوجك ؟ فقالت : انطلق إلى الصيد ، قال : فما طعامكم ؟ قالت : اللحم والماء ، قال : اللهم بارك لهم في لحمهم ومائهم ، ثلاثاً . وقال لها : إذا جاء زوجك فأخبريه ؛ قولي^(٣) له جاء هاهنا شيخ من صفته كذا وكذا ، وإنه يقول لك : قد رضيتُ لك عتبة بابك ، فأثبتها ، فلما جاء إسماعيل أخبرته ، قال : ثم جاء الثالثة ، فرفعا القواعد من البيت^(٤) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا يحيى بن عباد ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : جاء إبراهيم نبي الله بإسماعيل وهاجر فوضعهما بمكة في موضع زمزم ، فلما مضى نادته هاجر : يا إبراهيم ، إنما^(٥) أسألك ثلاث مرات : مَنْ أَمْرُكَ أَنْ تَضَعَنِي بِأَرْضٍ لَيْسَ فِيهَا زَرْعٌ وَلَا ضَرْعٌ وَلَا أَنْيسٌ وَلَا مَاءٌ وَلَا زَادٌ ؟ قال : ربِّي أَمْرُنِي ، قالت : فإنه لن يضيعنا ، قال : فلما قفا إبراهيم قال : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمَ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ﴾ يعني من الحزن ﴿ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾^(٦) . فلما ظمى إسماعيل جعل يدحس^(٧) الأرض بعقبه فذهبت هاجر حتى علت الصفا ، والوادي يومئذ لاخٍ - يعني عميق - فصعدت الصفا ، فأشرفت لتنظر : هل ترى شيئاً ؟ فلم تر شيئاً ، فأنحدرت فبلغت الوادي ، فسعت فيه حتى خرجت منه ، فأنت المروة فصعدت فاستشرفت : هل ترى شيئاً ؟ فلم تر شيئاً ، ففعلت ذلك سبع مرات ، ثم جاءت من المروة إلى إسماعيل ، وهو يدحس الأرض بعقبه ، وقد نبعت العين

٢٨٣/١

(١) ن : « موضع » .

(٢) ١ ، « طليقة » ، والطلقة والطلاقة : المستبشرة .

(٣) ط : « فقولي » وما أثبتته عن ١ والتفسير .

(٤) الخبر في التفسير ٣ : ١٥٢ (بولاق) .

(٥) ط : « أنا » وما أثبتته من ١ والتفسير .

(٦) سورة إبراهيم ٣٨ .

(٧) دحس الأرض : أثار غبارها ؛ وفي ١ والتفسير : « دحس » ، وهما بمعنى .

وهي زمزم ، فجعلت تفحص الأرض بيدها عن الماء ، وكلما^(١) اجتمع ماء أخذته بقدرها ، فأفرغته في سقاها ، قال : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يرحمها الله ! لو تركتها لكانت عيناً سائحة تجرى إلى يوم القيامة » .

قال : وكانت جرهم يومئذ بواد قريب من مكة ، قال : ولزمت الطير الوادي حين رأت الماء ، فلما رأت جرهم الطير لزمت الوادي ، قالوا : ما لزمته إلا وفيه ماء . فجاءوا إلى هاجر ، فقالوا : لو شئت كنا معك وآسنالك والماء ماؤك ، قالت : نعم ! فكانوا معها حتى شب إسماعيل وماتت هاجر . فتزوج إسماعيل امرأة من جرهم ، قال : فاستأذن إبراهيم سارة أن يأتي هاجر ، فأذنت له ، وشرطت عليه ألا ينزل . وقد ماتت هاجر - إلى بيت إسماعيل ، فقال لامرأته : أين صاحبك ؟ قالت : ليس ها هنا ، ذهب يتصيد ، وكان إسماعيل يخرج من الحرم فيتصيد ثم يرجع ، فقال إبراهيم : هل عندك^(٢) ضيافة ؟ هل عندك طعام أو شراب ؟ قالت : ليس عندي وما عندي أحد ، قال إبراهيم : إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام ، وقولي له : فليغير عتبة بابه ، وذهب إبراهيم وجاء إسماعيل : فوجد ربيع أبيه فقال لامرأته : هل حاءك أحد^(٣) ؟ قالت : جاءني شيخ صفته كذا - وكذا كالمستخفة بشأنه - قال : فما قال لك ؟ قالت : قال لي : أقرئي زوجك السلام . وقولي له : فليغير عتبة بابه ، فطلقتها وتزوج أخرى . فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث . ثم استأذن سارة أن يزور إسماعيل ، فأذنت له واشترطت عليه ألا ينزل ، فجاء إبراهيم حتى انتهى إلى باب^(٤) إسماعيل ، فقال لامرأته : أين صاحبك ؟ قالت : ذهب يتصيد وهو يحيى الآن إن شاء الله ، فانزل يرحمك الله ! قال لها : هل عندك ضيافة ؟ قالت : نعم ، قال : هل عندك خبز أو بر أو شعير أو تمر ؟ قال : فجاءت باللبن واللحم ، فدعا لهما^(٥) بالبركة ، فلو جاءت يومئذ بخبز

(١) ط والتفسير : « فكلما » وما أثبت من ا

(٢) س : « عندكم » .

(٣) ن : « شيخ » .

(٤) س : « مكان » .

(٥) ر ، س : « لهما » .

أو بُرٌّ أو شعير أو نمر لكانت أكثر أرض الله برًّا وشعيراً وتمراً ، فقالت (١) :
انزل حتى أغسل رأسك ، فلم ينزل ، فجاءته بالمقام فوضعت عن شقه الأيمن ،
فوضع قدمه عليه فبقي أثر قدمه عليه ، فغسلت شق رأسه الأيمن ، ثم حولت
المقام إلى شقه الأيسر ، فغسلت شقه الأيسر ، فقال لها : إذا جاء زوجك
فأقرئيه السلام ، وقولي له : قد استقامت عتبة بابك . فلما جاء إسماعيل وجد
ريح أبيه ، فقال لامرأته : هل جاءك أحد ؟ قالت : نعم ، شيخ أحسن الناس
وجهًا وأطيبهم ريحًا ، فقال لي : كذا وكذا ، وقلت له : كذا وكذا ، وغسلت رأسه ،
وهذا موضع قدميه على المقام ، قال : وما قال لك ؟ قالت : قال لي : إذا جاء
زوجك فأقرئيه السلام ، وقولي له : قد استقامت عتبة بابك ، قال ذلك إبراهيم ،
فلبث ما شاء الله أن يلبث وأمره (٢) الله عز وجل ببناء البيت ، فبناه هو وإسماعيل ،
فلما بنياه قيل : ﴿ اذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ (٣) ، فجعل لا يمرُّ بقوم إلا قال : يا أيها
الناس ، إنَّه قد بُني لكم بيت فحجوه ، فجعل لا يسعه أحد ، لا صخرة ولا
شجرة ولا شيء إلا قال : لبيك اللهم لبيك . قال : وكان بين قوله : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي
أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ ، وبين قوله :
﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ (٤) كذا وكذا
عمًا ، لم يحفظ عطاء (٥) .

حدثني محمد بن سنان ، قال : حدثنا عبيد الله بن عبد المجيد أبو علي
الحنفي ، قال : أخبرنا إبراهيم بن نافع ، قال : سمعت كثير بن كثير يحدث عن
سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : جاء - يعني إبراهيم - فوجد إسماعيل
بُصِّلِح نَبَلًا لَهُ مِنْ وَرَاءِ زَمْزَمَ ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : يَا إِسْمَاعِيلُ ، إِنْ رَبُّكَ قَدْ
أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ لَهُ بَيْتًا ، فَقَالَ لَهُ إِسْمَاعِيلُ : فَاطِعِ رَبُّكَ فِيمَا أَمَرَكَ ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ :

٢٨٦/١

(١) ر : « عل » .

(٢) ط : « فأمره » ، وما أثبتته من التفسير .

(٣) سورة الحج ٢٧ .

(٤) سورة إبراهيم ٣٧ ، ٣٩ .

(٥) الخبر في التفسير ١٣ : ١٥٢ - ١٥٣ (بولاق) .

قد أمرك أن تُعينني عليه قال : إذا أفعل ، قال : فقام معه ، فجعل إبراهيم بينه وإسماعيل يناوله الحجارة ويقولان : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾^(١) ، فلما ارتفع البنيان وضعف الشيخ عن رفع الحجارة قام على حجر ، وهو مقام إبراهيم ، فجعل يناوله ويقولان : ﴿ تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾^(٢) .

فلما فرغ إبراهيم من بناء البيت الذي أمره الله عز وجل ببنائه ، أمره الله أن يؤذن في الناس بالحج ، فقال له : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾^(٣) . فقال إبراهيم - فيما ذكر لنا - ما حدثنا به ابن حميد قال : حدثنا جرير ، عن قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : لما فرغ إبراهيم من بناء البيت ، قيل له : أذن في الناس بالحج ، قال : يارب ، وما يبلغ صوتي ؟ قال : أذن وعلى البلاغ ، فنادى إبراهيم : يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْحَجُّ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ، قَالَ : فَسَمِعَهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ : أَفَلَا تَرَى النَّاسَ يَجْهِثُونَ مِنْ أَقْصَى الْأَرْضِ يَلْبَثُونَ !

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان الضبي ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما بنى إبراهيم البيت أوحى الله عز وجل إليه : أن أذن في الناس بالحج ، قال : فقال إبراهيم : أَلَا إِنَّ رَبِّي كَمَا قَدْ اتَّخَذَ بَيْتًا ، وَأَمْرُكُمْ أَنْ تَحْجُّوهُ . فَاسْتَجَابَ لَهُ مَا سَمِعَهُ مِنْ شَيْءٍ ، مِنْ حَجَرٍ أَوْ شَجَرٍ أَوْ أَكْمَةٍ أَوْ تَرَابٍ أَوْ شَيْءٍ : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ^(٣) !

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا الحسين بن واقد ، عن أبي الزبير ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ ، قال : قام إبراهيم عليه السلام خليل الله على الحجر فنادى :

(١) سورة البقرة ١٢٧ والحج في التفسير ٣ : ٦٨ .

(٢) سورة الحج ٢٧ .

(٣) الخبر في التفسير ١٧ : ١٠٦ (بولاق) .

يأبها الناس ، كتب عليكم الحج ، فاستمع مَنْ في أصلاب الرجال وأرحام النساء ، فأجابه مَنْ آمن ممن سبق في علم الله أن يحجَّ إلى يوم القيامة : لبَّيتك اللهم لبَّيتك^(١) !

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا سُفيان ، عن سلمة ، عن مجاهد ، قال : قيل لإبراهيم : أذن في الناس بالحج ، فقال : يا رب ، كيف أقول ؟ قال : قل : لبَّيتك اللهم لبَّيتك ، قال : فكانت أول التلبية^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عمر ابن عبد الله بن عروة ؛ أن عبد الله بن الزبير قال لعبيد بن عمير الميبي : كيف بلغك أن إبراهيم دعا إلى الحج ؟ قال : بلغني أنه لما رفع هو وإسماعيل قواعد البيت ، وانتهى إلى ما أراد الله من ذلك ، وحضر الحج استقبل اليمين ، فدعا إلى الله وإلى حجِّ بيته فأجيب : أن لبَّيتك اللهم لبَّيتك ! ثم استقبل المشرق فدعا إلى الله وإلى حجِّ بيته فأجيب : أن لبَّيتك اللهم ! ثم إلى المغرب فدعا إلى الله وإلى حجِّ بيته ، فأجيب : أن لبَّيتك اللهم لبَّيتك ! ثم إلى الشام فدعا إلى الله عزَّ وجلَّ وإلى حجِّ بيته فأجيب أن لبَّيتك اللهم لبَّيتك ؛ ثم خرج بإسماعيل وهو معه يوم التروية ، فنزل به منى ومن معه من المسلمين ، فصلَّى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة ، ثم بات بهم حتى أصبح ، فصلَّى بهم صلاة الفجر ، ثم غدا بهم إلى عرفة ، فقال بهم هنالك ، حتى إذا مالت الشمس جمَّع بين الصلاتين : الظهر والعصر ، ثم راح بهم إلى الموقف من عرفة ، فوقف بهم على الأراك^(٣) ، وهو الموقف من عرفة الذي يقف عليه الإمام يُرِيه ويعلمه ، فلما غربت الشمس دفع به وبمن معه حتى أتى المزدلفة ، فجمع فيها بين الصلاتين : المغرب والعشاء الآخرة ، ثم بات بها^(٤) وبمن معه ، حتى إذا طلع الفجر صلَّى بهم صلاة الغداة ، ثم وقف به على قُزَح من المزدلفة فيمن معه ، وهو الموقف

(١) الخبر في التفسير ١٧ : ١٠٦ (بولاق) .

(٢) الخبر في التفسير ١٧ : ١٠٦ (بولاق) .

(٣) الأراك : من مواقف عرفة ، بعضه من جهة الشام وبعضه من اليمن .

(٤) كذا في ١ ، في ط : « به » .

الذي يقف به الإمام حتى إذا أسفر آدفع به ويمن معه يُريه ويعلمه كيف يصنع ، حتى رمى الجمرَةَ الكبرى ، وأراه المنحَر من منى ، ثم نحر وحلق ، ثم أفاض به من منى لبُريته كيف يطوف ، ثم عاد به إلى منى لبُريته كيف يرمى الجمار ، حتى فرغ له من الحج وأذن به في الناس .

• • •

قال أبو جعفر : وقد رُوِيَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن بعض أصحابه أن جبرئيل هو الذي كان يُرى إبراهيم المناسك إذا حج . ٢٨٩/١

ذكر الرواية بذلك عن رسول الله :

حدثنا أبو كريب . قال : حدثنا عبيد الله بن موسى - وحدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى - قال : أخبرنا ابن أبي ليلى . عن ابن أبي مليكة ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أتى جبرئيل إبراهيم يوم التروية فراح به إلى منى ، فصلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والفجر بمنى ، ثم غدا به إلى عرفات ، فأنزله الأراك - أو حيث ينزل الناس - فصلّى به الصلاتين جميعاً : الظهر والعصر ، ثم وقف به حتى إذا كان كأعجل ما يصلّى أحدٌ من الناس المغرب ، فأفاض حتى أتى به جمعاً ، فصلّى به الصلاتين جميعاً : المغرب والعشاء ، ثم أقام حتى إذا كان كأعجل ما يصلّى أحدٌ من الناس الفجر صلّى به ، ثم وقف حتى إذا كان كأبطأ ما يصلّى أحدٌ من المسلمين الفجر أفاض به إلى منى ، فرمى الجمرَةَ ، ثم ذبح وحلق ، ثم أفاض إلى البيت ، ثم أوحى الله عزّ وجلّ إلى محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَنْ أَتْبِعْ مِثْلَهُ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(١) .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عمران بن محمد بن أبي ليلى ، قال : حدثني أبي ، عن عبد الله بن أبي مليكة ، عن عبد الله بن عمرو ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه .

• • •

(١) سورة النحل ١٢٣ .

ثم إن الله تعالى ذكره ابتلى خليفه إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه .
واختلف السلف من علماء أمة نبينا صلى الله عليه وسلم في الذي أمر
إبراهيم بذبحه من ابنيه ، فقال بعضهم : هو إسحاق بن إبراهيم ، وقال ٢٩٠/١
بعضهم : هو إسماعيل بن إبراهيم ، وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلا القولين ، لو كان فيهما صحيح لم تعدّه إلى غيره ، غير أن الدليل من
القرآن على صحة الرواية التي رويت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « هو
إسحاق » أوضح وأبين منه على صحة الأخرى .

والرواية التي رويت عنه أنه قال : « هو إسحاق » حدثنا بها أبو كريب ،
قال : حدثنا زيد بن الحباب ، عن الحسن بن دينار ، عن علي بن زيد بن
جُدعان ، عن الحسن ، عن الأحنف بن قيس ، عن العباس بن عبد المطلب ، عن
النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكر فيه : ﴿ وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾^(١)
قال : « هو إسحاق »^(٢) .

وقد روى هذا الخبر عن غيره من وجه أصح من هذا الوجه ، غير أنه
موقوف على العباس غير مرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب قال : حدثنا ابن يمان ، عن مبارك ، عن الحسن ،
عن الأحنف بن قيس ، عن العباس بن عبد المطلب : ﴿ وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾
قال : « هو إسحاق »^(٣)

وأما الرواية التي رويت عنه أنه هو إسماعيل ، فما حدثنا محمد بن عمار
الرازي ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة ، قال : حدثنا عمر بن
عبد الرحيم الخطابي ، عن عبد الله بن محمد العنبي من ولد عتبة بن أبي سفيان ،
عن أبيه ، قال : حدثني عبد الله بن سعيد ، عن الصنابحي ، قال : كنا عند معاوية

(١) سورة الصافات ١٠٧ .

(٢) الخبر في التفسير ٢٣ : ٥١ (بولاق) . (٣) الخبر في التفسير ٢٣ : ٥١ (بولاق) .

ابن أبي سفيان ، فذكروا الذبيح : إسماعيل أو إسحاق ؟ فقال : على الخبير سقطتم ، كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءه رجل فقال : يا رسول الله ، عدّ عليّ مما أفاء الله عليك يا بن الذبيحين ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبل له : وما الذبيحان يا رسول الله ؟ فقال : (إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله : لئن سهل الله له أمرها ليدبحنّ أحد ولده) ، قال : فخرج السهم على عبد الله ، ففداه بأخواله وقالوا : أفد ابنك بمائة من الإبل ، ففداه بمائة من الإبل وإسماعيل الثاني (١) .

• • •

ونذكر الآن من قال من السلف إنه إسحاق ، ومن قال إنه إسماعيل .

• ذكر من قال هو إسحاق :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن مبارك ، عن الحسن ، عن الأحنف بن قيس ، عن العباس بن عبد المطلب : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ قال : هو إسحاق .

حدثنا الحسين بن يزيد الطحّان ، قال : حدثنا ابن إدريس ، عن داود ابن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : الذي أمر بذبحه إبراهيم هو إسحاق . ٢٩١/١

حدثني يعقوب ، قال : حدثنا ابن عليه ، عن داود ، عن عكرمة ، قال : قال ابن عباس : الذبيح هو إسحاق .

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ قال : هو إسحاق .

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، قال : افتخر رجل عند ابن مسعود ، فقال : أنا فلان ابن فلان ابن الأشياخ الكرام ، فقال عبد الله : ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ، ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله .

(١) الخبر في التفسير ٢٣ : ٥٤ (بولاق) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا إبراهيم بن المختار ، قال : حدثنا محمد ابن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر، عن الزهري ، عن العلاء بن جارية الثقفى ، عن أبي هريرة، عن كعب ، في قوله : ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال : من ابنه إسحاق .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن محمد بن مسلم الزهري ، عن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفى ، حليف بنى زهرة ، عن أبي هريرة ، عن كعب الأحبار ، أن الذى أمر بذبحة إبراهيم من ابنه إسحاق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب، أن عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بن جارية الثقفى ، أخبره أن كعباً قال لأبي هريرة: ألا أخبرك عن إسحاق بن إبراهيم النبي ؟ قال أبو هريرة: بلى ، قال كعب : لما أرى^(١) إبراهيم ذبح إسحاق، قال الشيطان : والله لئن لم أفن عند هذا آل إبراهيم لا أفن أحداً منهم أبداً ، فتمثل الشيطان لهم رجلاً يعرفونه ، فأقبل حتى إذا خرج إبراهيم بإسحاق ليذبحه دخل على سارة امرأة إبراهيم، فقال لها: أين أصبح إبراهيم غادياً بإسحاق؟ قالت: غدا لبعض حاجته ، قال الشيطان : لا والله ما لذلك غدا به، قالت سارة : فلم غدا به؟ قال: غدا به ليذبحه ، قالت سارة : ليس من ذلك شيء ، لم يكن ليذبح ابنه، قال الشيطان : بلى والله ، قالت سارة : فلم يذبحه؟ قال : زعم أن ربه أمره بذلك ، قالت سارة : فهذا حسن^(٢) بأن يطيع ربه إن كان أمره بذلك . فخرج الشيطان من عند سارة حتى أدرك إسحاق وهو يمشى على أثر أبيه ، فقال له : أين أصبح أبوك غادياً بك؟ قال : غدا بي لبعض حاجته ، قال الشيطان : لا والله، ما غدا بك لبعض حاجته ، ولكنه^(٣) غدا بك ليذبحك .

(١) ب ، ن : «لما أرى» .

(٢) كذا فى ا ، ن ، وفى ط : «فهذا أحسن» .

(٣) ن : «وإنما» .

قال إسحاق : ما كان أبي ليذبحني ، قال : بلى ، قال : لم ؟ قال : زعم أن ربه أمره بذلك . قال إسحاق : فوالله لئن أمره بذلك لبسطيعنه ، فتركه الشيطان وأسرع إلى إبراهيم ، فقال : أين أصبحت غادياً بابنك ؟ قال : غدوت به لبعض حاجتي ، قال : أما والله ما غدوت به إلا لتذبحه ، قال : لم أذبحه ؟ قال : زعمت أن ربك أمرك بذلك ، قال : فوالله لئن كان أمرني ربي لأفعلن ، قال : فلما أخذ إبراهيم إسحاق ليذبحه وسلم إسحاق أعفاه الله ، وفداه بذبح عظيم . قال إبراهيم لإسحاق : قم أي بُنَيَّ ، فإن الله قد أعفاك ، فأوحى الله إلى إسحاق : إني أعطيتك دعوة أستجيب لك فيها ، قال إسحاق : اللهم فإني أدعوك أن تستجيب لي : أبما عبدٍ لقيتكَ من الأولين والآخرين لا يشرك بك شيئاً فأدخله الجنة^(١) .

٢٩٤/١

حدثني عمرو بن علي ، قال ، حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا سفيان ، عن زيد بن أسلم ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، عن أبيه ، قال : قال موسى : يا رب ، يقولون يا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فيم قالوا ذلك ؟ قال : إن إبراهيم لم يعدل بي شيئاً قط إلا اختارني عليه ، وإن إسحاق جاد لي بالذبح وهو بغير ذلك أجود ، وإن يعقوب كلما زدته بلاء زادني حسن ظن .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا مؤمل ، قال : حدثنا سفيان ، عن زيد بن أسلم ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، عن أبيه قال : قال موسى : أي ربِّ بمَ أعطيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما أعطيتهم ؟ فذكر نحوه .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن ابن سابط ، قال : هو إسحاق .

٢٩٥/١

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان عن سفيان ، عن أبي سنان الشيباني ، عن ابن أبي الهذيل ، قال : الذبيح هو إسحاق .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا سفيان بن عتبة ، عن حمزة الزيات ، عن أبي إسحاق ، عن أبي مبصرة ، قال : قال يوسفُ للملك في وجهه ترغب

(١) الخبر في التفسير ٥٥/٢٣ (بولاق) .

أَنْ تَأْكُلَ مَعِيَ ، وَأَنَا وَاللَّهُ يَوْسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ نَبِيَّ اللَّهِ بْنِ إِسْحَاقَ ذَبِيحِ اللَّهِ
ابن إبراهيم خليل الله !

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي سنان ،
عن ابن أبي الهذيل ، قال : قال يوسف للملك ، فذكر نحوه .

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا
أسباط ، عن السدي ، في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن
ابن عباس - وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ، أن إبراهيم عليه السلام أرى في المنام فقيل له : أوف
بذرك^(١) الذي نذرت : إن رزقك الله غلاماً من سارة أن تدبجه .

حدثني يعقوب ، قال : حدثنا هشيم ، قال : حدثنا زكرياء وشعبة ، عن
أبي إسحاق ، عن مسروق في قوله : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ قال :
هو إسحاق .

• • •

• ذكر من قال هو إسماعيل :

حدثنا أبو كريب وإسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : حدثنا
يحيى بن يمان ، عن إسرائيل ، عن ثوير^(٢) . عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قال : ٢٩٦/١
الذبيح إسماعيل .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا يحيى ، قال : حدثنا سفيان ، قال :
حدثنا بيان ، عن الشعبي ، عن ابن عباس : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ،
قال : إسماعيل .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا أبو حمزة
محمد بن ميمون السكري عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس

(١) : « بذرك » .

(٢) وهو ثوير من أبي فاضة أبو الجهم الكوفي ؛ ذكر ابن حجر في التهذيب ٢ : ٣٩ أن
إسرائيل من روى عنه . وفي ب : « ثور » وهو خطأ .

قال : إن الذي أمر بذبحة إبراهيم إسماعيل .

حدثني يعقوب ، قال : حدثنا هشيم ، عن علي بن زيد ، عن عمار مولى
بنى هاشم ، وعن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس قال : هو إسماعيل ، يعني :
﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ .

حدثني يعقوب ، قال : حدثنا ابن عبيّة ، قال : حدثنا داود ، عن الشعبي ،
قال : قال ابن عباس : هو إسماعيل .

وحدثني به يعقوب مرة أخرى ، قال : حدثنا ابن عبيّة ، قال : سئل
داود بن أبي هند : أي ابني إبراهيم أمر بذبحة ؟ فزعم أن الشعبي قال : قال
ابن عباس : هو إسماعيل .

حدثنا ابن المنثري ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ،
عن بيان ، عن الشعبي ، عن ابن عباس ، أنه قال في الذي ، فداه الله بذبحة
عظيم ، قال : هو إسماعيل . ٢٩٧/١

حدثنا يعقوب ، قال : حدثنا ابن عبيّة ، قال : حدثنا ليث ، عن مجاهد
عن ابن عباس ، قوله : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ، قال : هو إسماعيل .

وحدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : ، حدثنا ابن وهب ، قال : أخبرني
عمر بن قيس ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن عبد الله بن عباس ، أنه قال : المفدى
إسماعيل ، وزعمت اليهود أنه إسحاق ، وكذبت اليهود .

وحدثني محمد بن سنان القزاز ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن مبارك ،
عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس : الذي فداه الله عز وجل
قال : هو إسماعيل .

حدثني محمد بن سنان ، قال : حدثنا حجاج ، عن حماد ، عن أبي
عاصم الغنوي ، عن أبي الطفيل ، عن ابن عباس مثله .

حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : حدثني خالد بن عبدالله ، عن داود ،
عن عامر ، قال : الذي أراد إبراهيم ذبحه إسماعيل .

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثني عبد الأعلى ، قال : حدثنا داود ، عن
عامر أنه قال في هذه الآية ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ، قال : هو إسماعيل ، قال :
وكان قرنا الكبش منوطين بالكعبة .

٢٩٨/١

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن إسرائيل ، عن جابر ،
عن الشعبي ، قال : الذبيح إسماعيل .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن إسرائيل ، عن جابر ،
عن الشعبي ، قال : رأيت قرني الكبش في الكعبة .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن مبارك بن فضالة ، عن
علي بن زيد بن جُدعان ، عن يوسف بن مهران ، قال : هو إسماعيل .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، قال : حدثنا سفيان ، عن
ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، قال : هو إسماعيل .

حدثني يعقوب ، قال : حدثنا هشام ، قال : أخبرنا عوف ، عن الحسن :
﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ، قال : هو إسماعيل .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : سمعت
محمد بن كعب القرظي وهو يقول : إن الذي أمر الله عز وجل إبراهيم بذبحه
من ابنه إسماعيل ، وإنا لنجد ذلك في كتاب الله عز وجل في قصة الخبر
عن إبراهيم وما أمر به من ذبح ابنه ، أنه إسماعيل ، وذلك أن الله عز وجل
يقول حين فرغ من قصة المذبوح من ابنه إبراهيم قال : ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ
نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ^(١) ويقول : ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ

بِقُوبٍ^(١)، يقول : بابن وابن ابن ، فلم يكن يأمره بذبح إسحاق ، وله فيه
من الله من الموعود ما وعده ، وما الذي أُمير بذبحه إلا إسماعيل^(٢) .

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة، قال : حدثنا محمد بن إسحاق،
عن بُرَيْدَةَ بن سفيان بن فروة الأسلمي، عن محمد بن كعب القرظي، أنه حدثهم
أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز ، وهو خليفة إذ كان معه بالشام ، فقال له
عمر : إن هذا لشيء ما كنتُ أنظر فيه ، وإني لأراه كما قلت ، ثم أرسل إلى
رجل كان عنده بالشام كان يهودياً فأسلم ، فحسن إسلامه ، وكان يرى أنه من
علماء اليهود . فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك . قال محمد بن كعب
القرظي : وأنا عند عمر بن عبد العزيز ، فقال له عمر : أي ابني إبراهيم أمير بذبحه ؟
فقال : إسماعيل ؛ والله يا أمير المؤمنين ، إن يهود لتعلم بذلك ، ولكنهم
يخسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه ،
والفضل الذي ذكره الله منه لصبره على ما أمير به ، فهم يمجحون ذلك ، ويزعمون
أنه إسحاق ، لأن إسحاق أبوهم^(٣) .

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الحسن بن دينار
وعمر بن عبيد ، عن الحسن بن أبي الحسن البصري، أنه كان لا يشك في ذلك
أن الذي أمر بذبحه من ابني إبراهيم إسماعيل .

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة، قال : قال محمد بن إسحاق : سمعت

محمد بن كعب القرظي يقول ذلك كثيراً . ٣٠٠/١

• • •

وأما الدلالة من القرآن التي قلنا إنها على أن ذلك إسحاق أصح ، فقوله تعالى
مخبراً عن دعاء خليله إبراهيم حين فارق قومه مهاجراً إلى ربه إلى الشام مع زوجته

(١) سورة هود ٧١

(٢) الخبر في التفسير ١٣ : ٥٤ (بولاق)

(٣) الخبر في التفسير ٢٣ : ٥٢ (بولاق)

سارة، فقال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ . رَبُّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٢)، وذلك قبل أن يعرف هاجر، وقبل أن تصير له أم إسماعيل، ثم أتبع ذلك ربنا عز وجل الخبر عن إجابته دعاءه، وتبشيره^(٣) إياه بغلام حلیم، ثم عن رؤيا إبراهيم أنه يذبح ذلك الغلام حين بلغ معه السعوى، ولا يُعلم في كتاب ذكر^(٤) لتبشير إبراهيم بولده ذكر إلا بإسحاق، وذلك قوله: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ﴾^(٥) وقوله: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ . فَأَقْبَلَتْ أَمْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾^(٦) ثم ذلك كذلك في كل موضع ذكر فيه تبشير إبراهيم بغلام، فإنما ذكر تبشير الله إياه به من زوجته سارة، فالواجب أن يكون ذلك في قوله: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾^(٨) نظير^(٩) ما في سائر سور القرآن من تبشيره إياه به من زوجته سارة .

• • •

وأما اعتلال من اعتل بأن الله لم يكن يأمر إبراهيم بذبح إسحاق، وقد أتته البشارة من الله قبيل ولادته بولادته وولادة يعقوب منه من بعده، فإنها علته غير موجبة صحة ما قال، وذلك أن الله إنما أمر إبراهيم بذبح إسحاق بعد إدراك إسحاق السعوى . وجائز^(١٠) أن يكون يعقوب وُلد له قبل أن يؤمر أبوه بذبحه، وكذلك لا وجه لاعتلال من اعتل في ذلك بقرن الكبش أنه رآه معلقاً في الكعبة، وذلك أنه غير مستحيل أن يكون حُمِلَ من الشام إلى الكعبة فعلق هنالك .

٢٠١/١

- | | |
|-------------------|---|
| (١) ا : قال . | (٢) سورة الصافات ٩٩ ، ١٠٠ . |
| (٣) ن : بتبشيره . | (٤) ط : في كتاب الله عز وجل تبشير إبراهيم . |
| (٥) سورة هود ٧١ . | (٦) سورة الذاريات ٢٨ ، ٢٩ . |
| (٧) ر : ذكر . | (٨) سورة الصافات ١٠١ . |
| (٩) ر : نظيرها . | (١٠) ر : وجاز . |

ذكر الخبر عن صفة فعل إبراهيم
وابنه الذي أمر بذبحه فيما كان أمر به من ذلك
والسبب الذي من أجله أمر إبراهيم بذبحه

والسبب في أمر الله عز وجل إبراهيم بذبح ابنه الذي أمره بذبحه
فما ذكر أنه إذ فارق قومه هارباً بدينه مهاجراً إلى ربه متوجّهاً إلى الشام
من أرض العراق دعا^(١) الله أن يهب له ولداً ذكراً صالحاً من سارة فقال :
﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [يعنى بذلك ولداً صالحاً من الصالحين^(٢)] كما
أخبر الله تعالى عنه فقال : ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّهْدِينِ . رَبِّ هَبْ
لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ . فلما نزل به أضيافه من الملائكة الذين كانوا أرسلوا إلى
المؤتفة قوم لوط بشره بسلام حلیم عن أمر الله تعالى إياهم بتبشيره ، فقال
إبراهيم إذ بشر به : هو إذاً لله ذبيح . فلما ولد الغلام وبلغ السعي قيل له :
أوفِ بنذرك الذي نذرت لله .

• ذكر من قال ذلك :

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثني عمرو بن حماد ، قال : حدثنا
أسباط ، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك . وعن أبي صالح ، عن ابن
عباس - وعن مرة الحميداني ، عن عبد الله - وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال : قال جبرئيل عليه السلام لسارة : أبشري بولد اسمه إسحاق ،
ومن وراء إسحاق يعقوب . فضربت جبينها عجباً ، فذلك قوله : ﴿ فَصَكَتُ
وَجْهَهَا ﴾^(٣) . وقالت : ﴿ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ
عَجِيبٌ • قَالُوا أَمْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةً لِلَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ

(١) ر : « إلى الله » .

(٢) تكملة من ١ .

(٣) سورة الذاريات ٢٩

الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿١﴾ . قالت سارة لجبرائيل : ما آية ذلك ؟
 فأخذ بيده عوداً يابساً فلواه بين أصابعه فاهتز أخضر ، فقال إبراهيم : هو إذا
 لله ذبيح ، فلما كبر إسحاق أتى^(٢) إبراهيم في النوم فقيل له : أوف بنذرك الذي
 نذرت ، إن رزقك الله غلاماً من سارة أن تذبحه . فقال لإسحاق : انطلق فقرب
 قرباناً إلى الله . وأخذ سكيناً وحبلًا ، ثم انطلق معه حتى إذا ذهب به بين الجبال
 قال له الغلام : يا أبت ، أين قربانك ؟ قال : يا بني إني أرى في المنام أني
 أذبحك فانظر ماذا ترى . قال : يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من
 الصابرين ، قال له إسحاق : اشدد رباطي حتى لا أضطرب واكفف عن^(٣)
 ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء ففراه سارة فتحزن ، وأسرع مرَّ
 السكين على حلقى ليكون أهونَ للموت على ، وإذا أتيت سارة فاقرا عليها
 السلام . فأقبل عليه إبراهيم عليه السلام يقبله وقد ربطه وهو يبكي ، وإسحاق
 يبكي ، حتى استنقع الدموع تحت خد إسحاق ، ثم إنه جرَّ السكين على
 حلقه فلم يُحِكْ^(٤) السكين ، وضرب الله عزَّ وجلَّ صفيحة من نحاس على حلق
 إسحاق ، فلما رأى ذلك ضرب به على جبينه ، وحزَّ في قفاه قوله عزَّ وجلَّ :
 ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾^(٥) . يقول : سلما لله الأمر ، فنودي : يا إبراهيم
 قد صدقت الرؤيا بالحق . التفت ، فإذا بكبش ، فأخذه وخلصه عن ابنه ، فأكبَّ
 على ابنه يقبله وهو يقول : يا بني اليوم وُهِبَ لِي ، فذلك قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ
 بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ . فرجع إلى سارة فأخبرها الخبر ، فجزعت سارة وقالت : يا إبراهيم ،
 أردت أن تذبح ابني ولا تعلمني^(٦) !

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال :
 كان إبراهيم فيما يقال إذا زارها - يعني هاجر - حميل على البراق يغدو من

(٢) ط : « أرى » ، وما أثبتته عن ا ، ن .

(٤) لم يحك : لم يقطع .

(٦) الخبر في التفسير ٢٣ : ٤٩ (بولاق) .

(١٨)

(١) سورة هود ٧٢ ، ٧٣

(٣) ا : ه عنى ه .

(٥) سورة الصافات ١٠٣

الشام ، فيقبل بمكة ، ويروح من مكة ، فبييت عند أهله بالشام ، حتى إذا بلغ معه السعي ، وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يأمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرمانه أرى في المنام أن يذبحه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق عن بعض أهل العلم أن إبراهيم حين أمر بذبوح ابنه قال له : يا بني خذ الحبل والمدية ، ثم انطلق بنا إلى هذا الشعب ليحطب^(١) أهلك منه ، قبل أن يذكر له شيئاً مما أمر به . فلما وجه إلى الشعب اعترضه عدو الله إبليس ليصدّه عن أمر الله في صورة رجل ، فقال : أين تريد أيها الشيخ ؟ قال : أريد هذا الشعب لحاجة لي فيه ، فقال : والله إنى لأرى الشيطان قد جاءك في منامك ، فأمرك بذبوح بنيك هذا ، فأنت تريد ذبحه ، فعرفه إبراهيم ، فقال : إليك عنى ، أى عدو الله ، فوالله لأمضين لأمر ربي فيه ، فلما يش عدو الله إبليس من إبراهيم اعترض إسماعيل وهو وراء إبراهيم يحمل الحبل والشفرة ، فقال له : يا غلام هل تدري أين يذهب بك أبوك ؟ قال : يحطب^(٢) أهلنا من هذا الشعب ، قال : والله ما يريد إلا أن يذبحك ، قال : ليم ؟ قال : زعم أن ربه أمره بذلك ، قال : فليفعل ما أمره به ربه ، فسمعاً وطاعة . فلما امتنع منه الغلام ذهب إلى هاجر أم إسماعيل وهي في منزلها ، فقال لها : يا أم إسماعيل ، هل تدري أين ذهب إبراهيم بإسماعيل ؟ قالت : ذهب به يحطبنا^(٣) من هذا الشعب ، قال : ما ذهب به إلا ليذبحه ، قالت : كلاً هو أرحم به وأشد حباً له من ذلك ، قال : إنه يزعم أن الله أمره بذلك ، قالت : إن^(٤) كان ربه أمره بذلك فتسليماً لأمر الله . فرجع عدو الله بغيظه لم يصب من آل إبراهيم شيئاً مما أراد ، وقد امتنع^(٥) منه إبراهيم وآل إبراهيم بعون الله ، وأجمعوا^(٦) لأمر الله بالسمع والطاعة ،

(١) ن : « لئحتطب لأهلك » .

(٢) ر ، ن : « يحطب لأهلنا » .

(٣) ن : « ليحطب لنا » .

(٤) ا : « فإن » .

(٥) ط : « قد امتنع » ، وما أثبتته عن ا .

(٦) ر : « واجتمعوا » .

فلما خلا إبراهيم بابنه في - الشعب وهو فيما يزعمون شعب ثبير - قال له : يا بني ،
إني أرى في المنام أني أذبحك قال : يا أبت افعل ما تؤمر ، ستجدني إن شاء الله
من الصابرين .

قال ابن حميد : قال سلمة : قال محمد بن إسحاق عن بعض أهل
العلم : إن إسماعيل قال له عند ذلك : يا أبت إن أردت ذبحي فاشدد رباطي
لا يُصيبك^(١) مني شيء فينقص أجرى ، فإن الموت شديد ، وإني لا آمن
أن اضطربَ عنده إذا وجدت مسه ، واشحذْ شفرتك حتى تُجهز على فتربخي ،
وإذا أنت أضجعتني لتذبخني فكبتي لوجهي على جبيني ولا تُضجعتني لشيء ،
فإني أخشى إن أنت نظرت في وجهي أن تدركك رقة تحولُ بينك وبين أمر
الله في ، وإن رأيت أن ترد قميصي على أمي فإنه عسى أن يكون هذا أسلتي
لها عني ، فافعل . قال : يقول له إبراهيم : نعم العون أنت يا بني على أمر
الله . قال : فربطه كما أمره إسماعيل فأوثقه ، ثم شحذ شفرته ثم تله للجبين
واتى النظر في وجهه ، ثم أدخل الشفرة حلقة فقلها الله لقفها في يده ، ثم اجتنبها
إليه ليفرغ منه ، فنودي : أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ، هذه ذبيحتك فداء
لابنك فاذبحها دونه ، يقول الله عز وجل ، ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ ، وإنما
تتل الذبائح على حدودها ، فكان مما صدق عندنا هذا الحديث عن إسماعيل
في إشارته على أبيه بما أشار إذ قال : كبني على وجهي قوله : ﴿ وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ .
وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ • قَدْ صَدَّقَتِ الرُّوْيَا إِنَّا كَذَلِك نَجْرِي الْمُحْسِنِينَ • ٣٠٦/١
إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ • وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن
دينار ، عن قتادة بن دِعامَة ، عن جعفر بن إياس ، عن عبد الله بن عباس ،
قال : خرج عليه كبش من الجنة قد رعاها قبل ذلك أربعين خريفاً ، فأرسل
إبراهيم ابنه فاتبع الكبش ، فأخرجه إلى الحجرة الأولى فرماه بسبع حصيات ،

(١) ن : « حتى لا يصيبك » .

(٢) سورة الصافات ١٠٣ - ١٠٧ .

فأفلته عنده ، فجاء الجمرة الوسطى ، فأخرجه عندها ، فرماه بسبع حصيات ، ثم أفلته فأدركه عند الجمرة الكبرى ، فرماه بسبع حصيات ، فأخرجه عندها ، ثم أخذه فأتى به المنحرم من منى فدبجه ، فوالذى نَفَسُ ابن عباس بيده ، لقد كان أول الإسلام ، وإن رأس الكبش لمعلّق بقرنيه فى ميزاب الكعبة ، وقد وَخَس - يعنى قد يبس .

حدثنى محمد بن سنان القزاز ، قال : حدثنى حجاج ، عن حماد ، عن أبى عاصم الغنوى ، عن أبى الطفيل ، قال : قال ابن عباس : إن إبراهيم لما أمر بالمناسك عَرَضَ له الشيطان عند المسمى^(١) فسابقه ، فسبقه إبراهيم ، ثم ذهب به جبرئيل عليه السلام إلى جمرة العقبة ، فعرض له الشيطان ، فرماه بسبع حصيات ، حتى ذهب ، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى ، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم تله للجبين ، وعلى إسماعيل قميص أبيض ، فقال له : يا أبت إنه ليس لى ثوب تكفنى^(٢) فيه غير هذا فاخلعه عنى ، فأكفنتى فيه ، فالتفت إبراهيم عليه السلام فإذا هو بكبش أعين أبيض أقرن فدبجه ، فقال ابن عباس : لقد رأيتنا نتبع هذا الضرب من الكبش^(٣) .

٣٠٧/١

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : حدثنى أبوه عاصم ، قال : حدثنا عيسى وحدثنى الحارث ، قال : حدثنا الحسن ، قال ، حدثنا ورقاء ، جميعاً عن ابن أبى نجيب ، عن مجاهد ، قوله : ﴿ وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ ، قال : وضع وجهه للأرض قال : لا تدبجنى وأنت تنظر إلى وجهى عسى أن ترحمنى ؛ فلا تجهز على ، اربط يدي إلى رقبتي ، ثم ضع وجهى للأرض .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن جابر ، عن أبى الطفيل ، عن على عليه السلام : ﴿ وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ، قال : كبش أبيض أقرن أعين مربوط بيسمر^(٤) فى ثبير .

(١) ر : « المسمى » .

(٢) ر : « تكفى » .

(٣) الخبر فى التفسير ٢٣ : ٥١ (بولاقي) .

(٤) سمر ، كرجل : من شجر الغضاه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن جُريج ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ، قال : كبش . قال عبيد بن عمير : ذبح بالمقام ، . وقال مجاهد : ذبح بمنى في المنحر .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا سفيان ، عن ابن خُثَيم ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : الكبش الذي ذبحه إبراهيم عليه السلام هو الكبش الذي قرّبه ابن آدم فتقبل منه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبیر : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ، قال : كان الكبش الذي ذبحه إبراهيم رعى في الجنة أربعين سنة ، وكان كبشاً أملح ، صوفه مثل العهن الأحمر .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن رجل ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ، قال : كان وعيلاً .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمرو ابن عبيد ، عن الحسن أنه كان يقول : ما فُديَ إسماعيلُ إلا بتيس كان من الأروى ، أهبط عليه من ثبير ، وما يقول الله : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ لذبيحته فقط ، ولكنه الذبح على دينه ، فتلك السنة إلى يوم القيامة ، فاعلموا أن الذبيحة تدفع ميتة السوء ، فضحوا عباد الله .

وقد قال أمية بن أبي الصلت في السبب الذي من أجله أمر إبراهيم بذبح ابنه شعراً ، ويحقق بقيله ما قال في ذلك الرواية التي رويناها عن السدي ، وأن ذلك كان من إبراهيم عن نذر كان منه ، فأمره الله بالوفاء به ، فقال :

وَلِإِبْرَاهِيمَ الْمُؤْتَى بِاللَّذْرِ
رِاحْتِسَابًا وَحَامِلِ الْأَجْزَالِ (١)

(١) الأبيات في خزنة الأدب ٢ : ٥٤٢ مع اختلاف في الرواية .

بِكْرِهِ لَمْ يَكُنْ لِيَصْبِرَ عَنْهُ أَوْ يَرَاهُ فِي مَعَشَرِ أَقْبَالِ
 أَيْ بُنَى إِيَّيْ نَذَرْتُكَ لِلْمَشْجِيطِ فَأَصْبِرْ فِدَى لَكَ خَالِي (١)
 وَاشْدُدِ الصَّفَدَ لَا أَحِيدُ عَنِ السُّكَّانِ حَيْدَ الْأَسِيرِ ذِي الْأَغْلَالِ
 وَلَهُ مُدِيَّةٌ تَخَابِلُ فِي اللَّحْمِ جُدَامٌ حَنِيئَةٌ كَالِهَلَالِ
 بَيْنَمَا يَخْلَعُ السَّرَائِيلَ عَنْهُ فَكَّهُ رَبُّهُ بِكَبْشِ جُلَالِ
 فَحَدَّنْ ذَا أَرْسِلِ ابْنَكَ إِيَّيْ لِلَّذِي قَدْ فَعَلْتُمَا غَيْرُ قَالَ
 وَالِدٌ يَتَّقِي وَآخِرُ مَوْلُو دُ فَطَارَ أَمِنْهُ بِسَمْعِ فَعَالِ (٢)
 رُبَّمَا تَجْزَعُ النُّفُوسُ مِنَ الْأَمْرِ لَهُ فَرَجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ

٢٠٩/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا الحسين
 — يعنى ابن واقد — عن زيد ، عن عكرمة : قوله عز وجل : ﴿ فَأَمَّا أُسْلَمًا ﴾ :
 قال : أسلما جميعاً لأمر الله ؛ رضى الغلام بالذبح ورضى الأب بأن يذبحه .
 قال : يا أبت اقدنى لوجه كيلا تنظر إلى فترحمنى ، وأنظر أنا إلى الشفرة
 فأجزع ، ولكن أدخل الشفرة من تحتى ، وامض لأمر الله ، فذلك قوله تعالى :
 ﴿ فَلَمَّا أُسْلِمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ ، فلما فعل ذلك ناديناہ ﴿ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ
 صَدَقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

. . .

[ذكر ابتلاء الله إبراهيم بكلمات]

وكان ممن امتحن الله به إبراهيم عليه السلام وابتلاه به - بعد ابتلائه إياه بما
 كان من أمره وأمر نمرود بن كوش ، ومحاولته إحراقه بالنار وابتلائه بما كان
 من أمره إياه بذبح ابنه ، بعد أن بلغ معه السعى ورجا نفعه ومعاونته على
 ما يقربه من ربه عز وجل ورفع القواعد من البيت ، ونسكه المناسك - ابتلاؤه
 جل جلاله بالكلمات التى أخبر الله عنه أنه ابتلاه بهن فقال : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى

(١) كذا فى ا ، ر ، و فى ط : « حال » .

(٢) السمع : الذكر الجميل . وفى الحزاة : « بسمع معال » .

إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ فَاتِمَّهِنَّ ﴿١﴾

• • •

وقد اختلف السلف من علماء الأمة في هذه الكلمات التي ابتلاه الله بهن فأتَمَّهِنَّ ، فقال بعضهم : ذلك ثلاثون سهماً ، وهي شرائع الإسلام .

٣١٠/١

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن المنثري ، قال : حدثنا عبد الأعلى ، قال : حدثنا داود ، عن عكرمة : عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ ، قال : قال ابن عباس : لم يُبْتَلْ أحد بهذا الدين فأقامه إلا إبراهيم عليه السلام ، ابتلاه الله تعالى بكلمات فاتمهن ، قال : فكتب الله تعالى له البراءة فقال : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ ^(٢) : عشرٌ منها في الأحزاب ، وعشرٌ منها في براءة ، وعشرٌ منها في المؤمنين ، وسأل سائل ، وقال : إن هذا الإسلام ثلاثون سهماً .

حدثنا إسحاق بن شاهين الواسطي ، قال : حدثنا خالد الطحان ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ما ابتُلِيَ أحد بهذا الدين فقام به كله غير إبراهيم عليه السلام ، ابتُلِيَ بالإسلام فاتمته ، فكتب الله له البراءة فقال : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ ، فذكر عشرًا في براءة ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ ﴾ ^(٣) وعشرًا في الأحزاب : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ ^(٤) وعشرًا في سورة المؤمنين ، إلى قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ ^(٥) ، وعشرًا في سأل سائل : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ ^(٦) .

(٢) سورة النجم ٣٧

(٤) سورة الأحزاب ٣٥

(٦) سورة المارج ٣٤

(١) سورة البقرة ١٢٤

(٣) سورة التوبة ١١٢

(٥) سورة المؤمنين ٩

وحدثني عبد الله بن أحمد المروزي، قال : حدثنا علي بن الحسن ، قال :
حدثنا خارجة بن مصعب ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ،
قال : الإسلام ثلاثون سهمًا ، وما ابتلى أحد بهذا الدين فأقامه إلا إبراهيم ،
قال الله تعالى : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ ، فكتب الله له براءة من النار .

• • •

وقال آخرون : ذلك عشر خصال من سنن الإسلام ، خمس منهن في
الرأس . وخمس في الجسد .
• ذكر من قال ذلك :

حدثني الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا
معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ ، قال : ابتلاه الله عز وجل بالطهارة : خمس في الرأس
وخمس في الجسد : في الرأس قصُّ الشارب ، والمضمضة ، والاستنشاق ، والسواك ، وفرق
الرأس . وفي الجسد تقليم الأظفار ، وحلق العانة ، والحتان ، ونتف الإبط ، وغسل أثر
الغائط والبول بالماء .

حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحاق ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، عن
معمر ، عن الحكم بن أبان ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن ابن عباس بمثله ،
غير أنه لم يذكر أثر البول .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا سليمان بن حرب ، قال : حدثنا أبو هلال ،
قال : حدثنا قتادة في قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ ،
قال : ابتلاه بالحتان ، وحلق العانة ، وغسل القبل والدبر ، والسواك ، وقص الشارب ،
وتقليم الأظفار ، ونتف الإبط . قال أبو هلال : ونسيت خصلة .

حدثني عبدان المروزي ، قال : حدثنا عمار بن الحسن ، قال : حدثنا
عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن مطر ، عن أبي الجليل^(١) ، قال : ابتلى

(١) ط « أبو خالد » تصحيف ، والصواب ما أثبتته من ١ والتفسير ٣ : ٩ .

إبراهيم عليه السلام بعشرة أشياء من في الإنسان^(١) سنة : المضمضة ، والاستنشاق ،
وقص الشارب ، والسواك ، ونتف الإبط ، وتقليم الأظفار ، وغسل البراجم ، والختان ،
وحلق العانة ، وغسل الدبر والفرج .

• • •

وقال آخرون نحو قول هؤلاء ، غير أنهم قالوا : ست من العشر في جسد
الإنسان ، وأربع منهن في المشاعر .
• ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحاق ، قال : حدثنا محمد بن حرب ،
قال : حدثنا ابن لهيعة ، عن ابن هبيرة ، عن حنّش ، عن ابن عباس في
قوله عز وجل : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ ، قال : ست
في الإنسان وأربع في المشاعر ، فالتى في الإنسان : حلق العانة ، والختان ، ونتف
الإبط ، وتقليم الأظفار ، وقص الشارب ، والغسل يوم الجمعة . وأربع في المشاعر :
الطواف ، والسعي بين الصفا والمروة ، ورمي الجمار ، والإفاضة .

• • •

وقال آخرون : [بل]^(٢) ذلك قوله : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ، ومناسك الحج .
• ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن إدريس ، قال : سمعت إسماعيل
ابن أبي خالد ، عن أبي صالح : قوله : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ ،
منهن إني جاعلك للناس إماماً وآيات النسك^(٣) .

حدثني أبو السائب ، قال : حدثنا ابن إدريس قال : سمعت إسماعيل بن
أبي خالد ، عن أبي صالح ، مولى أم هانئ في قوله : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ
بِكَلِمَاتٍ ﴾ ، قال : منهن ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ، ومنهن آيات النسك

(١) ط : « الإسلام » وما أثبتته من ١ والتفسير .

(٢) من ١ ، ن والتفسير ٣ : ١٠ .

(٣) ر : « ومناسك الحج » .

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾^(١).

حدثني محمد بن عمرو ، قال : أخبرنا أبو عاصم ، قال : حدثني عيسى ابن أبي نجيع ، عن مجاهد في قوله : ﴿وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾^(٢) قال : قال الله لإبراهيم : إني مبتليك بأمر فما هو ؟ قال : تجعلني للناس إماماً ، قال : نعم ، ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ ، قال : تجعل البيت مثابة للناس ، قال : نعم ، قال : وتجعل هذا البلد أمناً ، قال : نعم ، [قال]^(٣) : وتجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمةً مسلمة لك ، قال : نعم ، [قال]^(٣) : وترينا مناسكنا وتوب علينا ، قال : نعم ، [قال]^(٣) : وترزق أهلنا من الثمرات من آمن [منهم]^(٣) ؟ قال : نعم^(٤) .

حدثني القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد بنحوه . قال ابن جريج : فاجتمع على هذا القول مجاهد وعكرمة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد : ﴿وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ ، قال : ابتلى بالآيات التي بعدها : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٢) .

حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبلى ، عن ابن أبي نجيع ، قال : أخبرني به عكرمة ، قال : فرضته على مجاهد فلم ينكره . ٣١٤/١

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي : الكلمات التي ابتلى بها إبراهيم : ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ

(٢) سورة البقرة ١٢٤ .

(٤) الخبر في التفسير ٣ : ١١ .

(١) سورة البقرة ١٢٧ .

(٣) من التفسير .

أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ • رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً
لَكَ وَأَرْنَا مَنَاسِكَكَ وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ • رَبَّنَا وَابْعَثْ
فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴿١﴾

حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ،
عن أبيه ، عن الربيع ، في قوله : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ ^(٢) قال :
الكلمات : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ^(٢) ، وقوله : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً
لِلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ ، وقوله : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ ^(٢) وقوله : ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ﴾ ^(٢) . الآية ، وقوله : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ .. ﴾ ^(٢)
الآية . قال فذلك كله من الكلمات التي ابتلى بها إبراهيم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال :
حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ ، قال : منهن ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ^(٢) ، ومنهن :
﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾ ، ومنهن الآيات في شأن المنسك
والمقام الذي جعل لإبراهيم ، والرزق الذي رزق ساكن البيت ، ومحمد صلى الله
عليه وسلم بعث في ذريتهما .

• • •

وقال آخرون : بل ذلك مناسك الحج خاصة .

• ذكر من قال ذلك :

٣١٥/١

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا سلم بن قتيبة ، قال : حدثنا عمر بن
نبهان ، عن قتادة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾
قال : مناسك الحج .

(١) سورة البقرة ١٢٧ - ١٢٩

(٢) سورة البقرة ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٧ .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان ابن عباس يقول في قوله : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ قال : هي المناسك .

حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه قال : بلغنا عن ابن عباس أنه قال : إنَّ الكلمات التي ابتلى بهن إبراهيم هي المناسك .

حدثني أحمد بن إسحاق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ ، قال : مناسك الحج .

حدثني ابن المشي ، قال : حدثني الحماني ، قال : حدثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، عن ابن عباس مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : قال ابن عباس : ابتلاه بالمناسك . ٢١٦/١

• • •

وقال آخرون : بل ابتلاه بأمور ، منهن الختان .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا سلم بن قتيبة ، عن يونس بن أبي إسحاق ، عن الشعبي : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ ، قال : منهن الختان .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا يونس ابن أبي إسحاق ، قال : سمعتُ الشعبي يقول . . . فذكر مثله .

حدثني أحمد بن إسحاق ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا يونس بن أبي إسحاق ، قال : سمعتُ الشعبي - وسأله أبو إسحاق عن قوله

عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ - قال : منهن الختان يا أبا إسحاق .

• • •

وقال آخرون : ذلك الخلال الست : الكوكب ، والقمر ، والشمس ، والنار ، والهجرة ، والختان ، التي ابتلى بهن أجمع فصبر عابهن .

ذكر من قال ذلك :

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عُلَيْيَّةَ ، عن أبي رَجَاءَ ، قال : قلت للحسن : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ ، قال : ابتلاه بالكوكب فرضى عنه ، وابتلاه بالقمر فرضى عنه ، وابتلاه بالشمس فرضى عنه ، وابتلاه بالنار فرضى عنه ، وابتلاه بالهجرة ، وابتلاه بالختان .

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيْعَ ، قال : حدثنا سَعِيدُ ، عن قتادة ، قال : كان الحسنُ يقول : إن الله ابتلاه بأمرٍ فصبر عليه ، وابتلاه بالكوكب والشمس والقمر ، فأحسن في ذلك ، وعرف أن ربه دائم لا يزول ، فوجه وجهه للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما كان من المشركين ؛ وابتلاه بالهجرة فخرج من بلاده وقومه حتى لحق بالشام مهاجراً إلى الله تعالى ؛ ثم ابتلاه بالنار قبل الهجرة فصبر على ذلك ، وابتلاه بذبح ابنه وبالختان^(١) ، فصبر على ذلك .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عمن سمع الحسن يقول في قوله : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ ، قال : ابتلاه [بذبح ولده ، وبالنار]^(٢) بالكوكب ، وبالشمس ، والقمر .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا سلم بن قُتَيْبَةَ ، قال : حدثنا أبو هلال عن الحسن : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ ، قال : ابتلاه بالكوكب ، وبالشمس ، والقمر ، فوجده صابراً .

(١) ط : « والختان » ، وما أثبتته من ١ ، والتفسير ٣ : ١٤

(٢) تكملة من التفسير ٣ : ١٤

حدثنا أحمد بن إسحاق بن المختار ، قال : حدثني غسان بن الربيع ،
قال : حدثنا عبد الرحمن - وهو ابن ثوبان - عن عبد الله بن الفضل ، عن
عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « اختن إبراهيم بعد ثمانين سنة بالقَدُوم » .

• • •

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الكلمات التي ابتلى بها إبراهيم
خبران :

أحدهما : ما حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا الحسن بن عطية ، قال :
حدثنا إسرائيل ، عن جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ قال : « أتدرون
ما وفى ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « وفى عمل يومه أربع ركعات
في النهار » .

والآخر منهما ما حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا رشدين بن سعد ،
قال : حدثنا زبانه بن فائد ، عن سهيل بن معاذ بن أنس ، عن أبيه ، قال :
كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليله
﴿ الَّذِي وَفَّى ﴾ ؟ لأنه كان يقول كلُّما أصبح وكلُّما أمسى : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ
تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ... ﴾ (١) حتى ختم الآية » (٢) .

فلما عرف الله تعالى من إبراهيم الصبر على كل ما ابتلاه به ، والقيام بكل
ما ألزمه من فرائضه ، وإيثاره طاعته على كل شيء سواها ، اتخذه خليلاً ،
وجعله لمن بعده من خلقه إماماً ، واصطفاه إلى خلقه رسولا ، وجعل في ذريته
النبوة والكتاب والرسالة ، وخصَّهم بالكتب المنزلة ، والحكم البالغة ، وجعل
منهم الأعلام والقادة والرؤساء والسادة ، كلُّما مضى منهم نجيب خلفه سيد
رفيع ، وأبقى لهم ذكراً في الآخرين ، فالأمم كلها تتولاه وتُثنى عليه ، وتقول
بفضله إكراماً من الله له بذلك في الدنيا ، وما ادَّخر له في الآخرة من الكرامة

(٢) الخبران في التفسير ٣ : ١٥ ، ١٦ .

(١) سورة الروم ١٧

أجلٌ وأعظمٌ من أن يحيط به وصف واصف .

• • •

[أمر نمرود بن كوش بن كنعان]

٣١٩/١ ورجع الآن إلى الخبر عن عدو الله وعدو إبراهيم الذي كذب بما جاء به من عند الله ، وردَّ عليه النصيحة التي نصحتها له جهلاً منه ، واغتراراً بحلم الله تعالى عنه ، نمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح ، وما آل إليه أمره في عاجل دنياه حين تمرد على ربه ، مع إملاء الله إياه ، وتركه تعجيل العذاب له على كفره به ، ومحاولة إحراق خليله بالنار حين دعاه إلى توحيد الله والبراءة من الآلهة والأوثان ، وأن نمرود لما تطاول عتوه وتمرده على ربه مع إملاء^(١) الله تعالى له - فيما ذكر - أربع مائة عام ، لا تزيده حجج الله التي يحتج بها عليه ، وعبره التي يُربها إياه إلا نمادياً في غيئه ، عذبه الله - فيما ذكر - في عاجل دنياه قدر إملائه إياه من المدة بأضعف خلقه ، وذلك بعوضة سلطها عليه [توغلت في خياشيمه فمكث أربع مائة سنة يعذب بها في حياته الدنيا] ^(٢).

• • •

• ذكر الأخبار الواردة عنه بما ذكرت من جهله وما أحلَّ الله به من نعمته :

حدثني الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن زيد بن أسلم ، أن أول جبار كان في الأرض نمرود ، وكان الناس يخرجون فيمتارون من عنده الطعام ، فخرج إبراهيم يمتار مع من يمتار ، فإذا مرَّ به ناس قال : من ربكم ؟ قالوا : أنت ، حتى مرَّ به إبراهيم ، قال : من ربك ؟ قال : ﴿ رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ ۗ ۝١٠٠ ﴾

٣٢٠/١

(٢) تكملة من ١ ، ن .

(١) : إملاء الله إياه .

فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴿١﴾ .
 قال : فردّه بغير طعام ، قال : فرجع إبراهيمُ إلى أهله فمرّ على كئيبٍ أَعْفَرٍ ﴿٢﴾ ،
 فقال : هلا آخذُ من هذا فأتي به أهلي فتطيبَ أنفسهم حين أدخل عليهم !
 فأخذ منه ، فأتى أهله . قال : فوضع متاعه ثم نام ، فقامت امرأته إلى متاعه
 ففتحتة فإذا هي بأجود طعام رآه أحدٌ ، فصنعت له منه ، فقربته إليه وكان
 عهد أهله ليس عندهم طعام - فقال : من أين هذا ؟ قالت : من الطعام
 الذي جئت به ، فعلم أن الله قد رزقه ، فحميد الله .

ثم بعث الله إلى الجبار ملكًا : أن آمن بي وأتركك على مالك ، قال :
 فهل ربّ غيري ؟ فجاءه الثانية فقال له ذلك ، فأبى عليه ، ثم أتاه الثالثة فأبى
 عليه ، فقال له الملك : اجمع جموعك إلى ثلاثة أيام ، فجمع الجبار جموعه ،
 فأمر الله الملك ، ففتح عليهم بابًا من البعوض ، فطلعت الشمس فلم يروها
 من كثرتها ﴿٣﴾ ، فبعثها الله عليهم ، فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ، فلم يبق
 إلا العظام ، والملك كما هو لم يُصبه من ذلك شيء ، فبعث الله عليه بعوضةً
 فدخلت في منخره ، فكث أربعمئة سنة يُضرب رأسه بالمطارق ، وأرحم الناس
 به من جمع يديه ثم ضرب بهما رأسه . وكان جبارًا أربعمئة عام ، فعذبه
 الله أربعمئة سنة كملكه وأماته الله ، وهو الذي بنى صرحًا إلى السماء ،
 فأتى الله بنيانه من القواعد ، وهو الذي قال الله : ﴿ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ
 الْقَوَاعِدِ ﴾ ﴿٤﴾

حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا
 أسباط ، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن
 ابن عباس - وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله

(١) سورة البقرة ٢٥٨ .

(٢) الكئيب الأعر : الرمل الأحمر .

(٣) ن : « كثرت » .

(٤) سورة النحل ٢٦ ، وانظر في التفسير ٥ : ٢٣٣ - ٢٣٤ .

عليه وسلم ، قال : أمر الذي حاج إبراهيم في ربه بإبراهيم ، فأخرج - يعني من مدينته - قال : فأخرج فلقي لوطاً على باب المدينة - وهو ابن أخيه - فدعاه فأمن به ، وقال : ﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ﴾^(١) ، وحلف نمرود أن يطلب إله إبراهيم ، فأخذ أربعة أفرخ من فراخ النور ، فربّاهن باللحم والخمر ، حتى إذا كبرن وغلظن واستعلجن ، قرهن بتابوت ، وقعد في ذلك التابوت ، ثم رفع رجلاً من لحم هن ، فطرن به ؛ حتى إذا ذهبن في السماء أشرف ينظر إلى الأرض ، فرأى الجبال تدب كدبيب النمل ، ثم رفع هن اللحم ، ثم نظر فرأى الأرض محيطاً بها بحر كأنها فلكة في ماء ، ثم رفع طويلاً فوق في ظلمة ؛ فلم ير ما فوقه ولم ير ما تحته ، ففزع فألقى اللحم فاتبعته منقضات ، فلما نظرت الجبال إليهن وقد أقبلن منقضات وسمعن حفيفهن فزعت الجبال ، وكادت أن تزول من أمكنتها ولم يفعلن ، وذلك قوله عز وجل : ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾^(٢) ، وهي في قراءة ابن مسعود : ﴿ وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ ﴾ فكان طيرانهم^(٣) به من بيت المقدس ، ووقعهن في ٣٢٢/١ جبل الدخان ، فلما رأى أنه لا يطيق شيئاً أخذ في بناء الصرح ، فبنى حتى إذا أسنده إلى السماء ارتقى فوقه ينظر - بزعمه - إلى إله إبراهيم ، فأحدث ولم يكن يحدث ، وأخذ الله بنيانه من القواعد : ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾^(٤) ، يقول : من مامنهم ، وأخذهم من أساس الصرح ، فتنقض [بهم]^(٥) . ثم سقطت فتبليت ألسن الناس من يومئذ من الفزع ، فتكلموا بثلاثة وسبعين لساناً ، فلذلك سميت بابل ، وإنما كان لسان الناس قبل ذلك السريانية^(٦) .

(١) سورة العنكبوت ٢٦

(٢) سورة إبراهيم ٤٦

(٣) ١ والتفسير : « طيور رهن » ؛ وما بمعنى .

(٤) سورة النحل ٢٦

(٥) تكلة من ١ والتفسير .

(٦) الخبر في التفسير ١٤ : ٦٦ ، ٦٧ (بولاق) .

حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا أبو داود الحفريّ ، عن يعقوب ، عن حفص بن حميد - أوجعفر - عن سعيد بن جبير : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ ، قال : نمرود صاحب النور ، أمر بتابوت فجعل وجعل معه رجلا . ثم أمر بالنور فاحتملته ، فلما صعد قال لصاحبه : أى شيء ترى ؟ قال : أرى الماء والجزيرة - يعنى الدنيا - ثم صعد وقال لصاحبه : أى شيء ترى ؟ قال : ما نزداد من السماء إلا بعداً ، قال : اهبط . وقال غيره : نُودى : أيها الطاغية . أين تريد ؟ فسمعت الجبال حفيف النور ، وكانت ترى أنه أمر من السماء فكادت تزول ، فهو قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ (١) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن أبي عدي ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن دانييل ، أن علياً عليه السلام قال في هذه الآية : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ ، قال : أخذ ذلك الذى حاج إبراهيم في ربه نسرين صغيرين ، فرباهما حتى استغلظا واستعلجا فشباً ، قال : فأوثق رجل كل واحد منهما بوتر إلى تابوت ، وجوعهما وقعد هو ورجل آخر في التابوت ، قال : ورفع في التابوت عصاً على رأسه اللحم ، فطارا ، وجعل يقول لصاحبه : انظر ماذا ترى ؟ قال : أرى كذا وكذا ، حتى قال : أرى الدنيا كأنها ذباب ، فقال : صوتب ، فصوتبها ، فهبطا . قال : فهو قوله عز وجل : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ . قال أبو إسحاق : ولذلك هي في قراءة عبد الله : ﴿ وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ ﴾ (٢) .

فهذا ما ذكر من خبر نمرود بن كوش بن كنعان .

• • •

وقد قال جماعة : إن نمرود بن كوش بن كنعان هذا ملك مشرق الأرض ومغربها ، وهذا قول يدفعه أهل العلم بسير الملوك وأخبار الماضين ، وذلك أنهم

(١) الخبر في التفسير ١٣ : ١٦١ (بولاق) .

(٢) الخبر في التفسير ١٣ : ١٦٠ (بولاق) .

لا يدفعون ولا ينكرون أن مولد إبراهيم كان في عهد الضحاك بن أندرماسب الذي قد ذكرنا بعض أخباره فيما مضى ، وأن ملك شرق الأرض وغربها يومئذ كان الضحاك . وقد قال بعض من أشكل عليه أمر نمرود ممن عرف زمان الضحاك وأسبابه فلم يدر كيف الأمر في ذلك مع سماعه ما انتهى إليه من الأخبار عن روى عنه أنه قال : ملك الأرض كافرين ومؤمنان ، فأما الكافرين فنمرود وبختنصر ، وأما المؤمنين فسليمان بن داود وذو القرنين . وقول القائلين من أهل الأخبار إن الضحاك كان هو ملك شرق الأرض وغربها في ٣٢٤/١ عهد إبراهيم نمرود : هو ^(١) الضحاك . وليس الأمر في ذلك عند أهل العلم بأخبار ^(٢) الأوائل ، والمعرفة بالأمور السوالف ، كالذى ظن ، لأن نسب نمرود في النبط معروف ، ونسب الضحاك في عجم الفرس مشهور ، ولكن ذوى العلم بأخبار الماضين وأهل المعرفة بأمور السالفين من الأمم ذكروا أن الضحاك كان ضم إلى نمرود السواد وما اتصل به يمنة ويسرة ، وجعله وولده عماله على ذلك ، وكان هو ينتقل ^(٣) في البلاد ، وكان وطنه الذى هو وطنه ووطن أجداده ^(٤) دُنباوند ، من جبال طبرستان ، وهناك رمى به أفريدون حين ظفر به وقهره موثقاً بالحديد . وكذلك ببختنصر كان أصهبند ما بين الأهواز إلى أرض الروم من غربى دجلة من قبل هُراسب ، وذلك أن هُراسب كان مشتغلاً بقتال الترك ، مقياً بإزائهم ببلخ ، وهو بناها - فيما قيل - لما تطاول مكثه هنالك لحرب الترك ، فظن من لم يكن عالماً بأمور القوم بتطاول مدة ولايتهم أمر الناحية لمن ولوا له أنهم كانوا هم الملوك . ولم يدع أحد من أهل العلم بأمور الأوائل وأخبار الملوك الماضية وأيام الناس فيما نعلمه أن أحداً من النبط كان ملكاً برأسه على شبر من الأرض ، فكيف يملك شرق الأرض وغربها ! ولكن العلماء من أهل الكتاب وأهل المعرفة بأخبار الماضين ومن قد عانى النظر في كتب التواريخ ، يزعمون أن ولاية نمرود إقليم بابل من قبيل الازدهارق بيوراسب دامت أربعمئة سنة ، ثم نرجل من نسله من بعد هلاك نمرود ، يقال ٣٢٥/١

(١) ر : « هو » . (٢) ط : « بالأخبار » ، وما أثبتته عن ا ، ر ، ن .

(٣) كذا في ا ، و ، ط : « ينتقل » . (٤) ن : « أولاده » .

له نَبَطَ بن قعود مائة سنة ، ثم لداوص^(١) بن نبط من بعد نبط ثمانين سنة ، ثم من بعد داوص بن نبط لبالش بن داوص مائة وعشرين سنة ، ثم لنمرود بن بالش من بعد بالش سنة وأشهرًا . فذلك سبعمائة سنة وسنة وأشهر ، وذلك كله في أيام الضحاك ، فلما ملك أفريدون وقهر الازدهاق قتل نمرود بن بالش وشرّد النَّبَطَ وطردهم ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، لما كان منهم من معاونتهم بيوراسب على أموره ، وعمل نمرود وولده له .

وقد زعم بعض أهل العلم أن بيوراسب قد كان قبل هلاكه تنكّر لهم .
وتغيّر عما كان لهم عليه .

• • •

[ذكر لوط بن هاران وقومه]

ونعود الآن إلى ذكر الخبر عن بقية الأحداث التي كانت في أيام إبراهيم صلى الله عليه وسلم .

وكان من الكائن أيام حياته من ذلك ما كان من أمر لوط بن هاران ابن تارخ ، ابن أخي إبراهيم عليهما السلام وأمر قومه من سدّوم . وكان مع أمره فيما ذكر أنه شخص من أرض بابل مع عمته إبراهيم خليل الرحمن ، مؤمنًا به ، متبعًا له على دينه ، مهاجرًا إلى الشام ، ومعهما سارة بنت ناحور . وبعضهم يقول : هي سارة بنت هيبال^(٢) بن ناحور . وشخص معهم - فيما قيل - تارخ أبو إبراهيم مخالفًا لإبراهيم في دينه ، مقيمًا على كفره حتى صاروا إلى حرّان ، فمات تارخ وهو [آزر]^(٣) أبو إبراهيم بحرّان على كفره وشخص إبراهيم ولوط وسارة إلى الشام ، ثم مضوا إلى مصر ، فوجدوا بها فرعونًا من فراعنتها ، ذكر أنه كان سنان بن علوان بن عبيد بن عويج^(٤) بن عملاق بن لاوذ^(٥) ابن سام بن نوح . وقد قيل إن فرعون مصر يومئذ كان أخًا للضحاك ، كان

٣٢٦/١

(١) ن : « ولداوص » ر « ولداوس » .

(٢) كذا في ا ، وفي ط : « هنال » .

(٣) تكلّة من ا .

(٤) ر : « عوج » .

(٥) ب : « لاوى » .

الضحاك وجهه إليها عاملا عليها من قبله - وقد ذكرتُ بعض قصته مع إبراهيم
فما مضى قبل - ثم رجعوا عوداً على بلدتهم إلى الشام. وذكر أن إبراهيم نزل فلسطين،
وأنزل ابن أخيه لوطاً الأردن، وأن الله تعالى أرسل لوطاً إلى أهل سدوم، وكانوا
أهل كفر بالله وركوب فاحشة، كما أخبر الله عن قوم لوط: ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ
الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ • أُنِيبْكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ
وَتَقَطُّونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ (١).

• • •

وكان قطعهم السبيل - فما ذكر - إتيانهم (٢) الفاحشة إلى من ورد بلدتهم.
• ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال
ابن زيد في قوله تعالى: ﴿ وَتَقَطُّونَ السَّبِيلَ ﴾، قال: السبيل طريق المسافر
إذا مر بهم، وهو ابن السبيل قطعوا به وعملوا به ذلك العمل الحبيث.

• • •

وأما إتيانهم ما كانوا يأتونه من المنكر في ناديهم، فإن أهل العلم اختلفوا
فيه، فقال بعضهم: كانوا يحذفون من مر بهم.
وقال بعضهم: كانوا يتضارطون في مجالسهم.
وقال بعضهم: كان بعضهم ينكح بعضاً فيها.
• ذكر من قال كانوا يحذفون من مر بهم:

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا عمر
ابن أبي زائدة، قال: سمعتُ عكرمة يقول في قوله: ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾،
قال: كانوا يؤذون أهل الطريق، يحذفون من مر بهم (٣).

(١) سورة النكبات ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) ب : « اتباعهم » .

(٣) الخبر في التفسير ٢٠ : ٩٣ (بولاق)

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن عمر بن أبي زائدة^(١) ، قال : سمعت
عكرمة ، قال : الحذف .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا
أسباط ، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن
عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ ، قال : كانوا كل من
مر بهم حذفوه ، وهو المنكر .

• ذكر من قال : كانوا يتضارطون في مجالسهم :

حدثني عبد الرحمن بن الأسود الطفاوي ، قال : حدثنا محمد بن ربيعة ،
قال : حدثنا روح بن غطيف الثقفي ، عن عمرو بن مصعب ، عن عروة
ابن الزبير ، عن عائشة في قوله تعالى : ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ ، قالت :
الضراط

• ذكر من قال كان يأتي بعضهم بعضاً في مجالسهم :

٣٢٨/١

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالا : حدثنا جرير ، عن منصور ، عن
مجاهد في قوله : ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ ، قال : كان بعضهم يأتي بعضاً
في مجالسهم .

حدثنا سليمان بن عبد الجبار ، قال : حدثنا ثابت بن محمد الليثي ، قال :
حدثنا فضيل بن عياض ، عن منصور بن المعتمر ، عن مجاهد في قوله :
﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ ، قال : كان يجامع بعضهم بعضاً في المجالس .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ،
عن مجاهد مثله .

(١) ط : « عمران بن زيد » ، والصواب ما أثبتته من أ .

(٢) كذا في أ ، وفي ط : « الظفاري » ، وانظر تهذيب التهذيب ٦ : ١٤٠ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : كانوا يجامعون الرجال في مجالسهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى .
وحدثني الحارث ، قال : حدثنا الحسن ، قال : حدثنا ورقاء ، جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَر ﴾ ، قال : المجالس ، والمنكر إتيانهم الرجال .

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَر ﴾ ، قال : كانوا يأتون الفاحشة في ناديتهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَر ﴾ قال : ناديتهم المجالس ، والمنكر عملهم الخبيث الذي كانوا يعملونه ، كانوا يعترضون الراكب فيأخذونه فيركبونه ، وقرأ : ﴿ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾^(١) وقرأ : ﴿ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾^(٢) .

وقد حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا إسماعيل بن علية ، عن ابن أبي نجيح ، عن عمرو بن دينار : قوله : ﴿ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ ، ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط .

• • •

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي قول من قال : عني بالمنكر الذي كانوا يأتونه في ناديتهم في هذا الموضع حذفهم من مر بهم وسخريتهم منه ، لتخبر الوارد بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي حدثناه أبو كريب وابن وكيع ، قالوا : حدثنا أبو أسامة ، عن حاتم بن أبي صغيرة ، عن سماك بن حرب ، عن أبي صالح مولى أم هانئ ، عن أم هانئ

(١) سورة النمل ٥٤ . (٢) سورة الأعراف ٨٠ .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ ، قال : كانوا يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم ، وهو المنكر الذي كانوا يأتونه (١)

حدثنا أحمد بن عبدة الضبي ، قال : حدثنا سليمان بن حيان ، قال : أخبرنا أبو يونس القشيري ، عن سماك بن حرب ، عن أبي صالح ، عن أم هانئ ، قالت : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله : ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ ، قال : كانوا يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم .

٢٣٠/١

حدثنا الربيع بن سليمان ، قال : حدثنا أسد بن موسى ، قال : حدثنا سعيد بن زيد ، قال : حدثنا حاتم بن أبي صغيرة ، قال : حدثنا سماك بن حرب ، عن باذام أبي صالح ، مولى أم هانئ ، عن أم هانئ ، قالت : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ ، فقال : كانوا يجلسون بالطريق فيحذفون أبناء السبيل ويسخرون منهم ، فكان لوط عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله ، وينهاهم بأمر الله إياه عن الأمور التي كرهها الله تعالى لهم من قطع السبيل وركوب الفواحش وإتيان الذكور في الأدبار ، ويتوعدهم - على إصرارهم على ما كانوا عليه مقيمين من ذلك وتركهم التوبة منه - العذاب الأليم فلا يزرهم عن ذلك وعيده ولا يزيدهم وعظه إلا تمادياً وعتوا واستعجالاً لعذاب الله ، إنكاراً منهم وعيده ، ويقولون له : ﴿اِئْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢) ، حتى سأل لوط ربه عز وجل النصر عليهم لما تناول عليه أمره وأمرهم وتماديهم في غيهم ، فبعث الله عز وجل لما أراد خزيهم وهلاكهم ونصرة رسوله لوط عليهم جبرئيل عليه السلام ومَلَائِكَتَيْنِ آخِرِينَ مَعَهُ .

وقد قيل : إن الملائكة الآخريين كان أحدهما ميكائيل والآخر إسرافيل

(١) الخبر في التفسير ٢٠ : ٩٢ (بولاق) ، وفيه : « يأتون » .

(٢) سورة النكبات ٢٩ .

فأقبلوا - فيما ذكر - مشاةً في صورة رجال شباب .

• ذكر بعض من قال ذلك :

حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : بعث الله الملائكة لتُهلك قوم لوط ، فأقبلت (١) تمشي في صورة رجال شباب ؛ حتى نزلوا على إبراهيم فتضيّفوه ، فكان من أمرهم وأمر إبراهيم ما قد مضى ذكرنا إياه في خبر إبراهيم وسارة . فلما ذهب عن إبراهيم الروح جاءتهُ البشري ، وأطلعتهُ الرسل على ما جاءوا له ، وأنّ الله أرسلهم لهلاك قوم لوط ناظرهم إبراهيم وحاجّهم في ذلك كما أخبر الله عنه [فقال] : (٣) ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ . (٤)

وكان جداله إياهم في ذلك - فيما بلغنا - ما حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب القمي ، قال : حدثنا جعفر ، عن سعيد ﴿ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ قال : لما جاءه جبرئيل ومن معه ، قالوا لإبراهيم : ﴿ إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّا أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ (٥) . قال لهم إبراهيم : أتهلكون قرية فيها أربع مائة مؤمن ؟ قالوا : لا ، قال : أتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن ؟ قالوا : لا ، قال : أتهلكون قرية فيها مائة مؤمن ؟ قالوا : لا ، قال : أتهلكون قرية فيها أربعون مؤمناً ؟ قالوا : لا ، قال : أتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمناً ؟ قالوا : لا ، وكان إبراهيم يعدّهم أربعة عشر بامرأة لوط ، فسكت عنهم ، واطمأنت نفسه .

(١) في جميع الأصول : « أقبلت » .

(٢) ط : « فأطلعت » ، وما أثبت من أ .

(٣) من أ .

(٤) سورة هود ٧٤

(٥) سورة العنكبوت ٣١

حدثنا أبو كريب، قال : حدثنا الحِمَتَانِي ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عن ابن عباس ، قال : قال الملك لإبراهيم : إن كان فيها خمسة يصلُّون رُفِعَ عنهم العذاب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ قال : بلغنا أنه قال لهم يومئذ : أرايتم إن كان فيهم خمسون من المسلمين ؟ قالوا : إن^(١) كان فيهم خمسون لن نعدَّ بهم^(٢) ، قال : وأربعون ؟ قالوا : وأربعون ، قال : وثلاثون ؟ قالوا : وثلاثون : حتى بلغ عشرة ، قالوا : وإن كانوا عشرة ؟ قال : ما من قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير ، فلما علم إبراهيم حال قوم لوط بخبر الرسل قال للرسل : ﴿ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ﴾^(٣) إشفاقاً منه عليه ، فقالت الرسل : ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾^(٤) .

• • •

ثم مضت رسلُ الله نحو أهل سدوم ، قرية قوم لوط ، فلما انتهوا إليها ذُكِرَ أنهم لَقُوا لوطاً في أرض له يعمل فيها ، وقيل لهم لَقُوا عند نهرها ابنة لوط تستقي الماء .

• ذكر من قال لقوا لوطاً :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن حذيفة أنه لما جاءت الرسل لوطاً أتوه وهو في أرض له يعمل فيها ، وقد قيل لهم - والله أعلم - لا تُهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط ، قال : فأتوه فقالوا : إنا مُضَيَّفوك^(٤) الليلة . فانطلق بهم فلما مشى ساعة التفت فقال : أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ؟ والله ما أعلم على ظهر

٣٣٣/١

(١) في ط : « وإن » ، وما أثبتته عن ا .

(٢) ب ، ن : « يعدبهم » .

(٣) سورة المنكبات ٣٢

(٤) كذا في ا ، ب ، وفي ر : « تضيفك » ، وفي ط : « مضيفوك » .

الأرض^(١) أناساً^(٢) أخبث منهم . قال : ففضى معهم ثم قال الثانية مثل ما قال ، فانطلق بهم ، فلما بصرت بهم عجوز السوء امرأته انطلقت فأنذرتهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا الحكم بن بشير ، قال : حدثنا عمرو ابن قيس الملائي ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة ، قال : أتت الملائكة نوطاً وهو في مزرعة له ، وقال الله تعالى للملائكة : إن شهد لوط عليهم أربع شهادات ، فقد أذنت لكم في هلكتهم^(٣) ، فقالوا : يا لوط ، إنا نريد أن نضيفك الليلة ، قال : وما بلغكم^(٤) أمرهم ؟ قالوا : وما أمرهم ؟ فقال : أشهد بالله أنها لشر قرية في الأرض عملاً ، يقول ذلك أربع مرات ، فشهد عليهم لوط أربع شهادات ، فدخلوا معه منزله .

• ذكر من قال إنما لقيت الرسل أول ما لقيت حين دنت

من سدوم ابنة لوط دون لوط^(٥) :

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي ٣٣٤/١ صلى الله عليه وسلم ، قال : لما خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط ، فأتوها نصف النهار ، فلما بلغوا نهر سدوم لقوا ابنة لوط تستقي من الماء لأهلها - وكانت له ابنتان : اسم الكبرى ريثا واسم الصغرى^(٦) رعزيا^(٧) - فقالوا

(١) ر : « وجه الأرض » ، ب : « ظهر هذه الأرض » .

(٢) ن : « أحداً » .

(٣) كذا في ا ، ر ، وفي ط : « مهلكتهم » ، ن : « هلاكهم » .

(٤) ابن الأثير : « أو ما بلغكم » .

(٥) ن : « قبل » .

(٦) ب ، ر : « والصغرى » .

(٧) كذا في ا ، ب ، وفي ن : « رعزنا » ، وفي ر : « دعريا » ، وفي ط من غير نطق .

لها : يا جارية ، هل من منزل ؟ قالت : نعم ، فكانتكم لا تدخلوا حتى آتيتكم ، فرقت^(۱) عليهم من قومها ، فأتت أباها ، فقالت : يا أبتاه ، أراك فتیان علی باب المدينة ، ما رأيت وجوه^(۲) قوم می أحسن منهم ، لا يأخذهم قومك فيفضحهم - وقد كان قومه نهوه أن يضيف رجلا - فقالوا له : خلت عنا فلنضيف الرجال ، فجاء بهم فلم يعلم أحد إلا أهل بيت لوط ، فخرجت امرأته فأخبرت قومها فقالت : إن في بيت لوط رجلا ما رأيت مثلهم ومثل وجوههم حسنا قط ، فجاءه قومه يهرعون إليه .

قال أبو جعفر : فلما أتوه قال لهم لوط : يا قوم اتقوا الله ﴿ ولا تمخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد ﴾^(۳) ؛ هؤلاء بناتي هن أطهر لكم مما تريدون . فقالوا له : أو لم ننهك أن تضيف الرجال ! لقد علمت ما لنا في بناتك من حق ، وإنك لتعلم ما نريد ! فلما لم يقبلوا منه شيئا مما عرضه عليهم قال : ﴿ لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد ﴾^(۴) . يقول عليه السلام : لو أن لي أنصارا ينصروني عليكم أو عشيرة تمنعني منكم ، لحلت بينكم وبين ما جئتم تريدونه من أضيافي !

۲۳۵/۱

حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحاق بن الحجاج ، قال : حدثنا اسماعيل ابن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهبا يقول : قال لوط لهم : ﴿ لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد ﴾ ، فوجد عليه الرسل وقالوا : إن ركنك لشديد . فلما يشس^(۵) لوط من إجابتهم إياه إلى شيء مما دعاهم إليه وضاق بهم ذرعا ، قالت الرسل له حينئذ : ﴿ يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا أمرأتك

(۱) ابن الأثير ۱ : ۷۹ : خافت .

(۲) ابن الأثير : ما رأيت أصبح وجوها منهم .

(۳) سورة هود ۷۸

(۴) سورة هود ۸۰

(۵) ر : آيس .

إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ﴿١﴾ ، فذكر أن لوطاً لما علم أن أضيافه رسل الله ،
وأنها أرسلت بهلاك قومه قال لهم : أهلكوهم الساعة .
* ذكر من روى ذلك عنه أنه قاله من أهل العلم :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال :
مضت الرسل من عند إبراهيم إلى لوط ، فلما أتوا لوطاً وكان من أمرهم ما ذكر
الله قال جبرئيل للوط : يا لوط ، إنا مهلكو أهل هذه القرية ، إن أهلها
كانوا ظالمين . فقال لهم لوط : أهلكوهم الساعة ، فقال جبرئيل عليه السلام :
﴿ إِن مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ ^(١) فأنزلت على لوط : ﴿ أَلَيْسَ
الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ ^(١) .

قال : وأمره أن يسرى بأهله بقطع من الليل ولا يلتفت منهم أحد
إلا امرأته ، قال : فسار فلما كانت الساعة ^(٢) التي أهلكوا فيها أدخل
جبرئيل جناحه في أرضهم فقلعها ورفعها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ،
ونباح الكلاب ، فجعل عاليها سافلها ، وأمطر عليهم حجارة من سجيل ،
قال : وسمعت امرأة لوط الهدية فقالت : وا قوماه ! فأدركها حجر فقتلها .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب ، عن حفص بن حميد ، عن
شمر بن عطية ، قال : كان لوط أخذ على امرأته ألا تدب شيئاً من سر
أضيافه ، قال : فلما دخل عليه جبرئيل ومن معه ورأتهم في صورة لم تر
مثلها قط انطلقت تسعى إلى قومها ، فأتت النادى فقالت بيدها هكذا ،
فأقبلوا يهرعون مشياً بين الهرولة والحمز ، فلما انتهوا إلى لوط قال لهم لوط ما قال
الله تعالى في كتابه . قال جبرئيل : يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك ،
قال : فقال بيده ، فطمس أعينهم ، قال : فجعلوا يطلبونهم ، يلتمسون ^(٣) الحيطان
وهم لا يبصرون ^(٤) .

(١) سورة هود ٨١ .

(٢) ب : « الليلة » . ن : « كان في الساعة » .

(٣) كذا في ١ ، ب ؛ وفي ط : « يطلبون يلتمسون » .

(٤) الخبر في التفسير ١٢ : ٥٤ (بولاق) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن حذيفة ، قال : لما بصرت بهم - يعني بالرسول - عجوز السوء ، امرأته ، انطلقت فأنذرتهم فقالت : قد تضيف لوطاً قوم ما رأيت قومًا أحسنَ منهم وجوهًا - قال : ولا أعلمه إلا قالت : وأشدّ بياضًا وأطيب ريحًا منهم - قال : فاتوه ﴿يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾^(١) ، كما قال الله عز وجل ، فأصفيق^(٢) لوط الباب . ٣٣٧/١

قال : فجعلوا يعالجونه ، قال : فاستأذن جبرئيل ربه عز وجل في عقوبتهم ، فأذن له ، فصفيقهم بجناحه ، فتركهم عميانًا يرددون في أخبث ليلة أتت عليهم قط ، فأخبروه إنا رسل ربك ، فأسرى بأهلك بقطع من الليل ، قال : ولقد ذكر لنا أنه كانت مع لوط حين خرج من القرية امرأته ، ثم سمعت الصوت فالتفت ، فأرسل الله تعالى عليها حجرًا فأهلكها^(٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا الحكم بن بشير ، قال : حدثنا عمرو ابن قيس المُلثاني ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة ، قال : انطلقت امرأته - يعني امرأة لوط - حين رأتهم - يعني حين رأت الرسول - إلى قومها فقالت : إنه قد ضافه الليلة قوم ما رأيت مثلهم قط أحسن وجوهًا ، ولا أطيب ريحًا . فجاءوا يهرعون إليه فبادرهم لوط إلى أن يزحمهم على الباب فقال : ﴿هَوِّلَاءُ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾^(٤) ، فقالوا : ﴿أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(٥) ، فدخلوا على الملائكة فتناولتهم الملائكة ، فطمست أعينهم فقالوا : يا لوط جئتنا بقوم سحرة ، سحرونا كلمات حتى نصبح . قال : فاحتمل جبرئيل قريات لوط الأربع ، في كل قرية مائة ألف ، فرفعهم على جناحه بين السماء والأرض حتى سمع أهل السماء الدنيا أصوات ديكتهم ثم قلبهم ، فجعل الله عاليها سافلها^(٦) . ٣٣٨/١

(١) سورة هود ٧٨ .

(٢) أصفيق الباب : أغلقه .

(٣) ر : « فقتلها » ، والخبر في التفسير ١٢ : ٥٤ - ٥٥ (بولاق) .

(٤) سورة الحجر ٧١ .

(٥) سورة الحجر ٧٠ .

(٦) الخبر في التفسير ١٢ : ٥٥ (بولاق) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثور . وحدّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، جميعاً عن معمر ، عن قتادة . قال : قال حذيفة : لما دخلوا عليه ذهب عجزه ، عجز السوء ، فأنت قومها فقالت : قد تضيّف لوطاً [الليلة]^(١) قوم ما رأيت قومًا قط أحسن وجوهاً منهم ، قال : فجاءوا يهرعون إليه ، فقام ملكٌ فلزّ الباب - يقول : فسده - فاستأذن جبرئيل في عقوبتهم ، فأذن له ، فضر بهم^(٢) جبرئيل بجناحه . فركهم عمياناً ، فباتوا بشر ليلة ، ثم قالوا : إنا رسل ربك لن يصلوا إليك ، فأسر بأهلك بقطع من الليل ، ولا يلتفت منكم أحدٌ إلا امرأتك . قال : فبلغنا أنها سمعت صوتاً ، فالتفت فأصابها حجر وهي شادة من القوم معلوم مكانها^(٣) .

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه : لما قال لوط : ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ ، بسط حينئذ جبرئيل جناحه ففقا أعينهم ، وخرجوا يدوس بعضهم في آثار بعض عمياناً ، يقولون : النجاء النجاء ! فإن في بيت لوط أسحر قوم في الأرض ؛ فذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ ﴾^(٤) وقالوا للوط : ﴿ إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحدٌ ﴾ ، يقول : سر بهم فامضوا حيث تؤمرون . فأخرجهم الله تعالى إلى الشام . وقال لوط : أهلكوهم الساعة . فقالوا : إنا لم نؤمر إلا بالصبح ، أليس الصبح بقريب ! فلما أن كان السحر خرج لوط وأهله معه إلا امرأته ، وذلك قوله تعالى : ﴿ إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴾^(٥) .

٣٢٩/١

(١) من التفسير . (٢) ط : « فصفقهم فضر بهم » ، وما أثبتته من أ ، والتفسير .

(٣) الخبر في التفسير ١٢ : ٥٥ (بولاق)

(٤) سورة القمر ٣٧ . (٥) سورة القمر ٣٤ .

حدثنا المثنى، قال : أخبرنا إسحاق، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال : حدثني عبد الصمد أنه سمع وهب بن منبّه يقول : كان أهل سدوم الذين فيهم لوط قوم سوء قد استغنوا عن النساء بالرجال ، فلما رأى الله ذلك منهم بعث الملائكة ليعذبوهم ، فأتوا إبراهيم ، فكان من أمره وأمرهم ما ذكره الله تعالى في كتابه ، فلما بشروا سارة بالولد قاموا ، وقام معهم إبراهيم بمشي ، فقال : أخبروني لم بعثتم ؟ وما خطبكم ؟ قالوا : إنا أرسلنا إلى قوم سدوم لندمّرهم فإنهم قوم سوء ، قد استغنوا بالرجال عن النساء . قال إبراهيم : أرايتم إن كان فيهم خمسون رجلاً صالحاً ؟ قالوا : إذاً لا نعلمهم ، فلم يزل [ينقص] (١) حتى قال أهل البيت ، قالوا : فإن كان فيهم بيت صالح ، قال : فلوط وأهل بيته ، قالوا : إن امرأته هواها معهم ، فلما يئس إبراهيم انصرف ومضوا إلى أهل سدوم فدخلوا على لوط ، فلما رأته امرأته أعجبها حسنهم وجمالهم ، فأرسلت إلى أهل القرية أنه قد نزل بنا قوم لم نر قوماً قط أحسن منهم ولا أجمل ؛ فتسامعوا بذلك ، فغشوا دار لوط من كل ناحية ، وتسوروا عليهم الجدران (٢) ، فلقيتهم لوط فقال : يا قوم لا تفضحون في ضيبي وأنا أزوجهم بناتي فهن أطهر لكم . فقالوا : لو كنا نريد بناتك لقد عرفنا مكانهن ، فقال : لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد . فوجد عليه الرسل فقالوا : إن ركنك لشديد ، وإنهم آتيتهم عذاب غير مردود ، فسح أحدهم أعينهم بجناحه ، فطمس أبصارهم ، فقالوا : سحرنا ، انصرفوا بنا حتى نرجع إليه ، فكان من أمرهم ما قد قص الله تعالى في القرآن ، فأدخل ميكائيل وهو صاحب العذاب جناحيه حتى بلغ أسفل الأرضين ، فقلبها فتزلت حجارة من السماء ، فتبع من لم يكن منهم في القرية حيث كانوا فأهلكهم الله ، ونجى لوطاً وأهله إلا امرأته . (٣)

٣١٠/١

حدثنا أبو كريب، قال : حدثنا جابر بن نوح، قال : حدثنا الأعمش، عن مجاهد، قال : أخذ جبرئيل قوم لوط من سرّحهم ودورهم ، حملهم بمواشيهم وأمتعتهم ، حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ثم كفأها .

(١) من التفسير .

(٢) ط ، ١ : « الجدران » ، وما أثبتته من التفسير .

(٣) الخبر في التفسير ١٢ : ٥٥ (بولاق) .

وحدثنا أبو كريب مرة أخرى ، عن مجاهد ، فقال : أدخل جبرئيل جناحيه^(١) تحت الأرض السفلى من قوم لوط ، ثم أخذهم بالجناح الأيمن ، وأخذهم من سرحهم ومواشيهم ثم رفعها .

حدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبيل^(٢) ، عن ابن أبي نجيب ، عن مجاهد ، قال : كان يقول : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا ﴾^(٣) ، قال : لما أصبحوا غدا جبرئيل على قريتهم ففتقها من أركانها ثم أدخل جناحيه^(١) ، ثم حملها على خوافي جناحيه^(٣) .

٣٤١/١

حدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبيل ، قال : وحدثني هذا ابن أبي نجيب ، عن إبراهيم بن أبي بكر ، قال : ولم يسمعه ابن أبي نجيب من مجاهد قال : فحملها على خوافي جناحيه^(٤) بما فيها ، ثم صعد بها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ، ثم قلبتها ، فكان أول ما سقط منها شرافها ، فذلك قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴾^(٥)

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغنا أن جبرئيل عليه السلام أخذ بعروة القرية الوسطى ثم ألوى بها إلى السماء ، حتى سمع أهل السماء ضواغى^(٦) كلابهم ، ثم دمر بعضها على بعض ، فجعل عاليها سافلها ، ثم أتبعهم^(٧) الحجارة . قال قتادة : وبلغنا أنهم كانوا أربعة آلاف ألف .

٣٤٢/١

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن

(١) ط : « جناحه » ، وما أثبتته من أ . (٢) سورة هود ٨٢ .
 (٣) أ : « ثم حملها في جناحيه » . (٤) ط : « جناحه » ، وما أثبتته من أ .
 (٥) سورة الحجر ٧٤ . (٦) ضواغى الكلاب : نباحها .
 (٧) أ : « تبهم » .

قتادة ، قال : وذكر لنا أن جبرئيل أخذ بعروتها الوسطى ، ثم أوى بها إلى جوف السماء حتى سمعت الملائكة ضواغى كلابهم ثم دمر بعضها على بعض ، ثم أتبع شذآن^(١) القوم صحراً ، قال : وهي ثلاث قرى يقال لها سدوم ، وهي بين المدينة والشأم ، قال : وذكر لنا أنه كان فيها أربعة آلاف ألف ، قال : وذكر لنا أن إبراهيم كان يشرف ثم يقول : سدوم يوماً هالك .

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي بالإسناد الذي قد ذكرناه : لما أصبحوا - يعني قوم لوط - نزل جبرئيل عليه السلام واقتلع الأرض من سبع أرضين ، فحملها حتى بلغ بها السماء الدنيا ، حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم وأصوات ديوكهم ، ثم قلبها فقتلهم ، فذلك حين يقول : ﴿وَالْمُوتِفِكَةَ أَهْوَى﴾^(٢) ؛ المنقلبة حين أهوى بها جبرئيل عليه السلام الأرض فاقتلعها بجناحيه ، فمن لم يمت حين أسقط^(٣) الأرض أمطر الله تعالى عليه وهو تحت الأرض الحجارة ، ومن كان منهم شاذاً في الأرض ، وهو قول الله تعالى : ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ ، ثم تتبعهم في القرى ، فكان الرجل يتحدث فيأتيه الحجر فيقتله ، فذلك قوله تعالى : ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾^(٤) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، قال : حدثني محمد بن كعب القرظي ، قال : حدثت أن الله تعالى بعث جبرئيل إلى المؤتفكة (قرية قوم لوط التي كان لوط فيهم) ، فاحتملها بجناحيه ثم أصعد^(٥) بها حتى إن أهل السماء^(٦) الدنيا ليسمعون^(٧) نايحة كلابها وأصوات دجاجها ، ثم كفأها على وجهها ثم أتبعها الله عز وجل بالحجارة ، يقول الله تعالى :

(١) شذآن القوم : المتفرقون منهم . (٢) سورة النجم ٥٣ .

(٣) في الأصول « سقط » وما أثبتته من التفسير .

(٤) الخبر في التفسير ١٢ : ٥٩ بولاق

(٥) كذا في ١ ، ن ، وفي ط : « صعد » .

(٦) ساقطة من ا وفي ن : « أهل سماء الدنيا » .

(٧) ط : « يسمعون » وما أثبتته من ا والتفسير .

﴿ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ ﴾ ، فأهلكها الله تعالى وما حولها من المؤتفكات ، وكُنَّ خمس قريات : صبعة^(١) ، وصعرة^(٢) ، وعمرة^(٣) ، ودوما^(٤) ؛ وسَدُوم هي القرية العظيمة ، ونجى الله تعالى لوطًا ومن معه من أهله ، إلا امرأته كانت فيمن هلك^(٥) .

(١) ن . « صبعة »
 (٢) ن : صعرة .
 (٣) ب : « عمرة » .
 (٤) ب : « دوما » .
 (٥) الخبر في التفسير ١٢ : ٥٦ (بولاق) .

ذكر وفاة سارة بنت هاران ، وهاجر أم إسماعيل وذكر أزواج إبراهيم عليه السلام وولده

قد ذكرنا فيما مضى قبل ما قيل في مقدار عمر سارة أم إسحاق؛ فأما موضع وفاتها فإنه لا يدفع أهل العلم من العرب والعجم أنها كانت بالشام .

وقيل : إنها ماتت بقرية الجبابرة من أرض كنعان في حبرون ، فدفنت في مزرعة اشتراها إبراهيم . وقيل إن هاجر عاشت بعد سارة مدة .

فأما الخبر فبغير ذلك ورد . حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، بالإسناد الذي قد ذكرناه قبل .

ثم إن إبراهيم اشتاق إلى إسماعيل ، فقال لسارة : ائذني لي أنطلق إلى ابني فأنظر إليه ، فأخذت عليه عهداً ألا ينزل حتى يأتيها ، فركب البراق ، ثم أقبل وقد ماتت أم إسماعيل ، وتزوج إسماعيل امرأة من جرهم .

٣٤٤/١

وإن إبراهيم عليه السلام كثر ماله ومواشيه . وكان سبب ذلك فيما حدثنا به موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، بالإسناد الذي قد ذكرناه قبل ، أن إبراهيم عليه السلام احتاج - وقد كان له صديق يعطيه^(١) ويأتيه - فقالت له سارة : لو أتيت خيلتك^(٢) فأصبت لنا منه طعاماً ! فركب حماراً له ، ثم أتاه ، فلما أتاه تغيب منه ، واستحياً إبراهيم أن يرجع إلى أهله خائباً ، فرآه على بطحاء ، فلأ منها خرجه ، ثم أرسل الحمار إلى أهله ، فأقبل الحمار وعليه حنطة جيدة ، ونام إبراهيم عليه السلام فاستيقظ ، وجاء إلى أهله ، فوجد سارة قد جعلت له طعاماً ، فقالت : ألا تأكل ؟ فقال : وهل من شيء ؟ فقالت : نعم من الحنطة التي جئت بها من عند خليلك ، فقال : صدقت

(١) ر : « يقرضه » . (٢) ط : « خليلك » ؛ وهما سواء .

من عند خليلي جنت بها ، فزرعها فنبتت له ، وزكا زرعه وهلكت زروع
الناس ؛ فكان أصلُ ماله منها ، فكان الناس يأتونه فيسألونه فيقول : مَنْ
قال : لا إله إلا الله فليدخل فليأخذ ؛ فمنهم من قال فأخذ ، ومنهم من أبي
فرجع ، وذلك قوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى
بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾^(١). فلما كثر مالُ إبراهيم ومواشيه احتاج إلى السعة في
المسكن والمرعى ، وكان مسكنه ما بين قرية^(٢) مدين - فيما قيل - والحجاز ٣٤٥/١
إلى أرض الشام ، وكان ابن أخيه لوط نازلا معه ، ففاسم^(٣) ماله لوطًا ، فأعطى
لوطًا شطره فيما قيل ، وخيَّره مسكنًا يسكنه ومنزلا يتزله غير المنزل الذي هو به
نازل ، فاختر لوط ناحية الأردن فصار إليها ، وأقام إبراهيم عليه السلام
بمكانه ، فصار ذلك فيما قيل سببًا لآثاره بمكة وإسكانه إياها إسماعيل .
وكان ربما دخل أمصار الشام .

ولما ماتت سارة بنت هاران زوجة إبراهيم تزوج إبراهيم بعدها - فيما حدثنا
ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق - قطورا بنت يقطن ؛ امرأة
من الكنعانيين ، فولدت له ستة نفر: يقسان^(٤) بن إبراهيم ، وزمران بن إبراهيم ؛
ومديان بن إبراهيم ، ويسبق بن إبراهيم ، وسوح بن إبراهيم ، وبسر بن إبراهيم .
فكان جميع بني إبراهيم ثمانية بإسماعيل وإسحاق ، وكان إسماعيل يكره أكبر
ولده . قال : فنكح يقسان بن إبراهيم رعوة بنت زمر بن يقطن بن لوزان بن
جرهم بن يقطن بن عابر ، فولدت له البربر وليفها . وولد زمران بن إبراهيم المزامير
الذين لا يعقلون^(٥) . وولد لمديان أهل مدين قوم شعيب بن ميكائيل النبي ،
فهو وقومه من ولده بعثه الله عز وجل إليهم نبيًا .

٣٤٦/١

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا

(١) سورة النساء ٥٥

(٢) كذا في ١ ، روفى ط : « برية » .

(٣) ب : « فاقسم » . ن : « وقاسم » .

(٤) ١ : بقشان ، ن وابن الأثير : « نفسان » .

(٥) كذا في ١ ، ر ، روفى ط : « يعلمون » .

هشام بن محمد بن السائب، عن أبيه، قال: كان أبو إبراهيم من أهل حران، فأصابته سنة من السنين، فأتى هُرمزجرد بالأهواز، ومعه امرأته أم إبراهيم، واسمها توتا^(۱) بنت كرينا^(۲) بن كوئي، من بني أرفخشذ بن سام بن نوح.

وحدثني الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد. قال: حدثنا محمد بن عمر الأسلمي عن غير واحد من أهل العلم قال: اسمها أنموتامن ولد أفرام بن أرغوا بن فالغ بن عابر بن شالغ بن أرفخشذ بن سام بن نوح. وكان بعضهم يقول: اسمها انمتلى بنت يكنفور^(۳).

حدثني الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد. قال: أخبرنا هشام بن محمد. عن أبيه: قال: نهر كوئي كراه كرينا جد إبراهيم من قبل أمه. وكان أبوه على أصنام الملك نمرود. فولد إبراهيم بهرمزجرد، ثم انتقل إلى كوئي من أرض بابل. فلما بلغ إبراهيم وخالف قومه، دعاهم إلى عبادة الله، وبلغ^(۴) ذلك الملك نمرود فحبسه في السجن سبع سنين، ثم بنى له الحير^(۵) بجص، وأوقد له الحطب الجزل، وألقى إبراهيم فيه، فقال: حسبي الله ونعم الوكيل! فخرج منها سليماً لم يكلّم.

حدثني الحارث. قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: حدثنا هشام بن محمد، عن أبيه. عن أبي صالح. عن ابن عباس. قال: لما هرب إبراهيم من كوئي. وخرج من النار ولسانه يومئذ سرياني. فلما عبر الفرات من حران غير الله لسانه فقيل: عبراني. أي حيث عبر الفرات. وبعث نمرود في أثره، وقال: لا تدعوا أحداً يتكلّم بالسريانية إلا جثتموني به. فلقوا إبراهيم عليه السلام فتكلّم بالعبرانية. فتركوه ولم يعرفوا لغته.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد. قال: أخبرنا هشام. عن أبيه قال: فهاجر إبراهيم من بابل إلى الشام فجاءته سارة، فوهبت له نفسها

(۱) كذا في ن
(۲) كذا في ر .
(۳) ۱ : « نكنفور »
(۴) ط : « بلغ » .
(۵) ر : « الحف » .

فتزوجها . وخرجت معه وهو يومئذ ابن سبع وثلاثين سنة ، فأتى حرّان . فأقام بها . . . ثم أتى الأردن فأقام بها زماناً . ثم خرج إلى مصر فأقام بها زماناً ، ثم رجع إلى الشام فنزل السبع (أرض بين إيليا وفلسطين) واحتضر بئراً ، وبني مسجداً . ثم إن بعض أهل البلد آذاه فتحول من عندهم : فنزل منزلاً بين الرملة وإيليا ، فاحتضر به بئراً أقام^(١) به ، وكان قد وسّع عليه في المال والخدم . وهو أوّل من أضاف الضيف ، وأوّل من ثرد الثريد ، وأوّل من رأى الشيب .

كان : وولد لإبراهيم عليه السلام إسماعيل وهو أكبر ولده . - وأمه هاجر ودي قبطية ، وإسحاق ، وكان ضرير^(٢) البصر ، وأمه سارة ابنة بتويل بن ناخور بن ساروع بن أرغوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح - ٤٨/١ ومدن ، ومدين ، ويقسان ، وزمران ، وأسبق ، وسوح ؛ وأمهم قنطورا بنت مقطور^(٣) من العرب العاربة .

فأما يقسان فلحق بنوه بمكة ، وأقام مدن ومدين بأرض مدين ، فسميت به ، ومضى سائرهم في البلاد وقالوا لإبراهيم : يا أبانا أنزلت إسماعيل وإسحاق معك . وأمرتنا أن ننزل أرض الغربة والوحشة ! فقال : بذلك أمرت ، قال : فعلمهم اسماً من أسماء الله تبارك وتعالى : فكانوا يستسقون به ويستنصرون : فمنهم من نزل خراسان ، فجاءتهم الحزر فقالوا : ينبئ للذي علمكم هذا أن يكون خير أهل الأرض ، أو ملك الأرض . قال : فسموا ملوكهم خاقان . قال أبو جعفر : ويقال في يسبق : يسباق ، وفي سوح : ساج .

وقال بعضهم : تزوج إبراهيم بعد سارة امرأتين من العرب ، إحداهما قنطورا بنت يقطان ، فولدت له ستة بنين ، وهم الذين ذكرنا ، والأخرى منهما حجور بنت أرهير ، فولدت له خمسة بنين : كيسان ، وشورخ ، وأميم ، ولوطان ، ونافس .

(١) ط : « فأقام » . وما أثبتته من ا .

(٢) ط : « وهو ضرير » . وما أثبتته من ا .

(٣) ط : « مقطور » ، وما أثبتته من ا .

ذكر وفاة إبراهيم عليه السلام

فلما أراد الله تبارك وتعالى قبض روح إبراهيم صلى الله عليه وسلم، أرسل إليه^(١) ملك الموت في صورة شيخ هرم . ٣٤٩/١

فحدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي بالإسناد الذي ذكرته قبل : كان إبراهيم كثير الطعام يطعم الناس ، ويضيفهم ، فبينما هو يطعم الناس إذا هو بشيخ [كبير]^(٢) يمشي في الحرّة^(٣) ، فبعث إليه بحمار، فركبه حتى إذا أتاه أطعمه ، فجعل الشيخ يأخذ اللقمة يريد أن يدخلها فاه ، فيدخلها عينه وأذنه ثم يدخلها فاه ، فإذا دخلت جوفه خرجت من دبره . وكان إبراهيم قد سأل ربه عز وجل ألا يقبض روحه حتى يكون هو الذي يسأله الموت ، فقال للشيخ حين رأى من حاله ما رأى : ما بالك يا شيخ تصنع هذا ؟ قال : يا إبراهيم ، الكبير ، قال : ابن كم أنت ؟ فزاد على عمر إبراهيم سنتين ، فقال إبراهيم : إنما بيني وبينك ستان ، فإذا بلغت ذلك صرت مثلك ! قال : نعم ، قال إبراهيم : اللهم اقبضني إليك قبل ذلك ، فقام الشيخ فقبض روحه ، وكان ملك الموت .

ولما مات إبراهيم عليه السلام - وكان موته وهو ابن مائتي سنة ، وقيل ابن مائة وخمس وسبعين سنة - دفن عند قبر سارة في مزرعة حبرون .

وكان مما^(٤) أنزل الله تعالى على إبراهيم عليه السلام من الصحف فيما قيل عشر صحائف ، كذلك حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : أخبرني عمي عبد الله بن وهب ، قال : حدثني الماضي بن محمد ، عن أبي سليمان، عن القاسم بن محمد، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر الغفاري، قال : قلت : يا رسول الله ، كم كتاب أنزله الله ؟ قال : مائة كتاب وأربع

(١) ر : « أرسل الله تعالى » (٢) من ا .

(٣) ا : « الحره » .

(٤) ن : « فيما » وفي ا : « كذلك حدثني » .

كتب : أنزل الله عزّ وجلّ على آدم عليه السلام عشر صحائف . وعلى شيث خمسين صحيفة ، وأنزل على أخنوخ ثلاثين صحيفة ، وأنزل على إبراهيم عشر صحائف ، وأنزل جلّ وعزّ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان . قلت : يا رسول الله ، فما كانت صحف إبراهيم ؟ قال : كانت أمثالا كلها .

أيها الملك المسلط المبتلى المغرور . إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها إلى بعض . ولكن بعثتك لتردّ عني دعوة المظلوم ؛ فإني لا أردّها^(١) وإن كانت من كافر .

وكانت فيها أمثال : وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعات ؛ ساعة يناجي فيها ربّه . وساعة يفكر فيها في صنع الله عزّ وجلّ . وساعة يحاسب فيها نفسه فيما قدم وأخر ، وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال في المطعم^(٢) والمشرب . وعلى العاقل ألاّ يكون ظاعناً إلاّ في ثلاث : تزود لمعاده ، وممرّة لمعاشه ، ولذة في غير محرّم . وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه ، مقبلاً على شأنه . حافظاً للسانه . ومنّ حسب كلامه من عمله قل كلامه إلاّ فيما يعنيه .

٢٥١/١

. . .

وكان لإبراهيم - فيما ذكر - أخوان يقال لأحدهما هاران - وهو أبولوط . وقيل إن هاران هو الذي بنى مدينة حرّان ، وإليه نسبت^(٣) - والآخر منهما ناحورا وهو أبو بتويل وبتويل^(٤) هو أبو لابان^(٥) ورفقا ابنة بتويل ، ورفقا امرأة إسحاق بن إبراهيم أم يعقوب ابنة بتويل ، وليّتا وراحيل امرأتا يعقوب ابنتا لابان .

(١) في ط : « لأردّها » تصويب من مصححه ؛ والصواب ما في الأصول .

(٢) ر : « من الحلال من المطعم » .

(٣) ط : « تنب » ، وما أثبتته من أ .

(٤) أ : « بويل » ، ر : « نبويل » .

(٥) أ ، ن : « لا يان » .

ذكر خبر ولد إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام

قد مضى (١) ذكرنا سبب مصير إبراهيم بابنه إسماعيل . وأمه هاجر إلى مكة وإسكانه إياهما بها . ولما كبر إسماعيل تزوج امرأة من جرهم ، فكان من أمرها ما قد تقدم ذكره ، ثم طلقها بأمر أبيه إبراهيم بذلك . ثم تزوج أخرى يقال لها السيدة بنت مضاخ بن عمرو الجُرهمي ، وهي التي قال لها إبراهيم إذ قدم مكة ، وهي زوجة إسماعيل : قولي لزوجك إذا جاء : قد رضيت لك عتبة بابك .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ولد لإسماعيل ابن إبراهيم اثنا عشر رجلا ، وأمهم السيدة بنت مضاخ بن عمرو الجُرهمي : نابت بن إسماعيل ، وقيدر بن إسماعيل ، وأدبيل بن إسماعيل . ومبشا بن إسماعيل ، ومسعم بن إسماعيل ، ودما بن إسماعيل ، وماس بن إسماعيل ، وأدد بن إسماعيل ، ووطور بن إسماعيل ، ونفيس بن إسماعيل ، وطما بن إسماعيل ، وقيدمان بن إسماعيل . ٣٥٢١

قال : وكان عمر إسماعيل فيما يزعمون ثلاثين ومائة سنة . ومن نابت وقيدر نشر الله العرب ، ونبأ الله عز وجل إسماعيل ، فبعثه إلى العماليق — فيما قيل — وقبائل اليمن .

وقد ينطق أسماء أولاد إسماعيل بغير الألفاظ التي ذكرت عن ابن إسحاق . فيقول بعضهم في قيدر : ، قيدار ، وفي أدبيل : أدبال ، وفي مبشا : مبشام ، وفي دما : ذوما ومسا ، وحداد ، وتيم ، ويطور ، ونافس . وقادم (٢) .

وقيل : إن إسماعيل لما حضرته الوفاة أوصى إلى أخيه إسحاق وزوج ابنته من العيص بن إسحاق ، وعاش إسماعيل فيما ذكر مائة وسبعا وثلاثين سنة . ودفن في الحججر عند قبر أمه هاجر .

(١) ن . : « ذكرنا قبل » .

(٢) وأسماؤم في سفر التكوين ٢٥ : ١٣ : ينابوت ، وقيدار ، وأدبيل ، ومبشام ، ومشاع ، ودومة ، ومسا ، وحدار ، وتيا ، ويطور ، ونافيس ، وقدمه .

حدثني عبدة بن عبد الله الصفار ، قال : حدثنا خالد بن عبد الرحمن
المخزومي : عن مبارك بن حسن صاحب الأنماط ، عن عمر بن عبد العزيز ،
قال : شكوا إسماعيل إلى ربه تبارك وتعالى حرًا مكة فأوحى الله تعالى إليه : إلى
فاتح لك بابًا من الجنة يجري عليك روحها إلى يوم القيامة . وفي ذلك المكان تدفن .

• • •

ونرجع الآن إلى :

ذكر إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام وذكر نسائه وأولاده

إذ كان التاريخ غير متصل على سياق معروف لأمة بعد الفرس غيرهم ؛ وذلك أن الفرس كان مُلكهم متصلاً دائماً من عهد جيومرت الذي قد وصفت شأنه وخبره ، إلى أن زال عنهم بخير أمة أخرجت للناس ، أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وكانت النبوة والملك متصلين بالشأم ونواحيها لولد إسرائيل بن إسحاق إلى أن زال ذلك عنهم بالفرس والروم بعد يحيى بن زكرياء وبعد عيسى بن مريم عليهما السلام . وسنذكر إذا نحن انتهينا إلى الخبر عن يحيى وعيسى عليهما السلام سبب زوال ذلك عنهم إن شاء الله .

فأما سائر الأمم غير الفرس ، فإنه غير ممكن الوصول إلى علم التاريخ بهم ؛ إذ لم يكن لهم ملك متصل في قديم الأيام وحديثه إلا ما لا يمكن معه سياق التاريخ عليه وعلى أعمار ملوكهم ، إلا ما ذكرنا من ولد يعقوب إلى الوقت الذي ذكرت^(١) ، فإن ذلك وإن كانت مدته انقطعت بزواله عنهم ؛ فإن قدر مدة زواله عنهم إلى غايتنا هذه معاروم مبلغه . وقد كان لليمن ملوك لهم ملك ؛ غير أنه كان غير متصل ، وإنما كان يكون منهم الواحد بعد الواحد ، وبين الأول والآخر فترات طويلة ، لا يقف على مبلغها العلماء ، لقلة عنايتهم كانت بها ، ومبلغ عمر الأول منهم والآخر ، إذا لم يكن من الأمر الدائم ، فإن دام منه شيء فإنما يدوم لمن دام له منهم بأنه عامل لغيره في الموضع الذي هو به لا يملكه^(٢) بنفسه ، وذلك كدوامه لآل نصر بن ربيعة بن الحارث بن مالك ابن عمرو بن نمارة بن لحم ؛ فإنهم كانوا على فرج ثغر العرب للفرس من الحيرة إلى حد اليمن طولاً وإلى حدود^(٣) الشأم وما اتصل بذلك^(٤) عرضاً ، فلم يزل ذلك دائماً لهم من عهد أردشير بابكان إلى أن قتل كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان النعمان بن المنذر ، فنقل عنهم ما كان إليهم من العمل على ثغر العرب إلى إياس بن قبيصة الطائي .

(٢) ط : « لا يملك » وما أثبتته من أ .

(١) أ : « وصفت » .

(٣) ط : « حد » ، وما أثبتته من أ .

(٤) ط : « به » ، ما أثبتته من أ .

فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: نكح إسحاق بن إبراهيم رفقا بنت بتويل بن إلياس، فولدت له عيص بن إسحاق، ويعقوب ابن إسحاق، يزعمون أنهما كانا توأمين وأن عيصا كان أكبرهما. ثم نكح عيص بن إسحاق ابنة عمه بسمة ابنة إسماعيل بن إبراهيم، فولدت له الروم بن عيص، فكلُّ بني الأصفر من ولده. قال: وبعض الناس يزعم أن الأشبان من ولده، ولا أدري أمن ابنة إسماعيل أم لا.

ونكح يعقوب بن إسحاق - وهو إسرائيل - ابنة خاله ليثا ابنة لبان بن بتويل بن إلياس، فولدت له روبيل بن يعقوب، وكان أكبر ولده، وشمعون ابن يعقوب، ولاوي بن يعقوب، ويهوذا بن يعقوب، وزبالون^(١) بن يعقوب، ويسحر بن يعقوب، ودينة ابنة يعقوب. وقد قيل في يسحر إن اسمه «يشحر». ثم توفيت ليا بنت لبان فخلف يعقوب على أختها راحيل بنت لبان بن بتويل بن إلياس، فولدت له يوسف بن يعقوب، وبنيامين بن يعقوب - وهو بالعربية شداد - وولد له من سرّيتين؛ اسم إحداهما زلفة، واسم الأخرى بلهة، أربعة نفر: دان بن يعقوب، ونفتالي^(٢) بن يعقوب، وجاد^(٣) بن يعقوب، وأسر^(٤) بن يعقوب، فكان بنو يعقوب اثني عشر رجلا.

وقد قال بعض أهل التوراة إن رفقا زوجة إسحاق هي ابنة ناهر بن آزر عم إسحاق، وإنها ولدت له ابنيه عيصا ويعقوب في بطن واحد، وإن إسحاق أمر ابنه يعقوب ألا ينكح امرأة من الكنعانيين، وأمره أن ينكح امرأة من بنات خاله لبان بن ناهر، وأن يعقوب لما أراد النكاح مضى إلى خاله لبان ابن ناهر خاطباً، فأدركه الليل في بعض الطريق، فبات متوسداً حجراً، فرأى فيما يرى النائم أن سلماً منصوباً إلى باب من أبواب السماء عند رأسه، والملائكة تنزل وتخرج فيه، وأن يعقوب صار إلى خاله فخطب إليه ابنته راحيل، وكانت له ابنتان: ليا وهي الكبرى، وراحيل وهي الصغرى. فقال له: هل من مال أزوجك عليه؟ فقال يعقوب: لا. إلا أني أخذتُك أجيراً حتى تستوفى صداق

(٢) ن: «يفتالي».

(١) ا، ب، ن: «زبالون».

(٤) ن: «وأسر».

(٣) ز: «وحادر».

ابنتك ، قال : فإن صدأقها أن تخدمني سبع حجج . قال يعقوب : فزوجني راحيل وهي شرطى ، ولها أخذك ، فقال له خاله : ذلك بينى وبينك ، فرعى له يعقوب سبع سنين ، فلما وفتى له ^(١) شرطه دفع إليه ابنته الكبرى ليا . وأدخلها عليه ليلا ، فلما أصبح وجد غير ما شرط ، فجاءه يعقوب وهو فى نادى قومه فقال له : غررتنى وخذعتنى واستحللت ^(٢) عملى سبع سنين ، ودلتست على غير امرأتى ، فقال له خاله : يا بن أختى ، أردت أن تُدخِل على خالك العار والسببة ، وهو خالك ووالدك ، ومتى رأيت الناس يزوجون الصغرى قبل الكبرى ! فهلم فاخذمنى سبع حجج أخرى ، فأزوجك أختها - وكان الناس يومئذ يجمعون بين الأختين إلى أن بعث موسى عليه السلام وأنزل عليه التوراة - فرعى له سبعا . فدفع إليه راحيل ، فولدت له ليا أربعة أسباط : روبيل ، ويهوذا ، وشمعان ، ولاوى . وولدت له راحيل يوسف وأخاه بنيامين وأخوات لهما ، وكان لابان دفع إلى ابنتيه حين جهزهما إلى يعقوب أمتين فوهبتا الأمتين ليعقوب . فولدت كل واحدة منهما له ثلاثة رهط من الأسباط ، وفارق يعقوب خاله ، وعاد حتى نازل أخاه عيصا .

وقال بعضهم : ولد ليعقوب دان ونفثالى من زلفة جاربية راحيل ؛ وذلك أنها وهبت لها له وسألته أن يطلب منها الولد حين تأخر الولد عنها . وأن ليا وهبت جاربتها بلهة ليعقوب منافسة لراحيل فى جاربتها ، وسألته أن يطلب منها الولد ، فولدت له جاد . وأشير ، ثم ولد له من راحيل بعد اليأس يوسف وبنيامين . فانصرف يعقوب بولده هؤلاء وامراتيه المذكورتين إلى منزل أبيه من فلسطين على خوف شديد من أخيه العيص . فلم يرمه إلا خيراً ، وكان العيص فيما ذكر لحق بعمه إسماعيل . فتزوج إليه ابنته بسمة وحملها إلى الشام ، فولدت له عدة أولاد فكثروا حتى غلبوا الكنعانيين بالشام ، وصاروا إلى البحر وناحية الإسكندرية ثم إلى الروم . وكان العيص فيما ذكر يسمى آدم لأدمته . قال : ولذلك سمي ولده

٢٥٧/١

(١) : " فدا ، وفاء " ، وفى ز : " فلما تم " .

(٢) ز : " واشترطت على " .

ولد الأصغر، وكانت^(١) ولادة رفقا بنت بتويل لإسحاق بن إبراهيم ابنه العيص ويعقوب - بعد أن خلا من عمر إسحاق ستون سنة - توأمين في بطن واحد، والعيص المتقدم منهما خرجا من بطن أمه : فكان إسحاق فيما ذكر يختص العيص، وكانت^(١) رفقا أمهما تميل إلى يعقوب، فزعموا أن يعقوب ختل العيص في قربان قرباه بأمر أبيهما إسحاق بعد ما كبرت سن إسحاق، وضعف بصره، فصار أكثر دعاء إسحاق ليعقوب، وتوجهت البركة نحوه بدعاء أبيه إسحاق له، فغاظ ذلك العيص وتوعدته بالقتل، فخرج يعقوب هارباً منه إلى خاله لابان ببابل، فوصله لابان وزوجه ابنته ليا وراحيل، وانصرف بهما وبجاريتهما وأولاده الأسباط الاثني عشر وأختهم دينا إلى الشام إلى منزل آبائه، وتألف أخاه العيص حتى نزل^(٢) له البلاد وتنقل في الشام، حتى صار إلى السواحل. ثم عبر^(٣) إلى الروم فأوطنها^(٤)، وصار الملوك من ولده وهم اليونانية - فيما زعم هذا القائل .

حدثنا الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي^(٥)، قال : حدثنا أبي، قال : أخبرنا أسباط، عن السدي، قال : تزوج إسحاق امرأة فحملت بغلامين في بطن، فلما أرادت أن تضعهما اقتتل الغلامان في بطنها . فأراد يعقوب أن يخرج قبل عيص، فقال عيص : والله لئن خرجت قبلي لأعرضن في بطن أمي ولأقتلنهما، فتأخر يعقوب، وخرج عيص قبله، وأخذ يعقوب بعقب عيص، فخرج فسمى عيصاً لأنه عصي، فخرج قبل يعقوب، وسمى يعقوب لأنه خرج آخذاً بعقب عيص . وكان يعقوب أكبرهما في البطن، ولكن عيصاً خرج قبله . وكبر الغلامان، فكان عيص أحبهما إلى أبيه، وكان يعقوب أحبهما إلى أمه، وكان عيص صاحب صيد، فلما كبر إسحاق

(١) ط : « فكانت » وما أثبت من .

(٢) كذا في ا، ر وفي ط : « حتى ترك » .

(٣) ن : « حتى عبر » .

(٤) يقال : أوطن بمكان كذا ؛ إذا اتخذ وطناً .

(٥) في الأصول : « المبقرى »، تصحيف : منسوب إلى بيع المنقر، ذكره ابن الأثير

وعمي، قال لعيص : يا بني أطمعني لحم صيد واقترب مني أدع لك بدعاء دعا لي به أبي ، وكان عيص رجلاً أشعر ، وكان يعقوب رجلاً أجرداً ، فخرج عيص يطلب الصيد ، وسمعت أمه الكلام فقالت ليعقوب : يا بني ، اذهب إلى الغنم فاذبح منها شاة ثم اشوه ، والبس جلده وقدّمه إلى أبيك ، وقل له : أنا ابنك عيص ، ففعل ذلك يعقوب ، فلما جاء قال : يا أبتاه كُلم ، قال : مَنْ أنت ؟ قال : أنا ابنك عيص ، قال : فسّه ، فقال : المس مس عيص ، والريحُ ريح يعقوب ، قالت أمه : هو ابنك عيص فادع له ، قال : قدّم طعامك ، فقدّمه فأكل منه ، ثم قال : ادن مني ، فدنا منه ، فدعا له أن يجعل في ذريته الأنبياء والملوك ، وقام يعقوب ، وجاء عيص فقال : قد جئتك بالصيد الذي أمرتني به (١) ، فقال : يا بني قد سبقك أخوك يعقوب : فغضب عيص وقال : والله لأقتلنه ، قال : يا بني قد بقيت لك دعوة ، فهلم أدع (٢) لك بها ، فدعا له فقال : تكون ذريتك عدداً كثيراً كالتراب ولا يملكهم أحدٌ غيرهم ، وقالت أم يعقوب ليعقوب : الحق بخالك فكن عنده خشية أن يقتلك عيص ، فانطلق إلى خاله ، فكان يسرى بالليل ويكمن بالنهار ، ولذلك سمي إسرائيل ، وهو سرى الله ، فأتى خاله وقال عيص : أما إذ مغلبتني على الدعوى فلا تغلبنى على القبر ، أن أدفن عند آبائي : إبراهيم وإسحاق ، فقال : لئن فعلت لتدفننّ معه .

ثم إن يعقوب عليه السلام هوى ابنة خاله - وكانت له ابنتان - فخطب إلى أبيهما الصغرى منهما : فأنكحها إياه على أن يرعى غنمه إلى أجل مسمى ، فلما انقضى الأجل زفّ إليه أختها ليا ، قال يعقوب : إنما أردت راحيل ، فقال له خاله : إنا لا ينكح فينا الصغير قبل الكبير ، ولكن ارع لنا أيضاً وانكحها (٣) ، ففعل . فلما انقضى الأجل زوجه راحيل أيضاً ، فجمع يعقوب

بينهما ، فذلك قول الله : ﴿ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ (٤) .
يقول : جمع يعقوب بين ليا وراحيل ، فحصلت ليا فولدت يهوذا ،

(٢) : « أدعوه » وكلاهما جائز .

(٤) سورة النساء ٢٣ .

(١) ر : « أردت » .

(٣) ر : وانكحها جميماً .

وروبيل . وشمعون . وولدت راحيل يوسف ، وبنيامين . وماتت راحيل في نفاسها ببنيامين ، يقول : من وجع النفاس [الذي ماتت فيه] ^(١) .

وقطع خال يعقوب ليعقوب قطيعاً من الغنم . فأراد الرجوع إلى بيت المقدس ، فلما ارتحلوا لم يكن له نفقة . فقالت امرأة يعقوب ليوسف : خذ من أصنام أنى لعلنا نستنفق منه فأخذ ، وكان الغلامان في حجر يعقوب . فأحبهما وعطف عليهما ليُسْمَهما من أمهما ، وكان أحب الخلق إليه يوسف عليه السلام ، فلما قدموا أرض الشام ، قال يعقوب لراع من الرعاة : إن أتاكم أحد يسألكم : من أنتم ؟ فقولوا : نحن ليعقوب عبد عيص ، فلتبيهم عيص فقال : من أنتم ؟ قالوا : نحن ليعقوب عبد عيص ، فكف عيص عن يعقوب . ونزل ^(٢) يعقوب بالشام ، فكان هدته يوسف وأخوه ، فحسده إخوته لما رأوا من حب أبيه له ، ورأى يوسف في المنام كأن أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رآهم ساجدين له ، فحدث أباه بها فقال : ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ ^(٣) .

(١) تكلمة من ا .

(٢) ا : « وترك »

(٣) سورة يوسف هـ

ذكر أيوب عليه السلام

ومن ولده - فيما قيل - أيوب نبي الله؛ وهو فيما حدثنا ابن حميد ، قال :
حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عمن لا يُنتهم ، عن وهب بن منبه ، أن
أيوب كان رجلاً من الروم ، وهو أيوب بن موص بن رازح بن عيص بن
إسحاق بن إبراهيم .

٣٦١/١

وأما غير ابن إسحاق فإنه يقول : هو أيوب بن موص بن رعويل بن العيص
ابن إسحاق بن إبراهيم .

وكان بعضهم يقول : هو أيوب بن موص بن رعويل^(١) . ويقول : كان أبوه
من آمن بإبراهيم عليه السلام يوم أحرقه^(٢) نمرود ، وكانت زوجته التي أمر
بضربها بالضغث ابنة يعقوب بن إسحاق ، يقال : لها ليا ؛ كان يعقوب
زوجها منه .

وحدثني الحسين بن عمرو بن محمد ، قال : حدثنا أبي ، قال : أخبرنا
غياث بن إبراهيم ، قال : ذكر - والله أعلم - أن عدو الله إبليس لقي امرأة أيوب -
وذكر أنها كانت ليا بنت يعقوب - فقال : يا ليا ابنة الصديق وأخت الصديق .
وكانت أم أيوب ابنة للوط بن هاران .

وقيل : إن زوجته التي أمر بضربها بالضغث هي رحمة بنت أفرائيم بن
يوسف بن يعقوب ، وكانت لها البثنية^(٣) من الشام كلها بما فيها ، وكان - فيما
ذكر - عن وهب بن منبه في الخبر الذي حدثنيه محمد بن سهل بن عسكر البخاري ،
قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم أبو هشام ، قال : حدثني عبد الصمد
ابن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن إبليس لعنه الله سمع تجاوب
الملائكة^(٤) بالصلاة على أيوب ، وذلك حين ذكره الله تعالى وأثنى عليه ، فأدركه

٣٦٢/١

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « رعويل » . (٢) ط : « إحراقه » ؛ وما أثبتته عن ١ .

(٣) البثنية ؛ ويقال البثنة ؛ ذكرها باقوت وقال « اسم ناحية من فواحي دمشق ، وقال :

وقيل : هي قرية بين دمشق وأذرمات ، عن الأزهرى . وكان أيوب النبي عليه السلام منها » .

(٤) ر : « ملائكة السموات » .

البغى والحسد ، فسأل الله أن يسلطه عليه ليفتنه عن دينه^(١) ، فسلطه الله على ماله دون جسده وعقله ، وجمع إبليس عفاريت الشياطين وعظماؤهم ، وكان لأيوب البشنيّة من الشام كلتها بما فيها بين شرقها وغربها ، وكان بها ألف شاة برعاتها^(٢) ، وخمسمائة فدّان يتبعها خمسمائة عبد ، لكل عبد امرأة وولد ومال ، ويحمل آلة كل فدّان أتان ، لكل أتان ولد ؛ بين اثنين^(٣) وثلاثة وأربعة وخمسة وفوق ذلك . فلما جمعهم إبليس ، قال : ماذا عندكم من القوة والمعرفة ؟ فإني قد سلطت على مال أيوب ؛ فهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال . فقال كل من عنده قوة على إهلاك شيء ما عنده^(٤) . فأرسلهم فأهلكوا ماله كله ؛ وأيوب في كل ذلك بحمد الله ولا يشنيه شيء أصيب به من ماله عن الجحد في عبادة الله تعالى والشكر له على ما أعطاه ، والصبر على ما ابتلاه به . فلما رأى ذلك من أمره إبليس لعنه الله سأل الله تعالى أن يسلطه على ولده ، فسلطه عليهم ، ولم يجعل له سلطاناً على جسده وقلبه وعقله ، فأهلك ولده كلهم ، ثم جاء إليه متمثلاً بمعلمهم الذي كان يعلمهم الحكمة جريحاً مشدوخاً يرققه حتى رقّ أيوب فبكى ، فقبض قبضة من تراب فوضعها على رأسه ، فسرّ بذلك إبليس ، واغتتمه من أيوب عليه السلام .

٣٦٣/١

ثم إنّ أيوب تاب واستغفر ، فصعدت قرناؤه من الملائكة بتوبته فبدروا إبليس إلى الله عزّ وجلّ . فلما لم يثن أيوب عليه السلام ما حلّ به من المصيبة في ماله وولده عن عبادة ربه ، والجحد في طاعته ، والصبر على ما ناله ، سأل الله عزّ وجلّ إبليس أن يسلطه على جسده ، فسلطه على جسده خلالسانه وقلبه وعقله ؛ فإنه لم يجعل له على ذلك منه سلطاناً ، فجاءه^(٥) وهو ساجد ، فنفخ في منخره نفخة اشتعل^(٦) منها جسده ، فصار من جملة أمره إلى أن أتت

(١) ن : « في دينه » .

(٢) ن : « برعاها » .

(٣) كذا في ط ، وفي ا : « بين اثنين » .

(٤) ر : « ما عندهم » .

(٥) ط : « نجاء » ، وما أثبت من .

(٦) ن : « أشعل » .

جسده ، فأخرجه أهلُ القرية من القرية إلى كُناسة خارج القرية لا يقربه أحد إلا زوجته . وقد ذكرت اختلاف الناس في اسمها ونسبها قبل .

ثم رجع الحديث إلى حديث وهب بن منبه :

وكانت زوجته تختلف إليه بما يصلحه وتلزمه ، وكان قد اتبعه ثلاثة نفر على دينه . فلما رأوا ما نزل به من البلاء رفضوه وأتهموه من غير أن يتركوا دينه ؛ يقال لأحدهم بلدد ، وللآخر الينز^(١) وللمثالث صافر^(٢) . فانطلقوا إليه وهو في بلائه فبكتوه ، فلما سمع أيوب عليه السلام كلامهم أقبل على ربه يستغيثه ويتضرع إليه ، فرحمه ربه ورفع عنه البلاء ، وردَّ عليه أهله وماله ومثلهم معهم ، وقال له : ﴿ اِرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾^(٣) ؛ فاغتسل به فعاد كهيبته قبل البلاء في الحسن والجمال .

٣٦٤/١

فحدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : حدثنا فضيل بن عياض ، عن هشام ، عن الحسن ، قال : لقد مكث أيوب عليه السلام مطروحاً على كُناسة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهرا ، ما يسأل الله عزَّ وجلَّ أن يكشف ما به ، قال : فما على وجه الأرض أكرم على الله من أيوب ، فيزعمون أن بعض الناس قال : لو كان لربِّ هذا فيه حاجة ما صنع به هذا ! فعند ذلك دعا .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عُلَيَّة ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : بقى أيوب عليه السلام على كُناسة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهرا اختلف فيها^(٤) الرواة .

فهذه جملة من خبر أيوب صلى الله عليه وسلم ، وإنما قدمنا ذكر خبره وقصته قبل خبر يوسف وقصته لما ذكر من أمره ، وأنه كان نبياً في عهد يعقوب أبي يوسف عليهم السلام .

وذكر أن عُمر أيوب كان ثلاثاً وتسعين سنة ، وأنه أوصى عند موته إلى

(١) ا : « اليفر » ، ن : « النفر » . (٢) ا : « صافر » .

(٣) سورة ص ص ٤٢ . (٤) في الأصول : « فيه » .

ابنه حومل^(١) ، وأن الله عز وجل بعث بعده ابنه بشر بن أيوب نبياً ، وسماه
 ذا الكفيل وأمره بالدعاء إلى توحيدده ، وأنه كان مقيماً بالشأم عُمره حتى مات ،
 وكان عمره خمساً وسبعين سنة ، وأن بشرًا أوصى إلى ابنه عبدان ، وأن الله
 عز وجل بعث بعده شُعَيْبَ بن صَيْفُونَ^(٢) بن عَيْفَا^(٣) بن نَابِت^(٤) بن مدين
 ابن إبراهيم إلى أهل مدين .

وقد اختلف في نسب شُعَيْب فنسبه أهل التوراة النسب الذي^(٥) ذكرت .
 وكان ابن إسحاق يقول : هو شعيب بن ميكائيل من ولد مدين ، حدثني
 بذلك ابن حميد ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق .
 وقال بعضهم : لم يكن شعيب من ولد إبراهيم ، وإنما هو من ولد بعض من
 كان آمن بإبراهيم واتبعه على دينه ، وهاجر معه إلى الشأم ، ولكنه ابن بنت لوط
 فجدة شعيب ابنة لوط .

ذكر خبر شعيب صلى الله عليه

وقيل إن اسم شعيب يزون^(٦) ، وقد ذكرت نسبه واختلاف أهل الأنساب
 في نسبه ، وكان - فيما ذكر - ضريب البصر .

حدثني عبد الأعلى بن واصل الأسدي ، قال : حدثنا أسيد بن زيد
 الحصاص . قال : أخبرنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبَيْر في قوله :
 ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾^(٧) ، قال : كان أعمى .

(١) ن : « حومل » .

(٢) ا : « صيفون » .

(٣) ط : « عنقا » ، وما أثبتته عن ابن الأثير .

(٤) كذا في ا ، ن ، وفي ط : « ثابت » .

(٥) ن : « النسبة التي » .

(٦) كذا في ا ، وفي ر : « يرون » ، وفي ط : « يرون » .

(٧) سورة هود ٩١ .

حدثنا أحمد بن الوليد الرَّمْلِيُّ ، قال : حدثنا إبراهيم بن زياد وإسحاق
ابن المنذر وعبد الملك بن يزيد ، قالوا : حدثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ،
مثله . ٣٦٦/١

حدثني أحمد بن الوليد ، قال : حدثنا عمرو بن عون ومحمد بن الصباح ،
قالا : سمعنا شريكا يقول في قوله : ﴿ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ ، قال : أعمى .
حدثني أحمد بن الوليد ، قال : حدثنا سعدويه ، قال : حدثنا عباد ،
عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

حدثني المثني ، قال : حدثنا الحماني ، قال : حدثنا عباد ، عن شريك ،
عن سالم ، عن سعيد : ﴿ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ ، قال : كان ضيرير البصر .

حدثني العباس بن أبي طالب ، قال : حدثنا إبراهيم بن مهدي المصيصي ،
قال : حدثنا خلف بن خليفة ، عن سفيان ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير :
﴿ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ ، قال : كان ضعيف البصر^(١)

حدثني المثني ، قال : حدثنا أبو نعيم ، قال : حدثنا سفيان ، قوله تعالى :
﴿ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ ، قال : كان ضعيف البصر . قال سفيان : وكان
يقال له خطيب الأنبياء . وإن الله تبارك وتعالى بعثه نبياً إلى أهل مدين ، وهم
أصحاب الأيكة - والأيكة الشجر الملتف - وكانوا أهل كفر بالله وبخس
للناس في المكاييل والموازين وإفساد لأموالهم ، وكان الله عز وجل وسع عليهم
في الرزق ، وبسط لهم في العيش استدراجاً منه لهم ، مع كفرهم به ، فقال لهم
شعيب عليه السلام : ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا
الْمِيزَانَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴾^(٢)
فكان من قول شعيب لقومه وجواب قومه له ما ذكره الله عز وجل في كتابه . ٣٦٧/١

(١) ن : كان أعمى .

(٢) سورة هود ٨٤

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما ذكر لي يعقوب بن أبي سلمة - إذا ذكره قال : «ذاك خطيب الأنبياء» . لحسن مراجعته قومه فيما يرادهم به .

فلما طال تماديهم في غيبتهم وضلالهم ، ولم يردتهم تذكير شعيب إياهم ، وتحذيرهم عذاب الله [لهم] ^(١) وأراد الله تبارك وتعالى هلاكهم ^(٢) ، سلط عليهم - فيما حدثني الحارث - قال : حدثنا الحسن بن موسى الأشيب ، قال : حدثني سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد ، قال : حدثنا حاتم بن أبي صغيرة ، قال : حدثني يزيد الباهلي ، قال : سألتُ عبد الله بن عباس عن هذه الآية : ﴿ فَأَخَذَهُمُ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ^(٣) ، فقال عبد الله بن عباس : بعث الله وابتداءً ^(٤) وحرراً شديداً ، فأخذ بأنفاسهم فدخلوا أجواف البيوت ، فدخل [عليهم] ^(٥) أجواف البيوت فأخذ بأنفاسهم ، فخرجوا من البيوت هرباً ^(٦) إلى البرية فبعث الله عز وجل سحابة ، فأظلمت من الشمس ، فوجدوا لها برداً ولذة ، فنادى بعضهم بعضاً . حتى إذا اجتمعوا تحتها أرسل ^(٧) الله عليهم ناراً . قال عبد الله ابن عباس : فذاك عذاب يوم الظلة ؛ ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا ابن وهب ، قال : حدثني ٣٦٨/١ جريير بن حازم أنه سمع قتادة يقول : بُعث شعيب إلى أمتين : إلى قومه أهل مدين ، وإلى أصحاب الأيكة . وكانت الأيكة من شجر ملتف ، فلما أراد الله عز وجل أن يعذبهم بعث عليهم حرّاً شديداً . ورفع لهم العذاب كأنه سحابة . فلما دنت منهم خرجوا إليها رجاء بردها ، فلما كانوا تحتها أمطرت ^(٧)

(١) من أ . (٢) ١ : « إهلاكهم » .

(٣) سورة الشعراء ١٨٩

(٤) ابن الأثير : « وقدة » ؛ وهما بمعنى .

(٥) ر : « حرباً » .

(٦) ن : « أرسلها » .

(٧) كذا في أو ابن الأثير ، وهو أجود ؛ قال في اللسان : « أمطرتهم الله ، في العذاب خاصة » ،

وفي ط : « مطرت » .

عليهم ناراً، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَهُمُ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴾ .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني أبو سفيان ، عن
معمربن راشد ، قال : حدثني رجل من أصحابنا عن بعض العلماء ، قال :
كانوا - يعني قوم شعيب - عطّلوا حدّاً ، فوسع الله عليهم في الرزق ، ثم
عطّلوا حدّاً فوسع الله عليهم في الرزق . فجعلوا كلما عطّلوا حدّاً أوسع الله عليهم
في الرزق ، حتى إذا أراد الله هلاكهم سلّط عليهم حرّاً لا يستطيعون أن
يتقارّوا ، ولا ينفعمهم ظل ولا ماء ، حتى ذهب ذهاب منهم فاستظلّ تحت
ظلة فوجد روحاً ، فنادى أصحابه : هلمّوا إلى الروح . فذهبوا إليه سراعاً ؛
حتى إذا اجتمعوا ألهبها الله عليهم ناراً ، فذلك عذاب يوم الظلة .

٣٦٩/١

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا سفيان ،
عن أبي إسحاق ، عن زيد بن معاوية في قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَهُمُ عَذَابُ يَوْمِ
الظُّلَّةِ ﴾ ، قال : أصابهم حرٌّ قاتلهم في بيوتهم ، فنشأت سحابة كهيئة الظلّة
فابتدروها . فلما ناموا تحتها أخذتهم الرجفة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم . قال : حدثنا عيسى .
وحدثني الحارث ، قال : حدثنا الحسن ، قال : حدثنا ورقاء ، جميعاً عن
ابن أبي نجيح . عن مجاهد في قوله: ﴿ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴾ ، قال : ظلال
العذاب .

حدثني القاسم . قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن
جريج ، عن مجاهد في قوله: ﴿ فَأَخَذَهُمُ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴾ ، قال : أظلم
العذاب قوم شعيب . قال ابن جريج : لما أنزل الله تعالى عليهم أول العذاب
أخذهم منه حرٌّ شديد . فرفع الله لهم غمامة ، فخرج إليها طائفة منهم ليستظلوا
بها ، فأصابهم منها برد وروح وريح طيبة ، فصبّ الله عليهم من فوقهم من تلك
الغمامة عذاباً . فذلك قوله: ﴿ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ ﴾ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ فَأَخَذَهُمُ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ، قال : بعث الله عز وجل إليهم ظلة من سحب ، وبعث الله إلى الشمس فأحرقت ما على وجه الأرض ، فخرجوا كلهم إلى تلك الظلة ؛ حتى إذا اجتمعوا كلُّهم كشف الله عنهم الظلة ، وأحسَى عليهم الشمس ، فاحترقوا كما يحترق الجراد في المِقْلَى .

٣٧٠/١

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا أبو تُمَيْلَةَ ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عامر ، عن ابن عباس ، قال : مَنْ حَدَّثَكَ مِنَ الْعِلْيَاءِ ، مَا عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ، فَكَذَّبَهُ .

حدثني محمود بن خدّاش ، حدثنا حماد بن خالد الحياط ، قال ، حدثنا داود بن قيس ، عن زيد بن أسلم في قوله عز وجل : ﴿ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾ ^(١) ، قال : كان مما ينههم عنه حذف الدراهم - أو قال : قطع الدراهم ، الشك من حماد .

حدثنا سهل بن موسى الرازي ، قال : حدثنا ابن أبي فُدَيْكٍ ، عن أبي مودود قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول : بلغني أن قوم شعيب عذّبوا في قطع الدراهم ، ثم وجدت ذلك في القرآن : ﴿ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا زيد بن حُبَابٍ . عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : عذب قوم شعيب في قطعهم الدراهم ، فقالوا : ﴿ يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾ .

٣٧١/١

ونرجع الآن إلى :

ذكر يعقوب وأولاده

ذكروا والله أعلم أن إسحاق بن إبراهيم عاش بعد ما ولد له العيص ويعقوب مائة سنة ، ثم توفي وله مائة وستون سنة فقبره ابنائه : العيص ويعقوب عند قبر أبيه إبراهيم في مزرعة حَبْرُونَ^(١) ، وكان عمر يعقوب بن إسحاق كله مائة وسبعاً وأربعين سنة ، وكان ابنه يوسف قد قُسم له ولأُمته من الحسن ما لم يقسم لكثير من أحد من الناس .

وقد حدثني عبد الله بن محمد وأحمد بن ثابت الرازيان ، قالا : حدثنا عفان بن مسلم ، قال : أخبرنا حماد بن سلمة ، قال : أخبرنا ثابت [البناني] ^(٢) عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « أعطى يوسف وأمه شَطْرَ الحسن » .

وأن أمه راحيل لما ولدته دفعه زوجها يعقوب إلى أخته تحضنه ، فكان من شأنه وشأن عمته التي كانت تحضنه ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيع ، عن مجاهد ، قال : كان أول ما دخل على يوسف من البلاء فيها^(٣) بلغني أن عمته ابنة إسحاق ، وكانت أكبر ولد إسحاق ، وكانت إليها صارت مِنطقة إسحاق ، وكانوا يتوارثونها بالكِبَر ، فكان من اختانها من وليها كان له سلماً^(٤) لا يَنازع فيه ، يصنع فيه ما شاء ، وكان يعقوب حين ولد له يوسف قد كان حضنته^(٥) عمته ، فكان معها وإليها ، فلم يحب أحد شيئاً من الأشياء حبها إياه ، حتى إذا ترعرع

٣٧٢/١

(١) في الأصول : « جبرون » ، وفي ياقوت : « حبرون » ، بالفتح ثم السكون وضم الراء وسكون الواو ووزن : اسم القرية التي فيها قبر إبراهيم الخليل عليه السلام بالبيت المقدس .

(٢) من أ .

(٣) كذا في أ ، ح ، وفي ط : « ما بلني » .

(٤) السلم هنا : الأسير .

(٥) كذا في أ ن والضير ، وفي ط : « حنه » .

وبلغ سنوات ، ووقعت نفس يعقوب عليه ، أتاها فقال : يا أختي^(١) سلمى إلى يوسف ، فوالله ما أقدر على أن يغيب عني ساعة ، قالت : والله^(٢) ما أنا بتاركته ، قال : فوالله ما أنا بتاركة . قالت : فدعه عندي أياماً أنظر إليه وأسكن عنه ، لعل ذلك يسدني عنه - أو كما قالت - فلما خرج من عندها يعقوب عمدت إلى منطقة إسحاق فحزمتها على يوسف من تحت ثيابه ، ثم قالت : لقد فقدت منطقة إسحاق ، فانظروا من أخذها ومن أصابها ، فالتُمت ثم قالت : كَشَفُوا أَهْلَ الْبَيْتِ ، فَكَشَفُوهُمْ فوجدوها مع يوسف ، فقالت : والله إنه لي لتسلم أصنع فيه ما شئت . قال : وأتاها يعقوب فأخبرته الخبر ، فقال لها : أنت وذاك ، إن كان فعل ذلك فهو سَلَمٌ لك ، ما أستطيع غير ذلك فأمسكته ، فما قدر عليه يعقوب حتى مات . قال : فهو الذي يقول إخوة يوسف حين صنع بأخيه ما صنع حين أخذه : ﴿ إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾^(٣) .

٣٧٣/١

قال أبو جعفر : فلما رأت إخوة يوسف شدة حبّ والدهم يعقوب إياه في صباه وظفولته وقلّة صبره عنه حسدوه على مكانه^(٤) منه ، وقال بعضهم لبعض : ﴿ لِيُؤْسَفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ ، يعنون بالعصبة الجماعة ، وكانوا عشرة : ﴿ إِنْ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾^(٥) .

ثم كان من أمره وأمر يعقوب ما قد قصّ الله تبارك وتعالى في كتابه من مسألته إياه إرساله إلى الصحراء معهم ، ليسعى وينشط ويلعب ، وضمانهم^(٦) له حفظه ، وإعلام يعقوب إياهم حزنه بمغيبه عنه ، وخوفه عليه من الذئب ، وخذاعهم والدهم بالكذب من القول والزور عن يوسف ، ثم إرساله معهم

(١) ح : « يا أختاه » .

(٢) ط : « فوالله » ، وما أثبتته من أ .

(٣) سورة يوسف ٧٧ ، والخبر في التفسير ١٣ : ٢١ (بولاق) .

(٤) ح : « لمكانه » . وفي ر : « حسدوا مكانه » .

(٥) سورة يوسف ٨ .

(٦) ح : « في ضمانهم » .

وخروجهم به وعزمهم حين برزوا به إلى الصحراء على إلقائه في غيابة الحب ، فكان من أمره حينئذ - فيما ذكر - ما حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد العنقزي ، عن أسباط ، عن السدي قال : أرسله - يعني يعقوبُ يوسفَ - معهم ، فأخرجوه وبه عليهم كرامة ، فلما برزوا إلى البرية أظهروا له العداوة ، وجعل أخوه يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه ، فجعل لا يرى منهم رحماً ، فضربوه حتى كادوا يقتلونه ، فجعل يصيح ويقول : يا أبتاه يا يعقوب! لو تعلم^(١) ما يصنع بابنك بنو الإمام! فلما كادوا يقتلونه^(٢) ، قال يهوذا : أليس قد أعطيتموني موثقاً ألا تقتلوه! فانطلقوا به إلى الحب ليطرحوه ، فجعلوا يدلونّه في البئر فيتعلق بشفيرها^(٣) ، فربطوا يديه ، ونزعوا قميصه ، فقال : يا إخوتاه ، ردوا عليّ قميصي أتوارى به في الحب! فقالوا : ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً تؤنسك ، قال : إني لم أر شيئاً ، فدلّوه في البئر حتى إذا بلغ نصفها ألقوه إرادة أن يموت ، فكان في البئر ماء ، فسقط فيه ، ثم أوى إلى صخرة فيها ، فقام عليها ، فلما ألقوه في الحب جعل يبكي ، فنادوه ، فظن أنها رحمة أدركتهم ، فأجابهم ، فأرادوا أن يرضخوه بصخرة^(٤) فيقتلوه ، فقام يهوذا ، فنعهم وقال : قد أعطيتموني موثقاً ألا تقتلوه ، وكان يهوذا يأتيه بالطعام .

ثم خبره تبارك وتعالى عن وحيه إلى يوسف عليه والسلام وهو في الحب لينبئن إخوته الذين فعلوا به ما فعلوا بفعلهم ذلك وهم لا يشعرون بالوحي الذي أوحى إلى يوسف . كذلك روى ذلك عن قتادة . حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿ وأوحينا إليه لتنبئتهم بأمرهم هذا ﴾ ، قال : أوحى إلى يوسف وهو في الحب أن ينبئهم بما صنعوا به ﴿ وهم لا يشعرون ﴾^(٥) بذلك الوحي .

(١) ط : « لم تعلم » ومنه أثبتته من أ .

(٢) ر ، ن : « أن يقتلوه » .

(٣) شفير البئر : أعلاها ، وفي ب ، ن : « بشفير البئر » .

(٤) أ : « بالحجارة » .

(٥) سورة يوسف ١٥ .

حدثني المثنى ، قال : حدثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن
معمر ، عن قتادة بنحوه ، إلا أنه قال : أن سينبئهم .

٣٧٥/١

وقيل معنى ذلك : وهم لا يشعرون أنه يوسف ، وذلك قول يروى عن
ابن عباس ؛ حدثني بذلك الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز . قال : حدثنا
صدقة بن عبادة الأسدي ، عن أبيه ، قال : سمعت ابن عباس يقول ذلك^(١) ،
وهو قول ابن جريج .

ثم خبره تعالى عن إخوة يوسف ومجئتهم إلى أبيه عشاءً يبكون : يذكر
له أن يوسف أكله الذئب ، وقول والدهم : ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ
جَمِيلٌ ﴾^(٢) .

ثم خبره جل جلاله عن مجيء السيارة ، وإرسالهم واردهم . وإخراج الوارد
يوسف وإعلامه أصحابه به بقوله : ﴿ يَا بُشْرَايْ هَذَا غُلامٌ ﴾^(٣) يبشرهم^(٤) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن
قتادة ، قال : ﴿ يَا بُشْرَايْ هَذَا غُلامٌ ﴾ ، تباشروا به حين أخرجوه - وهي بر
بأرض بيت المقدس معلوم مكانها .

. . .

وقد قيل : إنما نادى الذي أخرج يوسف من البئر صاحبه له يسمي بشري ،
فناداه باسمه الذي هو اسمه . كذلك ذكر عن السدي . حدثنا الحسن بن محمد ،
حدثنا خلف بن هشام ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، عن قيس بن الربيع ،
عن السدي في قوله : ﴿ يَا بُشْرَايْ ﴾ ، قال : كان اسم صاحبه بشري .

(١) ١ : « ذلك » .

(٢) سورة يوسف ١٨ .

(٣) سورة يوسف ١٩ .

(٤) ح : « فبشرهم » .

حدثني المثنى، قال : حدثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، قال : حدثنا الحكم بن ظهير ، عن السدي في قوله : ﴿ يَا بُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ ﴾ ، قال : اسم الغلام بشري ، كما تقول : يا زيد .

•••

ثم خبره عز وجل عن السيارة وواردهم الذي استخرج يوسف من الحب إذ اشتروه من إخوته ﴿ بِشْمَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾^(۱) ، على زهد فيه وإسراؤهم إياه بضاعة ، خيفة ممن معهم من التجار مسألتهم الشركة فيه ، إن هم علموا أنهم اشتروه .

كذلك قال في ذلك أهل التأويل :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى [عن]^(۲) ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً ﴾^(۱) ، قال : صاحب الدلو ومن معه قالوا لأصحابهم : إنا استبضعناه^(۳) خيفة أن يستشركوهم فيه إن علموا بشمته ، وتبعهم إخوته يقولون للمدلى وأصحابه : استوثقوا منه لا يأتق ، حتى وقفوه بمصر فقال : مَنْ يبتاعني ويبتشرا فاشتراه الملك ، والملك مسلم^(۴) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا شبابة ، قال : حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه ؛ غير أنه قال : خيفة أن يستشركوهم إن علموا به ، واتبعهم إخوته ، يقولون للمدلى وأصحابه : استوثقوا منه لا يأتق حتى وقفوه بمصر .

۲۷۷/۱

حدثنا ابن وكيع ، قال ، حدثنا عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدي : ﴿ وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً ﴾ ، قال : لما اشتراه الرجلان فرقا من الرفقة أن يقولوا : اشتريناه فيسألونهم الشركة فيه فقالوا : إن سألونا : ما هذا ؟ قلنا : بضاعة ، استبضعناه^(۳) أهل الماء ، فذلك قوله : ﴿ وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً ﴾ .

(۱) سورة يوسف ۲۰ (۲) تكله من ا والتفسير .

(۳) كذا في ا ، ح والتفسير ، وفي ط : استبضعناها .

(۴) الخبر في التفسير ۱۲ : ۱۰۰ (بولاق) .

فكان بيعهم إياه ممن باعوه منه بثمن بخس ، وذلك الناقص القليل من الثمن الحرام .

وقيل إنهم باعوه بعشرين درهماً ، ثم اقتسموها - وهم عشرة - درهمين درهمين، وأخذوا العشرين معدودة بغير وزن؛ لأن الدرهم حينئذ - فيما قيل - إذا كانت أقل من أوقية وزنها أربعون درهماً لم تكن توزن ، لأن أقل أوزانهم يومئذ كانت أوقية .

وقد قيل : إنهم باعوه بأربعين درهماً . وقيل : باعوه باثنين وعشرين درهماً .

وذكر أن بائعه الذي باعه بمصر كان مالك بن دعر بن يوبب^(٢) ابن عفقان بن مديان بن إبراهيم الخليل عليه السلام . حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن السائب . عن أبي صالح ، عن ابن عباس .

وأما الذي اشتراه بها وقال : ﴿لَا مَرْأَتِي أَكْرَمِي مَثْوَاهُ﴾^(٣)؛ فإن اسمه - فيما ذكر عن ابن عباس - قُطْفِير^(٤) . حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : كان اسم الذي اشتراه قُطْفِير .

وقيل إن اسمه أطفير ، بن رُوحِيب^(٥) ، وهو العزيز ، وكان على خزائن مصر ، والملك يومئذ الريان بن الوليد ، رجل من العماليق ، كذلك حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق .

فأما غيره فإنه قال : كان يومئذ الملك بمصر وفرعونها الريان بن الوليد بن ثروان بن أراشة بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح .

(١) : « ذعر » .

(٢) : ن ، بويب ، ر : « تويب » . (٣) سورة يوسف ٢١ .

(٤) كذا في ط وهو يوافق ما في ابن الأثير : ١ : ٨٠ ، وفي ١ : « قطفين » ، وفي ن : « قطعين » ،

واسمه في سفر التكوين ٣٩ : ١ : « فوطيفار » .

(٥) : ١ : « رحيب » ، ر : « روحيت » .

وقد قال بعضهم : إن هذا الملك لم يمت حتى آمن واتبع يوسف على دينه ، ثم مات ويوسف بعدُ حتى ، ثم ملك بعده قابوس بن مُصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام ، وكان كافرًا ، فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى أن يقبل .

وذكر بعضُ أهل التوراة أن في التوراة : أن الذي كان من أمر يوسف وإخوته والمصير به إلى مصر ، وهو ابن سبع عشرة سنة يومئذ ، وأنه أقام في منزل العزيز الذي اشتراه ثلاث عشرة سنة ، وأنه لما تمت له ثلاثون سنة استوزره فرعون مصر ؛ الوايد بن الرّيان ، وأنه مات يوم مات وهو ابن مائة سنة وعشر^(١) سنين وأوصى إلى أخيه يهوذا ، وأنه كان بين فراقه يعقوب واجتماعه معه بمصر اثنتان وعشرون سنة ، وأن مقام يعقوب معه بمصر بعد موافاته بأهله سبع عشرة سنة ، وأن يعقوب صلى الله عليه وسلم أوصى إلى يوسف عليه السلام .

٢٧٩/١

وكان دخول يعقوب مصر في سبعين إنسانًا من أهله ، فلما اشترى أظفیر يوسف ، وأتى به منزله ، قال لأهله واسمها - فيما حدثنا ابن حديد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق - راعيل : ﴿ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا ﴾ فيكفينا إذا هو بلغ وفهم الأمور بعض ما نحن بسبيله من أمورنا : ﴿ أَوْ تَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ ، وذلك أنه كان فيما حدثنا به ابن حديد ، قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق - رجلاً لا يأتي النساء ، وكانت امرأته راعيل حسناء ناعمة في مُلك ودنيا ، فلما خلا من عمر يوسف عليه السلام ثلاث وثلاثون سنة أعطاه الله عز وجل الحكيم والعلم .

حدثني المثني ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد : ﴿ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾^(٢) : قال : العقل والعلم قبل النبوة .

. . .

(٢) سورة يوسف ٢٢ .

(١) ح : « وعشرين سنة » .

﴿ وَرَأَوْدَتُهُ ﴾ حين بلغ من السن أشده (١) ﴿ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا
عَنْ نَفْسِهِ ﴾ - وهي راعيل امرأة العزيز أطفير - ﴿ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ ﴾ (٢)
عليه وعليها للذي أرادت منه . وجعلت - فيما ذكر - تذكر ليوسف محاسنه
تشوقه بذلك إلى نفسها .

ذكر من قال ذلك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد . عن أسباط . عن
السدي : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ﴾ (٣) . قال : قالت له يا يوسف :
ما أحسن شعرك ! قال : هو أول ما ينتثر من جسدي . قالت : يا يوسف ما أحسن
عينيك ! قال : هي أول ما يسيل إلى الأرض من جسدي . قالت :
يا يوسف ما أحسن وجهك ! قال : هو للتراب يأكله ، فلم تزل حتى أضعته
فهمت به وهم بها . فدخل البيت وغلقت الأبواب ، وذهب ليحل سراويله ،
فإذا هو بصورة يعقوب قائماً في البيت قد عض على إصبعه يقول : يا يوسف
لا توقعها . فإنما مثلك ما لم توقعها مثل الضير في جوف السماء لا يطاق . ومثلك
إن واقعته مثله إذا مات وقع في الأرض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه .
ومثلك ما لم توقعها مثل الثور الصعب الذي لا يعمل عليه . ومثلك إن واقعته
مثل النور حين يموت فيدخل النمل في أصل قرنيه لا يستطيع أن يدفع عن
نفسه . فربط سراويله . وذهب ليخرج يشتد . فأدركته فأخذت بمؤخر قميصه
من خلفه فخرقته حتى أخرجته منه . وسقط وطرحه يوسف . واشتد نحو
الباب .

وقد حدثنا أبو كريب وابن وكيع وسهل بن موسى ، قالوا : حدثنا ابن عميرة
عن عثمان بن أبي سليمان . عن ابن أبي ماريكة . عن ابن عباس : سئل عن هم
يوسف ما بلغ ؟ قال : حل الخميان . وجلس منها مجلس الخائن (٤) .

٣٨١/١

(١) ١ ، ن . : « بلغ السن الأشد » . (٢) سورة يوسف ٢٣

(٣) سورة يوسف ٢٥ ، والخبر في التفسير ١٢ : ١٠٨ (بولاق) .

(٤) ١ : « الخائن » . وكذلك في التفسير ١٢ : ١٠٩ (بولاق) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنا عبد الله بن أبي مُلَيْكَةَ ، قال : قلت لابن عباس : ما بلغ من هم يوسف ؟ قال : استلقت له وجلس بين رجلها ينزع ثيابه ، فصرف الله تعالى عنه ما كان هم به من سوء بما رأى من البرهان الذي أراه الله ، فذلك (۱) — فيما قال بعضهم — صورة يعقوب عاضاً على إصبعه .

وقال بعضهم : بل نودی من جانب البيت : أتزني فتكون كالطير وقع ريشه ، فذهب يطير ولا ريش له !

وقال بعضهم : رأى في الحائط مكتوباً : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (۲) فقام حين رأى برهان ربه هارباً يريد باب البيت ، فراراً مما أرادت ، واتبعت راعيل فأدركته قبل خروجه من الباب ، فجذبتة بقميصه من قبيل ظهره ، فقدت قميصه وألقى يوسف وراعيل سيدها — وهو زوجها أظفیر — جالساً عند الباب . مع ابن عم لراعيل .

كذلك حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ، : ﴿ وَالْفِيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾ (۳) قال : كان جالساً عند الباب وابن عمها معه ، فلما رآته قالت : ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (۴) ؛ إنه راودني . عن نفسي ، فدفعته عن نفسي فأبيت فشقت قميصه . قال يوسف : بل هي راودتني عن نفسي ، فأبيت وفررت منها ، فأدركتني فشقت قميصي . فقال ابن عمها : تبیان هذا فی القميص ، فإن كان القميص ﴿ قَدْ مِنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (۵) ، وإن كان القميص ﴿ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (۵) ، فأني بالقميص ، فوجده قد من دُبُرٍ ، قال : ﴿ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ

۳۸۲/۱

(۱) : « أراه الله به ، وذلك » .

(۲) سورة الإسراء ۳۲ .

(۴) سورة يوسف ۲۶ .

(۳) سورة يوسف ۲۵ .

(۵) سورة يوسف ۲۷ .

عَظِيمٌ ۖ يُوَسِّفُ أُعْرَضُ عَنْ هَذَا وَأَسْتَغْفِرِي لِدَنِّكَ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿١﴾ .

حدثني محمد بن عمارة ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا شيبان ، عن أبي إسحاق ، عن نوف الشامي ، قال : ما كان يوسف يريد أن يذكره حتى قالت : ﴿ مَا جَزَاءَهُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢) ، قال : فغضب وقال : ﴿ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي ﴾ .

• • •

وقد اختلف في الشاهد الذي شهد من أهلها ﴿ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ، فقال بعضهم : ما ذكرت عن السدي . وقال بعضهم : كان صبيًّا في المهد ، وقد روى في ذلك عن رسول الله ما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا عفان بن مسلم ، قال : حدثنا حماد ، قال : أخبرنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « تكلم أربعة وهم صغار » ، فذكر فيهم شاهد يوسف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا العلاء بن عبد الجبار ، عن حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : تكلم أربعة وهم صغار : ابن ماشطة ابنة فرعون ، وشاهد يوسف ، وصاحب جريج ، وعيسى بن مريم .

• • •

وقد قيل إن الشاهد كان هو القميص وقدّه من دبره .

، ذكر بعض من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا ﴾

(١) سورة يوسف ٢٨ ، ٢٩ .

قال : قبيصه مشقوق من دُبْره فتلك الشهادة ، فلما رأى زوجُ المرأة قبيص يوسف قُدَّ من دبر قال لراعيل زوجته : ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ ، ثم قال ليوسف : أعرض عن ذكر ما كان منها من مراودتها إياك عن نفسها فلا تذكره لأحد ، ثم قال لزوجته : ﴿اسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ .

وتحدث النساء بأمر يوسف وأمر امرأة العزيز بمصر ومراودتها إياه على نفسها فلم ينكمن ، وقلن : ﴿امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تَرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ ، (١) قد وصل حب يوسف إلى شغاف قلبها فدخل تحته حتى غلب على قلبها وشغاف القلب : غلافه وحجابه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي : ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ قال : والشغاف جلدة على القلب (٢) يقال خا لسان القلب ، يقول : دخل الحب الجلد حتى أصاب القلب . فلما سمعت امرأة العزيز بمكرهن وتحدثن بينهن بشأنها وشأن يوسف ، وبلغها ذلك أرسلت إليهن وأعدت لهن متكأ يتكئن عليه إذا حضرن من وسائد . وحضرها فتقدمت إليهن طعاماً وشراباً وأترجاً ، وأعطت كل واحدة منهن سكيناً تقطع به الأترج .

٣٨٤/١

حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : حدثنا محمد بن الصلت ، قال : حدثنا أبو كدبينة ، عن حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ ، قال : أعطتهن أترجاً . وأعطت كل واحدة منهن سكيناً .

فلما فعلت امرأة العزيز ذلك بهن ، وقد أجلست يوسف في بيت ومجلس غير المجلس الذي هن فيه جلوس ، قالت ليوسف : ﴿أَخْرِجْ عَلَيْنِ﴾ ،

(١) يوسف ٣٠ .

(٢) ن : « في القلب » .

فخرج يوسف عليهن ، فلما رأينه أجللنه وأكبرنه وأعظمنه ، وقطعن أيديهن
 بالسكاكين التي في أيديهن ، ومن يحسن أنهن يقطعن بها الأترج ، وقلن :
 معاذ الله ما هذا إنس ، ﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾^(١) . فلما حلّ بهن
 ما حلّ من قطع أيديهن من أجل نظرة نظرنا إلى يوسف وذهاب عقولهن ،
 وعرفتهن خطأ قيلهن : ﴿ امْرَأَةٌ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ ، وإنكارهن
 ما أنكرن من أمرها أقرت عند ذلك هن بما كان من مراودتها إياه على نفسها ،
 فقالت : ﴿ فَذَلِكَ الَّذِي لُمْتَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ ،
 بعد ما حلّ سراويله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي : ٣٨٥/١
 ﴿ قَالَتْ فَذَلِكَ الَّذِي لُمْتَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ ،
 تقول : بعد ما حلّ السراويل استعصم ، لا أدري ما بدا له ! ثم قالت هن :
 ﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ ﴾ من إتيانها ﴿ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ
 الصَّاعِرِينَ ﴾ ، فاختار السجن على الزنا ومعصية ربه ، فقال : ﴿ رَبِّ السَّجْنُ
 أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾^(٢) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن
 السدي : ﴿ قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ من الزنا ، واستغاث
 بربه عز وجل فقال : ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ
 الْجَاهِلِينَ ﴾^(٣) . فأخبر الله عز وجل أنه استجاب له دعاءه ، فصرف عنه كيدهن
 ونجاه من ركوب الفاحشة ، ثم بدا للعزيم من بعد ما رأى من الآيات ما رأى
 من قدّ القميص من الدُّبر ، وخمش في الوجه ، وقطع النسوة أيديهن وعلمه

(١) سورة يوسف ٣١ .

(٢) سورة يوسف ٣٢ .

(٣) سورة يوسف ٣٣ .

ببراءة يوسف مما قُرف^(١) به في ترك يوسف مطلقاً .

• • •

وقد قيل : إن السبب الذي من أجله بدا له في ذلك ، ما حدثنا به ابن وكيع، قال : حدثنا عمرو بن محمد، عن أسباط عن السدي : ﴿ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ لَيْسَجُنَّهُ حَتَّى حِينَ ﴾^(٢) ، قال : قالت المرأة لزوجها : إن هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يعتذر إليهم ويخبرهم أني راودته عن نفسه ، ولست أطيق أن أعتذر بعذري ، فيما أن تأذن لي فأخرج فاعتذر ، وإما أن تحبسه كما حبستني ، فذلك قول الله عز وجل : ﴿ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ لَيْسَجُنَّهُ حَتَّى حِينَ ﴾ ، فذكر أنهم حبسوه سبع سنين .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا المحاربي ، عن داود ، عن عكرمة : ﴿ لَيْسَجُنَّهُ حَتَّى حِينَ ﴾ ، قال : سبع سنين ؛ فلما حبس يوسف في السجن صاحبه العزيز ، أدخل معه السجن الذي حبس فيه فتيان من فتیان الملك صاحب مصر الأكبر ؛ وهو الوليد بن الريان ؛ أحدهما كان صاحباً طعامه ، والآخر كان صاحب شرايه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : حبسه الملك ، وغضب على خبازه ؛ بلغه أنه يريد أن يسُمَّه فحبسه ، وحبس صاحب شرايه ؛ ظن أنه مالأه على ذلك ، فحبسهما جميعاً ، فذلك قول الله عز وجل : ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانِ ﴾^(٣) .

فلما دخل يوسف قال فيما حدثني به ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : لما دخل يوسف السجن ، قال : إني أعبر الأحلام ، فقال أحدُ الفتيين لصاحبه : هلّم فلنجرب هذا العبد العبراني ، فراء يا له ، فسأله من غير أن يكون رأياً شيئاً ، فقال الجباز : ﴿ إني أراي أحملُ

(١) ح : « قذف به » . (٢) سورة يوسف ٢٥ . (٣) سورة يوسف ٢٦ .

فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ﴿١﴾ ، وقال الآخر : ﴿ إِنِّي أَرَانِي
أَعَصِرُ خَمْراً ﴾ ، ﴿ نَبَّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١)

فقيل : كان إحسانه ما حدثنا به إسحاق بن أبي إسرائيل ، قال : حدثنا
خلف بن خليفة ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك قال : سأل رجل الضحاك
عن قوله : ﴿ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ : ما كان إحسانه ؟ قال : كان إذا
مرض إنسان في السجن قام عليه ، وإذا احتاج جمع له ، وإذا ضاق عليه
المكان وسَّع له ، فقال لهما يوسف : ﴿ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ ﴾
في يومكما (٢) هذا ﴿ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ ﴾ (١) في اليقظة . فكره (٣) صلى الله
عليه أن يعبر لهما ما سألاه عنه ، وأخذ في غير الذي سألا عنه لما
في عبارة ما سألا عنه من المكروه على أحدهما فقال : ﴿ يَا صَاحِبِي السُّجْنِ
أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (٤)

وكان اسم أحد الفتيين اللذين أدخلوا السجن محلب - وهو الذي ذكر أنه رأى
فوق رأسه خبراً - واسم الآخر نيو (٥) ، وهو الذي ذكر أنه رأى كأنه يعصر
خَمْراً ، فلم يدعاه والعدول عن الجواب عما سألاه عنه حتى أخبرهما بتأويل
ما سألاه عنه فقال : ﴿ أَمَا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً ﴾ - وهو الذي ذكر أنه
رأى كأنه يعصر خَمْراً ، ﴿ وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ﴾ (٦) .
فلما عبر لهما ما سألاه تعبيره ، قالا : ما رأينا شيئاً .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا ابن فضيل ، عن عمارة - يعني ابن
القعقاع - عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ، في الفتيين اللذين أتيا يوسف

(١) سورة يوسف ٣٦ ، ٣٧ .

(٢) ١ : « نومكما » .

(٣) ط : « وكره » وما أثبتته من أ .

(٤) سورة يوسف ١٦ .

(٥) كذا في أ ، وفي ط مهمل .

(٦) سورة يوسف ٤١ .

في الرؤيا إنما كانا تحالما ليختبراه^(١) ، فلما أول رؤياهما قالا : إنما كنا نلعب ، فقال^(٢) : ﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾^(٣) ثم قال لنبو- وهو الذي ظن يوسف أنه ناج منهما : ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ يعني عند الملك ، وأخبره^(٤) أني محبوس ظلماً ، ﴿ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ﴾^(٥) ، غفلة عرضت ليوسف من قبل الشيطان .

فحدثني الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي . عن بسطام بن مسلم ، عن مالك بن دينار ، قال : قال يوسف للساق : ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ ، قال : قيل : يا يوسف ، اتخذت من دوني وكيلا ! لأطيلن حبسك . قال : فبكي يوسف وقال : يا رب أنسى قلبي كثرة البأوى فقلت كلمة ، فويل لإخواني !

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد . عن إبراهيم بن يزيد : عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس . قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لو لم يقل يوسف - يعني الكلمة التي قال - ما لبث في السجن طول ما لبث حيث يبتغي الفرج من عند غير الله عز وجل » .

فلبث في السجن ، فيما حدثني الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق . قال : أخبرنا عمران أبو الهذيل الصنعاني ، قال : سمعت وهبا يقول : أصاب أيوب البلاء سبع سنين . وترك يوسف في السجن سبع سنين ، وعذب بختنصر فحول في السباع سبع سنين . ٢٨٩/١

• • •

ثم إن ملك مصر رأى رؤيا هالته .

(٢) ط : « قال » ، وما أثبت من ا
(٤) ط : « فأخبره » ، وما أثبت من ا .

(١) ا : « ليجرباه » .
(٣) سورة يوسف ٤١ .
(٥) سورة يوسف ٤٢ .

فحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : إن الله عز وجل رأى الملك في منامه رؤيا هالته ، فرأى : ﴿ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَا كُلُّهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ ﴾ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ﴿^(١) ، فجمع السحرة . والكهنة والحازة^(٢) والقافة . فقصتها عليهم ، فقالوا : ﴿ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ . وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا ﴾ من الفتيين وهونبو ، ﴿ وَادَّكَرَ ﴾ حاجة يوسف ﴿ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ ، يعني بعد نسيان : ﴿ أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾^(٣) ، يقول : فأطلقون . فأرسلوه فأتى يوسف فقال : ﴿ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَا كُلُّهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ﴾ ؛^(٣) فإن الملك رأى ذلك في نومه .

فحدثنا ابن وكيع ، قال . حدثنا عمرو . عن أسباط ، عن السدي ، قال : قال ابن عباس : لم يكن السجن في المدينة ، فانطلق الساقى إلى يوسف . فقال : ﴿ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ . . . ﴾ الآيات .

فحدثنا بشر بن معاذ . قال : حدثنا يزيد . قال : حدثنا سعيد . عن قتادة ، ﴿ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ ﴾ فالسمان المخاصيب ، والبقرات العجاف هُنَّ السنون المحول الجذوب . قوله : ﴿ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ﴾ أما الخضض فهنَّ السنون المخاصيب ، وأما اليابسات فهنَّ الجذوب المحول .

٣٩٠/١

فلما أخبر يوسف نبوتأويل ذلك ، أتى نبوالمك ، فأخبره بما قال له يوسف . فعلم الملك أن الذي قال يوسف من ذلك حق ، قال : اثتوني به .

فحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط . عن السدي ، قال : لما أتى الملك رسوله فأخبره ، قال : اثتوني به ، فلما أتاه الرسول ودعاه إلى

(١) سورة يوسف ٤٣ .

(٢) زاد ١ : « والحازي : المتخرص » .

(٣) سورة يوسف ٤٤ - ٤٦ .

الملك أبي يوسف الخروج معه، وقال: ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النُّسُوءِ
الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ (١).

قال السدي: قال ابن عباس: لو خرج يوسف يومئذ قبل أن يعلم الملك
بشأنه ما زالت في نفس العزيز منه حاجة، يقول: هذا الذي راود امرأتى. فلما
رجع الرسول إلى الملك من عند يوسف جمع الملك أولئك النسوة، فقال لهن: ما
خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه! قلن - فيما حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عمرو،
عن أسباط، عن السدي قال: لما قال الملك لهن: ﴿مَا خَطَبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ اللَّهُ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾؛
ولكن امرأة العزيز أخبرتنا أنها راودته عن نفسه، ودخل معها البيت، فقالت
امرأة العزيز حينئذ: ﴿الآن حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ
الصَّادِقِينَ﴾ (٢). فقال يوسف: ذلك هذا الفعل الذي فعلت من ترديدي رسول
الملك بالرسالات التي أرسلت في شأن النسوة، ليعلم أطفير سيدي ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ
بِالْغَيْبِ﴾ في زوجته راعيل، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ (٣).

فلما قال ذلك يوسف قال له جبرئيل: ما حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما جمع الملك النسوة، فسألهن: هل راودتن يوسف عن نفسه؟ ﴿قُلْنَ حَاشَ اللَّهُ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ قالت امرأة العزيز الآن حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ قال يوسف: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾. قال: فقال له جبرئيل:

(١) سورة يوسف ٥٠ .

(٢) سورة يوسف ٥١ .

(٣) سورة يوسف ٥٢ .

ولا يوم همت بها؟ فقال: ﴿وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لِأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ (١).
فلما تبين للملك عذر يوسف وأمانته قال: ﴿اِنَّتُونِي بِهِ اَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا﴾
أَتَى بِهِ ﴿كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ (١). فقال يوسف للملك:
﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ .

فحدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله:
﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ قال: كان لفرعون خزائن كثيرة غير الطعام،
فسلم سلطانه كله إليه، وجعل القضاء إليه أمره، وقضاؤه نافذ.

حدثنا ابن حميد قال: حدثنا إبراهيم بن المختار، عن شيبه الضبي في قوله:
﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾، قال: على حفظ الطعام. ﴿إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ﴾ (١)
يقول: إني حفيظ لما استودعني، عليم بسني المجاعة، فولاه الملك ذلك.

وقد حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال:

لما قال يوسف للملك: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ إني حفيظٌ عليمٌ قال
الملك: قد فعلت، فولاه - فيما يذكر - عمل إطفير، وعزل إطفير

عما كان عليه، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ
يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١)
قال: فذكر لي - والله أعلم - أن إطفير ملك في تلك الليالي، وأن الملك

الريان بن الوليد زوج يوسف امرأة إطفير راعيل، وأنها حين دخلت
عليه قال: أليس هذا خيراً مما كنت تريد؟ قال: فيزعمون أنها قالت:
أيها الصديق لا تلمني، فإني كنت امرأة - كما ترى - حسنة (٣) جميلة ناعمة،
في ملك ودنيا، وكان صاحبي لا يأتي النساء، وكنت كما جعلك الله في حسنتك
وهيبتك، فغلبتني نفسي على ما رأيت. فيزعمون أنه وجدها عذراء، وأصابها
فولدت له رجلين: أفرايم بن يوسف ومنشا بن يوسف.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عمرو، عن أسباط، عن السدي:

(١) سورة يوسف ٥٣ - ٥٦. (٢) ح: «حسنا وجمالا».

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾^(١) قال :
استعمله الملك على مصر . وكان صاحبَ أمرها . وكان يلي البيع والتجارة وأمرها
كله ، فذلك قوله : ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ .

فلما وليَ يوسف للملك خزائن أرضه واستقر^(٢) به التمرار في عمله ، ومضت
السنون السبع المخصبة التي كان يوسف أمرَ بترك ما في سنبل ما حصدوا من
الزرع فيها فيه ، ودخلت السنون المجذبة وقحط الناس ، أجذبت بلاد فلسطين
فيها أجذب من البلاد ، ولحق مكرهه ذلك آل يعقوب في موضعهم الذي كانوا
فيه . فوجه يعقوب بنيه .

فحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال :
أصاب الناس الجوع حتى أصاب بلاد يعقوب التي هو بها ، فبعث بنيه إلى
مصر ، وأمسك أخا يوسف بنيامين ، فلما دخلوا على يوسف عرفهم وهم
له منكرون . فلما نظر إليهم قال : أخبروني : ما أمرُكم ؟ فإني أنكر شأنكم !
قالوا : نحن قوم من أرض الشام ، قال : فما جاء بكم ؟ قالوا : جئنا ننتاز
ضعاماً . قال : كذبتُم ، أنتم عيون ! كم أنتم ؟ قالوا : عشرة ، قال : أنتم
عشرة آلاف . كلُّ رجل منكم [أمير]^(٣) ألف . فأخبروني خبركم ، قالوا : إنا
إخوة . بنو رجل صدِّيق ، وإنا كنا اثني عشر ، وكان أبونا يحب أخاً لنا ،
وإنه ذهب معنا إلى البرية فهلك فيها ، وكان أحبنا إلى أبينا . قال : فإلى من
سكن أبوكم بعده ؟ قالوا : إلى أخ لنا أصغر منه . قال : فكيف تخبرونني أن
أباكم صدِّيق وهو يحب الصغير منكم دون الكبير ! اتنوني بأخيكم هذا حتى
أنظر إليه : ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ . قالوا
سَرَّأَوْدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ^(٤) .

(١) سورة يوسف ٥٦ .

(٢) ط : « واستقر » ، وما أثبتته من ا .

(٣) تكله من ا والتفسير .

(٤) سورة يوسف ٦٠ ، ٦١ ، والخبر في التفسير ١٣ : ٦ (بولاق) .

قال : فضعوا بعضكم رهينة حتى ترجعوا . فوضعوا شمعون .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان يوسف حين رأى ما أصاب الناس من الجهد قد آسى بينهم ، فكان لا يحمّل للرجل إلا بعيراً واحداً ، ولا يحمّل الواحد بعيرين تقسيطاً بين الناس ، وتوسيعاً عليهم ، فقدم عليه إخوته فيمن قدم عليه من الناس يلتمسون الميرة من مصر ، فعرفهم وهم له منكرون لما أراد الله تعالى أن يبلغ بيوسف^(١) فيما أراد . ثم أمر يوسف بأن يوقر لكل رجل من إخوته بعيرة ، فقال لهم : اثتوني بأخيكم من أبيكم ، لأحمّل لكم بعيراً آخر ، فتزادوا به حمل بعير : ﴿ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلِ ﴾ فلا أبخسه أحداً ، ﴿ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾^(٢) . وأنا خير من أنزل ضيفاً على نفسه من الناس بهذه البلدة ، فأنا أضيفكم ﴿ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي ﴾^(٣) بأخيكم من أبيكم فلا طعام لكم عندي أكيله . ولا تقربوا بلادى . وقال لفتياته الذين يكيلون الطعام لهم : ﴿ اجْعَلُوا بَضَاعَتَهُمْ ﴾ - وهي ثمن الطعام الذي اشتروه به - ﴿ فِي رِحَالِهِمْ ﴾ .

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ اجْعَلُوا بَضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ ﴾^(٣) ، أي ورقهم ، فجعلوا ذلك في رحالهم وهم لا يعلمون .

فلما رجع بنو يعقوب إلى أبيهم ، قالوا : ما حدثنا به ابن وكيع . قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي : فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا : يا أبانا ، إن ملك مصر أكرمنا كرامة ؛ لو كان رجلاً من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته ، وإنه ارتهن شمعون وقال : اثتوني بأخيكم هذا الذي عطف عليه أبوكم بعد

(١) : « يوسف » ، ن : « من يوسف » .

(٢) سورة يوسف ٥٩ ، ٦٠ .

(٣) سورة يوسف ٦٢ .

أخيكم الذي هلك : فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربوا بلادي ^(١) أبداً .
 قال يعقوب : ﴿ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ
 فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ^(٢) . قال : فقال لهم يعقوب :
 إذا أتيتم ملك مصر فأقرءوه مني السلام وقولوا له : إن أبانا يصلّي عليك .
 ويدعوك بما أوليتنا .

حدثنا ابن حميد . قال : حدثنا سلمة . عن ابن إسحاق ، قال : خرجوا
 حتى إذا قدموا على أبيهم ، وكان منزلهم -- فيما ذكر لي ^(٣) بعض أهل العالم --
 بالعربات من أرض فلسطين بغير الشام . وبعضهم يقول : بالأولاج ^(٤) من
 ناحية الشعب أسفل من حسمى فلسطين ، وكان صاحب بادية ، له إبل
 وشاء . فلما رجع إخوة يوسف إلى والدهم يعقوب قالوا له : يا أبانا منع منا
 الكيل فوق حمل أباعرنا ، ولم يكل لكل واحد منا إلا كيل بعير ، فأرسل معنا
 أخانا بنيامين يكتل نفسه ، وإنا له لحافظون ، فقال لهم يعقوب : ﴿ هَلْ آمَنُكُمْ
 عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ .

٣٩٦/١

ولما فتح ولد يعقوب الدين كانوا خرجوا إلى مصر للميرة متاعهم الذي
 قدموا به من مصر ، وجدوا ثمن طعامهم الذي اشتروه به رُدَّ إليهم ، فقالوا لوالدهم :
 ﴿ يَا أَبَانَا مَا نَبِيْ هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلِنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا
 وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴾ ^(٥) آخر على أحمال إبلنا .

وقد حدثني الحارث ، قال : حدثنا القاسم ، قال : حدثنا حجاج . عن

(١) ط : « ولا تقربوني » . وفي ح : « فإن لم تأتوني بأخيكم هذا فلا تقربوا بلادي » ؛
 وما أثبتته من أ .

(٢) سورة يوسف ٦٤ .

(٣) ط : « ذكرني » ؛ وما أثبتته عن أ .

(٤) الأولاج : موضع ذكره ياقوت ؛ ولم يعين موضعه .

(٥) سورة يوسف ٦٥ .

ابن جریج، ﴿وَنَزَدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٍ﴾ ، قال : كان لكل رجل منهم حمل بعير ، فقالوا : أرسل معنا أخانا نزد حمل بعير . قال ابن جریج : قال مجاهد : كيل بعير حمل حمار . قال : وهى لغة ؛ قال الحارث : قال القاسم : يعنى مجاهد أن الحمار يقال له فى بعض اللغات « بعير » .

فقال يعقوب : ﴿لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنِنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ يقول : إلا أن تهلکوا جميعاً ، فىكون حينئذ ذلك لكم عذراً عندى ، فلما وثقوا له بالأیمان قال يعقوب : ﴿اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكَيْلٌ﴾^(۱) .

ثم أوصاهم بعد ما أذن لأخيه من أبيهم بالرحيل معهم ، ألا تدخلوا من باب واحد من أبواب المدينة خوفاً عليهم من العين ، وكانوا ذوى صورة حسنة ، وجمال وهيئة ، وأمرهم أن يدخلوا من أبواب متفرقة ، كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾^(۱) ، قال : كانوا قد أوتوا صورة وجمالاً ، فخشى عليهم أنفس الناس ، فقال الله تبارك وتعالى : ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ ، [وكانت الحاجة التى فى نفس يعقوب فقضاها]^(۲) ما تخوف على أولاده أعين الناس لهيبتهم وجمالهم .

ولما دخل إخوة يوسف على يوسف ضم إليه أخاه لأبيه وأمه ، فحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى : ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾^(۱) قال : عرف أخاه ، وأنزلهم منزلاً ، وأجرى عليهم الطعام والشراب ، فلما كان الليل جاءهم بمثل فقال : لیستم كل أخوين

(۱) سورة يوسف ۶۶ - ۶۹ .

(۲) تكله من ا .

منكم على مثال^(١)، فلما بى الغلام وحده قال يوسف : هذا ينام معى على فراشى، فبات معه : فجعل يوسف يَشْمُ رِيحَهُ ، ويضمه إليه حتى أصبح ؛ وجعل روبيل يقول : ما رأينا مثل هذا إن نجونا منه .

وأما ابن إسحاق فإنه قال ما حدثنا به ابن حميد، قال : حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق . قال : لما دخلوا -- يعنى ولد يعقوب -- على يوسف قالوا : هذا أخونا الذى أمرنا أن نأتيتك به ، قد جئناك به . فذكر لى أنه قال لهم : قد أحسنتم وأصبتم . وستجدون جزاء ذلك عندى ، أو كما قال .

ثم قال : إني أراكم رجالا ، وقد أردت أن أكرمكم ، فدعا صاحب ضيافته فقال : أنزل كل رجلين على حدة ، ثم أكرمتهما وأحسن ضيافتهما . ثم قال : إني أرى هذا الرجل الذى جئتم به ليس معى ثان . فسأضمه إلى فيكون منزله معى . فأنزلهم رجلين رجلين فى منازل شتى ، وأنزل أخاه معى فأواد إليه ، فما خلا به قال : إني أنا أخوك أنا يوسف فلا تبتئس بشىء ، فعلوه بنا فيما مضى ، فإن الله قد أحسن إلينا فلا تعلمهم مما أعلمتكم ، يقول الله عز وجل : ﴿ وَنَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٢) . يقول له : ﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ ﴾ ، فلا تحزن .

فلما حمل يوسف إبل إخوته ما حملها من الميرة وقضى حاجتهم ووفاهم كيلهم . جعل الإناء الذى كان يكيل به الطعام -- وهو الصُّوَاع -- فى رحل أخيه بنيامين .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا عفان . قال : حدثنا عبدالواحد ، عن يونس ، عن الحسن أنه كان يقول : الصُّوَاع والسقاية سواء ، هما الإناء الذى يشرب فيه ، وجعل ذلك فى رحل أخيه ، والأخ لا يشعر فيما ذكر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى : ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فى رَحْلِ أَخِيهِ ﴾ ، والأخ لا يشعر ، فلما ارتحوا أذن مؤذن قبل أن ترتحل العير : ﴿ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾^(٢) .

(١) المثنى : الفرائض ينام عليه . (٢) سورة يوسف ٦٩ ، ٧٠ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حمل
 ٣٩٩/١ ثم بغيراً بغيراً ، وحمل لأخيه بنيامين بغيراً باسمه كما حمل لهم ، ثم أمر بسقاية
 الملك - وهو الصُّوَّاع - وزعموا أنها كانت من فضة ، فجعلت في رحل أخيه
 بنيامين ، ثم أمهلهم حتى إذا انطلقوا فأمعنوا من القرية ، أمر بهم فأدرِكوا
 واحتبسوا ، ثم نادى منادٍ : أيتها العير إنكم لسارقون ، [قفوا] ^(١) . وانتهى إليهم رسوله
 فقال لهم - فيما يذكرون - : ألم نكرم ضيافتكم ، ونوفقكم كيدكم ، ونحسن
 منزلتكم ، ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم ، وأدخلناكم علينا في بيوتنا ، وصار
 لنا عليكم حرمة ! أو كما قال لهم . قالوا : بلى ، وما ذاك ؟ قال : سقاية الملك
 فقدناها ، ولا يشتموا عليها غيركم . قالوا : ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي
 الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾ ^(٢) . وكان مجاهد يقول . كانت العير حميراً .

حدثني بذلك الحارث . قال : . . . عبد العزيز ، قال : حدثنا سفيان ،
 قال : أخبرني رجل ، عن مجاهد : وكان فيما نادى به منادى يوسف : مَنْ
 جاء بصُّوَّاع الملك فله حملٌ بغير من الطعام ، وأنا بإيفائه ذلك زعيم - يعنى
 « كفيل » ^(٣) - وإنما قال القوم : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا
 سَارِقِينَ ﴾ ، لأنهم ردوا ثمن الطعام الذى كان كيل لهم المرة الأولى في رحالهم . فردوه
 إلى يوسف ، فقالوا : لو كنا سارقين ^(٤) لم نردد ذلك إليكم - وقيل إنهم كانوا
 معروفين بأنهم لا يتناولون ما ليس لهم ، فلذلك قالوا ذلك - فقيل لهم : فما جزاء
 من كان سرق ذلك ؟ فقالوا : جزاؤه في حُكْمنا بأن يسلم لفعله ذلك إلى مَنْ
 ٤٠٠/١ سرقه حتى يسرقه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى ،
 قال : ﴿ قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين ﴾ قالوا جزاؤه مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ

(١) تكلمة من ا ، ن ، والتفسير .

(٢) سورة يوسف ٧٣ ، والخبر في التفسير ١٢٠ - ١٢١ (بولاق) .

(٣) ن : « كفيل » .

(٤) ح : « سراقاً » .

فهو جزاؤه ^(١) تأخذونه ، فهو لكم . فبدأ يوسف بأوعية القوم قبل وعاء أخيه بنيامين ، ففتشها ثم استخرجتها من وعاء أخيه لأنه أحر تفتيشه .

حدثنا بشر بن معاذ . قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أنه كان لا ينظر في وعاء إلا استغفر الله تأمناً مما قرفتهم به ، حتى بقي أخوه -- وكان أصغر القوم -- قال : ما أرى هذا أخذ شيئاً . قالوا : بلى فاستبرئه ، ألا وقد علموا حيث وضعوا سقائهم . **﴿ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ﴾** ^(٢) ، يعني في حكم الملك ، ملك مصر ، وقضائه لأنه لم يكن من حكم ذلك الملك وقضائه أن يُسْتَرْقَ السارق بما سرق ، ولكنه أخذه بكيد الله له حتى أسلمه رفاقه وإخوته بحكمهم عليه وطيب أنفسهم بالتسليم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا شبابة ، قال : حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : قوله : **﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ﴾** إلا بعلته كادها الله له ، فاعتل بها يوسف ، فقال إخوة يوسف حينئذ : **﴿ إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾** ^(٣) . يعنون بذلك يوسف .

• • •

وقد قيل إن يوسف كان سرق صنماً لجدته أبي أمه ، فكسره ، فعيروه بذلك .

• ذكر من قال ذلك :

حدثني أحمد بن عمرو البصرى ، قال : حدثنا الفيض بن الفضال . قال : حدثنا مسعر . عن أبي حصين ^(٤) . عن سعيد بن جبير : **﴿ إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾** ، قال : سرق يوسف صنماً لجدته أبي أمه فكسره وألقاه في الطريق . فكان إخوته يعيبونه بذلك .

(١) - سورة يوسف ٧٤ ، ٧٥ . (٢) - سورة يوسف ٧٦ . (٣) - سورة يوسف ٧٧ .
(٤) - أبو حصين ، بفتح المهملة ، وهو عثمان بن عاصم بن حصين الأسدي . تهذيب التهذيب .

وقد حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن إدريس ، قال : سمعت أبي قال : كان بنو يعقوب على طعام ، إذ نظر يوسف إلى عَرَقٍ (١) فخبأه فعيروه بذلك ﴿ إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ ، فأسر في نفسه يوسف حين سمع ذلك منهم ، فقال : ﴿ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ (٢) به أخا بنيامين من الكذب ، ولم يُبَدِّ ذلك لهم قولاً .

فحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : لما استخرجت السرقة من رحل الغلام انقطعت ظهورهم ، وقالوا : يا بتي راحيل ، ما يزال لنا منكم بلاء ! متى أخذت هذا الصواع ؟ فقال بنيامين : بل بنو راحيل الذين لا يزال لهم منكم بلاء ، ذهبتم بأخي فأهلكتموه في البرية (٣) ، وَضَعَ هَذَا الصُّوَاعَ فِي رَحْلِي الَّذِي وَضَعَ الدَّرَاهِمَ فِي رِحَالِكُمْ . فقالوا : لا تذكر الدرهم فتؤخذ بها . فلما دخلوا على يوسف دعا بالصواع ، فنقر فيه ثم أدناه من أذنه ، ثم قال : إن صواعي هذا ليخبرني أنكم كنتم اثني عشر رجلاً ، وأنكم انطلقتم بأخ لكم فبعتموه . فلما سمعها بنيامين قام فسجد ليوسف ثم قال : أيها الملك ، سل صواعك هذا عن أخي أين هو؟ فنقره ، ثم قال : هو حي ، وسوف تراه . قال : فاصنع بي ما شئت ، فإنه إن علم بي فسوف يستنقيني . قال : فدخل يوسف فبكى ثم توضأ ، ثم خرج فقال بنيامين : أيها الملك ، إني أريد أن تضرب صواعك هذا فيخبرك بالحق من الذي سرقه فجعله في رحلي . فنقره ، فقال : إن صواعي هذا غضبان ، وهو يقول : كيف تسألني : مَنْ صاحبي ؟ فقد رأيت مع من كنت ! قالوا : وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يُطَاقُوا ، فغضب روبيل وقال : أيها الملك ، والله لتركنا أو لأصبحن صبيحة لا تبق بمصر حامل إلا ألقن ما في بطنها ، وقامت كل شعرة في جسد روبيل ، فخرجت من ثيابه . فقال يوسف لابنه : قم إلى جنب روبيل فسّه - وكان بنو يعقوب إذا غضب أحدهم فسّه الآخر ذهب غضبه - فقال روبيل : مَنْ

(١) العرق والعراق : العظم أكل لحمه .

(٢) سورة يوسف ٧٧ .

(٣) ن : « بالبرية » .

هذا ؟ إن في هذا البلد لَبَزْرًا من بزر يعقوب ، فقال يوسف : من يعقوب ؟
فغضب روبيل وقال : أيها الملك ، لا تذكر يعقوب فإنه إسرائيل الله بن ذبيح
الله بن خليل الله . قال يوسف : أنت إذن كنت صادقًا .

قال : ولما احتبس يوسف أخاه بنيامين ، فصار بحكم إخوته أولى به منهم ،
ورأوا أنه لا سبيل لهم إلى تخليصه^(١) صاروا إلى مسألته تخليته ببذل منهم
يعطونه إياه ، فقالوا : ﴿ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا
مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ في أفعالك . فقال لهم يوسف : ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ
أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ ﴾^(٢) أن نأخذ بريئًا
بسقيم !

فلما يش إخوة يوسف من إجابة يوسف إياهم إلى ما سألوا من إطلاق
أخيه بنيامين وأخذ بعضهم مكانه ، خلصوا نجياً لا يفترق منهم أحد ، ولا
يختلط بهم^(٣) غيرهم . فقال كبيرهم : - وهو روبيل ، وقد قيل إنه شمعون - :
ألم تعلموا أن أبائكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله أن تأتيه بأخينا بنيامين إلا
أن يحاط بنا أجمعين ! ومن قبل هذه المرة ما فرطتم في يوسف ﴿ فَلَنْ أُبْرَحَ
الْأَرْضَ ﴾ التي أنا بها ﴿ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي ﴾ في الخروج منها وترك أخى بنيامين
بها ﴿ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾^(٤) - وقد قيل معنى
ذلك : أو يحكم الله لي بحرب من منى منى من الانصراف بأخى -
﴿ ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق ﴾ ، فأسلمناه بجريرته ،
﴿ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا ﴾ ؛ لأن صواع الملك لم يوجد إلا في رحله ، ﴿ وما كنا
للغيب حافظين ﴾^(٤) ، يعنون بذلك أنا إنما ضمننا لك أن نحفظه مما لنا إلى حفظه

(١) ن : « تخليته » .

(٢) سورة يوسف ٧٨ ، ٧٩ .

(٣) ن : « معهم » .

(٤) سورة يوسف ٨٠ ، ٨١ .

سبيل ، ولم تكن نعلم أنه يسرق فيُسترق بسرقة . واسأل أهل القرية التي كنا فيها فسرق ابنك فيها ، والقافلة التي كنا فيها مقبلة من مصر معنا عن خبر ابنك ، فإنك تخبر بحقيقة ذلك .

فلما رجعوا إلى أبيهم فأخبروه خبر بنيامين ، وتخلّف روبيل قال لهم (١) : بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً أردتموه ، فصبرٌ جميل لا جزع فيه على ما نالني من فقد ولدي ، عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً بيوسف وأخيه وروبيل . ثم أعرض عنهم يعقوب وقال : ﴿ يَا أَسْفَا عَلَىٰ يَوْسُفَ ﴾ يقول الله عز وجل : ﴿ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (٢) ، مملوء من الحزن والغیظ . فقال له بنوه الذين انصرفوا إليه من مصر حين سمعوا قوله ذلك : تالله لا تزال تذكر يوسف فلا تفتّر (٣) من حبه وذكره حتى تكون دنفَ الجسم ، محبولَ العقل من حبه وذكره ، هرماً بالياً أو تموت !

فأجابهم يعقوب فقال : إنما أشكو بثي وحزني إلى الله لا إليكم ، وأعلم من الله ما لا تعلمون من صدق رؤيا يوسف ؛ أن تأويلها كائن ، وأناي وأنتم سنسجد له .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكام ، عن عيسى بن يزيد ، عن الحسن ، قال : قيل : ما بلغ وجد يعقوب على ابنه ؟ قال : وجد سبعين ثكلى ، قال : فما كان له من الأجر ؟ قال : أجر مائة شهيد ، قال : وما ساء ظنه بالله ساعة قطّ من ليل ولا نهار .

وحدثنا ابن حميد مرة أخرى ، قال : حدثنا حكام ، عن أبي معاذ ، عن يونس ، عن الحسن ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن المبارك بن مجاهد ، عن رجل من الأزدي ، عن طلحة بن مُصَرِّف اليامي ، قال : أنبت أن يعقوب ابن إسحاق دخل عليه جاره فقال : يا يعقوب ، مالي أراك قد انهشمت

(١) « قال لهم أبوه » . (٢) سورة يوسف ٨٤ .

(٣) كذا في ١ ، وفي ط : « لا تفتأ » .

وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك ؟ قال : هشمي وأفناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف وذكره . فأوحى الله عز وجل إليه : يا يعقوب^(١) أتشكوني إلى خلقي ! قال : يارب خطيئة أخطأتها فاغفرها^(٢) لي . قال : فإني قد غفرت لك ، فكان بعد ذلك إذا سئل قال : إنما أشكو بثي وحزني إلى الله ، وأعلم من الله ما لا تعلمون .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الأملي ، قال : حدثنا أبو أسامة ، عن هشام عن الحسن ، قال : كان منذ خرج يوسف من عند يعقوب إلى أن رجع ثمانون سنة لم يفارق الحزن قلبه ، ولم يزل يبكي حتى ذهب بصره . قال الحسن : والله ما على الأرض خليفة أكرم على الله من يعقوب .

ثم أمر يعقوب بنبيه الذين قدموا عليه من مصر بالرجوع إليها وتحسس الخبر عن يوسف وأخيه ، فقال لهم : اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله ، يفرج به عنا وعنكم الغم الذي نحن فيه . فرجعوا إلى مصر فدخلوا على يوسف فقالوا له حين دخلوا عليه : ﴿ أَيُّهَا الْمَرْزُوقُ مَسْنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾^(٣) . وكانت بضاعتهم المزجاة التي جاءوا بها معهم - فيما ذكر - دراهم رديئة زيوفاً لا تؤخذ إلا بوضيعة^(٤) . وكان بعضهم يقول : كانت حلق الغرارة والحبل ونحو ذلك . وقال بعضهم : كانت سمناً وصوفاً . وقال بعضهم : كانت صنوبراً وحب الخضراء . وقال بعضهم : كانت قايلة دون ما كانوا يشترون به قبل ، فسألوا يوسف أن يتجاوز لهم ويؤفيهم بذلك من كيل الطعام مثل الذي كان يعطيهم في المرين قبل ذلك ، ولا ينقصهم . فقالوا له : ﴿ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ .

(١) ن : « فأوحى الله إلى يعقوب » .

(٢) ح : « فاغفر لي » .

(٣) سورة يوسف ٨٨ .

(٤) الوضيعة هنا : الخط من الثمن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي :
﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ﴾ ، قال : بفضل ما بين الجهاد والردية . وقد قيل : إن معنى
ذلك : وتصدق علينا برد أحنينا إينا ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ .

حدثنا ابن حديد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
ذكر أنهم لما كلموه بهذا الكلام ، غلبته نفسه فرفض دمه باكيًا ، ثم باح
لهم بالذي كان يكتُم منهم ، فقال : ﴿ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ
إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ ^(١) . ولم يعن بذكر أخيه ما صنعه هو فيه حين أخذه ،
ولكن التفريق بينه وبين أخيه إذ صنعوا بيوسف ^(٢) ما صنعوا . فلما قال لهم
يوسف ذلك قالوا له : ها أنت يوسف ! قال : ﴿ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ
اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ بأن جمع بيننا بعد تفريقكم بيننا ، ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ
لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(٣) .

حدثنا ابن وكيع قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : لما قال
لهم يوسف : ﴿ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي ﴾ اعتذروا وقالوا : ﴿ تَأَلَّه لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ
عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ ^(٤) . قال لهم يوسف : ﴿ لَا تَحْزَبْ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ
يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ^(٥) . فلما عرفهم يوسف نفسه سألم عن أبيه .

حدثنا ابن وكيع : قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال :
قال يوسف : ما فعل أبي بعدى ؟ قالوا : لما فاته بنيامين عمى من الحزن فقال :
﴿ أَذْهَبُوا بِمِيسَى هَذَا فَاتَّقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ
أَجْمَعِينَ . وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ ﴾ عير بني يعقوب ، قال يعقوب :

(١) سورة يوسف ٨٩ ، ٩٠ .

(٢) ن : « فيه » .

(٣) سورة يوسف ٩١ ، ٩٢ .

﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾^(۱) .

فحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثني ابن شريح ،
عن أبي أيوب الهوزني ، حدثه ، قال : استأذنت الريح بأن تأتي يعقوب بريح
يوسف حين بعث بالقميص إلى أبيه قبل أن يأتيه البشير ، ففعلت ، فقال يعقوب :
﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾^(۱) .

۴۰۸/۱

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن ابن سنان ،
عن ابن أبي الهذيل ، عن ابن عباس في ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي
لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ قال : هاجت ریح فجاءت بريح يوسف من مسيرة
ثمان ليال ، فقال : ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد .
عن قتادة ، عن الحسن ، قال : ذكر لنا أنه كان بينهما يومئذ ثمانون فرسخاً .
يوسف بأرض مصر ويعقوب بأرض كنعان . وقد أتى لذلك زمان طويل .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج . عن ابن
جريج . قوله : ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ قال : بلغنا أنه كان بينهم يومئذ
ثمانون فرسخاً ، وقال : ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ وقد كان ناره قبل ذلك سبعاً
وسبعين سنة . ويعنى بقوله : ﴿ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ لولا أن تسفّهوني فتنسبوني إلى الهرم
وذهاب العقل . فقال له مَنْ حضره من ولده حينئذ : تالله إنك من
ذكر يوسف وحبته ﴿ لَنِي ضَلَّالِكَ الْقَدِيمِ ﴾^(۲) - يعنون في خطبك القديم .
﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ ﴾^(۲) - يعنى البريد الذي أبرده يوسف إلى يعقوب -
يبشر بحياة يوسف وخبره ، وذكر أن البشير كان يهوذا بن يعقوب .

۴۰۹/۱

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال :

(۱) سورة يوسف ۹۳ ، ۹۴ .

(۲) سورة يوسف ۹۵ ، ۹۶ .

قال يوسف: ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١). قال يهوذا: أنا ذهبت بالقميص ملطخاً بالدم إلى يعقوب فأخبرته أن يوسف أكله الذئب، وأنا أذهب اليوم بالقميص فأخبره بأنه حي، فأقر عينه كما أحزنته؛ فهو كان البشير.

فلما أن جاء البشير يعقوب بقميص يوسف ألقاه على وجهه، فعاد بصيراً بعد العمى، فقال لأولاده: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢). وذلك أنه كان قد علم - من صدق تأويل رؤيا يوسف التي رآها أن الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدون - ما لم يكونوا يعلمون. فقالوا ليعقوب: ﴿ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ (٢). فقال لهم يعقوب: ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴾ (٢). قيل: إنه أخطر الدعاء لهم إلى السحر. وقيل إنه أخطر ذلك إلى ليلة الجمعة.

حدثنا أحمد بن الحسن الترمذی، قال: حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: حدثنا ابن جريج، عن عطاء وعكرمة مولى ابن عباس، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « قال يعقوب: ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴾، يقول: حتى تأتي ليلة الجمعة ».

فلما دخل يعقوب وولده وأهاليهم على يوسف آوى إليه أبويه، وكان دخولهم عليه قبل دخولهم مصر - فيما قيل - لأن يوسف تلقاهم. حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عمرو، عن أسباط، عن السدي، قال: حملوا إليه أهليهم وعيالهم، فلما بلغوا مصر كلم يوسف الملك الذي فوّه فخرج هو والمالك يتلقونهم، فلما بلغوا مصر قال: ﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ (٢). فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه.

(١) سورة يوسف ٩٣

(٢) سورة يوسف ٩٦ - ٩٩

حدثني الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان ، عن فرقد السبخي ، قال : لما ألقى القميص على وجهه ارتد بصيراً ، وقال : ائتوني بأهلكم أجمعين ، فحميل يعقوب وإخوة يوسف ، فلما دنا يعقوب أخبر يوسف أنه قد دنا منه ، فخرج يتلقاه . قال : وركب معه أهل مصر - وكانوا يعظمونه - فلما دنا أحدهما من صاحبه - وكان يعقوب يمشي وهو يتوكأ على رجل من ولده . يقال له يهوذا - قال : فنظر يعقوب إلى الخيل والناس ، فقال (١) : يا يهوذا ، هذا فرعون مصر ، فقال : لا ، هذا ابنك يوسف ، قال : فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ذهب (٢) يوسف يبدؤه بالسلام ، فنع ذلك ، وكان يعقوب أحق بذلك منه وأفضل . فقال : السلام عليك يا مذهب الأحران . فلما أن دخلوا مصر رفع أبويه على السرير وأجلسهما عليه .

• • •

وقد اختلف في اللذين رفعهما يوسف على العرش ، وأجلسهما عليه ، فقال بعضهم : كان أحدهما أبوه يعقوب ، والآخر أمه راحيل . وقال آخرون : بل كان الآخر خالته ليا وكانت أمه راحيل قد كانت ماتت قبل ذلك . وخر له يعقوب وأمه وولد يعقوب سجداً .

٤١١/١

حدثنا محمد بن عبد الأعلى . حدثنا محمد بن ثور . عن معمر ، عن قتادة : ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ (٣) قال : كانت تحية الناس أن يسجد بعضهم لبعض ، وقال يوسف لأبيه : ﴿ يَا أَبَتَ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ (٣) يعني بذلك : هذا السجود منكم ، يدل على تأويل رؤياي التي رأيتها من قبل ، صنع إخوتي بي ما صنعوا ، وتلك الكواكب الأحد عشر والشمس والقمر ﴿ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ . يقول : قد حقق الرؤيا بمجيء تأويلها .

• • •

وقيل كان بين أن أرى يوسف رؤياه هذه ومجيء تأويلها أربعون سنة .
• ذكر بعض من قال ذلك :

(١) ط : « قال » وما أثبتته من أ . (٢) ١ : « فذهب » .

(٣) سورة يوسف ١٠٠ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا معتمر ، عن أبيه ، قال :
حدثنا أبو عثمان ، عن سلمان الفارسي ، قال : كان بين رؤيا يوسف إلى أن
رأى تأويلها أربعون سنة .

وقال بعضهم : كان بين ذلك ثمانون سنة .
ذكر بعض من قال ذلك :

حدثنا عمرو بن علي ، قال : حدثنا عبد الوهاب الثقفي ، قال : حدثنا
هشام ، عن الحسن ، قال : كان منذ فارق يوسف يعقوب إلى أن التقيا ثمانون
سنة ، لم يفارق الحزن قلبه ودموعه تجري على خديّه ، وما على الأرض يومئذ
أحب إلى الله عز وجلّ من يعقوب .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا داود بن مهيران ، قال : حدثنا
عبد الواحد بن زياد ، عن يونس . عن الحسن ، قال : ألقى يوسف في الحبّ
وهو ابن سبع عشرة سنة ، وكان بين ذلك وبين لقائه يعقوب ثمانون سنة ، وعاش
بعد ذلك ثلاثاً وعشرين سنة ، ومات وهو ابن عشرين ومائة سنة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : حدثنا مبارك بن
فضالة ، عن الحسن ، قال : ألقى يوسف في الحبّ ، وهو ابن سبع عشرة
سنة ، فغاب عن أبيه ثمانين سنة ، ثم عاش بعد ما جمع الله شمله ، ورأى
تأويل رؤياه ثلاثاً وعشرين سنة ، فمات وهو ابن عشرين ومائة سنة .

وقال بعض أهل الكتاب : دخل يوسف مصر وله سبع عشرة سنة ، فأقام
في منزل العزيز ثلاث عشرة سنة ، فلما تمت له ثلاثون سنة استوزره فرعون
ملك مصر ، واسمه الريان بن الوليد بن ثروان بن أراشة بن قاران بن عمرو بن
عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح ، وأنّ هذا الملك آمن ، ثم مات . ثم ملك
بعده قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس^(١) بن قاران بن عمرو
ابن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح . وكان كافراً ، فدعاه يوسف إلى الإيمان
بالله فلم يستجب إليه ، وأن يوسف أوصى إلى أخيه يهوذا . ومات وقد أتت
له مائة وعشرون سنة ، وأنّ فراق يعقوب إياه كان اثنتين وعشرين سنة ، وأن

(١) ن : « البيلواس »

مقام يعقوب معه بمصر كان بعد موافاته بأهله سبع عشرة سنة ، وأن يعقوب لما حضرته الوفاة أوصى إلى يوسف - وكان دخول يعقوب مصر في سبعين إنساناً من أهله . وتقدم إلى يوسف عند وفاته أن يحمل جسده حتى يدفنه بجانب أبيه إسحاق ، ففعل يوسف ذلك به ومضى به حتى دفنه بالشأم ، ثم انصرف إلى مصر ، وأوصى يوسف أن يحمل جسده حتى يدفن إلى جنب آبائه ، فحمل موسى تابوت جسده عند خروجه من مصر معه .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذكر لي - والله أعلم - أن غيبة يوسف عن يعقوب كانت ثمانين سنة .

قال : وأهل الكتاب يزعمون أنها كانت أربعين سنة أو نحوها ، وأن يعقوب بقى مع يوسف بعد أن قدم عليه مصر سبع عشرة سنة ، ثم قبضه الله إليه . قال : وقبر يوسف - كما ذكر لي في - صندوق من مرمر في ناحية من النيل في جوف الماء .

وقال بعضهم : عاش يوسف بعد موت أبيه ثلاثاً وعشرين سنة ، ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة . قال : وفي التوراة أنه عاش مائة سنة وعشر سنين .

وولد ليوسف أفرايم بن يوسف ومنشا بن يوسف ، فولد لإفرايم نون ، فولد لنون بن إفرايم يوشع بن نون وهو قتي موسى ، وولد لمنشا موسى بن منشا . وقيل : إن موسى بن منشا نبي^(١) قبل موسى بن عمران .

ويزعم أهل التوراة أنه الذي طلب الخضر .

٤١٤/١

(١) ط : « نبي » ، وما أثبتته من ا .

قصة الخضر وخبره وخبر موسى وفتاه يوشع عليهم السلام

قال أبو جعفر : كان الخضر ممن كان في أيام أفريدون الملك بن أثفيان في قول عامة أهل الكتاب الأول، وقبل^(١) موسى بن عمران صلى الله عليه وسلم . وقيل إنه كان على مقدمة ذي القرنين الأكبر ، الذي كان أيام إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي قضى له بئر السبع - وهي بئر كان إبراهيم احتفرها لما شيبته في صحراء الأردن - وإن قوماً من أهل الأردن ادّعوا الأرض التي كان احتفر بها إبراهيم بئر ، فحاكمهم إبراهيم إلى ذي القرنين الذي ذكر أن الخضر كان على مقدمته أيام سيره في البلاد، وإنه بلغ مع ذي القرنين نهر الحياة ، فشرب من مائه وهو لا يعلم ، ولا يعلم به ذو القرنين ومن معه ، فخلد ، فهو حتى عندهم إلى الآن .

وزعم بعضهم أنه من ولد من كان آمن بإبراهيم خليل الرحمن ، واتبعه ٤١٥/١ على دينه ، وهاجر معه من أرض بابل حين هاجر إبراهيم منها . وقال : اسمه بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، قال : وكان أبوه ملكاً عظيماً .

وقال آخرون : ذو القرنين الذي كان على عهد إبراهيم صلى الله عليه وسلم هو أفريدون بن أثفيان ، قال : وعلى مقدمته كان الخضر .

وقال عبد الله بن شوذب فيه ، ما حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكيم المصري قال : حدثنا محمد بن المتوكل ، قال : حدثنا ضمرة بن ربيعة ، عن عبد الله بن شوذب ، قال : الخضر من ولد فارس ، وإلياس من بني إسرائيل ، يلتقيان في كل عام بالموسم .

وقال ابن إسحاق فيه ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، قال : بلغني أنه استخلف الله عز وجل في بني إسرائيل

(١) كذا في وابن الأثير ، وهو الصواب . ووط : « وقيل » .

رجلا منهم ، يقال له ناشية بن أموص ، فبعث الله عز وجل^١ فم الخضر نبياً .
قال : واسم الخضر - فيما كان وهب بن منبه يزعم عن بنى إسرائيل - أورميا بن
خلقيا ، وكان من سببط هارون بن عمران . وبين هذا الملك الذى ذكره ابن
إسحاق وبين أفريدون أكثر من ألف عام .

٤١٦/١

وقول الذى قال : إن الخضر كان فى أيام أفريدون وذى القرنين الأكبر
وقبل^(١) موسى بن عمران أشبه بالحق إلا أن يكون الأمر كما قاله من قال إنه
كان على مقدمة ذى القرنين صاحب إبراهيم ، فشرب ماء الحياة ، فلم يبعث
فى أيام إبراهيم صلى الله عليه وسلم نبياً ، وبعث أيام ناشية بن أموص ، وذلك
أن ناشية بن أموص الذى ذكر ابن إسحاق أنه كان ملكاً على بنى إسرائيل ،
كان فى عهد بشتاسب بن لهراسب ، وبين بشتاسب وبين أفريدون من الدهور^(٢)
والأزمان ما لا يحمله ذو علم بأيام الناس وأخبارهم ، وسأذكر مبلغ ذلك إذا
انتهينا إلى خبر بشتاسب إن شاء الله تعالى .

وإنما قلنا : قول من قال : كان الخضر قبل موسى بن عمران صلى الله عليه
وسلم أشبه بالحق من القول الذى قاله ابن إسحاق وحكاه عن وهب بن منبه ،
للخبر الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم^٣ أبى بن كعب ، أن صاحب
موسى بن عمران - وهو العالم الذى أمره الله تبارك تعالى بطلبه إذ ظن أنه لا أحد
فى الأرض أعلم منه - هو الخضر ، ورسول الله صلى الله عليه كان أعلم خلق
الله بالكائن من الأمور الماضية ، والكائن منها الذى لم يكن بعد .

٤١٧/١

والذى روى أبى بن كعب فى ذلك عنه صلى الله عليه وسلم ما حدثنا أبو كريب ،
قال : حدثنا يحيى بن آدم ، قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن
دينار ، عن سعيد ، قال^(٣) : قلت لابن عباس : إن نوحاً يزعم أن الخضر ليس

(١) ط : « قبل » من غير واو ، وما أثبتة من ا .

(٢) ح : « الدهر » .

(٣) رواه البخارى فى كتاب التفسير بسند عن سعيد بن جبير ؛ مع اختلاف فى ألفاظ

الحديث .

بصاحب موسى ، فقال : كذبَ عدو الله ، حدثنا أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن موسى قام في بني إسرائيل خطيباً فقبل : أى الناس أعلم ؟ فقال : أنا ، فعتب الله عليه حين لم يرد العلم إليه ، فقال : بل عبدٌ لى^(١) عند مجمع البحرين ، فقال : يا رب ، كيف به ؟ قال^(٢) : تأخذ حوتاً فتجعله في مكمل فحيث تفقده فهو هناك . قال : فأخذ حوتاً فجعله في مكمل ، ثم قال لفتاه : إذا فقدت هذا الحوت فأخبرنى . فانطلقا يمشيان على ساحل البحر حتى أتيا صخرة ، فرقد موسى فاضطرب الحوت في المكمل ، فخرج فوق في البحر ، فأمسك الله عنه جريرة الماء فصار مثل الطاق ، فصار للحوت سرباً ، وكان لهما عجباً . ثم انطلقا ، فلما كان حين الغداء قال موسى لفتاه : ﴿ آتَيْنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾^(٣) قال : ولم يجد موسى النصب^(٤) حتى جاوز حيث أمره الله^(٥) ، قال : فقال : ﴿ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصُّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾^(٦) قال : فقال : ﴿ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَرْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾^(٧) . قال : يقصان آثارهما^(٨) . قال : فأتيا الصخرة ، فإذا رجل نائم مسجى بثوبه ، فسلم عليه موسى فقال : وأنتى بأرضنا السلام ! قال : أنا موسى ، قال : موسى بنى إسرائيل ؟ قال : نعم ، قال : يا موسى ، إني على علم من علم الله ، علمنيه الله لا تعلمه ، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه ، قال : فإني أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشداً . ﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾^(٩) . فانطلقا يمشيان على الساحل ، فإذا بملاح في سفينة ، فعرف الحضر ، فحملة

(١) البخارى : « فأوحى الله إليه إن لى عبداً » .

(٢) ط : « فقال » ؛ وما أثبتته عن البخارى .

(٣) سورة الكهف ٦٢ - ٦٤ .

(٤) ح : « التعب » .

(٥) لفظ البخارى : « المكان الذى أمر الله به » .

(٦) ن : « أثرهما » ، ولفظ البخارى : « رجماً يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة » .

(٧) سورة الكهف ٧٠ .

بغير نول ، فجاء عصفور فوق علي حرفها فنقر - أو فنقد^(۱) - في الماء ، فقال
الحضر لموسى : ما ينقص علمي وعلمك من علم الله إلا مقدار ما نقر - أو نقد -
هذا العصفور من البحر .

قال أبو جعفر : أنا أشك ، وهو في كتابي هذا « نقر » . قال : فبينما هم
في السفينة لم يُفجأ موسى إلا وهو يتد وتدأ أو يتزع تختاً منها ، فقال له موسى :
حملنا بغير نول وتخرقها لتغرق أهلها^(۲) ! ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْرَأً . قَالَ أَلَمْ
أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا . قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾^(۳) - قال :
فكانت الأولى من موسى نسياناً - قال : ثم خرجا فانطلقا يمسيان ، فأبصرا
غلاماً يلعب مع الغلمان ، فأخذ برأسه فقتله ، فقال له موسى : ﴿ أَقْتَلْتَ
نَفْساً زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْرًا . قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ
تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا . قَالَ إِنْ سَأَلْتكَ عَنْ شَيْءٍ دَبَّدَهَا فَلَا تَصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ
مِن لَدُنِّي عَذْرًا ﴾^(۴) .

٤١٩/١

فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها ، فلم يجدا أحداً يطعمهم
ولا يسقيهم ، فوجدوا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه بيده - قال : مسحه
بيده - فقال له موسى : لم يضيفونا ولم ينزلونا ، ﴿ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾^(۵) .
﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾^(۶) قال : فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « لوددت أنه كان صبر حتى يقص علينا قصصهم^(۶) » .

حدثني العباس بن الوليد ، قال : أخبرني أبي قال : حدثنا الأوزاعي ،

(١) ط : « نقد ، وما أنبته عن ا ، ونقر ونقد بمعنى واحد .

(٢) لفظ البخارى : « فقال له موسى : قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقها
لتغرق أهلها » .

(٣) سورة الكهف ٧١ - ٧٣ .

(٤) سورة الكهف ٧٤ - ٧٦ ، و « زاكية » قراءة الجمهور ، وقراءة الكوفيين وابن عامر :
« زكية » ، بتشديد الياء . وهي التي في المصحف . وقال البخارى : « كان ابن عباس قرأها : زكية وزاكية » .

(٥) سورة الكهف ٧٧ ، ٧٨ .

(٦) لفظ البخارى : ووددت أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرها » .

قال : حدثني الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس : أنه ^(١) تماري هو وأختر بن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى ، فقال ابن عباس : هو الخضر ، فرأى بهما أبي بن كعب ، فدعا ابن عباس فقال : إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى عليه السلام الذي سألت السبيل إلى لقائه ، فهل سمعت رسول الله يذكر شأنه ؟ قال : نعم إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بينا موسى عليه السلام في ملا من بني إسرائيل ، إذ جاءه رجل فقال : تعلم مكان أحد أعلم منك ؟ قال موسى : لا ، فأوحى الله إلى موسى : بئلى عبدنا الخضر ، فسأله موسى السبيل إلى لقائه ، فجعل الله الحوت آية ، وقال له : إذا افتقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه ، فكان موسى يتبع أثر الحوت ، [في البحر ، فقال قتي موسى لموسى : ﴿ رأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت ﴾] ^(٢) ، قال موسى : ﴿ ذلك ما كنا نبغ فارتدأ على آثارها قصصاً ﴾ ، فوجدنا الخضر ^(٣) ، فكان من شأنهما ما قص الله في كتابه .

حدثني محمد بن مرزوق قال ، حدثنا حجاج بن المنهال ، قال : حدثنا عبد الله بن عمر النميري ، عن يونس بن يزيد ، قال : سمعت الزهري يحدث قال : أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس : أنه تماري هو وأختر بن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى ، فذكر نحو حديث العباس عن أبيه .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتَاهُ

(١) نقله ابن كثير في تفسيره ٢ : ٩٦

(٢) تكله من وتفسير ابن كثير .

(٣) ١ : « فوجدنا عبدنا الخضر » .

لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ...»^(١) الآية ، قال : لما^(٢) ظهر موسى وقومه على مصر نزل قومه مصر ، فلما استقرت بهم الدار ، أنزل الله عز وجل عليه : أن ذكّرهم بأيام الله . فخطب قومه ، فذكّر ما آتاهم الله من الخير والنعمة ، وذكّرهم إذ أنجاهم الله من آل فرعون ، وذكّرهم هلاك عدوهم ، وما استخلفهم [الله]^(٣) في الأرض ، فقال : وكلم الله موسى نبيكم تكليماً ، واصطفاني لنفسه ، وأنزل عليّ محبة منه ، وآتاكم الله من كل ما سألتموه ، فنيبكم أفضل أهل الأرض وأنتم تقرءون التوراة . فلم يترك نعمة أنعمها الله عليهم إلا ذكرها وعرفها بإيامهم ، فقال له رجل من بني إسرائيل : هو كذلك يا نبي الله ، وقد عرفنا الذي تقول ، فهل على الأرض أحدٌ أعلم منك يا نبي الله ؟ قال : لا ، فبعث الله عز وجل جبرئيل عليه السلام إلى موسى عليه السلام فقال : إن الله تعالى يقول : وما يدريك أين أضع علمي ؟ بلى إن على شطّ البحر رجلاً أعلم منك - قال ابن عباس : هو الخضر - فسأل موسى ربه أن يريه إياه ، فأوحى الله إليه أن اتت البحر ، فإنك تجد على شطّ البحر حوتاً فخذ فادفعه إلى فتاك ثم الزم شطّ البحر ، فإذا نسيت الحوت وهلك منك ، فتمّ تجد العبد الصالح الذي تطلب .

٤٢١/١

فلما طال سفر موسى نبي الله صلى الله عليه ونصب فيه ، سأل فتاه عن الحوت ، فقال له فتاه وهو غلامه : ﴿أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره﴾ لك . قال الفتى : لقد رأيت الحوت حين اتخذ سبيله في البحر سرباً . فأعجب ذلك موسى فرجع حتى أتى الصخرة فوجد الحوت ، فجعل الحوت يضرب في البحر ويتبعه موسى ، وجعل موسى يقدم عصاه يفرج بها عنه الماء ، يتبع الحوت ، وجعل الحوت لا يمس شيئاً من الماء^(٤) إلا ييس حتى يكون صخرة ، فجعل نبي الله صلى الله عليه يعجب من ذلك حتى انتهى به الحوت إلى جزيرة من جزائر البحر ، فلقى الخضر بها ، فسلم

٤٢٢/١

(١) سورة الكهف ٦٠ .

(٢) نقله ابن كثير في التفسير ٣ : ٩٥ .

(٣) من تفسير ابن كثير .

(٤) ط : البحر ، وما أثبت من أ .

عليه ، فقال الخضر : وعليك السلام ، وأنى يكون هذا السلام بهذه الأرض !
ومن أنت ؟ قال : أنا موسى ، فقال له : الخضر صاحب^(١) بنى إسرائيل ؟
قال : نعم ، فرحّب به وقال : ما جاء بك ؟ قال : جئت على أن تعلّمنى مما
علمت رشداً ، قال : ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾^(٢) ، يقول : لا تطبق
ذلك ، قال موسى : ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾^(٣) .
قال : فانطلق به ، وقال له : لا تسألنى عن شيء أصنعه حتى أبين لك شأنه ،
فذلك قوله : ﴿ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾^(٤) . فركبا فى السفينة يريدان
أن يتعديا إلى البر ، فقام الخضر ، فخرق السفينة فقال له موسى : ﴿ أَخْرَقْتَهَا
لِتُفْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾^(٥) ... ثم ذكر بقية القصة

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب القُصَمَى ، عن هارون بن عنبرة
عن أبيه ، عن ابن عباس قال : سأل موسى عليه السلام ربه عزّ وجلّ فقال :
أى ربّ ، أىّ عبادك أحبُّ إليك ؟ قال : الذى يذكرنى ولا ينسانى ، قال :
فأىّ عبادك أقضى ؟ قال : الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى ، قال أىّ ربّ ،
أىّ عبادك أعلم ؟ قال : الذى يبتغى علم الناس إلى علمه ، عسى أن يُصيب
كلمة تهديه إلى هدى ، أو تردّه عن ردّى ، قال : ربّ فهل فى الأرض أحد
- قال أبو جعفر أظنه قال : أعلم منى ؟ قال : نعم ، قال : ربّ ، فمن
هو ؟ قال : الخضر ، قال : وأين أطلبه ؟ قال : على الساحل^(٤) ، عند
الصخرة التى ينفلت عندها الحوت ، قال : فخرج موسى يطلبه حتى كان
ما ذكره الله عزّ وجلّ وانتهى موسى إليه عند الصخرة ، فسلمّ كلُّ واحد منهما
على صاحبه ، فقال له موسى : إنى أريد أن تستصحبنى^(٥) ، قال : لن تطبق

(١) ن : « أصحاب بنى إسرائيل ؟ » .

(٢) سورة الكهف ٦٧

(٣) سورة الكهف ٦٩ - ٧١

(٤) ح : « بالساحل »

(٥) ن : « أصحبك » .

صحبتني ، قال : بلى ، قال : فإن صحبتني ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى
أُخْبِرَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ
أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَوْلَا جِئْتَ شَيْئًا إِيْرًا . قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ
مَعِيَ عَبْرًا . قَالَ لَا تُؤْخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا .
فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيََا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي زَاكِيَةً فَغَيَّرَ نَفْسَ لَقَدْ
جِئْتَ شَيْئًا نَكِرًا ﴿ : إلى قوله : ﴿ لَا تَمُخِّدْتَ عَلَيْهِمْ آجْرًا ﴾ (١) .

قال : فكان قول موسى في الجدار لنفسه ولطلب شيء من الدنيا ، وكان
قوله في السفينة وفي الغلام لله عز وجل . ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ
بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (١) ، فأخبره بما قال الله :
﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينٍ ... ﴾ الآية ، ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ ... ﴾ (١) الآية ،
﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ ... ﴾ (١) الآية . قال : فسار به في البحر حتى انتهى
به إلى مجمع البحرين (٢) ، وليس في الأرض مكان أكثر (٣) ماءً منه ، قال :
وبعث ربك الخُطّاف ، فجعل يستقي منه بمنقلوه ، فقال لموسى : كم ترى
هذا الخُطّاف رزاً من هذا الماء ؟ قال : ما أقلّ ما رزاً ! قال : يا موسى فإن
علمي وعلمك في علم الله كقدر ما استقي هذا الخُطّاف من هذا الماء . وكان
موسى عليه السلام قد حدث نفسه أنه ليس أحدٌ أعلم منه . أو تكلم به ، فمن ثم
أمير أن يأتي الخضر .

٤٢٤/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ،
عن الحسن بن عُمارة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن سعيد بن جبير . قال :
جلست عند ابن عباس وعنده نفرٌ من أهل الكتاب ، فقال بعضهم : يا أبا العباس
إن نَوْفًا ابن امرأة كعب ، ذكر (٤) عن كعب أن موسى النبي عليه

(١) سورة الكهف ٧٠ - ٨٠

(٢) : « البحور »

(٣) ح « أكبر »

(٤) : « يزعم »

السلام الذي طلب العالم إنما هو موسى بن منشا . قال سعيد : فقال ابن عباس :
 أذن يقول هذا ؟ قال سعيد : فقلت له : نعم ، أنا سمعت نوحاً يقول ذلك ،
 قال : أنت سمعته يا سعيد ؟ قال : قلت : نعم : قال : كذب نوح . ثم
 قال ابن عباس : حدثني أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
 موسى نبي إسرائيل سأل ربه تبارك وتعالى فقال : أي رب ، إن كان في عبادك
 أحدٌ هو أعلم مني فادلني عليه ، فقال له : نعم في عبادي من هو أعلم منك ،
 ثم نعت له مكاناً ، وأذن له في لقائه ، فخرج موسى عليه السلام ومعه فتاه ،
 ومعه حوت مليح قد قيل له : إذا حييَ هذا الحوت في مكان فصاحبك هنالك ،
 وقد أدركت حاجتك .

فخرج موسى ومعه فتاه ، ومعه ذلك الحوت يحملانه ، فسار حتى جهده
 السير، وانتهى إلى الصخرة وإلى (١) ذلك الماء وذلك الماء، ماء الحياة، من شرب منه
 خلد ، ولا يقاربه شيء ميت إلا أدركته الحياة (٢) وحي . فلما نزلا منزلاً ومسرَّ
 الحوت الماء حي ، فاتخذ سبيله في البحر سرباً ، فانطلق فلما جاوزا بمنقلة (٣)
 قال موسى لفتاه : ﴿ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ . قال النبي
 وذكر : ﴿ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ
 إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ . قال ابن عباس :
 وظهر موسى على الصخرة حتى انتهى إليه ، فإذا رجل متلفف (٤) في كساء له .
 فسلم عليه موسى ، فرد عليه السلام ، ثم قال له : ومن أنت ؟ قال : أنا موسى
 ابن عمران ، قال : صاحب نبي إسرائيل ؟ قال : نعم أنا ذلك ، قال : وما جاء
 بك إلى هذه الأرض ؟ أن لك في قومك تشغل ! قال له موسى : جئتك لتعلمني
 ما علمت رشداً ، قال : إنك لن تستطيع معي صبراً ، وكان رجلاً يعمل
 الغيب قد علم ذلك ، فقال موسى : بلى ، قال : ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهٖ

(١) ...

(٢) ... ح : « ميت الاحي ... »

(٣) المنقلة هنا : المرحلة .

(٤) كذا في ا ح . وفي ط : « ملفف » .

خُبْرًا) ، أى إنماتعرف ظاهر ما ترى من العدل ولم تُحيط من علم الغيب بما أعلم
 ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ وإن رأيت ما يخالفنى .
 قال : ﴿ فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ ،
 أى فلا تسألنى عن شىء وإن أنكرته حتى أحدث لك منه ذكراً ، أى خبراً .
 فانطلقا يمشيان على ساحل البحر يتعرضان الناس ، يلتمسان من يحملهما
 حتى مرت بهما سفينة جديدة وثيقة ، لم يمر بهما شىء من السفن أحسن ولا
 أجمل ولا أوثق منها ، فسألا أهلها أن يحملوهما ، فحملوهما ، فلما اطمأننا
 فيها ، ولحججت بهما مع أهلها ، أخرج منقاراً له ومطرقة ، ثم عمد إلى ناحية
 منها فضرب فيها بالمنقار حتى خرقتها ، ثم أخذ لوحاً فطبقه عليها ، ثم جلس
 عليها يرقعها ، قال له موسى : فأى أمر أقطع من هذا !^(١) ﴿أَخْرَقْتَهَا اتَّفِرَقَ
 أَهْلُهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ ! حملونا وآرونا إلى سفينتهم ، وليس فى البحر سفينة
 مثلها ، فلم خرقتها ! قال : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ . قال
 لا تؤاخذنى بما نسيت ، أى بما تركت من عهدك ﴿ وَلَا تَرْهَقْنِي مِنْ أَمْرِي
 عُسْرًا ﴾ . ثم خرجا من السفينة ، فانطلقا حتى أتيا أهل قرية ، فإذا غلمان
 يلعبون ، فيهم غلام ليس فى الغلمان غلام أظرف ولا أترف ولا أوضأ منه ،
 فأخذ بيده ، وأخذ حجراً فضرب به رأسه حتى دمهغه فقتله . قال : فرأى موسى
 أمراً فظيعاً لا صبر عليه ، صبي صغير قتله^(٢) بغير جناية ولا ذنب
 له ! فقال : ﴿ أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بغيرِ نَفْسٍ ﴾ ، أى صغيرة بغير نفس ،
 ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴾ . قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبراً .
 قال إن سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدنى عذراً ، أى
 قد أعذرت فى شأنى . ﴿ فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن
 يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه ﴾ ، فهدمه ثم قعد بينيه ،

(١) : « ورأى أمراً فظع به »

(٢) ط : « وأخذ صبياً صغيراً بغير جناية » وما أثبتته من ا .

فصجر موسى مما رآه يصنع من التكلف لما ليس عليه صبر ، فقال : ﴿ لو
 شئت لاتخذت عليه أجراً ﴾ أي قد استطعناهم فلم يُطعمونا ، واستضفناهم
 فلم يُضيفونا ، ثم قعدت تعمل في غير صنعة^(١) ، ولو شئت لأعطيت عليه أجراً
 [في عمله]^(٢) ﴿ قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه
 صبراً . أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها
 وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة - وفي قراءة أبي بن كعب :
 كل سفينة صالحة - غصباً ﴾ ، وإنما عيبها لأردته عنها ، فسلمت منه حين
 رأى العيب الذي صنعتُ بها . ﴿ وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن
 يرهقهما طغيانياً وكفراً . فأردنا أن يبداهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب
 رحماً . وأما الجدار فكان إغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز
 لهما وكان أبوهما صالحاً ﴾ - إلى - ﴿ ما لم نستطع عليه صبراً ﴾ .
 فكان ابن عباس يقول : ما كان الكثر إلا علماً^(٣) .

٤٢٨/٧

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ،
 عن الحسن بن عمارة ، عن أبيه ، عن عكرمة ، قال : قيل لابن عباس : لم نسمع
 لفتى موسى بذكر من حديث وقد كان معه ! فقال ابن عباس فيما يذكر من
 حديث الفتى ، قال : شرب الفتى من ماء الخلد فخلد ، فأخذته العالم فطابق به
 سفينة ، ثم أرسله في البحر ، فإنها لتموج به إلى يوم القيامة ، وذلك أنه لم يكن
 له أن يشرب منه فشرب .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، عن شعبة ، عن قتادة ، قوله :
 ﴿ فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما ﴾ ، ذكر لنا أن نبي الله موسى لما قطع
 البحر وأنجاه الله من آل فرعون ، جمع بني إسرائيل فخطبهم فقال :

(١) كذا في ١ والتفسير ، وفي ط : « صنعة » . (٢) من ١ والتفسير .

(٣) الخبر في التفسير ١٥ : ١٨٠ - ١٨٣ (بولاق) .

أنتم خير أهل الأرض وأعلمهم قد أهلك الله عدوكم ، وأقطعكم البحر وأنزل عليكم التوراة ، قال : فقيل له : إن ما هنا رجلا هو أعلم منك^(١) قال : فانطلق هو وفتاه يوشع بن نون يطلبانه ، فتزودا مملوحة في مکتل لهما ، وقيل لهما : إذا نسينا ما معكما لقيتما رجلا عالما يقال له الخضر ، فلما أتيا ذلك المكان ، رد الله إلى الخوت روحه فسرب له من الجمد^(٢) حتى أفضى إلى البحر ، ثم سلك فجعل لا يد لك فيه طريقا إلا صار ماء جامدا ، قال : ومضى موسى وفتاه ، يقول الله عز وجل : ﴿ فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد آتينا من سفرنا هذا نصبا ﴾ - إلى قوله - : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن نَّدَانَا عِلْمًا ﴾ ، فلقيا رجلا عالما يقال له الخضر ، فذكرنا أن نبي الله قال : إنما سمي الخضر خضرا لأنه قعد على فروة بيضاء فاهترت به خضراء .

• • •

فهذه الأخبار التي ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن السلف من أهل العلم تنبئ عن أن الخضر كان قبل موسى وفي أيامه ، ويدل على خطأ قول من قال : إنه أورميا بن خلثيا ، لأن أورميا كان في أيام بختنصر ، وبيز عهدى موسى وبختنصر من المدة ما لا يشكك قدرها على أهل العلم بأيام الناس وأخبارهم : وإنما قدمنا ذكره وذكر خبره لأنه كان في عهد أفريدون فيما قيل : وإن كان قد أدرك على هذه الأخبار التي ذكرت من أمره وأمر موسى وفتاه أيام منوشهر وملكه ، وذلك أن موسى [إنما]^(٣) نبى في عهد منوشهر ، وكان ملك منوشهر بعد ما ملك جده أفريدون ، فكل ما ذكرنا من أخبار من ذكرنا أخباره من عهد إبراهيم إلى الخبر عن الخضر عليهما السلام ، فإن ذلك كله - فيما ذكر - كان في ملك بيوسراسب وأفريدون ، وقد ذكرنا فيما مضى قبل أخبار أعمارهما ومبلغهما ومدة كل واحد منهما^(٤) .

• • •

ونرجع الآن إلى الخبر عن :

(١) ل : « منكم » ؛ وما أثبت من أ .

(٢) الجمد ، بضم الجيم : شاطئ البحر ، وفوح : « اخذ » .

(٣) من أ : « مبلغ أعمارهما ومدة ملك كل واحد منهما » .

منوشهر وأسبابه والحوادث الكائنة في زمانه

ثم ملك بعد أفريدون بن أثفياك بركاو^(١) منوشهر، وهو من ولد إيرج بن أفريدون .

وقد زعم بعضهم أن فارس سميت فارس بمنوشهر هذا . وهو منوشهر كيازيه^(٢) - فيما يقول نسابه الفرس - بن منشخورنو^(٣) بن منشخواربع^(٤) ابن ويرك بن سروشنك^(٥) بن أبوك بن بتك^(٦) بن فرزندك^(٧) بن زشك^(٨) ابن فركوزك^(٩) بن كوزك^(١٠) بن إيرج بن أفريدون بن أثفياك بركاو . وقد ينطق بهذه الأسماء بخلاف هذه الألفاظ .

وقد يزعم بعض المجوس أن أفريدون وطى ابنة لابنه إيرج ، يقال لها كوشك ، فولدت له جارية يقال لها فركوشك^(١١) ، ثم وطى فركوشك هذه فولدت له جارية يقال لها زوشك^(١٢) ، ثم وطى زوشك هذه ، فولدت له جارية يقال لها فرزوشك^(١٣) ، ثم وطى فرزوشك هذه فولدت له جارية يقال لها بيتك^(١٤) ،

(١) ح وابن الأثير : « بن كاو »

(٢) كذا في ن ، وفي ا ، ح : « كان به » ، وفي ط من غير نطق .

(٣) ا : « متشجور » ن : « مشجورين » .

(٤) ا : « منشجواربع »

(٥) ن : « سروشنك » .

(٦) ن : « بتك » .

(٧) ا : « فرشك » ، ح : « ورشك » .

(٨) ا : « رشنك » ، ن : « زشك » .

(٩) ا ، فركوزك : ن : « فركوزل » .

(١٠) ن : « كوزل »

(١١) ا : « فركوشك » .

(١٢) ا : « سروشنك » .

(١٣) ا : « فرزندك » .

(١٤) ا : « بيتك » .

٤٣٢/١ ثم وطي بيتك هذه فزنت له جارية يقال لها إيرك^(١) ، ثم وطي إيرك فولدت له إيرك ، ثم وطي إيرك فولدت له ويرك ، ثم وطي ويرك فولدت له منشخرفاغ^(٢) . ويقول بعضهم : منشخواربع^(٣) وجارية يقال لها : منشجرك^(٤) ، وأن منشخرفاغ وطي منشجرك فولدت له منشخرنر ، وجارية يقال لها منشراروك ، وأن منشخرنر وطي منشراروك فولدت له منوشهر .

فيقول بعضهم كان مولده بدُنباوند .

ويقول بعض : كان مولده بالرّي ، وإن منشخرنر ومنشراروك لما ولد لهما منوشهر أسراً أمره خوفاً من طوج وسلّم عليه ، وإن منوشهر لما كبر صار إلى جده أفريدون ، فلما دخل عليه توسّم فيه الخير ، وجعل له ما كان جعل لجدّه إيرج من المملكة ، وتوجه بتاجه . ٤٣٣/١

وقد زعم بعض أهل الأخبار أن منوشهر هذا هو منوشهر بن منشخرنر ابن أفرقيس بن إسحاق بن إبراهيم ؛ وأنه انتقل إليه الملك بعد أفريدون وبعد أن مضى ألف سنة وتسعمائة سنة واثنان وعشرون سنة ، من عهد جيومرت ، واستشهد لحقيقة ذلك بأبيات لحرير بن عطية ، وهو قوله^(٥) .

وأبناء إسحاق الأيوث إذا ارتدوا حمائل موت لايسين السنورا^(٦)
إذا اتسبوا عدوا الصهبند منهم وكسرى وعدوا الهززان وقيصرا^(٧)
وكان كتاب فيهم ونبوؤة وكانوا باضطخرا الملوك وتسترا^(٨)

(١) كذا في ن ، وفي ط ، مهمل .

(٢) ١ : « منشخرفاغ » .

(٣) ١ : « منشجواربع » .

(٤) كذا في ١ ، وفي ط مهمل .

(٥) من قصيدة يمدح بها هلال بن أحموز المازني ويفخر بأبناء إسماعيل وإسحاق ، ويهجو

الفرزدق وبنى طهية ، في ديوانه ٢٤٢ . والنقائض ٩٩٥

(٦) السنور : الدروع .

(٧) الصهبند : قائد المسكر ، بالفارسية .

(٨) قال في شرح النقائض : « إي كان الملوك ينزلون اضطخرا وتسترا » .

فَيَجْمَعُنَا وَالْفُرَّ أَبْنَاءَ فَارِسٍ أَبٌ لَا نُبَالِي بَعْدَهُ مَنْ تَأَخَّرَا
أَبُونَا خَلِيلُ اللَّهِ ، وَاللَّهُ رَبُّنَا رَضِينَا بِمَا أَعْطَى الْإِلَهُ وَقَدَّرَا

وأما الفرس فإنها تنكر هذا النسب ، ولا تعرف لها مُلْكًا إلا في أولاد
أفريدون ، ولا تقرُّ بالملك لهم ، وترى أن داخلا إن كان دخل عليهم في ذلك
من غيرهم في قديم الأيام . قبل الإسلام [(١)] ، فإنه دخل فيه بغير حق (٢) .

وحدثت عن هشام بن محمد ، قال : ملك طوج وسلم الأرض بينهما
بعد قتلها أخاهما إيرج ثمانمائة سنة ، ثم ملك مینوشهر بن إيرج بن أفريدون
مائة وعشرين سنة ، ثم إنه ب به ابن لابن طوج التركي [على رأس ثمانين سنة] (١) ٤٣٤/١
فنفاه عن بلاد العراق ثنتي عشرة سنة ، ثم أديب منه منوشهر ، فنفاه عن بلاده ،
وعاد إلى ملكه ، وملك بعد ذلك ثمانيا وعشرين سنة .

قال : وكان منوشهر يوصف بالعدل والإحسان ، وهو أول من خندق
الحنادق ، وجمع آلة الحنادة ، وأول من وضع الدهقنة فجعل لكل قرية
دِهقانًا ، وجعل أهلها حولًا وعبيدًا ، وألبسهم لباس المدلّة ، وأمرهم بطاعته .
قال : ويقال إن موسى النبي صلى الله عليه وسلم ظهر في سنة ستين من ملكه .

وذكر غير (٣) هشام أن مینوشهر لما ملك توج بتاج الملك وقال يوم ملك :
نحن مقوون مقاتلينا ، ومُعِدّوهم للانتقام لأسلافنا ، ودفع العدو عن بلادنا .
وأنه سار نحو بلاد الترك طالبًا بدم جده إيرج بن أفريدون ، فقتل طوج بن
أفريدون وأخاه سلما ، وأدرك تاره وانصرف ، وأن فراسياب بن فشنج
ابن رستم بن ترك - الذي تنسب إليه الأتراك ، بن شهراسب . ويقال : ابن ٤٣٥/١

(١) من (٢) قال ابن الأثير : « قلت : والحق ما قاله الفرس فإن أسماء ملوكهم قبل
الإسكندر معروفة ، وبعد أيامه ملوك الطوائف ؛ وإذا كان منوجهر أيام موسى ، وكان ما بين موسى
وإسحاق خمسة آباء معروفون ولم يزلوا بمصر ؛ ففى أى زمان كثروا وانتشروا وملكوا بلاد الفرس !
ومن أين لحرير هذا العلم حتى يكون قوله حجة ؛ لا سيما وقد جعل الجميع أبناء إسحاق ! » . الكامل
١ : ٩٣ .

(٣) ط : « عن » ، وما أثبتته عن ابن الأثير .

إرشب بن طوج بن أفريدون الملك . وقد يقال لفشك^(١) فشنج بن زاشمين -
حارب منوشهر ، بعد أن مضى لقتله طوجا وسلما ستون سنة ، وحاصره
بطبرستان .

ثم إن منوشهر وفراسياب اصطلاحا على أن يجعلاً حدّاً ما بين مملكتيهما
منتهى رمية سهم رجل من أصحاب منوشهر يدعى أرشبتايطير - وربما
خفف اسمه بعضهم فيقول : إيرش - فحيث ما وقع سهمه من موضع رميته
تلك مما يلي بلاد الترك فهو الحدُّ بينهما لا يجاوز ذلك واحد منهما إلى الناحية
الأخرى . وإن أرشبتايطير نزع بسهم في قوسه ، ثم أرسله . وكان قد أعطى
قوة وشدة - فبلغت رميته من طبرستان إلى نهر بلخ ووقع السهم هنالك^(٢) ،
فصار نهر بلخ حدّاً ما بين الترك وولد طوج وولد إيرج وعمل الفرس ، فانقطع
بذلك من رمية أرشبتايطير حروب ما بين فراسياب ومنوشهر .

٤٣٦/١

وذكروا أن منوشهر اشتق من الصراة ودجلة ونهر بلخ أنهاراً عظيماً .
وقيل إنه هو الذي كرا الفرات الأكبر ، وأمر الناس بحراثة الأرض وعمارتها ،
وزاد في مهنة المقاتلة الرمي ، وجعل الرياسة في ذلك لأرشبتايطير لرميته التي
رماها .

وقالوا : إن منوشهر لما مضى من ملكه خمس وثلاثون سنة تناولت الترك
من أطراف رعيته ، فوبّخ قومه وقال لهم : أيها الناس ، إنكم لم تلدوا الناس كلّهم ،
وإنما الناس ناسٌ ما عقلوا من أنفسهم ودفَعوا العدو عنهم ، وقد نالت الترك
من أطرافكم ، وليس ذلك إلا من ترككم جهادَ عدوكم ، وقلة المبالاة ، وإن الله
تبارك وتعالى أعطانا هذا الملك ليلبونا أنشكرُ فيزيدنا ، أم نكفر فيعاقبنا ! ونحن
أهل بيت عزّ^(٣) ومعدن الملك لله . فإذا كان غداً فاحضروا ، قالوا : نعم
واعتذروا ، فقال : انصرفوا . فلما كان من الغد أرسل إلى أهل المملكة وأشرف

(١) : « نمشك بن برز بن تشمين » .

(٢) : قال ابن الأثير : « وهذا من أعجب ما يتداوله الفرس في أكاذيبهم أن رمية سهم تبلغ
هذا كله . »

(٣) : « غير » ، بضمين .

الأساورة ، فدعاهم وأدخل الرؤساء من الناس ، ودعا مؤبذ مؤبذان ،
 فأقعد على كرسيّ مقابل سريريه ، ثم قام على سريريه ، وقام أشراف أهل بيت
 المملكة وأشراف الأساورة على أرجلهم ، فقال : اجلسوا فإني إنتما قمت لأسمعكم
 كلامي . فجلسوا فقال : أيها الناس ، إنما الخلق للخالق ، والشكر للمنعم ،
 والتسليم للقادر ، ولا بدّ مما هو كائن ، وإنه لا أضعف من مخلوق طالباً كان
 أو مطلوباً ، ولا أقوى من خالق ، ولا أقدر ممن طلبته في يده ، ولا أعجز
 ممن هو في يده طالبه ، وإن التفكّر نور ، والغفلة ظلمة ، والجهالة ضلالة . وقد
 ورد الأول ولا بدّ للآخر من اللحاق^(١) بالأول ، وقد مضت قبلنا أصول نحن
 فروعها ، فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله ! وإن الله عزّ وجلّ أعطانا هذا الملك
 فله الحمد ، ونسأله إلهام الرشيد والصدق واليقين ، وإن للملك على أهل مملكته
 حقاً . ولأهل مملكته عليه حقاً ، فحقّ الملك على أهل المملكة أن يُطيعوه
 ويناصحوه ويقاتلوا عدوّه ، وحقهم على الملك أن يعطيهم أرزاقهم في أوقاتها ،
 إذ لا معتمد لهم على غيرها ، وإنما تجارتهم . وحق الرعية على الملك أن ينظر
 لهم ، ويرفّق بهم ، ولا يحملهم على ما لا يطيقون ، وإن أصابتهم مصيبة تنقص
 من ثمارهم من آفة من السماء أو الأرض أن يُسقط عنهم خراج ما نقص ، وإن
 اجتاحتهم مصيبة أن يُعوّضهم ما يقوّمهم على عماراتهم ، ثم يأخذ منهم بعد
 ذلك على قدر ما لا يجحف بهم^(٢) في سنة أو سنتين ، وأمر الجند للملك بمنزله
 جناحي الطائر ، فهم أجنحة الملك متى قصّ من الجناح ريشة كان ذلك
 نقصاناً منه ؛ فكذلك الملك إنما هو بجناحه وريشه . ألا وإن الملك ينبغي أن
 يكون فيه ثلاث خصال : أولها أن يكون صدوقاً لا يكذب ، وأن يكون سخياً
 لا يبخل ، وأن يملك نفسه عند الغضب ؛ فإنه مسلّط ويده مبسوطة ، والخراج
 يأتيه ، فينبغي ألا يستأثر عن جنده ورعيته بما هم أهل له ، وأن يكثر العفو ؛
 فإنه لا ملك أبى من ملك فيه العفو ، ولا أهلك من ملك فيه العقوبة . ألا

(١) ا : « اللحق » .

(٢) ن : « بقاء » .

(٣) ط : « به » وما أثبتته عن ا ، وابن الأثير .

وإنّ المرء إن يخطئ في العفو فيعفو، خير من أن يخطئ في العقوبة . فينبغي للملك أن يتثبت في الأمر الذي فيه قتل النفس وبنواها . وإذا رفع إليه من عامل من عماله ما يستوجب به العقوبة فلا ينبغي له أن يحايته ، وليجمع بينه وبين المتظلم ؛ فإن صح عليه للمظلوم حقٌ خرج إليه منه ، وإن عجز عنه أدى عنه الملكُ وردّه إلى موضعه ، وأخذه بإصلاح ما أفسد ؛ فهذا لكم علينا . ألا ومن سفك دما بغير حق ، أو قطع يداً بغير حق ، فإني لا أعفو عن ذلك إلا أن يعفو^(١) عنه صاحبه فخذوا هذا عنى . وإن الترك قد طمعت فيكم فاكفونا ، فإنما تكفون أنفسكم ، وقد أمرت لكم بالسلاح والعدة وأنا شريككم في الرأي ، وإنما لي من هذا الملك اسمه مع الطاعة منكم . ألا وإن الملك ملك إذا أطيع ، فإذا خولف فذلك مملوك ليس بملك . ومهما بلغنا من الخيلاف فإننا لا نقبله من المبلغ له حتى نتيقنه ، فإذا صحت معرفة ذلك وإلا أنزلناه منزلة المخالف . ألا وإن أكمل الأداة عند المصيبات الأخذ بالصبر والراحة إلى اليقين ؛ فمن قُتِل في مجاهدة العدو رجوتُ له الفوز برضوان الله . وأفضل الأمور التسليم لأمر الله والراحة إلى اليقين والرضا بقضائه ، وأبشّ المتهرب بما هو كائن ! وإنما يتقلب في كف الطالب ، وإنما هذه الدنيا سَفَرٌ لأهلها لا يحلّون عقْد الرحال إلا في غيرها ؛ وإنما بُلغتهم فيها بالعواري ، فما أحسن الشكر للمنعم والتسليم لمن القضاء له ! ومن أحق بالتسليم لمن فوقه ممن لا يجد مهرباً إلا إليه ، ولا معولاً إلا عليه ! فتقوا بالغلبة إذا كانت نياتكم أن النصر من الله ، وكونوا على ثقة من أدرك الطلبة إذا صحت نياتكم . واعلموا أن هذا الملك لا يقوم إلا بالاستقامة وحسن الطاعة وقمع العدو وسد الثغور والعدل للرعية وإنصاف المظلوم ، فشاؤكم عندكم ، واللواء الذي لا داء فيه الاستقامة ، والأمر بالخير والنهي عن الشر ، ولا قوة إلا بالله . انظروا للرعية فإنها مطعمكم ومشربكم ، ومنى عدلتم فيها رغبوا في العمارة ، فزاد ذلك في خراجكم ، وتبين في زيادة أرزاقكم ، وإذا حيفتم على الرعية زهدوا في العمارة ، وعطلوا أكثر الأرض فنقص ذلك

٤٣٩/١

٤٤٠/١

(١) ط : « حتى يعفو » ، وما أثبت من ا .

من خراجكم ، وتبين في نقص أرزاقكم ، فتعاهدوا الرعية بالإنصاف ؛ وما كان من الأنهار والبثوق مما نفقة ذلك من السلطان فأسرعوا فيه قبل أن يكثر ، وما كان من ذلك على الرعية فعجزوا عنه فأقروضهم من بيت مال الخراج ، فإذا حان^(١) أوقات خراجهم ، فخلعوا من خراج غلاتهم على قدر ما لا يحفف ذلك بهم ، رُبْع في كل سنة أو ثلث أو نصف ، لكيلا يشق^(٢) ذلك عليهم . هذا قول وأمرى يا موبذ موبذان ، الزم هذا القول ، وخذ^(٣) في هذا الذي سمعت في يومك ؛ أسمعتم أيها الناس ا فقالوا: نعم ، قد قلت فأحسنت ، ونحن فاعلون إن شاء الله : ثم أمر بالطعام فوضع فأكلوا وشربوا ، ثم خرجوا وهم له شاكرون . وكان ملكه مائة وعشرين سنة .

• • •

وقد زعم هشام بن الكلبي فما حدثت عنه أن الرائش بن قيس بن صبي ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان كان من ملوك اليمن بعد يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ وإخوته ، وأن الرائش كان ملكه باليمن أيام [ملك]^(٤) منو شهر ، وأنه إنما سمي الرائش - واسمه الحارث بن أبي شدد^(٥) - لغنيمة غنمها من قوم غزاهم فأدخلها اليمن ، فسُمي لذلك الرائش ، وأنه غزا الهند فقتل بها وسبى وغنم الأموال ، ورجع إلى اليمن ثم سار منها ، فخرج على جبلتي طي ثم على الأنبار ، ثم على الموصل ، وأنه وجه منها خيله وعليها رجل من أصحابه ، يقال له : شمر بن العطاف ، فدخل على الترك أرض أذربيجان وهي في أبلهيم يومئذ ، فقتل المقاتلة وسبى النرية ، وزبر ما كان من مسيره في حَجَرَيْن ، فهما معروفان ببلاد أذربيجان . قال : وفي ذلك يقول امرؤ القيس^(٦) :

أَلَمْ يُخْبِرْكَ أَنَّ الدَّهْرَ غُولٌ^(٧) خَتُورُ الْعَهْدِ يَلْتَقِمُ الرَّجَالَ

(١) ا : • جامت • .

(٢) ط : • يتين • وما أثبتته من ا .

(٣) ا : • وجد • .

(٤) من ا .

(٥) كنا في ا ، ح ، وف ط : • سدد • .

(٦) ديوانه ٣٠٩

(٧) ا ، والديوان : • ألم يحزنك • .

أَزَالَ عَنِ الْمَصَانِعِ ذَا رِيَاشٍ وَقَدْ مَلَكَ السُّهُلَةَ وَالْحَبَالَا
وَأَنْشَبَ فِي الْمَخَالِبِ ذَا مَنَارٍ^(١) وَلِلزَّرَادِ قَدْ نَصَبَ الْحَبَالَا

قال : وذو منار الذي ذكره الشاعر هو ذو منار بن راثش ، الملك بعد أبيه ،
واسمه أبرهة بن الراثش ، قال : وإنما سمي ذا منار لأنه غزا بلاد المغرب فوغل
فيها برًا وبحرًا ، وخاف على جيشه الضلال عند قفوله ، فبنى المنار ليهدتوا بها .
قال : ويزعم أهل اليمن أنه كان وجه ابنه العبد بن أبرهة في غزوته^(٢) هذه
إلى ناحية من أقاصي بلاد المغرب ، فغم وأصاب مالاً وقدم عليه بتسناس^(٣)
لهم خلیق وحشیة منكبة ، فذعر الناس منهم ، فسموه ذا الأذعار .
قال : فأبرهة أحد ملوكهم الذين توغلوا في الأرض ؛

٤:٢/١

وإنما ذكرت من ذكرت من ملوك اليمن في هذا الموضع لما ذكرت من
قول من زعم أن الراثش كان ملكاً باليمن أيام منوشهر ، وأن ملوك اليمن
كانوا عمالاً للملك فارس^(٤) بها ، ومن قبلهم كانت ولايتهم^(٥) بها .

ع

(١) الديوان : « داخليل » .

(٢) ح وابن الأثير : « غزواته » .

(٣) في القاموس : « التسناس : جنس من الخلق يشب أحدهم على رجل واحدة » ، وفي ا

وابن الأثير : « بسى » .

(٤) ح : « الفرس » .

(٥) « ولايتهم » .

ذكر نسب موسى بن عمران وأخباره وما كان في عهده وعهد

منوشهر بن منشخورنر الملك من الأحداث

قد ذكرنا أولاد يعقوب إسرائيل الله وعددهم وموالدهم^(١) . فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثم إن لاوي بن يعقوب نكح نابتة ابنة ماري بن يشخر . فولدت له عرشون بن لاوي ومرزي^(٢) بن لاوي [ومردى بن لاوي]^(٣) وقاهث^(٤) ابن لاوي . فنكح قاهث بن لاوي فاهي^(٥) ابنة مسين^(٥) بن بتويل بن إلياس . فولدت له بصهر بن قاهث ، فتزوج بصهر شميث ابنة بتاديت بن برشيا^(٦) ابن يقسان^(٧) بن إبراهيم . فولدت له عمران بن بصهر ، وقارون بن بصهر ، فنكح عمران يحيب ابنة شمويل بن برشيا بن يقسان بن إبراهيم . فولدت له هارون بن عمران وموسى بن عمران .

وقال غير ابن إسحاق : كان عمر يعقوب بن إسحاق مائة وسبعاً وأربعين سنة ، وولد لاوي له ، وقد مضى من عمره تسع وثمانون سنة ، وولد للاوي قاهث بعد أن مضى من عمر لاوي ست وأربعون سنة ، ثم ولد لقاهث بصهر . ثم ولد لبصهر عمرم - وهو عمران - وكان عمر بصهر مائة وسبعاً وأربعين سنة ، وولد له عمران بعد أن مضى من عمره ستون سنة ، ثم ولد لعمران موسى ، وكانت أمه يوخابد^(٨) - وقيل : كان اسمها باخته^(٩) - وامراته صفورا ابنة يثرون^(١٠) ، وهو

(١) ح : « وموالدهم » .

(٢) من ا .

(٣) ا : « قاهي » ، ن : « ماهي » .

(٤) كذا في ح ، وفي ا : « متين » ، وفي ن : « متدير » .

(٥) ا ، ن : « برشنا » .

(٦) ا : « يقشان » .

(٧) ا : « يوخايد » ، ن : « بوخايد » .

(٨) كذا في ا .

(٩) ا : « تبزون » .

شعيب النبي صلى الله عليه وسلم . وولد موسى جرشون^(۱) وإبليعازر^(۲) . وخرج
إلى مدين خائفاً وله إحدى وأربعون سنة . وكان يدعو إلى دين إبراهيم ،
وتراءى^(۳) الله بطور سيناء . وله ثمانون سنة .

وكان فرعون مصر في أيامه قابوس بن مصعب بن معاوية صاحب يوسف
الثاني . وكانت امرأته آسية ابنة مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد . فرعون
يوسف الأول . فلما نودي موسى أعلم أن قابوس بن مصعب قد مات . وقام
أخوه الوليد بن مصعب مكانه . وكان أعنى^(۴) من قابوس وأكفر^(۵) وأفجر^(۶) .
وأمر بأن يأتيه هو وأخوه هارون بالرسالة .

قال : ويقال إن الوليد تزوج آسية ابنة مزاحم بعد أخيه وكان عمر عمران
مائة سنة وسبعاً وثلاثين سنة . وولد موسى وقد مضى من عمر عمران سبعون
سنة^(۷) . ثم صار موسى إلى فرعون رسولا مع هارون . وكان من مولد موسى إلى
أن خرج بني^(۸) إسرائيل عن مصر ثمانون سنة . ثم صار إلى التيه بعد أن عبر
البحر . فكان مقامهم هنالك إلى أن خرجوا مع يوشع بن نون أربعين سنة . فكان
ما بين مولد موسى إلى وفاته في التيه مائة وعشرين سنة .

وأما ابن إسحاق فإنه قال فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة .
عن ابن إسحاق . قال : قبض الله يوسف . وهلك الملك الذي كان معه
الريان بن الوليد . وتوارثت الفراعنة من العماليق ملك مصر . فنشر الله بها
بني إسرائيل . وقبر يوسف حين قبض - كما ذكر لي - في صندوق من مرمر في
ناحية من النيل في جوف الماء ، فلم يزل بنو إسرائيل تحت أيدي الفراعنة وهم
على بقايا من دينهم مما كان يوسف ويعقوب وإسحاق وإبراهيم شرعوا فيهم

(۱) ن : « حوشون » ، ح : « حوشون » .

(۲) ا : « إبليمان » ، ن : « إبليغان » .

(۳) ح : « ورأى النار » .

(۴) ا : « أعنى » . (۵) ن : « أكبر » ، ح : « أكرم » .

(۶) كذا في ا . وفي ط : « وأفخر » .

(۷) ح : « مائة وسبع سنين » . (۸) ا : « بنو » .

من الإسلام ، متمسكين به حتى كان فرعون موسى الذي بعث الله إليه ، ولم يكن منهم فرعون أعنى منه على الله ولا أعظم قولاً ولا أطول عمراً في ملكه منه . وكان اسمه - فيما ذكروا لي - الوليد بن مصعب ، ولم يكن من الفراعنة فرعون أشد غلظة ، ولا أقسى قلباً ، ولا أسوأ ملكة لبني إسرائيل منه ، يعذبهم فيجعلهم خدماً وخوفاً ، وصنّفهم في أعماله ، فصنّف بينون ، وصنّف يحوثون ، وصنّف يزرعون له ، فهم في أعماله ، ومن لم يكن منهم في صنعة له من عمله فعليه الجزية ، فسامهم كما قال الله : ﴿ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ ، وفيهم مع ذلك بقايا من أمر دينهم لا يريدون فراقه ، وقد استنكح منهم امرأة يقال لها آسية ابنة مزاحم ، من خيار النساء الملعودات ، فعسر فيهم وهم تحت يديه عمراً طويلاً يسومهم سوء العذاب ، فلما أراد الله أن يفرج عنهم وبلغ موسى الأشد ألى الرسالة .

قال : وذكر لي أنه لما تقارب زمان . . .سى أن منجمو فرعون وحزاته إليه ، فقالوا : تعلم أنا نجد في علمنا أن مولوداً من بني إسرائيل قد أظلك زمانه الذي يولد فيه ، يسلبك ملكك ، ويغلبك على سلطانك ، ويخرجك من أرضك ، ويبدل دينك . فلما قالوا له ذلك أمر بقتل كل مولود يولد من بني إسرائيل من الغلمان وأمر بالنساء يستحيين ، فجمع القوابل من نساء أهل مملكته فقال هن : لا يسقطن على أيديكن غلام من بني إسرائيل إلا قتلتموه ، فكن يفعلن ذلك ، وكان يذبح من فوق ذلك من الغلمان ، ويأمر بالحبال فيعذبن حتى يطرحن ما في بطونهن .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيع ، عن مجاهد ، قال : لقد ذكر لي أنه كان يأمر بالقصب فيشقوق حتى يجعل أمثال الشفار ، ثم يصف بعضه إلى بعض ، ثم يأتي بالحبال من بني إسرائيل فيوقفهن^(١) عليه فيحز أقدامهن ، حتى إن المرأة منهن لتمصع^(٢) بولدها فيقع بين رجلها ، فتظل تطؤه تتقي به حز القصب عن رجلها ، لما بلغ من جهدها ، حتى أسرف في ذلك ، وكاد يفتنيهم ، فقيل له : أفنيت

(١) : « فيوقفن » .

(٢) تمصع بولدها ، أي تلفيه .

الناس ، وقطعت النسل ، ولإنهم خولك وعمالك . فأمر أن يقتل الغلمان عاماً ويستحيوا عاماً ، فولد هارون في السنة التي يُستحيا فيها الغلمان . وولد موسى في السنة التي فيها يُقتلون ، فكان هارون أكبر منه بسنة .

• • •

وأما السدي فإنه قال ما حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الضمدي عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم [أنه] (١) كان من شأن فرعون أنه رأى رؤيا في منامه أن ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر . فأحرق القبط وتركت بني إسرائيل ، وأخربت بيوت مصر ، فدعا السحرة والكهنة والثقافة والحازة . فسأهم عن رؤياه فقالوا له : يخرج من هذا البلد الذي جاء بنو إسرائيل منه - يعنون بيت المقدس - رجل يكون على وجهه (٢) هلاك مصر . فأمر بني إسرائيل ألا يولد لهم غلام إلا ذبحوه ، ولا يولد لهم جارية إلا تركت . وقال القبط : انظروا مملوكيكم (٣) الذين يعملون خارجاً فأدخلوهم واجعلوا بني إسرائيل يلبون تلك الأعمال القذرة . فجعل بني إسرائيل في أعمال غلمانهم وأدخلوا غلمانهم . فذلك حين يقول الله : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ يقول : تجبر في الأرض ، ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ - يعني بني إسرائيل حين جعلهم في الأعمال القذرة - ﴿ يَسْتَضِيفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَذِبحُ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ ، (٤) فجعل لا يولد لبني إسرائيل مولود إلا ذبح ، فلا يكبر الصغير ، وقذف الله في مشيخة بني إسرائيل الموت ، فأسرع فيهم ، فدخل رءوس القبط على فرعون فكلموه ، فقالوا : إن هؤلاء القوم قد وقع فيهم الموت ، فيوشك أن يقع العمل على غلماننا نذبح أبناءهم فلا يبلغ الصغار ، ويتثنى الكبار ، فلو أنك تبي من أولادهم فأمر أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة ؛ فلما كان في السنة التي لا يذبحون فيها ولد هارون فترك ، فلما كان في السنة التي يذبحون فيها حملت أم موسى بموسى (٥) فلما أرادت وضعه

٤٧/١

٤٨/١

(١) من ا (٢) ن : « يديه » . (٣) كذا في ا ح ، وفي ط : « عالياكم

(٤) سورة النضر ٤ (٥) ا : « حملت بموسى أمه » .

حزنت من شأنه ، فأوحى الله إليها : ﴿ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي
الْيَمِّ ﴾ وهو النيل ، ﴿ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ
الْمُرْتَلِينَ ﴾ ^(١) . فلما وضعت أرضعته ، ثم دعت له نجاراً فجعل له تابوتاً ،
وجعل مفتاح التابوت من داخل ، وجعلته فيه وألقته في اليم ، ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ
قُصِّيه ﴾ تعنى قصي أثره ﴿ فَبَصَّرْتِ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ^(٢) ،
أنها أخته . فأقبل الموج بالتابوت يرفعه مرة ، ويخفضه أخرى ، حتى أدخله بين
أشجار عند بيت فرعون ، فخرج جوارى آسية امرأة فرعون يغتسلن ، فوجدن
التابوت فأدخلنه إلى آسية ، وظنن ^(٣) أن فيه مالا ، فلما نظرت إليه آسية وقعت
عليه رحمتها وأحبته . فلما أخبرت به فرعون أراد أن يذبحه ، فلم تزل آسية
تكلمه حتى تركه لها ، قال : إني أخاف أن يكون هذا من بني إسرائيل ، وأن
يكون هذا الذي على يديه ^(٤) هلاكنا ، فذلك قول الله تعالى : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ
لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ ^(٥) . فأرادوا له المرضعات ، فلم يأخذ من أحد
من النساء ، وجعل النساء يطلبن ذلك لينزلن عند فرعون في الرضاع ، فأبى أن
يأخذ ، فذلك قول الله : ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ ﴾ أخته
﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ ^(٦) ،
فأخذوها ، وقالوا : إنك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله . فقالت ^(٧) :
ما أعرفه ، ولكني إنما قلت : هم للملك ناصحون .

ولما جاءت أمه أخذ منها ثلثها فكادت أن تقول : هو ابني ! فعصمها

(١) سورة القصص ٧

(٢) سورة القصص ١١

(٣) ط : « وظنوا » ؛ وما أثبتته عن ا .

(٤) ا : « يده » .

(٥) سورة القصص ٨

(٦) سورة القصص ١٢

(٧) ا : « قالت » .

الله، فذلك قول الله : ﴿ إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(۱) ، وإنما سُمِّي موسى لأنَّه وجدوه في ماء وشجر . وإنما بالقبطية « مو » والشجر « شا » . فذلك قول الله عز وجل : ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾^(۲) . واتخذ فرعون ولداً فدعى ابن فرعون . فلما تحرك الغلام أمرته أمه آسية صبيها . فبينما هي ترقصه وتلعب به إذ ناولته فرعون . وقالت : خذ قرعة عين لي ولك . قال فرعون : هو قرعة عين لك ولا لي^(۳) . قال عبد الله بن عباس : لو أنه قال : وهو لي قرعة عين إذا لآمن به . ولكنه أتى ، فلما أخذ إليه أخذ موسى بنحيته فنتننها . فقال فرعون : على بالذباحين ، هذا هو ! قالت آسية : ﴿ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَآدَاءً ﴾^(۴) ، إنما هو صبي لا يعقل . وإنما صنع هذا من صباه . وقد علمت أنه ليس في أهل مصر امرأة أحلى مني : أنا أضع له حلياً من الياقوت . وأضع له جمرأ^(۵) . فإن أخذ الياقوت فهو يعقل فاذنعه . وإن أخذ الجمر فإنما هو صبي . فأخرجت له ياقوتها فوضعت له طستا من جمر . فجاء جبرئيل فطرح في يده جمره فطرحها موسى في فيه فأحرق لسانه . فهو الذي يقول الله عز وجل : ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ إِسْرَائِيلَ بِمَقْعَدِهَا قَوْلِي ﴾^(۶) . فزالت عن موسى من أجل ذلك . وكبر^(۷) موسى فكان يركب مراكب فرعون ، وينبئ^(۸) [مثل] ما ينبئ ، وكان إنما يدعى موسى بن فرعون . ثم إن فرعون ركب مركباً وليس عنده موسى . فلما جاء موسى قيل له : إن فرعون قد ركب ، فركب في أثره فأدركه المقيال بأرض يقان لها منسف . فدخلها نصف النهار ،

٤٥٠/١

(١) سورة انفصص ١٠

(٢) سورة انفصص ١٣

(٣) في أصول : « ولي لا » .

(٤) سورة انفصص ٩

(٥) ن : « جمر نذر » .

(٦) سورة طه ٢٩ ، ٢٨

(٧) ط : « مكبر » . وما أشبه من أ .

(٨) من أ

وقد تغلقت أسواقها . وليس في طرفها أحد ، وهو قول الله عز وجل : ﴿ وَدَخَلَ
 الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ ﴾
 يقول : هذا من بنى إسرائيل ، ﴿ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ يقول : من القبط ﴿ فَاسْتَعَانَهُ
 الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا
 مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ
 لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ
 ظَاهِرًا لِلْمُجْرِمِينَ * فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ خائفًا أن يؤخذ ، ﴿ فَإِذَا
 الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ ﴾ يقول : يستغيثه ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَأَعْوَى
 مُبِينٌ ﴾ (١) . ثم أقبل [موسى] (٢) لينصره . فلما نظر إلى موسى قد أقبل نحوه ليطش
 بالرجل الذي يقا تل الإسرائيلي . قال الإسرائيلي سوفرق من موسى أن يبطش به من أجل أنه
 أغلظ الكلام - يا موسى ﴿ أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس إن
 تريد إلا أن تكون جبارًا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين ﴾ (١) .
 فتركه وذهب القبطي . فأفشى عليه أن موسى هو الذي قتل نرجل . فطلبه فرعون
 وقال : خذوه فإنه صاحبنا . وقال للذين يظلبونه : اطلبوه في بَنِيَّاتِ (٢) الطريق .
 فإن موسى غلام لا يهتدي إلى الطريق . وأخذ موسى في بَنِيَّاتِ الطريق
 وجاءه الرجل وأخبره ﴿ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَتَمَرُونُ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي أَنَا
 مِنَ النَّاصِحِينَ . فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ قال رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ
 الظَّالِمِينَ ﴾ (١) . فلما أخذ موسى في بَنِيَّاتِ الطريق جاءه ملك على فرس بيده
 عنزة . فلما رآه موسى سجد له من الشرق . فقال : لا تسجد لي . ولكن اتبعني ،
 وتبعه فهدهاه نحو مدين . وقال موسى وهو متوجه نحو مدين :
 ﴿ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (١) . فأرضق به الملك حتى انتهى
 به إلى مدين .

(١) سورة القصص ١٥ - ٢٢

(٢) بَنِيَّاتِ الطريق : هي الطرق تصغر التي تتفرع من الجادة .

حدثني العباس بن الوليد ، قال : حدثنا يزيد بن هارون قال :
حدثنا أصبغ بن زيد الجهني ، قال : حدثنا القاسم قال : حدثني سعيد
ابن جبير . قال : [سألت عبد الله بن عباس عن قول موسى : ﴿ وَفَتَنَّاكَ
فُتُونًا ﴾ ^(١) . فسألته عن الفتون ما هي ؟ فقال لي : استأنف النهار يا بن جبير ،
فإن لما حديثاً طويلاً . قال : فلما أصبحت غدوت على ابن عباس لأنتجز منه
ما وعدني ^(٢) . قال : فقال ابن عباس : تذاكر فرعون وجلساؤه ما وعد الله إبراهيم
من أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكاً ، فقال بعضهم : إن بني إسرائيل
لينتظرون ذلك ما يشكون ^(٣) ، ولقد كانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب ، فلما
هلك قالوا : ليس هكذا كان الله ^(٤) وعده إبراهيم ، قال فرعون : فكيف ترون ؟
قال : فائتمروا بينهم ، وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجلاً معهم الشفار ،
يطوفون في بني إسرائيل فلا يجدون مولوداً ذكراً إلا ذبحوه ، فلما رأوا أن الكبار
من بني إسرائيل يموتون بآجالهم ، وأن الصغار ^(٥) يُذبحون قالوا : توشكون أن
تفنون بني إسرائيل فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة التي كانوا يكفونكم ،
فاقتلوا عاماً كل مولود ذكر . فيقل أبناءهم ، ودعوا عاماً لا تقتلوا منهم أحداً ،
فیشب الصغار مكان من يموت من الكبار ، فإنهم لن يكثروا بمن تستحيون
منهم فتخافوا مكائدهم إياكم ، ولن يقلوا بمن تقتلون . فأجمعوا أمرهم على ذلك
فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان فولدته علانية آمنة
حتى إذا كان العام المقبل حملت بموسى فوقع في قلبها الهم والحزن - وذلك
من الفتون يا بن جبير - مما دخل عليه في بطن أمه مما يراد به ، فأوحى الله إليها :
﴿ الْآتَخَانِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ . وأمرها إذا
ولدته أن تجعله في تابوت ، ثم تلقيه في اليم . فلما ولدته فعلت ما أمرت به ،
حتى إذا توارى عنها ابنها أتاها إبليس ، فقالت في نفسها : ما صنعت بابني ؟
لو ذبح عندي فواريته وكفنته كان أحب إلي من أن ألقى بيدي إلى حيتان

(٢) تكلمة من التفسير وتاريخ ابن كثير .

(١) سورة طه ٤٠

(٣) ن ، والتفسير : « وما يشكون » .

(٤) ن : « كان وعده الله » .

(٥) ن وابن كثير : « والصغار » .

البحر ودوابه . فانطلق به الماء حتى أوقى (١) به عند فُرْضَة (٢) مُسْتَقَى جوارى آل فرعون ، فرأيناه فأخذناه ، فهمن أن يفتحنَ التابوت ، فقال بعضهم لبعض : إن في هذا مالا ، وإنا إن فتحناه لم تصدقنا امرأة فرعون بما وجدنا فيه ، فحملنه كهيبته لم (٣) يحرّكن منه شيئاً حتى دفعنه إليها ، فاما فتحته رأت فيه (٤) الغلام ، فألقى عليه منها محبة لم يلق مثلها منها على أحد من الناس ، ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا ﴾ من ذكر كل شيء ، إلا من ذكر موسى . فلما سمع الذبّاحون بأمره أقبلوا (٥) إلى امرأة فرعون بشفارهم يريدون أن يذبجوه—وذلك من الفُتُون يا بن جبير — فقالت : للذبّاحين : انصرفوا ، فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل ، فأتى فرعون فأستوهبه إياه ، فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم وأجملتم ، وإن أمر بذبجه لم ألكم . فلما أتت به فرعون قالت : ﴿ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ ﴾ ، قال فرعون : يكون لك ، فأما أنا فلا حاجة لي فيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي يُحْتَلَفُ به ، لو أقرّ فرعون أن يكون له قرّة عين كما أقرت به لهداه الله به ، كما هدى به امرأته ، ولكن الله حرمه ذلك » .

فأرسلت إلى مَنْ حولها من كل أنثى لها لبن لتختار له ظراً ، فجعل (٦) كلّما أخذته امرأة منهن لترضّعه لم يقبل ثديها (٧) ، حتى أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت ، فحزنها ذلك ، فأمرت به فأخرج إلى السوق :

(١) كذا في ١ ، والتفسير وتاريخ ابن كثير ، وفي ك : « وافي » ، وفي ط : « وأرفأ » .

(٢) الفرضة من النهر : ثلثة يستق منها .

(٣) ح ، « ولم » ، وابن كثير : « لم يخرجن » .

(٤) ح ، ك : « وجه » .

(٥) ن ، وابن كثير : « جاوا » .

(٦) ح : « فكان » .

(٧) ح : « ثديها » ، وابن كثير : « على ثديها » .

جمع الناس ترجو أن نُصيب له ظئراً يأخذ منها ، فلم يقبل من أحد ، وأصبحت أم موسى فقالت لأخته : قصيه واطلبيه هل تسمعين له ذكراً ! أحيى ابني أم قد أكلته دواب البحر وحيتان ؟ ونسيت الذي كان الله وعدها . فبصرت به أخته عن جنب وهم لا يشعرون ، فقالت من الفرح حين أعيام الطنورات : ﴿ هَلْ أَدْرَاكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ . فأخذوها فقالوا : وما يدريك ما نصحهم له ! هل تعرفينه ؟ حتى شكوا في ذلك - وذلك من الفتون يا بن جبير - فقالت : نصحهم له ، وشفقتهم عليه ، ورجبتهم (١) في ظنورة الملك ، ورجاء منفعته . فتركوها ، فانطلقت إلى أمها فأخبرتها الخبر ، فجاءت فلما وضعته في حجرها نزا إلى ثديها حتى امتلأ جنباه ، فانطلق البشراء إلى امرأة فرعون يبشرونها أن قد وجدنا لابنك ظئراً ، فأرسلت إليها فأتيبت بها وبه ، فلما رأت ما يصنع بها قالت : امكثي عندي تُرضعين ابني هذا فإنني لم أحب حبه شيئاً قط . قال : فقالت : لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي فيضيع ، فإن طابت نفسك أن تعطينيه (٢) فأذهب به إلى بيتي ، فيكون معي لا آلوه خيراً فعلت ، وإلا فإنني غير تاركة بيتي وولدي . وذكرت أم موسى ما كان الله وعدها ، فتعاسرت على امرأة فرعون ، وأيقنت أن الله عز وجل منجز وعده ، فرجعت بابنها إلى بيتها من يومها ، فأنبته الله نباتاً حسناً ، وحفظه لما قضى فيه ، فلم تزل بنو إسرائيل وهم يجتمعون في ناحية المدينة يمتنعون به من الظلم والسخراتى كانت فيهم ، فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى : أريد أن تربني موسى (٣) ، فوعدها يوماً تربها إياه فيه ، فقالت لحواضنها وظنورها (٤) وقهارمتها : لا يبقين أحد منكم إلا استقبل ابني بهدية وكرامة ، ليرى ذلك ، وأنا باعثة أمينة (٥) تحصى ما يصنع كل إنسان منكم . فلم تزل الهدية والكرامة والتحف تستقبله

٤٥٥/١

(١) كذا في ح ، ك ، وتاريخ ابن كثير ، وفي ط : « رغبتهم » .

(٢) كذا في ا وابن كثير والتفسير ، وفي ط : « تعطيني » .

(٣) ك : « ولدي » .

(٤) ك : « وظنورتها » .

(٥) ابن كثير : « وأذا باعثة أمينة يحصى » .

من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون ، فلما دخل عليها
بجملته (١) وأكرمته وفزحت به وأعجبها ما رأت من حسن أثرها عليه ، وقالت :
انطلقن به إلى فرعون فليبجله وليكرمه (٢) . فلما دخلن به على فرعون وضعته في
حجره ، فتناول موسى لحية فرعون حتى مدّها ، فقال : عدوا من أعزاء الله ! ألا
ترى ما وعد الله إبراهيم أنه سيصرعك ويعلوك ! فأرسل إلى الذبّاحين ليذبحوه
— وذلك من الفتون يا بن جبير — بعد كلّ بلاء ابتلى به وأريد به . فجاءت امرأة
فرعون تسعى إلى فرعون فقالت : ما بدا لك في هذا الصبي الذي وهبته لي ؟ قال :
ألا ترى يزعم أنه سيصرعني ويعلوني ! فقالت : اجعل بيني وبينك أمراً يعرف (٣)
فيه الحق ؛ أنت بجمرتين ولؤلؤتين فقربهن إليه ، فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب
الجمرتين علمت أنه يعقل ، وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين فاعلم أن أحداً
لا يثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل ، فقرب ذلك إليه فتناول الجمرتين
فتزعزعهما منه مخافة أن تحرقا يده ، فقالت المرأة : ألا ترى ! فصرفه الله عنه
بعد ما كان قد همّ به ، وكان الله بالغاً فيه أمره ، فلما بلغ أشده وكان (٤)
من الرجال لم يكن أحداً (٥) من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل
بظلم ولا سخرة ، حتى امتنعوا كلّ امتناع ، فبينما هو يمشى ذات يوم في ناحية
المدينة إذا هو برجلين يقتلان ؛ أحدهما من بني إسرائيل والآخر من آل فرعون ،
فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني ، فغضب موسى واشتدّ غضبه لأنه تناوله وهو
يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل وحفظه لهم ، ولا يعلم الناس إلا أنما ذلك من
قبل الرضاة غير أم موسى ؛ إلا أن يكون الله عزّ وجلّ أطلع موسى من ذلك
على ما لم يطلع عليه غيره ، فوكز موسى الفرعوني فقتله ، وليس يراهما إلا الله
عزّ وجلّ والإسرائيلي ، فقال موسى حين قتل الرجل : ﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾

(١) التفسير وابن كثير : « نحلته » .

(٢) كذا في ١ ، وفي ط . « فليكرمه » ، وفي التفسير وابن كثير : « فلينحله » .

(٣) ن : « تعرف » .

(٤) كذا في ١ ، والتفسير وتاريخ ابن كثير ، وفي ط : « فكان » .

(٥) ط : « لم يمكن أحداً » ، وما أثبتته عن ١ والتفسير وتاريخ ابن كثير .

إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ»^(١)، ثم قال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٢). فأصبح في المدينة خائفاً يترقب الأخبار، فأتى فرعون فقيل له: إن بني إسرائيل قد قتلوا رجلاً من آل فرعون فخذنا بحقنا، ولا ترخص فم في ذلك، فقال: ابغوني قاتله. ومن يشهد عليه؛ لأنه لا يستقيم أن نقضى بغير بيّنة ولا ثبوت^(٣). فطلبوا له ذلك. فبينما هم يطوفون لا يجدون بيّنة، إذ مرّ موسى من الغد. فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونياً، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني، فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس، وكره الذي رأى، فغضب موسى فهدّ يده وهو يريد أن يبطش بالفرعوني، فقال للإسرائيلي لما فعل بالأمس واليوم: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾^(٤). فنظر الإسرائيلي إلى موسى بعد ما قال [ما قال]^(٥). فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذي قتل فيه الفرعوني. فخاف أن يكون بعد ما قال له: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾، أن يكون إياه أراد - ولم يكن أراد، وإنما أراد الفرعوني - فخاف الإسرائيلي فحاجز الفرعوني، وقال: يا موسى ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾! وإنما قال ذلك مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقته، فتاركاً، فانطلق الفرعوني إلى قومه فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي من الخبر، حين يقول: ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾! فأرسل فرعون الذّابحين. وسلك موسى الطريق الأعظم وطلبوه وهم لا يخافون أن يفوتهم، وكان رجل من شيعة موسى من أقصى المدينة، فاختصر طريقاً قريباً حتى سبقهم إلى موسى، فأخبره الخبر؛^(٥) وذلك من الفتون يا بن جبيرة^(٦).

• • •

ثم رجع الحديث إلى حديث السدي. قال: ﴿فَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ

(١) سورة القصص ١٥، ١٦ (٢) الثبت هنا: الحجة.
 (٣) سورة القصص ١٨، ١٩ (٤) تكلمة من التفسير وابن كثير.
 (٥) ن: «بالخبر». (٦) الخبر في التفسير ١٦: ١٢٥، ونقله ابن كثير في التاريخ ١: ٣٠٠ - ٣٠٢، بسنده عن أبي عبد الرحمن السائي.

عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ﴿١﴾ يقول : كثرة من الناس يسقون .

وقد حدثنا أبوعمار المروزي ، قال : حدثنا الفضل بن موسى ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، قال : خرج موسى من مصر إلى مدين ، وبينهما ^(٢) مسيرة ثمان ليال - قال : وكان يقال نحو من الكوفة إلى البصرة - ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر ، فخرج حافياً ، فما وصل إليها حتى وقع خف قدمه .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان ، قال : حدثنا الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس بنحوه .

رجع الحديث إلى حديث السدي . ﴿ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ

تَذُودَانِ ﴾ يقول : تحبسان غنمهما ، فسألها : ﴿ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي ٤٥٩/١ حَتَّىٰ يُصَدِّرَ الرَّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ ^(١) ، فرحمهما موسى فأتى البئر فاقتلع صخرة على البئر ، كان النفر من أهل مدين يجتمعون عليها حتى يرفعوها ، فسقى لهما موسى دلوأ فأروتا ^(٣) غنمهما ، فرجعتا سريعاً ، وكانتا إنما تسقيان من فضول الحياض ، ثم تولى موسى إلى ظل شجرة من السممر ^(٤) فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ ^(١) ، قال : قال ابن عباس : لقد قال موسى ، ولو شاء إنسان أن ينظر إلى خضرة أمعائه من شدة الخرخ ما يسأل الله إلا أكلة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكيم بن سلم ، عن عنبسة ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله عز وجل : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ ﴾ ، قال : ورد الماء وإنه ليتراءى خضرة البقل في بطنه من

(١) سورة القصص ٢٢ - ٢٤

(٢) ن : « وبينه وبينها » .

(٣) ط : « فأروتا » ، وما أثبت عن ا ، س .

(٤) س ، ن : شجرة سمرة .

الهزال فقال: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ قال : شَبَعَةُ .

رجع الحديث إلى حديث السدي . فلما رجعت الجاريتان إلى أبيهما سريعاً ، سألهما فأخبرناه خبر موسى ، فأرسل إحداهما فأنته ﴿ تَمْشِي عَلَى أَسْتَحْيَاءٍ ﴾ [وهي تستحي منه] ^(١) ، ﴿ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ فقام معها ، وقال لها : امضي ، فمشت ^(٢) بين يديه ، فضربتها الرياح فنظر إلى عجيزتها ، فقال لها موسى : امشي خلفي ودليني على الطريق إن أخطأت ، فلما أتى الشيخ ﴿ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ . قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ . وهي الجارية التي دعتة . قال الشيخ : هذه القوة قد رأيت حين اقتلع الصخرة ، رأيت أمانته ما يدريك ما هي ؟ قالت : إني مشيت قدماه فلم يجب أن يخونني في نفسي ، وأمرني أن أمشي خلفه ، قال له الشيخ : ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَكْفِكَ إِحْدَى ابْنَتِي هَاتِبِينَ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ﴾ — إلى — ﴿ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتَ ﴾ ، إما ثمانيا وإما عشرا ، ﴿ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ ^(٣) .

قال ابن عباس : الجارية التي دعتة هي التي تزوج بها . فأمر إحدى ابنتيه أن تأتيه بعصا فأنته بعصا ، وكانت تلك العصا [عصا] ^(٤) استودعها ^(٥) إياه ملك في صورة رجل ، فدفعها إليه . فدخلت الجارية فأخذت العصا فأنته بها ، فلما رآها الشيخ قال لها : لا ، إتيه بغيرها ، فألقتها ، فأخذت تريد أن تأخذ غيرها فلا يقع في يدها إلا هي ، وجعل يرددها ، فكل ذلك ^(٦) لا يخرج في يدها غيرها ^(٧) ، فلما رأى ذلك عمد إليها فأخرجها معه ، فرعى بها . ثم إن الشيخ قدم وقال : كانت وديعة . فخرج يتلقى موسى فلما لقيه قال : أعطني العصا ، فقال ^(٨) موسى :

(١) نكلة من ا .

(٢) ن : « فمشت » .

(٣) سورة القصص ٢٥ - ٢٨ (٤) من ا

(٥) س : « أودعها » .

(٦) ن : « إلا هي » .

(٧) ن : « وكمل » .

(٨) كذا في ا ، وفي ط : « قال » .

هي عصاى ، فأبى أن يعطيه ، فاختصما بينهما ثم تراضيا أن يجعل بينهما أول رجل يلقاهما ، فأتاهما ملك يمشى فقضى بينهما فقال : ضعاها فى الأرض فن حملها فهي له ، فعالجها الشيخ فلم يطقها ، وأخذها موسى بيده فرفعها ، فتركها له الشيخ ، فرعى له عشر سنين .
قال عبد الله بن عباس : كان موسى أحقّ بالوفاء .

حدثني أحمد بن محمد الطوسى ، قال : حدثنا الحميدى عبد الله ابن الزبير^(١) ، قال : حدثنا سفيان ، قال : حدثني إبراهيم بن يحيى بن أبي يعقوب ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «سألت جبرئيل : أىّ الأجلين قضى موسى ؟ قال : أتمهما وأكملهما .»

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال لى يهودى بالكوفة - وأنا أتجهز للحج - : إني أراك رجلا يتبع العلم ، أخبرنى أىّ الأجلين قضى موسى ؟ قلت : لا أعلم وأنا الآن قادم على حبر العرب - يعنى ابن عباس - فسأله عن ذلك ، فلما قدمت مكة سألت ابن عباس عن ذلك وأخبرته بقول اليهودى ، فقال ابن عباس : قضى أكثرهما وأطيبهما ؛ إنّ النبى إذا وعد لم يخلف . قال سعيد : فقدمت العراق فلقيت اليهودى فأخبرته ، فقال : صدق ، وما أنزل الله على موسى هذا . والله العالم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصمغ بن زيد ، عن القاسم بن أبى أيوب ، عن سعيد بن جبير ، قال : سألتى رجل من أهل النصرانية : أىّ الأجلين قضى موسى ؟ قلت : لا أعلم - وأنا يومئذ لا أعلم - فلقيت ابن عباس ، فذكرت له الذى سألتى عنه النصرانى ، فقال : أما كنت تعلم أن ثمانياً واجبة عليه ، لم يكن نبى لينقص منها شيئاً ، وتعلم أن الله كان قاضياً عن موسى عدته التى وعده ، فإنه قضى عشر سنين .

(١) هو عبد الله بن الزبير بن عيسى الحميدى ؛ وفى الأصول : « الحميدى بن عبد الله ... » والصواب ما أثبتته من تهذيب التهذيب ٥ : ٢١٥ .

حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن حريج ، قال : أخبرني وهب بن سليمان الذماری ، عن شعيب الجبائی قال : اسم الحاريتين ليا وصفورة . وامرأة موسى صفورة ابنة يثرون ، كاهن مدين ، والكاهن حَبْر .

حدثني أبو السائب ، قال : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو ابن مرّة ، عن أبي عبّيدة ، قال : كان الذي استأجر موسى يثرون ، ابن أخي شعيب النبي .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا العلاء بن عبد الجبار ، عن حماد بن سلمة ، عن أبي جمرة ، عن ابن عباس ، قال : الذي استأجر موسى اسمه يثري صاحب مدين .

حدثني إسماعيل بن المهيم أبو العالية . قال : حدثنا أبو قتيبة ، عن حماد ابن سلمة ، عن أبي جمرة . عن ابن عباس ، قال : اسم أبي امرأة موسى يثري .

٤١٣/١

رجع الحديث إلى حديث السدي . ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ﴾ فضل الطريق . قال عبد الله بن عباس : كان في الشتاء ، ورفعت له نار ، فلما ظن أنها نار - وكانت من نور الله - ﴿ قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا . لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ ، فإن لم أجد خبراً أتيتكم منها بشهاب قبس ، ﴿ أَعْمَلَكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ . قال : من البرد - ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾ ^(١) . ﴿ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ ^(٢) . فلما سمع موسى النداء فزع وقال : الحمد لله رب العالمين . فنودي : ﴿ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٣) . ﴿ وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى . قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأُشِّرُ بِهَا عَلَيَّ غَنَمِي ﴾ ، يقول

(٢) سورة النمل ٨

(١) سورة النقص ٢٩

(٣) سورة النقص ٣٠

أضرب بها الورق ، فيقع للغمم من الشجر ﴿ وَلِي فِيهَا مَّارِبٌ أُخْرَى ﴾ ، يقول :
 حوائج أخرى أحمل عليها المزود والسقاء . فقال له : ﴿ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ﴾ . فَأَلْقَاهَا فَإِذَا
 هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿^(١)﴾ . ﴿ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ ،
 يقول : لم ينتظر . فنودي : ﴿ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى
 الْمُرْسَلُونَ ﴾ ﴿^(٢)﴾ . ﴿ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾ ﴿^(٣)﴾ ، ﴿ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ
 جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ ﴾ ﴿^(٤)﴾ العَصَا وَالْيَدِ آيَاتَانِ ، ٤٦٤/١
 فذلك ﴿^(٥)﴾ حين يدعو موسى ربه ، فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ
 أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ . وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا
 يُصَدِّقُنِي ﴾ ، يقول : كما يصدقني ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ ﴿^(٦)﴾ قال : ﴿ وَلَهُمْ
 عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ — يعني بالقتيل — ﴿ قَالَ سَنُشَدُّ عَضُدَكَ
 بِأَخِيكَ وَنَجْمَلُ لَكُمْ سُلْطَانًا ﴾ — والسلطان الحجرة — ﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا
 بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ ﴿^(٧)﴾ ، ﴿ فَاتَّبِعُوا نِعْمَ نِعْمًا مِمَّا
 أَنْزَلْنَا لَكُمْ فِيهَا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ﴿^(٨)﴾ ، ﴿ فَاتَّبِعُوا نِعْمَ نِعْمًا مِمَّا
 أَنْزَلْنَا لَكُمْ فِيهَا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ﴿^(٩)﴾ ، ﴿ فَاتَّبِعُوا نِعْمَ نِعْمًا مِمَّا
 أَنْزَلْنَا لَكُمْ فِيهَا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ﴿^(١٠)﴾ ، ﴿ فَاتَّبِعُوا نِعْمَ نِعْمًا مِمَّا
 أَنْزَلْنَا لَكُمْ فِيهَا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ﴿^(١١)﴾ ، ﴿ فَاتَّبِعُوا نِعْمَ نِعْمًا مِمَّا
 أَنْزَلْنَا لَكُمْ فِيهَا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ﴿^(١٢)﴾ ، ﴿ فَاتَّبِعُوا نِعْمَ نِعْمًا مِمَّا
 أَنْزَلْنَا لَكُمْ فِيهَا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ﴿^(١٣)﴾ ، ﴿ فَاتَّبِعُوا نِعْمَ نِعْمًا مِمَّا
 أَنْزَلْنَا لَكُمْ فِيهَا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ﴿^(١٤)﴾ ، ﴿ فَاتَّبِعُوا نِعْمَ نِعْمًا مِمَّا
 أَنْزَلْنَا لَكُمْ فِيهَا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ﴿^(١٥)﴾ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة : ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ ﴾ ،
 خرج . . . فيما ذكر لي ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه اليماني — فيما ذكر له —
 عنه ، ومعه غم له ، ومعه زنده له وعصاه في يده يهش بها على غنمه نهاره ، فإذا أمسى
 اقتدح بزنده ناراً . فبات عليها هو وأهله وغنمه ، فإذا أصبح غدا بأهله وبنغمه
 يتوكأ على عصاه . وكانت — كما وُصف لي عن وهب بن منبه — ذات شعبتين
 في رأسها . ومحجن في طرفها .

حدثنا ابن حميد . قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن لايتهم من
 أصحابه . أن كعب الأحبار قدم مكة وبها عبد الله بن عمرو بن العاص ،

(١) سورة طه ١٧ - ٢٠ (٢) سورة النمل ١٠ (٣) سورة القصص ٣١ - ٣٥ .

(٤) ن : « لك » . (٥) سورة الشعراء ١٦ .

فقال كعب: سلوه عن ثلاث، فإن أخبركم فإنه^(١) عالم، سلوه عن شيء من الجنة وضعه الله للناس في الأرض، وسلوه ما أول ما وضع في الأرض؟ وما أول شجرة غرست في الأرض؟ فسئل عبد الله عنها فقال: أما الشيء الذي وضعه الله للناس في الأرض من الجنة فهو هذا الركن الأسود، وأما أول ما وضع في الأرض فبرهوت^(٢) باليمن يردّه هام الكفار، وأما أول شجرة غرسها الله في الأرض فالعوسجة التي اقتطع منها موسى عصاه. فلما بلغ ذلك كعباً قال: صدق الرجل، عالم والله!

قال: فلما كانت الليلة التي أراد الله بموسى كرامته، وابتدأه فيها بنبوته وكلامه، أخطأ فيها الطريق حتى لا يدري أين يتوجه، فأخرج زنده ليقده ناراً لأهله ليبيتوا عليها حتى يصبح، ويعلم وجه سبيله، فأصلد عليه زنده فلا يورى له ناراً، فقدح حتى [إذا^(٣)] أعياه لاحت النار فرآها، ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾^(٤)، بقبس تصطلون، وهدى: عن علم الطريق الذي أضلنا بنعت من خبير. فخرج نحوها، فإذا هي في شجرة من العُلَيْق. وبعض أهل الكتاب يقول: في عوسجة، فلما دنا استأخرت عنه، فلما رأى لاستخارها رجع عنها، وأوجس في نفسه منها خيفة، فلما أراد الرجعة دنت منه، ثم كلم من الشجرة، فلما سمع الصوت استأنس، وقال الله: يا موسى ﴿أَخْلَعْ نَمَلِيكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾^(٥). فألقاهما ثم قال: ﴿مَا نَلَكَ بِبَيْتِيكَ يَا مُوسَى. قَالَ رِيَّ عَصَايَ أَنْوَكَا عَلَيْهَا وَأَهْسُ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَإِلَيَّ فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى﴾، أي منافع أخرى، ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى. فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَبَّةٌ تَسْمَى﴾^(٦) قد صار شعبتها فيها وصار محجتها عرفاً لها، في ظهر تهتر، لها أبواب، فهي كما شاء الله أن تكون. فرأى

(١) س: «فهو».

(٢) س: «برهوت» (٣) من ١

(٤) سورة طه: ١٠

(٥) سورة طه: ١٢

(٦) سورة طه: ١٧ - ٢٠

أمراً فظيماً فولى مدبراً ولم يعقب ، فناداه ربه : أن يا موسى أقبل ولا تخف ، ﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾^(١) ، أى سيرتها عصا كما كانت . قال : فلما أقبل قال : ﴿ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ﴾^(٢) ، أدخل يدك في فيها ، وعلى موسى جبة من صوف ، فلف يده بكمته وهو لها هائب ، فنودى أن ألق كلك عن يدك ، فألقاه عنها ، ثم أدخل يده بين لحبيتيها ، فلما أدخلها قبض عليها فإذا هي عصاه في يده ، ويده بين شعبتيها حيث كان يضعها . ومحجنها بموضعه الذى كان لا ينكر منها شيئاً . ثم قيل : ﴿ أَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾^(٣) أى من غير برّص -- وكان موسى عليه السلام رجلاً آدم أفتى جعداً طموالاً -- فأدخل يده في جيبه ثم أخرجها بيضاء مثل الثلج ، ثم ردها في جيبه ، فخرجت كما كانت على لونه . ثم قال : ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ، قَالَ رَبُّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ . وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ﴾ ، أى يبين هم عنى ما أكلتهم به ، فإنه يفهم عنى ما لا يفهمون . ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ مُلْطَانًا فَلَا يَصِيلُونَ إِلَيْكَ مَا بَيَّاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنْ أْتَبَعَكُمْهُ الْغَالِبُونَ ﴾^(٤) .

٤٦٧/١

رجع الحديث إلى حديث السُّدِّي . فأقبل موسى إلى أهله فسار بهم نحو مصر حتى أتاهم ليلاً . فتضيف على أمه وهو لا يعرفهم ، فأتاهم في ليلة كانوا يأكلون فيها الطَّفَيْشَلِ^(٥) ، فنزل في جانب الدار . فجاء هارون فلما أبصر ضيفه سأل عنه أمه فأخبرته أنه ضيف . فدعاه فأكل معه ، فلما أن قعدا تحدثا ، فسأله هارون : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : أنا موسى ، فقام كل واحد منهما إلى صاحبه فاعتنقه ، فلما أن تعارفا قال له موسى : يا هارون

(١) سورة طه ٢١ .

(٢) سورة النمل ١٢ .

(٣) سورة القصص ٣٢ - ٣٥ .

(٤) الطفيل : نوع من الشوك . قامه صاحب القاموس .

انطلق معي إلى فرعون ، إن الله قد أرسلنا إليه ، فقال هارون :
سمع وطاعة ، فقامت أمهما فصاحت وقالت : أنشدكما الله ألا تذهبا
إلى فرعون فيقتلكما فأبيا . فانطلقا إليه ليلاً ، فأتيا الباب فضرباه ففرع فرعون ،
وفرع البواب ، وقال فرعون : من هذا الذي يضرب بابي في هذه الساعة ؟ فأشرف
عليهما البواب ، فكلّمهما ، فقال له موسى : ﴿ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(١) ففرع
البواب فأتى فرعون فأخبره فقال : إن هاهنا إنساناً مجنوناً يزعم أنه رسول رب
العالمين ، قال : أدخله ، فدخل فقال : إني رسول رب العالمين : أن أرسل
معي بني إسرائيل ، فعرفه فرعون فقال : ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِئْتَ فِينَا
مِنِ عَمْرِكَ سِنَّينَ ۗ وَفَعَلْتَ فَعَلَتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۙ ۝
معنا على ديننا هذا الذي تعيب ! ﴾ قال فعملتها إذا وأنا من الصالحين . ففررت
مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا ۙ - والحكم النبوة - ﴿ وَجَعَلَنِي مِنَ
الْمُرْسَلِينَ ۗ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ووربيني
قبل وليداً ! ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٢) . ﴿ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى ۚ قَالَ
رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ ^(٣) . يقول : أعطى كل دابة زوجها ^(٤)
ثم هدى للنكاح ، ثم قال له : ﴿ إِنْ كُنْتَ جِنَّتَ بَيِّتَ بَيَّةٍ قَاتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ ^(٥) ، وذلك بعد ما قال له من الكلام ما ذكر الله تعالى . قال
موسى : ﴿ أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ۗ قَالَ قَاتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۗ
فَألقى عصاهُ فإذا هي نُجُبانٌ مُّبِينٌ ﴾ ^(٦) - والشعبان الذكر من الحيات - فاتحة

٤٦٨/١

(١) سورة الزخرف ٤٦

(٢) سورة الشعراء ١٨ - ٢٣

(٣) سورة طه ٤٩ ، ٥٠

(٤) ! : « خلقها : زوجاً »

(٥) سورة الأعراف ١٠٦

(٦) سورة الشعراء ٣٠ - ٣٢

فاها : واضعةً لَحْيَهَا الأسفل في الأرض والأعلى على سور القصر . ثم توجهت
 نحو فرعون لتأخذه ، فلما رآها ذعر منها ووثب ، فأحدث -- ولم يكن يُحدث
 قبل ذلك -- وصاح : يا موسى خذها وأنا أومن بك وأرسلُ معك بني
 إسرائيل . فأخذها موسى فعادت عصا . ثم نزع يده وأخرجها^(١) من جيبه .
 فإذا هي بيضاء للناظرين . فخرج موسى من عنده على ذلك ، وأبى فرعون أن
 يؤمن به . أو^(٢) يرسل معه بني إسرائيل ، وقال لقومه : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ
 لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا أَعْلَى
 أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ﴾ .^(٣) فلما بنى له الصرح ارتقى فوقه : فأمر بنشابة فرمى بها
 نحو السماء فردت إليه : وهي ملطخة دماء ، فقال : قد قتلت إله موسى .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ،
 عن قتادة : ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ ﴾ ، قال : كان أول من طبخ الآجر
 بنى به الصرح .

وأما ابن إسحاق ، فإنه قال ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ،
 عن ابن إسحاق . قال : خرج موسى لما بعثه الله عز وجل حتى قدم مصر على
 فرعون هو وأخوه هارون ، حتى وقفا على باب فرعون يلتمسان الإذن عليه ،
 وهما يقولان : إنا رسولا رب العالمين ، فأذينا بنا هذا الرجل . فكثا -- فيما بلغنا --
 سنتين يغدوآن على بابه ، ويروجان لا يعلم بهما ، ولا يجترئ أحد على أن
 يخبره بشأنهما ، حتى دخل عليه بَطْنَالٌ له يلعبه ويضحكه ، فقال له : أيها
 الملك ، إن على الباب رجلا يقول قولاً عجيباً ، يزعم أن له إلهاً غيرك ، قال :
 أدخلوه ، فدخل معه هارون أخوه ، وببيده عصاه . فلما وقف على
 فرعون قال له : إني رسول رب العالمين ، فعرفه فرعون فقال : ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا
 وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ . وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « أخرجها » من غير واو .

(٢) كذا في ١ ، س ، وفي ط : « وأن » . (٣) سورة القصص ٣٨ .

مِنَ الْكَافِرِينَ . قَالَ فَعَلْتُمَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿١﴾ أَي خَطَا لَا أُرِيدُ
 ذَلِكَ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ مُوسَى يَنْكُرُ عَلَيْهِ مَا ذَكَرَ مِنْ يَدِهِ عِنْدَهُ ، فَقَالَ : ﴿وَتَنكِحُ
 نِعْمَةً تَمَنُّهَا عَلَىٰ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ! أَي اتَّخَذْتُمْ عِبِيدًا تَنْزِعُ (١) أَبْنَاءَهُمْ
 ٤٧٠/١ مِنْ أَيْدِيهِمْ ، فَتَسْرِقُ مِنْ شَيْءٍ ، وَتَقْتُلُ مَنْ شِئْتَ . إِنِّي إِنَّمَا صَيَّرْتَنِي إِلَىٰ
 بَيْنِكَ وَإِلَيْكَ ذَلِكَ . ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) ، أَي يَسْتَوْصِفُهُ إِلَهَهُ الَّذِي
 أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ ، أَي مَا إِلَهَكَ هَذَا ! ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
 إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ . قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ﴾ مِنْ مَلَأْتِهِ ﴿أَلَا نَسْتَمِعُونَ﴾ أَي انْكَارًا
 لِمَا قَالَ : لَيْسَ لَهُ إِلَهٌ غَيْرِي . ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾ الَّذِي
 خَلَقَ آبَاءَكُمْ الْأُولِينَ وَخَلَفَكُمْ مِنْ آبَائِكُمْ . قَالَ فِرْعَوْنُ : ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي
 أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ ، أَي مَا هَذَا بِكَلَامٍ صَحِيحٍ إِذْ يَزْعُمُ أَنَّ لَكُمْ إِلَهًا غَيْرِي ،
 ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أَي خَالِقُ الْمَشْرِقِ
 وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْخَلْقِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ . ﴿قَالَ آتَيْنِ اتَّخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي﴾
 لِتَعْبُدَ غَيْرِي وَتَتْرَكَ عِبَادَتِي ﴿لَأَجْعَلَ لَكَ مِنَ الْعَاجِلِينَ﴾ . قَالَ أَوْلَوْ جِثَّتْكَ
 بِشَىْءٍ مُّبِينٌ (٣) ، أَي بِمَا تَعْرِفُ بِهَا صِدْقِي وَكَذْبِكَ وَحَقِّي وَبَاطِلِكَ ! ﴿قَالَ
 فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ . فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (٤) ،
 فَلَأَتْ مَا بَيْنَ سَمَاوَاتِي فِرْعَوْنَ ، فَاتَّحَتْ فَاهَا ، قَدْ صَارَ مَحْجِنُهَا عَرْفًا
 عَلَىٰ ظَهْرِهَا . فَارْفَضَ عَنْهَا النَّاسَ ، وَحَالَ فِرْعَوْنَ عَنْ سَرِيرِهِ يُنْشِدُهُ بِرَبِّهِ .
 ٤٧١/١ ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ فَأَخْرَجَهَا بَيْضَاءَ مِثْلِ الثَّلْجِ ، ثُمَّ رَدَّهَا كَهَيْئَتِهَا ، وَأَدْخَلَ
 مُوسَى يَدَهُ فِي جَيْبِهِ فَصَارَتْ عَصَا فِي يَدِهِ . يَدُهُ بَيْنَ شَعْبَتَيْهَا ، وَمَحْجِنُهَا فِي أَسْفَلِهَا
 كَمَا كَانَتْ ، وَأَخَذَ فِرْعَوْنَ بَطْنَهُ ، وَكَانَ فِيهَا يَزْعُمُونَ بِمَكِّثِ الْحَمْسِ وَالسِتِّ
 . مَا يَلْتَمِسُ الْمَذْهَبَ - يَرِيدُ الْخِلَاءَ - كَمَا يَلْتَمِسُهُ النَّاسُ ، وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا زَيَّنَّ لَهُ أَنْ

(١) ن : « تنزع » .

(٢) سورة الشعراء ١٧ - ٣٢ .

يقول ما يقول (١) : إنه ليس من الناس بشبه (٢) .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثت عن وهب بن منبه البائي ، قال : فمضى بضعا وعشرين ليلة ، حتى كادت نفسه أن تخرج ، ثم استسك (٣) فقال لئله : ﴿ إِنَّ هَذَا السَّاحِرُ عَلِيمٌ ﴾ أى ماسحر أسحر منه ، ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ (٤) ؟ فقال مؤمن من آل فرعون - العبد الصالح وكان

اسمه فيما يزعمون حبرك : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ بعصاه ويده ! ثم خوفهم عقاب الله وحذرهم ما أصاب الأمم قبلهم ، وقال : ﴿ يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أُرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (٥) . وقال الملائ من قومه - وقد (٦) وهنهم من سلطان الله ما وهنهم :

﴿ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْنَيْهِ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ • يَا تَوَكُّبِكُمْ لِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ (٧) ، أى كائنه بالسحرة لعلك أن تجد في السحرة من جاء بمثل ما جاء به . وقد كان موسى وهارون خرجا من عنده حين أراهم من سلطان الله ما أراهم ، وبعث فرعون مكانه في مملكته ، فلم يترك في سلطانه ساحراً إلا أتى به ، فذكر لى - والله أعلم - أنه جمع له خمسة عشر ألف ساحر ، فلما اجتمعوا إليه أمرهم أمره ، فقال لهم : قد جاءنا ساحر ما رأينا مثله قط ، وإنكم إن غلبتموه أكرمتمكم وفضلتكم وقربتكم على أهل مملكتى ، قالوا : إن لنا ذلك [عليك] (٨) إن

(١) كذا في اس ، وفي ط : « ما قال » .

(٢) « بشبه » .

(٣) « استسك » .

(٤) سورة الشعراء ٣٤ ، ٣٥ .

(٥) سورة غافر ٢٨ ، ٢٩ .

(٦) ط : « قد » من غير واو ، وما أثبتته من ا .

(٧) سورة الشعراء ٣٦ ، ٣٧ .

(٨) من ا

غَلَبْنَاهُ! قال: نعم، قالوا: فعدنا لنا موعداً نجتمع نحن وهو، فكان^(١) رهوس السحرة الذين جمع فرعون لموسى: ساتور^(٢)، وعادور^(٣)، وحطحط^(٤)، ومصني^(٥)؛ أربعة، وهم الذين آمنوا حين رأوا ما رأوا من سلطان الله، فأمنت السحرة جميعاً وقالوا لفرعون حين توعدهم القتل والصلب: ﴿لَنْ نُؤْتِرِكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾^(٦). فبعث فرعون إلى موسى: أن اجعل ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾ قال: موعدكم يوم الزينة، يوم عيد كان فرعون يخرج إليه^(٧)، ﴿وَأَنْ يُخَشِرَ النَّاسُ ضُحًى﴾^(٨). حتى يحضروا أمرى وأمرى، فجمع فرعون الناس لذلك الجمع، ثم أمر السحرة فقال: ﴿انْتُوا صَفَا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَمَلَى﴾^(٩)، أى قد أفلح من استعمل اليوم على صاحبه. فصف خمسة عشر ألف ساحر، مع كل ساحر جباله وعصيه، وخرج موسى ومعه أخوه يتكى على عصاه، حتى أتى الجمع وفرعون في مجلسه ومعه^(١٠) أشرف أهل مملكته، وقد استكف له الناس، فقال موسى للسحرة حين جاءهم: ﴿وَيْدِكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾^(١١)، فبدأ السحرة بينهم، وقال بعضهم لبعض: [ما هذا بقول ساحر، ثم قالوا وأشار بعضهم إلى بعض] ^(١٢)بتناج: ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرُونَ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى﴾^(١٣). ثم قالوا: ﴿يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ

٤٧٣/١

(١) كذا في ١، وفي ط: «فكانوا».

(٢) كذا في ١، وفي س: «شانور»، ن: «سالور»، وفي ط من غير نقط.

(٣) ١: «عادور»، س: «غادور».

(٤) س: «حططه»، (٥) ن: «مصني».

(٦) سورة طه: ٧٢، س: «له».

(٧) سورة طه: ٥٨، ٥٩.

(٨) سورة طه: ٦٤.

(٩) ط: «مع»، وما أنته من ا.

(١٠) سورة طه: ٦١ (١٢) تكلمة من ا.

(١٣) سورة طه: ٦٣.

وَأَمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى . قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيَّهُمْ يُخَيَّلُ
إِلَيْهِ مِنْ مِجْرَاهُمْ أَنَّهُ تَسْمَى ﴿^(١)﴾ . فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصر موسى
وبصر فرعون ، ثم أبصار الناس بعد ، ثم ألقى كل رجل منهم ما في
يده من العصي والحبال ، فإذا هي حيات كأمثال الجبال ، قد ملأت الوادي
يركب بعضها بعضاً . ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى ﴾ ^(١) ، وقال : والله إن
كانت لعصياً في أيديهم ، ولقد عادت حيات ، وما تعدو عصاي هذه
— أو كما حدث نفسه — فأوحى الله إليه : ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا
صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَنْى ﴾ ^(٢) . وفرج عن موسى فآلقى

عصاه من يده ، فاستعرضت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم — وهي حيات في
عين فرعون وأعين الناس تسمى — فجعلت تلتقفها ^(٣) ، تبتلعها حية حية . حتى ما يرى
في الوادي ^(٤) قليل ولا كثير مما ألقوا ، ثم أخذها موسى فإذا هي عصاه في
يده كما كانت . ووقع السحرة سجداً ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ ،
لو كان هذا سحراً ما غلبنا . قال لهم فرعون — وأسف ورأى الغلبة البيئنة : ﴿ آمَنْتُمْ
لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السُّحْرَ ﴾ . [أى
لعظيم السحار الذى علمكم] ^(٥) ﴿ فَلَا تَقْطَعْنَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ﴾
— إلى قوله — ﴿ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴾ ، [أى لن تؤثرك على الله وعلى ما جاء نامن
الحجج مع نبيه فاقض ما أنت قاض] ^(٥) ، أى فاصنع ما بدالك ، ﴿ إِنَّمَا تَقْضَى هَذِهِ

(١) سورة طه ٦٥ - ٦٧

(٢) سورة طه ٦٩

(٣) كذا في ١ ، ووقط « تلتقفها » .

(٤) ن : « بالوادي » .

(٥) تكله من ا .

الحياة الدنيا التي ليس لك سلطان إلا فيها ، ثم لا سلطان لك بعدها ، ﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَبْتَغِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ (١) ، أى خير منك ثواباً ، وأبى عقاباً . فرجع عدو الله مغلوباً ملعوناً (٢) ثم أبى إلا الإقامة على الكفر، والتمادى فى الشر، فتابع الله عليه بالآيات ، وأخذ به بالسنين ، فأرسل عليه الطوفان .

رجع الحديث إلى حديث السدى . وأما السدى فإنه قال فى خبره : ذكر أن الآيات التى ابتلى الله بها قوم فرعون كانت قبل اجتماع موسى والسحرة ، وقال : لما رجع إليه السهم ملطخاً بالدم قال : قد قتلنا (٣) إله موسى . ثم إن الله أرسل عليهم الطوفان - وهو المطر - فغرق كل شىء لهم ، فقالوا : يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا ، ونحن نؤمن لك ونرسل معك بنى إسرائيل . فكشفه الله عنهم ، ونبتت زروعهم ، فقالوا : ما يسرنا أننا ! نُنْمَطِرُ . فبعث الله عليهم الجراد فأكل حرثهم ، فسألوا موسى أن يدعو ربه فيكشفه ويؤمنوا به ، فدعا فكشفه ، وقد بقى من زروعهم بقية ، فقالوا : لن نؤمن وقد بقى لنا من زروعنا بقية ، فبعث الله عليهم الدبابة - وهو القمل - ، فلحس الأرض كلها ، وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيعضه ، وكان أحدهم يأكل الطعام فيمتلىء دباباً حتى إن أحدهم لبس الأستوانة بالحصص والآجر ، فيزلقها (٤) حتى لا يرتقى فوقها شىء [من الذباب ، ثم] (٥) يرفع فوقها الطعام ، فإذا صعد إليه لياأكله وجده ملآن دباباً ، فلم يصيبهم بلاء كان أشد عليهم من الدباب ؛ وهو الرجز الذى ذكره الله فى القرآن (٦) أنه وقع عليهم . فسألوا موسى أن يدعو ربه فيكشفه عنهم ويؤمنوا به ، فلما كشف (٧) عنهم أبوا أن يؤمنوا ، فأرسل الله عليهم الدم ، فكان الإسرائيلي

٤٧٥/١

(١) سورة طه : ٧٠ - ٧٣

(٢) ١ ، س : مغلولاً .

(٣) ١ : قتلنا .

(٤) ط : فيزلقه ، ما أثبتته من ا . (٥) نكلة من ا

(٦) وهو قوله تعالى فى سورة الأعراف ١٣٤ : (وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا

يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ) .

(٧) ط : « كشفه » ؛ والأجود ما أثبتته من .

يأتي هو والقبطي فيستقيان^(١) من ماء واحد، فيخرج ماء هذا القبطي دمًا، ويخرج للإسرائيليين ماء. فلما اشتد ذلك عليهم سألوا موسى أن يكشفه ويؤمنوا به فكشيف ذلك عنهم، فأبوا أن يؤمنوا، فذلك حين يقول الله: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾^(٢) ما أعطوا من العهود، وهو حين يقول: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ - وهو الجوع - ﴿وَنَقَصْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾^(٣).

ثم إن الله عز وجل أوحى إلى موسى وهارون^(٤) أن: ﴿قُولَا لَهُ قَوْلًا لَئِيمًا لِمَلَّةٍ يَتَذَكَّرُ أَوْ يُخَشَى﴾^(٥)، فأتياه فقال له موسى: هل لك يا فرعون في أن أعطيك شبابك ولا تهرم^(٦)، ومللك لا يتزع منك، ويرد^(٧) إليك لذة المناكح والمشارب والركوب، فإذا مت دخلت الجنة؟ تؤمن بي^(٨)! فوقعت في نفسه هذه الكلمات، وهي اللينة^(٩)، فقال: كما أنت حتى يأتي هامان. فلما جاء هامان قال له: [أشعرت] ^(١٠) أن ذلك الرجل أتاني؟ قال: من هو؟ - وكان قبل ذلك إنما يسميه الساحر، فلما كان ذلك اليوم لم يسمه الساحر - قال فرعون: موسى، قال: وما قال لك؟ قال: قال لي: كذا وكذا، قال هامان: وما رددت عليه؟ قال: قلت: حتى يأتي هامان فأستشيره، فعجزه هامان وقال: قد كان ظنتي بك خيراً من هذا، تصير عبداً يعبد بعد أن كنت رباً يعبد! فذلك حين خرج عليهم فقال لقومه وجمعهم فقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾^(١١). وكان بين كلمته ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾^(١٢) وبين قوله:

(١) كذا في ١، وفي ط: «يستقيان». (٢) سورة الزخرف ٥٠.

(٣) سورة الأعراف ١٣٠. (٤) كذا في ١، وفي ط: «إليهما».

(٥) سورة طه ٤٤. (٦) ط: «ولا يهرم»، أ: «شيئاً لا تهرم»، وفي ابن الأثير

١: ١٠٢: «فلا تهرم». (٧) ابن الأثير: «وَأُرد».

(٨) أ، ن، وابن الأثير: «وتؤمن بي». (٩) أ: «اللينات».

(١٠) تكلمة من أ. (١١) سورة النازعات ٢٤ (١٢) سورة القصص: ٣٨.

﴿ أَنَارَ بِكُمْ الْأَعْلَى ﴾ أربعون سنة . وقال لقومه : ﴿ إِنَّ هَذَا سَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ قالوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَا تَوْكُّ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴿^(١)﴾ . قال فرعون : ﴿ أَجِئْنَا بِتُخْرٍ جَنَّا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى * فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴾ — يقول : عدلا ، قال موسى : ﴿ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّبِينَةِ وَأَنْ يُخْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾ — وذلك يوم عيد لهم — ﴿ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴾ ^(٢) . وأرسل فرعون في المدائن حاشرين ، فحشروا عليه السحرة ، وحشروا الناس بنظرون ، يقول : ﴿ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ * لَعَلْنَا نَتَّبِعَ السَّحْرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴾ — إلى قوله : ﴿ أَتَيْنَ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ — يقول : عطية تعطينا — ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا أَمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴾ ^(٣) . فقال لهم موسى : ﴿ وَيَلِكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ ﴾ ، يقول : يهلككم بعذاب . ﴿ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا الذِّجْوَى ﴾ من دون موسى وهارون ، وقالوا في نجواهم : ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا سَاحِرٌ أَوْ نَجْوَانٌ يَرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهَا وَيَذْهَبَ بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ﴾ ^(٤) ، يقول : يذهب بأشراف قومكم .

فالتقى موسى وأمير السحرة ، فقال له موسى : أرأيتك إن غلبتك أتؤمن بي وتشهد أن ما جئت به حق ؟ قال : نعم ، قال الساحر : لآتين غداً بسحر لا يغلبه سحر ، فوالله لئن غلبتني لأؤمِّنَنَّ بك ، ولأشهدنَّ أنك على حق — وفرعون ينظر إليهما — وهو قول فرعون : ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا مَكْرٌ مَكْرَتُهُ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ ،

(١) سورة الشعراء ٣٤ - ٣٧

(٢) سورة طه ٥٧ - ٦٠

(٣) سورة الشعراء ٣٩ - ٤٢

(٤) سورة طه ٦١ - ٦٣ .

إذ التقيما لتظاهرا ﴿ لِنُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ﴾ (١) . فقالوا : ﴿ يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ
وَأِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾ (٢) ، قال لهم موسى : ألقوا فآلقوا حبالهم ٤٧٨/١
وعصبتهم - وكانوا بضعة وثلاثين ألف رجل ، ليس منهم رجل إلا ومعه حبل
وعصا - ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْتَبْهُمُ ﴾ (٣) يقول : فرقومهم .
﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى ﴾ (٤) ، فأوحى الله إليه : ألا تخف ، ﴿ وَأَلْقِ
مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ﴾ (٥) . فألقى موسى عصاه فأكلت كل حبة
لهم ، فلما رأوا ذلك سجدوا ، وقالوا : ﴿ آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ (٥)
قال فرعون : ﴿ فَلَا قِطْمَانَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صُلْبَكُمْ فِي
جُدُوعِ النَّخْلِ ﴾ (٦) فقتلهم وقطعهم - كما قال عبد الله بن عباس - حين قالوا :
﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ (٧) . قال (٨) : كانوا في أول النهار
سحرة ، وفي آخر النهار شهداء .

• • •

ثم أقبل على بنى إسرائيل فقال له قومه : ﴿ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي
الْأَرْضِ وَيَذُرُكَ وَآلِهَتَكَ ﴾ (٩) ، وآلِهته - فيما زعم ابن عباس - كانت البقر ،
كانوا إذا رأوا بقرة حسناء أمرهم لأن يعبدوها ، فلذلك أخرج لهم عجلا بقرة .
ثم إن الله تعالى ذكره أمر موسى أن يخرج بنى إسرائيل فقال : ﴿ أَنْ أَسْرَ
بِعِبَادِي ﴾ ليلًا ﴿ إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ﴾ (١٠) . فأمر موسى بنى إسرائيل أن يخرجوا ، وأمرهم

(١) سورة الأعراف ١٢٣ .
(٢) سورة الأعراف ١١٥ ، ١١٦ .
(٣) سورة طه ٦٧ .
(٤) سورة طه ٦٩ .
(٥) سورة الشعراء ٤٧ ، ٤٨ .
(٦) سورة طه ٧١ .
(٧) سورة الأعراف ١٢٦ .
(٨) ط : « قالوا » ، وصوابه من . . .
(٩) سورة الأعراف ١٢٧ .
(١٠) سورة الشعراء ٥٢ .

أن يستعبروا الحلي من القبط : وأمر ألا ينادى إنسان صاحبه ، وأن يُسرجوا في بيوتهم حتى الصبح ، وأن من خرج إذا قال : موسى ، قال : « عمرو » . وأمر من خرج يلطخ بابه بكف من دم حتى يعلم أنه قد خرج . وإن الله أخرج كل ولد زنا في القبط من بني إسرائيل إلى بني إسرائيل ، وأخرج كل ولد زنا في بني إسرائيل من القبط إلى القبط ، حتى أتوا آباءهم .

٤٧٩/١

ثم خرج موسى ببني إسرائيل لبلاد القبط لا يعلمون ، وقد دعوا قبل ذلك على القبط ، فقال موسى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ إلى قوله : ﴿ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾^(١) ، فقال الله تعالى : ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ ﴾ فزعم السدي أن موسى هو الذي دعا وأمن هارون ، فذلك حين يقول الله : ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ ﴾^(١) . وقوله : ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ ﴾^(١) فذكر أن طمس الأموال أنه جعل دراهمهم ودنانيرهم حجارة ، ثم قال لهما استقيما ، فخرجا في قومهما ، وألقي على القبط الموت ، فمات كل بيكر رجل ، فأصبحوا يتدفنونهم ، فشغلوا عن طلبهم حتى طاعت الشمس ، فذلك حين يقول الله : ﴿ فَأَنْبَهُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴾^(٢) .

وكان موسى على ساقه^(٣) بني إسرائيل ، وكان هارون أمامهم يقدمهم ، فقال المؤمن لموسى : يا نبي الله ، أين أميرت ؟ قال : البحر ، فأراد أن يفتحهم معه . وخرج موسى في ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل ، لا يعدون ابن عشرين لصغره ولا ابن الستين ليكبره ، وإنما عدوا ما بين ذلك سوى الذرية ، وتبعهم فرعون ، وعلى مقدمته هامان ، في ألف ألف وسبعمائة ألف حصان ، ايس^(٤) فيها ماذيابة ، وذلك حين يقول الله : ﴿ فَأَرْسَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هُوَ لَأَشَرُّ ذِمَّةٍ قَدِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴾ — يعني بني إسرائيل — ﴿ وَأَنَا الْجَمِيعُ حَازِرُونَ ﴾^(٥) ، يقول : قد حذرنا فأجمعنا أمرنا ،

٤٨٠/١

(٢) سورة الشعراء ٦٠

(٤) ن : وليس .

(١) سورة يونس ٨٨ ، ٨٩ .

(٣) ساقه الجسر : مؤخرهم

(٥) سورة الشعراء ٤٣ - ٤٦

﴿ فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ ﴾ ، فنظرت بنو إسرائيل إلى فرعون قد ردفهم ، قالوا :
 ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾^(١) . قالوا : يا موسى ، أودينا من قبل أن تأتيينا ، كانوا
 يذبّحون أبناءنا ، ويستحبون نساءنا ، ومن بعد ما جئتنا اليوم يدركنا فرعون
 فيقتلنا ! إنا للمدركون ، البحر من بين أيدينا وفرعون من خلفنا ، قال
 موسى : ﴿ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَزِينُ ﴾^(٢) ، يقول : سيكفيني ، ﴿ قَالَ عَسَى
 رَبُّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عَدُوُّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ
 تَعْمَلُونَ ﴾^(٣) . فتقدم هارون فضرب البحر فأبى البحر أن يفتح ، وقال :
 من هذا الجبار الذي يضربني ! حتى أتاه موسى فكناه أبا خالد ، وضربه ،
 ﴿ فَاَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾^(٤) ، يقول : كالجبل العظيم ،
 فدخلت بنو إسرائيل ، وكان في البحر اثنا عشر طريقًا ، في كل طريق
 سبب ، وكان الطرق إذ انفلقت بجدران . فقال كل سبب : قد قتل أصحابنا ،
 فلما رأى ذلك موسى دعا الله فجعلها لهم قناطر كهيئة الطيقان ، فنظر
 آخرهم إلى أولهم ، حتى خرجوا جميعًا ، ثم دنا فرعون وأصحابه ، فلما
 نظر فرعون إلى البحر منفلقًا قال : ألا ترون البحر فرّق مني ، وقد تفتّح لي حتى
 أدرك أعدائي فأقتلهم ! فذلك قول الله : ﴿ وَأَرْزَلْنَا تَمَّ الْآخِرِينَ ﴾^(٥) ،
 يقول : قربنا تمّ الآخرين ؛ هم آل فرعون .

فلما قام فرعون على أفواه الطرق أبت خيلُه أن تقتحم ، فنزل جبرئيل
 على ماذيابة ، فشمت^(٥) الحصن ریح الماذيابة فاقتحمت في أثرها حتى إذا هم
 أولهم أن يخرج ودخل آخرهم ، أمر البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم :

(١) سورة الشعراء ٦١ ، ٦٢ .

(٢) سورة الأعراف ١٢٩ .

(٣) سورة الشعراء ٦٣ .

(٤) سورة الشعراء : ٦٤ .

(٥) كذا في ح وابن الأثر ، وفي ا ، ط : « فشامت » .

وتفرد جبرئيل بفرعون بمقلته من مقل^(١) البحر، فجعل يدسها في فيه، فقال حين أدركه الفرق: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، فبعث الله إليه ميكائيل بعبيره، قال: ﴿الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٢). فقال جبرئيل: يا محمد، ما أبغضت أحداً من الخلق ما أبغضت رجلين: أما أحدهما فمن الجين وهو إبليس حين أبى أن يسجد لآدم. وأما الآخر فهو فرعون حين قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾، ولورأيتني يا محمد، وأنا آخذ مقل البحر فأدخله في فم فرعون مخافة أن يقول كلمة يرحمه الله بها! وقالت بنو إسرائيل: لم يغرق فرعون، الآن يدركنا فيقتلنا، فدعا الله موسى: فأخرج فرعون في ستمائة ألف وعشرين ألفاً، عليهم الحديد فأخذته بنو إسرائيل يمشون به، وذلك قول الله لفرعون: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً﴾^(٣)؛ يقول: لبنى إسرائيل آية. فلما أرادوا أن يسيروا ضرب عليهم تيه. فلم يدروا أين يذهبون، فدعا موسى مشيخة بنى إسرائيل فسأهم: ما بالناس؟ فقالوا له: إن يوسف لما مات بمصر أخذ على إخوته عهداً ألا يخرجوا من مصر حتى تخرجوني معكم، فذلك هذا الأمر: فسأهم: أين موضع قبره؟ فلم يعلموا، فقام موسى ينادي: أنشد الله كل من كان يعلم أين موضع قبر يوسف إلا أخبرني به، ومن لم يعلم فصمت أذناه عن قولي! وكان يمر بين الرجلين ينادي فلا يسمعان صوته، حتى سمعته عجوز لهم فقالت: رأيتك إن دلتك على قبره أتعطيني كل ما سألتك؟ فأبى عليها وقال: حتى أسأل ربي، فأمره الله عز وجل أن يعطيها، فأبى فأعطاهما، فقالت: إني أريد ألا تنزل غرقة من الجنة إلا نزلتها معك، قال: نعم، قالت: إني عجوز كبيرة لا أستطيع أن أمشي فأحملتي، فحملها، فلما دنا من النيل، قالت: إنه في جوف الماء، فادع الله أن يحسب عنه الماء، فدعا الله فحسب الماء عن القبر، فقالت: احفره، ففعل فحمل عظامه، ففتح

٤٨٢/١

٤٨٢/١

(١) في اللسان؛ مقل البحر، موضع المفاص منه.

(٢) سورة يونس: ٩٠، ٩٢.

لهم الطريق، فساروا، ﴿فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَمْكفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ • إِنَّ هُوَ إِلَّا مَتَّبِعُ مَا هُمْ فِيهِ﴾ - يقول: مهلك ما هم فيه - ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١).

فأما ابنُ إسحاق، فإنه قال - فيما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عنه - فتابع الله عليه بالآيات - يعني على فرعون - وأخذه بالسنين إذ أبى أن يؤمن بعد (٢) ما كان من أمره وأمر السحرة ما كان، فأرسل عليه الطوفان، ثم الجراد، ثم القمل، ثم الضفادع، ثم الدم آيات مفصّلات، أي آية بعد آية، يتبع بعضها بعضاً، فأرسل الطوفان وهو الماء، ففاض على وجه الأرض ثم ركذ، لا يقدرّون على أن يحرثوا، ولا يعملوا شيئاً، حتى جهدوا جوعاً. فلما بلغهم ذلك قالوا: يا موسى ادع لنا ربك، ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرَّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ بِكَ وَتَرَيْنَا مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (٣). فدعا موسى ربه فكشفه عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا، فأرسل الله عليهم الجراد فأكل الشجر - فيما بلغني حتى إنه كان لياً كل مسامير الأبواب من الحديد حتى تقع دورهم ومساكنهم، فقالوا مثل ما قالوا. فدعا ربه فكشفه عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا، فأرسل الله عليهم القمل. فذكر لي أن موسى أمر أن يمشي إلى كتيب فيضربه (٤) بعصاه فمشى إلى كتيب أهيل عظيم فضربه بها فانثال عليهم قملاً حتى غلب على البيوت والأطعمة، ومنعهم النوم والقرار، فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا، فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا، فأرسل الله عليهم الضفادع، ففلات البيوت والأطعمة والآنية فلا يكشف أحد منهم (٥) ثوباً ولا طعاماً ولا إناء إلا وجد فيه الضفادع قد غلبت عليه، فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا، فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا، فأرسل الله

٤٨٤/١

(١) سورة الأعراف ١٣٨، ١٣٩

(٢) ح: «من بعد».

(٣) سورة الأعراف ١٣٤.

(٤) ن: «حتى يضر به».

(٥) ح، ن: «أحدهم».

عليهم الدم فصارت مياه آل فرعون دمًا، لا يستقون من بئر ولا نهر ولا يغترفون من إناء إلا عادت دمًا عبيطًا .

حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : فحدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن كعب القرظي أنه حدث أن المرأة من آل فرعون كانت تأتي المرأة من بني إسرائيل حين جهدهم العطش ، فتقول : اسقيني من مائك ، فتغرف لها من جرتها أو تصب لها من قربتها ، فيعود في الإناء دمًا ، حتى إن كانت لتقول لها : اجعليه في فيك ثم تجيه في في ، فتأخذ في فيها ماء ، فإذا تجته في فيها صار دمًا ، فمكثوا في ذلك سبعة أيام ، فقالوا : ﴿ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرَّجْزَ انْمُوتِنَّا لَكَ وَلنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾^(١) . فلما كشف عنهم الرجز نكثوا ولم يفؤوا بشيء مما قالوا ، فأمر الله موسى أن يسير ، وأخبره أنه منجتيه ومن معه ، ومهلك فرعون وجنوده ، وقد دعا موسى عليهم بالطمسة ؛ فقال : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ ﴾ - إلى - ﴿ وَلَا تَتَّبِعَنَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْزَمُونَ ﴾^(٢) . فسخ الله أموالهم حجارة : النخل والرقيق والأطعمة ، فكانت إحدى الآيات التي أراهن^(٣) الله فرعون .

٤٨٥/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بريرة بن سفيان بن فروة الأسلمي ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : سألتني عمر بن عبد العزيز عن التسع الآيات التي أراهن الله فرعون ، فقلت : الطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، وعصاه ، وبيده ، والطمسة ، والبحر . فقال عمر : فأنني عرفت أن الطمسة إحداهن ؟ قلت : دعا عليهم موسى وأمن هارون ، فسخ الله أموالهم حجارة ، فقال : كيف يكون الفقه إلا هكذا ! ثم

(١) سورة الأعراف ١٣٤ .

(٢) سورة يونس ٨٨ ، ٨٩ .

(٣) ط : « أراها » ، وما أثبتته من أ .

دعا بخريطة فيها أشياء مما كان أصيب لعبد العزيز بن مروان بمصر ؛ إذ كان عليها من بقايا أموال آل فرعون، فأخرج البيضة مقشورة نصفين ؛ وإنها لحجر، والجوزة مقشورة وإنها لحجر ، والحمصة، والعدسة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد ، عن رجل من أهل الشام كان بمصر ، قال : قد رأيت النخلة مصروعة ، وإنها لحجر ، وقد رأيت إنساناً ما شككت أنه إنسان وإنه لحجر، من رقيقهم ، فيقول الله عز وجل : ﴿ وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ إِلَى قَوْلِهِ مَثُوراً ﴾^(١) يقول : شقيماً . ٤٨٦/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه ، أن الله حين أمر موسى بالمسير ببني إسرائيل أمره أن يحمل يوسف معه حتى يضعه بالأرض المقدسة ، فسأل موسى عمّن يعرف موضع قبره ، فما وجد إلا عجوزاً من بني إسرائيل ، فقالت : يا نبي الله ، أنا أعرف مكانه . إن أنت أخرجتني معك^(٢) ، ولم تخلّفني بأرض مصر دللتك عليه . قال : أفعل ، وقد كان موسى وعبد بني إسرائيل أن يسير بهم إذا طلع الفجر ، فدعا ربه أن يؤخر طلوعه حتى يفرغ من أمر يوسف ، ففعل ، فخرجت به العجوز حتى أرتها إياه في ناحية من النيل في الماء ، فاستخرجه موسى صندوقاً من مرمر ، فاحتمله معه . قال عروة : فمن ذلك تحمّل اليهود موتها من كل أرض إلى الأرض المقدسة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان فيما ذكر لي - أن موسى قال لبني إسرائيل فيما أمره الله به : استعبروا منهم الأمتعة والحلي والثياب فإني منفلتكم أموالهم مع هلاكهم ؛ فلما أذن فرعون في الناس كان مما يحرّض به على بني إسرائيل أن قال حين ساروا : لم يرضوا أن خرجوا بأنفسهم حتى ذهبوا بأموالكم معهم .

(١) سورة الإسراء ١٠١ ، ١٠٢

(٢) ن : « خرجت بي » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد
ابن كعب القرظي ، عن عبد الله بن شداد بن انا . قال : لقد ذكر لي أنه
خرج فرعون في طلب موسى على سبعين ألفاً من دُفَم الحيل سوى ما في جنده
من شيات^(١) الحيل ، وخرج موسى حتى إذا فاء البحر ولم يكن عنه منصرف
طلع فرعون في جنده من خلفهم ، ﴿ فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَ مَنِ قَالَ أَصْحَابُ
مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُوكُمْ . قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾^(٢) ، أي للنجاة ، وقد
وعدني ذلك ولا تخلف لموعوده^(٣) .

٤٨٧/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة . قال : حدثنا محمد بن إسحاق
قال : فأوحى الله تبارك وتعالى - فيما ذكر في - إلى البحر : إذا ضربك موسى
بعضاه فانقلق له ، فبات البحر يضرب بعضه بعضاً فرقاً من الله
وانتظاراً لأمره ، فأوحى الله عز وجل إلى موسى : أن اضرب بعضاك البحر ، فضربه
بها وفيها سلطان الله الذي أعطاه ، ﴿ فَانْقَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾^(٤) ،
أي كالجبل على نشز من الأرض . يقول الله لموسى عليه السلام : ﴿ فَاضْرِبْ
أَهْمُ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴾^(٥) . فلما استمتر له
البحر على طريق قائمة يبس سلك فيه موسى بيني إسرائيل ، واتبه فرعون بجنوده .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ،
عن محمد بن كعب القرظي ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد اللبثي ، قال :
حدثت أنه لما دخلت بنو إسرائيل فلم يبق منهم أحدٌ أقبل فرعون وهو على
حصان له من الحيل ، حتى وقف على شفير البحر وهو قائم على حاله ، فهاب
الحصان أن يتقدم^(٦) ، فعرض له جبرئيل على فرس أنثى وديق^(٧) ، فقتربها منه

٤٨٨/١

(١) كذا في ١ ، وفي التفسير : « شية » ، وفي ط : « شهب » من تصرف مصححه .

(٢) سورة الشعراء ٦١ - ٦٢ (٣) الخبر في التفسير ١٩ : ٤٩ (بولاق) .

(٤) سورة الشعراء ٦٣ (٥) سورة طه ٧٧

(٦) ١ ، ح : « أن ينفذ » . (٧) الفرس الوديق : التي تريد الفحل .

فشمها الفحل . ولما شمها قدمها . فتقدم معه الحصان عليه فرعون ، فلما رأى
 حند فرعون أن فرعون قد دخل دنجوا معه . وجبرئيل أمامه ، فهم يتبعون
 فرعون . ويكاثين على فرس خلف القوم يشحذهم يقول : ائتوا بصاحبكم .
 حتى إذا فصل جبرئيل من البحر ليس أمامه أحد . ووقف ميكائيل على
 الناحية^(١) الأخرى ليس خانته أحد . طبق عليهم البحر . ونادى فرعون حين
 رأى من سلطان الله وقدرته ما رأى . وعرف ذلته وخذلته نفسه . نادى : أن
 لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل . وأنا من المسلمين .

حدثنا ابن حميد . قال : حدثنا أبو داود البصرى . عن حماد بن سلمة .
 عن علي بن زياد ، عن يوسف بن مهران . عن ابن عباس . قال : جاء جبرئيل
 إلى النبي عليه السلام فقال : يا محمد . لقد رأيتني وأنا أدرس من حمى البحر
 في فم^(٢) فرعون مخافة أن تدركه الرحمة ! يقول الله : ﴿ آ لَآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ
 قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ . أى سواء لم يذهب
 منك شيء . ﴿ لَتَكُونَ إِمَّنْ خَلْفَكَ آيَةٌ ﴾^(٣) أى عبرة وبينة . فكان يقال :
 لو لم يخرج الله بيده حتى عرفوه لثنت فيه بعض الناس .

ولما جاوز بنو إسرائيل البحر أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم .
 ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا أَنَّهُمْ آلِهَةٌ قَالِ إِنَّكُمْ قَوْمٌ
 تَجْهَلُونَ * إِنَّ هُوَ إِلَّا مُتَّبَعٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * قَالَ
 أَغْيَرَ اللَّهُ أَنْفِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ^(٤) . ووعده الله موسى حين
 أهلك فرعون وقومه ونجاه وقومه ثلاثين ليلة .

رجع الحديث إلى حديث السدى . ثم إن جبرئيل أتى موسى يذهب به إلى

(١) « ناحيته الأخرى » . ح ، س : « ناحية أخرى » .

(٢) « في فرعون » .

(٣) سورة يونس ٩٢ ، ٩١ .

(٤) سورة الأعراف : ١٣٨ - ١٤٠ .

الله عز وجل ، فأقبل على فرس فرآه السامريّ فأنكره ، ويقال : إنه فرس الحياة ، فقال حين رآه : إن لهذا لشأناً ، فأخذ من تربة الحافير حافر الفرس ، فانطلق موسى واستخلف هارون على بني إسرائيل ، وواعدهم ثلاثين ليلة ، وأتمها الله بعشر ، فقال لهم هارون : يا بني إسرائيل ، إن الغنيمة لا تحلّ لكم ، وإن حلّي القبيط إنما هو غنيمة ، فاجمعوها جميعاً فاحفروا لها حفرة فادفنوها فيها ، فإن جاء موسى فأحلّها أخذتموها ، وإلاّ كان شيئاً لم تأكلوه ، فجمعوا ذلك الحلّي في تلك الحفرة ، وجاء السامريّ بتلك القبضة فقذفها ، فأخرج الله من الحلّي عجلاً جسداً له خوار ، وعدت بنو إسرائيل موعد موسى ، فعدوا الليلة يوماً واليوم يوماً ، فلما كان العشر^(١) خرج لهم العجل فلما رأوه قال لهم السامريّ : ﴿ هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى قَدِيسِي ﴾^(٢) . يقول : ترك موسى إلهه هاهنا ، وذهب يطلبه

فحكفوا عليه بعبودته ، وكان يخور ويمشي ، فقال لهم هارون : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ﴾ يقول : إنما ابتليتكم به ، يقول : بالعجل ، ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمْ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾^(٣) ، فأقام هارون ومن معه من بني إسرائيل لا يقاتلونهم ، وانطلق موسى إلى إلهه بكلمه ، فلما كلمه قال له : ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى ﴾ * قال لهم أولاء على أترى وعجبت إليك رب لترضى * قال فإنا قد فتننا قومك من بعدك وأضلهم السامريّ^(٤) . فلما أخبره خبرهم قال موسى : يا رب هذا السامريّ أمرهم أن يتخذوا العجل ، أرايت الروح من نفخها فيه ؟ قال الرب : أنا . قال : رب أنت إذا أضلتهم .

ثم إن موسى لما كلمه ربه أحب أن ينظر إليه ، ﴿ قَالَ رَبِّ ارِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ

(١) كذا في ١ ، ن : وفي ط : « المشرين » .

(٢) سورة طه ٨٨ .

(٣) سورة طه ٩٠ .

(٤) سورة طه ٨٣ - ٨٥ .

فَسَوْفَ تَرَانِي ﴿١﴾ ، فَحُفَّ حَوْلَ الْجَبَلِ الْمَلَائِكَةُ ، وَحُفَّ حَوْلَ الْمَلَائِكَةِ بِنَارٍ ، وَحُفَّ حَوْلَ النَّارِ بِمَلَائِكَةٍ ، وَحَوْلَ الْمَلَائِكَةِ بِنَارٍ ، ثُمَّ تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ .

فحدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، قال : حدثني السدي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه قال : تجلَّى منه مثل طرف الحنصر ، فجعل الجبل دكًا وخرَّ موسى صعقًا ، فلم يزل صعقًا ما شاء الله ، ثم انه أفاق فقال : ﴿ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ

الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٢﴾ ، يعني أول المؤمنين من بني إسرائيل ، فقال : ﴿ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ . وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ من الحلال والحرام ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾ ، يعني بجد واجتهاد ﴿ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا خُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾ ﴿٢﴾ أي بأحسن ما يجدون فيها . فكان موسى بعد ذلك لا يستطيع أحد أن ينظر في وجهه ﴿٣﴾ ، وكان يُلْبِسُ وجهه بحريرة ، فأخذ الألواح ثم رجع إلى قومه ﴿ غَضَبَانَ أَصْفَاءَ ﴾ يقول : حزينًا ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا ﴾ - إلى - ﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا ﴾ يقولون : بطاقتنا ، ﴿ وَلَكِنَّا حُمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ ﴾ يقول : من حلى القبط ﴿ فَقَدَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴾ ﴿٤﴾ ، ذلك حين قال لهم هارون : احضروا لهذا الحلى حفرة ، واطرحوه فيها ، فطرحوه فقفد السامري تربيته ، فألقى موسى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه ، ﴿ قَالَ يَا بَنِي أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ ﴿٥﴾ . ففرك موسى هارون ، ومال إلى السامري ، فقال :

(١) سورة الأعراف ١٤٣ . (٢) سورة الأعراف ١٤٣ - ١٤٥ .

(٣) ١ : « إلى وجهه » .

(٤) سورة طه ٨٦ ، ٨٧ .

(٥) سورة طه ٩٤ .

﴿فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾^(١)، قال السامري: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَنْبُصُرُوا بِهِ﴾
إلى : ﴿فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾^(١). ثم أخذه فذبحه ، ثم حرفه بالمبرد ثم ذراه في
البحر ، فلم يبق بحر يجرى إلا وقع فيه شيء منه ، ثم قال لهم موسى :
اشربوا منه فشربوا ، فن كان يحبه خرج على شاربته الذهب ، فذلك حين
يقول: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْمِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾^(٢). فلما سقط في أيدي بني
إسرائيل حين جاء موسى ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا
وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٣). فأن الله أن يقبل توبة بني إسرائيل
إلا بالحال التي كرهوا أن يقابلوهم حين عبدوا العجل ، فقال لهم موسى :
﴿يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْمِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ
فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(٤) ، فاجتلد الذين عبدوه والذين لم يعبدوه بالسيوف ،
فكان من قُتِلَ من الفريقين شهيداً ، حتى كثر القتل حتى كادوا أن يهلكوا ،
حتى قتل بينهم سبعون ألفاً ، حتى دعا موسى وهارون : رَبَّنَا هَلَكْتَ بِنُو إِسْرَائِيلَ !
رَبَّنَا الْبَقِيَّةُ الْبَقِيَّةُ ! فأمرهم أن يضعوا السلاح ، وناب عليهم ، فكان من قُتِلَ
كان شهيداً ، ومن بقى كان مكفراً عنه ، فذلك قوله : ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ
هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٥).

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة . قال : حدثني محمد بن إسحاق ،
عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كان السامري
رجلاً من أهل باجرما^(٥) ، وكان من قوم يعبدون البقر ، فكان حب عبادة

(٢) سورة البقرة ٩٣ .

(١) سورة طه ٩٥ - ٩٧ .

(٤) سورة البقرة ٥٤ .

(٣) سورة الأعراف ١٤٩ .

(٥) باجرما ، بفتح الجيم وسكون الراء ويميم وألف مقصورة : قرية ، قرب الرقة من أعمال

الجزيرة . باقوت .

البقر في نفسه ، وكان قد أظهر الإسلام في بني إسرائيل ، فلما فصل هارون في بني إسرائيل ، وفصل موسى معهم ^(١) إلى ربه تبارك وتعالى قال لهم هارون : إنكم قد تحملتُم ^(٢) أوزاراً من زينة القوم آل فرعون ، وأمتعة وحلياً . فتستهنوا منها فإنها نجس ، وأوقد لهم ناراً . وقال : اذفوا ما كان معكم من ذلك فيها . قالوا : نعم ، فجعلوا يأتون بما كان فيهم من تلك الحلي وتلك الأمتعة فيقذفون بها فيها ، حتى إذا انكسرت الحلي فيها ، رأى ^(٣) السامري أثر فرس جيب إسرائيل ، فأخذ تراباً من أثر حافره . ثم أقبل إلى الحفرة فقال هارون : يا نبي الله . ألقى ما في يدي ؟ قال : نعم . ولا يظن هارون إلا أنه كبعض ما جاء به غيره من تلك الأمتعة والحلي ، فقفه فيها . وقال : كن عجلاً جسداً له خوار . فكان للبلاء والفتنة : فقال : هذا إلهكم وإله موسى . فعكفوا عليه وأحبوه حباً ، يحبوا مثله شيئاً قط ، فقال الله عز وجل : ﴿ قَدْ سَىٰ ۗ ﴾ ^(٤) ، أي ترك ما كان عليه من الإسلام ، - يعني السامري - ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ الْآيَاتِ جِيعَ الْإِنهِيمَ قَوْلًا وَلَا يَمْنِكْ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۗ ﴾ ^(٥) .

قال : وكان اسمُ السامري موسى بن ظفر ^(٥) . وقع في أرض مصر . فدخل في بني إسرائيل . فلما رأى هارون ما وقعوا فيه قال : ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ۗ ﴾ - إلى قوله - ﴿ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ۗ ﴾ ^(٦) . فأقام هارون فيمن معه من المسلمين ممن لم يفتن ، وأقام ممن يعبد العجل على عبادة العجل . وتخوف هارون إن سار بمن معه من المسلمين أن يقول له موسى : ﴿ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَآمَ تَرَاقِبَ قَوْلِي ۗ ﴾ ^(٧) ، وكان له هائباً مضيقاً . ومضى موسى ببني إسرائيل إلى الطور . وكان الله عز وجل وعد بني إسرائيل حين أنجاهم وأهلك عدوهم جانب الطور الأيمن . وكان موسى حين سار ببني إسرائيل

(١) كذا في ا ، ح ، ن ، و في ط : « عنهم » . (٢) س : « حملتم »

(٣) في الأصول : « ورأى » . (٤) سورة طه ٨٨ . ٨٩ .

(٥) ح : « الظفر » . (٦) سورة طه ٩٠ . ٩١ .

(٧) طه : ٩٤

من البحر قد احتاجوا إلى الماء، فاستسقى موسى لقومه، فأمر أن يضرب بعصاه الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، لكل سبط عين يشربون منها قد عرفوها، فلما كلم الله موسى طمع في رؤيته، فسأل ربه أن ينظر إليه، فقال له: إِنَّكَ لَن تَرَانِي وَآكِنِ إِلَى الْجَبَلِ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّا أَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

ثم قال الله لموسى: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ﴾ إلى قوله: ﴿سَارِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾^(١). وقال له: ﴿وَمَا أَعْجَلَاكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾ إلى قوله: ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾^(٢)، ومعه عهد الله في الألواح.

ولما انتهى موسى إلى قومه فرأى ما هم فيه من عبادة العجل ألقى الألواح من يده، وكانت—فيها يذكرون—من زبرجد أخضر، ثم أخذ برأس أخيه ولحيته ويقول: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا . أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾^(٣). فقال: ﴿يَا بَنِي أُمَّةٍ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشِمْتِ بِي الْأَعْدَاءُ وَلَا تَجْمَعِنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٤)، فارعوى موسى وقال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٤).

وأقبل على قومه فقال: ﴿يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾ إلى قوله: ﴿عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورَارٌ﴾^(٥). وأقبل على السامري فقال: ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ قال: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^(٦). ثم

(١) سورة الأعراف ١٤٣-١٤٥

(٢) سورة طه ٨٣-٨٦ .

(٣) سورة طه ٩٢-٩٤

(٤) سورة الأعراف ١٥٠ ، ١٥١

(٥) سورة طه ٨٦-٨٨

(٦) سورة طه ٩٥-٩٨

أَخَذَ الْأَلْوَاحَ ، يَقُولُ اللَّهُ : ﴿ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ . وَفِي نُسخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ ^(١) .

٤٩٥/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن صدقة ابن يسار ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس ، قال : كان الله تعالى قد كتب لموسى فيها موعظة وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة ، فلما ألقاها رفع الله ستة أسباعها وأبقى سبعا ، يقول الله عز وجل : ﴿ وَفِي نُسخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ ، ثم أمر موسى بالعجل فأحرق ، حتى رجع رمادا ، ثم أمر به فقذف في البحر .

قال ابن إسحاق : فسمعت بعض أهل العلم يقول : إنما كان أحرقه ^(٢) ثم سحله ثم ذراه في البحر . والله أعلم .

. . .

ثم اختار موسى منهم سبعين رجلا : الخيّر فالخيّر ، وقال : انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه ، صنعتم وسأوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم ، صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ، فخرج بهم إلى طور سيناء ليلقات وقته له ربه ، وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعلم ، فقال له السبعون - فيما ذكر لي - حين صنعوا ما أمرهم به ، وخرجوا معه للقاء ربه : اطلب لنا نسمع كلام ربنا ، فقال : أفعل ، فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ، ودنا موسى فدخل فيه ، وقال للقوم : ادنوا ، وكان موسى إذا كلمه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه ، فضرب دونه بالحجاب ، ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجوداً ، فسمعوه وهو يكلمهم موسى بأمره وبينهاه : افعل ولا تفعل ، فلما فرغ إليه من أمره انكشف عن موسى الغمام ^(٣) ، فأقبل إليهم فقالوا لموسى : ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ ^(٤) ، ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾ ^(٥) ، وهى الصاعقة ، فانفلتت أرواحهم فأتوا جميعا ،

٤٩٥/١

(٢) كذا فى ا ، ح ، وفى ط : « إحراقه سحله » .

(٤) سورة البقرة ٥٥ .

(١) سورة الأعراف : ١٥٤

(٣) ن : « الحجاب » .

(٥) سورة الأعراف ٧٨

وقام موسى يناشد ربه ويدعوه ، ويرغب إليه ويقول : ﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ ﴾^(١) قد سفهوا ، أفتهلك^(٢) مَنْ ورائي من بنى إسرائيل ، ففعل السفهاء منا ! إن هذا هلاك لم . اخترت منهم سبعين رجلاً الخير فالخير ، أرجع إليهم وليس معي رجل واحد ، فما الذي يصدقوني به ! فلم يزل موسى يناشد ربه ، ويسأله ويطلب إليه حتى ردَّ إليهم أرواحهم ، وطلب إليه التوبة لبنى إسرائيل من عبادة العجل ، فقال : لا ، إلا أن يقتلوا أنفسهم . وقال : فبلغني أنهم قالوا لموسى : نصبر لأمر الله ، فأمر موسى مَنْ لم يكن عبد العجل أن يقتل مَنْ عبده ، فجلسوا بالأفنية ، وأصلت عليهم القوم السيوف ، فجعلوا يقتلونهم ، وبكى موسى وبهش^(٣) إليه الصبيان والنساء يطلبون العفو عنهم ، فتاب عليهم وعفا عنهم ، وأمر موسى أن يرفع عنهم السيف .

وأما السدى فإنه ذكر في خبره الذي ذكرت إسناده قبل أن مصير موسى إلى ربه بالسبعين الذين اختارهم من قومه بعد ما تاب الله على عبدة العجل من قومه ، وذلك أنه ذكر بعد القصة التي قد ذكرتها عنه بعد قوله : ﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾^(٤) . قال : ثم إن الله أمر موسى أن يأتيه في ناس من بنى إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل . ووعدهم موعداً ، فاختر موسى قومه سبعين رجلاً على عينه ، ثم ذهب بهم ليعتذروا ، فلما أتوا ذلك المكان قالوا : ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾^(٥) ، فإنك قد كلمته فأرنا ، فأخذتهم الصاعقة فماتوا ، فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول : رب ماذا أقول لبنى إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم ! رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي ، أهلكنا بما فعل السفهاء منا ! فأوحى الله عز وجل إلى موسى : إن هؤلاء السبعين ممن اتخذ العجل . فذلك حين يقول موسى : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾^(٥) ، يقول :

(١) - سورة الأعراف ١٥٥ ط : « فيهلك » وما أثبت عن ا .

(٢) بهش الصبيان إليه : أقبلوا .

(٤) سورة البقرة ٥٤ ، ٥٥

(٥) سورة الأعراف ١٥٥ ، ١٥٦

تَبْنَا إِلَيْكَ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ اللَّهُ جَهَنَّمَ فَأَخَذَتْنَاكَ الصَّاعِقَةُ﴾ (١)، وَالصَّاعِقَةُ نَارٌ. ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ أَحْبَبَهُمْ، فَقَامُوا وَعَاشُوا (٢) رَجُلًا رَجُلًا، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ: كَيْفَ يَحْيَوْنَ؟ فَقَالُوا: يَا مُوسَى، أَنْتَ تَدْعُو اللَّهَ فَلَا تَسْأَلُهُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاكَ، فَادْعُهُ يَجْعَلُنَا أَنْبِيَاءَ، فَدَعَا اللَّهَ فَجَعَلَهُمْ أَنْبِيَاءَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ (١) ٤٩٨/١
وَلَكِنَّهُ قَدَّمَ حَرْفًا وَأَخَّرَ حَرْفًا.

ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِالسَّيْرِ إِلَىٰ أَرِيحَا (٣)، وَهِيَ أَرْضٌ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَسَارُوا حَتَّىٰ إِذَا كَانُوا قَرِيبًا مِنْهَا (٤) بَعَثَ مُوسَىٰ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا مِنْ جَمِيعِ أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسَارُوا يَرِيدُونَ أَنْ يَأْتُوهُ بِخَبَرِ الْجَبَّارِينَ، فَلَقِيَهُمْ رَجُلٌ مِنَ الْجَبَّارِينَ يُقَالُ لَهُ عَاجٌ، فَأَخَذَ الْإِثْنَيْ عَشَرَ فَجَعَلَهُمْ فِي حُجْرَتِهِ وَعَلَىٰ رَأْسِهِ حِمْلَةَ حَطْبٍ، فَانْطَلَقَ بِهِمْ إِلَىٰ امْرَأَتِهِ فَقَالَ: انْظُرِي إِلَىٰ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ (٥) أَنَّهُمْ يَرِيدُونَ أَنْ يِقَاتِلُونَا، فَطَرَحَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهَا، فَقَالَ: أَلَا أَطْحَنُهُمْ بِرَجُلِي! فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ: لَا، بَلْ خَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخْبِرُوا قَوْمَهُمْ بِمَا رَأَوْا، فَفَعَلَ ذَلِكَ، فَلَمَّا خَرَجَ الْقَوْمُ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: يَا قَوْمَ، إِنَّكُمْ إِنْ أَخْبَرْتُمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِخَبَرِ الْقَوْمِ ارْتَدَّوْا عَنِ نَبِيِّ اللَّهِ، وَلَكِنْ اكْتُمُوهُمْ وَأَخْبِرُوا نَبِيَّ اللَّهِ، فَيَكُونَانِ هُمَا يَرِيَانِ رَأَيْهِمَا، فَأَخَذَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ الْمِيثَاقَ بِذَلِكَ لِيَكْتُمُوهُ، ثُمَّ رَجَعُوا فَانْطَلَقَ عَشْرَةٌ فَنَكثُوا الْعَهْدَ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَخْبِرُ أَخَاهُ وَأَبَاهُ بِمَا رَأَوْا مِنْ أَمْرِ عَاجٍ، وَكَتَمَ رَجُلَانِ مِنْهُمْ، فَأَتَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ فَأَخْبِرُوهُمَا الْخَبَرَ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ اللَّهُ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ (٦).
فَقَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ: ﴿يَا قَوْمِ إِذْ ذُكِرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلْنَا فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلْنَاكُمْ مَلُوكًا﴾ (٧)، يَمْلِكُ الرَّجُلُ مِنْكُمْ نَفْسَهُ وَأَهْلَهُ وَمَالَهُ. ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، يَقُولُ: الَّتِي أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِهَا ٤٩٩/١

(٢) كَذَا فِي ١، وَفِي أَصُولِ ط: «فَعَاشَ»

(٤) كَذَا فِي ١، ح، وَفِي ط: «مِنْهُمْ»

(٦) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ١٢

(١) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٥٥، ٥٦

(٣) أَرِيحَا، بِالْفَتْحِ ثُمَّ الْكُسْرُ وَيَاءٌ سَاكِنَةٌ.

(٥) ح، س: «زَعَمُوا»

(٧) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ٢٠

﴿ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ • قَالُوا ﴾ مما سمعوا من العشرة : ﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا أَن نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ • قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾ ، وهما اللذان كتبا ، وهما يوشع بن نون فتي موسى وكالوب بن يوفنة - وقيل : كلاب بن يوفنة ختن موسى - فقالا (١) : يا قوم ﴿ ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ ﴾ . ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا أَن نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ . فغضب موسى ، فدعا عليهم ، فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ وكانت عجلة من موسى عجلها ، فقال الله : ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (٢) . فلما ضرب عليهم التيه ، ندم موسى وأتاه قومه الذين كانوا معه بطيعونه ، فقالوا له : ما صنعت بنا يا موسى ؟ فلما ندم أوحى الله عز وجل إليه : ألا تأس ، أي لا تحزن على القوم الذين سميتهم فاسقين . فلم يحز ، فقالوا : يا موسى ، فكيف لنا بما هاهنا ؟ أين الطعام ؟ فأنزل الله عليهم المن والسلوى ، فكان يسقط على الشجر الترنجيبين (٤) والسلوى - وهو طير يشبه السمائي - فكان يأتي أحدهم فينظر إلى الطير ، فإن كان سمينا ذبحه وإلا أرسله ، فإذا سمن أتاه ، فقالوا : هذا الطعام فأين الشراب ؟ فأمر موسى فضرب (٥) بعصاه الحجر فانهجرت منه اثنتا عشرة عينا ، يشرب كل سبب من عين . فقالوا : هذا الطعام والشراب ، فأين الظل ؟ فظل الله عليهم الغمام ، فقالوا : هذا الظل ، فأين

٥٠٠/١

(١) ط : « فقال » ! وما أثنه من ...

(٢) سورة المائدة ٢١ ، ٢٢

(٣) سورة المائدة ٢٢ ، ٢٣

(٤) الترنجيبين : طل يقع من الشجر الترنجيبين ...

التي ، وأكثر ما يقع بخراسان على شجر الخبز ...

(٥) س : « أن يضرب »

اللباس ؟ فكانت ثيابهم تطول معهم^(١) كما تطول الصبيان ، ولا يتخرق لهم ثوب ، فذلك قوله : ﴿ وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَى ﴾^(٢) . وقوله : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ ﴾^(٣) ، فأجمعوا ذلك ، فقالوا : ﴿ يَا مُوسَى لَنْ نُصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا ﴾ - وهى الحنطة - ﴿ وَعَدَسِيهَا وَبَصَلِهَا ﴾ . قال : ﴿ أَنْتَبِدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِاللَّيِّ هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا ﴾ من الأمصار ، ﴿ فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ﴾^(٤) . فلما خرجوا من التيه رفع المن والسلوى ، وأكلوا البقول ، والتقى موسى وعاج فتزا موسى فى السماء عشرة أذرع ، وكانت عصاه عشرة أذرع ، وكان طوله عشرة أذرع ، فأصاب^(٥) كعب عاج فقتله .

٥٠١/١

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا مؤمل ، قال : حدثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن نوف ، قال : كان طول^(٥) عوج ثمانمائة ذراع ، وكان طول موسى عشرة أذرع ، وعصاه عشرة أذرع ، ثم وثب فى السماء عشرة أذرع ، فضرب عوجاً فأصاب كعبه فسقط ميتاً ، فكان جسراً للناس يمشون عليه .

حدثنا أبو كريب ، قال . حدثنا ابن عطية ، قال : أخبرنا قيس ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كانت عصا موسى عشرة أذرع ، ووثبته عشرة أذرع ، وطوله عشرة أذرع ، فأصاب كعب عوج فقتله ، فكان جسراً لأهل النيل . وقيل إن عوج عاش ثلاثة آلاف سنة .

(١) ن : « عليهم » .

(٢) سورة الأعراف ١٦٠ .

(٣) سورة البقرة ٦٠ ، ٦١ .

(٤) كذا فى ١ ، وفى ط : « وأصاب » .

(٥) فى ط : « سرير » ؛ والصواب ما أثبتته عن ١ .

ذكر وفاة موسى وهارون ابني عمران عليهما السلام

حدثنا موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال :
 حدثنا اسباط ، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ،
 عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود - وعن ناس من
 أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : ثم إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى موسى ،
 أني متوف هارون ، فأت به جبل كذا وكذا . فانطلق موسى وهارون نحو
 ذلك الجبل ، فإذا هما بشجرة لم ير مثلها ، وإذا هما بيت مبني ، وإذا هما
 فيه سرير عليه فرش ، وإذا فيه ربح طيبة ، فلما نظر هارون إلى ذلك الجبل
 والبيت وما فيه أعجبه ، فقال : يا موسى إني لأحب أن أنام على هذا السرير ،
 قال له موسى : فم عليه ، قال : إني أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب
 علي ، قال له موسى : لا تهرب أنا أكفيك رب هذا البيت فم ، قال :
 يا موسى بل نم معي ، فإن جاء رب البيت غضب عليّ وعليك جميعاً ، فلما
 ناما أخذ هارون الموت ، فلما وجد حسه قال : يا موسى خذ عتي ، فلما قبض
 رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة وُفِع السرير إلى السماء ، فلما رجع موسى
 إلى بني إسرائيل ، وليس معه هارون قالوا : فإن موسى قتل هارون وحسده لحب
 بني إسرائيل له ، وكان هارون أكف عنهم واليّن لهم من موسى ، وكان في موسى
 بعض الغلظة^(١) عليهم ، فلما بلغه ذلك قال لهم : وبحكم ! كان أخي ، أفتروني^(٢)
 أقتله ! فلما أكثروا عليه قام فصلتي ركعتين ثم دعا الله فنزل بالسرير حتى
 نظروا إليه بين السماء والأرض فصدّقه . ثم إن موسى بينما هو يمشي ويوشع
 فتاه إذا أقبلت ربح سوداء ، فلما نظر إليها يوشع ظن أنها الساعة والتزم موسى ،
 وقال : تنوم الساعة وأنا ملتزم موسى نبي الله ، فاستل موسى من تحت القميص
 وترك القميص في يد يوشع ، فلما جاء يوشع بالقميص أخذته بنو إسرائيل ،
 وقالوا : قتلت نبي الله ! قال : لا والله ما قتلته ، ولكنه استل مني ، فلم يصدّقه
 وأرادوا قتله . قال : فإذا لم تصدقوني فأخروني ثلاثة أيام ، فدعا الله فأتى كل

(٢) ط : « أدتروني » .

(١) ن : « الغلظة » .

رجل ممن كان يحرسه في المنام ، فأخبر أن يوشع لم يقتل موسى ، وأنا قد رفعناه إلينا ، فتركوه ولم يبق أحد ممن أبي أن يدخل قرية الجبّارين مع موسى إلا مات ، ولم يشهد الفتح .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان صفيّ الله قد كره الموت وأعظمه ، فلما كرهه أراد الله تعالى أن يجيب إليه الموت ويكرهه إليه الحياة ، فحوّلت^(١) النبوة إلى يوشع بن نون ، فكان يغدو عليه ويروح ، فيقول له موسى : يا نبيّ الله ، ما أحدث الله إليك ؟ فيقول له يوشع بن نون : يا نبيّ الله ، ألم أصحبك كذا وكذا سنة ، فهل كنت أسألك عن شيء مما أحدث الله إليك حتى تكون أنت الذي تبندى به وتذكره ؟ فلا يذكر له شيئاً ، فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت .

٥٠٤/١

قال ابن حميد : قال سلمة : قال ابن إسحاق : وكان صفيّ الله - فيما ذكر لي وهب بن منبه - إنما يستظلّ في عريش^(٢) ويأكل ويشرب في نقير من حَجَرٍ ؛ إذا أراد أن يشرب بعد أن أكل كرع كما تكرع الدابة في ذلك النقير ، تواضعاً لله حين أكرمه الله بما أكرمه به من كلامه .

قال وهب : فذكر لي أنه كان من أمر وفاته أن صفيّ الله خرج يوماً من عريشه ذلك لبعض حاجته^(٣) لا يعلم به أحدٌ من خلق الله ، فمرّ برهط من الملائكة يخفرون قبراً^(٤) فعرفهم وأقبل إليهم ، حتى وقف عليهم ، فإذا هم يحفرون قبراً لم ير شيئاً قطّ أحسن منه ، ولم ير مثل ما فيه من الحضرة والنصرة والبهجة ، فقال لهم : يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر ؟ قالوا : نحفره لعبد كريم على ربه ، قال : إن هذا العبد من الله ليمتزل ! ما رأيت كالاليوم مضجعاً^(٥) ولا مدخلا ! وذلك حين حضر من أمر الله ما حضر من قبضه ، فقالت له الملائكة : يا صفيّ الله ، أتحب أن يكون لك ؟ قال : وددت^(٦) قالوا : فانزل فاضطجع فيه ، وتوجه إلى ربك ، ثم تنفس أسهلّ تنفس تنفسته قطّ .

(١) ح ، ا : « فتحوّلت » . (٢) ح : « ظل عريش » .

(٣) كذا في جميع الأصول ؛ وفي ط : « حاجاته » تصرف من مصححه .

(٤) ح : « حفراً » . (٥) ن : « مضطجعاً » . (٦) ح : « وددته » .

فتزل فاضطجع فيه ، وتوجه إلى ربه ، ثم تنفس فقبض الله تعالى روحه ، ثم
سوّت عليه الملائكة ، وكان صنيّ الله زاهداً في الدنيا راغباً بما عند الله . ٥٠٥/١

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا مصعب بن المقدم ، عن حماد بن
سلمة ، عن عمار بن أبي عمار ، مولى بني هاشم ، عن أبي هريرة ، قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن ملك الموت كان يأتي الناس عياناً حتى أتى
موسى فلطمه ففقأ عينه ، قال : فرجع فقال : يا ربّ ، إن عبدك موسى
فقأ عيني ، ولولا كرامته عليك لشقت عليه ، فقال : ائت عبدى موسى ،
فقل له : فليضع كفه على متن ثور ، فله بكلّ شعرة وارت يدّه سنة ؛ وخيّرهُ
بين ذلك وبين أن يموت الآن ، قال : فأتاه فخيّرهُ ، فقال له موسى : فما بعد
ذلك ؟ قال : الموت ، قال : فالآن إذا ، قال : فشمة قبض روحه .
قال : فجاء بعد ذلك إلى الناس خُفية^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن أبي سنان الشيباني ، عن
أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : مات موسى وهارون جميعاً في
التيه ، مات هارون قبل موسى ، وكانا خرجا جميعاً في التيه إلى بعض الكهوف ،
فمات هارون ، فدفنه موسى ، وانصرف موسى إلى بني إسرائيل ، فقالوا : ما فعل
هارون ؟ قال : مات ، قالوا : كذبت ولكنك قتلته لحبنا إياه ، وكان محبباً
في بني إسرائيل ، فتصرّع موسى إلى ربّه ، وشكا ما لقي من بني إسرائيل ،
فأوحى الله إليه أن انطلق بهم إلى موضع قبره ، فإني باعته حتى يخبرهم أنه مات
موتاً ولم تقتله . قال : فانطلق بهم إلى قبر هارون ، فنادى : يا هارون ،
فخرج من قبره ينفض رأسه ، فقال : أنا قتلتك ؟ قال : لا والله ، ولكني
مت ، قال : فعُدّ إلى مضجعك ، وانصرفوا . ٥٠٦/١

فكان جميع مدة عمر موسى عليه السلام كلها مائة وعشرين سنة ،
عشرون من ذلك في ملك أفريدون ، ومائة منها في ملك مينو شهر ، وكان
ابتداء أمره من لدن بعثه الله نبياً إلى أن قبضه إليه في ملك مينو شهر .

(١) ط : « خفياً » ، وما أثبتته عن ا .

ذكر يوشع بن نون عليه السلام

ثم ابتعث الله عز وجل بعد موسى عليه السلام يوشع بن نون بن إفرايم ابن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم نبياً ، وأمره بالمسير إلى أريحا لحرب مَنْ فيها من الجبارين . فاختلف السلف من أهل العلم في ذلك ، وعلى يد مَنْ كان ذلك^(١) ؟ ومتى سار يوشع إليها ؟ في حياة موسى بن عمران كان مسيره إليها أم بعد وفاته ؟

• • •

فقال بعضهم : لم يسر يوشع إلى أريحا ، ولا أمر بالمسير إليها إلا بعد موت موسى ، وبعد هلاك جميع من كان أبي المسير إليها مع موسى بن عمران ، حين أمرهم الله تعالى بقتال مَنْ فيها من الجبارين ، وقالوا : مات موسى وهارون جميعاً في التيه قبل خروجهما منه .
• ذكر من قال ذلك :

حدثني عبد الكريم بن الهيثم ، قال : حدثنا إبراهيم بن بشار ، قال : حدثنا سفيان ، قال : قال أبو سعيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال الله تعالى : لما دعا موسى - يعني بدعائه قوله : ﴿ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ . قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ^(٢) . قال : فدخلوا التيه ، فكل^(٣) من دخل التيه ممن جاوز العشرين سنة مات في التيه ، قال : فمات موسى في التيه ، ومات هارون قبله . قال : ٥٠٧/١
فلبثوا في تيههم أربعين سنة ، وناهض يوشع بمن بقي معه مدينة الجبارين فافتتح يوشع المدينة^(٤) .

(٥) هذا العنوان لم يذكر إلا في ١ .

(١) ن : « على يد من فتح ذلك » . ح : « على يد من كان فتح ذلك » .

(٢) سورة المائدة ٢٥ ، ٢٦ .

(٣) س : « فكان » .

(٤) الخبر في التفسير ١٠ : ١٩٣ .

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيْع ، قال : حدثنا سعيد عن قتادة . قال : قال الله تعالى : ﴿ إِنهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ... ﴾ الآية ، حرمت عليهم القرى ، فكانوا لا يهبطون قرية ، ولا يقدرون على ذلك أربعين سنة . وذكر لنا أن موسى مات في الأربعين سنة ، ولم يدخل بيت المقدس منهم إلا أبناؤهم ، والرجلان اللذان قالوا ما قالوا .

حدثني موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في الخبر الذي ذكرت إسناده فيما مضى : لم يبق أحدٌ ممن أبي أن يدخل مدينة الجبارين مع موسى إلا مات ، ولم يشهد الفتح . ثم إن الله عز وجل لما انقضت الأربعون سنة بعث يوشع بن نون نبياً فأخبرهم أنه نبي وأن الله قد أمره أن يقاتل الجبارين ، فبايعوه^(١) وصدقوه ، فهزم الجبارين . واقتحموا عليهم ، فقتلهم^(٢) ، فكانت العصابة من بني إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضر بونها لا يقطعونها^(٣) .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا سليمان بن حرب ، عن هلال ، عن قتادة في قول الله تعالى : ﴿ فَإِنهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾ ، قال : أبداً .

حدثني المثني قال : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، عن هارون النحوي ، عن الزبير بن الحرّيت ، عن عكرمة في قوله : ﴿ فَإِنهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً بَيْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ ، قال : التحريم التّيبه .

• • •

وقال آخرون : إنما فتح أريحا موسى ، ولكن يوشع كان على مقدمة موسى حين سار إليهم .

• ذكر من قال ذلك :

(١) ح : « فتابعوه » .

(٢) ح ، س : « يقتلونهم » ، والتفسير : « يقتلونهم » .

(٣) الخبر في التفسير ١٠ ، ١٩٢ ، ١٩٣ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما نشأت النواشى من ذراريهم - يعنى مين ذوارى الدين أبوا قتال الجبارين مع موسى - وهلك آباؤهم ، وانقضت الأربعون سنة التى تبيتها فيها ، سار بهم موسى ومعه يوشع بن نون ، وكلاب بن يوفنة ، وكان فيما يزعمون على مريم ابنة عمران أخت موسى وهارون ، فكان لم صهراً ، فلما انتهوا إلى أرض كنعان ، وبها بلعم بن باعور العروف^(١) ، وكان رجلاً قد آتاه الله علماً ، وكان فيما أوتى من العلم اسم الله الأعظم - فيما يذكرون - الذى إذا دعى الله به أجاب ، وإذا سئل به أعطى .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن سالم أبي النضر ، أنه حدث أن موسى لما نزل أرض بني كنعان من أرض الشام ، وكان بلعم ببالة - قرية من قرى البلقاء - فلما نزل موسى ببني إسرائيل ذلك المنزل ، أتى قوم بلعم إلى بلعم ، فقالوا له : يا بلعم ، هذا موسى بن عمران فى بني إسرائيل قد جاء يخرجنا من بلادنا ، ويقتلنا ويحلها ببني إسرائيل ، ويسكنها ، وإنا قومك وليس لنا منزل ، وأنت رجل مجاب الدعوة ، فاخرج فادع الله عليهم ، فقال : ويلكم ! نبي الله معه الملائكة والمؤمنون ! كيف أذهب ٥٠٩/١ أدعو عليهم ، وأنا أعلم من الله ما أعلم ! قالوا : ما لنا من منزل ، فلم يزالوا به يرفقونه^(٢) ، ويتضرعون إليه حتى فتنوه ، فافتن فركب حمارة^(٣) له متوجهاً إلى الجبل الذى يطلعه على عسكر بني إسرائيل ، وهو جبل حُسبان ، فما سار عليها غير قليل ، حتى ربضت^(٤) به ، فنزل عنها فضربها حتى أذلقها فقامت فركبها ، فلم تسير به كثيراً حتى ربضت به ، ففعل بها مثل ذلك ، فقامت فركبها ، فلم تسر به كثيراً حتى ربضت به ، فضربها حتى إذا أذلقها أذن الله لها فكلمته حجة عليه ، فقالت : ويحك يا بلعم ! أين تذهب ! ألا ترى الملائكة أمامى تردنى عن وجهى هذا ! أتذهب إلى نبي الله والمؤمنين تدعو

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « المعروف » ، وفى ن : « العزوف » .

(٢) ط : « يرفقونه » ، وما أثبت من ا ، ح .

(٣) ا ، ح : « حمارة » . (٤) الربوض للدابة ، كالركوب للإبل .

عليهم ! فلم يتزع عنها يضربها ، فخلت الله سبيلها حين فعل بها ذلك ، فانطلقت حتى إذا أشرفت به على جبل حُسيبان^(١) ، على عسكر موسى، وبنى إسرائيل، جعل يدعو عليهم ، فلا يدعو عليهم بشيء إلاّ صرف الله لسانه إلى قومه ، ولا يدعو لقومه بخير إلاّ صرف لسانه إلى بني إسرائيل، فقال له قومه: أتدرى يا بلعم ما تصنع؟ إنما تدعو لهم ، وتدعو علينا ، قال : فهذا ما لا أملك، هذا شيء قد غلب الله عليه ، واندلع لسانه فوق على صدره، فقال لهم : قد ذهبت الآن مني الدنيا والآخرة ، فلم يبق إلاّ المكر والحيلة ، فسأمكر لكم وأحتال ، جتمّلوا النساء وأعطوهنّ السّلع ، ثم أرسلوهنّ إلى العسكر يبعنها فيه ، ومروهنّ فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها؛ فإنه إن زنى رجل واحد منهم كفيتموهم ، ففعلوا ، فلما دخل النساء العسكر مرّت امرأة من الكنعانيين اسمها كسى^(٢) ابنة صور - رأس أمته وبنى أبيه من كان منهم في مديّن ، هو كان كبيرهم - برجل من عظماء بني إسرائيل ، وهو زمري بن شلوم ، رأس سبط شمعون بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، فقام إليها فأخذ بيدها حين أعجبه جمالها ، ثم أقبل حتى وقف بها على موسى ، فقال : إني أظنك ستقول : هذه حرام عليك ! قال : أجل هي حرام عليك لا تقربنها ، قال : فوالله لا نطيعك في هذا ، ثم دخل بها قبته فوق عليها ، فأرسل الله الطاعون في بني إسرائيل . وكان فنحاص بن العيزار بن هارون صاحب أمر موسى ، وكان رجلاً قد أعطى بسطة في الخلق ، وقوة في البطش ، وكان غائباً حين صنع زمري بن شلوم ما صنع ، فجاء والطاعون يحوس في بني إسرائيل . فأخبر الخبر ، فأخذ حربته - وكانت من حديد كلتها - ثم دخل عليهما القبة وهما متضاجعان فانتظمهما بحربته ، ثم خرج بهما رافعهما^(٣) إلى السماء، والحربة قد أخذها بندراعه ، واعتمد بمرفقه على خاصرته ، وأسند الحربة إلى لحيته - وكان بيكر العيزار - فجعل يقول : اللهم هكذا تفعل بمنّ يعصيك ! ورفّع الطاعون فحسب منّ يهلك من بني إسرائيل في الطاعون - فيما بين أن أصاب زمري المرأة إلى أن قتله

٥١٠/١

٥١١/١

(١) ن : « على الجبل جبل حسيبان » .

(٢) كذا في ا ، س ، ن ، وفي ط : « كسى » ، ح : « كسى » .

(٣) كذا في ا ، ح ، ن ، وفي ط : « رافعاً » .

فنحاص - فوجدوا قدهلك منهم سبعون ألفاً ، والمقتل لهم يقول : عشرون ألفاً ، في ساعة من النهار ، فن هنالك تُعطى بنو إسرائيل ولد فنحاص بن العيزار بن هارون من كل ذبيحة ذبحوها القبّة والذراع واللّحى ، لاعتماده بالحربة على خاصرته ، وأخذه إياها بذراعه ، وإسناده إياها إلى لحيته ، والبكر من كل أموالهم وأنفسهم ، لأنه كان بكر العيزار ، ففى بلعم بن باعور ، أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ﴾ - يعنى بلعم بن باعور ، ﴿ فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ^(١) يعنى بنى إسرائيل ؛ أنى قد جنتهم بخبر ما كان فيهم مما يخفون عليك لعلهم يتفكرون فيعرفون أنه لم يأت ^(٢) بهذا الخبر عما مضى فيهم إلا نبي صيأتيه خبر من السماء .

ثم إن موسى قدّم يوشع بن نون إلى أريحا في بنى إسرائيل فدخلها بهم ، وقتل بها الجبابرة الذين كانوا فيها ، وأصاب من أصاب منهم ، وبقيت منهم بقية في اليوم الذى أصابهم فيه ، وجنح عليهم الليل ، وخشى إن لبسهم ^(٣) الليل أن يُعجزوه ، فاستوقف الشمس ، ودعا الله أن يحبسها ، ففعل عز وجل حتى استأصلهم ؛ ثم دخلها موسى بنى إسرائيل ، فأقام فيها ما شاء الله أن يقيم ، ثم قبضه الله إليه ، لا يعلم بقبوره أحد من الخلائق .

فأما السدى في الخبر الذى ذكرت عنه إسناده فيما مضى ؛ فإنه ذكر في خبره ذلك أن الذى قاتل ^(٤) الجبارين يوشع بن نون بعد موت موسى وهارون ، وقص من أمره وأمرهم ما أنا ذاكره ، وهو أنه ذكر فيه أن الله بعث يوشع نبيا بعد أن انقضت الأربعون سنة ، فدعا بنى إسرائيل فأخبرهم أنه نبي ، وأن الله قد أمره أن يقاتل الجبارين ، فبايعوه ^(٥) وصدقوه ، وانطلق رجل من بنى إسرائيل يقال له : بلعم - وكان عالماً ، يعلم الاسم الأعظم ^(٦) المكتوم - فكفر

(١) سورة الأعراف ١٧٥ ، ١٧٦

(٢) ن : « يأتهم » .

(٣) ن : « ليه » .

(٤) ن : « قتل » .

(٥) ن : « فتابعوه » .

(٦) ن : « اسم الله الأعظم » .

وأتى الجبارين ، فقال : لا ترهبوا بني إسرائيل ؛ فإنى إذا خرجتم تقاتلونهم أدعوا عليهم دعوة فيهلكون ، فكان عندهم فيما شاء من الدنيا ، غير أنه كان لا يستطيع أن يأتي النساء من عظمهن ، فكان ينكح أتناً له ، وهو الذى يقول الله عز وجل : ﴿ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا ﴾ أى فبصر ﴿ فَأَنْسَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَكِنَّهُ أُخِذَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ ﴾ ، فكان يلعم يلهث كما يلهث الكلب ، فخرج يوشع يقاتل الجبارين فى الناس ، وخرج يلعم مع الجبارين على أتانه ، وهو يريد أن يلعن بني إسرائيل ، فكلما أراد أن يدعوا على بني إسرائيل جاء على الجبارين ، فقال الجبارون : إنك إنما تدعوا علينا . فيقول (١) : إنما أردت بني إسرائيل ، فلما بلغ باب المدينة أخذ ملك بذيئ الأتان فأمسكها ، وجعل يحركها فلا تتحرك . فلما أكثر ضربها تكاثمت ، فقالت : أنت تنكحنى بالليل وتركبنى بالنهار ! ويا منك ! ولو أننى أطق الخروج لخرجت بك ، ولكن هذا الملك يحببى ، فقاتلهم يوشع يوم الجمعة قتالاً شديداً حتى أمسوا (٢) وغربت الشمس ، ودخل السبت . فدعا الله فقال للشمس : إنك فى طاعة الله وأنا فى طاعة الله ، اللهم اردد على الشمس ، فردت عليه الشمس . فزيد له فى النهار يومئذ ساعة ، فهزم الجبارين واقتحموا عليهم يقتلونهم ، فكانت العصابة من بني إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل (٣) يضربونها لا يقطعونها . وجمعوا غنائمهم ، وأمرهم يوشع أن يقرّبوا الغنيمة فقرّبوها . فلم تنزل النار (٤) تأكلها . فقال يوشع : يا بني إسرائيل إن الله عز وجل عندكم طيبة ، هلموا فبايعونى ، فبايعوه فلصقت (٥) يد رجل منهم بيده ، فقال : هلم ما عندك ! فأتاه برأس ثور من ذهب مكلّل بالياقوت والجوهر ، كان قد غلته ، فجعله فى القربان ، وجعل الرجل معه ، فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان .

(١) عن ا . ح ، س : « فتقول » .

(٢) ح : « حتى إذا أمسوا » .

(٣) ا ، ن : « رجل » .

(٤) ط : « تنزل » ، والصواب ما أثبتته من ا .

(٥) ن : « فالصقت » .

وأما أهلُ التوراة ؛ فإنهم يقولون : هلك هارون وموسى في التَّيِّه ، وإن الله أوحى إلى يوشع بعد موسى ، وأمره أن يعبر الأردنَ إلى الأرض التي أعطاها بني إسرائيل ، ووعدها إياهم ، وأن يوشع جَدَّ في ذلك ووجهه إلى أريحا من تعرف^(١) خبرها ، ثم سار ومعه تابوت الميثاق ، حتى عبَرَ الأردنَ ، وصار له ولأصحابه فيه طريق ، فأحاط بمدينة أريحا ستة أشهر ، فلما كان السابع نفخوا في القرون . وضجَّ الشعب ضججة واحدة ، فسقط سور المدينة فأباحوها وأحرقوها ، وما كان فيها ما خلا الذهب والفضة وآنية النحاس والحديد ، فإنهم أدخلوه بيت المال . ثم إن رجلاً من بني إسرائيل غلَّ شيئاً ، فغضب الله عليهم وانهزموا ، فجزع يوشع جزعاً شديداً ، فأوحى الله إلى يوشع أن يُقرع بين الأسباط ، ففعل حتى انتهت القرعة إلى الرجل الذي غلَّ ، فاستخرج غلُّه من بيته ، فرجمه يوشع وأحرق كلَّ ما كان له بالنار ، وسموا الموضع باسم صاحب الغلول ، وهو عاجر^(٢) ، فالموضع إلى هذا اليوم غور عاجر^(٣) . ثم نهض بهم يوشع إلى ملك عاي وشعبه ، فأرشدهم الله إلى حربه ، وأمر يوشع أن يكمن لهم كميناً ففعل : وغلب على عاي وصآب ملكها على خشبة . وأحرق المدينة وقتل من أهلها اثني عشر ألفاً من الرجال والنساء ، واحتال أهلُ عماق وجيعون^(٤) ليوشع حتى جعل لهم أماناً ، فلما ظهر على خديعتهم دعا الله عليهم أن يكونوا حطّابين وسقائين . فكانوا كذلك ، وأن يكون بازق^(٥) ملك أورشليم يتصدق . ثم أرسل ملوك الأرمانيين . وكانوا خمسة بعضهم إلى بعض ، وجمعوا كلمتهم^(٦) على جيعون ، فاستنجد أهل جيعون يوشع ، فأنجدهم وهزموا أولئك الملوك حتى حدّروهم إلى هبّطة حوران ، ورماهم الله بأحجار البرد ، فكان من قتلته لبرد أكثر من قتلته بنو إسرائيل بالسيف ، وسأل يوشع الشمس أن تقف والقمر أن يقوم حتى ينتقم من أعدائه قبل دخول السبت ، ففعل ذلك وهرب الخمسة ملوك فاختموا في غار ، فأمر يوشع فسُدَّ^(٦) بابُ الغار حتى فرغ من الانتقام

(٢) كذا في ١ ، ح ، وفي ، ط من غير نقط .

(١) ن : « يعرف » .

(٤) ح ، س : « بارق » ، ن : « يارق » .

(٣) كذا في ١ ، وفي ط ، « عماق جيعون » .

(٦) ط : « بسد » ، وما أثبتته عن ١ .

(٥) كذا في ١ ، وفي ط : « كلهم » .

من أعدائه ، ثم أمر بهم فأخرجوا ، قتلهم وصلبهم ثم أنزلهم من الحشب ، وطرحهم في الغار الذي كانوا فيه ، وتبع سائر الملوك بالشام ، فاستباح منهم أحداً وثلاثين ملكاً ، وفرق الأرض التي غلب عليها . ثم مات يوشع ، فلما مات دُفن في جبل أفرائيم ، وقام بعده سببطُ يهوذا وسبط شمعون بحرب الكنعانيين ، فاستباحوا حربهم ، وقتلوا منهم عشرة آلاف ببازق ، وأخذوا ملك بازق فقطعوا لإيهامسى يديه ورجليه ، فقال عند ذلك ملك بازق : قد كان يلتقط ^(١) الخبز من تحت مائدتي سبعون ملكاً مقطعي الأباهم ، فقد جزاني الله بصنيعي ^(٢) ، وأدخلوا ملك بازق أورشلیم ، فمات بها . وحارب بنو يهوذا سائر الكنعانيين واستولوا على أرضهم ، وكان عمر يوشع مائة سنة وستاً وعشرين سنة . وتدبيره أمر بني إسرائيل منذ توفي موسى إلى أن توفي يوشع بن نون سبعمائة وعشرين سنة .

١٦/١

• • •

وقد قيل إن أول من ملك من ملوك اليمن ، ملك كان لهم في عهد موسى بن عمران من حمير ، يقال له : شمير بن الأملول ، وهو الذي بنى مدينة ظفار باليمن ، وأخرج من كان بها من العماليق ، وإن شمير بن الأملول الحميري هذا كان من عمّال ملك الفرس يومئذ علي اليمن ونواحيها .

وزعم هشام بن محمد الكلبي أن بقية بقية من الكنعانيين بعد ما قتل يوشع من قتل منهم ، وأن إفريقيس بن قيس بن صيفي بن سبأ بن كعب ابن زيد بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان مرّ بهم متوجهاً إلى إفريقيّة ، فاحتملهم من سواحل الشام ، حتى أتى بهم إفريقيّة ، فافتحها وقتل ملكها جرجيرا ، وأسكنها البقية التي كانت بقيت من الكنعانيين الذين كان احتملهم معه من سواحل الشام . قال : فهم البرابرة ، قال : وإنما سموا بربراً ، لأن إفريقيس قال لهم : ما أكثر بربرتكم ! فسماوا لذلك بربراً ، وذكر أن إفريقيس قال في ذلك من أمرهم شعراً ، وهو قوله :

بربرت كنعان لما سقتها من أراضى الهلك للعيش العجب

قال : وأقام من حمير في البربر صنهاجة وكثامة ، فهم فيهم إلى اليوم .

(٢) ن : بصنيقي .

(١) ن : يلتقط .

ذكر أمر قارون بن يصهر بن قاهث

وكان قارون ابن عم موسى عليه السلام . حدثنا القاسم ، قال : حدثنا ١٧/١
الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله : ﴿ إِنَّ قَارُونَ
كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾^(١) ، قال : ابن عمه ، أخى أبيه . فإن^(٢) : قارون
ابن يصفر^(٣) - هكذا قال القاسم ، [وإنما هو يصهر]^(٤) - بن قاهث ،
وموسى بن عمر بن قاهث ، وعمر بالعربية عمران ؛ هكذا قال القاسم ،
وإنما هو عمرم .

وأما ابن إسحاق فإنه قال ما حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ،
عنه : تزوج يصهر بن قاهث سميت^(٥) ابنة تباويت^(٥) بن برشيا^(٦)
ابن يقسان بن إبراهيم . فولدت له عمران بن يصهر وقارون بن يصهر ،
فقارون - على ما قال ابن إسحاق - عم موسى أخو أبيه لأبيه وأمه .

وأما أهل العلم من سلف أمتنا ومن أهل الكتابين فعلى ما قال ابن جريج^(٧) .

* ذكر من حضرنا ذكره ممن قال ذلك من علمائنا الماضين :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا إسماعيل
ابن أبي خالد ، عن إبراهيم في قوله : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾ ، قال :
كان ابن عم موسى .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا عن سفيان ، عن
سماك بن حرب ، عن إبراهيم ، قال : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾ ،
كان قارون ابن عم موسى .

(١) سورة القصص ٧٦ (٢) في الأصول : « قال » ، والأوجه ما أثبتته من التفسير .

(٣) كذا في التفسير ، وفي الأصول : « يصد » . (٤) ح والتفسير ، « سميت » .

(٥) التفسير « بتاديت » . (٦) التفسير : « برشنا » .

(٧) الخبر في التفسير ٢٠ : ٦٧ (بولاق) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن سماك ، عن إبراهيم : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾ ، قال : كان ابن عمه فبغى عليه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد القطان ، عن سماك بن حرب ، عن إبراهيم ، قال : كان قارون ابن عم موسى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبو معاوية ، عن ابن أبي خالد ، عن إبراهيم ، قال : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾ ، قال : كان ابن عمه .

حدثنا بشر بن معاذ قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾ ، كنا نحدث أنه كان ابن عمه أخى أبيه ، وكان يسمى المنور من حسن صورته^(١) في التوراة ، ولكن عدو الله نافع كما نافع السامري ، فأهلكه البغي .

حدثني بشر بن هلال الصواف ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي ، عن مالك بن دينار ، قال : بلغني أن موسى بن عمران كان ابن عم قارون ، وكان الله قد آتاه مالا كثيرا ، كما وصفه الله عز وجل ، فقال : ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنْ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْمُضْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ ﴾ ، يعني بقوله : ﴿ تَنُوءَ ﴾ تثقل .

وذكر أن مفاتيح خزائنه كانت كالذي حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن منصور ، عن خيشمة في قوله : ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْمُضْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ ﴾ قال : نجد مكتوبا في الإنجيل : مفاتيح قارون وقرستين بغلاغرا محجلة ، ما يزيد مفتاح . نها على إصبع ؛ لكل مفتاح منها كثر .

حدثني أبو حريز ، قال : حدثنا هشيم^(٢) ، قال : أخبرنا إسماعيل بن

(١) ن « صوته » . (٢) في ط : « هشام » ؛ والصواب من التفسير ، وهو هشيم بن بشير بن القاسم ؛ ذكره ابن حجر فيمن أخذ عن إسماعيل بن سالم . وانظر تهذيب التهذيب ١١ : ٥٩ .

سالم، عن أبي صالح: ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ﴾، قال: كانت مفاتيح خزائنه تحمّل على أربعين بغلاً^(١).

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا جابر بن نوح، قال: أخبرنا الأعمش عن خيثة، قال: كانت مفاتيح قارون تحمّل على ستين بغلاً، كل مفتاح منها لباب كثر معلوم، مثل الإصبع، من جلود.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن الأعمش، عن خيثة، قال: كانت مفاتيح قارون من جلود، كل مفتاح مثل الإصبع، كل مفتاح على خزانة على حدة، فإذا ركب حُمِلت المفاتيح على ستين بغلاً أغرّ نحجل. فبغى عدو الله لما أراد الله به من الشقاء والبلاء على قومه بكثرة^(٢) ماله.

وقيل إن بغيه عليهم كان بأن زاد عليهم في الثياب شبراً. كذلك^(٣) حدثني علي بن سعيد الكندي وأبو السائب وابن وكيع، قالوا: حدثنا حفص ابن غياث، عن ليث، عن شهر بن حوشب.

فوعظه قومه على ما كان من بغيه ونهوه عنه، وأمره بإنفاق ما أعطاه الله في سبيله والعمل فيه بطاعته، كما أخبر الله عز وجل عنهم أنهم قالوا له فقال: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَلْسُ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾^(٤). وعنى بقوله: ﴿ وَلَا تَلْسُ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾: لا تنس في دنياك أن تأخذ نصيبك^(٥) فيها لآخرتك، فكان جوابه إياهم جهلاً منه، واغتراراً بحلم الله عنه، ما ذكر الله تعالى في كتابه أن قال لهم: إنما أوتيت ما أوتيت من هذه الدنيا على علم عندي فقيل: معنى ذلك: على خير عندي، كذلك روى ذلك عن قتادة.

وقال غيره: عني بذلك: لولا رضا الله عني ومعرفة بفضلي ما أعطاني

(١) الخبر في التفسير ٢٠ : ٦٨ (بولاقي).

(٢) س : « لكثرة » .

(٣) ١ : « كالذي » . (٤) سورة القصص ٧٦، ٧٧ . (٥) ح : « بنصيبك » .

هذا ، قال الله عز وجل مكذباً قبله : ﴿ أَوْلَمْ يَمْلِكْ أَنْ يَقُولَ أَفْعَىٰ لِقَوْمِهِ قَدِ أَهْلَكْتُم مِّن قَبْلِهِ مِثْلَ بَعْضِ الْأَمْوَالِ ﴾ (١) الأموال. ولو كان الله إنما يعطي الأموال والدنيا ممن يعطيه إياها لرضاه عنه ، وفضله عنده ، لم يهلك من أهلكت من أرباب الأموال الكثيرة قبله ، مع كثرة ما كان أعطاهم منها ، فلم يردعه عن جهله ، وبغيه على قومه بكثرة ماله عظة من وعظه ، وتذكير من ذكره بالله ونصيحته إياه ؛ ولكنه تمادى في غيه وخسارته ، حتى خرج على قومه في زينته راكباً برذوناً أبيض مسرجاً بسرج الأرجوان ، قد لبس ثياباً معصفرة ، قد حمل معه من الجوارى بمثل هيئته وزينته على مثل برذونه ثلثمائة جاربية وأربعة آلاف من أصحابه .

وقال بعضهم : كان الذين حملهم على مثل هيئته وزينته من أصحابه سبعين ألفاً .

٥٢١/١

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد : ﴿ فخرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ ، قال : على برازين بيض ، عليها سروج الأرجوان ، عليهم (٢) المعصفرة (٣) . فتمنى أهل الخسار من الذين خرج عليهم في زينته مثل الذي أوتيه ، فقالوا : ﴿ يَا أَيَّتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (٤) ، فأنكر ذلك من قوله عليهم أهل العلم بالله فقالوا لهم : ويحكم أيها المتمنون مثل ما أوتى قارون ! اتقوا الله ، واعملوا بما أمركم الله به ، وانتهوا عما نهاكم عنه ، فإن ثواب الله وجزاءه أهل طاعته خير لمن آمن به وبرسوله ، وعمل بما أمره به من صالح الأعمال ، يقول الله : ﴿ وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ (٥) ، يقول : لا يلتقى مثل هذه الكلمة إلا الذين صبروا عن طلب زينة الحياة الدنيا ، وآثروا جزيل ثواب الله على صالح الأعمال على لذات الدنيا وشهواتها ، فعملوا له بما يوجب لهم ذلك .

• • •

(٢) ن : « وعليهم » .

(١) سورة القصص ٧٨

(٣) في التفسير ٢٠ : ٧٣ (بولاق) : « المصفرات » . (٤) سورة القصص ٧٩ ، ٨٠ .

فلما عتا الخبيث وتمادى في غيبه، وبطر نعمة ربه ابتلاه الله عز وجل من
الفريضة في ماله والحق الذي ألزمه فيه ما ساق إليه شحته به أليم عقابه، وصار
به عبرة للغابرين^(١) وعظة للباقيين.

فحدثنا أبو كريب، قال: حدثنا جابر بن نوح، قال: أخبرنا
الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس،
قال: لما نزلت الزكاة أتى قارون موسى فصالحه عن كل ألف دينار ديناراً،
وعلى كل ألف درهم درهماً، وعلى كل ألف شيء شيئاً، أو قال: وكل
ألف شاه شاة - قال أبو جعفر الطبري: أنا أشد - قال: ثم أتى بيته فحسبه
فوجده كثيراً فجمع بنى إسرائيل، فقال: يا بنى إسرائيل، إن موسى قد أمركم
بكل شيء فأطعموه، وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم. فقالوا له: أنت كبيرنا
وسيدنا، فرنا بما شئت، فقال: أمركم أن تَجِيثُوا بفلانة البغي فتجعلوا لها
جُعلاً فتقذفه بنفسها. فدعوها فجعلوا لها جُعلاً على أن تقذفه بنفسها، ثم أتى
موسى فقال^(٢): إن قومك قد اجتمعوا لتأمرهم وتنهامهم^(٣)، فخرج إليهم
وهم في براح من الأرض، فقال: يا بنى إسرائيل، مَنْ سرق قطعنا يده،
ومن افترى جلدناه ثمانين، ومن زنا وليس له امرأة جلدناه مائة، ومن زنا وله
امرأة جلدناه حتى يموت - أو قال: رجمناه^(٤) حتى يموت - قال أبو جعفر
أنا أشك - فقال له قارون: وإن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا. قال:
وإن بنى إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة، فقال: ادعوها، فإن قالت فهو
كما قالت، فلما أن جاءت قال لها موسى: يا فلانة، قالت: لبيك! قال:
أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء؟ قالت: لا، وكذبوا^(٥)، ولكن جعلوا لي جُعلاً على أن
أقذفك بنفسى، فوثب فسجد وهو بينهم، فأوحى إليه: مَرُّ الأَرْضِ بما شئت،
قال: يا أرض خنيتهم، فأخنتهم إلى أقدامهم، ثم قال: يا أرض خنيتهم
فأخنتهم إلى ركبهم، ثم قال: يا أرض خنيتهم، فأخنتهم إلى أعناقهم،

(١) س: «الغابرين» . ن: «المعتبرين» .

(٢) كذا في ١، وفي ط والتفسير: «فقال لموسى» .

(٣) ١، ح، ن، والتفسير: «ولتنهامهم» . (٤) وكذا في ١، وفي ط «أو رجمناه» .

(٥) كذا في ١ والتفسير: وفي ط: «لا، كذبوا» .

قال : فجعلوا يقولون : يا موسى ، وبتضرعون إليه ، قال : يا أرض خذهم ، فأطبقت عليهم . فأوحى الله إليه : [يا موسى] ^(١) يقول لك عبادي : يا موسى يا موسى ، فلا ترحمهم ، أما لو إياي دعوا لوجدوني قريباً مجيباً ، قال : فذلك قوله : ﴿ فمَخْرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ ، وكانت زينته أنه خرج على دواب شقراً عليها ^(٢) سروج أرجوان ، عليها ثياب مصبغة بالبهرمان ، : ﴿ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا آيَّتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ . يا محمد ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْمَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٣) .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن رجل ، عن ابن عباس بنحوه ، وزادني فيه : قال : فأصاب بنى إسرائيل بعد ذلك شدة وجوع شديد ، فأتوا موسى فقالوا : ادع لنا ربك ، قال : فدعا لهم فأوحى الله إليه : يا موسى ، أتكلمني في قوم قد أظلم ما بيني وبينهم من خطاياهم ، وقد دعوك فلم تجبهم ^(٤) ، أمالو إياي دعوا لأجبتهم ^(٥) .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا علي بن هاشم ابن البريد ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾ ، قال : كان ابن عمه ، وكان موسى يقضى في ناحية بنى إسرائيل وقارون في ناحية ، قال : فدعا بغية كانت في بنى إسرائيل ، فجعل لها جعلاً على أن ترمى موسى بنفسها ، فتركه ، حتى إذا كان يوم يجتمع فيه بنو إسرائيل إلى موسى أتاه قارون فقال : يا موسى ، ما حدث من سرق ؟ قال : أن تقطع يده ، قال : فإن كنت أنت ؟ قال نعم ، قال : فما حدث من زنا ؟ قال : أن يرجم ، قال : وإن كنت أنت ؟ قال : نعم ،

(١) تكملة من التفسير . (٢) ن : « عليهن » .

(٣) سورة القصص : ٧٩-٨٢ ، والخبر في التفسير ٢٠ : ٧٤ (بولاق) .

(٤) ح : « وقد دعوا غيري ولم يجبه » . (٥) الخبر في التفسير ٢٠ : ٧٥ (بولاق) .

قال: فإنك قد فعلت ، قال: ويحك ! بمن ؟ قال: بفلانة ، فدعاها موسى فقال :
 أنشدك بالذي أنزل التوراة ، أصدّق قارون ؟ قالت : اللهم إذ نشدتني ،
 فإني أشهد أنك برىء ، وأنتك رسولُ الله ، وأن عدوّ الله قارون جعل لي
 جُعلًا على أن أرميك بنفسي ، قال : فوثب موسى فخرّ ساجدًا ، فأوحى
 الله إليه أن ارفع رأسك فقد أمرت الأرض أن تطيعك ، فقال موسى : خذنيهم ،
 فأخذتهم حتى بلغوا الحقنوّ ، قال : يا موسى ، قال : خذنيهم فأخذتهم حتى
 بلغوا الصدور ، قال : يا موسى ، قال : خذنيهم ، قال : فذهبوا ، قال :
 فأوحى الله إليه : يا موسى ، استغاث بك فلم تُغثه ، أموالو استغاث بي ، لأجبتُه
 ولأغثته (١) .

حدثنا بشر بن هلال الصّواف ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان الضبيعي ،
 قال : حدثنا علي بن زيد بن جدعان ، قال : خرج عبد الله بن الحارث من
 الدار ، ودخل المقصورة فلما خرج منها جلس وتساند عليها (٢) وجلسنا إليه ، فذكر
 سليمان بن داود و ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي
 مُسْلِمِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ (٣) . قال : ثم سكت عن حديث
 سليمان ، فقال : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ﴾ ، وكان قد
 أوتي من الكنوز ما ذكره الله في كتابه : ﴿ مَا إِنْ مَفَاتِحُهُ لِنَمُو بِالْعِصْبَةِ أُولِي
 الْقُوَّةِ ﴾ (٤) . فقال : إنما أوتيته على علم عندي . قال : وعاد موسى وكان مؤذياً
 له ، فكان موسى يصفح عنه ، ويعفو للقرابة حتى بنى داراً ، وجعل بابَ
 داره من ذهب ، وضرب على جدر داره صفائح الذهب ، وكان الملا من
 بني إسرائيل يغدون عليه ويروحون ، فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضحكونه ،
 فلم تدعه شقوته والبلاء حتى أرسل إلى امرأة من بني إسرائيل مشهورة بالخنا
 مشهورة بالسب ، فجاءت قال لها : هلك أن أموالك وأعطيتك وأخاطبتك

(١) الخبر في التفسير ٢٠ : ٧٥ (بولاق) .

(٢) ١ : « واستند إليها » .

(٣) سورة النمل ٣٨ - ٤٠ .

(٤) سورة القصص ٧٦ .

بنسائي، على أن تأتيني والملا من بني إسرائيل عندي فتقول: يا قارون ألا تنهى
عني موسى! قالت: بلى، فلما جلس قارون، وجاءه الملا من بني إسرائيل
أرسل إليها فجاءت، فقامت بين يديه، فقلب الله قلبها، وأحدث لها توبة،
فقلت في نفسي: لا أجد اليوم توبة أفضل من ألا أؤذي رسول الله وأعذب
عدو الله، فقالت: إن قارون قال لي: هل لك أن^(١) أمولك وأعطيكَ وأخليطك
بنسائي على أن تأتيني والملا من بني إسرائيل عندي، فتقول: يا قارون ألا تنهى
عني موسى! فلم أجد توبة أفضل من ألا أؤذي رسول الله، وأعذب عدو
الله. فلما تكلمت بهذا الكلام سقط في يدي قارون، ونكس رأسه، وسكت
عن الملا، وعرف أنه قد وقع في هلكة، فشاع كلامها في الناس، حتى بلغ
موسى، فلما بلغ موسى اشتد غضبه فتوضأ من الماء وصلى وبكى، وقال:
يا رب عدوك لي مؤذٍ، أراد فضيحتي وشيئتي، يا رب سلطني عليه. فأوحى
الله إليه أن مر الأرض بما شئت تطعك، فجاء موسى إلى قارون، فلما دخل
عليه عرف الشر في وجه موسى له، فقال له: يا موسى ارحمني، قال: يا أرض
خذيمهم. قال: فاضطربت داره، وساخت بقارون وأصحابه إلى الكعبين،
وجعل يقول: يا موسى ارحمني. قال: يا أرض خذيمهم، فاضطربت داره^(٢)
وساخت. وخسف بقارون وأصحابه إلى ركبهم وهو يتضرع إلى موسى:
يا موسى، ارحمني! قال: يا أرض خذيمهم، فاضطربت داره، وساخت
وخسف بقارون وأصحابه^(٣) إلى سرهم، وهو يتضرع إلى موسى: يا موسى،
ارحمني! قال: يا أرض خذيمهم، فخسف به وبداره وأصحابه، قال:
وقيل لموسى: يا موسى، ما أفظك، أما وعزتي لو إياي نادى لأجبتُه^(٤)!

٥٢٦/١

حدثنا بشر بن هلال، قال: حدثنا جعفر بن سليمان، عن أبي عمران
الجوني، قال: بلغني أنه قيل لموسى: لا أعبدُ الأرض لأحد بعدك أبداً.

٥٢١/١

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد عن قتادة، ﴿فَخَسَفْنَا

(١) ح: والتفسير «هل لك في» . (٢) ن: «أرضه» .

(٣) ح: «وساخت بقارون وخسف به وأصحابه» .

(٤) الخبر في التفسير ٢٠ : ٧٥ ، ٧٦ (بولاق) .

بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴿٤٥﴾ ، ذَكَرْنَا أَنَّهُ يَخْشَفُ بِهِ كُلَّ يَوْمٍ قَامَةً ، وَأَنَّهُ يَتَجَلَّجَلُ فِيهَا لَا يَبْلُغُ قَعْرَهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

” . . . ”

قال أبو جعفر : فلما نزلت نعمة الله بقارون حميد الله على ما أنعم به عليهم المؤمنون الذين وعظوه وأنذروه بأمر الله ، ونصحوا له من المعرفة بحقته والعمل بطاعته ، وندم الذين كانوا يتمنون ما هو فيه من كثرة المال . والسعة في العيش على أمنيته . وعرفوا خطأ أنفسهم في أمنيتهما ، فقالوا ما أخبر الله عز وجل عنهم في كتابه : ﴿ وَيَسْكَانُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَآ أَنْ مَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ (١) . فصرف عنا ما ابتلى به قارون وأصحابه مما كنا نتمناه بالأمس نحسب بنا كما خسف به وبهم . فنجى الله تعالى من كل هول وبلاء نبيه موسى والمؤمنين به المتمسكين بعهده من بني إسرائيل ، وفتاه يوشع بن نون المتبعين له بطاعتهم ربهم ، وأهلك أعداءه وأعداءهم : فرعون وهامان وقارون والكنعانيين بكفرهم وتمردهم عليه وعتوهم ، بالفرق بعضاً ، وبالخسف بعضاً ، وبالسيف بعضاً ، وجعلهم عبراً لمن اعتبر بهم ، وعظة لمن اتعظ بهم ، مع كثرة أموالم وكثرة عدد جنودهم ، وشدة بطشهم . وعظم (٢) خلقهم وأجسامهم ، ٤٢٨/١ فلم تغن [عنهم] (٣) أموالم ولا أجسامهم ولا قواهم ولا جنودهم وأنصارهم عنهم من الله شيئاً ، إذ كانوا يجحدون بآيات الله ، ويسعون في الأرض فساداً ، ويتخذون عباد الله لأنفسهم خوفاً ، وحقاق بهم ما كانوا منه آمنين ، نعوذ بالله من عمل يقرب من سخفته ، ونرغب إليه في التوفيق لما يدنى من محبته ، وبزلف إلى رحمته !

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ما حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدثنا عمي ، قال : حدثني الماضي بن محمد ، عن أبي سليمان ، عن القاسم بن محمد ، عن أبي إدريس الخولاني . عن أبي ذر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول أنبياء بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى » .

(١) سورة القصص : ٨٢ . (٢) ح : « عظيم » . (٣) من ١ .

قال : قلت : يا رسولَ الله ، ما كان في صحف موسى ؟ قال : كانت عِبْرًا
 كَلَّمَهَا ، عَجِبْتَ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالنَّارِ ثُمَّ يَضْحَكُ ، عَجِبْتَ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْمَوْتِ ثُمَّ
 يَفْرَحُ ، عَجِبْتَ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْحِسَابِ غَدًا ثُمَّ لَمْ يَعْمَلْ !

وكان تدبير يوشع أمر بني إسرائيل من لدن مات موسى ، إلى أن توفى
 يوشع ، كله في زمان منو شهر عشرين سنة ، وفي زمان فراسياب سبع سنين .

• • •

ونرجع الآن إلى :

•

إذ كان التاريخ إنما تدرك صحته على سياق مدة^(١) أعمار ملوكهم .
ولما هلك منوشهر الملك بن منشخورنر^(٢)، قهر فراسياب^(٣) بن فشنج
ابن رستم بن ترك على خنيارث^(٤) ومملكة أهل فارس، وصار - فيما قيل -
إلى أرض بابل، فكان يكثر المقام ببابل وبمهرجان قذق، فأكثر الفساد
في مملكة أهل فارس .

وقيل : إنه قال حين غلب على مملكتهم : نحن مسرعون في إهلاك البرية ،
وإنه عظم جوره وظلمه ، وخرّب ما كان عامراً من بلاد خنيارث ، ودفن الأنهار
والقنى ، وقحط الناس في سنة خمس من ملكه ، إلى أن خرج عن مملكة أهل
فارس ، وردّ إلى بلاد الترك ، فغارت المياه في تلك السنين ، وحالت الأشجار
المثمرة .

ولم يزل الناس منه في أعظم البلية ، إلى أن ظهر زو بن طهما سب
وقد يلتفظ باسم « زو » بغير ذلك فيقول بعضهم : زاب بن طهما سنان ،
ويقول بعضهم : زاغ ، ويقول^(٥) بعضهم : راسب بن طهما سب بن كانجو بن
زاب^(٦) بن أرفس^(٧) بن هراسف بن ونديج^(٨) بن أريج^(٩) بن نوذ وجوش^(١٠) ٥٣٠/١
ابن منسوا^(١١) - بن نوذر بن منوشهر .

وأم زو مادول ابنة وامن بن واذرجا بن قود^(٩) بن سلّم بن أفريدون .
وقيل : إن منوشهر كان وجد في أيام ملكه على طهما سب بسبب جنابة
جناها ، وهو مقيم في حدود الترك لحرب فراسياب ، فأراد منوشهر قتله
بسبب ذلك ، فكلّمه في الصّفح عنه عظماء أهل مملكته . وكان من عدد

(١) س : « مدد » . (٢) ا : « منشجور » .

(٣) كذا في ا ، وفي ط : « فراسيات » . (٤) ا ، ن : « خنيارث » .

(٥) ط : « ويقال » ، وما أثبتته من ا .

(٦) ا : « زابن » ، س : « راد » ، ح ، ن : « زاق » .

(٧) ا : « أوفس » . (٨) كذا في ا . (٩) ا : « نوذ » ، ن : « نوذ » .

مُنوشهر - فيما ذكر - أنه قد كان يسوى بين الشريف والوضيع ، والقريب والبعيد في العقوبة ، إذا استوجبها بعض رعيته على ذنب أتاه - فأبى إجابتهم إلى ما سألوه من ذلك ، وقال لهم : هذا في الدين وهن ، ولكنكم إذ أبيتم عليّ ، فإنه لا يسكن في شيء من مملكتي ، ولا يُقيم به ، فنفاه عن مملكته ٥٣١/١ فشخص إلى بلاد الترك ، فوقع إلى ناحية وامن ، فاحتال لابنته وهي محبوسة في قصر من أجل أن المنجمين كانوا ذكروا لوامين أبيها أنها تلد ولداً يقتله ، حتى أخرجها من القصر الذي كانت محبوسة فيه ، بعد أن حملت منه بزوا .

ثم إن منوشهر أذن لظهماسب بعد أن انقضت أيام عقوبته في العود إلى خينارث مملكة فارس ، فأخرج مادول ابنة وامن بالحيلة منها ومنه في إخراجها من قصرها من بلاد الترك إلى مملكة أهل فارس ، فولدت له زوا بعد العود إلى بلاد إيرانكرد^(١) ،

ثم إن زوا - فيما ذكر - قتل جدّه ، وأمن في بعض مغازيه الترك ، وطرد فراسياب عن مملكة أهل فارس : حتى رده إلى الترك بعد حروب جرت بينه وبينه وقتال : فكانت غلبة فراسياب أهل فارس على إقليم بابل اثنتي عشرة سنة ، من لدن توفى منوشهر إلى أن طرده عنه ، وأخرجه زوا بن ظهماسب إلى تركستان .

وذكر أن طرد زوا فراسياب عما كان عليه من مملكة أهل فارس في روزآبان من شهر آبانماه ، فانخذ العجم هذا اليوم عيداً لما رفع عنهم فيه من شر فراسياب وعسفه وجعلوه الثالث من أعيادهم النوروز والمهرجان .

وكان زوا محموداً في ملكه ، محسناً إلى رعيته ، فأمر بإصلاح ما كان فراسياب ٥٣٢/١ أفسد من بلاد خينارث ، ومملكة بابل وبناء ما كان هُدم من حصون ذلك ، ونشّل^(٢) ما كان طم^(٣) وغور من الأنهار والقنى . وكرى ما كان اندفن من المياه حتى أعاد كل ذلك - فيما ذكر - إلى أحسن ما كان [عليه]^(٤) ، ووضع

(١) كذا في ط ، وفي ا : « إيكرا نكرد » . (٢) أي أخرج ما فيها من تراب .

(٣) طم : دتن ؛ وفي ا : « طمرا ؛ رعى بمعناها . (٤) من ا .

عن الناس الحراج سبع سنين ، ودفعه^(١) عنهم ، فعمرت بلاد فارس في ملكه ، وكثرت المياه فيها ، ودرت معايش أهلها ، واستخرج بالسواد نهراً وسماه الزاب ، وأمر فبنيت على حافته مدينة وهي التي تسمى المدينة العتيقة ، وكورها كورة ، وسماها الزوابي ، وجعل لها ثلاثة طَسَوجٍ : منها طَسَوج^(٢) الزاب الأعلى ، ومنها طَسَوج الزاب الأوسط ، ومنها طَسَوج الزاب الأسفل ؛ وأمر بحمل بزور^(٣) الرياحين من الجبال إليها وأصول الأشجار ، وبذر ما يبذر من ذلك ، وغرس ما يغرس منه ، وكان أول من اتخذ له ألوان الطبخ وأمر بها وبأصناف الأطعمة ، وأعطى جنوده مما غنم من الخيل والركاب ، مما أوجف عليه من أموال الترك وغيرهم . وقال يوم ملك وعقد التاج على رأسه : نحن متقدمون في عمارة ما أحر به الساحر فراسياب .

وكان له كرشاسب بن أثرط^(٤) بن سهم بن نريمان بن طورك بن شيراسب^(٥) بن أروشسب بن طوج بن أفريدون الملك .

وقد نسبه بعض نسابي الفرس غير هذا النسب فيقول : هو كرشاسف ٥٣٣/٤ بن أشناس^(٦) بن طهموس بن أشك بن ترس^(٧) بن زحر^(٨) بن دودسرو^(٩) بن مینوشهَر الملك - مؤازراً له على ملكه .

ويقول بعضهم : كان زو وكرشاسب مشتركين في الملك ، والمعروف من أمرهما أن الملك كان لزو بن طهماسب وأن كرشاسب كان له مؤازراً و[له]^(١٠) معيناً .

(١) كذا في ا ، وفي ط : « ورفعه » .

(٢) الطسوج هنا : الناحية ، فارسي معرب .

(٣) البزور : كل حب يبذر للنبات ؛ وجمعه بزور .

(٤) ا : « أثوط » ، ح ، ن : « أنوط » .

(٥) ا ، س : « سراسب » .

(٦) كذا في ا ، ح ، وفي س : « أستاس » .

(٧) كذا في ا ، ن ، وفي ح : « نوس » ، وفي ط مهمل .

(٨) كذا في ط ، وفي ح ، س : زحر « ، ، وفي ن : « زجر » ،

(٩) في ا ، ح ، ن ، وفي س : « رودسرو » وفي ط : « دوزسرو » .

(١٠) تكلمة من ا .

وكان كرشاسب عظيم الشأن في أهل فارس ، غير أنه لم يملك ، فكان جميع ملك زو إلى أن انقضى ومات - فيما قيل - ثلاث سنين .

• • •

ثم ملك بعد زو كيقباز ، وهو كيقباز بن زاغ بن نوحياه^(١) بن منشو^(٢) بن نوذر بن مینوشيهنر . وكان متزوجاً بفرتك^(٣) ابنة تدرسا^(٤) التركي ، وكان تدرسا من رعوس الأتراك وعظماهم ، فولدت له كى إفته ، وكى كاوس ، وكى أرش^(٥) ، وكىبه أرش ، وكيفاشين وكيبية ، وهؤلاء الملوك الجبابرة وآباء الملوك الجبابرة .

٥٣٤/١

وقيل إن كيقباز قال يوم ملك وعقد التاج على رأسه : نحن مدوآخون بلاد الترك ومجتهدون في إصلاح بلادنا ، حدبون عليها ، وأنه قدر مياه الأنهار والعيون لشرب الأرضين ، وسمى البلاد بأسمائها ، وحدها بحدودها ، وكور الكور ، وبين حير كل كورة منها وحریمها ، وأمر الناس باتخاذ الأرض ، وأخذ العشر من غلاتها لأرزاق الجند ، وكان - فيما ذكر - كيقباز يشبه في حرصه على العمارة ، ومنعه البلاد من العدو ، وتكبيره في نفسه بفرعون .

٥٣٥/١

وقيل إن الملوك الكيبية وأولادهم من نسله ، وجرت بينه وبين الترك وغيرهم حروب كثيرة ، وكان مقبلاً في حد ما بين مملكة الفرس والترك بالقرب من نهر بلخ ، لمنع الترك من تطرق شيء من حدود فارس ، وكان ملكه مائة سنة ، والله أعلم .

• • •

ونرجع الآن إلى :

(١) كذا في أ ، ن . (٢) كذا في أ ، وفي س : « مشر »
 (٣) كذا في أ ، وفي ح ، س : « بفرتك » ، وفي ن : « بفريك » ، وفي ط مهمله .
 (٤) كذا في أ ، ن . وفي س : « تدرشيا » ، وفي ط مهمله .
 (٥) س ، ن : « كى إرس » .

ذكر أمر بني إسرائيل والقوام الذين كانوا بأمرهم بعد يوشع
ابن نون والأحداث التي كانت في عهد زو وكينقباد

ولا خلاف بين أهل العلم بأخبار الماضين وأمور الأمم السالفة من أمتنا
وغيرهم أن القيم بأمر بني إسرائيل بعد يوشع كان كالب بن يوفنا ، ثم
حزقيل بن بوذي^(١) من بعده ، وهو الذي يقال له ابن العجوز .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : إنما
سمى حزقيل^(٢) بن بوذي ابن العجوز ؛ أنها سألت الله الولد ، وقد كبرت وعتمت ،
فوهبه الله لها ، فبذلك قيل له : ابن العجوز ؛ وهو الذي دعا لتقوم الدين ذكر
الله في الكتاب عليه السلام كما بلغنا : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا
مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾^(٣) .

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم
قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ؛ أنه سمع وهب بن منبه يقول : أصاب
ناساً من بني إسرائيل بلاءٌ وشدة من الزمان ، فشكوا ما أصابهم فقالوا : يا ليتنا
قدمتنا فاسترحنا مما نحن فيه ! فأوحى الله إلى حزقيل : إن قومك صاحوا
من البلاء ، وزعموا أنهم ودوا لو ماتوا فاستراحوا ، وأى راحة لهم في الموت !
أيظنون أني لا أقدر على أن أبعثهم بعد الموت ! فانطلق إلى جبانة كذا كذا
فإن فيها أربعة آلاف — قال وهب : وهم الذين قال الله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ — ٥٣٦/١
فقم فيهم فنادهم ، وكانت عظامهم قد تفرقت ، فرقتها الطير والسباع ،
فنادها حزقيل ، فقال : يا أيُّها العظامُ النخيرة . إن الله عز وجل

(١) ، والتفسير : « بوذي » ، وكذلك حيث ورد فيها يلى .

(٢) حزقيل ، بكسر الحاء ؛ ضبطه صاحب القاموس .

(٣) سورة البقرة ٢٤٣ .

بأمرك أن تجتمعي . فاجتمع عظام كل إنسان منهم معاً ، ثم نادى ثانية (١) حزقييل فقال : أيتها العظام ، إن الله يأمرك أن تكتسى اللحم ، فاكتست اللحم ، وبعد اللحم جلداً ، فكانت أجساداً ، ثم نادى حزقييل الثالثة فقال : أيتها الأرواح ، إن الله يأمرك أن تعودى فى أجسادك . فقاموا بإذن الله ، وكبروا تكبيرة واحدة (٢) .

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى ، فى خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ كانت قرية يقال لها داوردان (٣) قبل واسط ، فوقع بها الطاعون ، فهرب عامة أهلها فرلوا ناحية منها ، فهلك أكثر من بقى فى القرية وسلم الآخرون ، فلم يمت منهم كثير ، فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين ، فقال الذين بقوا : أصحابنا هؤلاء كانوا أحزم منا ، لو صنعنا كما صنعوا بتمينا ! ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن معهم . فوقع فى قابل فهربوا وهم بضعة وثلاثون ألفاً ، حتى نزلوا ذلك المكان ، وهو واد أفبح ، فناداهم ملك من أسفل الوادى ، وآخر من أعلاه : أن موتوا ، فأتوا حتى هلكوا ، وبليت أجسادهم ، فرآهم نبيٌ يقال له هزقييل (٤) ، فلما رآهم وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم ، يَلْتَوِي شِدْقَهُ وَأَصَابِعَهُ ، فأوحى الله إليه : يا هزقييل : أتريد أن أريك كيف أحْيَيْتَهُمْ ؟ قال : نعم ، وإنما كان تفكره أنه تعجب من قدرة الله عليهم ، فقال : نعم ، فقيل له : ناد ، فنادى بأيتها العظام ، إن الله يأمرك أن تجتمعي ، فجعلت العظام يطير بعضها إلى بعض ؛ حتى كانت أجساداً من عظام ، ثم أوحى الله أن ناد : أيتها العظام ؛ إن الله يأمرك أن تكتسى لحمًا فاكتست لحمًا ودمًا وثيابها التى ماتت فيها ؛ وهى عليها ، ثم قيل له : ناد ،

(١) فى ١ : « الثانية » .

(٢) الخبر فى التفسير ٥ : ٤٦٨ .

(٣) ضبطها ياقوت بفتح الواو وسكون الراء ؛ وذكر أمر حزقييل بها .

(٤) التفسير : « حزقييل » .

فنادى : يَا أَيُّهَا الْأَجْسَادُ ، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقُومَ ، فقاموا^(١)

حدثني موسى ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، قال : فزعم منصور بن المعتمر عن مجاهد أنهم قالوا حين أحيوا : سبحانك ربنا وبمحمدك لا إله إلا أنت ؛ فرجعوا إلى قومهم أحياء يعرفون أنهم كانوا موتى ، سحنة الموت على وجوههم ، لا يلبسون ثوباً إلا عاد دسماً مثل الكفن ، حتى ماتوا لآجالهم التي كتبت لهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكيم ، عن عنبسة ، عن أشعث^(٢) ، عن سالم النضري ، قال : بينما عمر بن الخطاب يصلي ويهوديان خلفه ، وكان عمر إذا أراد أن يركع خوى^(٣) . فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : فلما انقضى عمر قال : رأيت قول أحدكما لصاحبه : أهو هو ؟ فقالا : إنا نجد في كتابنا قرناً من حديد يعطى ما أعطى حزقييل الذي أحيى الموتى بإذن الله ، فقال عمر : ما نجد في كتابنا^(٤) حزقييل ، ولا أحيى الموتى بإذن الله إلا عيسى ابن مريم ، فقالا : أما تجد في كتاب الله ﴿ وَرُسُلًا لَمْ نَقْضُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾^(٥) ، فقال عمر : بلى ، قالا وأما إحياء الموتى فسنحدثك أن بني إسرائيل وقع فيهم الوباء ، فخرج منهم قوم حتى إذا كانوا على رأس ميل أماتهم الله ، فبنوا عليهم حائطاً ، حتى إذا بليت ، عظامهم بعث الله حزقييل فقام عليهم ، فقال : ما شاء الله ! فبعثهم الله له ، فلان الله في ذلك : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ . . . ﴾ ، الآية^(٦) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ،

(١) الخبر في التفسير : ٢٧٠ .

(٢) ١ ، ن والفسير : « أشعث بن أسلم البصري ، وانظر حواشي التفسير .

(٣) خوى الرجل في سجوده : تجافى وفرج ما بين عضديه وحشيه .

(٤) ١ ، والفسير : « كتاب الله . . . »

(٥) سورة النساء : ١٦٤ .

(٦) الخبر في التفسير : ٥ : ٢٦٨ - ٢٧٠ .

عن وهب بن منبه : أن كالب بن يوفنا لما قبضه الله بعد يوشع ، خلف فيهم
— يعنى فى بنى إسرائيل — حزقييل بن بوذى ، وهو ابن العجوز ، وهو الذى
دعا للقوم الذين ذكر الله فى الكتاب لمحمد صلى الله عليه وسلم كما بلغنا :
{ أَلَمْ نَرِ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ . . . } الآية (١) .

قال ابن حميد : قال سلمة قال ابن إسحاق : فبلغنى أنه كان من
حديثهم أنهم خرجوا فراراً من بعض الأوباء من الطاعون ، أو من سُقْم
كان يصيب الناس حذراً من الموت (٢) وهم ألوف ، حتى إذا نزلوا بصعيد من
البلاد قال الله لهم : موتوا ، فماتوا جميعاً ، فعمد أهل تلك البلاد فحظروا (٣)
عليهم حظيرة دون السباع ، ثم تركوهم فيها ، وذلك أنهم كثروا عن أن
يغيثوا ، فموت بهم الأزمان والدهور ، حتى صاروا عظاماً نخرة ، فمر بهم
حزقييل بن بوذى ، فوقف عليهم ، فتعجب لأمرهم ، ودخلته رحمة لهم ، فقيل
له : أتحب أن يحييهم الله ؟ فقال : نعم ، فقيل له : فقل : أيتها العظام
الرميم . انى قد رميت وبليت ، ليرجع كل عظم إلى صاحبه . فناداهم بذلك ،
فنظر إلى العظام تتواثب يأخذ بعضها بعضاً ، ثم قيل له : قل أيها اللحم
والعصب والجلد : اكس العظام بإذن ربك (٤) ، قال فنظر إليها والعصب
يأخذ العظام ، ثم اللحم والجلد والأشعار ، حتى استواوا خلتقاً ليست فيهم
الأرواح ، ثم دعا لهم بالحياة ، فتغشاه من السماء شيء كترابه ، حتى
غشي عليه منه ، ثم أفاق والقوم جلوس يقولون : سبحان الله فقد أحياهم
الله (٥) !

٥٤٠/١

فلم يذكر لنا مدة مكث حزقييل فى بنى إسرائيل .

• • •

(١) الخبر فى التفسير ٥ : ٢٤٣

(٢) ن : حذر الموت . . .

(٣) س : « فحمرؤا . . . حفيرة » ، ن : « فحوطوا » .

(٤) ا : « بأمر الله » .

(٥) الخبر فى التفسير ٥ : ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

[إلیاس والیسع علیهما السلام]

ولما قبض الله حزقیل كثرت الأحداث - فیما ذکر - فی بنی اسرائیل ، وترکوا عهد الله الذی عهد إلیهم فی التوراة ، وعبدوا الأوثان ، فبعث الله إلیهم فیما قبیل : إلیاس بن یاسین بن فنحاص^(١) بن العیزار بن هارون بن عمران .

فحدثنا ابن حمید ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنی محمد بن إسحاق : ثم إن الله عز وجل قبض حزقیل ، وعظمت فی بنی اسرائیل الأحداث ، ونسوا ما کان من عهد الله إلیهم ، حتی نصبوا الأوثان وعبدوها من دون الله ، فبعث الله إلیهم إلیاس بن یاسین بن فنحاص بن العیزار بن هارون بن عمران نبیاً ؛ وإنما كانت الأنبیاء من بنی اسرائیل بعد موسى یبعثون إلیهم بتجدید ما نسوا من التوراة . فكان إلیاس مع ملک من ملوک بنی اسرائیل یقال له أحاب . وكان اسم امرأته أزبل^(٢) ، وكان یسمع منه ویصدقه ، وكان إلیاس یقیم له أمره ، وكان سائر بنی اسرائیل قد اتخذوا صنماً یعبدونه من دون الله ، یقال له : بعل . قال ابن إسحاق : وقد سمعت بعض أهل العلم یقول : ما كان بعل إلا امرأة یعبدونها من دون الله یقول الله لمحمد ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لِأَقْوَمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ - إلی قوله : ﴿ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴾^(٣) - فجعل إلیاس یدعوهم إلی الله ، وجعلوا لا یسمعون منه شیئاً إلا ما کان من ذلك الملك ، والملوک متفرقة بالشام ؛ کل ملک له ناحية منها يأكلها ، فقال ذلك الملك ، الذی کان إلیاس معه ، یقوم له بأمره^(٤) ، ویراه علی هدی من بین أصحابه يوماً یا إلیاس ، والله

٥٤١/١

(١) فی أبی الفدا : « فینحاص » ، وضبطه « بفاء مشربة بیاء موحدة » ، ثم یاء مشناة من تحتها مماله ، ثم فون ساكنة ، ثم حاء مهملة ، ثم ألف مماله وسین مهملة .
 (٢) ح : « أریک » ، س : « أریک » ، ن : « أزجل » . ، وفي التفسیر : « إزبل » .
 (٣) سورة الصافات : ١٢٣ - ١٢٦ .
 (٤) ا والتفسیر : « یقوم له أمره » .

ما أرى ما تدعو إليه إلا باطلا ، والله ما أرى فلاناً وفلاناً فعد^(١) ملوكاً من ملوك بني إسرائيل قد عبدوا الأوثان من دون الله إلا على مثل ما نحن عليه ، يأكلون ويشربون ويتنعمون^(٢) ، مملكين ، ما ينقص دنياهم أمرهم الذي تزعم أنه باطل ، وما نرى لنا عليهم من فضل .

فيزعمون - والله أعلم - أن إلياس استرجع وقام شعر رأسه وجلده : ثم رفضه وخرج عنه ففعل ذلك الملك فعل أصحابه ؛ عبَدَ الأوثان ، وصنع ما يصنعون . فقال إلياس : اللهم إن بني إسرائيل قد أبوا إلا الكفر بك ، والعبادة لغيرك ، فغير ما بهم من نعمتك . أو كما قال^(٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : ذكر لي أنه أوحى إليه : إنا قد جعلنا أمر أرزاقهم بيدك وإليك ؛ حتى تكون أنت الذي تأمر في ذلك . فقال إلياس : اللهم فأمسك عنهم المطر . فحبس عنهم ثلاث سنين حتى هلكت الماشية والدواب والهوام والشجر ، وجهد الناس جهداً شديداً .

وكان إلياس - فيما يذكر - حين دعا بذلك على بني إسرائيل قد استخفى شفقاً على نفسه منهم ، وكان حيث ما كان وضع له رزق ، فكانوا إذا وجدوا ربح الخبز في دار أو بيت قالوا : لقد دخل إلياس هذا المكان ، فطلبوه^(٤) ، ولقي أهل ذلك المنزل منهم شريراً . ثم إنه أوى ليلة إلى امرأة من بني إسرائيل ، لها ابن يقال له اليسع بن أخطوب ، به ضرٌّ ، فأوته وأخفت أمره ، فدعا إلياس لابنها فعوفى من الضر الذي كان به ، واتبع اليسع فآمن به وصدقته ولزمه ، فكان يذهب معه حيثما ذهب ، وكان إلياس قد أسنّ وكبير ، وكان اليسع غلاماً شاباً . فيزعمون - والله أعلم - أن الله أوحى إلى إلياس أنك قد أهلكت كثيراً من الخلق^(٥) ممن لم يعص ، سوى بني إسرائيل ممن لم أكن أريد هلاكه بخطايا

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « يعد » ، وفي التفسير : « يعدد » .

(٢) « ويمتعون » ، والتفسير : « وينعمون » .

(٣) الخبر في التفسير ٢٣ : ٥٩ ، ٦٠ (بولاق) .

(٤) ح : « فيطلبونه فيلقى » .

(٥) ١ : « الناس » .

بنى إسرائيل من البهائم والدواب والطيور والحوام والشجر ، بحبس المضر عن
 بنى إسرائيل . فيزعمون - والله أعلم - أن إلياس قال : أي رب ، دعني أكن
 أنا الذي أدعو لهم به ، وأكن أنا الذي آتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء
 الذي أصابهم ، لعلهم أن يرجعوا وينزعوا^(١) عما هم عليه من عبادة غيرك . قيل
 له نعم ، فجاء إلياس إلى بنى إسرائيل ، فقال لهم : إنكم قد هلكتم جهداً ،
 وهلكت البهائم والدواب والطيور والحوام والشجر بخطاياكم ، وأنكم على باطل
 وغرور - أو كما قال لهم - فإن كنتم تحبسون أن تعلموا ذلك وتعلموا أن الله
 عليكم ساخط فيما أنتم عليه ، وأن الذي أدعوكم إليه الحق ، فاخرجوا بأصنامكم
 هذه التي تعبدون وتزعمون أنها خير مما أدعوكم إليه . فإن استجابت لكم فذلك
 كما تقولون ، وإن هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل فنزعتم ، ودعوت الله ففرج
 عنكم ما أنتم فيه من البلاء . قالوا : أنصفت ، فخرجوا بأوثانهم وما يتشربون به
 إلى الله من أحداشهم التي لا يرضى : فدعوها فلم تستجب لهم . ولم تفرج عنهم
 ما كانوا فيه من البلاء ، حتى عرفوا ما هم فيه^(٢) من الضلالة والباطل ، ثم
 قالوا لإلياس : يا إلياس ، إنا قد هلكنا ، فادع الله لنا ، فدعا لهم إلياس
 بالفرج مما هم فيه ، وأن يسقوا ، فخرجت سحابة مثل الترس بإذن الله
 على ظهر البحر ، وهم ينظرون ، ثم ترمى إليه السحاب ، ثم أدجنت ، ثم أرسل
 الله المطر فأغاثهم ، فحييت بلادهم ، وفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء ،
 فلم ينزعوا ولم يرجعوا وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه . فلما رأى ذلك إلياس
 من كفرهم دعا ربه أن يقبضه إليه فيريحه منهم ، فقيل له - فيما يزعمون : انظر
 يوم كذا وكذا فاخرج فيه إلى بلد كذا وكذا ، فما جاءك من شيء فاركبه
 ولا تهيه ، فخرج إلياس ، وخرج معه اليسع بن أخطوب حتى إذا كان بالبلد
 الذي ذكر له في المكان الذي أمر به أقبل فرس من نار ، حتى وقف بين
 يديه فوثب عليه ، فانطلق به فناداه اليسع : يا إلياس . يا إلياس ، ما تأمرني ؟
 فكان آخر عهدهم به ، فكساه الله الريش وألبسه النور ، وقطع عنه لذة

(١) ن : « ويتلوا » .

(٢) كذا في ا ، ن ، و ط : « عليه » .

المطعم ، والمشرب ، وطار في الملائكة ، فكان إنسياً ملكياً أرضياً سمائياً^(١) .

• • •

ثم قام بعد إلياس بأمر بني إسرائيل - فما حدثنا ابن حميد : قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، قال : كما ذكر لي عن وهب بن منبه قال : ثم نبئ فيهم - يعني في بني إسرائيل - بعده يعني [بعد]^(٢) إلياس - اليسع . فكان فيهم ما شاء الله أن يكون ، ثم قبضه الله إليه ، وخلفت فيهم الخلوف ، وعظمت فيهم الخطايا ، وعندهم التابوت يتوارثونه كابراً عن كابر ، فيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون : فكانوا لا يلقاهم عدوٌ فيقدّمون التابوت ويزحفون به معهم إلا هزم الله ذلك العدو .

والسكينة فيما ذكر ابن إسحاق عن وهب بن منبه عن بعض أهل العلم من بني إسرائيل رأس هرة مية ، فإذا صرّخت في التابوت بصراخ هرة أيقنوا بالنصر ، وجاءهم الفتح .

ثم خلف فيهم ملك يقال له إيلاف ، وكان الله قد بارك لهم في جبلهم من إيليا ، لا يدخله عليهم عدو ، ولا يحتاجون معه إلى غيره ، فكان أحدهم - فيما يذكرون - يجمع التراب على الصخرة ، ثم يند فيه الحب ، فيخرج الله له ما يأكل [منه]^(٣) سنة^(٤) وهو وعياله ، ويكون لأحدهم الزيتون فيعتصر منها ما يأكل ، هو وعياله سنة^(٥) ، فلما عظمت أحداثهم ، وتركوا عهد الله إليهم . نزل^(٦) بهم عدو فخرجوا إليه وأخرجوا التابوت كما كانوا يخرجونه ، ثم زحفوا به فتوتلوا حتى استلب^(٧) من أيديهم ، فأتى ملكهم إيلاف ، فأخبر أن التابوت قد أخذ واستلب . فمالت عنقه فمات كمدأ عليه ، فرج أمرهم بينهم^(٨) واختلف ووطنهم عدوهم حتى أصيب من أبنائهم ونسائهم ، فكثوا على اضطراب من أمرهم ، واختلف من أحوالهم يتأدون أحياناً في غيبهم وذلّهم ، فسלט^(٩) الله عليهم من ينتقم به منهم ، ويراجعون التوبة أحياناً .

(١) الخبر في التفسير ٢٣ : ٦٠ (بولاق) (٢) من ن .

(٣) ١ ، والتفسير : « سنته » . (٤) ن : « نهض » . (٥) ا ، ن : « استبي » .

(٦) التفسير : « فرج أمرهم عليهم » ، وابن الأثير : « واختلف » .

(٧) ١ : « فسלט » .

ذلك [١] شر من بَغَاهم سوءاً ؛ حتى بعث الله فيهم طالوت ملكاً ، وردَّ عليهم تابوت الميثاق (٢) .

•••

وكانت مدة ما بين وفاة يوشع بن نون - التي كان أمر بني إسرائيل في بعضها إلى القضاة منهم والساسة ، وفي بعضها إلى غيرهم ممن يقنهرهم فيتملك عايهم من غيرهم إلى أن ثبت الملك فيهم ، ورجعت النبوة اليهم بشمويل بن بالي - أربعمئة سنة وستين سنة . فكان أول من سلَّط عليهم فيما قيل رجل من نسل لوط ، يقال له : كوشان ، فقهرهم وأذلهم ثمانى سنين ، ثم تنقذهم (٣) من يده أخ لكالب الأصغر يقال له عتيل (٤) بن قيس - فقام بأمرهم فيما قيل - أربعين سنة ، سلَّط عليهم ملك يقال له جعلون (٥) فللكهم ثمانى عشرة سنة ، ثم تنقذهم منه - فيما قيل - رجل من سبط بنيامين يقال له أهود بن جيرا (٦) الأشلّ اليمنى ، فقام بأمرهم ثمانين سنة ، ثم سلط عليهم ملك من الكنعانيين يقال له يا فين (٧) ، فللكهم عشرين سنة ، ثم تنقذهم - فيما قيل - امرأة نبية من أنبيائهم يقال لها دبورا (٨) فدبر أمرهم - فيما قيل - رجل من قبيلها يقال له باراق أربعين سنة ، ثم سلَّط عليهم قوم (٩) من نسل لوط كانت منازلهم في تخوم الحجاز فللكهم سبع سنين ، ثم تنقذهم منهم رجل من ولد نفاثي بن يعقوب يقال له جدعون بن يواش (١٠) ، فدبر أمرهم أربعين سنة ، ثم دبر أمرهم من بعد جدعون ابنه أبيملك (١١) بن جدعون ثلاث سنين ، ثم دبرهم من بعد أبيملك تولخ بن فوا بن خان أبيملك . وقيل إنه ابن عمه - ثلاثا وعشرين سنة ، ثم دبر

(١) من ا

(٢) الخبر في التفسير ٥ : ٢٩٥ ، ٢٩٦

(٣) ا : « انتقم » .

(٤) ا : « عتيل » .

(٥) ط : « جعلون » ، وما أثبت من ا

(٦) ا : « أعور بن حنا » .

(٧) ا ، ن : « ياقيس » .

(٨) ا ، س ، و في ح : « دبوار » .

(٩) س : « أهل » ، ن : « ولد » .

(١٠) ا ، ن : « برانس » .

(١١) ا ، ن : « أينك » .

٥٤٧/١
 أمرهم بعد تولع رجل من بني إسرائيل يقال له: يائير^(١) اثنتين وعشرين سنة ،
 ثم ملكهم بنو عمون ، وهم قوم من أهل فلسطين ثمانى عشرة سنة ، ثم قام
 بأمرهم رجل منهم يقال له يفتح ست سنين ، ثم دبرهم من بعده يخبون^(٢) ،
 وهو رجل من بني إسرائيل سبع سنين ، ثم دبرهم بعده ألون عشر سنين ، ثم
 من بعده كيرون^(٣) - ويسميه بعضهم عكرون - ثمانى سنين ، ثم قهرهم أهل
 فلسطين وملوكهم أربعين سنة ، ثم وليهم شمسون وهو من بني إسرائيل عشرين
 سنة ، ثم بقوا بغير رئيس ولا مدبر لأمرهم بعد شمسون - فيما قيل - عشر
 سنين ، ثم دبر أمرهم بعد ذلك على الكاهن ، وفي أيامه غلب أهل غزّة وعسقلان
 على تابوت الميثاق ، فلما مضى من وقت قيامه بأمرهم أربعين سنة ، بعث
 سمويل نبيا فدبر سمويل^(٤) أمرهم - فيما ذكر - عشر سنين . ثم سألوا سمويل حين
 نالهم بالذل والهوان بمعصيتهم ربهم أعداؤهم ، أن يبعث لهم ملكا يجاهدون معه
 فى سبيل الله ، فقال لهم سمويل ما قد قصّ الله فى كتابه العزيز .

٤

(١) : « يابين » ، ن : « يائير » .

(٢) : « يخبون » .

(٣) : « ليزون » .

(٤) : « سمويل » . وهو فى كل مرة يرد اسمه فيها كذلك .

ذكر خبر شمويل بن بالى بن علقمة بن يرخام بن اليهو ابن تهو بن صوف ، وطالوت وجالوت

كان من خبر شمويل بن بالى أن بنى إسرائيل لما طال عليهم البلاء ، وأذلتهم الملوك من غيرهم ، ووطئت بلادهم ، وقتلوا رجالهم ، وسبوا أفراريتهم ، وغلبوهم^(١) على التابوت الذى فيه السكينة والبقية^(٢) مما ترك آل موسى وآل هارون ، وبه كانوا ينصرون إذا لقوا العدو ، ورغبوا^(٣) إلى الله عز وجل في أن يبعث لهم نبياً يقيم أمرهم .

فحدثنى موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط عن السدي ، في خبر ذكره عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس - وعن مرة عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : كانت بنو إسرائيل يقاتلون العمالقة ، وكان ملك العمالقة جالوت ، وأنهم ظهروا على بنى إسرائيل فضربوا عليهم الجزية ، وأخذوا توراتهم ، فكانت بنو إسرائيل يسألون الله أن يبعث لهم نبياً يقاتلون معه ، وكان سبب النبوة قد هلكوا ، فلم يبق منهم إلا امرأة حبلى فأخذوها فحبسوها في بيت ، رهبة أن تلد جارية فتبدله بغلام ، لما ترى من رغبة بنى إسرائيل في ولدها ، فجعلت المرأة تدعو الله أن يرزقها غلاماً ، فولدت غلاماً فسمته سمعون^(٤) ، تقول : الله سمع دعائي . فكبر الغلام ، فأسلمته يتعلم التوراة في بيت المقدس ، وكفله شيخ من علمائهم ، وتبناه ، فلما باغ الغلام أن يبعثه الله نبياً ، أتاه جبريل والغلام نائم إلى جنب الشيخ ، وكان لا يأمن^(٥) عليه أحداً غيره فدعاه بلحن الشيخ : يا شمويل ، فقام الغلام فرعاً إلى الشيخ ، فقال : يا أبتاه ،

(١) س ، ن : « وغلبوا » .

(٢) كذا في ا ، ح ، س ، وفي ط : « بقية » .

(٣) كذا في ا ، ح ، وفي ط : « رغبوا » .

(٤) كذا في ا ، ح ، س ، وفي ط : « سمعون » .

(٥) كذا في ا ، وفي ط : « لا يتمن » .

دعوتني! فكره الشيخ أن يقول: لا فيفزع الغلام، فقال: يا بني، ارجع فم، فرجع الغلام فنام. ثم دعاه الثانية فلباه^(١) الغلام أيضاً، فقال: دعوتني! فقال ارجع فم، فإن دعوتك الثالثة فلا تجبني، فاما كانت الثالثة ظهر له جبرئيل عليه السلام فقال: اذهب إلى قومك فبلغهم رسالة ربك، فإن الله قد بعثك فيهم نبياً. فلما أتاهم كذبوه وقالوا: استعجلت بالنبوة ولم يَألك^(٢) وقالوا: إن كنت صادقاً فابعث لنا ملكاً يقاتل في سبيل الله، آية من نبوتك، قال لهم سمعون: عسى إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا^(٣).

قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا بأداء الجزية، فدعا الله فأتى بعصاً، تكون مقداراً على طول الرجل الذي يُبعث فيهم ملكاً، فقال: إن صاحبكم يكون طوله طول هذه العصا، ففاسوا أنفسهم بها. فلم يكونوا مثلها، وكان طالوت رجلاً سقاء يستقي على حمار له، فضل حماره، فانطلق يطلبه في الطريق، فلما رأوه دعوه ففاسوه بها فكان مثلها، وقال لهم نبينهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾^(٤) قال القوم: ما كنت قط أكذب منك الساعة، ونحن من سبط المماكة، وليس هو من سبط المملكة، ولم يؤت أيضاً سعة من المال فنتبعه لذلك، فقال النبي: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾^(٥)، فقالوا: فإن كنت صادقاً فأتنا بآية أن هذا ملك، قال: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾^(٥). والسكينة طست من ذهب يُغسل فيها قلوب الأنبياء، أعطاه الله موسى، وفيها وضع الألواح، وكانت الألواح—فيما بلغنا—من در وياقوت وزبرجد، وأما البقية فإنها عصا موسى ورُضاضة الألواح، فأصبح التابوت وما فيه في دار

٥٥/١

(١) ط: «فأناه»، وما أثبتته من أ.

(٢) كذا في التفسير، وفي ط: «ولم يَألك».

(٣) إلى هنا ينتهي الخبر في التفسير ٥: ٢٩٨، ٢٩٩.

(٤) سورة البقرة: ٢٤٧، والخبر في التفسير ٥: ٣١٩. (٥) سورة البقرة: ٢٤٨.

طالوت ، فأمنوا بنبوّة سمعون ، وسلّموا الملك لطلوت .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض ، وهم ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : نزلت الملائكة بالتابوت . هاراً ينظرون إليه عياناً ، حتى وضعوه بين أظهرهم ، قال : فأقروا غير راضين ، وخرجوا ساخطين .

رجع الحديث إلى حديث السدي . فخرجوا معه وهم ثمانون ألفاً ، وكان جالوت من أعظم الناس وأشدّهم بأساً ، يخرج ^(١) يسير بين يدي الجند ، ولا يجتمع إليه أصحابه حتى يهزم هو منّ لقي ، فلما خرجوا قال لهم طالوت : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ ^(٢) وهو نهر فلسطين ، فشربوا منه هيبةً من جالوت ، فعبر معه منهم أربعة آلاف ورجع ستة وسبعون ألفاً ، فن شرب منه عطيش ، ومن لم يشرب منه إلا غرفة روى ، فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه ، فنظروا إلى جالوت رجعوا أيضاً وقالوا: ﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ ﴾ ، الذين يستيقنون ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ^(٣) فرجع عنه أيضاً ثلاثة آلاف وسبعمائة وبضعة وثمانون ، وخلص في ثلثمائة وتسعة ^(٤) عشر عدة أهل بدر .

حدثني المنشي ، قال ، حدثنا إسحاق بن الحجاج ، قال : حدثنا إسماعيل ابن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهب بن منبه يقول : كان لعيلي الذي ربي شمویل ابنان شابان ، أحدهما في القربان

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « فخرج » .

(٢) سورة البقرة : ٢٤٩ .

(٣) في ١ ، : « بضعة » .

شيئاً لم يكن فيه كان مِسْوَط القُرْبَان الذي كانوا يسوطونه به كلابيين ، فما
أخرجوا كان للكاهن الذي يَسُوطه ، فجعله ابناه كلابيب ، وكانا إذا جاءت
النساء يصلين في القدس يتشبان بهن . فبينما أشمويل نائم قبل البيت الذي
كان ينام فيه عيلى إذ سمع صوتاً يقول : أشمويل ! فوثب إلى عيلى فقال : لبيك ،
فقال : مالك دعوتنى ؟ قال : لا ! ارجع ، فم . فنام ، ثم سمع صوتاً آخر يقول :
أشمويل ! فوثب إلى عيلى أيضاً ، فقال : لبيك ، مالك دعوتنى ؟ فقال :
لم أفعل ، ارجع فم ، فإن سمعت شيئاً فقل : « لبيك » مكانك ، « مرتى فافعل » ،
فرجع فنام فسمع صوتاً أيضاً يقول : أشمويل ، فقال : لبيك ، أنا هذا فرنى أفعل ،
قال : انطلق إلى عيلى ، فقل له : منعه حُبّ الولد من أن يزجر ابنه أن يُحدثا
فيّ قدسى وقربانى ، وأن يعصيانى ، فلازعنّ منه الكهانة ومن ولده ، ولأهلكته
وإياهما ، فلما أصبح سأله عيلى فأخبره ، ففزع لذلك فزعاً شديداً ، فسار
إليهم عدوٌّ من حوله فأمر ابنه أن يخرجوا بالناس ويقاتلا ذلك العدو ، فخرجوا
وأخرجوا معهم التابوت الذى فيه الألواح وعصا موسى لينتصروا به ^(١) . فلما
تهيئوا للقتال هم وعدوهم جعل عيلى يتوقع الخبر : ماذا صنعوا ؟ فجاءه رجل
بخبره ^(٢) وهو قاعد على كرسية : أن ابنك قد قتل ، وأن الناس قد انهزموا ،
قال : فما فعل التابوت ؟ قال : ذهب به العدو قال فشهِق ووقع على قفاه من
كرسيه فمات ، وذهب الذين سببوا التابوت حتى وضعوه في بيت آلهتهم ، ولم
صنم يعبدونه ، فوضعوه تحت الصنم والصنم من فوقه ، فأصبح من الغد الصنم
تحت ، وهو فوق الصنم ، ثم أخذوه فوضعوه فوقه ، وسمروا قدميه في التابوت .
فأصبح من الغد قد قطعت يد الصنم ورجلاه ، وأصبح ملقى تحت التابوت ،
فقال بعضهم لبعض : أليس ^(٣) قد علمتم أن إله بنى إسرائيل لا يقوم له شيء !
فأخرجوه من بيت آلهتكم . فأخرجوا التابوت فوضعوه في ناحية من قريتهم ،
فأخذ أهل تلك الناحية التى وضعوا فيها التابوت وجمع في أعناقهم ، فقالوا :
ما هذا ؟ فقالت لهم جارية كانت عندهم من سنى بنى إسرائيل : لا تزالون

(١) س : « بها » ، التفسير : « لينصروا به » .

(٢) ل ن : « فخره » .

(٣) ن : « ألسم » .

تروُن ما تكرهون ! ما كان هذا التابوت فيكم ، فأخرجوه من قريبتكم . قالوا : ٥٥٣/١
 كذبت ، قالت : إن آية ذلك أن تأتوا ببقرتين ، لهما أولاد لم يوضع عليهما
 نِيرٌ قطّ ، ثم تضعوا وراءهما العجل ، ثم تضعوا التابوت على العجل وتسيروهما
 وتحبسوا أولادهما ، فإنهما تنطلقان به مدعنتين ، حتى إذا خرجتا من أرضكم
 ووقعتا في أدنى أرض بني إسرائيل كسرتا نيريهما ، وأقبلتا إلى أولادهما ،
 ففعلوا ذلك ، فلما خرجتا من أرضهم ، ووقعتا^(١) في أدنى أرض بني إسرائيل ،
 كسرتا نيريهما وأقبلتا إلى أولادهما ، ووضعتاه في خربة فيها حصاد من
 بني إسرائيل ، ففزع إليه بنو إسرائيل ، وأقبلوا إليه فجعل لا يدنو منه^(٢)
 أحد إلامات ، فقال لهم نبيهم أشمويل اعترضوا^(٣) ، فمن آنس من نفسه قوة
 فليدن منه ، فعرضوا عليه الناس ، فلم يقدر أحد على أن يدنو منه ، إلا
 رجلان من بني إسرائيل ، أذن لهما بأن يحملاه إلى بيت أمهما ، وهي أرملة ،
 فكان في بيت أمهما ، حتى ملك طالوت ، فصلح أمر بني إسرائيل مع
 أشمويل^(٤) . فقالت بنو إسرائيل : لأشمويل : ابعث لنا ملكاً يقاتل في سبيل
 الله ، قال : قد كفاكم الله القتال ، قالوا إنا نتخوف من حوانا ، فيكون لنا
 ملك نفرع إليه ، فأوحى الله إلى أشمويل : أن ابعث لهم طالوت ملكاً وادهنه
 بدهن القدس ، فضلت حمر لآنى طالوت ، فأرسله وغلاما له يطلبانها فجاءا
 إلى أشمويل يسألانه عنها ، فقال إن الله قد بعثك ملكاً على بني إسرائيل ،
 قال : أنا ! قال : نعم ، قال أو ما علمت أن سبى أدنى أسباط
 بني إسرائيل ! قال : بلى ، قال . أفما علمت أن قبيلتي أدنى قبائل سبى !
 قال : بلى ، قال : أما علمت أن بيتي أدنى بيوت قبيلتي ؟ قال : بلى ، قال : فبآية آية ؟
 قال : بآية أنك ترجع وقد وجد أبوك حمره ، وإذا كنت في مكان كذا وكذا
 نزل عليك الوحي . فدهنه بدهن القدس ، وقال لبني إسرائيل : ﴿ إن الله قد
 بعث لكم طالوت ملكاً ﴾ قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق

(١) ن : « ووضعتاه » .

(٢) ن : « إليه » .

(٣) كذا في ١ ، ن والتفسير ، وفي ط : « أعرضوا » .

(٤) إلى هنا ، الخبر في التفسير ٥ : ٣١٨ - ٣٢٠ .

بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتِ سَمَةَ مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ
وَزَادَهُ سَعَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ (١).

رجع الحديث إلى حديث السدي . ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا
رَبَّنَا أفرغ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ (٢) فعبر يومئذ أبو داود فيمن عبر في ثلاثة عشر
ابنًا له ، وكان داود أصغر بنيه وإنه أتاه ذات يوم فقال : يا أبتاه ، ما أرى
بقذآفتي شيئًا إلا صرعته ، قال : أبشِرْ يا بني ، إن الله قد جعل رزقك في
قذآفتك ، ثم أتاه مرة أخرى فقال : يا أبتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت
أسدًا رابضًا فركبت عليه وأخذت بأذنيه فلم يهجنى ، فقال : أبشِرْ يا بني ،
فإن هذا خيرٌ يعطيكه الله ، ثم أتاه يومًا آخر ، فقال : يا أبتاه إني لأمشي
بين الجبال فأسبِّح فلا يبتى جبل إلا سبِّح معي ، فقال : أبشِرْ يا بني ، فإن
هذا خيرٌ أعطاكه الله - وكان داود راعيًا ، وكان أبوه خلفه يأتي إلى أبيه وإلى
إخوته بالطعام - فأتى النبي عليه السلام بقرن فيه دهن وتَنَوَّرَ من حديد ،
فبعث به إلى طالوت ، قال : إن صاحبكم الذي يقتل جالوت يوضع هذا القرن
على رأسه ، فيغلى حتى يدهن منه ولا يسيل على وجهه ، ويكون على رأسه
كهبة الإكليل ، ويدخل في هذا التنور فيملاؤه . فدعا طالوت بني إسرائيل ،
فجرَّبهم به فلم يوافقهم منهم أحد ، فلما قرَّعوا قال طالوت لأبي داود : هل
بني لك ولد لم يشهدنا ؟ قال : نعم ، بني ابني داود ، وهو يأتينا بطعام ، فلما
أتاه داود مرَّ في الطريق بثلاثة أحجار فكلَّمه وقلن له : خذنا يا داود تقتل بنا
جالوت ، قال : فأخذهن وجعلهن في مخلاته ، وكان طالوت قد قال : مَنْ
قتل جالوت زوجته ابنتي ، وأجربت خاتمه في ملكي ، فلما جاء داود وضعوا
القرن على رأسه ، فغلى حتى ادهن منه ولبس التنور فلاه ، وكان رجلاً مسقاماً
مصفراً ، ولم يلبسه أحد إلا تقلقل فيه ، فلما لبسه داود تضايق التنور عليه
حتى تنفض ، ثم مشى إلى جالوت ، وكان جالوت من أجسَم الناس وأشدَّهم ،

٥٥٥/١

(١) سورة البقرة : ٢٤٧ ، والخبر في التفسير ٥ : ٣٠٨ ، ٣٠٩

(٢) سورة البقرة : ٢٥٠ .

فلما نظر إلى داود قذِفَ في قلبه الرعب منه ، فقال له : يا فتى ، ارجع فإني أرحمك أن أقتلك ، فقال داود : لا بل أنا أقتلك . فأخرج الحجارة فوضعها في القذافة ، كلما رفع منها حجراً سمّاه ، فقال : هذا باسم أبي إبراهيم ، والثاني باسم أبي إسحاق ، والثالث باسم أبي إسرائيل ، ثم أدار القذافة فعادت الأحجار حجراً واحداً . ثم أرسله فصكَّ به بين عيني جالوت فنزقت رأسه . ثم قتلته ، فلم تزل تقتل كلَّ إنسان تصيبه تنفذ فيه ، حتى لم يكن يخيل لها أحد ، فهزمهم عند ذلك . وقتل داود جالوت ، ورجع طالوت فأنكح داود بيته ، وأجرى خاتمه في ماله ، فقال الناس إن داود وأحبوه .

فلما رأى ذلك طالوت وجد في نفسه وحسده . وأراد قتله . فعلم داود أنه يريد به بذلك^(١) ، فسجى^(٢) له زيق^(٣) خمر في مضجعه . فدخل طالوت إلى منام داود وقد هرب داود . فضرب الزيق^(٤) ضربة فخرقه . فسالت^(٥) الخمر منه . فوقعت قطرة من خمر^(٦) في فيه . فقال : يرحم الله داود . ما كان أكثر شربه للخمر ! ثم إن داود أتاه من القابلة في بيته وهو نائم . فوضع سهمين عند رأسه . وعند رجله وعن يمينه وعن شماله سهمين سهمين . ثم نزل . فلما استيقظ طالوت بصير بالسهم فعرفها فقال : يرحم الله داود . هو خير مني . شمرت به فقتلته^(٧) وضنير في فكف عني ! ثم إنه ركب يوماً فوجدته يمشي في البرية . وطالوت على فرس ، فقال طالوت : اليوم أقتل داود - وكان داود إذا فرغ لم يدرك - فركض على أثره طالوت . ففرغ داود . فاشند فدخل غاراً . فأوحى الله إلى العنكبوت فضربت عليه بيتاً ، فلما انتهى طالوت إلى الغار نظر إلى بناء العنكبوت ، فقال : لو كان دخلها هنا لخرق بيت العنكبوت ، فخيّل إليه فتركه .

وطعن العلماء على طالوت في شأن داود . فجعل طالوت لا ينهأ أحد عن داود إلا قتله ، وأغراه الله بالعلماء يقتلهم ، فلم يكن يقدر في بني إسرائيل على عام يضيق قتله إلا قتله ، حتى إن امرأة تعلم اسم الله الأعظم ، فأمر الحباز^(٨) أن يقتلها ،

(١) س : « يريد ذلك » . (٢) سجي الشيء : غطاء .

(٣) في ١ ، ح : « قال » والخمر تذكّر وتؤنث .

(٤) ط : « الخمر » ، وما أثبتته عن ١ ، ح ، س .

(٥) كذا في الأصول ، وفي ابن الأثير : « فأردت قتله » . (٦) كذا في ١ ، وفي ط : « الحباز » .

فرحمها الخباز ، وقال : لعلنا نحتاج إلى عالم . فتركها ، فوقع في قلب طالوت التوبة وندم ، وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس ، وكان كل ليلة يخرج إلى القبور فيبكي ، وينادي : أنشد الله عبداً علم أن لي توبة إلا أخبرني بها ! فلما أكثر^(١) عابهم [ليالي] ^(٢) ناداه مناد من القبور : أن يا طالوت ، أما ترضى أن قتلنا أحياء حتى تؤذينا أمواتاً ! فازداد بكاء وحزناً ، فرحمه الخباز فكلمه فقال : مالك ؟ فقال : هل تعلم لي في الأرض عالماً أسأله : هل لي من توبة ؟ فقال له الخباز : هل تدري ما مثلك ؟ إنما مثلك مثل ملك نزل قرية عشاء فصاح الديك ، فتطير منه : فقال : لا تركوا في القرية ديكاً إلا ذبحتموه ، فلما أراد أن ينام قال : إذا صاح الديك فأيقظونا حتى نُد ليح^(٣) ، فقالوا له : وهل تركت ديكاً يُسمع صوته ! ولكن هل تركت عالماً في الأرض ! فازداد حزناً وبكاء ، فلما رأى الخباز منه الجِدَّ ، قال : أرايتك إن دللتك على عالم لعلك أن تقتله ! قال : لا ، فتوثق عليه الخباز ، فأخبره أن المرأة العالمة عنده ، قال : انطلق بي إليها أسأها هل لي من توبة ؟ وكان إنما يعلم ذلك الاسم أهل بيت ؛ إذا فنيت رجالهم علمت النساء ، فقال : إنها إن رأيتك غشيت عليها ، وفرعت منك ، فلما بلغ الباب خلفه خلفه ، ثم دخل عليها الخباز ، فقال لها : أأنت أعظم الناس منة عليك ؟ أنجيتك من القتل ، وآويتك عندي . قالت : بلى ، قال : فإن لي إليك حاجة ، هذا طالوت يسألك : هل له من توبة ؟ فغشيت عليها من المرق ، فقال لها : إنه لا يريد قتلك ، ولكن يسألك : هل له من توبة ؟ قالت : لا . والله ما أعلم لطالوت توبة ، ولكن هل تعلمون مكان قبر نبي ؟ قالوا : نعم ، هذا قبر يوشع بن نون ، فانطلقت وهما معها إليه ، فدعت ، فخرج يوشع بن نون ينفض رأسه من التراب ، فلما نظر إليهم ثلاثتهم قال : ما لكم ؟ أقامت القيامة ؟ قالت : لا ، ولكن طالوت يسألك : هل له من توبة ؟ قال يوشع : ما أعلم لطالوت من توبة إلا أن يتخلى من ملكه ، ويخرج هو وولده فيقاتلون^(٤) بين يديه في سبيل الله ، حتى إذا قتلوا شداً هو فقتل ؛ فعسى أن يكون

٥ = ٨ / ١

(١) ح ، س : « كثر » . (٢) تكله من ا ، ح ، س

(٣) الإدلاج هنا : السير آخر الليل .

(٤) ن : « يقاتلون » .

ذلك له توبة ، ثم سقط ميتاً في القبر .

ورجع طالوت أحزن ما كان ؛ رهبة^(١) ألا يتابعه ولده ، فبكى حتى سقطت أشفاره عينيهِ ، ونحلَّ جسمهُ ، فدخل عليه بنوه وهم ثلاثة عشر رجلاً فكلّموه وسألوه عن حاله ، فأخبرهم خبره ، وما قيل له في توبته ، فسألهم أن يغزوا معه ، فجهّزهم فخرجوا معه ، فشدُّوا بين يديه حتى قتلوا ، ثم شدَّ بعدهم هو فقتل ، وملك داود بعد ذلك ، وجعله الله نبياً ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ ؛ قيل : هي النبوة ؛ آتاه نبوة شمعون وملك طالوت .

• • •

واسم طالوت بالسريانية شاول بن قيس بن أبيال^(٢) بن ضرار بن بحدت^(٣) بن أفيع بن آيش^(٤) بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم^(٥) .
وقال ابن إسحاق : كان النبي الذي بعث لطالوت من قبره حتى أخبره بتوبته اليسع بن أخطوب ؛ حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق .

• • •

وزعم أهل التوراة أن مدة ملك طالوت من أولها إلى أن قتل في الحرب مع ولده كانت أربعين سنة .

(١) ا ، س : « قط رهبة » .

(٢) ن : « أنيال » .

(٣) ا والتفسير : « يحرب » .

(٤) التفسير : « آيس » .

(٥) التفسير ٥ : ٣٠٨

ذكر خبر داود بن إيشي بن عويد بن باعز بن سلمون بن
 نحشون بن عمي نادب بن رام بن حصرون بن فارص بن
 يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم

وكان داود عليه السلام^(١) - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة
 عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه - قصيراً أزرق
 قليل الشعر ، طاهر القلب نقيته .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثني
 ابن زيد في قول الله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ
 حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾^(٢) قال : أوحى الله
 إلى نبيهم أن في ولد فلان رجلاً يقتل الله به جالوت ، ومن علامته هذا القرن
 يضعه على رأسه فيفيض ماء ، فأتاه فقال : إن الله عز وجل أوحى إلى أن في
 ولدك رجلاً يقتل الله به جالوت . فقال : نعم يا نبي الله ، قال : فأخرج له
 اثني عشر رجلاً أمثال السواري^(٣) ، وفيهم رجل بارع [عليهم]^(٤) ، فجعل يعرضهم
 على القرن فلا يرى شيئاً ، فيقول لذلك الجسم : ارجع ، فبرده عليه ، فأوحى الله إليه :
 إنا لا نأخذ الرجال على صورهم ، وإنما نأخذهم على صلاح قلوبهم ، قال : يارب ،
 قد زعم أنه ليس له ولد غيره ، فقال : كذب ، فقال : إن ربي قد كذبتك ،
 وقال : إن لك ولداً غيرهم . قال : قد صدق يا نبي الله ، إن لي ولداً قصيراً استحيت
 أن يراه الناس فجعلته في الغم ، قال : فأين هو ؟ قال : في شعب كذا
 وكذا ، من جبل كذا وكذا ، فخرج إليه فوجد الوادي قد سال بينه وبين
 البقعة التي كان يريح^(٥) إليها . قال : ووجدته يحمل شاتين شاتين ، يُجيزُ بهما
 السَّيْلَ ولا يخوض بهما السيل . فلما رآه قال : هذا هو ، لا شك فيه ، هذا

(١) ١ : « وكان داود رجلاً » . (٢) سورة البقرة ٢٤٣ - ٢٤٦ .

(٣) السواري : الأعمدة ، جمع سارية . (٤) تكلمة من ا والتفسير ، والبارع : الذي

يفوق أصحابه في العلم وغيره . (٥) أراح الغنم : ردها إلى مراحيها .

يرحم البهائم ، فهو بالناس أرحم ! قال : فوضع القرن على رأسه ففاض^(١) .

حدثني المشني ، قال : حدثنا إسحاق ، قال ، حدثنا إسماعيل بن

عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، عن وهب بن منبه قال : ٥٦١/١
لما سلمت بنو إسرائيل الملك لطالوت ، أوحى الله إلى نبي بني إسرائيل : أن
قل لطالوت : فليغزُ أهلَ مديَنَ ، فلا^(٢) يترك فيها حيًّا إلا قتله ، فإني
سأظهره عليهم ، فخرج بالناس حتى أتى مديَنَ ، فقتل من كان فيها ،
إلا ملكهم فإنه أسره ، وساق مواشيهم ، فأوحى الله إلى أشمويل : ألا
تعجبُ من طالوت إذ أمرته بأمرى فاختل^(٣) فيه ، فجاء بملكهم أسيراً ،
وساق مواشيهم ! فالقه فقل له : لأنزعنَّ الملك من بيته ، ثم لا يعود فيه
إلى يوم القيامة ، فإني إنما أكرمُ من أطاعني ، وأهينُ من هان عليه أمرى .
فلقبه فقال له : ما صنعت ! لم جئت بملكهم أسيراً ، ولم سقت مواشيهم ؟
قال : إنما سقت المواشي لأقربها^(٤) ، قال له أشمويل : إن الله قد نزع من بيتك
الملك ثم لا يعود فيه إلى يوم القيامة ، فأوحى الله إلى أشمويل : انطلق إلى
إيشي فيعرض عليك بنيه ، فادهن الذي أمرك بدهن القدس ، يكنُ ملكاً
على بني إسرائيل . فانطلق حتى أتى إيشي ، فقال : اعرضُ علي بنيك ،
فدعا إيشي أكبرَ ولده ، فأقبل رجل جسيم حسن المنظر ، فلما نظر إليه
أشمويل أعجبه ، فقال : الحمد لله ، إن الله بصير بالعباد ! فأوحى الله
إليه : إن عينيك تبصران ما ظهر ، وإني أطلع على ما في القلوب ، ليس بهذا !
فقال : ليس بهذا ، اعرض علي غيره . فعرض عليه ستة ، في كل ذلك يقول :
ليس بهذا ، اعرض علي غيره ، فقال : هل لك من ولدٍ غيرهم ؟ فقال :
بلى^(٥) ، لي غلام أمغر^(٦) وهو راع في الغنم . قال : أرسل إليه ، فلما أن جاء
داود ، جاء غلام أمغر ، فدهنه بدهن القدس ، وقال لأبيه : اكنم هذا ،

(١) الخبر في التفسير ٥ : ٣٦٦ - ٣٦٧ على وجه أطول .

(٢) ح ، س : « ولا يترك » . (٣) اختل ، من الختل وهو الفساد ، وفي ١ : « فاختار » .

(٤) لأقربها ، أى لأجملها قرباناً .

(٥) ح : « بلى » .

(٦) الأمغر : الأحمر الشعر والجلد .

فإن طالوت لو يطلع عليه قتله . فسار جالوت في قومه إلى بني إسرائيل فعسكر ،
وسار طالوت ببني إسرائيل وعسكر ، وتهبثوا للقتال ، فأرسل جالوت إلى طالوت :
لِمَ يَقتل قومي وقومك ؟ ابرز لي ، أو ابرز لي من شئت ، فإن قتلتك كان
الملك لي ، وإن قتلتنى كان الملك لك . فأرسل طالوت في عسكره صائحاً :
من يبرز لجالوت ! ثم ذكر قصة طالوت وجالوت وقتل داود إياه ، وما كان
من طالوت إلى داود (١) .

•••

قال أبو جعفر : وفي هذا الخبر بيان أن داود قد كان الله حول الملك
له قبل قتله جالوت ، وقبل أن يكون من طالوت إليه ما كان من محاولته قتله ،
وأما سائر من روينا عنه قولاً في ذلك ، فإنهم قالوا : إنما ملك داود بعد ما قتل
طالوت وولده .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق - فيما
ذكر لي بعض أهل العلم - عن وهب بن منبه قال : لما قتل داود جالوت ،
وانهزم جندُه قال الناس : قتل داود جالوت وخلع طالوت ، وأقبل الناس على
داود مكانه حتى لم يسمع لطالوت بذكر .

قال : ولما اجتمعت بنو إسرائيل على داود أنزل الله عليه الزبور ، وعلمه
صنعة الحديد ، وألانه له ، وأمر الجبال والطير أن يسبحن معه إذا سبح ،
ولم يعط الله - فيما يذكر - أحداً من خلقه مثل صوته ، كان إذا قرأ الزبور
- فيما يذكر - ترنوله الوحوش (٢) حتى يؤخذ بأعناقها ، وإنها لمصبيخة تسمع
لصوته ، وما صنعت الشياطين المزامير والبرابط والصنوج (٣) إلا على أصناف
صوته ، وكان شديد الاجتهاد ، دائب العبادة ، كثير البكاء ، وكان كما
وصفه الله عز وجل لنبيه محمد عليه السلام فقال : ﴿ وَإِذْ كَرَّمْنَا دَاوُدَ

٥٦٢/١

(١) الخبر وبقيته في التفسير ٥ : ٣٥٩ - ٣٦٣ .

(٢) كذا في ١ ، ن ، وفي ط : « الوحش » .

(٣) المزامير : جمع مزمارة ؛ وهو ما يزمر به . والبرابط : جمع برابط ؛ وهو المود .

والصنوج : جمع صنج ؛ وهو آلة بأوتار يضرب بها .

ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١﴾ ،
يعنى بذلك ذا القوة .

وقد حدثنا بشر بن معاذ ، قال ، حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ، قال : أعطيت قوة في العبادة ، وفقها في الإسلام . وقد ذُكر^(٢) لنا أن داود عليه السلام كان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر^(٣) . وكان يحرسه - فيما ذكر - في كل يوم وليلة أربعة آلاف .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ﴾^(٤) ، قال : كان يحرسه كل يوم وليلة أربعة آلاف .

وذكر أنه تمنى يوماً من الأيام على ربه منزلة آباءه إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، وسأله أن يمتحنه بنحو الذي كان امتحنهم ، ويعطيه من الفضل نحو الذي كان أعطاهم .

فحدثني محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ، قال : قال السدي : كان داود قد قسم الدهر ثلاثة أيام : يوماً يقضي فيه بين الناس ، ويوماً يخلو فيه لعبادة ربه ، ويوماً يخلو فيه لنسائه ، وكان له تسع وتسعون امرأة ، وكان فيها يقرأ من الكتب أنه كان يجد فيه فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فلما وجد ذلك فيها يقرأ^(٥) من الكتب ، قال : يا رب أرى الخير كله قد ذهب به آباءى الذين كانوا قبلى ، فأعطني مثل ما أعطيتهم ، وافعل بى مثل ما فعلت بهم . قال : فأوحى الله إليه أن آباءك ابتلوا ببلايا لم تبتل بها ، ابتلى إبراهيم بذبح ابنه ، وابتلى إسحاق بذهاب بصره ، وابتلى يعقوب بحزنه على ابنه يوسف ، وإنك لم تبتل من ذلك بشئ . قال : يا رب ابتلني بمثل ما ابتليتهم به ، وأعطني مثل ما أعطيتهم . قال :

(١) سورة ص ١٧ ، ١٨ (٢) كذا في التفسير ، وفي ط : « فذكر » .

(٣) إلى هنا الخبر في التفسير ٢٣ : ٨٦ (بلاق) . (٤) سورة ص ٢٠

(٥) ١ : « قرأ » .

فأوحى إليه إنك مبتلى فاحترس^(١). قال: فمكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث إذ جاءه الشيطان قد تمثل في صورة حمامة من ذهب، حتى وقع عند^(٢) رجلتيه وهو قائم يصلي. قال: فمدّ يده ليأخذه فتنحى فتبعه، فتباعد حتى وقع في كوة، فذهب ليأخذه، فطار من الكوة، فنظر: أيز، يقع فيبعث^(٣) في أثره، قال: فأبصر امرأة تغتسل على سطح لها، فرأى امرأة من أجمل النساء^(٤) خلقاً، فحانت منها التفاتة فأبصرته، فألتمت شعرها فاستترت به. قال: فزاده ذلك فيها رغبة. قال: فسأل عنها فأخبر أن لها زوجاً. وأن زوجها غائب بمساحة كذا وكذا، قال: فبعث إلى صاحب المساحة بأمره أن يبعث أهرياً إلى عدو كذا وكذا. قال: فبعثه ففتح له، قال: وكتب إليه بذلك، فكتب إليه أيضاً: أن ابعث إلى عدو كذا وكذا، أشد منهم بأساً. قال: فبعثه ففتح له أيضاً، قال: فكتب إلى داود^(٥) بذلك، قال: فكتب إليه أن ابعث إلى عدو كذا وكذا. قال: فبعثه، قال: فقتل المرأة الثالثة، قال: وتزوج داود امرأته، فلما دخلت عليه لم تلبث عنده إلا يسيراً حتى بعث الله ملكين في صورة إنسيين فطلبوا أن يدخلوا عليه. فوجداه في يوم عبادته، فمنعهما الحرس أن يدخلوا عليه، ففسورا عليه المحراب، قال: فما شعر وهو يصلي إذا هوبها بين يديه جالسين، قال: ففرع منهما، فقالا: لا تخف، إنما نحن خصمان بقى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط، يقول: لا تحيف، ﴿وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاء الصِّرَاطِ﴾ إلى عدل القضاء. قال: قُصَا عَلَى قِصَّتِكُمَا، قال: فقال أحدهما: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾^(٦). فهو يريد أن يأخذ نعجتي، فيكتمل بها نعاجه مائة، قال: فقال للآخر:

(١) ن: «فاصبر».

(٢) ا: «بين رجلتيه».

(٣) ا: «وقع فتبعه»، وفي ن: «فتبع أثره».

(٤) ن والتفسير: «الناس».

(٥) ن والتفسير: «إليه».

(٦) سورة ص ٢٢، ٢٣.

ما تقول؟ فقال: إن لي تسعاً وتسعين نعجة، ولأخي هذا نعجة واحدة، فأنا أريد أن آخذها منه، فأكمل بها نعاجي مائة، قال: وهو كاره! قال: وهو كاره، قال: إذا لا ندعك وذاك، قال: ما أنت على ذلك بقادر! قال: فإن ذهبت ترؤوم ذلك أو تريد ذلك، ضربنا منك هذا وهذا - وفسر أسباب طرف الأنف والجبهة - فقال: يا داود، أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا، حيث لك تسع وتسعون امرأة، ولم يكن لأهريا^(١) إلا امرأة واحدة. فلم تزل به تعرضه للقتل حتى قُتِل، وتزوجت امرأته. قال: فنظر فلم ير شيئاً، قال: فعرف ما قد وقع فيه، وما ابتلي به، قال: فخرت ساجداً فبكي، قال: فكث يبكي ساجداً أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا لحاجة لا بد منها، ثم يقع ساجداً يبكي، ثم يدعو حتى نبت العشب من دموع عينيه، قال: فأوحى الله عز وجل إليه بعد أربعين يوماً: يا داود، ارفع رأسك فقد غفرتُ لك، فقال: يا رب، كيف أعلم أنك قد غفرت لي وأنت حكيمٌ عدل لا تحيف في القضاء؛ إذا جاء أهريا يوم القيامة أخذاً رأسه بيمينه أو بشماله تشخب أوداجه^(٢) دماً في قِبَلِ عرشك: يقول: يا رب، سل هذا فيم قتلني! قال: فأوحى الله إليه: إذا كان ذلك دعوتُ أهريا فأستوهبك منه، فيهبك لي فأثيبه بذلك الجنة. قال: رب الآن علمت أنك قد غفرت لي، قال: فما استطاع أن يملأ عينيه من السماء حياءً من ربه حتى قبض^(٣).

حدثني علي بن سهل، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، عن عبد الرحمن ابن يزيد بن جابر، قال: حدثني عطاء الخراساني، قال: نقش داود خطيبته في كفه لكيلا ينساها؛ فكان إذا رآها خفقت يده واضطربت.

• • •

وقد قيل: إن سبب المحنة بما امتحن به، أن نفسه حدثته أنه يطيق قطع يوم من الأيام بغير مقارفة سوء، فكان اليوم الذي عرض له فيه ما عرض، اليوم الذي ظن أنه يقطعه بغير اقرار سوء.

(١) ن: «لأوريا». (٢) تشخب أوداجه: تسيل دماً.

(٣) الخبر في التفسير ٢٣: ٩٢، ٩٤ (بولاق).

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن مطر ، عن الحسن ، أن داود جزأ الدهر أربعة أجزاء : يوماً لِنِسائِهِ ، ويوماً لعبادته ، ويوماً لقضاء بني إسرائيل ، ويوماً لبني إسرائيل ؛ يذاكرهم ويذاكرونه ، ويُبكيهم ويُبكونه . فلما كان يوم بني إسرائيل ، ذكروا فقالوا : هل يأتي على الإنسان يومٌ لا يصبب فيه ذنباً ! فأضمر داود في نفسه أنه سيُطبق ذلك ، فلما كان يوم عبادته غلق^(١) أبوابه ، وأمر ألا يُدخَلَ عليه أحد ، وأكب على التوراة ، فبينما هو يقرؤها إذا حمامة من ذهب ، فيها من كل لون حسن ، قد وقعت بين يديه ، فأهوى إليها ليأخذها ، قال : فطارت فوقعت غير بعيد ، من غير أن تؤيسه من نفسها ، قال : فما زال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل ، فأعجبه خلقها وحسنها ، فلما رأت ظله في الأرض جللت نفسها بشعرها ، فزاده ذلك أيضاً إعجاباً بها ، وكان قد بعث زوجها على بعض جيوشه ، فكتب إليه أن يسير إلى مكان كذا وكذا (مكان إذا سار إليه لم يرجع) قال : ففعل فأصيب ، فخطبها فترجها - قال : وقال قتادة بلغنا أنها أم سليمان - قال : فبينما هو في المحراب إذ تسور الملكان عليه ، وكان الحصان إذا أتوه يأتونه من باب المحراب ، ففرع منهم حين تسوروا المحراب ، فقالوا : ﴿ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ﴾ حتى بلغ ﴿ وَلَا تُشِطُّ ﴾ أي ولا تمل ﴿ وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ أي أعدله وخيره ، ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ﴾ - وكان لداود تسع وتسعون امرأة - ﴿ وَإِلَى نَعْجَةٍ وَاحِدَةٍ ﴾ قال : وإنما كان للرجل امرأة واحدة ﴿ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ ، أي ظلمني وقهرني . ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى زَوْجِي ﴾ - إلى ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ ﴾ ، فعلم أنما أضمر له ، أي عني بذلك ، ﴿ فَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾^(٢) .

٥٦٨/١

(١) والتفسير : أغلق .

(٢) سورة ص ٢٢ - ٢٤ ، والخبر في التفسير ٢٣ : ٩٤ ، ٩٥ (بولاق) .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن إدريس ، قال : سمعت
ليثاً يذكر عن مجاهد ، قال : لما أصاب داودَ الخطيئة ، خَرَّ لهُ ساجداً أربعين
يوماً ، حتى نبت من دموع عينيه من البقل ما غطى رأسه ، ثم نادى : يا ربِّ
قَرِحَ الجبين ، وَجَمَدَتِ العين ! وداود لم يُرْجَع إليه في خطيئته شيء . فنودي :
أجائع فتطعم ؟ أم مريض فتشفي ؟ أم مظلوم فينتصر لك ! قال : فنحِب
نَحْبَةً هاج كل شيء كان نبت ، فعند ذلك غُفِرَ له . وكانت خطيئته
مكتوبة بكفه يقرأها . وكان يرب بالإناء ليُشرب فلا يشرب إلا ثلثه أو نصفه ،
وكان يذكر خطيئته فينتحب النَّحْبَةَ تكاد مفاصله يزول بعضها عن ^(١) بعض ،
ثم ما يتم شربه حتى يملأ الإناء من دموعه . وكان يقال : إن دمعة داود تعدل دمعة
الخلائق ، ودمعة آدم تعدل دمعة داود ودمعة الخلائق . قال : وهو يجيء يوم
القيامة خطيئته مكتوبة بكفه فيقول : ربِّ ذنبي ذنبي قدَّمتني ! قال :
فيقدِّم فلا يأمن ، فيقول : ربِّ أخرى ، قال : فيؤخر فلا يأمن ^(٢) .

٥٦٩/١

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني
ابن لهيعة ، عن أبي صخر ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك يقول ^(٣) :
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن داودَ النبي عليه السلام حين
نظر إلى المرأة ^(٤) فأهيم . قَطَعَ ^(٥) على بني إسرائيل بعثاً ، فأوصى صاحب
البعث ، فقال : إذا حضر العدو فقتل فلاناً بين يدي التابوت ، وكان التابوتُ
في ذلك الزمان يستنصر به مَنْ قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل
أو ينهزم عنه الجيش ، فقتل زوج المرأة ، ونزل الملكان على داود بقُصَان عليه
قصته ، ففطن داوداً فسجد ، فكث أربعين ^(٦) ليلة ساجداً ، حتى نبت
الزَّرْع من دموعه على رأسه ، وأكلت الأرضُ من جبينه ، وهو يقول في سجوده -

(١) ح ، س : « من بعض » .

(٢) الخبر في التفسير ٢٣ : ٩٦ (بولاق)

(٣) ا : « قال » ، وفي التفسير : « سمعه يقول » .

(٤) ط : « مرأة » ؛ وما أثبتته عن التفسير .

(٥) أي أفرد قوماً منهم ، وبعضهم في الغزو ؛ ومنه الحديث : « كان إذا أراد أن ينقطع بعثاً ... »

وانظر النهاية لابن الأثير ٣ : ٢٦٤ . (٦) ن : « أربعين يوماً وليلة » .

فلم أحص (١) من الرقاشي إلا هؤلاء الكلمات : رَبُّ زَلَّ دَاوُدُ زَلَةً أَبْعَدَ
 مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ! رَبُّ إِنْ لَمْ تَرْحَمْ ضَعُفَ دَاوُدُ ، وَتَغْفِرَ ذَنْبَهُ جَعَلْتَ ذَنْبَهُ
 حَدِيثًا فِي الْخُلُوفِ مِنْ بَعْدِهِ . فَجَاءَهُ جِبْرِئِيلُ مِنْ بَعْدِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَقَالَ :
 يَا دَاوُدُ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ الْهَمَّ الَّذِي هَمَمْتَ بِهِ ، فَقَالَ دَاوُدُ : قَدْ عَامَتُ
 أَنْ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَغْفِرَ لِي الْهَمَّ الَّذِي هَمَمْتُ بِهِ ، وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ اللَّهَ عَدْلٌ
 لَا يَمِيلُ ، فَكَيْفَ بِفُلَانٍ إِذَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ فَقَالَ : يَا رَبُّ دَمِيَ الَّذِي عِنْدَ دَاوُدَ !
 فَقَالَ جِبْرِئِيلُ : مَا سَأَلْتُ رَبِّيكَ عَنْ ذَلِكَ ، وَلَنْ شِئْتَ لِأَفْعَلَنْ ، قَالَ : نَعَمْ ،
 قَالَ : فَعَرَجَ جِبْرِئِيلُ وَسَجَدَ دَاوُدُ ، فَكَثَّ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَزَلَ ، فَقَالَ : قَدْ
 سَأَلْتُ اللَّهَ يَا دَاوُدَ عَنِ الَّذِي أُرْسَلْتَنِي فِيهِ فَقَالَ : قُلْ لَهُ : يَا دَاوُدُ ، إِنَّ اللَّهَ يَجْمَعُكُمْ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ : هَبْ لِي دَمِكَ الَّذِي عِنْدَ دَاوُدَ ، فَيَقُولُ : هُوَ لَكَ يَا رَبُّ ،
 فَيَقُولُ : فَإِنَّ لَكَ فِي الْجَنَّةِ مَا شِئْتَ وَمَا اشْتَهَيْتَ عِوَضًا (٢) .

٥٧٠/١

• • •

ويزعم (٣) أهلُ الكتاب أن داود لم يزل قائمًا بالملك بعد طالوت إلى أن كان
 من أمره وأمر امرأة أوريا ما كان ، فلما واقع ما واقع من الخطيئة اشتغل بالتوبة
 منها — فيما زعموا — واستخف به بنو إسرائيل ، ووثب عليه ابن له يقال له إيشي ،
 فدعا إلى نفسه فاجتمع إليه أهلُ الزَّيغ من بني إسرائيل ، قالوا : فلما تاب الله
 على داود ثابتٌ إليه ثابتة من الناس ، فحارب ابنه حتى هزمه ، ووجهه في
 طلبه قائداً من قواده ، وتقدم إليه أن يتوق حنفته ، ويتلطّف لأسره ، فطلبه
 القائد وهو منهزم ، فاضطّره إلى شجرة فركض فيها — وكان ذا جُمّة — فتعلق
 بعض أغصان الشجرة بشعره فحبسه ، ولحقه القائد فقتله مخالفاً لأمر داود ،
 فحيزن داود عليه حزناً شديداً ، وتنكّر للقائد ، وأصاب بني إسرائيل في زمانه
 طاعون جارف ، فخرج بهم إلى موضع بيت المقدس يدعون الله ويسألونه كشفَ
 ذلك البلاء عنهم ، فاستجيب لهم ، فاتخذوا ذلك الموضع مسجداً ، وكان ذلك
 — فيما قيل — لإحدى عشرة سنة مضت من ملكه. وتوفى قبل أن يستتم بناءه ، فأوصى

٥٧١/١

(١) ا ، ن ؛ « أحفظ » .

(٢) الخبر في التفسير ٢٣ : ٩٦ (بولاق) .

(٣) ا : « وزعم » .

إلى سليمان باستناده ، وقتل القائد الذي قتل أخاه ، فلما دفنه سليمان نفذ لأمره في القائد وقتله ، واستتم بناء المسجد .

•••

وقيل في بناء داود ذلك المسجد ما حدثنا محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثني إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهب بن منبه يقول : إن داود أراد أن يعلم عدد بني إسرائيل كم هم ؟ فبعث لذلك عُرَفَاءَ وَنُقَبَاءَ ، وأمرهم أن يرفعوا إليه ما بلغ عددُهم ، فعتب الله عليه ذلك ، وقال : قد علمت أني وعدت إبراهيم أن أبارك فيه وفي ذريته حتى أجعلهم كعدد نجوم السماء ، وأجعلهم لا يحصى عددُهم ، فأردت أن تعلم عدد ما قلت : إنه لا يحصى عددُهم ، فاخترتوا بين أن أبتليكم بالجوع ثلاث سنين ، أو أسلط عليكم العدو ثلاثة أشهر ، أو الموت ثلاثة أيام ! فاستشار داود في ذلك بني إسرائيل فقالوا : ما لنا بالجوع ثلاث سنين صبر ، ولا بالعدو ثلاثة أشهر ، فليس لهم بقية ، فإن كان لا بد فالموت بيده لا بيد غيره . فذكر وهب بن منبه أنه مات منهم في ساعة من نهار ألف كبيرة ، لا يدري ما عددهم ، فلما رأى ذلك داود ، شق عليه ما بلغه من كثرة الموت ، فتبتل إلى الله ودعاه فقال : يا رب ، أنا آكلُ الحماض^(١) وبنو إسرائيل يضرسون ! أنا طلبت ذلك فأمرت به بني إسرائيل ، فما كان من شيء في^(٢) واعف عن بني إسرائيل . فاستجاب الله له ورفع عنهم الموت ، فرأى داود الملائكة سألين سيوفهم يغمدها ، يرتقون في سلم من ذهب من الصخرة إلى السماء ، فقال داود : هذا مكان ينبغي أن يبني فيه مسجد ، فأراد داود أن يأخذ في بنائه ، فأوحى الله إليه أن هذا بيت مقدس ، وأنت قد صبغت يدك في الدماء ، فليست بيانيه ، ولكن ابن لك أملكه بعدك أسميه^(٣) سليمان ، أسلمه من الدماء .

فلما ملك سليمان بناءه وشرقه ، وكان عمر داود - فيما وردت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - مائة سنة .
وأما بعض أهل الكتب ، فإنه زعم أن عمره كان سبعا وسبعين سنة ، وأن مدة ملكه كانت أربعين سنة .

(١) الحماض : ما في جوف الأترجة . (٢) ن : « فني » . (٣) ١ : « اسمه » .

ذكر

خبر سليمان بن داود عليهما السلام

ثم ملك سليمان بن داود بعد أبيه داود أمر بني إسرائيل ، وسخر الله له الجن والإنس والطير والريح ، وآتاه مع ذلك النبوة ، وسأل ربه أن يؤتیه ملكا لا ينبغى لأحد من بعده ، فاستجاب [الله] (١) له فأعطاه ذلك .

كان فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه : إذا خرج من بيته إلى مجلسه عكفت عليه الطير ، وقام له الإنس والجن ، حتى يجلس على سريره (٢) ، وكان - فيما يزعمون - أبيض جسيماً وضيئاً ، كثير الشعر يلبس من الثياب البيضاء ، وكان أبوه في أيام ملكه بعد أن بلغ سليمان مبلغ الرجال يشاوره - فيما ذكر - في أموره . وكان من شأنه وشأن أبيه داود الحكيم في الغنم التي نفشت في حرث القوم ، الذين قص الله في كتابه خبرهم وخبرهما فقال : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ • فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ (٣) .

فحدثنا أبو كريب وهارون بن إدريس الأصم ، قالا : حدثنا المحاربي ، عن أشعث ، عن أبي إسحاق ، عن مرة ، عن ابن مسعود في قوله : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ﴾ ، قال : كرم قد أنبت عناقيدته فأفسدته ، قال : ففضى داود بالغنم لصاحب الكرم ، فقال سليمان : غير هذا يا نبي الله ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : تدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان ، وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها ، حتى إذا كان الكرم كما كان ، دفعت الكرم إلى

(١) تكلة من ا . (٢) ن : « جلس مجله » . (٣) سورة الأنبياء ٧٨ ، ٧٩

صاحبه ، ودفعت الغنم إلى صاحبها . فذلك قوله : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ . ٥٧٤/١
 وكان رجلاً غزّاء لا يكاد يقعد عن الغزو ، وكان لا يسمع بمليك في ناحية
 من الأرض إلا أتاه حتى يذّله . وكان فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ،
 عن ابن إسحاق - فيما يزعمون - إذا أراد الغزو أمر بعسكره فضرب له بخشب ،
 ثم نصب له على الخشب ، ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها ، حتى
 إذا حمل معه ما يريد ، أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب ،
 فاحتملته حتى إذا استقلت به أمر الرّخاء فرّ به شهراً في رَوْحته ، شهراً في
 غدوته إلى حيث أراد . يقول الله عز وجل : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ
 رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾^(٢) ، أي حيث أراد . وقال الله : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ
 غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوْحُهَا شَهْرٌ ﴾^(٣) .

قال : وذكر لي أن منزلاً بناحية دجلة مكتوب فيه : كتاب كتبه بعض
 أصحاب^(٤) سليمان ، إما من الجن . وإما من الإنس : « نحن نزلناه وما بنيناه ،
 ومبنيًا وجدناه . غدونا من إصطخر فقلنا : «^(٥) . ونحن راثون منه إن شاء الله ،
 فبائتون^(٦) بالشام^(٧) » .

قال : وكان - فيما بلغني - لتمر بعسكره الريح ، والرّخاء^(٨) تهوى به إلى ما أراد ،
 وإنها لتمر بالمرعة فما تحركها .

وقد حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثني الحسين ، قال : حدثني
 حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : بلغنا أن سليمان
 كان عسكره مائة فرسخ ، خمسة وعشرون منها للإنس ، وخمسة وعشرون للجن ،
 وخمسة وعشرون للوحش ، وخمسة وعشرون للطير ، وكان له ألف بيت من
 قوارير على الخشب ، فيها ثلثمائة صريحة ، وسبعمائة سرية ، فأمر الريح العاصف

(١) الخبر في التفسير ١٧ : ٣٨ (بولاق) (٢) سورة ص ٣٦

(٣) سورة سبأ ١٢ (٤) التفسير : « صحابة » .

(٥) ١ : « فقتلناه » . (٦) ١ ، ن : « فأتون » .

(٧) الخبر في التفسير ٢٢ : ٤٨ (بولاق) . (٨) الرّخاء : الريح اللينة .

فرفته^(١) وأمر الرخاء فسيرته ، فأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض :
 أنى قد زدتُ في ملكك ، أنه لا يتكلم أحدٌ من الخلائق إلا جاءت به الريح
 وأخبرتكَ .

حدثني أبو السائب ، قال : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن
 المنهال بن عمرو . عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس ، قال : كان سليمان
 ابن داود يوضع له ستمائة كرسي ، ثم يجيء أشرافُ الإنس فيجلسون مما يليه ، ثم
 يجيء أشرافُ الجن فيجلسون مما يلي الإنس ، قال : ثم يدعوا الطير فتظلمهم ،
 ثم يدعوا الريح فتحملهم ، قال : فتسير في الغداة الواحدة مسيرة شهر .

٥٧٦/١

ع

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « فرفته » .

ذكر

ما انتهى إلينا من مغازي سليمان عليه السلام

فمن ذلك غزوته التي راسل فيها بلقيس - وهي فيما يقول أهل الأنساب - يلمقة^(١) ابنة اليشرح - ويقول بعضهم : ابنة أبي شرح ، ويقول بعضهم : ابنة ذي شرح - بن ذي جدان بن أبي شرح بن الحارث بن قيس بن صيفي بن سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان . ثم صارت إليه سِلْمًا بغير حرب ولا قتال . وكان سبب مراسمته إياها - فيما ذكر - أنه فقَد المدهد يوماً في مسيرٍ كان يسيره ، واحتاج إلى الماء فلم يعلم من حضره بُعْدَه ، وقيل له علم ذلك عند المدهد ، فسأل عن المدهد فلم يجده . وقال بعضهم : بل إنما سأل سليمان عن المدهد لإخلاقه بالتوبة .

فكان من حديثه وحديث مسيره ذلك وحديث بلقيس ، ما حدثني العباس ابن الوليد الآملي ، قال : حدثنا علي بن عاصم ، قال : حدثنا عطاء بن السائب . قال : حدثني مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : كان سليمان بن داود إذا سافر أو أراد سفرًا قَعَدَ على سريره ، ووضعت الكراسي يمينا وشمالاً ، فيأذن للإنس ، ثم يأذن للجن عليه بعد الإنس ، فيكوزون خلف الإنس . ثم يأذن للشياطين بعد الجن فيكوزون خلف الجن ، ثم يرسل إلى الطير فتظلتهم من فوقهم . ثم يرسل إلى الريح فتحملهم وهو على سريره ، والناس على الكراسي فتسير بهم . غدوها شهر ورواحها شهر ، رخاء حيث أصاب ، ليس بالعاصف ولا اللين ، وسطا بين ذلك . فبينما سليمان يسير - وكان سليمان اختار من كل طير طيراً ، فجعله رأس تلك الطير . فإذا أراد أن يسأل شيئاً من تلك الطير عن شيء سأل رأسها - فبينما سليمان يسير إذ نزل مغازة فسأل عن بُعد الماء ها هنا ، فقال الإنس : لا ندري ، فسأل الجن فقالوا : لا ندري ، فسأل الشياطين . فقالوا : لا ندري . فغضب سليمان فقال : لا أبرح حتى أعممكم بعند مسافة الماء ها هنا ! قال : فقالت له الشياطين : يا رسول الله لا تغضب . فإن يك شيئاً يعلم فالمدهد بعلمه ، فقال^(٢) سليمان : على بالمدهد . فلم يوجد . فغضب

(١) ح : « بلعنه » ، ا ، س : « بلعنه » . (٢) ط : « قال »

سليمان فقال : ﴿ مَا لِي لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَائِبِينَ . لَأَعَذَّبَنَّ
عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِّي سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴾^(١) ، يقول : بعذر
مبين [ليم] غاب عن مسيرى هذا ؟ وكان عقابه للطير أن ينتف ريشه ويشمسه
فلا يستطيع أن يطير ، ويكون من هوام الأرض إن أراد ذلك ، أو يذبحه ،
فكان ذلك عذابه .

قال : ومرّ الهدهد على قصر بلقيس ، فرأى بستاناً لها خلف قصرها ، فقال
إلى الخضره فوق عليها ، فإذا هو بهدهد لها في البستان ، فقال هدهد سليمان : ٥٧٨/١
أين أنت عن سليمان ؟ وما تصنع ها هنا ؟ قال له هدهد بلقيس : ومن سليمان ؟
فقال : بعث الله رجلاً يقال له سليمان رسولاً ، وسخر له الريح والجن والإنس
والطير . قال : فقال له هدهد بلقيس : أى شىء تقول ! قال : أقول لك
ما تسمع ، قال : إن هذا لعجب ، وأعجب من ذلك أن كثرة هؤلاء القوم
تملكهم امرأة ، ﴿ أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ ، جعلوا الشكر
لله أن يسجدوا للشمس من دون الله . قال : وذكر الهدهد سليمان فنهض عنه ،
فلما انتهى إلى العسكر تلقته الطير وقالوا : توعدك رسول الله . فأخبروه بما
قال . قال : وكان عذاب سليمان للطير أن ينتف ريشه ويشمسه فلا يطير أبداً .
فيصير من هوام الأرض . أو يذبحه فلا يكون له نسل أبداً . قال : فقال الهدهد :
أو ما استثنى رسول الله ؟ قالوا : بل قال : أو ليأتينى بعذر مبين . قال :
فلما أتى سليمان ، قال : ما غيبك عن مسيرى ؟ قال : ﴿ أَحْطُتُ بِمَا لَمْ
تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴾ حتى بلغ ﴿ فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾^(١) .
قال : فاعتل له بشىء . وأخبره عن بلقيس وقومها ما أخبره الهدهد . فقال
له سليمان : قد اعتلت ، ﴿ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . اذْهَبْ
٥٧٩/١ بِكِتَابِي هَذَا فَالِقَهُ لِيهِمْ ﴾^(٢) ، قال : فوافقها وهى فى قصرها . فأتى إليها

(١) سورة النمل ٢٠ ، ٢١

(٢) سورة النمل ٢٣ - ٢٨

الكتاب فسقط في حجرها أنه كتاب كريم، وأشفقت منه، فأخذته وألقت عليه ثيابها، وأمرت بسريرها فأخرج، فخرجت فقعدت عليه، ونادت في قومها؛ فقالت لهم: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنَّي أَخْتَلِي إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ • إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • أَلَا تَعْلَمُونَ عَلِيٌّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾^(١) ولم أكن لأقطع أمراً حتى تشهدون، ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأَوْلُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ - إلى - ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾^(٢)، فإن قبلها فهذا ملك من ملوك الدنيا وأنا أعز منه وأقوى، وإن لم يقبلها فهذا شيء من الله.

فلما جاء سليمان الهدية قال لهم سليمان: ﴿أَتُمِدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ﴾ - إلى قوله: ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^(٣)، يقول: وهم غير محمودين. قال: بعثت إليه بخرزة غير مثقوبة، فقالت: اثقب هذه، قال: فسأل سليمان الإنس فلم يكن عندهم علم ذلك، ثم سأل الجن فلم يكن عندهم علم ذلك، قال: فسأل الشياطين، فقالوا: ترسل إلى الأرضة، فجاءت الأرضة فأخذت شعرة في فيها فدخلت فيها فنقبتها بعد حين، فلما رجع إليها رسولها^(٤) خرجت فزرعة في أول النهار من قومها وتبعها قومها. قال ابن عباس: وكان معها ألف قبيل.

قال ابن عباس: أهل اليمن يسمون القائد قبئلاً، مع كل قبيل عشرة آلاف. قال العباس: قال علي: عشرة آلاف ألف.

قال العباس: قال علي: فأخبرنا حصين بن عبد الرحمن، قال: حدثني عبد الله بن شداد بن الهاد، قال: فأقبلت بلقىس إلى سليمان ومعها ثلثمائة قبيل واثنا عشر قبئلاً، مع كل قبيل عشرة آلاف.

قال عطاء، عن مجاهد، عن ابن عباس: وكان سليمان رجلاً مهيباً لا يبتدأ بشيء حتى يكون هو الذي يُسأل عنه، فخرج يومئذ فجلس على سريريه،

(١) سورة النمل ٢٩ - ٣١ (٢) سورة النمل ٣٣ - ٣٥ .

(٣) سورة النمل ٣٦ ، ٣٧ (٤) ط : « رسلها » ، وما أثبتته عن ا .

فرأى رهجاً قريباً منه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : بلقيس يارسول الله ، قال : وقد نزلت منّا بهذا المكان ! قال مجاهد : فوصف لنا ذلك ابن عباس فحزرتته ما بين الكوفة والحيرة قد فرسخ ، قال : فأقبل على جنوده فقال : ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ۚ قَالَ عِفْرِيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ۚ ﴾ الذي أنت فيه إلى الحين الذي تقوم إلى غدائك . قال : قال سليمان : مَنْ يَأْتِينِي بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ ؟ ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ ﴾ ، فنظر إليه سليمان ، فلما قطع كلامه ردّ سليمان بصره على العرش ، فرأى سريره قد خرج وبيع من تحت كرسيه ، ﴿ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ ۚ إِذْ أَنَا فِيهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَى طَرْفِي ۚ أَمْ أَكْفُرُ ۚ إِذْ جَعَلَ مَنْ تَحْتَ يَدِي أَقْدَرَ عَلَى الْجَبِّءِ بِهِ مِنِّي ۚ ﴾ قال : فوضعوا لها عرشها ، قال : فلما جاءت قعدت إلى سليمان ، قيل لها : ﴿ أَهَكَذَا عَرْشُكَ ۚ ﴾ ؟ فنظرت إليه فقالت : ﴿ كَأَنَّهُ هُوَ ۚ ﴾ ^(١) ! ثم قالت : لقد تركته في حصوني ، وتركت الجنود محيطة به ، فكيف جيء بهذا يا سليمان ! إني أريد أن أسألك عن شيء فأخبرنيه ، قال : سألني ، قالت : أخبرني عن ماء رواء ، لا من سماء ولا من أرض - قال : وكان إذا جاء سليمان شيء لا يعلمه بدأ فسأل الإنس عنه ، فإن كان عند الإنس فيه علم وإلا سأل الجن ، فإن لم يكن عند الجن علم به سأل الشياطين - قال : فقالت له الشياطين : ما أهون هذا يا رسول الله ! مرّ الخليل فلتجسّر ثم تملأ الآنية من عرقها ، فقال لها سليمان : عرق الخليل ، قالت : صدقت . قالت : أخبرني عن لون الرب . قال : قال ابن عباس : فوثب سليمان عن سريره فخرّ ساجداً . قال العباس : قال عليّ : فأخبرني عمرو بن عبيد ، عن الحسن ، قال : صعيق فغشي عليه . فخرّ عن سريره .

٥٨١/١

٥٨٢/١

ثم رجع ، إلى حديثه قال : فقامت عنه ، وتفرقت عنه جنوده ، وجاءه

(١) سورة النمل ٣٨ - ٤٢ .

الرسول فقال : يا سليمان ، يقول لك ربك : ما شأنك ؟ قال : سألتني عن أمر يكابرنى- أو يكابدنى- أن أعيدته ، قال : فإن الله يأمرك أن تعود إلى سريرك فتقعد عليه ، وترسل إليها وإلى من حضرها من جنودها ، وترسل إلى جميع جنودك الذين حضروا فدخلوا عليك فتسألها وتسألهم عما سألتك عنه . قال : ففعل ، فلما دخلوا عليه جميعاً ، قال لها : عمّ سألتني ؟ قالت : سألتك عن ماء رواء ، لا من سماء ولا من أرض ، قال : قلت لك : عرق الخيل ، قالت : صدقت ، قال : وعن أى شىء سألتني ؟ قالت : ما سألتك عن شىء غير هذا . قال : قال لها سليمان ، فلأى شىء خرت عن سريري ؟ قالت : قد كان ذلك لشىء لا أدري ما هو- قال العباس : قال على : نسيته - قال : فسأل جنودنا فقالوا مثل ما قالت ، قال : فسأل جنوده من الإنس والجن والطير وكل شىء كان حضره من جنوده ، فقالوا : ما سألتك يا رسول الله إلا عن ماء رواء ، قال - وقد كان قال له الرسول : يقول الله لك : عد إلى مكانك فإنى قد كفتكهم - قال : وقال سليمان : للشياطين : ابنوا لى صرحاً تدخل على فيه بلقيس ، قال : فرجع الشياطين بعضهم إلى بعض ، فقالوا : سليمان رسول الله قد سخر الله له ما سخر ، وبلقيس مائة سبأ ينكحها فتلد له (١) غلاماً ، فلا تنفك من العبودية أبداً .

قال : وكانت امرأة شعراء (٢) الساقين ، فقالت الشياطين : ابنوا له بنياناً ليرى ذلك منها ، فلا يتزوجها ، فبنوا له صرحاً من قوارير أخضر ، وجعلوا له طوابيق من قوارير كأنه الماء ، وجعلوا فى باطن الطوابيق كل شىء يكون من الدواب فى البحر من السمك وغيره ، ثم أطبقوه . ثم قالوا لسليمان : ادخل الصرح ، قال : فالتبى لسليمان كرسى فى أقصى الصرح ، فلما دخله ورأى ما رأى أتى الكرسى ، فقعد عليه ، ثم قال : أدخلوا على بلقيس ، فقيل لها : ادخل الصرح ، فلما ذهبت تدخله رأت صورة السمك وما يكون فى الماء من الدواب ، فحسبته لجة (حسبه ماء) وكشفت عن ساقبها لتدخل ، وكان شعر ساقبها ملتويًا على ساقبها ، فلما رآها سليمان ، ناداها-وصرف بصره عنها : إنه صرح ممرّد من

(١) ح ، س : « فتلد منه » . (٢) ح : « كثيرة شعر الساقين » .

قوارير ، فألقت ثوبها فقالت : ﴿ رَبُّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأُسَلِّمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(١) قال : فدعا سليمان الإنس فقال : ما أقبح هذا ! ما يُذهب هذا ؟ قالوا : يا رسول الله موسى . قال : المواسي تقطع ساقِي المرأة . قال : ثم دعا الجن فسألهم فقالوا : لا ندرِي ، ثم دعا الشياطين فقال : ما يُذهب هذا ؟ قالوا مثل ذلك : الموسي ، فقال : المواسي تقطع ساقِي المرأة . قال : فتلكثوا عليه ، ثم جعلوا له النُورَة - قال ابن عباس : فإنه لأول يوم رُئيت فيه النُورَة - فاستنكحها سليمان .

٥٨٤/١

حدثنا ابن حميد : قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب ابن منبه ، قال : لما رجعت الرسل إلى بلقيس بما قال سليمان ، قالت : قد والله عرفت ما هذا بملك ، وما لنا به من طاقة ، وما نصنع بمكائرتة شيئاً ، وبعثت إليه أني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك ، وما تدعوا إليه من دينك . ثم أمرت بسرير مُلْكها الذي كانت تجلس عليه - وكان من ذهب مفصص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ - فجعل في سبعة أبيات بعضها في بعض ، ثم أقفلت^(٢) على الأبواب ، وكانت^(٣) إنما تتخذُ منها النساء ، معهن ستمائة امرأة تتخذُ منها . ثم قالت لمن خلفت على سلطانها : احتفظ بما قبلك ، وسرير ملكي فلا يخلص إليه أحد ولا يرينه حتى آتيك . ثم شخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف قبيل معها من ملوك اليمن ، تحت يد كل قبيل منهم ألوف كثيرة ، فجعل سليمان يبعث الجن فيأتونه بمسيرها ومنتهاها كل يوم وليلة ، حتى إذا دنت جَمَعَ من عنده من الجن والإنس ممن تحت يديه ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِيهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾^(٤) . قال : وأسلمت فحسن إسلامها . قال : فزعم أن سليمان قال لها حين أسلمت وفرغ من أمرها : اختاري رجلاً من قومك أزواجك ، قالت : ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال ، وقد كان لي في قومي من الملك والسلطان ما كان لي ! قال : نعم ، إنه

٥٨٥/١

(١) سورة النمل ٤٤ .

(٢) ن : « أغلقت » .

(٣) ط : « فكانت » ، وما أثبتته عن ا .

(٤) سورة النمل ٣٨ .

لا يكون في الإسلام إلا ذلك ، ولا ينبغي لك أن تُحرّمى ما أحلّ الله لك ،
فقلت : زوّجني إن كان لا بد ذا تُبّع^(١) ملك همدان ، فزوجه إياها ، ثم
ردّها إلى اليمن ، وسلّط زوجها ذاتبّع على اليمن ، ودعا زوبعة أمير جنّ
اليمن فقال : اعمل لذي تبّع ما استعملك لقومه . قال : فصنع لذي تبّع
الصنائع باليمن ، ثم لم يزل بها ملكاً يُعمل له فيها ما أراد؛ حتى مات سليمان
ابن داود عليه السلام .

فلما حال الحول وتبينت الجنّ موت سليمان أقبل رجل منهم ، فسلك
تهامة حتى اذا كان في جوف اليمن صرخ بأعلى صوته : يا معشر الجنّ ،
إن الملك سليمان قد مات فارفعوا أيديكم . قال : فعمدت الشياطين إلى حجرتين
عظيمين . فكتبوا فيهما كتاباً بالمسند : نحن بنينا سلّحين^(٢) ، سبعة
وسبعين خريفاً دائبين ، وبنينا صيرواح ومراح وبيننون برحاضة أيدينا^(٣) ، وهندة
وهنيذة ، وسبعة أمجة بقاعة ، وتلثوم بريذة ، ولولا صارخ بتهامة ، لركنا
بالبون إمارة

قال : وسلّحين [وصيرواح] ومراح وبيننون وهندة وهنيذة وتلثوم حصون
كانت باليمن ، عملتها الشياطين لذي تبّع ، ثم رفعوا أيديهم ، ثم انطلقوا ،
وانقضى ملك ذى تبّع وملك بلقيس مع ملك سليمان بن داود عليهما السلام .

(١) ط : « بتع » ، وما أثبتته عن ا ومعجم البلدان .

(٢) قال ياقوت : سلحين : حصن عظيم بأرض اليمن كان للتبابعة ملوك اليمن . . . قال :
« وزعموا أن الشياطين بنت لذي تبّع ملك همدان حين زوج سليمان بلقيس قصوراً وأبنية وكتبت في
حجر ، وجعلته في بعض القصور التي بنتها » .

(٣) اللسان ٦ : ٢١٥ : « بغسالة أيديهم » .

ذكر غزوته أبا زوجته جرادة وخبر الشيطان الذي أخذ خاتمه

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض العلماء ، قال : قال وهب بن منبه : سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزائر البحر ، يقال لها صيدون ، بها ملك عظيم السلطان لم يكن للناس إليه سبيل ، لمكانه في البحر ، وكان الله قد آتى سليمان في ملكه سلطاناً لا يمتنع منه شيء في برّ ولا بحر ، إنما يركب إليه إذا ركب على الريح ، فخرج إلى تلك المدينة تحميلة الريح على ظهر الماء ، حتى نزل بها بجنوده من الجن والإنس ، فقتل ملكتها واستفاء^(١) ما فيها ، وأصاب فيما أصاب ابنة^(٢) لذلك الملك لم ير مثلها حسناً وجمالاً ، فاصطفاها لنفسه ، ودعاها إلى الإسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة ثقة ، وأحبها حباً لم يحبه شيئاً من نساءه ، ووقعت نفسه عليها ، فكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها . ولا يرقأ دمعها . فقال لها : لما رأى ما بها وهويشني عليه [من ذلك]^(٣) ما يرى : ويحك ، ما هذا الحزن الذي لا يذهب . والدمع الذي لا يرقأ ! قالت : إن أبي أذكره وأذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه ، فيحزني ذلك ، قال : فقد أبدلك الله [به]^(٤) ملكاً هو أعظم من ملكه ، وسلطاناً هو أعظم من سلطانه ، وهداك للإسلام وهو خير من ذلك كله ، قالت : إن ذلك لكذلك^(٥) ؛ ولكنني إذا ذكرته أصابني ما [قد]^(٦) ترى من الحزن ، فلو أنك أمرت الشياطين ، فصوّروا صورة أبي في داري التي أنا فيها ، أراها بكرة وعشيّاً لرجوت أن يذهب ذلك حزني ، وأن يسلي عني بعض ما أجد في نفسي ، فأمر سليمان الشياطين ، فقال : مثلوا لها صورة أبيها في دارها حتى ما تنكر^(٧) منه شيئاً ، فمثلوه لها حتى نظرت إلى أبيها في نفسه^(٨) ،

٥٨٧/١

٥٨٨/١

- (١) كذا في ط ، وفي ا ، س : « استبي » .
 (٢) من ا .
 (٣) ط : « كذلك » ، وما أثبتته من ا .
 (٤) ط : « لا تنكر » وما أثبتته من ا .
 (٥) ن : « في هيئته » .

إلا أنه لا روح فيه، فعمدت إليه حين صنعوه لها فأزرتة وقرصته وعمته وردته
بمثل ثيابه التي كان يلبس، مثل ما كان يكون فيه من هيئة، ثم كانت إذا
خرج سليمان من دارها تغدو عليه في ولائدها حتى تسجد له ويسجدن
له، كما كانت تصنع به في ملكه، وتروح كل عشية بمثل ذلك، لا يعلم
سليمان بشيء من ذلك أربعين صباحًا، وبلغ ذلك آصف بن برخيا - وكان
صديقًا، وكان لا يرد عن أبواب سليمان أي ساعة أراد دخول شيء من بيوته
دخل، حاضرًا كان سليمان أو غائبًا - فأتاه فقال: يا نبي الله، كبرت سني،
ودق عظمي، ونفد عمري. وقد حان مني ذهاب^(١)! وقد أحببت أن أقوم
مقامًا قبل الموت أذكر فيه من مضي من أنبياء الله، وأثنى عليهم بعلمي
فيهم، وأعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير من أمورهم، فقال:
افعل، فجمع له سليمان الناس، فقام فيهم خطيبًا، فذكر من مضي من
أنبياء الله، فأثنى على كل نبي بما فيه، وذكر ما فضله الله به، حتى انتهى
إلى سليمان وذكره، فقال: ما كان أحلمك في صغرك، وأورعك في صغرك،
وأفضلك في صغرك، وأحكم أمرك في صغرك، وأبعدك من كل ما يدكره في
صغرك! ثم انصرف فوجد سليمان في نفسه حتى ملأه غضبًا، فلما دخل سليمان
داره أرسل إليه، فقال: يا آصف. ذكرت من مضي من أنبياء الله فأثنت
عليهم خيرًا في كل زمانهم، وعلى كل حال من أمرهم، فلما ذكرتني جعلت
تثنى علي بخير في صغري، وسكت عما سوي ذلك من أمري في كبري،
فما الذي^(٢) أحدثت في آخر أمري؟ قال: إن غير الله ليعبد في دارك منذ
أربعين صباحًا في هوى امرأة، فقال: في داري! فقال: في دارك، قال:
إنا لله وإنا إليه راجعون! لقد عرفت أنك ما قلت إلا عن شيء بلغك. ثم
رجع سليمان إلى داره فكسر ذلك الصنم، وعاقب تلك المرأة وولائدها، ثم
أمر بثياب الطهرة فأثى بها، وهي ثياب لا يغزلها إلا الأبقار، ولا ينسجها إلا

(١) كذا في ا، س، ن، وفي ط: «الذهاب».

(٢) ح: «فاذا ترى أحدثت»، ا: «فاذا الذي أحدثت».

الأبكار ، ولا يغسلها إلا الأبكار ، ولا تمسها امرأة قد رأت الدم ، فلبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحدّه ، فأمر برماد ففرش له ، ثم أقبل تائباً إلى الله حتى جلس على ذلك الرماد ، فتمعك فيه بشبابه تذلاًّ لله جلّ وعزّ وتضرّعا إليه ، يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره ، ويقول فيما يقول - فيما ذكر لي والله أعلم : رَبِّ مَاذَا بِيَلَاثِكَ عِنْدَ آلِ دَاوُدَ أَنْ يَعْبُدُوا غَيْرَكَ ، وَأَنْ يُقْرِئُوا فِي دُورِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ عِبَادَةَ غَيْرِكَ ! فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى ، يبكي إلى الله ويتضرّع إليه ويستغفره ، ثم رجع إلى داره - وكانت أمّ ولد له يقال لها : الأمانة ، كان إذا دخل مذهبّه ، أو أراد إصابة امرأة من نسائه وضع خاتمته عندها حتى يتطهر^(١) ، وكان لا يمَسّ خاتمته إلا وهو طاهر ، وكان ملاكُه في خاتمته ، فوضعه يوماً من تلك الأيام عندها كما كان يضعه . ثم دخل مذهبّه ، وأتاها الشيطانُ صاحب البحر - وكان اسمه صخرأ - في صورة سليمان لا تنكر منه شيئاً ، فقال : خاتمي يا أمانة ! فناولته إياه ، فجعله في يده ، ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان ، وعكفت عليه الطير والجن والإنس ، وخرج سليمان فأتى الأمانة ، وقد غيّرت حالته وهيئته عند كل من رآه ، فقال : يا أمانة ، خاتمي ! فقالت : ومن أنت ؟ قال : أنا سليمان بن داود ، فقالت : كذبت ، لست بسليمان بن داود ، وقد جاء سليمان فأخذ خاتمته ، وهو ذاك جالس على سريريه في ملكه . فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته ، فخرج فجعل يقف على الدار من دور بني إسرائيل ، فيقول : أنا سليمان بن داود . فيحشون عليه التراب ويسبونه ، ويقولون : انظروا إلى هذا المجنون ، أي شيء يقول ! يزعم أنه سليمان بن داود . فلما رأى سليمان ذلك عمِد إلى البحر ، فكان ينقل الحيتان لأصحاب البحر إلى السوق^(٢) ، فيعطونه كلّ يوم سمكتين ، فإذا أمسى باع إحدى سمكتيه بأرغفة وشوى الأخرى ، فأكلتها ، فمكث بذلك أربعين صباحاً ، عِدّة ما عبِد ذلك الوثن في داره ،

(١) س : « يطهر » .

(٢) ١ : « في السوق » .

فأنكر آصف [بن برخيا]^(١) وعظماء بنى إسرائيل حُكْمَ عدو الله الشيطان في تلك الأربعين صباحاً ، فقال آصف : يا معشر بنى إسرائيل ، هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيتم ! قالوا : نعم ، قال : أمهلوني حتى أدخل على نسائه فاسألهن : هل أنكرن منه في خاصة أمره ما أنكرنا في عامة أمر الناس وعلانيته ؟ فدخل على نسائه فقال : ويحك ! هل أنكرتن من أمر ابن داود ما أنكرنا ؟ فقلن : أشدُّه ما يدع امرأة منا في دمها ، ولا يغتسل من جنابة ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! إن هذا لهُو البلاء المبين ، ثم خرج إلى بنى إسرائيل ، فقال ما في الخاصة أعظم مما في العامة ، فلما مضى أربعون صباحاً طار الشيطان عن مجلسه ، ثم مرّ بالبحر ، فقذف الخاتم فيه ، فبلعته^(٢) سمكة ، وبصر بعض الصيادين فأخذها وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك ، حتى إذا كان العشي أعطاه سمكته ، فأعطى السمكة التي أخذت الخاتم ، ثم خرج سليمان بسمكته فيبيع التي ليس في بطنها الخاتم بالأرغفة ، ثم عمد إلى السمكة الأخرى فبقرها ليشويها فاستقبله خاتمه^(٣) في جوفها ، فأخذه فجعله في يده ووقع ساجداً لله ، وعكف عليه الطير والجن^(٤) ، وأقبل عليه الناس وعرف أن الذي دخل عليه لما كان أحدث في داره ، فرجع إلى ملكه ، وأظهر التوبة من ذنبه ، وأمر الشياطين فقال : ائتوني به ، فطلبتنه له الشياطين حتى أخذوه ، فأتى به ، فجاب^(٥) له صخرة ، فأدخله فيها ، ثم سدّ عليه بأخرى ، ثم أوثقها بالحديد والرصاص ، ثم أمر به فقذف في البحر .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا ٥٩٢/١ أسباط ، عن السدي في قوله : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ﴾^(٦) ، قال : الشيطان حين جلس على كرسيه أربعين يوماً^(٧) ، قال :

(٢) ١ : « فتلقتنه » .

(٤) ١ : « إليه » .

(١) تكلمة من ا ح .

(٣) ١ : « الخاتم » .

(٥) جاب صخرة ، أى خرقتها .

(٦) سورة ص ٣٤ .

(٧) ن : « صباحاً » .

كان لسليمان مائة امرأة ، وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة ، وهي آثر نسائه عنده ، وآمنهن عنده ، وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه ، ولا يأتمن عليه أحداً من الناس غيرَها ، فجاءته يوماً من الأيام فقالت [له] (١) : إن أخى بينه وبين فلان خصومة : وأنا أحب أن تقضى له إذا جاءك ، فقال : نعم ، ولم يفعل ، فابتلى فأعطاها خاتمه ، ودخل المخرج فخرج الشيطان في صورته ، فقال : هاتي الخاتم ، فأعطته ، فجاء حتى جلس على مجلس سليمان ، وخرج سليمان بعد فسأها أن تعطيه خاتمه ، فقالت : ألم تأخذه قبل ؟ قال : لا ، وخرج من مكانه تائهاً ، قال : ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوماً . قال : فأنكر الناس أحكامه ، فاجتمع قراء بنى إسرائيل وعلمائهم ، وجاءوا حتى دخلوا على نسائه فقالوا : إنا قد أنكرنا هذا ، فإن كان سليمان ، فقد ذهب عقله ، وأنكرنا أحكامه ! قال : فبكى النساء عند ذلك ، قال : فأقبلوا يمشون حتى أتوه ، فأحدقوا به ثم نشروا فقرءوا التوراة ، قال : فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه ، ثم طار حتى ذهب إلى البحر ، فوقع الخاتم منه في البحر ، فابتلعه حوت من حيطان البحر ، قال : وأقبل سليمان في حاله التي كان فيها حتى انتهى إلى صياد من صيادي البحر وهو جائع ، وقد اشتد جوعه . فاستطعمه من صيدهم ، وقال : إني أنا سليمان ، فقام إليه بعضهم فضربه بعضاً فشجته ، قال : فجعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر . فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه وقالوا : بشس ما صنعت حيث ضربته ! قال : إنه زعم أنه سليمان ، قال : فأعطوه سمكتين مما قد ضرب عندهم . فلم يشغله ما كان به من الضرب . حتى قام على شط البحر ، فشق بطونهما (٢) ، وجعل (٣) يغسلهما ، فوجد خاتمه في بطن إحداهما ، فأخذه فلبسه . فرد الله عليه بهاءه وملاكه : وجاءت الطير حتى حامت عليه . فعرف القوم أنه سليمان ، فقام القوم يعتنرون مما صنعوا ، فقال : ما أحمدكم على

٤٩٣/١

(١) من . . .

(٢) ج . . . س . . . « بطونيهما » .

(٣) ط . . . « جعل » : وما أنبته من . . .

عُدْرِكُمْ ، وَلَا أَلْمِكُمْ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْكُمْ ، كَانَ هَذَا الْأَمْرَ لَا بَدَّ مِنْهُ .

قال : فجاء حتى أتى ملكه ، فأرسل إلى الشيطان فجىء به ، وسُخِّرَتْ له الريح والشياطين يومئذ ، ولم تكن سُخِّرَتْ له قبل ذلك ، وهو قوله : ﴿ وَهَبْ لِي مِنْكَ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾^(١) .

وبعث إلى الشيطان فأتى به ، فأمر به فجعل في صندوق من حديد ، ثم أطبق عليه ، وأقفل عليه بقفل ، وختم عليه بخاتمه ، ثم أمر به فألقى في البحر ، فهو فيه حتى تقوم الساعة ، وكان اسمه حقيق .

• • •

قال أبو جعفر : ثم لبث سليمان بن داود في ملكه بعد أن رده الله إليه ، تعمل له الجن ما يشاء من محاريب وتمائيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ، وغير ذلك من أعماله ، ويعذب من الشياطين من شاء ، ويطلق من أحب منهم إطلاقه ، حتى إذا دنا أجله ، وأراد الله قبضه إليه ، كان من أمره - فيما بلغني - ما حدثني به أحمد بن منصور ، قال حدثنا موسى بن مسعود أبو حذيفة ، قال : حدثنا إبراهيم بن طهمان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جببير ، عن ابن عباس : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كان سليمان نبي الله إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه ، فيقول لها : ما اسمك ؟ فتقول : كذا وكذا ، فيقول : لأي شيء أنت ؟ فإن كانت لغرس غرست ، إن كانت لدواء كتبت ، فبينما هو يصلي ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه ، فقال لها : ما اسمك ؟ قالت : الخروب ، قال : لأي شيء أنت ؟ قالت : لخراب هذا البيت ، فقال سليمان : اللهم عم على الجن موتى حتى يعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب ، فتحتمها عصاً ، فتوكأ عليها حولاً ميتاً ، والجن تعمل ، فأكلتها الأرضة فسقط ، فتبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين .

قال : وكان ابن عباس يقرؤها « حولاً في العذاب المهين » قال : فشكرت الجن الأرضة ، فكانت تأتيها بالماء^(٢) .

(١) سورة ص ٣٥

(٢) الخبر في التفسير ٢٢ : ٥١ (بولاق)

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدي في حديث ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : كان سليمان يتجرّد في بيت المقدس السنة والسنتين ، والشهر والشهرين ، وأقلّ من ذلك وأكثر ، يدخل طعامه وشرابه ، فأدخله في المرة التي مات فيها ، فكان بدء ذلك أنه لم يكن يومٌ يصبح فيه إلا نبتت في بيت المقدس شجرة ، فيأتيها ، فيسألها : ما اسمك ؟ فتقول الشجرة : اسمي كذا وكذا ، فيقول لها : لأي شيء نبتت ؟ فتقول : نبتت لكذا وكذا ، فيأمر بها فتقطع ، فإن كانت نبتت لغرس غرسها ، وإن كانت نبتت دواء قالت : نبتت دواء لكذا وكذا ، فيجعلها لذلك ، حتى نبتت شجرة يقال لها الخروبة فسألها : ما اسمك ؟ قالت : أنا الخروبة ، قال : ولأي شيء نبتت ؟ قالت : نبتت لخراب هذا المسجد . قال سليمان : ما كان الله ليخربه وأنا حي ، أنت التي على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس ، فترعها وغرسها في حائط له ، ثم دخل المحراب فقام يصلي متكئاً على عصاه فمات ، ولا تعلم به الشياطين ، وهم في ذلك يعملون له يخافون أن يخرج فيعاقبهم ، وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب ، وكان المحراب له كؤي بين يديه وخلفه ، فكان الشيطان الذي يريد أن يخلع يقول : أأست جليداً إن دخلت فخرجت من ذلك الجانب ؟ فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر ، فدخل شيطان من أولئك ، فرمى ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان في المحراب إلا احترق - ولم يسمع صوت سليمان ، ثم رجع فلم يسمع ، [ثم رجع فلم يسمع]^(١) ثم رجع فوقف في البيت فلم يحمق ، ونظر إلى سليمان قد سقط ميتاً ، فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات ، ففتحوا عنه فأخرجوه ، ووجدوا منسأته - وهي العصا بلسان الحبشة - قد أكلتها الأرضة ، ولم يعلموا منذ كم مات ، فوضعوا الأرضة على العصا ، فأكلت منها يوماً وليلة ، ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة^(٢) ، وهي في قراءة ابن مسعود : « فكثروا يدينون له من بعد موته حولا كاملاً ، فأيقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبونهم ، ولو أنهم علموا الغيب لعلموا موت

٥٩٦/١

(١) تكلة من ا

(٢) الخبر في التفسير ٢٣ : ٥١ ، ٥٢ (بولاق) .

سليمان ، ولم يلبثوا في العذاب سنة يعملون له ، وذلك قول الله عز وجل :
﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ ﴾ - إلى قوله - ﴿ فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ ٥٩٧/١
يقول : بين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم . ثم إن الشياطين قالوا للأرضة :
لو كنت تأكلين الطعام أتيناك بأطيب الطعام ، ولو كنت تشربين الشراب
سقيناك أطيب الشراب ، ولكننا سننقل [إليك] ^(١) الماء والطين . قال : فهم
ينقلون إليها ذلك حيث كانت . قال : ألم تر إلى الطين الذي يكون في جوف
الحشب فهو ما يأتيها به الشياطين شكراً لها !
وكان جميع عمر سليمان بن داود فيما ذكر نيفاً وخمسين سنة ، وفي سنة
أربع من ملكه ابتداءً ببناء بيت المقدس فيما ذكر .

(١) تكملة من ابن الأثير .

ذكر من ملك إقليم بابل والمشرق من ملوك الفرس بعد كيقباذ

قال أبو جعفر : ونرجع الآن إلى الخبر عمن ملك إقليم بابل والمشرق
من ملوك الفرس بعد كيقباذ .

• • •

وملك بعد كيقباذ بن زاغ بن يوجيا^(١) كيقاوس بن كيبه بن كيقباذ الملك .
فذكر أنه قال يوم ملك : إن الله تعالى إنما حولنا الأرض وما فيها لنسعى
فيها بطاعته ، وأنه قتل جماعة من عظماء البلاد التي حوله . وحى بلاده
ورعيته ممن حوالهم من الأعداء أن يتناووا منها شيئاً ، وأنه كان يسكن بلخ ،
وأنه وُلِدَ له ابن لم يُرَ مثله في عصره في جماله وكمالهِ وتَمَامِ خَلْقِهِ . فسماه
سياوخش ، وضمه إلى رستم الشديد بن دستان بن بريمان^(٢) بن جودنك^(٣)
ابن كرشاسب بن أثرط^(٤) بن سهم بن نريمان .

٥٩٨/١

وكان إصبيهند^(٥) سجستان وما يليه من قبله يربيه ويكفله ، وأوصاه
به فأخذه منه رستم ، ففضى به معه إلى موضع عمله سجستان ، فرباه رستم
ولم يزل في حجيره يجمع له وهو طفل الحواضن والمرضعات ، ويتخيرهن له .

(١) كذا في ١ .

(٢) كذا في ١ وفي ح س : « برامان » ، وفي ن : « مرمان » .

(٣) كذا في ١ ، وفي ح : « حورنك » ، ن : « حوزترك » .

(٤) ١ : « أثوط » .

(٥) ذكرها في الجواليقي بلفظ الصبيد ، وقال : فارسي معرب ؛ وهو في الديلم كالأمر في

المرب ، وأورد قول جرير :

إذا افتخرُوا عَدُوَّ الصَّبِيهِدِ فِيهِمْ وكسرى وآل الهرمزانِ وقيصراً

وفي اللسان ٥ : ٨ : « إصبيد » ، وضبط الألف بالقلم بالكسر . وقال إدي شير : « إن

إصبيد » بالفارسية معناه قائد المعسكر ؛ وهو أيضاً اسم وعلم للملك طبرستان . وانظر المغرب

وحواشيه ٢١٨ .

حتى إذا ترعرع جمع له المعلمين ، فتخير له منهم من اختاره لتعليمه^(١) ،
حتى إذا قدّر على الركوب علمه الفروسية حتى إذا تكاملت^(٢) فيه فنون
الآداب ، وفاق في الفروسية قدم به على والده رجلاً كاملاً . فأتحنه والده
كيقاوس ، فوجده نافذاً في كل ما أراد بارعاً ، فسُرّ به . وكان كيقاوس
تزوج - فيما ذكر - ابنة فراسياب ملك الترك ، وقيل : بل إنها بنت ملك
اليمن . وكان يقال لها سودابة . وكانت ساحرة . فهويت سياوخش ، ودعته
إلى نفسها ، وأنه امتنع عليها ، وذكرت لها ولسياوخش قصة يطول بذكرها
الكتاب ، غير أن آخر أمرهما صار في ذلك - فيما ذكر لي - أن سودابة لم تزل
لما رأت من امتناع سياوخش عليها فيما أرادت منه من الفاحشة بأبيه كيقاوس
حتى أفسدته عليه . وتغير لابنه سياوخش ، فسأل سياوخش رستم أن يسأل
أباه كيقاوس توجيهه لحرب فراسياب لسبب منعه بعض ما كان ضمن
له عند إنكاحه ابنته إياه . وصلاح جرى بينه وبينه . مريداً بذلك سياوخش
البعد عن والده كيقاوس . والتحقى عما تكيد به عنده زوجته سودابة . ففعل
ذلك رستم ، واستأذن له أباه فيما سأله . وضم إليه جنداً كثيراً . فشحخص
إلى بلاد الترك للقاء^(٣) فراسياب . فلما صار إليه سياوخش ، جرى بينهما
صلاح . وكتب بذلك سياوخش إلى أبيه يعلمه ما جرى بينه وبين فراسياب
من الصلح ، فكتب إليه والده يأمره بمناهضة فراسياب ومناجزته الحرب ،
إن هو لم يذعن له بالوفاء بما كان فارقه عليه ، فرأى سياوخش أن في فعله
ما كتب به إليه أبوه من محاربة فراسياب بعد الذي جرى بينه وبينه من الصلح
والهدنة من غير نقض فراسياب شيئاً من أسباب ذلك عليه عاراً ومنقصةً
ومأثماً ، فامتنع من إنفاذ أمر أبيه في ذلك ، ورأى في نفسه أنه يؤتى في كل
ذلك من زوجة أبيه التي دعته^(٤) إلى نفسها فامتنع عليها . ومال إلى الحرب

(١) ط : « ليعلمه » ، وما أثبتته عن .

(٢) ط : « تكامل » ، وما أثبتته عن .

(٣) ن : « ليلقى » .

(٤) ن : « تدعوه » .

من أبيه ، فراسل فراسياب في أخذ الأمان لنفسه منه ، واللحاق به ، وترك^(١) والده ، فأجابه فراسياب إلى ذلك - وكان السفير بينهما^(٢) في ذلك - فيما قيل - رجلاً من الترك من عظمائهم يقال له : فيران بن ويسغان^(٣) - فلما فعل ذلك سیاوخش انصرف عنه من كان معه من جند أبيه كيقاوس .

٦٠٠/١

فلما صار سیاوخش إلى فراسياب بوآه وأكرمه وزوجه ابنة له يقال لها : وسفا فرید ، وهي أم كيخسرونه^(٤) ، ثم لم يزل له مكراً حتى ظهر له أدب سیاوخش وعقله وكماله وفروسيته ونجدته ما أشفق على ملكه منه ، فأفسده ذلك عنده ، وزاده فساداً عليه سعى ابنين له وأخ يقال له : كندر بن فشنگان عليه بإفساد أمر سیاوخش عنده ، حسداً منهم له ، وحذراً على ملكهم منه ، حتى مكنتهم من قتله ، فذكر في سبب وصولهم إلى قتله أمر يطول بشرحه الخطب ، إلا أنهم قتلوه ومثلوا به وامراته ابنة فراسياب حامل منه بابنه كيخسرونه ، فطلبوا الحيلة لإسقاطها ما في بطنها فلم يسقط ، وأن فيران الذي سعى في عقد الصلح بين فراسياب وسياوخش لما صح عنه ما فعل فراسياب من قتله سیاوخش ، أنكر ذلك من فعله ، وخوفه عاقبة الغدر ، وحذره الطلب بالثأر من والده كيقاوس ومن رستم ، وسأله دفع ابنته وسفا فرید إليه لتكون عنده إلى أن تضع ما في بطنها ثم يقتله .

٦٠١/١

ففعل ذلك فراسياب ، فلما وضعت رق فيران لها وللمولود ، فترك قتله وسر أمره ، حتى بلغ المولود ، فوجته - فيما ذكر - كيقاوس إلى بلاد الترك بن بن جوذرز ، وأمره بالبحث عن المولود الذي ولدته زوجة ابنه سیاوخش ، والتأني لإخراجه إليه ، إذا وقف على خبره مع أمه ، وأن بيئاً شخّص لذلك ؛ فلم يزل يفحص عن أمر ذلك المولود ، متنكراً حيناً من الزمان فلا يعرف له خبر ، ولا يدلّه عليه أحد .

ثم وقف بعد ذلك على خبره . فاحتال فيه وفي أمه حتى أخرجهما من أرض الترك إلى كيقاوس ، وقد كان كيقاوس - فيما ذكر - حين اتصل به

(١) س : « وفراق » . (٢) س : « فيما بينهما » .

(٣) ن : « ويسغان » . (٤) ا : « كيخسرونه » .

قتلُ ابنه أشخص جماعةً من رؤساء قواده ؛ منهم رستم بن دستان الشديد ،
 وطوس بن نوذران^(١) ، وكانا ذوى بأس ونجدة ، فأثخنا الترك قَتلاً وأسراً ،
 وحاربوا فراسياب حرباً شديدة^(٢) ، وأن رستم قتل بيده شهر وشهرة ابني فراسياب
 وأن طوساً قتل بيده كندر أخا فراسياب .

وذكر أن الشياطين كانت مسخرةً لكيقاوس ، فزعم بعضُ أهل العلم
 بأخبار المتقدمين أن الشياطين الذين كانوا سُخِّروا له إنما كانوا يُطيعونه عن
 أمر سليمان بن داود إيتاهم بطاعته ، وأن كيقاوس أمر الشياطين فبنوا له مدينةً
 سماها كندر^(٣) ، ويقال : قيقدون ؛ وكان طولها - فيما زعموا - ثمانمائة فرسخ ،
 وأمرهم فضربوا عليها سوراً من صُفْر ، وسوراً من شَبَه ، وسوراً من نحاس ،
 وسوراً من فخار ؛ وسوراً من فضة . وسوراً من ذهب . وكانت الشياطين تنقلها
 ما بين السماء والأرض وما فيها من الدواب والخزائن والأموال والناس . وذكروا
 أن كيقاوس كان لا يُحدث وهو يأكل ويشرب .

ثم إن الله تعالى بعث إلى المدينة التي بناها كذلك من يُخربها ، فأمر
 كيقاوس شياطينه بمنع من قصد لتخريبها ، فلم يقدرُوا على ذلك ، فلما رأى
 كيقاوس الشياطين لا تطيق الدفع عنها ، عطف عليها ، فقتل رؤساءها . وكان
 كيقاوس - فيما ذكر - مظفراً لا يناوئه أحدٌ من الملوك إلا ظفر عليه وقهره ،
 ولم يزل ذلك أمره حتى حدثته نفسه - لما كان من العز والملك ، وأنه لا يتناول
 شيئاً إلا وصل إليه - بالصعود إلى السماء .

فحدثت عن هشام بن محمد أنه شَخَّص من خراسان حتى نزل بابل ،
 وقال : ما بقي شيءٌ من الأرض إلا وقد ملكته ، ولا بد من أن أعرف أمرَ
 السماء والكواكب وما فوقها ، وأن الله أعطاه قوةً ارتفع بها ومن معه في الهواء
 حتى انتهوا إلى السحاب ، ثم إن الله سلبهم تلك القوة فسقطوا فهلكوا ، وأفلت
 بنفسه وأحدث يومئذ ، وفسد عليه ملكه ، وتمزقت الأرض . وكثرت الملوك
 في النواحي ، فصار يغزؤهم ويغزونه ، فيظفر مرةً وينكسب أخرى .

(١) ح : « قورران » ، س : « قوزران » ن : « بوذران » ،

(٢) كذا في ١ ، وفي ط : « شديداً » .

(٣) كذا في ١

قال : ففزا بلاد اليمن — والمليك بها يومئذ ذو الأذعار بن أبرهة ذى المنار ابن الرائش — فلما ورد بلاد اليمن خرج عليه ذو الأذعار بن أبرهة وكان قد أصابه الفالج ؛ فلم يكن يغزو قبل ذلك بنفسه . قال : فلما أظله كيقاوس ووطئ بلادته في جموعه خرج بنفسه في جموع حمير وولد قحطان ، فظفر بكيقاوس ، فأسره ، واستباح عسكره ، وحبسه في بئر ، وأطبق عليه^(١) طبقاً . قال : وخرج من سجستان رجل يقال له رستم ، كان^(٢) جباراً قوياً فيمن أطاعه من الناس . قال : فرغمت الفرس أنه دخل^(٣) بلاد اليمن ، واستخرج قبوس^(٤) من حبسه وهو كيقاوس . قال : وزعم أهل اليمن أنه لما بلغ ذا الأذعار إقبال رستم خرج إليه في جنوده وعدده ، وخذق كل واحد منهما على عسكره ، وأنهما أشفقا على جنديتهما من البوار ، وتخوفاً إن تزاخفا إلاً تكون لهما بقية ، فاصطلحا على دفع كيقاوس إلى رستم ، ووضع الحرب ، فانصرف رستم بكيقاوس إلى بابل ، وكتب كيقاوس لرستم عتقاً من عبودية الملك ، وأقطعه سجستان وزابلستان ، وأعطاه قلنسوة منسوجة بالذهب وتوجه . وأمره أن يجلس على سرير من فضة ، قوائمه من ذهب ، فلم تزل تلك البلاد بيد رستم حتى هلك كيقاوس وبعده دهرأ طويلاً .

٦٠٤/١

قال : وكان ملكه مائة وخمسين سنة .

وزعم علماء الفرس أن أول من سواد لباسه على وجه الحداد شادوس بن جودرز على سیاوخش ، وأنه فعل ذلك يوم ورد على كيقاوس نعى ابنه سیاوخش وقتل فراسياب إياه ، وغدره به ، وأنه دخل على كيقاوس ، وقد لبس السواد ، فأعلمه أنه فعل ذلك لأن يومه يوم إظلام سواد . وقد حقق ما ذكر ابن الكلبي من أسر صاحب اليمن قابوس الحسن بن هاني في شعره فقال^(٥) :

(١) ا : « عليها » .

(٢) ح : « وكان » .

(٣) ط : « وغل » ، وما أثبت من ا (٤) س ، ن : « كيقاوس »

(٥) في قصيدته التي هجا فيها قبائل نزار بأسرها وافتخر بقحطان وقبائلها ؛ وهي التي أطال

الرشيد حبسه بسببها وأرقها :

وَقَاظَ قَابُوسُ فِي سَلَايِلِنَا سِنِينَ سَبْعًا وَفَتَّ لِحَاسِبِهَا

• • •

ثم ملك من بعد كيقاوس ابنُ ابنه كيخسرو بن سیاوخش بن كيقاوس ابن كيبه بن كيقباز .

وكان كيقاوس حين صار به وبأمه وسفافرید ابنة فراسياب - وربما قيل وسففره - بی بن جودرز إليه من بلاد الترك . ملكه ، فلما قام بالملك بعد جدّه كيقاوس ، وعقد التاج على رأسه خطب رعيته خطبة بليغة ، أعلمهم فيها أنه على الطلب بدم أبيه سیاوخش قبل فراسياب التركي ، ثم كتب إلى جودرز الأصبهيد - كان - بأصبهان ونواحي خراسان^(١) - يأمره بالمصير إليه ، فلما صار إليه أعلمه ما عزم عليه من الطلب بثأره من قتل والده ، وأمره بعرض جنوده ، وانتخاب ثلاثين ألف جل منهم . وضمّهم إلى طوس بن نوذران^(٢) ، ليتوجه بهم إلى بلاد الترك ، ففعل ذلك جودرز ، وضمّهم إلى طوس . وكان فيمن أشخص معه برزافره بن كيقاوس : عم كيخسرو وبن جودرز .

لَيْسَتْ بَدَارٌ عَفَّتْ وَغَيْرَهَا
وَلَا لَأَى الطُّلُولِ أَنْدُبُهَا

وفيها ينشعر بانيم ويذكر الضحاك :

فَنَحْنُ أَرْبَابُ نَاعِطٍ وَكُنَّا
وَكُنَّا مِمَّا الضَّحَّاكُ يَعْبُدُهُ
وَبِهَا يَجُوزُ نَزَارًا :

وَاهْجُ نِزَارًا وَأَفْرِجِ لَدَّتْهَا
وَإَكْشِفِ السُّتْرَ عَنْ مَثَائِبِهَا

وقد رد على قصيدته هذه جماعة من التزارية ؛ منهم رجل من بني ربيعة من نزار فقال في قصيدة أولها :

دَعُ مَدْحَ دَارِ خَبَا وَأَنْتَهَى
عَهْدُ مَعْدٍ بِزَعْمِ عَاتِبِهَا
فَقَالَ :

فَامدَحْ مَعْدًا وَافخرْ بِمَنْصِبِهَا
وَهتَكِ السُّتْرَ عَنْ ذَوِي يَمِينِ
عَالِي عَلَى النَّاسِ فِي مَنْاصِبِهَا
أَوْلَادِ قَحْطَانَ غَيْرِهَا ثَمِينِهَا

وانظر الديوان ١٥٥ والتشبيه والإشراف ٧٦ - ٧٧ .

(١) كذا في ط . وفي ١ : « الأصبهيد بأصبهان ونواحي خراسان » . (٢) : « نوذران » .

وجماعة كثيرة من إخوته ، وتقدم كيخسرو إلى طوس ؛ أن يكون قصده
 لفراسياب وطراختته (١) ، وألا يمر بناحية من بلاد الترك ، وكان فيها أخ له
 يقال له فروذ بن سیاوخش ، من امرأة يقال لها برزا فرید ، كان سیاوخش
 تزوجها في بعض مدائن الترك أيام سار إلى فراسياب . ثم شخص عنها وهي
 حبلى ، فولدت فروذ فأقام بموضعه ، إلى أن شب فغلط طوس في أمر فروذ
 - فيما قيل - وذلك أنه لما صار بجذاء المدينة التي كان فيها فروذ حاج بينه
 وبينه حرب ببعض الأسباب ، فهلك فروذ فيها ، فلما اتصل خبره بكيخسرو
 كتب إلى برزافره عمه كتاباً غليظاً ، يعلمه فيه ما ورد عليه من خبر طوس
 ابن نوزران ومحاربتة فروذ أخاه ، وأمره بتوجيه طوس إليه مقيداً مغلولاً ، وتقدم
 إليه في القيام بأمر العسكر والنفوذ به لوجهه ، فلما وصل الكتاب إلى برزافره ،
 جمع رؤساء الأجناد والمقاتلة . فقرأه عليهم . وأمر بغل طوس وتقييده ،
 ووجهه مع ثقات من رسله إلى كيخسرو ، وتولى أمر العسكر ، وعبر النهر
 المعروف بكاسبرود ، وانتهى الخبر إلى فراسياب ، فوجه إلى برزافره جماعة
 من إخوته وطراختته لمحاربتة ، فالتقوا بموضع من بلاد الترك يقال له واشن ،
 وفيهم فيران بن ويسغان وإخوته طراسيف بن جوذرز صهر فراسياب . وهما سف
 ابن فشنجان ، وقاتلوا قتالاً شديداً . وظهر من برزافره في ذلك اليوم فشل
 لما رأى من شدة الأمر وكثرة القتلى ، حتى انحاز بالعلم إلى رؤوس الجبال
 واضطرب على ولد جوذرز أمرهم . فقتل منهم في تلك الملحمة في وقعة واحدة
 سبعون رجلاً . وقتل من الثريتين بشر كثير ، وانصرف برزافره ومن كان
 معه إلى كيخسرو . وبهم من الغم والمصيبة ما تمنوا معه الموت ، فكان خوفهم
 من سطوة كيخسرو أشد . فلما دخلوا على كيخسرو أقبل على برزافره بلائمة
 شديدة . وقال : أتيت في وجهكم لترككم وصيتي ومخالفة وصية الملوك ، تورد
 السوء ، وتورث الندامة ، وبلغ ما أصيبوا به من كيخسرو حتى رثيت الكتابة
 في وجهه . ولم يلتذ طعاماً ولا نوماً . فلما مضت لموافاتهم أيام أرسل إلى جوذرز
 فلما دخل عليه أظهر التوجع له . فشكا إليه جوذرز برزافره ، وأعلمه أنه كان

(١) قال في التاج : « وطراختان ، بالفتح ولا تقم ولا تكسر وإن ولد الخلدون : اسم

لرئيس الثريين ، حرصان ، بالجمع خرجة .

السبب للهزيمة بالعلم وخذلانه ولده ، فقال له كيخسرو : إن حقت بخدمتك
 لآبائنا لازم لنا ، وهذه جنودنا وخزائننا مبدولة لك في مطالبة ترتك ، وأمره
 بالتهيؤ والاستعداد والتوجه إلى فراسياب ، والعمل في قتله وتخريب بلاده ،
 فلما سمع جوذرز مقالة كيخسرو نهض مبادراً فقبل يده ، وقال : أيها الملك
 المظفر ، نحن رعيك وعبيدك ، فإن كانت آفة أو نازلة ، فلتكن
 بالعبيد دون ملوكها ، وأولادى المقتولون فداؤك ، ونحن من^(١) وراء الانتقام من
 فراسياب والاشتفاء من مملكة الترك . فلا يغمن الملك ما كان ، ولا يدعن
 لهوه ؛ فإن الحرب دؤل ، وأعلمه أنه على النفوذ لأمره . وخرج من عنده
 مسروراً .

فلما كان^(١) من الغد أمر كيخسرو أن يدخل عليه رؤساء أجناده
 والوجوه من أهل مملكته ، فلما دخلوا عليه أعلمهم ما عزم عليه من محاربة
 الأتراك ، وكتب إلى عماله في الآفاق يعلمهم ذلك ، ويأمر بموافاتهم في صحراء
 تعرف بشاه أسطون ، من كورة بلخ ، في وقت وقته لهم . فتوافت رؤساء الأجناد
 في ذلك الموضع ، وشخص إليه كيخسرو بإصبهيدته وأصحابهم ، وفيهم
 برزافره عمه وأهل بيته ، وجوذرز وبقية ولده . فلما تكاملت الملحمة ، واجتمعت
 المرازبة^(٢) ، تولّى كيخسرو بنفسه عرض الجند حتى عرف مبلغهم ، وفهم
 أحوالهم ، ثم دعا بجوذرز بن جشوادغان ، وميلاذ بن جرجين وأغص بن
 بهدان – وأغص ابن وصيفة كانت لسياونخش ، يقال لها : شوماهان – فأعلمهم
 أنه قد أراد إدخال العساكر على الترك من أربعة أوجه ، حتى يحيطوا بهم براً
 وبحراً ، وأنه قد قوّد على تلك العساكر ، وجعل أعظمها إلى جوذرز ، وصير
 مدخله من ناحية خراسان ، وجعل فيمن ضم إليه برزافره عمه وبنى بن جوذرز
 وجماعة من الأصبهيدين كثيرة ، ودفع إليه يومئذ العلم الأكبر الذي كانوا
 يسمونه درفش كايان ، وزعموا أن ذلك العلم لم يكن دفعه أحد من الملوك إلى
 أحد من القواد قبل ذلك ، وإنما كانوا يسيرونه مع أولاد الملوك إذا وجهوهم في

(١) ح : « ونحن نردم » .

(٢) إلى هنا ينتهى الموجود من المجلد الأول من نسخة أحمد الثالث .

(٣) المزيبان : الرئيس من الفرس ، بضم الزاى ، والجمع المرازبة .

الأمر العظام . وأمر ميلاد بالدخول مما يلي الصين ، وضم إليه جماعة كثيرة دون من ضم إلى جودرز ، وأمر أغص بالدخول من ناحية الخزر في مثل من ضم إلى ميلاد ، وضم إلى شومهان إخوتها وبني عمها وتمام ثلاثين ألف رجل من الجند ، وأمرها بالدخول من طريق بين طريق جودرز وميلاد .

ويقال : إن كيخسرو إنما غزا شومهان لخاصتها بسياوخش ، وكانت نذرت أن تطالب بدمه . فضى جميع هؤلاء لوجههم ، ودخل جودرز بلاد الترك من ناحية خراسان ، وبدأ بفيران بن ويسغان ، فالتحمت بينهما حرب شديدة مذكورة ، وهي الحرب التي قتل فيها بيزن بن بن خمان بن ويسغان مبارزة ، وقتل جودرز فيران أيضاً ، ثم قصد جودرز فراسياب ، وألحقت عليه العساكر الثلاثة ، كل عسكر من الوجه الذي دخل منه ، واتبع القوم بعد ذلك كيخسرو بنفسه ، وجعل قصده للوجه الذي كان فيه جودرز ، وصير مدخله منه ، فوافى عسكر جودرز ، وقد أئخز في الترك ، وقتل فيران رئيس إصبهندي فراسياب ، والمرشح للملك من بعده ، وجماعة كثيرة من إخوته ، مثل خمان ، وأوستهن ، وجلباد ، وسيامق ، وبهرام ، وفرشخاد ، وفرخلاد . ومن ولده ، مثل روين بن فيران ، وكان مقدماً عند فراسياب ، وجماعة من إخوة فراسياب ، مثل : رتدرای^(١) ، وأندرمان ، وأسفخرم ، وأخست . وأسربروا بن فشنجان قاتل سياوخش ، ووجد جودرز قد أحصى القتلى والأسرى ، وما غنم من الكراع والأموال ، فوجد مبلغ ما في يده من الأسرى ثلاثين ألفاً ، ومن القتلى خمسمائة ألف ونيفاً وستين ألف رجل ، ومن الكراع والورق والأموال ما لا يحصى كثرة ، وأمر كل واحد من الوجوه الذين كانوا معه أن يجعل أسيره أو قتيله من الأتراك عند علمه لينظر كيخسرو إلى ذلك عند موافاته .

فلما وافى كيخسرو العسكر وموضع الملحمة ، وتلقاه جودرز وسائر الإصبهنيين . فلما دخل العسكر قتل فيران عم . فكان أول قتيل رآه جثة فيران عند علم جودرز ، فلما نظر إليها^(٢) وقف ثم قال :

(١) كذا في ن ، وفي س : " زيد رأى " .

(٢) ح ، س : " إليه " .

أيها الجبل الصعب الذرّاء المنيع الأركان ! ألم أنك عن هذه المحاربة ، وعن
نصب نفسك لنا دون فراسياب في هذه المطالبة ! ألم أبدل لك نفسى ،
وأعرض عليك ملكى فلم تحسّن الاختيار ! ألسنت الصدوق اللسان ، الحافظ
للإخوان ، الكاتم للأسرار ! ألم أعلمك مكتر فراسياب وقلة وفائه فلم تفعل
ما أمرتك بل مضيت في نومك حتى احتوشتك^(١) الليوث من مقاتلتنا وأبناء
مملكنا ! ما أغنى عنك فراسياب ، وقد فارقت الدنيا وأفويت آل ويسغان !
فويل لحلمك^(٢) وفهمك ! وويل لسخائك وصدقك ! إنا بك اليوم لموجعون!

ولم يزل كيخسرو يرثى فيران حتى صار إلى عليم بن بن جوذرز ، فلما وقف
عليه وجد بروا بن فشنگان حياً أسيراً في يدى بنى ، فسأل عنه فأخبر أنه بروا
قاتل سیاوخش المائل به عند قتله إياه . فقرب منه كيخسرو ، ثم طأطأ رأسه
بالسجود شكراً لربه ، ثم قال : الحمد لله الذى أمكننى منك يا بروا ! أنت
الذى قتلت سیاوخش ، ومثلت به ! وأنت الذى سلبته زينته^(٣) وتكلّفت
من بين الأتراك إبارته ، فغرسنا لنا بفعلك هذه الشجرة من العداوة ، وهيجت
بيننا هذه المحاربة ، وأشعلت فى كلا الفريقين نارا موقدة ! أنت الذى جرتى
على يدك تبديل صورته ، وتوهين قوته ! أما تهيبت أيها التركى جماله !
ألا أبقيت عليه للنور الساطع على وجهه ! أين نجدتك وقوتك اليوم ! وأين
أخوك الساحر عن نصرتك ! لست أقتلك لقتلك إياه ؛ بل لكلفتك وتوليتك
ما كان صلاحاً لك ألا تتولاه ، وسأقتل من قتله ببغية وجرمه .

ثم أمر أن تقطع أعضاؤه حياً ثم يذبح ففعل ذلك به بنى ، ولم يزل كيخسرو
يمر بعلم علم ، وأصبهيد أصبهيد ؛ فإذا صار إلى الواحد منهم قال له نحو
ما ذكرنا ، ثم صار إلى مضاربه ، فلما استقرّ فيها دعا ببرزافره عمه ، فلما
دخل عليه أجلسه عن يمينه ، وأظهر له السرور بقتله جلباذ بن ويسغان مبارزة ،
ثم أجزل بجائزته وملكه على كيرمان ومكران ونواحيها ، ثم دعا بجوذرز ، فلما

(١) احتوشوه : أحاطوا به .

(٢) ن : لملك .

(٣) خ : رتبه . . .

دخل عليه قال له : أيها الأصهبذ الرشيد ، والكهل الشفيق ؛ إنه مهما كان من هذا الفتح العظيم فن ربنا عز وجل ، وعن غير حيلة منا ولا قوة ، ثم برعايتك حقنا ، وببذلِكَ نفسك وأولادك لنا ، وذلك مذخور لك عندنا ، وقد حبوْنَاك بالمرتبة التي يقال لها «بُزُرُ جُفر مذار» ؛ وهي الوزارة ، وجعلنا لك أصبهان وجرجان وجبالهما ، فأحسن رعاية أهلها .

فشكر جوذرز ذلك ، وخرَج من عنده بهيجاً مسروراً ، ثم أمر بالوجوه من أصبهذته الذين كانوا مع جوذرز ممن حسن بلاؤه ، وتولى قتل طراخنة الأتراك ، ولد فشنجان وويسغان ؛ مثل جرجين بن ميلاذان ، وبي ، وشادوس ولحام ، وجد مير بن جوذرز ، وبيزن بن بي ، وبرازة بن بيغان ، وفروذه بن فامدان وزنده بن شابريغان ، وبسطام بن كزدهمان ، وفرته بن تفرغان . فدخلوا عليه رجلاً رجلاً ؛ فمنهم من ملكه على البلدان الشريفة ، ومنهم من خصه بأعمال من أعمال حضرته ، ثم لم يلبث أن وردت عليه الكتب من ميلاذ وأغص وشومهان بإثخانهم في بلاد الترك ، وأنهم قد هزموا فراسياب عسكرياً بعد عسكر ، فكتب إليهم أن يجدوا في محاربة القوم ، وأن يوافقوه بموضع سماه لهم من بلاد الترك . فزعوا أن العساكر الأربعة لما أحاطت بفراسياب ، وأتاه من قتل من قتل ، وأسر من أسر ، وخراب ما خرب ما أتاه ، ضاقت عليه المذاهب ، ولم يبق معه من ولده إلا شيدته - وكان ساحراً - فوجهه نحو كيخسرو بالعدة والعتاد ، فلما وافى كيخسرو أعلم أن أباه إنما وجهه للاحتيال عليه ، فجمع أصبهذته وتقدم إليهم في الاحتراس من غيلته .

وقيل : إن كيخسرو أشفق يومئذ من شيدته وهابته ، وظن ألا طاقة له به ، وأن القتال انصل بينهما أربعة أيام ، وإن رجلاً من خاصة كيخسرو يقال له جرد بن حرمان عبي يومئذ أصحاب كيخسرو ، فأحسن تعيبتهم ، فكثرت القتلى بينهم واستماتت رجال خنيارث وجدت ، وأيقن شيدته ألا طاقة له بهم فانهزم ، واتبعه كيخسرو بمن معه ، ولحقه جرد فضربه على هامته بالعمود ضربة خراً منها ميتاً ، ووقف كيخسرو على جيفته ، فعابن منها سماجة شنيعة ، وغم كيخسرو ما كان من عسكرهم ، وبلغ الخبر قراسياب ، فأقبل بجميع

طراختته ، فلما التقى وكيخسرو ، ونشبت بينهما حرب شديدة لا يقال إن مثلها كان على وجه الأرض قبلها ، فاختلفت رجال خنيارث برجال الترك ، وامتد الأمر بينهم حتى لم تقع العين يومئذ إلا على الدماء ، والأسر من جوذرز ولده وجرجين وجرود وبسطام ، ونظر فراسياب وهم يحمون كيخسرو كأنهم أسود ضاربة ، فانهزم مولياً على وجهه هارباً ، فأحصيت القتلى فيما ذكر يومئذ ، فبلغت عدتهم مائة ألف ، وجد كيخسرو وأصحابه في طلب فراسياب ، وقد تجرد للهرب . فلم يزل يهرب من بلد إلى بلد حتى أتى أذربيجان ، فاستتر في غدير هناك يعرف ببئر خاسف ، ثم ظفربه ، فلما أتى كيخسرو استوثق منه بالحديد ، ثم أقام للاستراحة بموضعه ثلاثة أيام ، ثم دعاه ، فسأله عن عذره في أمر سیاوخش ، فلم يكن له عذر ولا حجة ، فأمر بقتله ، فقام إليه بن جوذرز ، فذبحه كما ذبح سیاوخش ، ثم أتى كيخسرو بدمه ، فغمس فيه يده ، وقال هذا بيرة سیاوخش ، وظلمكم إياه واعتدائكم عليه . ثم انصرف من أذربيجان ظافراً غانماً بهجاً .

وذكر أن عدة من أولاد كيبه جده كيخسرو الأكبر وأولادهم كانوا مع كيخسرو في حرب الترك ، وأن ممن كان معه كى أرش بن كيبه ، وكان مملكتاً على خوزستان وما يليها من بابل وكى به أرش ، وكان مملكتاً على كرمان ونواحيها ، وكى أوجى بن كيمنوش بن كيفاشين بن كيبه ، وكان مملكتاً على فارس ، وكى أوجى هذا هو أبوكى لهراسف الملك ؛ ويقال إن أخاً لفراسياب كان يقال له : كى شراسف ، صار إلى بلاد الترك بعد قتل كيخسرو أخاه ، فاستولى على ملكها ، وكان له ابن يقال له خرزاسف ، فملك البلاد بعد أبيه ، وكان جباراً عاتياً ، وهو ابن أخى فراسياب ملك الترك الذى كان حارب منوشهر ، وجوذرز هو ابن جشواغان بن يسحره^(١) بن قرحين^(٢) بن حبر بن رسود بن أورب بن تاج^(١) بن رشيك^(١) بن أرس بن وندح^(٢) بن رعر بن نودراحاه بن فسواغ بن نوذر بن منوشهر .

٦١٨/١

فلما فرغ كيخسرو من المطالبة بيوتره ، واستقر في مملكته زهد في الملك ، وتنسك ، وأعلم الوجوه من أهله وأهل مملكته أنه على التخلت من الأمر ، فاشتد

(٢) كذا في ح .

(١) كذا في ن .

لذلك جزعهم ، وعظمت له وحشتهم ، واستغاثوا إليه ، وطلبوا وتضرعوا ، وراودوه على المقام بتدبير ملكهم ، فلم يجدوا عنده في ذلك شيئاً ، فلما ينسوا قالوا بأجمعهم : فإذا قمت على ما أنت عليه فسم للملك رجلاً نقلده إياه ، وكان لهراسف حاضراً ، فأشار بيده إليه ، وأعلمهم أنه خاصته ووصيه . فأقبل الناس إلى لهراسف . وذلك بعد قبوله الوصية . وفقد كبخسرو ، فبعض يقول : إنه غاب للنسك فلا يدري أين مات ، ولا كيف كانت ميته ، وبعض يقول غير ذلك .

وتقلد لهراسف الملك بعده على الرسم الذي رسم له ، وولد كبخسرو :
 جاماس ، وأسبهر^(١) ، وري ، ورمين .
 وكان ملك كبخسرو ستين سنة .

٦١٩/١

ع

(١) ح : • واسهر • .

أمر إسرائيل بعد سليمان بن داود عليهما السلام

رجع الحديث إلى الخبر عن أمر بني إسرائيل بعد سليمان بن داود عليهما السلام .

ثم ملك بعد سليمان بن داود على جميع بني إسرائيل ابنه رُحْبَعْمُ^(١) بن سليمان ، وكان ملكه فيما قيل - سبع عشرة سنة . ثم افترقت ممالك بني إسرائيل فيما ذكر بعد رُحْبَعْمُ ، فكان أبيّاً^(٢) بن رُحْبَعْمُ ملك سبط يهوذا وبنيامين ، دون سائر الأسباط ؛ وذلك أن سائر الأسباط ملكوا عليهم يوربعم^(٣) بن نابط ، عبد سليمان ، لسبب القربان الذي كانت زوجة سليمان قرْبته في داره ، وكانت قرْبت فيها جرادة لصنم ، فتوعده الله بإزالة بعض الملك عن ولده ، فكان ملك رُحْبَعْمُ إلى أن تُوْفِيَ - فيما ذكر - ثلاث سنين .

ثم ملك أساً^(٤) بن أبيّاً أمر السبطين اللذين كان أبوه يملك أمرهما - سبط يهوذا وسبط بنيامين - إلى أن توفى ، إحدى وأربعين سنة .

* * *

ذكر خبر أساً بن أبيّاً وزرح الهندي

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبدالكريم ؛ قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهب بن منبه يقول : إن ملكاً من ملوك بني إسرائيل يقال له أساً بن أبيّاً ، كان رجلاً صالحاً ، وكان أعرج ، ١٢٠/١ وكان ملك من ملوك الهند يقال له زرح ، وكان ملكاً جباراً فاسقاً يدعو الناس

(١) ضبطه ابن خلدون في (١: ١٤٨) : «براء مهلة وحاء مهلة مضمومتين ، وباء موحدة ساكنة وعين مهلة مضمومة وميم .»

(٢) في ابن خلدون : «أفيا ، وضبطه بهمة مفتوحة وفاء متوسطة بين الفاء والذال من لفتحهم ، وباء مثناة من تحت مشددة بألف .»

(٣) في ابن خلدون : يربعم ، مضبوطاً بالقلم ، بفتح وضم الراء وسكون الباء .

(٤) ضبطه ابن خلدون : بضم الهمزة وفتح السين المهملة وألف بعدها .

إلى عبادته ، وكان أبيًا عابدًا أصنام ؛ له صنمان يعبدهما من دون الله ، ويدعو الناس إلى عبادتهما ؛ حتى أضلّ عامة بني إسرائيل ، وكان يعبد الأصنام حتى توفي . ثم ملك ابنه أسا من بعده ، فلما ملكهم^(١) بعث فيهم منادياً ينادى : **ألا إن الكفر قد مات وأهلُه ، وعاش الإيمان وأهلُه ، وانتكست الأصنام وعبادتها ، وظهرت طاعة الله وأعمالها ، فليس كافر من بني إسرائيل يُطلع رأسه بعد اليوم بكُفْر في ولايتي ودهري ، إلا أنتي^(٢) قاتله . فإن الطوفان لم يُغرق الدنيا وأهلها ، ولم يَحْسف بالقرى ، ولم تمطر الحجارة والنار من السماء إلا بترك طاعة الله ، وإظهار معصيته ؛ فمن أجل ذلك ينبغي لنا ألا نقرّ لله معصية يُعمَل بها ، ولا نترك طاعة الله إلا أظهرناها جهداً ، حتى نطهر الأرض من نجسها ، ونُنقّيها من دنسها ، ونجاهد من خالفنا في ذلك بالحرب والنبي من بلادنا .**

فلما سمع ذلك قومه ضجّوا وكرهوا ، فاتوا أمّ أسا الملك فشكروا إليها فعل ابنها بهم وبآلهم ، ودعاه إياهم إلى مفارقة دينهم ، والدخول في عبادة ربهم ، فتحملت لهم أمه أن تكلمته وتصرفه إلى عبادة أصنام والده ؛ فبينما الملك قاعد وعنده أشرف قومه ورؤسهم^(٣) وذوو طاعتهم ؛ إذ أقبلت أمّ الملك فقام لها الملك من مجلسه ، وأمرها أن تجلس فيه ، معرفةً بحقها ، وتوقيراً لها . فأبت عليه وقالت : **لست ابني إن لم تجبني إلى ما أدعوك إليه ، وتضع طاعتك في يدي حتى تفعل ما أمرك به ، وتجيبتني إلى أمر ؛ إن أطعتني فيه رشّدت وأخذت بحظك ، وإن عصيتني فحظك بخست ، ونفسك ظلمت . إنه بلغني يا بني أنك بدأت قومك بالعظيم ؛ دعوتهم^(٤) إلى مخالفة دينهم ، والكفر بآلهم ، والتحول عما كان عليه آباؤهم ، وأحدثت فيهم سنة ، وأظهرت فيهم بدعة ؛ أردت بذلك - فيما زعمت - تعظيماً لوقارك ، ومعرفةً بمكانك ، وتشديداً لسلطانك ؛ وفي التقصير يا بني دخلت ، وبالشين أخذت . ودعوت جميع الناس إلى حربك ، وانتدبت لقتالهم وحدك ؛ أردت بذلك أن تُعيد الأحرار لك عبيداً ، والضعيف**

٦٢١/١

(١) ن : فلما ملكهم من بعده .

(٢) ح : أنا .

(٣) ن : رؤسائهم .

(٤) س : ودعوتهم .

لك شديداً ؛ سفهت بذلك رأى العلماء ، وخالفت الحكماء ، واتبعت رأى السفهاء . ولعمري ما حملك على ذلك يا بني إلا كثرة طيشك ، وحدائث سنك ، وقلّة علمك ؛ فإن أنت رددت على كلامي ، ولم تعرف حتى ، فليست من نسل والدك ، ولا ينبغي الملك لمثلك . يا بني بأي شيء تُدِلُّ على قومك ؟ لعلك أوتيت من الحروف مثل ما أتى^(١) موسى إلى فرعون ؛ أن غرقه وأنجى قومه من الظلمة . أو لعلك أوتيت من القوة ما أوتي داود ؛ أن قتل الأسد لقومه ، وخلق الذئب فشق شدة قه ، وقتل جالوت الجبار وحده . أو لعلك أوتيت من الملك والحكمة أفضل مما أوتي سليمان بن داود رأس الحكماء ؛ إذ صارت حكمته مثلاً للباقيين بعده ! يا بني إنه ما يأتيك من حسنة فأنا أحظى الناس بها ، وإن تكن الأخرى فأنا أشقاهم بشقوتك .

فلما سمعها الملك اشتد غضبه ، وضاق صدره ، فقال لها : يا أمه ! إنه لا ينبغي أن أكل على مائدة واحدة مع حبيبي وعدوي ، كذلك لا ينبغي أن أعبد غير ربي . هلمني إلى أمرٍ إن أطعنتني فيه رشدت ، وإن تركته غويت ؛ أن تعبدى الله وتكفري بكل آلهة دونه ، فإنه ليس أحد يرد هذا على إلا هو لله عدو ، وأنا ناصره لأنى عبده .

قالت له : ما كنت لأفارق أصنامي ، ولا دين آبائي وقومي . ولا أترك^(٢) ذلك لقولك ، ولا أعبد الرب الذي تدعوني إليه .

فقال لها الملك : حينئذ^(٣) يا أمه ، إن قولك هذا قد قطع فيما^(٤) بيني وبينك رحيمي .

وأمر بها الملك عند ذلك فأخرجوها وغربوها^(٥) ، ثم أوصى إلى صاحب شرطته وبابه أن يقتلها إن هي ألمت بمكانه^(٦) . فلما سمع ذلك منه الأسباط الذين كانوا حوله وقعت في قلوبهم المهابة ،

(١) كذا في ن ، وفي ط : « أوتي » . (٢) ح : « وأترك » .

(٣) س : « عند ذلك » . (٤) ن : « فرق بيني » .

(٥) ر ، ن : « وغربوها » . غربوها ، أي أبعدها

(٦) ح : « بمكانها » .

٦٢٣/١ فأذعنوا له بالطاعة ، وانقطعت فيما بينهم وبينه كل حيلة ، وقالوا : قد فعل هذا بأمة ، فأين نقع نحن منه إذا خالفنا في أمره ، ولم نجبه إلى دينه ! فاحتالوا له كل حيلة ، فحفظه الله وأباد مكرهم . فلما لم يكن لهم عن (١) ذلك صبر ، ولا على فراق دينهم قوام ؛ ائتمروا بأن يهربوا من بلاده ، ويسكنوا بلاداً غيرها ؛ فخرجوا متوجهين إلى زرح ملك الهند يطلبون أن يستحملوه على أسا ومن اتبعه ؛ فاما دخلوا على زرح سجدوا له ، فقال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نحن عبيدك ، قال : وأى عبيدى (٢) أنتم ؟ قالوا : نحن من أرضك أرض الشام ، وإذا كنا نعتر بملكك ، حتى ظهر فينا ملك صبي حديث السن سفيه ، فغير ديننا ، وسفه رأينا ، وكفر آباءنا ، وهان عليه سخطنا ، فأتيناك لنعلمك ذلك ؛ فتكون أنت أولى بملكنا ؛ ونحن رؤوسهم ، وهى أرض كثير مالها ، ضعيف أهلها ، طيبة معيشتها ، كثيرة أنصارها (٣) ، وفيهم الكنوز وملك ثلاثين ملكاً ، وهم الذين كان يوشع بن نون خليفة موسى سار بهم في البحر هو وقومه ؛ فنحن وأرضنا لك ، وبلادنا بلادك ، وليس أحدٌ فيها يناصبك ، هم دافعون أيديهم إليك بغير قتال ، بأموالهم (٤) وأنفسهم مسالمة .

٦٢٤/١ قال : لهم زرح : لعمري ، ما كنت لأجيبكم إلى ما دعوتوني إليه ، ولا أستجيب إلى مقاتلة قوم لعلهم أطوع لى منكم ، حتى أبعث إليهم من قوى أمناء ، فإن وقع الأمر على ما تكلمتم به قد آوى نفعكم ذلك عندي ، وجعلتكم عليها ملوكاً ، وإن كان كلامكم كذباً فلانى منزل بكم العقوبة التى تنبى لمن كذبنى .

قال القوم : تكلمت بالعدل ، وحكمت بالقسط ، ونحن به راضون . فأمر عند ذلك بالأرزاق فأجريت عليهم ، واختار من قومه أمناء لبيعهم جواسيس ، فأوصاهم بوصيته (٥) ، وخوفهم وحذرهم بطشه إن هم كذبوه ،

(١) ن : عل . (٢) ن : عبيد .

(٣) كذا فى ط ، وفى ح « أنصارها » . وفى س « ثمارها » .

(٤) زاد ح : « ومواشيهم » . (٥) ن : « بوصية » .

ووعدهم المعروف إن هم صدقوه . وقال زرح : إني مرساكم لأمانتكم ،
 وشحكم على دينكم ، وحسن رأيكم في قومكم ، لتطالعوا لي أرضاً من أرضي ،
 وتبحثوا لي عن شأنها ، وتعلموني علم أهلها وملئها وبنودها وعددها وعدد
 مياهها ، وفجاجها وطرقها ، ومدخلها ومخرجها ، وسهولتها وصعوبتها ؛ حتى كأي
 شاهد ذلك وعالمه ، وحاضر ذلك وخابره . وخذوا معكم من الخزائن من الياقوت
 والمرجان والكسوة ما يفرغون إليه إذا رأوه ، ويشترون منكم إذا نظروا إليه .

فأمكنهم من خزائنه حتى أخذوا منها ، فجهزهم لبرهم وبحرهم ، ووصف لهم
 القوم الذين أتوهم^(١) الطرق ، ودلّوهم على مقاصدها ، فساروا كالتجار ؛ حتى
 نزلوا ساحل البحر ، ثم ركبوا منه حتى أرسوا على ساحل إيلياء ، ثم ساروا
 حتى دخلوها ، فخلّفوا^(٢) أثقالهم فيها ، وأظهروا أمتعتهم وبضاعتهم ، ودعوا
 الناس إلى أن يشتروا منهم ؛ فلم يفرغوا لبضاعتهم ، وكسدت تجارتهم ،
 فجعلوا يعطون بالشيء القليل الشيء الكثير ؛ لكيلا يخرجوهم من قريتهم ،
 حتى يعلموا أخبارهم ، ويحقّقوا شأنهم ويستخرجوا ما أمرهم به ملكهم من أخبارهم . . . ٦٢٥/١

وكان أسا الملك قد تقدّم إلى نساء بني إسرائيل ألاّ يُقدّر على امرأة
 لا زوج لها بهيئة امرأة لها زوج إلاّ قتلها أو نفاها من بلاده إلى جزائر البحار ؛
 فإنّ إبليس لم يدخل على أهل الدّين في دينهم بمكيدة هي أشدّ من النساء ؛
 فكانت المرأة التي لا زوج لها لا تخرج إلاّ منتقبة في رثة الثياب لئلاّ تعرف ؛
 فلما بذل هؤلاء الأمناء بضاعتهم ما ثمنه مائة درهم بدرهم ، جعل نساء بني إسرائيل
 يشتريهن خفية بالليل سرا ، لا يعلم بهنّ أحد من أهل دينهنّ^(٣) ؛ حتى أنفقوا
 بضاعتهم واشتروا بها حاجتهم ، واستوعبوا خبر مدينتهم وحصونهم ، وعدد
 مياههم ، وكانوا قد كتموا رءوس بضاعتهم ومحاسنها من اللؤلؤ والمرجان والياقوت
 هدية للملك ، وجعل الأمناء يسألون من رأوا من أهل القرية عن خبر الملك

(١) ن : « أتوا » .

(٢) كذا في ح ، وفي ط : « فخلوا » .

(٣) ح : « مدينتهم » .

وشأنه إذ لم يشتر منهم شيئاً ، وقالوا : ما شأن الملك لا يشتري منا شيئاً ! إن كان غنياً فإنّ عندنا^(١) من طرائف^(٢) البضاعات فنعطيه ما شاء مما لم يدخل مثله في خزائنه ، وإن كان محتاجاً فما يمنعه أن يشهدنا فنعطيه ما شاء بغير ثمن ! قال لهم مَنْ حضرهم من أهل القرية : إن له من الغنى^(٣) والخزائن وفنون المتاع ما لم يُقدّر على مثله ؛ إنه استفرغ الخزائن التي كان موسى سار بها من مصر ، والحليّ الذي كان بنو إسرائيل أخذوا ، وما جمع يوشع بن نون خليفة موسى ، وما جمع سليمان رأس الحكماء والملوك ، من الغنى الكثير والآنية التي لا يقدر على مثلها .

٦٢٦/١

قال الأمناء : فما قتاله ؟ وبأى شيء عظمته ؟ وما جنوده ؟ أرايتم لو أن^(٤) ملكاً انحرف^(٥) عليه ففتق ملكه ما كان إذا قتاله إياه ؟ وما عدته وعدد جنوده ؟ أم بأى الخيل والفرسان غلبته ؟ أم^(٦) من أجل كثرة جمعه وخزائنه وقعت في قلوب الرجال هيبة !

فأجابهم القوم وقالوا : إن أسا الملك قليلة عدته ، ضعيفة قوته ، غير أن له صديقاً لو دعاه واستعان به على أن يزيل الجبال أزالها ؛ فإذا كان معه صديقه فليس شيء من الخلق يطيقه .

قال لهم الأمناء : ومنّ صديق أسا ؟ وكم عدد جنوده ؟ وكيف مواجهته وقتاله ؟ وكم عدد عساكوه ومراكبه ؟ وأين قراره ومسكنه ؟

فأجابهم القوم : أمّا مسكنه ففوق السموات العلاء ، مستور على عرشه ، لا يحصى عدد جنوده ، وكل شيء من الخلق له عبد ، لو أمر البحر لطم على البر ، ولو أمر الأنهار لغارت في عنصرها ، لا يرى ولا يعرف قراره ، وهو صديق أسا وناصره^(٧) .

(١) ن : « فعدنا » .

(٢) ط : « طرائف » .

(٣) كذا في ن ، ر ، وفي ط : « الفناء » .

(٤) ح : « كان » .

(٥) ن : « انخرق » .

(٦) كذا في س ، وفي ط : « أومن » . (٧) ح : « وحافظه » .

فجعل الأمناء يكتبون كل شيء أخبروا به من أمر أسا وقضية أمره ،
 فدخل بعض هؤلاء الأمناء عليه فقالوا : يا أيها الملك ، إن معنا هدية نريد أن
 نهديها لك من طرائف بلادنا ، أو تشتري منا فنرخصه عليك (١) .

قال لهم : ائتوني بذلك حتى أنظر إليه ، فلما أتوه به قال لهم : هل يبقى هذا
 لأهله ويبقون (٢) له ؟ قالوا : بل يفتى هذا ويفتى (٣) أهله . قال لهم أسا (٤) :
 لا حاجة لي فيه (٥) ، إنما طلبتني ما تبقى بهجتته لأهله ، لا تزول ولا يزولون عنه .

فخرجوا من عنده ، ورد عليهم هديتهم ، فساروا من بيت المقدس
 متوجهين إلى زرح الهندي ملكهم . فلما أتوه نشروا له كتاب خبرهم وأنبئوه (٦)
 بما انتهى إليهم من أمر ملكهم ، وأخبروه بصديق أسا . فلما سمع زرح كلامهم
 استحلفهم بعزته ، وبالشمس والقمر اللذين يعبدونهما ولهما يصلون ألا يكتبوه
 من خبر ما رأوا في بني إسرائيل شيئاً . فصدقوه .

فلما فرغوا من خبرهم وخبر أسا ملكهم وصديقه ، قال لهم زرح : إن بني
 إسرائيل لما علموا أنكم جواسيس ، وأنكم قد اطلعتم على عوراتهم ذكروا لكم
 صديق أسا وهم كاذبون ؛ أرادوا بذلك ترهيبكم . إن صديق أسا لا يطيق أن
 يأتي بأكثر من جندي ، ولا بأكثر من عدتي ، ولا بأقسي قلوباً ولا أجراً
 على القتال من قومي ؛ إن لقيتني بألف لقيته بأكثر من ذلك .

ثم عمد زرح عند ذلك فكتب إلى كل من في طاعته أن يجهزوا (٧) من
 كل مخلاف (٨) جنداً بعدتهم حتى استمد بأجوج ومأجوج والترك وفارس مع

(١) ن ، س : « فنرخص » .

(٢) ح : « أو يبقون »

(٣) ط « ويفنون » .

(٤) ن : « قال أسا » .

(٥) س ، ن : « به » .

(٦) ن ، س : « وأتوه » . (٧) ح ، س : « أن جهزوا » .

(٨) المخلاف ، قال ياقوت في مقدمة كتابه عند ذكره الألفاظ التي يتكرر ذكرها في هذا
 الكتاب : « فالمخلاف أكثر ما يقع في كلام أهل اليمن ؛ وقد يقع في كلام غيرهم على جهة التبع لهم
 والانتقال لهم ؛ وهو واحد مخاليف اليمن ؛ وهي كورها . . . وقال خالد بن جنبه : « في كل بلد
 مخلاف » .

مَنْ سَواهم من الأمم ممن جرت عليه لزرح طاعة ؛ كتب :
 من زرح الجبار الهندي ملك الأرضين ، إلى مَنْ بلغته كتيبي : أما بعد
 فإن لي أرضاً قد دنا حصادها وأبنع ثمرها ؛ وأردت أن تبعثوا إليّ بعمال
 أغنمهم ما حصلوا منها ، وهم قوم قصصوا عني ، وغلبوا على أطراف من أرضي
 وقهروا مَنْ تحت أيديهم من رقبتي ، وقد منحتهم مَنْ نهض إليهم معي ، فإن
 قصرت بكم قوة فعندي قوتكم ، فإنه لا تتعطل خزائني .

فاجتمعوا إليه من كل ناحية ، وأمدوه بالخيل والفرسان والرجال^(١) والعدة ؛
 فلما اجتمعوا عنده أمكنهم من السلاح والجهاز من خزائنه ، ثم أمر بإحصاء
 عددهم وتعبيتهم ، فبلغ عددهم ألف ألف ومائة ألف سوى أهل بلادهم .
 وأمر بمائة مركب ، فقيرن^(٢) له البغال ، كل أربعة أبغّل جميعاً عليها سرير
 وقبة ، وفي كل قبة منها تجارية ، ومع كل مركب عشرة من الخدم ، وخمسة
 أفيال من فيلته ، فبلغ في كل عسكر من عساكره مائة ألف ، وجعل خاصته
 الذين يركبون معه مائة^(٣) من رؤوسهم ، وجعل في كل عسكر عرّفاء^(٤) ،
 وخطبهم وحرّضهم على القتال ، فلما نظر إليهم وسار فيهم تعزز وتعظم شأنه
 في قلوب مَنْ حضره ، ثم قال زرح : أين صديق أسا ؟ هل يستطيع أن
 يعصمه مني ؟ أو مَنْ يطبق غلبي ؟ فلو أن أسا وصديقه ينظران إلى وإلى
 جندي ما اجترأ على قتالي ؛ لأن عندي بكل واحد من جنده ألفاً من جنودي ،
 ليدخلن أسا أرضي أسيراً ، ولأقدمن بقومه سبيياً في جنودي .

٦٢٩/١

فجعل زرح ينتقص^(٥) أسا ويقول فيه مالا ينبغي ، فبلغ أسا صنع زرح
 وجمعه عليه ، فدعا ربه فقال : اللهم أنت الذي بقوتك خلقت^(٦) السموات
 والأرض ومن فيهن حتى صار جميع ذلك في قبضتك ، أنت ذو الأناة

(١) كذا في ن ، وفي ط : « الرجال » .

(٢) ح : « ففرق » .

(٣) ن : « مائة ألف » .

(٤) العريف : رئيس التوم ؛ سمي لأنه عرف بذلك ؛ وهو دون الرئيس .

(٥) ن : « ينتقص » .

(٦) ن : « جملت » .

الرفيعة^(١) والغضب الشديد ، أسألك ألا تذكرنا بخطايانا^(٢) فيما بيننا وبينك ، ولا تعددنا ولا تجزينا على معصيتك ؛ ولكن تذكرنا برحمتك التي جعلتها للخلائق ، فانظر إلى ضعفنا وقوة عدونا ، وانظر إلى قلتنا وكثرة عدونا ، وانظر إلى ما نحن فيه من الضيق والغم ، وانظر إلى ما فيه عدونا من الفرح والراحة ، ففرق زرحاً وجنوده في اليمّ بالقدرة التي غرقت بها فرعون وجنوده ، وأنجيت موسى وقومه . وأسألك أن تحلّ على زرح وقومه عذابك بغتة !

فأرى أساً في المنام - والله أعلم - أني قد سمعت كلامك ، ووصل إلى جؤارك ، وأنى على عرشي . وأنى إن غرقت زرحاً الهندي وقومه ، لم يعلم بنو إسرائيل ولا من كان بحضرهم كيف صنعت بهم ، ولكن سأظهر في زرح وقومك لك ولمن اتبعك قدرة من قدرتي ، حتى أكفيك مؤنتهم ، وأهب لك غنيمتهم ، وأضع في أيديكم عساكرهم ؛ حتى يعلم أعداؤك أن صديق أساً لا يطاق وليه . ولا يهزم جنده^(٣) . ولا يخيب مطيعه ، فأنا أتمهل له حتى يفرغ من حاجته ، ثم أسوقه إليك عبداً ، وعساكره لك ولقومك خوفاً .

فسار زرح ومن معه حتى حلوا على ساحل ترشيش ، فلم يكن إلا محلة يوم حتى دفنوا أنهارها . ووحوا مروجها ؛ حتى كان الطير ينقص عليهم ، والوحش لا تستطيع الحرب منهم ، فساروا حتى كانوا على مرحاتين من إيلياء ، ففرق زرح عساكره منها إلى إيلياء ، وامتلات منهم تلك الأرض ؛ جبالها وسهولها ، وامتلات قلوب أهل الشام منهم رعباً . وعابنوا هلاكهم .

فسمع بهم أسا الملك ؛ فبعث إليهم طليعة من قومه ، وأمرهم أن يخبروه بعددهم وهبنتهم . فسار القوم الذين بعثهم أساً حتى نظروا إليهم من رأس تل ، ثم رجعوا إلى أسا فأخبروه أنه لم تر عيون بني آدم ، ولا سمعت آذانهم مثلهم ومثل أفيالهم وحيولهم وفرسانهم ؛ وما ظنننا أن في الناس مثلهم كثرة وعدة ، فلّت من إحصائهم عقولنا ، وفلّت من قتالهم حيلتنا . وانقطع فيما بيننا وبينهم رجاؤنا .

(١) ن : « الرفيعة » . (٢) ح : « تذكر خطايانا » .

(٣) ح : « ووليه لا يهزم جنده » .

فسمع بذلك أهلُ القرية فشقوا ثيابهم ، وذرّوا التراب على رؤسهم ،
وعَجَبُوا بالعويل في أزقتهم وأسواقهم ، وجعل بعضهم يودّع بعضًا . ثم ساروا
حتى أتوا الملكَ فقالوا : نحن خارجون بأجمعنا إلى هؤلاء القوم فدافعون إليهم
أيدينا ، لعلهم أن يرحمونا فيقرّونا في بلادنا . قال لهم أسا الملك : معاذ الله
أن نُلقيَ بأيدينا^(١) في أيدي الكفرة ، وأن نُخلّيَ بيتَ الله وكتابه للفجرة !
قالوا : فاحتلّ لنا حيلة ، واطلب إلى صديقك وربك الذي كنت تعدّنا^(٢)
بنصره^(٣) ، وتدعونا إلى الإيمان به ، فإن هو كشف عنا هذا البلاء ؛ وإلا
وضعنا أيدينا في أيدي عدونا لعلنا نتخلص بذلك من القتل .

٦٣١/١

قال لهم أسا : إن ربي لا يطاق إلا بالتضرّع والتبتل والاستكانة . قالوا : فابرز له لعله
أن يجيبك فيرحم ضعفنا ، فإن الصديق لا يسلم صديقه على مثل هذا . فدخل أسا المصلّي ،
ووضع تاجه من رأسه ، وخلّى ثيابه ، ولبس المُسوح واقترش الرماد ، ثم مدّ يده
يدعو ربه بقلب حزين ، وتضرّع كثير ، ودموع سيجال ، وهو يقول : اللهم
ربّ السموات السبع وربّ العرش العظيم ، إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق
ويعقوب والأسباط ؛ أنت المستخفي من خلقك حيث شئت ، لا يدرك قرارك ،
ولا يطاق كنهُ عظمتك ، أنت اليقظان الذي لا تنام ، والحديد الذي لا تبليكَ
الليالي والأيام ؛ أسألك بالمسألة التي سألك بها إبراهيم خليلك فأطفأت بها عنه
النار ، وألحقت بها بالأبرار ، وبالدهاء الذي دعاك به نجيبك موسى فأنجيت
بني إسرائيل من الظلمة ، وأعتقتهم به من العبودية ، وسبّرتهم في البرّ^(٤) والبحر ،
وغرّقت فرعون ومن اتبعه . وبالتضرّع الذي تضرّع لك^(٥) عبدك داود
فرفعتَه ، ووهبت له من بعد الضعف القوة ، ونصرتَه على جالوت الجبار ،
وهزمتَه . وبالمسألة التي سألك بها سليمان نبيك فنحتَه الحكمة ، ووهبت له
الرفعة ، وملّكتَه على كلّ دابة . أنت محيي الموتى ، ومُغني الدنيا ، وتبقى

٦٣٢/١

(١) س : « أيدينا » .

(٢) ح : « وعدتنا » .

(٣) س : « نصره » .

(٤) كذا في ح ، وفي ط : « في البحر إلى البر » .

(٥) ح : « إليك » .

وحدك خالداً لا تفنى ، وجديداً لا تبلى . أسألك يا إلهي أن ترحمني بإجابة دعوتي ؛ فلإني أعرجُ مسكين من أضعف عبادك ، وأقلتهم حيلة ، وقد حل بنا كرب عظيم ؛ وحرزٌ^(١) شديد ، لا يطيق كشفه غيرك ، ولا حول ولا قوة لنا إلا بك ، فارحم ضعفنا بما شئت ؛ فإنك ترحم من تشاء بما تشاء .

وجعل علماء بني إسرائيل يدعون الله خارجاً وهم يقولون : اللهم أجب اليوم عبدك ؛ فإنه قد اعتصم بك وحدك ، ولا تغل بينه وبين عدوك ، واذكر حبه إراك ، وفراقه أمه وجميع الحلائق إلا من أطاعك .

فأتى الله على أسا النوم وهو في مصلاه ساجداً ، ثم أتاه من الله آت - والله أعلم - فقال : يا أسا ، إن الحبيب لا يُسلم حبيبه ، وإن الله عز وجل يقول : إنى قد أقيت عليك محبتى ، ووجبت لك نصرى ، فأنا الذى أكفيك عدوك ، فإنه لا يهون من توكل على ، ولا يضعف من تقوى بي . كنت تذكرنى فى الرخاء ، وأسلمك عند الشدائد ، وكنت تدعونى آمناً ، وأنا أسلمك خائفاً ؛ إن الله القوى يقول : أنا أقسم أن لو كابدتلك^(٢) السموات والأرض بمن فيهن لحملت لك من جميع ذلك مخرجاً ، فأنا الذى أبعث طرفاً^(٣) من زبانيتى يقتلون أعدائى ، فلإني معك ، ولن يخلص إليك ولا إلى من معك أحد .

فخرج أسا من مصلاه وهو بحمد الله ، مسفراً وجهه ، فأخبرهم بما قيل له ، فأما المؤمنون فصدقوه ، وأما المنافقون فكذبوه ، وقال بعضهم لبعض : إن أسا دخل أعرج وخرج أعرج ، ولو كان صادقاً أن الله قد أجابه إذا لأصلح^(٤) رجله ، ولكن يفرنا وبمئتنا ، حتى تقع الحرب فينا فيهلكنا !

• • •

فبينما الملك يخبرهم عن صنع الله^(٥) بهم^(٦) إذ قدم رسل من زرح فدخلوا إلبياء ومعهم كتب من زرح إلى أسا ، فيها شتم له ولقومه ، وتكذيب بالله ،

(١) الحزب، بالفتح : اشتداد الأمر . زرح : « وحزن » .

(٢) كذا فى ن ، و فى ط ن : « كابدتك » . (٣) ح : « طوقاً » .

(٤) ن : « أصلح » .

(٥) س : « عن صنع » .

(٦) ن : « لهم » .

وكتب فيها : أن ادعُ صديقك الذي أضللت به قومك فليبارزني بجنوده ،
وليظهر لي مع ما أنتى أعلم أنه لن يطيقنى ^(١) هو ولا غيره ؛ لأنى أنا زرح
الهنديّ الملك .

فلما قرأ أسا الكتب التي قدم بها عليه همّلت عيناه بالبكاء ، ثم دخل مصلاً ،
ونشر تلك الكتب بين يدي ^(٢) الله ، ثم قال : اللهم ليس لي شيء من الأشياء
أحبّ إليّ من لقاءك ؛ غير أنى أتخوف أن يطفأ هذا النور الذي أظهرته
في أبيامى هذه ، وقد حضرت هذه الصحائف وعلمت ما فيها ، ولو كنت المراد
بها كان ذلك يسيراً ؛ غير أن عبدك زرحاً يكابدك ويتناولك ؛ فخر ^(٣) بغير
فخر ، وتكلّم بغير صدق . وأنت حاضر ذلك وشاهده .

٦٣٤/١

فأوحى الله إلى أسا - والله أعلم - أنه لا تبديل لكلماتى ، ولا خُلف
لوعدى ، ولا تحويل لأمرى ؛ فاخرج من مصلاك ، ثم مرّ خيلك أن تجتمع ،
ثم اخرج بهم وبمن اتبعك حتى تقفوا على نَشْر من الأرض .

فخرج أسا فأخبرهم بما قيل له . فخرج اثنا عشر رجلاً من رؤسائهم ، مع
كلّ رجل منهم رهط من قومه . فلما أن خرجوا ودّعوا أهاليهم بالآ يرجعوا ^(٤)
إلى الدنيا . فوقفوا لزرح على رابية من الأرض . فأبصروا منها زرحاً وقومه ،
فلما أبصرهم زرح نفص رأسه ليسخر منهم . وقال : إنما نهضت من
بلادى ، وأنفقت أموالى لمثل هؤلاء ؛ ودعا عند ذلك بالنفر الذين كانوا نعتوا
عنده أسا وقومه ، فقال : كذبتونى وزعمتم أن قومكم كثير عددهم ! فأمر
بهم وبالأمناء ^(٥) الذين كان بعثهم ^(٦) ليخبروه خبرهم ، فقتلوا جميعاً ،
وأسا فى ذلك كثير تضرّعه ^(٧) ، معتصم بربه . فقال زرح : ما أدرى ما أفعل

(١) س : « لم يطيقنى » .

(٢) كذا فى ح ، وفى ط : « قدام الله » .

(٣) كذا فى الأصول ؛ وفى ط : « وفخر » ؛ من تصرف مصححه .

(٤) كذا فى ن ؛ وفى ط : « ألا يرجعون » .

(٥) كذا فى ن ، وفى ط : « والامناء » .

(٦) كذا فى س ، وفى ط : « بعث » .

(٧) كذا فى ح ، وفى ط : « التضرع » .

بهؤلاء القوم؟ وما (١) أدري ما قدر قِلتهم في كثرتنا؟ إني لأستقبلهم عن المحاربة؛ وأرى ألا أقاتلهم (٢).

فأرسل زرح إلى أسا فقال له : أين صديقك الذي كنت تعدنا به ، وتزعم أنه يخاطبك مما يحلّ بكم من سَطَوَاتِي! أفتضعون أيديكم في يدي فأمضي فيكم حكماً . أو تاتمسون قتالي !

فأجابه أسا فقال : يا شقي . إنك لست تعلم ما تقول . ولست تدري! ١٢٥/١
أتريد أن تغالب ربك بضعفك . أم تريد أن تكاثره بقلتك؟ هو أعز شيء وأعظمه . وأغلب شيء وأقهره ، وعبادته أذل وأضعف عنده من أن ينظروا إليه معاينة . هو (٣) معي في موقفى هذا ، ولن يغيب أحدٌ كان الله معه . فاجتهد يا شقي بجهدك حتى تعلم ماذا يحلُّ بك .

فلما اصطف قوم زرح وأخذوا مراتبهم . أمر زرح الرماة من قومه أن يرموهم بنشائبهم . فبعث الله ملائكة من كل سماء - والله أعلم - عوناً (٤) لأسا وقومه . ومادة له ، فوقهم أسا في مواقعهم ، فلما رموا نشائبهم . حال المشركون بين ضوء الشمس وبين الأرض ؛ كأنها سحابة طلعت فنحتها الملائكة عن أسا وقومه ؛ ثم رمت بها الملائكة قوم زرح . فأصابت كل رجل منهم نشابته التي رمى بها . فقتل رماةهم بها كلها وأسا وقومه في كل ذلك يحمدون الله كثيراً . ويعجبون إليه بالتسبيح . وتراءت الملائكة لهم - والله أعلم - فلما رآهم الشقي زرح وقع الرعب في قلبه . وسقط في يده ، وقال : إن أسا لعظيم كيدته . ماضٍ سحره . وكذلك بنو إسرائيل . حيث كانوا لا يغلب سحرهم ساحر . ولا يطبق مكرهم عالم ؛ وإنما تعلموه من مصر . وبه ساروا في البحر . ثم نادى الهندي في قومه : أن سلّوا سيوفكم . ثم حملوا عليهم حملة واحدة . فدقّ قوهم .

فسلّوا سيوفهم ثم حملوا على الملائكة فقتلتهم الملائكة . فلم يبق منهم غير زرح ونسائه ورقيقه .

(١) س : « ولا » . (٢) س : « أنى لا أقاتلهم » ، ح : « ولا أرى أن أقاتلهم » .
(٣) كذا في ح ، س ، وفي ط : « وهو » . (٤) ن : « أعواناً » .

فلما رأى ذلك زرح ولّى مدبراً فأراً هو ومن معه ، وهو يقول : إن أسا
ظهر علانية ، وأهلكنى صديقهُ سرّاً ، وإنى كنتُ أنظر إلى أسا ومنّ معه واقفين
لا يقاتلون وا-حرب واقعة فى قومى .

فلما رأى أسا أن زرحاً قد ولّى مدبراً قال : اللهم إن زرحاً قد ولّى مدبراً ،
وإنك إن لم تحلّ بينى وبينه استنفر علينا قومه ثانية . فأوحى الله إلى
أسا : إنك لم تقتل منّ قتل منهم ولكنى قتلتهم ، ففيم مكانك ، فإنى لو
خلت بينك وبينهم أهاكوكم جميعاً ، إنما يتقلب زرح فى قبضتى ، ولن
ينصره أحد منى ، وأنا لزرح بالمكان الذى لا يستطيع صدوداً عنه ولا تحويلاً ؛
وإنى قد وهبت لك ولقومك عساكره وما فيها من فضة ومتاع ودابة ، فهذا أجرك
إذا اعتصمت بى ، ولا أتمس منك أجراً على نصرتك !

فسار زرح حتى أتى البحر يريد بذلك الهرب ، ومعه مائة ألف ، فهبتوا
سفنهم ثم ركبوا فيها ، فلما ساروا فى البحر بعث الله الرياح من أطراف
الأرضين والبحار إلى ذلك البحر واضطربت من كل ناحية أمواجه ، وضربت
السفن بعضها بعضاً حتى تكسرت ؛ ففرق زرح عمن كان معه ، واضطربت
بهم الأمواج حتى فرغ لذلك أهل القرى حولهم ، ورجفت الأرض ، فبعث أسا
منّ يعلمه علم ذلك ، فأوحى الله إليه - والله أعلم - أن اهبط أنت وقومك أهل
قراكم ، فخذوا ما غنمكم الله بقوة ، وكونوا فيه من الشاكرين ؛ فإنى قد سوغت
كلّ من أخذ من هذه العساكر شيئاً ما أخذه . فهبطوا يحملون الله
ويقدّسونه ، فنقلوا تلك العساكر إلى قراهم ثلاثة أشهر . والله أعلم .

• • •

ثم ملك بعده يهوشافاظ^(١) بن أسا إلى أن هلك خمساً وعشرين سنة .

(١) يهوشاظ : « بياض مفتوحة مثناة تحتانية وهاء مضمومة وواو ساكنة وشين معجمة بعدها
ألف . ثم طاء بين الذال والظاء المعجمتين » ، كذا ضبطه ابن خلدون فى ١ : ١٤٩ . وفى ابن الأثير
١ : ١٤٣ : « يهوشاظ » .

ثم ملكت عتليا وتسمى غزليا (١) ابنة عمرم أم أخزيا (٢) ، وكانت قتلت
أولاد ملوك بني إسرائيل ، فلم يبق منهم إلا يواش (٣) بن أخزيا ، فإنه ستر
عنها ، ثم قتلها يواش وأصحابه ، وكان ملكها سبع سنين .

ثم ملك يواش بن أخزيا إلى أن قتله أصحابه ، وهو الذي قتل جدته ،
فكان ملكه أربعين سنة .

ثم ملك أموصيا (٤) بن يواش إلى أن قتله أصحابه تسعاً وعشرين سنة ،
ثم ملك عوزيا (٥) بن أموصيا - وقد يقال لعوزيا : غوزيا - إلى أن توفي ،
اثنتين وخمسين سنة .

ثم ملك يوتام (٦) بن عوزيا إلى أن توفي ، ست عشرة سنة .

ثم ملك أحاز بن يوتام إلى أن توفي ، ست عشرة سنة .

ثم ملك حزقيا بن أحاز (٧) إلى أن توفي . وقيل إنه صاحب شعيا الذي
أعلمه شعيا انقضاء عمره ، فتضرع إلى ربه فزاده وأمهله ، وأمر شعيا بإعلامه
ذلك .

وأما محمد بن إسحاق فإنه قال : صاحب شعيا الذي هذه القصة قصته
اسمه صديقة .

(١) ح : « غزليا » . ن : « غزليا » ، وفي ابن الأثير : « غزليا » .

(٢) وفي ابن خلدون : « أخزيا هو ، بهزة مفتوحة وحاء مهملة مضمومة وزاي معجمة
ساكنة ؛ ثم ياء مشناة تحتية ؛ بفتحة تجلب ألفاً ، ثم هاء مضمومة تجلب واواً » .

(٣) ابن خلدون : « يواش » .

(٤) في ابن خلدون : « أمصيا ، بفتح الهمزة والميم وسكون الصاد المشمة بالزاي ، بعدها ياء
مشناة تحتانية بفتحة تجلب ألفاً ، ثم هاء مضمومة تجلب واواً » .

(٥) في ابن خلدون : عز يا هو ، « بعين مهملة مضمومة وزاي معجمة مكسورة مشددة وياه

مشناة تحتانية تجلب ألفاً وحاء تجلب واواً » .

(٦) في ابن خلدون : « يواش » .

(٧) أحاز ، « بهزة مفتوحة نالة وحاء مهملة تجلب ألفاً وزاي معجمة » كذا ضبطه ابن خلدون .

ذكر صاحب

قصة شعيا من ملوك بني إسرائيل : وسنحاريب

حدثنا ابن حميد . قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : حدثني ابن إسحاق ، قال : كان فيما أنزل الله على موسى في خبره عن بني إسرائيل واحداهم وما هم (١) فاعلون بعده ، قال : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ - إلى - ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾ (٢) ، فكانت بنو إسرائيل وفيهم الأحداث والذنوب ، وكان الله في ذلك متجاوزاً عنهم ، متعطفاً عليهم ، محسناً إليهم . وكان مما أنزل الله بهم في ذنوبهم ما كان قدّم إليهم في الخبر عنهم على لسان موسى . فكان أول ما أنزل بهم من تلك الوقائع ؛ أن ماكماً منهم كان يدعى صديقة (٣) ، وكان الله إذا ملك الملك عليهم ، بعث نبياً يسدّده ويرشده . فيكون فيما بينه وبين الله ، يحدث إليه في أمرهم . لا يُنزل عليهم الكتب ، إنما يؤمرون باتّباع التوراة والأحكام التي فيها ، وينهونهم عن المعصية ، ويدعونهم إلى ما تركوا من الطاعة .

فلما ملك ذلك الملك بعث الله معه شعيا بن أمصيا ، وذلك قبل مبعث عيسى وزكرياء ويحيى وشعيا الذي بشر بعيسى ومحمد ، فملك ذلك الملك بني إسرائيل وبيت المقدس زماناً ، فلما انقضى ملكه ، وعظمت فيهم الأحداث ، وشعيا معه ، بعث الله عليهم سنحاريب ملك بابل معه ستمائة ألف راية . فأقبل سائراً حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض ، في ساقه قرحة ، فجاءه النبي شعيا ، فقال له : يا ملك بني إسرائيل ، إن سنحاريب ملك بابل ، قد نزل بك هو وجنوده في ستمائة ألف راية ، وقد هابهم الناس وفرقوا منهم . فكبر ذلك على الملك ، فقال : يا نبي الله ، هل أتاك وحى من الله فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وسنحاريب وجنوده ؟ فقال له النبي عليه السلام :

(١) التفسير : ما هم . . . (٢) سورة الإنعام : ٤ - ٨

(٣) ابن الأثير : صديقا .

لم يأتني وحى حدث إلى في شأنك .

فبينما هم على ذلك أوحى الله إلى شعيا النبي : أن ائت ملك بني إسرائيل فأمره أن يوصى بوصيته . ويستخلف على ماكره من يشاء من أهل بيته . فأتى النبي شعيا ملك بني إسرائيل صديقة ، فقال له : إن ربك قد أوحى إلى أن أمرك توصى وصيتك ، وتستخلف من شئت على (١) الملك من أهل بيتك : فإنك ميت .

فلما قال ذلك شعيا لصديقة : أقبل (٢) على القبلة ، فصلني وسبح ، ودعا وبكى ، وقال وهو يبكي ويتضرع إلى الله بقلب مخلص . ونوكتل وصبر ، وظن صادق : اللهم رب الأرباب ، وإله الآلهة ، القدوس (٣) المتقدس . يا رحمن يا رحيم ، المترحم . الرؤوف الذي لا تأخذه سنة ولا نوم . اذكرني بعملى وفعلى

وحسن قضائى على بنى إسرائيل . وذلك كله كان منك ، فأنت أعلم به من ٦٤٠/١
نفسى وسرى وعلايى لك . وإن الرحمن استجاب له وكان عبداً صالحاً .

فأوحى الله إلى شعيا ، فأمره (٤) أن يخبر صديقة الملك أن ربه قد استجاب له وقبيل منه ورحمه ، وقد رأى بكاءه ، وقد أحرأجله خمس عشرة سنة ، وأنجاه من عدوة سنحاريب ملك بابل وجنوده . فلما قال له ذلك ، ذهب عنه الوجع . وانقطع عنه الشر والحزن ، وخر ساجداً ، وقال : يا إلهى وإله آبائى ، لك سجدت وسبحت . وكرمت وعظمت . أنت الذى تعطى الملك من تشاء ، وتنزعه ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتدب من تشاء ، عالم الغيب والشهادة ؛ أنت الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين ، أنت الذى أجبت دعوتى ، ورحمت تضرعى .

فلما رفع رأسه أوحى الله إلى شعيا : أن قل للملك صديقة ، فإمر عبداً من عبده ، فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى ويصبح وقد برئ . ففعل ذلك فشئى . وقال الملك لشعيا النبي : سل ربك أن يجعل لنا علماً بما هو صانع بعلونا هذا . فقال الله لشعيا النبي : قل له إني قد كفيتك عدوك ، وأنجيتك منهم ، وإيهم سيصبحون موتى كلهم إلا سنحاريب وخمسة من كتابه .

(١) التفسير : « على ملكك » .

(٢) ن : « استقبل القبلة » .

(٣) ساقطة من التفسير .

(٤) التفسير : « قدوس المتقدين » .

فلما أصبحوا جاءه: صارخ فصرخ على باب المدينة : يا ملك بني إسرائيل ، إن الله قد كفاك عدوك فاخرج ، فإن سنحاريب ومن معه قد هلكوا . فلما خرج الملك التمس سنحاريب فلم يوجد في الموتى ، فبعث الملك في طلبه ، فأدركه الطلب في مغارة وخمسة من كتابه أحدهم بختنصر ، فجعلوهم في الجوامع ، ثم أتوا بهم ملك بني إسرائيل ، فلما رأهم خرّ ساجداً من حين طلعت الشمس حتى كانت العصر ، ثم قال لسنحاريب : كيف ترى فعل ربنا بكم ؟ ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون ! فقال سنحاريب له : قد أتاني خبر ربكم^(١) ونصره إياكم ، ورحمته التي رحمكم بها قبل أن أخرج من بلادي ، فلم أطع مرشداً ولم يلقيني في الشقوة إلا قلّة عقلي ؛ ولو سمعت أو عقلت ما غزوتكم ، ولكن الشقوة غلبت عليّ وعلى من معي . فقال ملك بني إسرائيل : الحمد لله رب العزة الذي كفاناكم بما شاء ، إن ربنا لم يبقك ومن معك لكرامة لك عليه ؛ ولكنه إنما أبقاك ومن معك إلى ما هو شر^(٢) لك ولمن معك . لتزدادوا^(٣) شقوة في الدنيا ، وعذاباً في الآخرة ، ولتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا ؛ ولتنبذوا من بعدكم ، ولولا ذلك ما أبقاكم . ولتدمك ودم من معك أهون على الله من دم قيراد لو قتلته^(٤) ! .

ثم إن ملك بني إسرائيل أمر أمير حرسه فقذف في رقابهم الجوامع ، وطاف بهم سبعين يوماً حول بيت المقدس ، وكان يرزقهم كل يوم خبزتين من شعير ، لكل رجل منهم ، فقال سنحاريب لملك بني إسرائيل : القتل خير مما تفعل بنا ، فافعل ما أمرت . فأمر بهم الملك إلى سجن القتل ، فأوحى الله إلى شعيا النبي : أن قل لملك بني إسرائيل يرسل سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم ، وليكرّمهم وليحملهم حتى يبلغوا بلادهم . فبلغ النبي شعيا الملك ذلك ، ففعل ، فخرج سنحاريب ومن معه حتى قدموا بابل ؛ فلما قدموا جمع الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده . فقال له كهّانه وسحرته : يا ملك

(١) ح : « خبره » . (٢) ح : « ما هو شر » .

(٣) ت : « ولتزدادوا » . (٤) ح : « قتلته » .

بابل ، قد كنا نقصُّ عليك خبر ربهم وخبر نبيهم ووحى الله إلى نبيهم ، فلم
تطعنا ؛ وهى أمة لا يستطيعها أحد من^(١) ربهم ، فكان أمر سنحاريب مما خوفوا
به ، ثم كفاهم الله إياه تذكرة وعبرة ، ثم لبث سنحاريب بعد ذلك سبع سنين
ثم مات^(٢) .

• • •

وقد زعم بعضُ أهلِ الكتاب أن هذا الملك من بنى إسرائيل الذى سار إليه
سنحاريب كان أعرج ، وكان عَرَجُهُ من عِرْقِ النَّسَاءِ ، وأن سنحاريب إنما
طمع فى مملكته لزمانته وضعفه ، وأنه قد كان سار إليه قبل سنحاريب ملك
من ملوك بابل ؛ يقال له ليفر^(٣) ، وكان بختنصر ابن عمه كاتبه ، وأن
الله أرسل عليه ريحاً أهلكت جيشه ، وأفلت هو وكاتبه ، وأن هذا البابى قتل
ابن له ، وأن بختنصر غضب لصاحبه ، فقتل ابنه الذى قتل أباه ، وأن
سنحاريب سار بعد ذلك إليه ، وكان مسكنه بينتوى مع ملك أذربيجان
يومئذ ؛ وكان يُدعى سلمان الأعسر ، وأن سنحاريب وسامان اختلفا ، فتحاربا
حتى تفانى جندهما ، وصار ما كان معهما غنيمة لبنى إسرائيل .

وقال بعضهم : بل الذى غزا حزقيا صاحب شعيا سنحاريب ملك الموصل ؛
وزعم أنه لما أحاط ببيت المقدس بجنوده بعث الله ملكاً ، فقتل من أصحابه فى
ليلة واحدة مائة ألف وخمسة وثمانين ألف رجل . وكان ملكه إلى أن توفى
تسعاً وعشرين سنة .

• • •

ثم ملك بعده - فيما قيل - أمرهم مِيشَا^(٤) بن حزقيا إلى أن توفى ، خمساً
وخمسين سنة .

ثم ملك بعده أمون^(٥) بن مِيشَا إلى أن قتله أصحابه ، اثنتى عشرة سنة .

(١) التفسير : مع ربهم .

(٢) الخبر فى التفسير ١٥ : ١٨ : ١٩ (بولاق) .

(٣) ن : « ليفر » .

(٤) ضبطه ابن خلدون : « بيم مكسورة وفون مفتوحة وشين معجمة مشددة وألف » .

(٥) ضبطه ابن خلدون : « بهمة قريبة من العين والميم مضمومة تجاب واو ثم نون » .

ثم ملك بعده يوشيا بن أمون إلى أن قتله فرعون الأجدع المقعد ملك مصر ،
إحدى وثلاثين سنة .

ثم ياهواحاز بن يوشيا^(١) ، وكان فرعون الأجدع قد غزاه وأسره وأشخصه
إلى مصر ، وملك فرعون الأجدع يوياقيم^(٢) بن ياهواحاز على ما كان عليه
أبوه ، ووظف عليه خراجاً يؤديه إليه ، فكان يوياقيم يجبي ذلك—فيما زعموا—
من بني إسرائيل ، ويحمله — فيما زعموا— اثنتي عشرة سنة .

ثم ملك أمرهم من بعده يواحيم^(٣) بن يوياقيم ، فغزاه بختنصر ، فأسره
وأشخصه إلى بابل بعد ثلاثة أشهر من ملكه . وملك مكانه متانیا^(٤) عمه
وسماه صديقياً^(٥) فخالفه ، فغزاه فظفر به . فأوثقه وحمله إلى بابل بعد أن ذبح
ولده بين يديه . وسمل عينيه وخرّب المدينة والهيكل ، وسبى بني إسرائيل ،
وحملهم إلى بابل . فكثروا بها إلى أن ردّهم إلى بيت المقدس كيرش بن جاماسب
ابن أسب ، من أجل القرابة التي كانت بينه وبينهم ؛ وذلك أن أمه أشر ابنة
جاويل — وقيل : حاويل — الإسرائيلي ، فكان جميع ما ملك صديقياً مع الثلاثة
الأشهر التي ملك فيها يواحيم—فيدا قيل — إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر .
ثم صار ملك بيت المقدس والشام لأشتاسب بن لراسب ، وعامله على ذلك
كله بختنصر .

٦٤٤/١

. . .

وذكر محمد بن إسحاق ، فيدا حدثنا ابن حميد . قال : حدثنا سامة
عنه : أن صديقة ملك بني إسرائيل الذي قد ذكرنا خبره ، لما قبضه الله مرج

(١) ضبطه ابن خلدون : « ييا مشاة تحتية مضمومة تجلب واوا بعدها شين مكسورة
ثم ياء مشاة تحتية مفتوحة تجلب ألفاً » .

(٢) ت : « يوثاقيم » ، وفي س : « يوثاقيم » . وفي ابن خلدون : ألياقيم ، وضبطه « بهمة
مفتوحة ولام ساكنة وياء مشاة تحتانية يجلب فتحها ألفاً وقاف مكسورة تجلب ياء ثم ميم » .

(٣) ت ، س ، ن : « يوثاحين » .

(٤) ضبطه ابن خلدون : « بيم مفتوحة وناه مشاة فوقانية مفتوحة مشددة ، ونون ساكنة ،
وياء مشاة تحتانية تجلب ألفاً » .

(٥) ابن خلدون : « صديقا » .

أمرُ بني إسرائيل ، وتنافسوا الملك ، حتى قتل بعضهم بعضاً عليه ، ونبئهم شعياً معهم ، لا يرجعون إليه ولا يقبلون منه . فلما فعلوا ذلك قال الله - فيما بلغنا - لشعياً : قم في قومك أوح على لسانك ؛ فلما قام أنطق الله لسانه بالوحي ، فوعظهم وذكّرهم وخوّفهم الغيّر ، بعد أن عدّد عليهم نعم الله عليهم ، وتعرّضهم للغيّر .

قال : فلما فرغ شعياً إليهم من مقالته عدّوا عليه - فيما بلغني - ليقتلوه . فهرب منهم ، فلقيته شجرة ، فانفلقت له . فدخل فيها وأدركه الشيطان . فأخذ بهدبة من ثوبه فأراهم إياها ، فوضعوا المنشار في وسطها ، فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها .

وقد حدّثني بقصة شعياً وقومه من بني إسرائيل وقتلهم إياه ، محمد بن سهل البخاري ، قال : حدّثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدّثني عبد الصمد بن معقل ، عن وهب بن منبه .

ذکر خبر هراسب وابنه بشتاسب وغزو بختنصر بنی اسرائیل وتخریبه بیت المقدس

ثم ملك بعد كيخسرو من الفرس هراسب بن كيوجي بن كيمنوش بن
كيناشين، باختيار كيخسرو إياه، فلما عقد التاج على رأسه قال : نحن
مؤثرون البرّ على غيره . واتخذ سريراً من ذهب مكللاً بأنواع الجواهر للجلوس
عليه ، وأمر فبنيت له بأرض خراسان مدينة بلخ^(١)، وسماها الحسناء، ودون
الدواوين ، وقوى ملكه بانتخابه لنفسه الجنود ، وعمر الأرض واجتبي الخراج
لأرزاق الجنود ، ووجه بختنصر ، وكان اسمه بالفارسية - فيما قيل - بخرشه .

فحدثت عن هشام بن محمد قال : ملك هراسب - وهو ابن أخي قبوس -
فبنى مابينة بلخ ، فاشتدت شوكة الترك في زمانه ، وكان منزله بلخ
يقاتل الترك . قال : وكان بختنصر في زمانه ، وكان أصبهد ما بين الأهواز
إلى أرض الروم من غربي دجلة ، فشخص حتى أتى دمشق ، فصالحه أهلها
ووجه قائداً له ، فأتى بيت المقدس فصالح^(٢) ملك بني إسرائيل ، وهو رجل
من ولد داود ، وأخذ منه رهائن وانصرف . فلما بلغ طبرية وثبت بنو إسرائيل
على ملكهم فقتلوه ، وقالوا : راهنت أهل بابل وخذلتنا ! واستعدوا للقتال ، فكتب قائد
بختنصر إليه بما كان ، فكتب إليه يأمره أن يقيم بموضعه حتى يوافيه ، وأن يضرب
أعناق الرهائن الذين معه ، فسار بختنصر حتى أتى بيت المقدس ، فأخذ
المدينة عنوة ، فقتل المقاتلة ، وسبي الذرية .

قال : وبلغنا أنه وجد في سجن بني إسرائيل إرميا النبي ، وكان الله تعالى
بعثه نبياً فيما بلغنا - إلى بني إسرائيل . يحذّرهم ما حلّ بهم من بختنصر ،

(١) بلخ ، قال ياقوت : « من أجل مدن خراسان وأذكرها وأكثرها خيراً وأوسعها غلة ،
قيل أول من بناها هراسب الملك لما خرب صاحبه بختنصر بيت المقدس ، وقيل بل الإسكندر بناها .
(٢) س : « فصالحه » .

وَيُعَلِّمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ مَسَلَطٌ عَلَيْهِمْ مَن يَقتل مَقَاتِلَتَهُمْ ، وَيَسْبِي ذُرَارِيَتَهُمْ ، إِنْ لَمْ يَتُوبُوا وَيَتَزَعُوا عَن سِيَّتِي أَعْمَالِهِمْ . فَقَالَ لَهُ بِخْتَنْصَرَ : مَا خَطْبُكَ ؟ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ اللَّهَ بَعَثَهُ إِلَى قَوْمِهِ لِيَحذَرَهُمُ الَّذِي حَلَّ بِهِمْ ، فَكَذَّبُوهُ وَحَبَسُوهُ . فَقَالَ بِخْتَنْصَرَ : بِشِيسِ الْقَوْمِ قَوْمٌ عَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ ! وَخَلَّتْ سَبِيلَهُ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ . فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مَن بَقِيَ مِنْ ضَعْفَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَقَالُوا : إِنَّا قَدْ أَسَأْنَا وَظَلَمْنَا ، وَنَحْنُ نَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِمَّا صَنَعْنَا ، فَادْعِ اللَّهَ أَنْ يَقْبَلَ تَوْبَتَنَا . فَدَعَا رَبَّهُ فَأَوْحَى إِلَيْهِ أَنَّهُمْ غَيْرُ فَاعِلِينَ ، فَإِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فَلْيَقِيمُوا مَعَكَ بِهَذِهِ الْبَلَدَةِ ، فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ ، فَقَالُوا : كَيْفَ نَقِيمُ بِلَدَةً قَدْ خُرِبَتْ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِهَا ! فَأَبَوْا أَنْ يَقِيمُوا ، فَكَتَبَ بِخْتَنْصَرَ إِلَى مَلِكِ مِصْرَ : إِنَّ عِبِيدًا لِي هَرَبُوا مِنِّي إِلَيْكَ ، فَسَرَّحَهُمْ^(١) إِلَيَّ ، وَإِلَّا غَزَوْتُكَ وَأَوْطَأْتُ بِلَادَكَ الْخَيْلَ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ مَلِكُ مِصْرَ : مَا هُمْ بِعَبِيدِكَ ؛ وَلَكِنَّهُمْ الْأَحْرَارَ أَبْنَاءَ الْأَحْرَارِ ؛ فَغَزَاهُ بِخْتَنْصَرَ فَقَتَلَهُ ، وَسَبَى أَهْلَ مِصْرَ ، ثُمَّ سَارَ^(٢) فِي أَرْضِ الْمَغْرِبِ ، حَتَّى بَلَغَ أَقْصَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِسَبْيِ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ فِلِسْطِينَ وَالْأُرْدُنِّ ، فِيهِمْ دَانِيَالُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ .

٦٤٧/١

قال : وفي ذلك الزمان تفرقت بنو إسرائيل ، ونزل بعضهم أرض الحجاز بيثرب ووادي القرى ، وغيرها .

. . .

قال : ثم أوحى الله إلى إرميا- فيما بلغنا : إنني عامر بيت المقدس فاخرج إليها ، فانزلها . فخرج إليها حتى قدمها وهي خراب ، فقال في نفسه : سبحان الله ! أمرني الله أن أنزل هذه البلدة ، وأخبرني أنه عامرها ، فمتي يعمر^(٣) هذه ، ومتي يحيبها الله بعد موتها ! ثم وضع رأسه فنام ومعه حماره وسلّة فيها طعام ، فمكث في نومه سبعين سنة ، حتى هلك بختنصر والملك الذي فوقه ،

(١) ح : « فوجهم » .

(٢) ط : « صار » ، وما أثبتته من ن .

(٣) ح : « يعمرها » ، ت : « يعمر هذا » .

وهو لهراسب الملك الأعظم وكان ملك لهراسب مائة وعشرين سنة . ومَلَكَ بعده بشتاسب ابنه ، فبلغه عن بلاد الشام أنها خراب . وأن السباع قد كثرت في أرض فلسطين ، فلم يبق بها من الإنس أحد ، فنَادَى في أرض بابل في بني إسرائيل : إنَّ من شاء أن يرجع إلى الشام فليرجع . ومَلَكَ عليهم رجلاً من آل داود ، وأمره أن يعمر بيت المقدس ويبنى مسجدها ، فرجعوا فعمروها ، وفتح الله لإرميا عينيه ، فنظر إلى المدينة كيف تعمر وتبنى ، ومكث في نومه ذلك ، حتى تمت له مائة سنة ، ثم بعثه الله وهو لا يظن أنه نام أكثر من ساعة ، وقد عهد المدينة خراباً يباباً ، فلما نظر إليها قال : أعلمُ أن الله على كل شيء قدير .

٦٤٨/١

قال : وأقام بنو إسرائيل بيت المقدس ورُدَّ إليهم أمرهم ، وكثروا بها حتى غلبت عليهم الروم في زمان ملوك الطوائف ، فلم يكن لهم بعد ذلك جماعة .

•••

قال هشام : وفي زمان بشتاسب ظهر زَرَادُشْت ، الذي تزعم المجوس أنه نبيُّهم ، وكان زَرَادُشْت - فيما زعم قوم من علماء أهل الكتاب - من أهل فلسطين ، خادماً لبعض تلامذة إرميا النبيِّ خاصاً به^(١) ، أثيراً عنده ، فخانه فكذب عليه ، فدعا الله عليه ، فبرص فلحق ببلاد أذربيجان ، فشرع بها دين المجوسية ، ثم خرج منها متوجهاً نحو بشتاسب ، وهو ببلخ ، فلما قدم عليه وشرح له دينه أعجبه فقصر الناس على الدخول فيه ، وقتل في ذلك من رعيته مقتلة عظيمة . ودانوا به ، فكان ملك بشتاسب مائة سنة واثنى عشرة سنة^(٢) . وأما غيره من أهل الأخبار والعلم بأمور الأوائل فإنه ذكر أن كى لهراسب

(١) ابن خلدون فيما نقل عن الطبري ١ : ٢٣٩ : « خالصة عنده » .

(٢) قال ابن خلدون : « وعند علماء الفرس أن زرادشت من نسل منشهر الملك . وأن نبياً من بني إسرائيل بعث إلى كشتاسف ؛ وهو ببلخ ، فكان زرادشت وجاماسب العالم - وهو من نسل منشهر أيضاً - يكتبان بالفارسية ما يقول ذلك النبي بالعبانية ؛ وكان جاماسب يعرف اللسان العربي ويترجمه لزرادشت . وإن ذلك كان لثلاثين سنة من دولة كيهراسف . وقال علماء الفرس إن زرادشت جاء بكتاب ادعاء وحيا ، كتب في اثني عشر ألف مجلد نقشاً بالذهب ؛ وأن كشتاسف وضع ذلك في هيكل بإصطخر ؛ ووكل به الهرايذة ؛ ومنع من تعليمه العامة » . ونقل عن المسعودي أن ذلك الكتاب يسمى نسياء » .

كان محموداً في أهل مملكته ، شديد القمع للملوك المحيطة بإيران شهراً^(١) ، شديد التفقد لأصحابه ، بعيد الهمة كثير الفكر في تشييد البنيان ، وشق الأنهار ، وعمارة البلاد ، فكانت ملوك الروم والمغرب والهند وغيرهم يحملون إليه في كل سنة وظيفة معروفة وإتاوة معلومة ، ويكاتبونه بالتعظيم ويقرّون له أنه مالك الملوك هيبة له وحذراً .

٦٤٩/١

قال : ويقال : إن بختنصر حمل إليه من أوريشليم^(٢) خزائن وأموالاً . فلما أحس بالضعف من قوته ماتك ابنه بشتاسب ، واعتزل الملك وفوضه إليه ، وكان ملك خراسب - فيما ذكر - مائة سنة وعشرين سنة .

وزعم أن بختنصر هذا الذي غزا بني إسرائيل اسمه «بخرشه» ، وأنه رجل من العجم ، من ولد جوذرز . وأنه عاش دهرًا طويلاً تجاوزت مدته ثلثمائة سنة ، وأنه كان في خدمة خراسب الملك ، أبي بشتاسب ، وأن خراسب وجهه إلى الشام وبيت المقدس ليُجلب عنها اليهود . فسار إليها ثم انصرف . وأنه لم يزل من بعد خراسب في خدمة ابنه بشتاسب . ثم في خدمة بهمن من بعده ، وأن بهمن كان مقيداً بمدينة بلخ - وهي التي كانت تسمى الحسناء - وأنه أمر بخرشه بالتوجه إلى بيت المقدس ليُجلب عنها اليهود . وأن السبب في ذلك وثوب صاحب بيت المقدس على رسل كان بهمن وجههم إليه ، وقتله بعضهم . فلما ورد الخبر على بهمن دعا بخرشه فملكه على بابل ، وأمره بالمسير إليها ، والنفوذ منها إلى الشام وبيت المقدس ، والتصد إلى اليهود حتى يقتل مقاتلتهم ، ويسبي ذراريهم ، وبسط يده فيمن يختار من الأشراف والقواد ، فاختار من أهل بيت المملكة^(٣) داريوش^(٤) بن مهري ، من ولد ماذى بن يافت بن نوح . وكان ابن أخت بخرشه . واختار كيرش كيكوان من ولد غيلم بن سام .

(١) إيران شهر . بانكسر وراء وألف ونون ساكتين وفتح السين المعجمة وهاء ساكنة وأب : هي بلاد العراق وفارس والخيال وخراسان ، يحملها كلها هذا الاسم . (معجم البلدان) .

(٢) أوريشلم ، بالضم ثم السكون وكسر الراء وياء ساكنة وشين معجمة مفتوحة ولام مكسورة - ويروى بالفتح - وميم : هذا هو اسم لبيت المقدس بالعبرانية : إلا أنهم يسكنون اللام . (معجم البلدان)

(٣) س : « الملك » .

(٤) ت . س : « داريوش » .

٦٥٠/١ وكان خازنًا على بيت مال بهمن، وأخشو يرش^(١) بن كيرش بن جاماسب الملقب بالعالم، وبهرام بن كيرش بن بشتاسب. فضمَّ بهمن إليه من أهله وخاصته هؤلاء الأربعة، وضمَّ إليه من وجوه الأساورة ورؤسائهم ثلثمائة رجل، ومن الجند خمسين ألف رجل، وأذن له في أن يفرض^(٢) ما احتاج إليه، وفي إثباتهم. ثم أقبل بهم حتى صار إلى بابل، فأقام بها للتجهيز^(٣) والاستعداد سنة، والتفتت إليه جماعة عظيمة، وكان فيمن سار إليه رجل من ولد سنحاريب، الملك الذي كان غزا حزقيا بن أحاز الملك، الذي كان بالشام وبيت المقدس من ولد سليمان بن داود صاحب شعيا، يقال له بختنصر بن نبوزرادان بن سنحاريب، صاحب الموصل وناحياتها، بن داريوش بن عبيري^(٤) بن تيري^(٥) بن روبا^(٦) ابن رابيا^(٧) بن سلامون بن داود بن طامى بن هامل بن هرمان بن فودي^(٨) بن همول^(٩) بن درى بن قماثل^(١٠) بن صاما بن رغما^(١١) بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام.

٦٥١/١ وكان مسيره إليه بسبب ما كان آتى حزقيا^(١٢) وبنو إسرائيل إلى جدته سنحاريب عند غزوه إياهم، وتوسل إليه بذلك، فقدمه في جماعة كثيرة، ثم اتبعه، فلما توافقت العساكر ببيت المقدس، نُصِرَ بخترشه على بنى إسرائيل لما أراد الله بهم من العقوبة، فسباهم، وهدم البيت وانصرف إلى بابل، ومعه يوياحن^(١٣) بن يوياقيم ملك بنى إسرائيل في ذلك الوقت، من ولد سليمان بعد أن ملك متنيا عم يوحينا، وسماه صدقيا.

(١) ت : « أخشونش » : س : « أحنوش » ، ن : « أخشوفوش » .

(٢) ن : « يمرض » .

(٣) ح : « للتجهيز » ، ن : « للتهجم » .

(٤) كذا في س : ، ت « عبيري » ، وفي ط مهمل .

(٥) كذا في ح ، وفي ت : « ثيري » ، وفي ط مهمل .

(٦) كذا في س ، وفي ت : « روبا » وفي ح : « ورقا » . (٧) كذا في ت .

(٨) كذا في س ، وفي ت « فودي » . (٩) ح : « هفول » .

(١٠) ح : « تماثل » . (١١) س : « زعما » .

(١٢) ح : « حزقيا » ، ت « حزقيل » ، ن : « حريفنا » .

(١٣) ت : « يوحينا » ، ن : « يوحنا » .

فلما صار بختنصر ببابل خالفه صدقيا ، فغزاه بختنصر ثانية فظفر به ، وأخرب^(١) المدينة والهيكل ، وأوثق صدقيا ، وحمله إلى بابل بعد أن ذبح ولده ، وسمل عينيه . فكث بنو إسرائيل ببابل إلى أن رجعوا إلى بيت المقدس ، فكان غلبة بختنصر - المسمى بخرشه - على بيت المقدس إلى أن مات - في قول هذا الذي حكينا قوله - أربعين سنة .

• • •

ثم قام من بعده ابن يقال له أولرودخ . فملك الناحية ثلاثاً وعشرين سنة ، ثم هلك وملك مكانه ابن يقال له بلتشصر بن أولرودخ سنة ، فلما ملك ٦٥٢/١ بلتشصر خلط في أمره ، فعزله بهمن وملك مكانه على بابل وما يتصل بها من الشام وغيرها داريوش المازوي . المنسوب إلى ماذي بن يافث بن نوح عليه السلام حين صار إلى المشرق ، فقتل بلتشصر ، وملك بابل وناحية الشام ثلاث سنين . ثم عزله بهمن وولّى مكانه كيرش الغيلمي . من ولد غيلم بن سام ابن نوح ، الذي كان نزع إلى جامر مع ماذي عند ما مضى جامر إلى المشرق . فلما صار الأمر إلى كيرش كتب بهمن أن يرفق^(٢) بني إسرائيل . ويطلق لهم التزول حيث أحبوا ، والرجوع إلى أرضهم ، وأن يولّى عليهم من يختارونه ، فاختاروا دانيال النبي عليه السلام . فولى أمرهم . وكان ملك كيرش على بابل وما يتصل بها^(٣) ثلاث سنين ، فصارت هذه السنون - من وقت غلبة بختنصر إلى انقضاء أمره وأمر ولده وملك كيرش الغيلمي - معدودة من خراب بيت المقدس ، منسوبة إلى بختنصر ، ومبلغها سبعون سنة .

ثم ملك بابل وناحيتها من قبيل بهمن رجل من قرابته ، يقال له أخشوارش ابن كيرش بن جاماسب ، الملقب بالعالم ، من الأربعة الوجوه الذين اختارهم بخرشه عند توجهه إلى الشام من قبيل بهمن ؛ وذلك أن أخشوارش انصرف إلى بهمن من عند بختنصر محموداً ، فولاه ذلك الوقت بابل وناحيتها ؛ وكان السبب في ولايته - فيما زعم - أن رجلاً كان يتولى لبهمن ناحية السند والهند ٦٥٢/١

(١) أخرب المدينة : تركها خراباً .

(٢) ح : « أن ترفق » .

(٣) ح : « وما يليها » .

يقال له كرادشير^(١) بن دشكال خالفه، ومعه من الأتباع ستمائة ألف، فولى بهمن أخشويرش^(٢) الناحية، وأمره بالمسير إلى كرادشير، ففعل ذلك وحاربه، فقتله وقتل أكثر أصحابه، فتابع له بهمن الزيادة في العمل، وجمع له بطوائف من البلاد، فلزم السوس^(٣)، وجمع الأشراف، وأطعم الناس اللحم، وسقاهم الخمر، وملك بابل إلى ناحية الهند والحبشة وما يلي البحر، وعقد لمائة وعشرين قائداً في يوم واحد الأثوية، وصير تحت يد كل قائد ألف رجل من أبطال الجند الذين يعدل الواحد منهم في الحرب بمائة رجل، وأوطن^(٤) بابل، وأكثر المقام بالسوس، وتزوج من سبى بنى إسرائيل امرأة يقال لها أشتر ابنة أبي جاويل، كان ربها ابن عم لها يقال له مردخي، وكان أخاها من الرضاعة؛ لأن أم مردخي أرضعت أشتر، وكان السبب في تزوجه إياها قتله امرأة كانت له جليلة جميلة خطيرة، يقال لها وشتا^(٥)، فأمرها بالبروز ليراها الناس، ليعرفوا جلالتها وجمالها، فامتنعت من ذلك فقتلها، فلما قتلها جزع لقتلها جزعاً شديداً، فأشير عليه باعتراض نساء العالم، ففعل ذلك، وحببت إليه أشتر صنعاً لبنى إسرائيل؛ فتزعم النصارى أنها ولدت له عند مسيره إلى بابل ابناً فسماه كيرش، وأن ملك أخشويرش كان أربع عشرة سنة، وقد علمه مردخي التوراة، ودخل في دين بنى إسرائيل، وفهم عن^(٦) دانيال النبي عليه السلام ومن كان معه حينئذ، مثل حننيا وميشايل وعازريا، فسألوه بأن يأذن لهم في الخروج إلى بيت المقدس فأبى وقال: لو كان معي منكم ألف نبي ما فارقتي منكم واحد ما دمت حياً. وولى دانيال القضاء، وجعل إليه جميع أمره، وأمره أن يخرج كل شيء في الخزان مما كان يختنصر أخذه من بيت المقدس ويرده، وتقدم في بناء بيت المقدس، فبني وعمر في أيام

٢٥٤/١

(١) س : « كرادشير » .

(٢) س : « إخوارش » .

(٣) ضبطه ياقوت : « بضم أوله وسكون ثانيه ، وسين مهمله أخرى ، بلفظ السوس الذي

يقع في الصوف » . وقال : « بلدة بخوزستان ، فيها قبر دانيال النبي عليه السلام » .

(٤) أوطن بابل : اتخذها محلاً وسكناً .

(٥) ت ، س : « وشتا » .

(٦) ح : « أمر » ، ت : « من » .

كيرش بن أخشويرش . وكان ملك كيرش ، مما دخل في ملك بهمن وخماني
اثنين وعشرين سنة .

ومات بهمن لثلاث عشرة سنة مضت من ملك كيرش ، وكان موت كيرش
لأربع سنين مضيئة من ملك خماني ، فكان جميع ملك كيرش بن أخشويرش
اثنين وعشرين سنة .

• • •

فهذا ما ذكر أهل السير والأخبار في أمر بختنصر وما كان من أمره وأمر
بنی إسرائيل .

وأما السلف من أهل العلم فإنهم قالوا في أمرهم أقوالاً مختلفة ؛ فمن ذلك
ما حدثني القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج
عن ابن جريج ، قال : حدثني يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبيرة ، أنه سمعه يقول :
كان رجل من بني إسرائيل يقرأ ، حتى إذا بلغ : ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا
لَنَا أُولَىٰ بِأَبْصَارِهِمْ شَدِيدًا ﴾ (١) بكى . وفاضت عيناه ، ثم أطبق المصحف ، فقال :
ذلك ما شاء الله من الزمان ! ثم قال : أي رب ، أرني هذا الرجل الذي جعلت
هلاك بني إسرائيل على يديه . فأرني في المنام مسكينا ببابل يقال له بختنصر ،
فانطلق بمال وأعبُد له - وكان رجلاً موسراً - فقيل له : أين تريد ؟ فقال :
أريد التجارة ؛ حتى نزل داراً ببابل فاستكراها ، ليس فيها أحد غيره ، فجعل
يدعو المساكين (٢) ويلطف بهم حتى لا يأتيه أحد إلا أعطاه ، فقال :
هل بقي مسكين غيركم (٣) ؟ فقالوا : نعم مسكين بفتح آل فلان مريض ، يقال
له بختنصر ، فقال لغلمته : انطلقوا بنا : فانطلق (٣) حتى أتاه فقال : ما اسمك ؟
قال : بختنصر ، فقال لغلمته : احتملوه . فنقله إليه فرضه حتى برئ : وكساه
وأعطاه نفقة ؛ ثم أذن الإسرائيلي بالرحيل ، فبكى بختنصر ، فقال الإسرائيلي :
ما يبكيك ؟ قال : أبكى أنك فعلت بي ما فعلت ، ولا أجد شيئاً أجزيك !

(١) سورة الإسراء د .

(٢ - ٢) التفسير : « ويلطف بهم حتى لم يبق أحد ؛ فقال هل بقي . . . »

(٣) ح : « فانطلقوا » .

قال : بلى شيئاً يسيراً ، إن ملكت أعطيتني (١) . فجعل الآخري تبعه ويقول :
تستهزئ بي ! ولا يمنعني أن يعطيني ما سأله إلا أنه يرى أنه يستهزئ به . فبكى
الإسرائيلي وقال : لقد علمت ما يمنعك أن تعطيني ما سألتك ؛ إلا أن الله
عز وجل يريد أن يُنفذ ما قضى وكتب في كتابه .

٦٥٦/١
وضرب الدهر من ضربه (٢) ، فقال صيحون (٣) ، وهو ملك فارس ببابل :
لو أننا بعثنا طليعة إلى الشام ! قالوا : وما ضرك لو فعلت ! قال : فمن ترون ؟
قالوا : فلان ، فبعث رجلاً ، وأعطاه مائة ألف ، وخرج بختنصر في مطبخه
لا يخرج إلا ليأكل في مطبخه ، فلما قدم الشام رأى صاحب الطليعة أكثر
أرض الله فرساً ورجلاً جلدًا ، فكسره (٤) ذلك في ذرعه ، فلم يسأل ؛ فجعل
بختنصر يجلس مجالس أهل الشام فيقول : ما يمنعكم أن تغزوا بابل ؟ فلو
غزوتموها ، فما دون بيت مالها شيء . قالوا : لا نحسن القتال ولا نقاتل
حتى تنفذ مجالس أهل الشام ، ثم رجعوا . فأخبر متقدم الطليعة ملكهم بما
رأى ، وجعل بختنصر يقول لفوارس الملك : لودعاني الملك لأخبرته غير ما أخبره
فلان . فرفع ذلك إليه ، فدعاه فأخبره الخبر ، وقال : إن فلانًا لما رأى أكثر
أرض الله كُراعًا ورجلاً جلدًا ، كسر ذلك في ذرعه (٥) ، ولم يسألهم عن شيء ،
وإني لم أدع مجلسًا بالشام إلا جالست أهله ، فقلت لهم كذا وكذا ، فقالوا
لي كذا وكذا - للذي ذكره سعيد بن جبير أنه قال لهم - فقال (٦) متقدم الطليعة لبختنصر :

فضحتني ! لك مائة ألف وتترع عما قلت . قال : لو أعطيتني بيت مال بابل
ما نزعْتُ . وضرب الدهر من ضربه ، فقال الملك : لو بعثنا جريدة خيل إلى الشام ،
٦٥٧/١
فإن وجدوا مساعًا ساغوا ، وإلا امتشوا (٧) ما قدروا عليه . قانو : ما ضرك

(١) م : التفسير : « أعطيتني »

(٢) ح : « ما ضرب » .

(٣) ح ، والتفسير : « صيحون » .

(٤) التفسير : « كبر ذلك في ذرعه » .

(٥) التفسير : « كبر ذلك في ذرعه » .

(٦) التفسير : « قال لهم » .

(٧) امتشوا : انتزعوا .

لو فعلت ! قال : فن ترون ؟ قالوا : فلان ، قال : بل الرجل الذي أخبرني بما أخبرني ، فدعا بختنصر ، فأرسله وانتخب معه أربعة آلاف من فرسانهم ، فانطلقوا فجاسوا خلال الديار ، فسبوا ما شاء الله ولم يخرّبوا ولم يقتلوا ، ورُمى في جنازة صيحون ، قالوا : استخلفوا رجلاً ، قالوا : عتّى رسليكم حتى يأتي أصحابكم ، فإنهم فرسانكم ؛ أن ينعصوا عليكم شيئاً ! فأمهتلوا حتى جاء بختنصر بالسبى وما معه ، فقسمه في الناس فقالوا : ما رأينا أحداً أحق بالملك من هذا ! فلكوه (١) .

• • •

وقال آخرون منهم : إنما كان خروج بختنصر إلى بني إسرائيل لحربهم حين قتلت بنو إسرائيل يحيى بن زكرياء .
• ذكر بعض من قال ذلك منهم :

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، في الحديث الذي ذكرنا إسناده قبل : أن بختنصر بعثه صيحاتين لحرب بني إسرائيل حين قتل ملكهم يحيى بن زكرياء عليه السلام ، وبلغ صيحاتين قتله .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال - فيما بلغني : استخلف الله عز وجل على بني إسرائيل بعد شعيا رجلاً منهم يقال له ياشية بن أموص ، فبعث الله لهم الخضر نبياً ، واسم الخضر - فيما كان وهب بن منبه يزعم عن بني إسرائيل - إرميا بن حلقيا ، وكان من سبط هارون .

• • •

وأما وهب بن منبه فإنه قال فيه ما حدثني محمد بن سهل بن عسكر البخاري ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبه يقول :

(١) الخبر في التفسير ١٥ : ٢٢ - ٢٣ (ببلاق)

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق عن لا يتهم عن وهب بن منبه اليماني أنه كان يقول : قال الله عز وجل لإرميا حين بعثه نبيا إلى بني إسرائيل : « يا إرميا ، من قبل أن أخلقك اخترتك ، ومن قبل أن أصورك في بطن أمك قد ستك ، ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهرتك ، ومن قبل أن تبلغ السعى نبيتك ^(١) ، ومن قبل أن تبلغ الأشد اخترتك ^(٢) ، ولأمر عظيم اجتبيتك ^(٣) . فبعث الله عز وجل إرميا إلى ذلك الملك من بني إسرائيل يسدده ويرشده ، ويأتيه بالخبر من قبل الله فيما بينه وبين الله عز وجل .

قال : ثم عظمت الأحداث في بني إسرائيل ، وركبوا المعاصي ، واستحلوا المحارم ، ونسوا ما كان الله صنع بهم ، وما نجاهم من عدوهم سنحاريب وجنوده ، فأوحى الله عز وجل إلى إرميا : أن انت قومك من بني إسرائيل ، فاقصص عليهم ما أمرك به ، وذكّرهم نعمي عليهم ، وعرفهم إحداهم . فقال إرميا : إني ضعيف إن لم تقوتي ، عاجز إن لم تبلغني ، مخطئ إن لم تسدّ دني ، مخدول إن لم تنصرتي ، ذليل إن لم تعزتي . قال الله عز وجل : ألم تعلم أن الأمور كلها تصدر عن مشيئتي ، وأن القلوب كلها والألسن بيدي ، أقلبها كيف شئت فتطيعني ! وأني أذا الله الذي لا شيء مثلي ، قامت السموات والأرض وما فيهن بكلمتي ، وأنا كلمت البحار ففهمت قولي ، وأمرتها فعقلت ^(٤) أمرى ، وحددت عليها بالبطحاء فلا تعدّى حدّي . تأتي بأموج كالجبال ؛ حتى إذا بلغت حدّي ألبستها مذلة طاعتي خوفاً واعترافاً لأمرى ، إني معك ولن يصل إليك شيء معي ؛ وإني بعثتك إلى خلق عظيم من خلقتي لتبلغهم رسالاتي ، ونستحق ^(٥) بذلك مثل أجر من اتبعك منهم ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، وإن تقصّر به عنها تستحق بذلك مثل وزر من تركت في عماء ؛ لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً . انطلق إلى قومك فقل : إن الله ذكر

٦٥٩/١

(١) التفسير : « نبأتك » .

(٢) التفسير : « اخترتك » .

(٣) التفسير : « اختبأتك » .

(٤) كذا في ن والتفسير ؛ وفي ط : « فعلت » .

(٥) التفسير : « ولستحق » .

بكم صلاح آباءكم ، فحمله ذلك على أن يستثيبكم^(١) يا معشر الأبناء .
وسلّمهم كيف وجد آباءهم مغبّة طاعتي ، وكيف وجدوا هم مغبّة معصيتي !
وهل علموا أن أحداً قبلهم أطاعني فشقّ بطاعتي . أو عصاني فسعد بمعصيتي !
وأن الدوابّ مما تذكر أوطانها الصالحة تنتابها . وأن هؤلاء القوم رتّعوا في مروج
الملكّة . أما أحبارهم وزهّابهم فاتخذوا عبادي خولاً^(٢) يتعبّدونهم دوني ، ويحكمون
فيهم بغير كتابي^(٣) . حتى أجهلوهم أمري ، وأنسوهم ذكري ، وغرّوهم مني .
وأما أمراؤهم وقادّتهم فبضروا نعمتي ، وأمّنوا مكري . ونسّوا كتابي : ونسّوا عهدي .
وغيّروا سنتي ، وادّان^(٤) لهم عبادي بالطاعة التي لا تنبغي إلا لي . فهم
يطيعونهم في معصيتي ، ويتابعونهم على البِدْع التي يتدعون في ديني ، جرأةً
على وغيرّة ، وفيرية على وعلى رُسُلِي . فسبحان جلالِي وعلوِّ مكاني وعظمة شأنِي !
وهل ينبغي لبشر أن يُطاع في معصيتي ! وهل ينبغي أن أخلق عباداً أجعلهم
أرباباً من دوني ! وأما قرآؤهم وفقهاؤهم فيتعبّدون في المساجد ، ويتزيّنون^(٥)
بعمارتها لغيري لطلب الدنيا بالدين . ويتفقّهون فيها لغير العلم ، ويتعلّمون فيها
لغير العمل . وأما أولاد الأنبياء فمكثورون مقهورون مغترّون ، يخوضون مع
الحائضين ، فيتمسّون على مثل نصرّة آباؤهم ، والكرامة التي أكرمتم بها ،
ويزعمون أن لا أحدَ أوّلِي بذلك منهم مني بغير صدق ولا تفكر ولا تدبّر^(٥)
ولا يذكرون كيف نصر آباؤهم لي ، وكيف كان جدّهم في أمري ، حين
غيّروا المغيرون ، وكيف بذلوا أنفسهم ودماءهم . فصبروا وصدقوا حتى عزّ
أمري ، وظهر ديني . فتأنّيت بهؤلاء القوم لعلّهم يستجيبون ، فأطولت لهم ،
وصفحت عنهم لعلّهم يرجعون . وأكثرت ومددت لهم في العمر لعلّهم يتفكرون^(٦) ،
فأعذرت . وفي كلّ ذلك أمطر عليهم السماء ، وأنبت لهم الأرض ، وألبسهم

(١) ت : « يستثيبكم » . ح : « يتثيبكم » .

(٢-٢) التفسير : « ليعبّدوهم دوني ، وتحكّموا فيهم بغير كتابي » .

(٣) التفسير : « فادان » .

(٤) كذا في ت ، ن ، والتفسير ، وفي ط : « يتدينون » .

(٥) كذا في التفسير ، وفي ط : « تعبر » .

(٦) التفسير : « يتذكرون » .

العافية ، وأظهرهم على العدو ، فلا يزدادون إلا طغياناً وبعداً مني . فحى مني هذا ! أبا يتمر سواد ! أم إياي يخادعون ! فإني أحلف بعزتي لأقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحلم ، ويضل فيها رأى ذى الرأى وحكمة الحكيم . ثم لأسلطن عليهم جباراً قاسياً عاتياً ، ألبسه الهيبة ، وأنزع من صدره الرأفة والرحمة والليان ، يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ، له عساكر مثل قطع السحاب ، ومراكب أمثال العجاج ؛ كأن خفيق راياته طيرانُ النور ، وكأن حملة فرسانه كزير^(١) العقبان .

٦٦١/١

ثم أوحى الله عز وجل إلى إرميا أنتى مهلك بنى إسرائيل بياث - ويافث أهل بابل ، فهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام - فلما سمع إرميا وحنى ربه صاح وبكى وشق ثيابه ، ونبذ الرماد على رأسه ، فقال : ملعون يوم ولدت فيه ، ويوم لقنت^(٢) فيه التوراة ، ومن شر أباى يوم ولدت فيه ، فما أبقيت آخر الأنبياء إلا لما هو شر على ، لو أراد بي خيراً ما جعلنى آخر الأنبياء من بنى إسرائيل ؛ فمن أجلى تصيبهم الشقوة والهلاك !

فلما سمع الله عز وجل تصرع الحضر وبكاهه ، وكيف يقول ، ناداه : يا إرميا ، أشق عليك ما أوحيت لك ! قال : نعم يا رب ؛ أهليكنى قبل أن أرى فى بنى إسرائيل ما لا أسر به ، فقال الله تعالى : وعزتى^(٣) وجلالى لا أهلك بيت المقدس وبنى إسرائيل حتى يكون الأمر من قبلك فى ذلك . ففرح عند ذلك إرميا لما قال له ربه ، وطابت نفسه وقال : لا ، والذي بعث موسى وأنبياءه بالحق ، لا أمر ربي بهلاك بنى إسرائيل أبداً .

ثم أتى ملك بنى إسرائيل فأخبره بما أوحى الله إليه فاستبشر وفرح ، وقال : إن يعذبنا ربنا فبذنوب كثيرة قد منّاها لأنفسنا ، وإن عفا عنا فبقدرته .

٦٦٢/١

ثم إنهم لبثوا بعد هذا الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا إلا معصية وتمادياً فى الشر ، وذلك حين اقترب هلاكهم ، فقل الوحي حين لم يكونوا يتذكرون الآخرة ، وأمسك عنهم حين^(٤) أهتمهم الدنيا وشأنها ، فقال لهم ملكهم :

(١) الكزير : صوت فى الصدر كصوت الخنثوق . (٢) ن والتضير : ولقيت .

(٣) التضير : ومزق العزيرة . (٤) ن : حيث .

يا بني إسرائيل ، انتهوا عما أنتم عليه قبل أن يمسّكم بأسُ الله ، وقبل أن يبعث الله عليكم قوماً لا رحمةَ لهم بكم ، فإنّ ربّكم قريب التوبة مبسوط اليدين بالخير ، رحيم بمن تاب إليه . فأبوا عليه أن ينزعوا عن شيء مما هم عليه . وإنّ الله ألقى في قلب بختنصر بن نبوزرادان بن سنحاريب بن دارياس بن نمرود بن فالغ ابن عابر - ونمرود صاحب إبراهيم عليه السلام . الذي حاجه في ربه - أن يسير إلى بيت المقدس ، ثم يفعل فيه ما كان جدّه سنحاريب أراد أن يفعل . فخرج في ستمائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس ، فلما فصل سائراً أتى ملك بني إسرائيل الخبير أن بختنصر قد أقبل هو وجنوده يريدكم ، فأرسل الملك إلى إرميا ، فجاءه فقال : يا إرميا . أين ما زعمت لنا أن ربك أوحى إليك ألاّ يهلك أهل بيت المقدس حتى يكون منك الأمر في ذلك ! فقال إرميا للملك : إن ربّي لا يخلف الميعاد ، وأنا به واثق .

فلما اقترب الأجل ودنا انقطاع ملكهم . وعزم الله تعالى على هلاكهم . بعث الله عزّ وجلّ ملكاً من عنده ، فقال له : اذهب إلى إرميا واستفتّه . ٦٦٣/٧ وأمره بالذي يستفتيه فيه . فأقبل الملك إلى إرميا ، وقد^(١) تمثّل له رجلاً من بني إسرائيل . فقال له إرميا : من أنت ؟ قال : أنا رجل من بني إسرائيل أستفتيك في بعض أمري . فأذن له . فقال له الملك : يا نبيّ الله ، أتيتك أستفتيك في أهل رحدي . وصلت أرحامهم بما أمرني الله به . لم آت إليهم إلاّ حسناً ، ولم آذم كرامته . فلا تزيدهم كرامتي إياهم إلاّ إسخاطاً لي ، فأفتني فيهم يا نبيّ الله ! فقال له : أحسن فيما بينك وبين الله . وصل ما أمرك الله أن تصل . وأبشر بخير . قال : فانصرف عنه الملك . فكث أياماً ثم أقبل إليه في صورة ذلك الرجل الذي كان جاءه ، فقعده بين يديه ، فقال له إرميا : من أنت ؟ قال . أنا الرجل الذي أتيتك أستفتيك في شأن أهلي ، فقال له نبيّ الله : أو ما ظنّرت^(٢) لك أخلاقهم بعد . ولم ترمهم الذي تحب ! قال : يا نبيّ الله ، والذي بعثك بالحق ما أعلم كرامةً يأتيها أحد من الناس إلى أهل رحمي

(١) كذا في ج ، وفي ط : « قد » بدون الواو ، وفي التفسير : « وكان قد تمثّل » .

(٢) طهارة الأخلاق : بعدها عن الدنس والإثم .

إلا وقد أتيتها إليهم وأفضل من ذلك . فقال النبي : ارجع إلى أهلِكَ فأحسن إليهم ، واسأل الله الذي يُصلح عباده الصالحين أن يصلح ذات بينكم ، وأن يجمعكم على مرضاته . ويجنبكم سخطه^(١) . فقام الملك من عنده فلبث أياماً وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس بأكثر^(٢) من الجراد . ففرغ منهم بنو إسرائيل فرعاً شديداً ، وشق ذلك على ملك بني إسرائيل فدعا إرميا فقال :

٦٦٤/١

يا نبي الله ، أين ما وعدك الله ؟ فقال : إني بربتي واثق . ثم إن الملك أقبل إلى إرميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذي وعده ، ففعد بين يديه ، فقال له إرميا : مَنْ أنت ؟ قال : أنا الذي كنت أتيتك في شأن أهلي مرتين ، فقال له النبي : أو لم يأن لهم أن يُفبقوا من الذي هم فيه ! فقال الملك : يا نبي الله ، كُلُّ شَيْءٍ كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه ، وأعلم أن ما لهم^(٣) في ذلك سُخطي ، فلما أتيتهم اليوم رأيتهم في عمل لا يرضاه الله ولا يحبه ، قال له النبي : على أي عمل رأيتهم ؟ قال : يا نبي الله ، رأيتهم على عمل عظيم من سخط الله ، فلو كانوا على مثل ما كانوا عليه قبل اليوم ، لم يشتد غضبي عليهم ، وصبرت لهم ورجوتهم ، ولكني غضبت اليوم لله ولك ، فأتيتك لأخبرك خبرهم ، وإني أسألك بالله الذي هو بعثك بالحق إلا ما دعوت عليهم أن يهلكهم الله . قال إرميا : يا ملك السموات والأرض ؛ إن كانوا على حق وصواب فأبقهم ، وإن كانوا على سخطك وعمل لا يرضاه فأهلكهم .

فلما خرجت الكلمة من إرميا أرسل^(٤) الله عز وجل صاعقة من السماء في بيت المقدس فالتهب مكان القربان ، ونحسِف بسبعة أبواب من أبوابها . فلما رأى ذلك إرميا صاح وشق ثيابه ، ونبذ التراب على رأسه ، وقال : يا ملك السماء ويا أرحم الراحمين ، أين ميعادك الذي وعدتني ! فنودي : يا إرميا ؛ إنه لم يصبهم الذي أصابهم إلا بفتياك التي أفتيت بها رسولنا . فاستيقن النبي أنها

٦٦٥/١

(١) ح : « وينجيكم من سخطه » .

(٢) ح : « في أكثر » . التفسير : « كأثقال الجراد » .

(٣) ت : « ما بهم » ، ن : « ما لهم » ، التفسير : « ما بهم » .

(٤) التفسير : « فاخرجت الكلمة من في إرميا حتى أرسل » .

فُتِيَاهُ الَّتِي أَفْتَى بِهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَأَنَّهُ رَسُولُ رَبِّهِ .

وطار (١) إرميا حتى خالطَ الوحوش ، ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ، فوطئ الشام ، وقتل بنى إسرائيل حتى أفناهم . وخرَّب بيت المقدس : ثم أمر جنوده أن يملأ كلُّ رجلٍ منهم تُرْسَهُ ترابًا ثم يقذفه في بيت المقدس . فمقدفوا فيه التراب حتى ملئوه . ثم انصرف راجعًا إلى أرض بابل . واحتمل معه سبأيا بنى إسرائيل ، وأمرهم أن يجمعوا مَنْ كان في بيت المقدس كلَّهم : فاجتمع عنده كلُّ صغيرٍ وكبيرٍ من بنى إسرائيل ، فاختر منهم مائة ألف صبي . فلما خرجت غنائم جنده ، وأراد أن يقسمها (٢) فيهم . قالت له الملوك الذين كانوا معه : أيها الملك ، لك غنائمنا كلُّها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بنى إسرائيل . ففعل فأصاب كلَّ رجلٍ منهم أربعة غلمة - وكان من أولئك الغلمان : دانيال ، وحنانيا ، وعزارييا . وميشايل - وسبعة آلاف من أهل بيت داود ، وأحد عشر ألفًا من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين . وثمانية آلاف من سبط أشر بن يعقوب . وأربعة عشر ألفًا من سبط زبولون ابن يعقوب . ونفثالي بن يعقوب ، وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوى ابني يعقوب . وأربعة آلاف من سبط يهوذا بن يعقوب ومن بقى من بنى إسرائيل . وجعلهم بختنصر ثلاث فرق : فثلثا أقر بالشام . وثلثا سبي . وثلثا قتل . وذهب بآنية بيت المقدس حتى أقدمها بابل . وذهب بالصبيان السبعين الألف حتى أقدمهم بابل ؛ وكانت هذه الوقعة الأولى التي أنزلها الله ببني إسرائيل بإحداثهم وظلمهم .

فلما ولي بختنصر عنهم راجعًا إلى بابل بمن معه من سبأيا بنى إسرائيل أقبل إرميا على حمار له معه عصير من عنب في ركوة (٣) وسلّة تين ، حتى غشى إيلياء فلما وقف عليها ورأى ما بها من الحراب دخله شك . فقال : أنسى يحيى هذه الله بعد موتها! فأماته الله مائة عام ، وحماره وعصيره وسلّة تينه عنده حيث أماته

(١) التفسير : « ثم إن إرميا » . . .

(٢) كذا في التفسير وفي ط : « يقسمهم » .

(٣) ت والتفسير : « زكرة » ، وهى زق صغير من آدم يجعل فيه الشراب .

الله وأمات حمارة معه . وأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد . ثم بعثه الله فقال له :
﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا بَلْ لَبِثْنَا مِائَةَ عَامٍ
فَأَنْظِرْ إِلَى طَمَامِكُمْ وَشَرَائِكِ لَمْ يَنْتَسِنَهُمْ ﴾ - بقول لم يتغير - ﴿ وَأَنْظِرْ إِلَى حِمَارِكَ
وَأَنْجِعْ آيَةَ لِلنَّاسِ وَأَنْظِرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا أَحْمَامًا ﴾ (١)
فنظر إلى حمارة يتصل بعض إلى بعض - وقد كان مات معه - بالعروق والعصب ،
ثم كيف كسى ذلك منه اللحم حتى استوى ، ثم جرى فيه الروح ، فقام ينهق . ثم
نظر إلى عصيره وتينه . فإذا هو على هيئته حين وضعه لم يتغير . فلما عاين من
قدرة الله ما عاين ، قال : ﴿ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) . ثم عمر الله
إرميا بعد ذلك . فهو الذي يرى بفلوات الأرض والبلدان (٢) .

٦٦٧/١

ثم إن بختنصر أقام في سلطانه ما شاء الله أن يقيم ، ثم رأى رؤيا ، فبينما
هو قد أعجبه ما رأى إذ رأى شيئا أصابه فأنساه الذي كان رأى ، فدعا
دانيال ، وحنانيا وعزارييا ، وميشايل من ذراري الأنبياء ، فقال : أخبروني عن رؤيا
رأيتها ، ثم أصابني شيء فأنسانيها ، وقد كانت أعجبتني (٣) ما هي ؟ قالوا
له : أخبرنا بها نخبرك بتأويلها ، قال : ما أذكرها ، وإن لم تخبروني بتأويلها
لأنزعن أكتافكم . فخرجوا من عنده ، فدعوا الله واستغاثوا وتضرعوا إليه ،
وسألوه أن يعلبهم إياها ، فأعلمهم الذي سألم عنه ، فجاءوه فقالوا له : رأيت
تمثالا ؟ قال : صدقتم ، قالوا : قدماء وساقاه من فخار . وركبتاه وفخذه
من نحاس ، وبطنه من فضة ، وصدرة من ذهب ، ورأسه وعنقه من حديد .
قال : صدقتم . قالوا : فبينما أنت تنظر إليه قد أعجبك ، فأرسل الله عليه صخرة
من السماء فدقته ، فهي التي أنستكها . قال : صدقتم ، فما تأويلها ؟ قالوا :
تأويلها أنك أريت ملك الملوك ، فكان بعضهم ألين ملكا من بعض ،
وبعضهم كان أحسن ملكا من بعض ، وبعضهم كان أشد ملكا من بعض ،

(١) سورة البقرة ٢٥٩ .

(٢) الخبر في التفسير ١٥ : ٢٩ - ٣١ (بولاق) ، وانظره أيضا في ٥ :

٤٤٧ - ٤٥٤ (المعارف) .

(٣) ح : ٥ كان أعجبتني .

فكان أول الملكِ الفخار وهو أضعفه وألينه . ثم كان فوقه النحاس وهو أفضل منه وأشدّ ، ثم كان فوق النحاس الفضة وهي أفضل من ذلك وأحسن ، ثم ٦٦٨/١ كان فوق الفضة الذهب ، فهو أحسن من الفضة وأفضل ، ثم كان الحديد مُلْكك ؛ فهو كان أشدّ الملوك وأعزّ مما كان قبله ، وكانت الصخرة التي رأيت أرسل الله عليه من السماء فدقته ، نبياً يبعثه الله من السماء فيدقّ ذلك أجمع ، ويصير الأمر إليه .

ثم إن أهل بابل قالوا لبختنصر : رأيت هؤلاء الغلمان من بني إسرائيل الذين كنا سألناك أن تعطيناهم ففعلت ! فإننا والله لقد أنكرنا نساءنا منذ كانوا معنا ، لقد رأينا نساءنا عليقنّ بهم . وصرفنّ وجوههنّ إليهم ، فأخرجنهم من بين أظهرنا أو اقتلنهم ، قال : شأنكم بهم ، فمن أحبّ منكم أن يقتل من كان في يده فليفعل . فأخرجوهم . فلما قربوهم للقتل تضرّعوا إلى الله فقالوا : يا ربنا ، أصابنا البلاء بذنوب غيرنا ، فتحنن الله عليهم برحمته ، فوعدهم أن يحييهم بعد قتلهم ، فقتلوا إلا من استبقى بختنصر منهم ، وكان ممن استبقى منهم : دانيال ، وحنانيا ، وعزارياء ، وميشايل .

• • •

ثم إن الله تبارك وتعالى حين أراد هلاك بختنصر، انبعث فقال لمن كان في يديه من بني إسرائيل : رأيتم هذا البيت الذي أخرجت ، وهؤلاء الناس الذين قتلت ، من هم ؟ وما هذا البيت ؟ قالوا : هذا بيت الله ومسجد من مساجده ، وهؤلاء أهلُه كانوا من ذراريّ الأنبياء ، فظلموا وتعدّوا وعصوا فسلبت عليهم بذنوبهم ، وكان ربّهم ربّ السموات والأرض ، وربّ الخلق كلهم يكرمهم ٦٦٩/١ ويمنعهم^(١) ويعزّهم ، فلما فعلوا ما فعلوا أهلكهم الله وسلط عليهم غيرهم .

قال : فأخبروني ما الذي يطلع بي إلى السماء العليا ، لعلّي أطلع إليها فأقتل من فيها وأتخذها ملكاً ، فإنّي قد فرغت من الأرض ومن فيها ، قالوا له : ما تقدر على ذلك وما يقدر على ذلك أحد من الخلائق ، قال : لتفعلنّ أو لأقتلنّكم عن آخركم ، فبكوا إلى الله وتضرّعوا إليه ، فبعث الله بقدرته - ليريه

(١) ن : « ويمنعهم » .

ضعفه وهو انه عليه - بعوضة فدخلت في منخره ثم ساخت في دماغه حتى عضت بأم دماغه ؛ فما كان يتقر ولا يسكن حتى يوجأ له رأسه على أم دماغه ؛ فلما عرف الموت قال لخاصته من أهله : إذامت فشقوا رأسي ، فانظروا ما هذا الذي قتلتني ؟ فلما مات شقوا رأسه . فوجدوا البعوضة عاضة بأم دماغه ليُرى الله العباد قدرته وسلطانه ؛ ونجى الله من كان بقي في يديه من بني إسرائيل وترحم عليهم وردهم إلى الشام وإلى إيلياء المسجد المقدس ، فبنوا فيه وربلوا^(۱) وكثروا ؛ حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه .

فيزعمون - والله أعلم - أن الله أحيا أولئك الموتى الذين قتلوا فلحقوا بهم .

• • •

ثم إنهم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم عهد من الله . كانت التوراة قد استبييت منهم فحرقت وهلكت . وكان عزير من السبايا الذين كانوا ببابل فرجع إلى الشام يبكي عليها ليله ونهاره ، قد خرج من الناس فتوحداً^(۲) منهم ؛ وإنما هو ببطون الأودية وبالفلوات يبكي ؛ فبينما هو كذلك في حزنه على التوراة وبكائه عليها ؛ إذ أقبل إليه رجل وهو جالس . فقال : يا عزير ما يبكيك ؟ قال : أبكى على كتاب الله وعهده ، كان بين أظهرنا فبلغت بنا خطايانا ، وغضب ربنا علينا أن سلط علينا عدونا . فقتل^(۳) رجالنا . وأخرب بلادنا . وأحرق كتاب الله الذي بين أظهرنا ، الذي لا يصلح دنيانا وآخرتنا غيره - أو كما قال - فعلام أبكى إذا لم أبك على هذا ! قال : أفتحب أن يرَدَّ ذلك عليك ؟ قال : وهل إلى ذلك من سبيل ؟ قال : نعم ارجع فصم وتطهر وطهر ثيابك ، ثم موعدك هذا المكان غداً . فرجع عزير فصام وتطهر وطهر ثيابه ، ثم عمد إلى المكان الذي وعده . فجلس فيه ، فأتاه ذلك الرجل بإناء فيه ماء - وكان ملكاً بعثه الله إليه - فسقاه من ذلك الإناء ، فثلث التوراة في صدره ، فرجع إلى بني إسرائيل ، فوضع لهم التوراة يعرفونها بحلالها وحرامها وسننها وفرائضها

(۱) ربلوا : كثر عددهم .

(۲) ح : « وانقطع » .

(۳) ت : « حتى قتل » . ن : « قتل » .

محدودها . فأحبّوه حبّاً لم يحبّوه شيئاً قطّ ، وقامت التوراة^(١) بين أظهرهم ،
 وصلح بها أمرهم ، وأقام بين أظهرهم عزير مؤدياً لحقّ الله ، ثم قبضه الله على
 ذلك ، ثم حدثت فيهم الأحداث حتى قالوا لعزير : هو ابن الله ، وعاد الله
 عليهم فبعث فيهم نبياً كما كان يصنع بهم : يسدّد أمرهم ، ويعلمهم ويأمرهم
 بإقامة التوراة وما فيها .

• • •

وقال جماعة أخر عن وهب بن منبه في أمر بختنصر وبنى إسرائيل وغزود
 إياهم أقوالاً غير ذلك ، تركنا ذكرها كراهة إطالة الكتاب بذكرها .

(١) ح : «وقام أمر التوراة»

ذكر خبر غزو بختنصر للعرب

حدثت عن هشام بن محمد، قال : كان بدء نزول العرب أرضَ العراق وثبوتهم فيها، واتخاذهم الحيرة والأنبار منزلاً - فيما ذكر لنا والله أعلم - أن الله عزَّ وجلَّ أوحى إلى برخيا بن أحنيا^(١) بن زربابل بن شلتيل من ولد يهوذا - قال هشام : قال الشرقى : وشلتيل أول من اتخذ الطفشيل - أن اتت بختنصر وأمره أن يغزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب ، ويطأ بلادهم بالجنود ، فيقتل مقاتلتهم ويستبيح أموالهم ، وأعلمه كفرهم بي ، واتخاذهم الآلهة دوني ، وتكذيبهم أنبيائي ورسلي .

قال : فأقبل برخيا من نجران حتى قدم على بختنصر ببابل - وهو « نبوخذ نصر » فعربته العرب - وأخبره بما أوحى الله إليه وقصَّ عليه ما أمره به ، وذلك في زمان معدِّ بن عدنان . قال : فوثب بختنصر على مَنْ كان في بلاده من تجار العرب، وكانوا يقدمون عليهم بالتجارات والبياعات ، ويتارون من عندهم الحبَّ والتمر والثياب وغيرها .

فجمع مَنْ ظفر به منهم . فبنى لهم حَيْرًا^(٢) على النَجَف وحصَّنه . ثم ضمَّهم فيه ووكل بهم حرسًا وحفظة . ثم نادى في الناس بالغزو . فتأهبوا لذلك وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب . فخرجت إليه طوائف منهم مسلمين مستأمنين . فاستشار بختنصر فيهم برخيا . فقال : إن خروجهم إليك من بلادهم قبل هوضك إليهم رجوع منهم عما كانوا عليه . فأقبل منهم . فأحسن إليهم .

قال : فأنزهم بختنصر السواد^(٣) على شاطئ الفرات ، فابتنوا موضع عسكرهم بعد . فسمَّوهُم الأنبار^(٤) . قال : وخذني عن أهل الحير^(٥) ، فاتخذوها منزلاً حياة

(١) كذا في ت . وفي س : « أحنيا » . وفي ابن الأثير ١ : ١٥٣ : « أحنيا » .

(٢) الحير : سبب الخطيرة . (٣) السواد هنا : رستاق العراق .

(٤) مدينة على الفرات ، ذكرها ياقوت وقال : « وقيل إنما سمى الأنبار لأن بختنصر لما حارب العرب الذين لا حلاق لهم حبس الأسراء فيه » .

(٥) في الأصول : « الحيرة » ، وصوابه من معجم البلدان ٣ : ٢٧٨ .

بختنصر . فلما مات انضموا إلى أهل الأنبار . وبقى ذلك الحبر خراباً (١) .

وأما غير هشام من أهل العلم بأخبار الماضين فإنه ذكر أن معد بن عدنان لما ولد، ابتدأت بنو إسرائيل بأنبيائهم فقتلوه ، فكان آخر من قتلوا يحيى بن زكرياء ، وعدا أهل الرّس (٢) على نبيهم فقتلوه ، وعدا أهل حضور (٣) على نبيهم فقتلوه . فلما اجترءوا على أنبياء الله أذن الله في فناء ذلك القرن الذين معد بن عدنان من أنبيائهم . فبعث الله بختنصر على بني إسرائيل ، فلما فرغ من إخراج المسجد الأقصى والمدائن وانتسف بني إسرائيل نسفاً ، فأوردتهم أرض بابل أرى فيما يرى النائم— أو أمير بعض الأنبياء أن يأمره— أن يدخل بلاد العرب فلا يستحي فيها إنسياً (٤) ولا بهيمة . وأن ينتسف ذلك نسفاً . حتى لا يبقى لهم أثراً . فنظم بختنصر ما بين إيلة والأبلّة خيلاً ورجلاً . ثم دخلوا على العرب فاستعرضوا كل ذى روح أتوا عليه وقدروا عليه . وأن الله تعالى أوحى إلى إرميا وبرخيا أن الله قد أندر قومكما . فلم ينتهوا . فعادوا بعد المملك عبيدا . وبعد نعيم العيش عالة يسألون الناس ، وقد تقدمت إلى أهل عربة بمثل ذلك فأبوا إلا الحاجة . وقد سلطت بختنصر عليهم لأنقم منهم . فعليكما بمعد بن عدنان . الذى من ولده محمد الذى أخرجته في آخر الزمان . أخيم به النبوة . وأرفع به من الضعة .

فخرجتا تطوى هما الأرض حتى سبقا بختنصر . فلقيا عدنان قد تلقاهما . فطوياه إلى معد . ولمعد يومئذ اثنتا عشرة سنة . فحمله برخيا على البراق . وردف خلفه . فأنتهيا إلى حرّان من ساعتها . وطويت الأرض لإرميا فأصبح بحرّان . فالتقى عدنان وبختنصر بذات عرق . فهزم بختنصر عدنان . وسار في بلاد العرب ، حتى قدم إلى حضور واتبع عدنان . فأنتهى بختنصر إليها ،

(١) الحبر في معجم البلدان ٣ : ٣٧٧ - ٣٨٠ . عن هشام ، وفيه : « فأبستوا في موضعه وسموها الحبرة لأنه كان حيراً مبنياً ؛ وما زالوا كذلك مدة حياة بختنصر » .
 (٢) الرّس : بئر ، ويروى أن قوماً كذبوا نبيهم ورسوه في هذه البئر (ياقوت) .
 (٣) حضور ، دلفتح ثم الضم : بلدة بابين ، من أعمال زبيد وفتن ياقوت عن السهيلي : « لما قصد بختنصر بلاد العرب ودوخها وخرّب المعمور استأصل الله أهل حضور » وقال : « هكذا رواها بالألف الممدودة » . (٤) ت « إنسافاً » .

وقد اجتمع أكثر العرب من أقطار من عربة إلى حضُور ، فخذق
 الفريقان ، وضرب بختنصر كمينًا - وذلك أول كمين كان فيما زعم - ثم نادى
 مناد من جوف السماء : بالثارات الأنبياء ! فأخذتهم السيوف من خلفهم ومن
 بين أيديهم ، فندموا على ذنوبهم ، فنادوا بالويل ، ونهَى عدنان عن بختنصر
 ونهَى بختنصر عن عدنان ، وافترق من لم يشهد حضُور ، ومن أفلت قبل
 الهزيمة فرقتين : فرقة أخذت إلى ريسوب وعليهم عك ، وفرقة قصدت لوبار
 وفرقة حضر العرب ، قال : وإياهم عنى الله بقوله : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ
 كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾ ، كافرة الأهل ، فإن العذاب لما نزل بالقرى وأحاط بهم
 في آخروقة ذهبوا ليهربوا فلم يطبقوا الحرب ، ﴿ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَانَا ﴾ انتقامنا
 منهم ﴿ إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴾ يهربون : قد أخذتهم السيوف من بين أيديهم
 ومن خلفهم . ﴿ لَا تَرَ كُضُؤًا ﴾ لا تهربوا ﴿ وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ ﴾
 إلى العيشة على النعم المكفورة ﴿ وَمَسَا كَيْفُكُمْ ﴾ مصيركم ﴿ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ ﴾ .
 فلما عرفوا أنه واقع بهم أقروا بالذنوب ، فقالوا : ﴿ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ . فَمَا
 زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿ (١) موتى وقتلى بالسيف

٦٧٤/١

فرجع بختنصر إلى بابل بما جمع من سبايا عربة (٢) فألقاهم بالأنبار ،
 فقيل أنبار العرب . وبذلك سميت الأنبار ، وخالطهم بعد ذلك النبط
 فلما رجع بختنصر مات عدنان وبقيت بلاد العرب خرابًا حياة بختنصر .
 فلما مات بختنصر خرج معد بن عدنان معه الأنبياء ، أنبياء بني إسرائيل سنوات
 الله عليهم حتى أتى مكة فأقام أعلامها ، فحج وحج الأنبياء معه ، ثم خرج معد حتى
 أتى ريسوب فاستخرج أهلها . وسأل عمن بقى من ولد الحارث بن مضاخر
 الجرهمي . وهو الذى قاتل دوس العتق . فأفنى أكثرهم حرهم على يديه . فقيل
 له : بقى جوشم بن جلنمة . فتزوج معد ابنته معانة . فولدت له نزار بن معد .

٦٧٥/١

(١) سورة الأنبياء ١١ - ١٥ .

(٢) عربة . التحريف . حرى الأصل اسم لبلاد العرب ، انظر معجم البلدان .

رجع الخبر إلى قصة بشتاسب وذكر ملكه والحوادث التي كانت
 في أيام ملكه التي جرت على يديه وبتدغيره من عماله
 في البلاد خلا ما جرى من ذلك على يد بختنصر

ذكر العلماء بأخبار الأمم السالفة من العجم والعرب ، أن بشتاسب بن
 كى لهراسب لما عقد له التاج ، قال يوم مَلَكَ : نحن صارفون فكرنا وعملنا
 وعلمنا إلى كل ما يُنال به البر . وقيل : إنه ابنتى بفارس مدينة فسًا ، وبلاد
 الهند وغيرها بيوتًا للنيران ، ووكل بها الهرايذة^(١) ، وإنه رتب سبعة نفر من عظماء
 أهل مملكته مراتب ، ومَلَكَ كل واحد منهم ناحية جعلها له ، وإن زرادشت
 ابن أسفيمان ظهر بعد ثلاثين سنة من مَلَكَه فادعى النبوة ، وأراده على قبول
 دينه ، فامتنع من ذلك ثم صدقه ، وقيل ما دعاه إليه وأناه به من كتاب
 ادعاه وحيًا ، فكتب في جلد اثني عشرة ألف بقرة حفرًا في الجلود ، ونقشًا
 بالذهب ، وصير بشتاسب ذلك في موضع من إصطخر ، يقال له دزنيشت ،
 ووكل به الهرايذة ، ومنع تعليمه العامة . وكان بشتاسب في أيامه تلك
 مهادئًا لخرزاسف بن كى سواسف ، أخى فراسياب ملك الترك على ضرب
 من الصلح ، وكان من شرط ذلك الصلح أن يكون لبشتاسب بياض خرزاسف
 دابة موقوفة بمنزلة الدواب التي تنوب^(٢) على أبواب الملوك ، فأشار زرادشت على
 بشتاسب بمفاسدة ملك الترك ، فقبل ذلك منه ، وبعث إلى الدابة والموكل بها ،
 فصرفهما إليه ، وأظهر الخبر لخرزاسف ، فغضب من ذلك - وكان ساحرًا عاتيًا -
 فأجمع على محاربة بشتاسب ، وكتب إليه كتابًا غليظًا عنيفًا ، أعلمه فيه أنه
 أحدث حدثًا عظيمًا ، وأنكر قبوله ما قبل من زرادشت ، وأمره بتوجيهه
 إليه ، وأقسم إن امتنع أن يغزوه حتى يسفك دمه ، ودماء أهل بيته .

(١) الهرايذة : هم خدم النار ؛ أو حكام المحوس الذين يصلون بهم ؛ واحده الهريذ
 (المعرب ٣٥١) . (٢) ت ، س : « تكون » .

فلما ورد الرسول بالكتاب على بشتاسب، جمع إليه أهل بيته وعظماء أهل مملكته، وفهم جاماسف عالمهم وحاسبهم، وزرين بن هراسب. فكتب بشتاسب إلى ملك الترك كتاباً غليظاً جواب كتابه، آذنه فيه بالحرب، وأعلمه أنه غير مُمَسِّك عنه إن أمسك. فسار بعضهما إلى بعض، مع كل واحد منهما من المقاتلة ما لا يُحصَى كثرة، ومع بشتاسب يومئذ زرين أخوه ونسطور ابن زرين وإسفنديار وبشوتن ابنا بشتاسب، وآل هراسب جميعاً، ومع خرزاسف وجوهرمز وأندرمان أخواه وأهل بيته، وبیدرفش الساحر، فقتل في تلك الحروب زرين، واشتد ذلك على بشتاسب، فأحسن الغناء عنه ابنه إسفنديار، وقتل بیدرفش مبارزة، فصارت الدبرة على الترك، فقتلوا قتلاً ذريعاً، ومضى خرزاسف هارباً، ورجع بشتاسب إلى بلخ، فلما مضت لتلك الحروب سنون سعى على إسفنديار رجل يقال له قرزم^(١)، فأفسد قلب بشتاسب عليه، فندبه لحرب بعد حرب، ثم أمر بتقييده وصيَّره في الحصن الذي فيه حبس النساء، وشخص بشتاسب إلى ناحية كيرمان وسجستان، وصار منها إلى جبل يقال له طميدر^(٢) لدراسة دينه والنسك هناك، وخلّف هراسب أباه مدينة بلخ شيخاً قد أبطله الكبر، وترك خزائنه وأمواله ونساءه مع خطوس امرأته، فحملت الجواسيس الخبر إلى خزاسف، فلما عرف جمع جنوداً لا يُحصون كثرة، وشخص من بلاده نحو بلخ، وقد أمل أن يجد فرصة من بشتاسب ومملكته. فلما انتهى إلى تخوم^(٣) ملك فارس قدّم أمامه جوهرمز أخاه - وكان مرشحاً للملك بعده في جماعة من المقاتلة كثيرة - وأمره أن يَغْدِي السير حتى يتوسط المملكة ويوقع بأهلها، ويغير على القرى والمدن، ففعل ذلك جوهرمز، وسفك الدماء واستباح من الحرم ما لا يحصى، واتبعه خرزاسف فأحرق الدواوين، وقتل هراسف والهرايذة، وهدم بيوت النيران، واستولى على الأموال والكنوز، وسبي ابنتين لبشتاسب، يقال لإحدهما: خماني، وللأخرى باذافره، وأخذ - فيما أخذ - العلم الأكبر الذي كانوا يسمونه

(١) ت : « فرزم » ، ح : « قنوم » ، س « فرارم » .

(٢) كذا في ت ، س .

(٣) التخوم : جمع تخم ؛ بفتح التاء وضماً : الفصل بين الأرضين من المعالم والحدود .

درفش كابينان ، وشخص متبعاً لبشتاسب ، وهرب منه بشتاسب حتى تحصن في تلك الناحية مما يلي فارس في الجبل الذي يعرف بطميدر ، ونزل ببشتاسب ما ضاق به ذرعاً ؛ فيقال إنه لما اشتد به الأمر وجهه إلى إسفنديار جاماسب حتى استخرجه من محبسه ، ثم صار به إليه ، فلما أدخل عليه اعتذر إليه ، ووعده عققد التاج على رأسه ، وأن يفعل به مثل الذي فعل لهراسب به ، وقلده القيام بأمر عسكره ، ومحاربة خزراسف .

فلما سمع إسفنديار كلامه كَفَرَ^(١) له خاشعاً ، ثم نهض من عنده ، ٦٧٩ / ١ فتولى عرض الجند وتمييزهم ، وتقدم فيما احتاج إلى التقدم فيه ، وبات ليلته مشغولاً بتعبته ، فلما أصبح أمر بنفخ القرون ، وجمع الجنود ، ثم سار بهم نحو عسكر الترك ، فلما رأت الترك عسكره خرجوا في وجوههم يتسابقون ، وفي القوم جوهرمز وأندرمان ، فالتحمت الحرب بينهم ، وانقضت إسفنديار وفي يده الرمح كالبرق الخاطف ، حتى خالط القوم ، وأكب عليهم بالطن ، فلم يكن إلا هنيهة حتى ثلم في العسكر ثلثة عظيمة ، وفشا في الترك أن إسفنديار قد أطلق من الحبس ، فانهزموا لا يلتؤون على شيء ، وانصرف إسفنديار ، وقد ارتجع العلم الأعظم ، وحمله معه منشوراً ، فلما دخل على بشتاسب استبشر بظفره ، وأمره باتباع القوم ، وكان مما أوصاه به أن يقتل خزراسف إن قدر عليه بلهراسف ، ويقتل جوهرمز وأندرمان بمن قتل من ولده ، ويهدم حصون الترك ويحرق مدينتها ، ويقتل أهلها بمن قتلوا من حملة الدين ، ويستنقذ السبايا . ووجهه معه ما احتاج إليه من القواد والعظام .

فذكروا أن إسفنديار دخل بلاد الترك من طريق لم يرُّه أحد قبله ، وأنه قام - من حراسة جنده ، وقتل ما قتل من السباع ، ورمى العنقاء المذكورة - ٦٨٠ / ١ بما لم يقم به أحد قبله ، ودخل مدينة الترك التي يسمونها دزروثين - وتفسيرها بالعربية الصفيرية - عنوة حتى قتل الملك وإخوته ومقاتلته ، واستباح أمواله وسبي نساءه ، واستنقذ أختيه ، وكتب بالفتح إلى أبيه ، وكان أعظم الغناء

(١) كفر له : خضع ؛ وهو من فعل العلوج للدهاقين ؛ يضع العلج يده على صدره ويطاطي رأسه ويتطامن نظماً .

في تلك المحاربة بعد إسفنديار لفشوتن أخيه وأدرفوش ومهرين ابن ابنته . ويقال إنهم لم يصلوا إلى المدينة حتى قطعوا أنهاراً عظيمة مثل كاسرود ، ومهررود ، ونهرا آخر لهم عظيماً ، وإن إسفنديار دخل أيضاً مدينة كانت لفراسياب ، يقال لها وهشكند^(١) . ودوخ البلاد وصار إلى آخر حدودها ، وإلى التبت وباب صول . ثم قطع البلاد وصير كل ناحية منها إلى رجل من وجوه الترك بعد أن آمنهم ، ووظف على كل واحد منهم خراجاً يحمله إلى بشتاسب في كل سنة . ثم انصرف إلى بلخ .

ثم إن بشتاسب حسد ابنه إسفنديار لما ظهر منه ، فوجهه إلى رستم بسجستان ، فحدثت عن هشام بن محمد الكلبي أنه قال : قد كان بشتاسب جعل الملك من بعده لابنه إسفنديار ، وأغراه الترك ، فظفر بهم ، وانصرف إلى أبيه ، فقال له : هذا رستم متوسطاً بلادنا ، وليس يعطينا الطاعة لادعائه ما جعل له قابوس من العتق من رق الملك ، فسر إليه فأتى به ، فسار إسفنديار إلى رستم فقاتله ، فقتله رستم . ومات بشتاسب ، وكان ملكه مائة سنة واثني عشرة سنة .

وذكر بعضهم أن رجلاً من بني إسرائيل ؛ يقال له سمى كان نبياً ، وأنه بعث إلى بشتاسب فصار إليه إلى بلخ ، ودخل مدينتها ، فاجتمع هو وزرادشت صاحب المجوس ، وجاماسب العالم بن فخذ^(٢) ، وكان سمى يتكلم بالعبرانية ويعرف زرادشت ذلك بتلقين . ويكتب بالفارسية ما يقول سمى بالعبرانية ، ويدخل جاماسب معها في ذلك ، وبهذا السبب سمى جاماسب العالم .

وزعم بعض العجم أن جاماسب هو ابن فخذ بن هو بن حكاو بن نذكاو بن فرس بن رج بن خوراسرو بن منوشهر الملك ، وأن زرادشت بن يوسيسف^(٣) ابن فردواسف بن اربحد بن منجدسف^(٤) بن جخشنش بن فيافيل بن الحدي ابن هردان بن سفمان بن ويدس بن أدرا بن رج بن خوراسرو بن منوشهر . وقيل إن بشتاسب وأباه لهراسب كانا على دين الصابئين ، حتى أتاه سمى

(١) كذا في س ، وف ت : « وحسكتك » .

(٢) كذا في ح . (٣) كذا في ت . (٤) كذا في ت .

وزرادشت بما أتياه به ، وأنهما أتياه بذلك لثلاثين سنة مضت من ملكه .

وقال هذا القائل : كان ملك بشتاسب مائة وخمسين سنة . فكان ممن رتب بشتاسب من نفرالسبعة المراتب الشريفة ، وساهم عطاء بهكا بهند^(١) ومسكنه دهستان^(٢) من أرض جرجان ، وقارن الفلهوى ومسكنه مادنهاوند^(٣) ، وسورين الفلهوى ومسكنه سجستان ، وإسفنديار الفلهوى ومسكنه الرى .

• • •

وقال آخرون : كان ملك بشتاسب مائة وعشرين سنة .

(١) كذا فى ت ، وفى ط من غير نقط .

(٢) دهستان ، بكسر أوله وثانيه ؛ ذكرها ياقوت ، وقال : « إنها بلد مشهور فى طرف مازندان ، قرب خوارزم وجرجان » .

(٣) قال ياقوت : « الماء بالهاء خالصة : قصبة البلد ؛ ومنه قيل : ماء البصرة وماء الكوفة وماء فارس ؛ ويقال لهاوند وهمدان وم : ماء البصرة » . وانظر نهاوند فى معجم البلدان - ماء البصرة .

ذكر الخبر عن ملوك اليمن

في أيام قابوس وبعده إلى عهد بهمن بن إسفنديار

قال أبو جعفر : قد مضى ذكرنا الخبر عمن زعم أن قابوس كان في عهد سليمان بن داود عليهما السلام ، ومضى ذكرنا من كان في عهد سليمان من ملوك اليمن والخبر عن بلقيس بنت إيليشرح .

فحدثت عن هشام بن محمد الكلبي أن الملك باليمن صار بعد بلقيس إلى ياسر بن عمرو بن يعفر الذي كان يقال له ياسر أنعم . قال : وإنما سمّوه^(١) ياسر أنعم لإنعامه عليهم بما^(٢) قوتى من ملكهم ، وجمّع من أمرهم .

٦٨٤/١

قال : فزعم أهل اليمن أنه سار غازياً نحو المغرب حتى بلغ وادياً يقال له وادى الرمل ، ولم يبلغه أحد قبله ، فلما انتهى إليه لم يجد وراءه مجازاً لكثرة الرمل ، فبينما هو مقيم عليه إذ انكشف الرمل ، فأمر رجلاً من أهل بيته - يقال له عمرو - أن يعبر هو وأصحابه ؛ فعبروا فلم يرجعوا . فلما رأى ذلك أمر بصنم نحاس فصنع ، ثم نصب على صخرة على شفير الوادى ، وكتب في صدره بالمسند : « هذا الصنم لياسر أنعم الحميرى ، وليس وراءه مذهب ، فلا يتكلفن ذلك أحد فيعطب » .

قال : ثم ملك من بعده تبّع ، وهو تبيان أسعد ، وهو أبو كرب بن ملكى كرب تبّع بن زيد بن عمرو بن تبّع ؛ وهو ذو الأذعار بن أبرهة تبّع ذى المنار ابن الرائش بن قيس بن صيفى بن سبأ . قال : وكان يقال له الرائد .

٦٨٥/١

قال : فكان تبّع هذا في أيام بشتاسب وأردشير بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب ، وأنه شخص متوجّهاً من اليمن في الطريق الذى سلكه الرائش ، حتى خرج على جبل طي ، ثم سار يريد الأنبار ، فلما انتهى إلى الحيرة - وذلك ليلا تحير ، فأقام مكانه وسمّى ذلك الموضع الحيرة ، ثم سار وخلّف به قوماً من الأزد ولحم وجندام وعاملة وقضاة ، فبنوا وأقاموا به ، ثم انتقل إليهم بعد

(١) ح : سمي . .

(٢) ت ، ن : هـ لاء .

ذلك ناس من طي وكلب والسكون وبلحارث بن كعب وإياد . ثم توجه إلى الأنبار ثم إلى الموصل ، ثم إلى أذربيجان ، فلقى الترك بها فهزمهم ، فقتل المقاتلة ، وسبي الذرية ، ثم انكفاً راجعاً إلى اليمن . فأقام بها دهرأ ، وهابته الملوك وعظمته وأهدت إليه . فقدم عليه رسول ملك الهند بالهدايا والتحف ، من الحرير والمسك والعود وسائر طُرف بلاد الهند ، فرأى ما لم ير مثله ، فقال : ويحك ! أكل ما أرى في بلادكم ! فقال : أبيت اللعن ! أقل ما ترى في بلادنا ، وأكثره في بلاد الصين ، ووصف له بلاد الصين وسعتها وخصبها وكثرة طُرفها ، فألى بيمين ليغزوتها . فسار بحمير مساحلاً^(١) ، حتى أتى الركائك وأصحاب القلائس السود ، ووجه رجلا من أصحابه ، يقال له ثابت نحو الصين ؛ في جمع عظيم فأصيب . فسار تبّع حتى دخل الصين ، فقتل مقاتلها ، واكتسح ما وجد فيها . قال : ويزعمون أن مسيره كان إليها ومقامه بها^(٢) ورجعته منها ٦٨٦/١ في سبع سنين . وأنه خلف بالتبت^(٣) اثني عشر ألف فارس من حمير . فهم أهل التبت . وهم اليوم يزعمون أنهم عرب . وخلقهم وألوانهم خلق العرب وألوانها .

حدثني عبد الله بن أحمد المروزي ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني سليمان ، قال : قرأت على عبد الله ، عن إسحاق بن يحيى ، عن موسى بن طلحة : أن تبّعاً خرج في العرب يسير ، حتى تحيروا بظاهر الكوفة ، وكان منزلاً من منازلهم ، فبقي فيها من ضعفة الناس ، فسميت الحيرة لتحييرهم ، وخرج تبّع سائراً ، فرجع إليهم وقد بنوا وأقاموا ، وأقبل تبّع إلى اليمن وأقاموا هم ، فقيهم من قبائل العرب كلتها من بني لحيان ، وهذيل وتميم ، وجمعتهم وطبي ، وكلب .

(١) مساحلاً ، أي سائراً تجاه الساحل . وفي الأصول : « مساحلاً » .

(٢) ن : « فيها » .

(٣) التبت ، بالضم : قال ياقوت : « بلد بأرض الترك في الإقليم الرابع المتاخم لبلاد الهند » .

ذکر خبر اردشیر بهمن وابنته خمانی

ثم ملك بعد بشتاسب ابن ابنه اردشير بهمن ؛ فذكر أنه قال يوم ملك وعقد التاج على رأسه : نحن محافظون على الوفاء ، ودائون رعيئتنا بالخير ؛ فكان يدعى اردشير الطويل الباع ؛ وإنما لقب بذلك فيما قيل - لتناوله كل ما مد إليه يده من الممالك التي حوله ، حتى ملك الأقاليم كلها . وقيل إنه ابنتى بالسواد مدينة . سماها آباد اردشير هي القرية المعروفة بهميننا من الزاب الأعلى ، وابنتى بكوردجلة مدينة وسماها بهمن اردشير^(١) ، وهي الأبله ، وسار إلى سجستان طالباً بثأر أبيه . فقتل رسم وأباد ديستان وأخاه إزواره^(٢) وابنه فرمرز^(٣) . واجتبي الناس لأرزاق الجند ونفقات الهراذة وبيوت النيران وغير ذلك أموالاً عظيمة ؛ وهو أبو دارا الأكبر . وأبو ساسان أبى ملوك الفرس الآخر اردشير بن بابك وولده . وأم دارا خداني بنت بهمن .

٦٨٧/١

فحدثت عن هشام بن محمد قال : ملك بعد بشتاسب اردشير بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب ؛ وكان - فيما ذكروا - متواضعاً رضيعاً فيهم ؛ وكانت كتبه تخرج من اردشير : « عبد الله وخدام الله . السائس^(٤) لأمركم » . قال : ويقال إنه غزا الرومية الداخلة في ألف ألف مقاتل .

وقال غير هشام : هلك بهمن ودارا في بطن أمه . فلتكوا خداني شكراً لأبيها بهمن . ولم تزل ملوك الأرض تحمل إلى بهمن الإتاوة والصلح . وكان من أعظم ملوك الفرس - فيما قالوا - شأناً . وأفضلهم تدبيراً . وله كتب ورسائل تفوق كتب اردشير وعهده . وكانت أم بهمن أستوريا^(٥) . وهي

٦٨٨/١

(١) ذكرها ياقوت . وقال : « كورة وسعة بين واسط والبصرة » ، ونقل عن الأصمعي : « بهمنشیر » تعريب . بهمن اردشير . وكانت مدينة مبنية على عبر دجلة الموراء في شرقها تجاه الأبله .

(٢) ح : « إروان » . (٣) ت : « فرمرد » ، ح : « فرمداد » ، س : « قرمزد » .

(٤) ح : « والسائس » . (٥) س : « أستوريا » .

أستار بنت ياثير^(١) بن شمعي بن قيس بن ميثا^(٢) بن طالوت الملك بن قيس ابن أبل بن صارور^(٣) بن بحرث بن أفيح بن إيشي بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام . وكانت أمّ ولده راحب بنت فنحس من ولد رُحْبَعُم بن سليمان بن داود عليه السلام . وكان بهمن ملك أخاها زربابل بن شلتايل^(٤) على بني إسرائيل ، وصير له رياسة الجالوت ، وردّه إلى الشام بمسألة راحب أخته إياه ذلك ، فتوفى بهمن يوم توفى له من الولد : ابناه دارا الأكبر وساسان ، وبناته : خماني التي ماكت بعده ، وفرنك^(٥) وبهمن دخت^(٦) ، وتفسير « بهمن » بالعربية « الحسن النية » ، وكان ملكه مائة واثنى عشرة سنة .

فأما ابن الكلبي هشام فإنه قال : كان ملكه ثمانين سنة .

* * *

ثم ملكت خماني بنت بهمن ، وكانوا ملكوها حباً لأبيها بهمن ، وشكراً لإحسانه ولكمال عقلها وبهاؤها وفرسيتها ونجدتها - فيما ذكره بعض أهل الأخبار - ٦٨٩/١
فكانت تلقب بشهرازاد^(٧) . وقال بعضهم : إنما ملكت خماني بعد أبيها بهمن أنها حين حملت منه دارا الأكبر سأله أن يعقد التاج له في بطنها ويؤثره بالملك ، ففعل ذلك بهمن بدارا ، وعقد عليه التاج حملاً في بطنها ، وساسان ابن بهمن في ذلك الوقت رجل يتصنع للملك لا يشك فيه . فلما رأى ساسان ما فعل أبوه من ذلك لحق بإصطخر ، فتزهّد وخرج من الحلية الأولى وتعبّد فلحق برءوس الجبال يتعبّد فيها ، واتخذ غنسيمة ، فكان يتولّى ماشيته بنفسه ، واستشنت^(٨) العامة ذلك من فعله ، وفضّعت به ، وقالوا : صار ساسان راعياً ، فكان ذلك سبب نسبة الناس إياه إلى الرعى ، وأم ساسان ابنة شالتيال ابن يوحنا بن أوشيا بن أمون بن منشي بن حازقيا بن أحاذ بن يوثام بن عوزيا ابن يورام بن يوشافط بن أبيا بن رُحْبَعُم بن سليمان بن داود .
وقيل : إن بهمن هلك وابنه دارا في بطن خماني ، وأنها ولدته بعد أشهر من

(١) ح ، ت : « ياس » . (٢) كذا في ت . (٣) ت . س : « صاروده » .

(٤) ت : « سلبايل » . (٥) كذا في س ، وفي ت : « قربك » .

(٦) ح : « بهمن رحمت » ، س : « بهمن زحت » .

(٧) س : « شهرازاد » . (٨) ح : « استصبت » .

١٩٠/١
 ملكها وأنفت من إظهار ذلك، فجعلته في تابوت، وصيرت معه جوهراً نفيساً، وأجرته في نهر الكُور من إصطخر. وقال بعضهم: بل نهر بلخ، وإن التابوت صار إلى رجل طحان من أهل إصطخر، كان له ولد صغير فهلك، فلما وجده الرجل أتى به امرأته، فسرت به لجماله ونفاسة ما وجد معه، فحضنوه، ثم أظهر أمره حين شب، وأقرت خماني بإساءتها إليه وتعريضها إياه للتأف، فلما تكامل امتحن فوجِد على غاية ما يكون عليه أبناء الملوك، فحوّلت التاج عن رأسها إليه، وتقلد أمر المملكة، وتنقلت^(١) خماني وصارت إلى فارس^(٢) وبنّت مدينة إصطخر، وأغزت الروم جيشاً بعد جيش، وكانت قد أوتيت ظفراً، فقمعت الأعداء، وشغلتهم عن تطرف شيء من بلادها، ونال رعيّتها في ملكها رفاهة وخفضاً. وكانت خماني حين أغزت أرض الروم سببها لها منها بشرٌ كثير. وحملوا إلى بلادها، فأمرت مَنْ فيهم من بنائ الروم، فبنوا لها في كل موضع من حيز مدينة إصطخر بنياناً على بناء الروم منيفاً معجباً، أحد ذلك البنيان في مدينة إصطخر. والثاني على المدرجة التي تسلك فيها إلى دارابجرد. على فرسخ من هذه المدينة. والثالث على أربعة فراسخ منها في المدرجة التي تسلك فيها إلى خراسان. وإنما أجهدت نفسها في طلب مرضاة الله عز وجل؛ فأوتيت الظفر والنصر، وخففت عن رعيّتها في الحجاج. وكان ملكها ثلاثين سنة.

• • •

ثم نرجع الآن إلى :

(١) ح : « وانتقلت » .

(٢) ت ، س : « أرض فارس » .

ذكر خبر بني إسرائيل

ومقابلة تاريخ مدة أيامهم إلى حين تصرفها بتاريخ
مدة من كان في أيامهم من ملوك الفرس

قد ذكرنا فيما مضى قبل سبب انصراف من انصرف إلى بيت المقدس من سبايا بني إسرائيل الذين كان بختنصر سباهم وحمّلهم معه إلى أرض بابل ، وأن ذلك كان في أيام كيرش بن أخشويرش وملكه بابل من قبيل بهمن بن إسفنديار في حياته وأربع سنين بعد وفاته في ملك ابنته خماني . وأن خماني عاشت بعد^(١) هلاك كيرش بن أخشويرش ستاً وعشرين سنة في ملكها ، تمام ثلاثين سنة . وكانت مدة خراب بيت المقدس من لدن خربه بختنصر إلى أن عمّر - فيما ذكره أهل الكتب القديمة والعلماء بالإخبار - سبعين سنة ، كل ذلك في أيام بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب بن لهراسب بعضه ، وبعضه في أيام خماني ، على ما قد بين في هذا الكتاب .

وقد زعم بعضهم أن كيرش هو بشتاسب ، وأنكر ذلك من قبيله بعضهم ، وقال : كي أرش إنما هو عمّ لجد بشتاسب ، وقال : هو كي إرش أخو كيقاوس ابن كيبه بن كيقباذ الأكبر ، وبشتاسب الملك هو ابن كيلهراسب بن كيوجي ابن كيمنوش بن كيقاوس بن كيبه بن كيقباذ الأكبر . قال : ولم يملك كي أرش قط ، وإنما كان مملّكاً على خوزستان وما يتصل بها من أرض بابل من قبيل كيقاوس ، ومن قبل كيخسرو بن سیاوخش بن كيقاوس . ومن قبيل ٦٩٢/١ لهراسب من بعده . وكان طويل العمر ، عظيم الشأن ، ولما عمّر بيت المقدس ورجع إليه أهله من بني إسرائيل كان فيهم عزير - وقد وصفت ما كان من أمره وأمر بني إسرائيل - وكان الملك عليهم بعد ذلك من قبل الفرس ؛ إما رجل منهم وإما رجل من بني إسرائيل ، إلى أن صار الملك بناحيتهم لليونانية والروم بسبب غلبة الإسكندر على تلك الناحية حين قتل دارا بن دارا . وكانت جملة مدة ذلك - فيما قيل - ثمانياً وثمانين سنة .

• • •

ونذكر الآن :

(١) ح : « ثم إن خماني ملكت » .

خبر دارا الأكبر وابنه دارا الأصغر

ابن دارا الأكبر وكيف كان هلاكه مع خبر ذي القرنين

وملك دارا بن بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب ، وكان يبنه بجهر ازاد - يعنى به كريم الطبع - فذكروا أنه نزل بابل ، وكان ضابطاً لمملكه ، قاهراً لمن حوله من الملوك ، يؤدون إليه الخراج ، وأنه ابنتى بفارس مدينة سماها دارا بجرد ، وحذف^(١) دواب البرد ورتبها ، وكان معجباً بابنه دارا ، وأنه من حبه إياه سمّاه باسم نفسه ، وصير له الملك من بعده ، وأنه كان له وزير يسمى رستين^(٢) محموداً فى عقله ، وأنه شجر بينه وبين غلام تربى مع دارا الأصغر ، يقال له برى^(٣) شرّ وعداوة ، فسعى رستين عليه عند الملك ، فقيل : إن الملك سقى برى شربة مات منها ، واضطغن دارا على رستين الوزير وجماعة من القواد ، كانوا عاونوه على برى ما كان منهم . وكان ملك دارا اثنتى عشرة سنة .

٦٩٣/١

ثم ملك من بعده ابنه دارا بن دارا بن بهمن ؛ وكانت أمه ماهيا هند بنت هزار مرد بن بهرادمه ، فلما عقد التاج على رأسه قال : ان ندفع أحداً فى متهوى الهلكة ، ومن تردى فيها لم نكفقه عنها . وقيل إنه بنى بأرض الجزيرة مدينة دارا ، واستكتب أخوا برى واستوزره لأنسه^(٤) كان به وبأخيه . فأفسد قلبه على أصحابه ، وحمله على قتل بعضهم ، فاستوحشت لذلك منه الخاصة والعامة ، ونفروا عنه . وكان شاباً غراً حميماً حقوداً جباراً .

وحُدثت عن هشام بن محمد قال : ملك من بعد دارا بن أردشير دارا ابن دارا أربع عشرة سنة ، فأساء السيرة فى رعيته ، وقتل رؤساءهم ، وغزاه الإسكندر على تنفة^(٥) ذلك . وقد مله أهل مملكته وسنموه ، وأحبوا الراحة منه ، فلحق كثير من وجوههم وأعلامهم بالإسكندر . فأطلعوه على عورة دارا ، وقووه عليه ،

٦٩٤/١

(١) الحذف هنا : قطع ذنب الدابة . (٢) كذا فى ن .

(٣) كذا فى ن . (٤) ح ، ن : « لأنه كانت به » .

(٥) على تنفة ذلك ، أى على حين ذلك .

فالتقيا ببلاد الجزيرة ، فاقتتلا سنة . ثم إن رجالا من أصحاب دارا وثبوا به فقتلوه ، وتقرّبوا برأسه إلى الإسكندر ، فأمرَ بقتلهم ، وقال : هذا جزاء من اجترأ على ملكي . وتزوج ابنته روشنك بنت دارا، وغزا الهند ومشارك الأرض ، ثم انصرف وهو يريد الإسكندرية ، فهلك بناحية السّواد ، فحمّل إلى الإسكندرية في تابوت من ذهب ، وكان ملكه أربع عشرة سنة ، واجتمع ملك الروم ، وكان قبل الإسكندر متفرقا ، وتفرّق ملك فارس وكان قبل الإسكندر مجتمعا .

قال : وذكر غير هشام أن دارا بن دارا لما ملك أمر فبنيت له بأرض الجزيرة مدينة واسعة سماها دارنوا ، وهي التي تسمى اليوم دارا ، وأنه عمرها وشحنها من كل ما يحتاج إليه فيها ، وأن فيلپوس أبا الإسكندر اليوناني من أهل بلدة من بلاد اليونانيين تدعى مقدونية ، كان ملكا عليها وعلى بلاد أخرى احتازها إليها ، كان صالح دارا على خراج يحمله إليه في كل سنة ، وأن فيلپوس هلك ، فملك بعده ابنه الإسكندر ، فلم يحمل إلى دارا ما كان يحمله إليه أبوه من الخراج ، فأسخط ذلك عليه دارا، وكتب إليه يؤنبه بسوء^(١) صنيعه في تركه حمل ما كان أبوه يحمل إليه من الخراج^(٢) وغيره ، وأنه إنما دعاه إلى حبس ٦٩٥/١ ما كان أبوه يحمل إليه من الخراج الصبا والجهل ، وبعث إليه بصوبلجان وكرة وقفيز من سمسم . وأعلمه فيما كتب إليه أنه صبي ، وأنه إنما ينبغي^(٣) له أن يلعب بالصوبلجان والكرة اللذين بعث بهما إليه . ولا يتقلّد الملك . ولا يتلبس به ، وأنه إن لم يقتصر على ما أمره به من ذلك . وتعاطى الملك واستعصى عليه ، بعث إليه من يأتيه به في وطاق . وأن عدة جنوده كعدة حبّ السمسم الذي بعث به إليه .

فكتب إليه الإسكندر في جواب كتابه ذلك ، أن قد فهم^(٤) ما كتب ، وأن قد نظر إلى ما ذكر في كتابه إليه من إرساله الصوبلجان والكرة ، وتيمّن به لإلقاء

(١) ن ، س : « لسوء » .

(٢) ح : « وأن دارا كتب إليه يخوفه ويتوعده ويعرفه في جملة ما كتب إليه أنه إنما دعاه إلى تأخير ما كان أبوه يحمل إليه من الخراج الصبا . . . »

(٣) س : « وينبغي له أن . . . » . (٤) س : « فهمت ما كتبت » .

الملقي الكرة إلى الصولجان ، واحترازه^(١) إياها ؛ وشبه الأرض بالكرة ، وأنه محتاز مُلكَ دارا إلى ملكه ، وبلادَه إلى حيزه من الأرض ، وأن نظره إلى السمسم الذي بعث به إليه كنظره إلى الصولجان والكرة لدَسَمه وبعده من المرارة والحرافة . وبعث إلى دارا مع كتابه بِصُرةٍ من خردل ، وأعلمه في ذلك الجواب أن ما بعث به إليه قليل ؛ غير أن ذلك مثل الذي بعث به في الحرافة والمرارة والقوة ، وأن جنودَه في كل^(٢) ما وصف به منه .

٦٩٦/١

فلما وصل إلى دارا جواب كتاب الإسكندر ، جمع إليه جنده ، وتأهب لمحاربة الإسكندر ، وتأهب الإسكندر وسار نحو بلاد دارا .

وبلغ ذلك دارا ، فزحف إليه فالتقى الفئتان ، واقتتلا أشد القتال ، وصارت الدبيرة^(٣) على جند دارا ، فلما رأى ذلك رجلا من حرس دارا ، يقال إنهما كانا من أهل همدان ، طعنا دارا من خلفه فأردياه من مركبه ، وأرادا بطعنهما إياه الحظوة عند الإسكندر ، والوسيلة إليه ، ونادى الإسكندر أن يؤسر دارا أسراً ولا يقتل ، فأخبر بشأن دارا ، فسار الإسكندر حتى وقف عنده ، فراه يجود بنفسه ، فنزل الإسكندر عن دابته حتى جس عند رأسه ، وأخبره أنه لم يهم قط بقتله ، وأن الذي أصابه لم يكن عن رأيه ، وقال له : سألني ما بدا لك فأسغفك فيه ، فقال له دارا : لي إليك حاجتان : إحداهما أن تنتقم لي من الرجلين اللذين فتكا بي - وسماهما وبلادهما - . والأخرى أن تزوج ابنتي روشنك . فأجابه إلى الحاجتين ، وأمر بصلب الرجلين اللذين انتهاكا من دارا ما انتهاكا ، وتزوج روشنك وتوسط بلاد دارا ، وكان ملكه له .

. . .

وزعم بعض أهل العلم بأخبار الأولين أن الإسكندر هذا الذي حارب دارا الأصغر ؛ هو أخو دارا الأصغر الذي حاربه ، وأن أباه دارا الأكبر كان تزوج أم الإسكندر ، وأنها ابنة ملك الروم^(٤) واسمها هلاي^(٥) ، وأنها حُملت

٦٩٧/١

(١) ط : « واحتراره » وما أثبتته من ن ، وابن الأثير . (٢) ن : « فيما » .

(٣) الدبيرة : الهزيمة .

(٤) ت ، ح ، « الزنج » .

(٥) ح : « هلايا » .

إلى زوجها دارا الأكبر، فلما وجد نثن ربحها وعرقها وسهكها^(١)، أمر أن
يحتال لذلك منها، فاجتمع رأى أهل المعرفة في مداواتها على شجرة يقال لها
بالفارسية « سنر »، فطبخت لها ففسلت بها وبماؤها، فأذهب ذلك كثيراً من
ذلك النثن، ولم يذهب كله، وانتهت نفسه عنها لبقية ما بها، وعافها وردّها
إلى أهلها، وقد عليقت منه فولدت غلاماً في أهلها، فسّمته باسمها واسم الشجرة
التي غُسلت بها، حتى أذهبت عنها نثنها: « هلاي سنروس »، فهذا أصل
الإسكندروس.

• • •

قال : وهلك دارا الأكبر ، وصار الملك إلى ابنه دارا الأصغر ، وكانت
ملوك الروم تؤدّي الخراج إلى دارا الأكبر في كل سنة ، فهلك أبو هلاي ملك
الروم جد الإسكندر لأمته ، فلما صار الملك لابن ابنته بعث دارا الأصغر إليه
للعادة : إنك أبطأت علينا بالخراج الذي كنت تؤدّيه ويؤدّيه من كان قبلك ،
فابعث إلينا بخراج بلادك وإلا نابذناك المحاربة . فرجع إليه جوابه : أتى قد
ذبحت اللدجاجة ، وأكلت لحمها ، ولم يبق لها بقية ، وقد بقيت الأطراف ،
فإن أحببت وادعناك ، وإن أحببت نأجزناك . فعند ذلك نافر دارا وناجزه القتال ،
وجعل الإسكندر لحاجبي دارا حكمها على الفتك به ، فاحتكما شيئاً ، ولم
يشترطاً أنفسهما ، فلما التقوا للحرب ، طعن حاجبا دارا دارا في الوقعة ، فلققه
الإسكندر صريعاً ، فنزل إليه وهو بأخبر رمق ، فمسح التراب عن وجهه ووضع
رأسه في حجره ، ثم قال له : إنما قتلك حاجباك ، ولقد كنت أرغب بك
يا شريف الأشراف وحرّ^(٢) الأحرار وملك الملوك ؛ عن هذا المصرع ؛
فأوصيني بما أحببت . فأوصاه دارا أن يتزوج ابنته روشنك ، ويتخذها لنفسه
ويستبقى أحرار فارس ، ولا يولّي عليهم غيرهم . فقبل وصيته وعمل بأمره ،
وجاء اللذان قتلا دارا إلى الإسكندر فدفعا إليهما حكمهما ، ووفى لهما ثم قال
لهما : قد وفيت لكما كما اشترطتما ولم تكونا اشترطتما أنفسكما ، فأنا قاتلكما ،
فإنه ليس ينبغي لقتلة الملوك أن يُستبقوا إلا بنمة لا تخفر . فقتلتهما .

(١) السك : رائحة العرق .

(٢) ح : « يا حر » .

وذكر بعضهم أن ملك الروم في أيام دارا الأكبر كان يؤدي إلى دارا الإتاوة فهلك، وملك الروم الإسكندر، وكان رجلاً ذا حزم وقوة ومكر؛ فيقال إنه غزا بعض ملوك المغرب فظفر به، وأنس لذلك من نفسه القوة^(١) فنشز على دارا الأصغر، وامتنع من حمل ما كان أبوه يحمله من الخراج، فحمي دارا لذلك، وكتب إليه كتباً عنيفة^(٢)، ففسد ما بينهما وسار كل واحد منهما إلى صاحبه وقد احتشدا والتقيا في الحد. واختلفت بينهما الكتب والرسائل، ووجيل الإسكندر من محاربة دارا؛ ودعاه إلى المودعة، فاستشار دارا أصحابه في أمره، فزينوا له الحرب لفساد قلوبهم عليه. وقد اختلفوا في الحد وموضع التقائهما؛ فذكر بعضهم أن التقاءهما كان بناحية خراسان مما يلي الخزر، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى خلص إليهما السلاح، وكان تحت الإسكندر يومئذ فرس له عجيب يقال له بوكفراسب^(٣)، ويقال إن رجلاً من أهل فارس حمل ذلك اليوم حتى تخرق الصفوف، وضرب الإسكندر ضربة بالسيف خيف عليه منها، وإنه تعجب من فعله وقال: هذا من فرسان فارس الذين كانت تُوصف شدتهم، وتحركت على دارا ضغائن أصحابه، وكان في حرسه رجلاً من أهل همدان، فراسل الإسكندر والتمسا الحيلة للدارا حتى طعناه، فكانت منيته من طعنهما^(٤) إياه، ثم هربا.

٦٩٩/١

فقيل إنه لما وقعت الصيحة، وانتهى الخبر إلى الإسكندر ركب في أصحابه، فلما انتهى إلى دارا وجدته يجود بنفسه، فكلّمه ووضع رأسه في حجره، وبكى عليه، وقال له: أتيت من مأمرك، وغد ربك ثقاتك، وصرت بين أعدائك وحيداً، فسلتني حوائجك فإني على المحافظة على القرابة بيننا - يعني القرابة بين سلم وهيرج ابني أفريدون - فيما زعم هذا القائل - وأظهر الجزع لما أصابه، وحمد ربه حين لم يبتله بأمره، فسأله دارا أن يتزوج من ابنته، فوافق، ويرعى لها حقها، ويعظم قدرها، وأن يطلب بثاره، فأجابه الإسكندر إلى ذلك.

(١) ح : « بالقوة » .

(٢) س : « أبو كفراس » .

(٣) ح : « طعنتهما » .

(٤) ح : « كتاباً عنيفاً » .

ثم أتاه الرجلان اللذان وثبا على دارا يطلبان الجزاء، فأمر بضرب رقابهما وصلبهما ،
 وأن ينادى عليهما : هذا جزاءُ من اجترأ على ملكي، وغش أهل بلده .
 ويقال : إن الإسكندر حمل كتباً وعلومًا كانت لأهل فارس من علوم
 ونجوم وحِكْمَة ، بعد أن نقل ذلك إلى السريانية ثم إلى الرومية .
 وزعم بعضهم أن دارا قُتِلَ وله من الولد الذكور : أشك بن دارا وبنو دارا (١)
 وأردشير . وله من البنات روشنك ، وكان مُلْك دارا أربع عشرة سنة .
 وذكر بعضهم أن الإتاوة التي كان أبو الإسكندر يؤديها إلى ملوك الفرس
 كانت بيضاء من ذهب ؛ فلما ملك الإسكندر بعث إليه دارا يطلب ذلك
 الحراج ، فبعث إليه : إنني قد ذبحت تلك الدجاجة التي كانت تبيض ذلك
 البيض ، وأكلت لحمها فأذن بالحرب . ثم ملك الإسكندر بعد دارا بن دارا .
 وقد ذكرت قول من يقول : هو أخو دارا بن دارا من أبيه دارا الأكبر .

• • •

وأما الروم وكثير من أهل الأنساب فإنهم يقولون : هو الإسكندر بن
 فيلفوس ، وبعضهم يقول : هو ابن بيلبوس بن مطربوس ، ويقال : ابن مصرم
 ابن هرمس بن هردس بن ميطنون (٢) بن رومي بن ليطي (٢) بن يونان بن يافت بن
 ثوبة بن سرحون بن رومية بن زنط (٣) بن توقييل (٣) بن رومي (٣) بن الأصفر بن اليفز
 ابن العيص بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام . فجمع بعد مهلك
 دارا مُلْك دارا إلى ملكه ، فملك العراق والروم والشام ومصر ، وعرض جندَه
 بعد هلاك دارا فوجدهم - فيما قيل - ألف ألف وأربعمائة رجل ؛ منهم من جنده
 ثمانمائة ألف ، ومن جند دارا ستمائة ألف .

وذكر أنه قال يوم جلس على سريره : قد أدالنا الله من دارا ، ورزقنا
 خلاف ما كان يتوعدنا به ، وأنه هدم ما كان في بلاد الفرس من المدن والحصون
 وبيوت النيران ، وقتل الهرايدة ، وأحرق كتبهم ودواوين دارا ، واستعمل
 على مملكة دارا رجالا من أصحابه ، وسار قُدماً إلى أرض الهند ، فقتل ملكها
 وفتح مدينتها ، ثم سار منها إلى الصين ، فصنع بها كصنيعه بأرض الهند ، ودانت

(١) كذا في ج .

(٢) كذا في ت وابن الأثير : ١ : ١٦٠ . (٣) كذا في ابن الأثير .

له عامة الأرضين ، وملك التبت والصين ، ودخل الظلمات مما يلي القطب الشمالي والشمس جنوبية في أربع مائة رجل يطلب عين الخلد ، فسار فيها ثمانية عشر يوماً ، ثم خرج ورجع إلى العراق ، وملك ملوك الطوائف ، ومات في طريقه بشهر زور .

وكان عمره ستاً وثلاثين سنة في قول بعضهم ، وحُـمِلَ إلى أمه بالإسكندرية .

• • •

وأما الفرس فلها تزعم أن ملك الإسكندر كان أربع عشرة سنة ، والنصاري تزعم أن ذلك كان ثلاث عشرة سنة وأشهرًا ، ويزعمون أن قتل دارا كان في أول السنة الثالثة من ملكه .

٧٠٢/١

وقيل إنه أمر ببناء مدن فبنت اثنتا عشرة مدينة ، وسماها كلها إسكندرية ، منها مدينة بأصبهان يقال جى ، بنيت على مثال الحية ، وثلاث مدائن بخراسان ، منهن مدينة هراة ومدينة مرو ومدينة سمرقند ، وبأرض بابل مدينة اروشك بنت دارا ، وبأرض اليونانية في بلاد هيلاقوس مدينة للفرس ، ومدناً أخر غيرها .

• • •

ولما مات الإسكندر عرض الملك من بعده على ابنه الإسكندروس ، فأبى واختار النسك والعبادة ، فلكت اليونانية عليهم - فيما قيل - بطلميوس بن لوغوس ، وكان ملكه ثمانية وثلاثين سنة ، فكانت المملكة أيام اليونانية بعد الإسكندر وحياة الإسكندر إلى أن تحول الملك إلى الروم المصاص لليونانية ، ولبنى إسرائيل بيت المقدس ونواحيها الديانة والرياسة على غير وجه الملك إلى أن خربت بلادهم الفرس والروم ، وطردهم عنها بعد قتل يحيى بن زكرياء عليه السلام .

ثم كان الملك ببلاد الشام ومصر ونواحي المغرب بعد بطلميوس بن لوغوس لبطلميوس ديناوس^(١) أربعين سنة .

٧٠٣/١

ثم من بعده لبطلميوس أورغاطس أربعاً وعشرين سنة .

ثم من بعده لبطلميوس فيلاطر إحدى وعشرين سنة .

ثم من بعده لبطلميوس أفيانس اثنتين وعشرين سنة .

ثم من بعده لبطلميوس أورغاطس تسعاً وعشرين سنة .

ثم من بعده لبطلميوس ساطر^(٢) سبع عشرة سنة .

(١) كذا في ح ، وفي ت : « ميانوس » . (٢) ت « بياطر » .

ثم من بعده لبطلميوس الأحسنر^(١) إحدى عشرة سنة .
 ثم من بعده لبطلميوس الذي اختفى عن مائة ثماني سنين .
 ثم من بعده لبطلميوس دونسيوس ست عشرة سنة .
 ثم من بعده لبطلميوس قالوبطري^(٢) سبع عشرة سنة .
 فكل هؤلاء كانوا يونانيين ؛ فكل ملك منهم بعد الإسكندر كان يدعى
 بطلميوس ، كما كانت ملوك الفرس يدعون أكاسرة ، وهم الذين يقال لهم
 المفقانيون^(٣) .

ثم ملك الشام بعد قالوبطري - فيما ذكر الروم - المصاص ، فكان أول من
 ملك منهم جايوس يوليوس خمس سنين

ثم ملك الشام بعده أغوستوس ستاً وخمسين سنة . فلما مضى من ملكه
 اثنتان وأربعون سنة ولد عيسى بن مريم عليه السلام ، وبين مولده وقيام
 الإسكندر ثلثمائة سنة وثلاث سنين .

(١) ح : « الأحسنر » ، س : « الأحشدر » ، ابن الأثير : « الأخشدر » .
 (٢) ابن الأثير : « كيلوبطره » .
 (٣) كذا في ت ، س ، وفي ن : « القفانيون » .

ذكر أخبار ملوك الفرس بعد الإسكندر

وهم ملوك الطوائف

ونرجع الآن إلى ذكر خبر الفرس بعد مهلك الإسكندر لسياق التاريخ على ملكهم .

فاختلف أهل العلم بأخبار الماضين في الملك الذي كان بسواد العراق بعد الإسكندر ، وفي عدد ملوك الطوائف الذين كانوا ملكوا إقليم بابل بعده إلى أن قام بالملك أردشير بابكان .

فأما هشام بن محمد فإنه قال - فيما حدثت عنه : ملك بعد الإسكندر يلاقس^(١) سلقيس . ثم أنطيوخس . قال : وهو الذي بنى مدينة أنطاكية . قال : وكان في أيدي هؤلاء الملوك سواد الكوفة . قال : وكانوا يتطرقون الجبال وناحية الأهواز وفارس : حتى خرج رجل يقال له أشك . وهو ابن دارا الأكبر ، وكان مولده ومنشؤه بالرّي ، فجمع جمعاً كثيراً وسار يريد أنطيوخس . فزحف إليه أنطيوخس ، فالتقى ببلاد الموصل فقتل أنطيوخس . وغلب أشك على السواد ، فصار في يده من الموصل إلى الرّي وأصبهان . وعظّمه سائر ملوك الطوائف لنسبه ، وشرفه فيهم ما كان من فعله ، وعرفوا له فضله ، وبدءوا به في كتبهم ، وكتب إليهم فبدأ بنفسه ، وسموه ملكا : وأهدوا إليه من غير أن يعزل أحداً منهم أو يستعمله .

v.05/1

ثم ملك بعده جودرز بن أشكان . قال : وهو الذي غزا بني إسرائيل المرة الثانية ، وكان سبب تسليط الله إياه عليهم - فيما ذكر أهل العلم - قتلهم يحيى بن زكرياء ، فأكثر القتل فيهم ، فلم تعد لهم جماعة كجماعتهم الأولى ، ورفع الله عنهم النبوة وأنزل بهم الذل . قال : وقد كانت الروم غزت بلاد فارس ، يقودها ماكها الأعظم يلتمس أن يدرك بثأرها في فارس لقتل أشك ملك بابل أنطيوخس ، وملك بابل يومئذ بلاش أبو^(٢) أردوان ، الذي قتله أردشير

(١) كذا في س ، وفي ت وابن الأثير : « يلاقس » . (٢) ح ، ن : « ابن » .

ابن بابك ، فكتب بلاش إلى ملك الطوائف يُعلمهم ما اجتمعت عليه الروم من غزو بلادهم ، وأنه قد بلغه من حشدهم وجمعهم ما لا كفاء له عنده ، وأنه إن ضعف عنهم ظفروا بهم جميعاً . فوجه كل ملك من ملوك الطوائف إلى بلاش من الرجال والسلاح والمال بقدر قوته ، حتى اجتمع عنده أربعمائة ألف رجل ، فولّى عليهم صاحب الحضرة - وكان ملكاً من ملوك الطوائف يلي ما بين انقطاع السواد إلى الجزيرة - فسار بهم حتى لقي ملك الروم فقتله واستباح عسكره ، وذلك هبّج الروم على بناء القسطنطينية ونقل الملك من رومية إليها . فكان الذي ولي إنشائها الملك قسطنطين ، وهو أول ملوك الروم تنصر ، وهو

٧٠٦/١

أجلى من بقي من بني إسرائيل عن فلسطين والأردن لقتالهم - بمؤامره - عيسى بن مريم ، فأخذ الخشبة التي وجددهم يزعمون أنهم صلبوا المسيح عليها ، فعظمها الروم ، فأدخلوها خزائنهم ، فهي عندهم إلى اليوم .

قال : ولم يزل ملك فارس متفرقاً حتى ملك أردشير . فذكر هشام ما ذكرت عنه ، ولم يبين مدة ملك القوم .

. . .

وقال غيره من أهل العلم بأخبار فارس : ملك بعد الإسكندر ملك دارا أناس من غير ملوك الفرس ، غير أنهم كانوا يخضعون^(١) لكل من يملك بلاد الجبل ويمنحونه الطاعة .

قال : وهم الملوك الأشغانون^(٢) الذين يدعون ملوك الطوائف . قال : فكان ملكهم مائتي سنة وستاً وستين سنة .

فلك من هذه السنين أشك بن أشجان عشرين سنين .

ثم ملك بعده سابور بن أشغان ستين سنة ؛ وفي سنة إحدى وأربعين من ملكه ظهر عيسى بن مريم بأرض فلسطين . وإن ططوس بن أسفسيانوس ملك رومية غزا بيت المقدس بعد ارتفاع عيسى بن مريم بنحو من أربعين سنة ، فقتل من في مدينة بيت المقدس ، وسبي ذراريهم ، وأمرهم فنُسفت مدينة بيت المقدس ، حتى لم يترك بها حجراً على حجر .

٧٠٧/١

(١) ح : « يجتمعون » . (٢) ن : « الأشمانون » ، ت : « الأسمانون » .

- ثم ملك جوفرز بن أشغانان الأكبر ، عشر سنين .
 ثم ملك بيزن الأشغاني ، إحدى وعشرين سنة .
 ثم ملك جوفرز الأشغاني ، تسع عشرة سنة .
 ثم ملك نرسي الأشغاني ، أربعين سنة .
 ثم ملك هرمز الأشغاني ، سبع عشرة سنة .
 ثم ملك أردوان الأشغاني ، اثنتي عشرة سنة .
 ثم ملك كسرى الأشغاني ، أربعين سنة .
 ثم ملك بلاش الأشغاني ، أربعاً وعشرين سنة .
 ثم ملك أردوان الأصغر الأشغاني ، ثلاث عشرة سنة .
 ثم ملك أردشير بن بابك .

• • •

وقال بعضهم : ملك بلاد الفرس بعد الإسكندر ملوك الطوائف الذين
 فرّق الإسكندر المملكة بينهم ، وتفرّد بكل ناحية من مملكتها من حين
 ملكه ، ما خلا السواد ، فإنها كانت أربعاً وخمسين سنة بعد هلاك الإسكندر
 في يد الروم . وكان في ملوك الطوائف رجل من نسل الملوك ممذكا على الجبال
 وأصبهان ، ثم غلب ولده بعد ذلك على السواد ، فكاثروا ملوكاً عليها وعلى الماهات (١)
 والجبال وأصبهان ، كالرئيس على سائر ملوك الطوائف ، لأن السنة جرت
 بتقديمه وتقديم ولده ؛ ولذلك قصيد لذكرهم في كتب سير الملوك ، فاقْتَصِر
 على تسميتهم دون غيرهم .

قال : ويقال إن عيسى بن مريم عليه السلام وُلد بأوريشليم بعد
 إحدى وخمسين سنة من ملوك الطوائف ؛ فكانت سنو ماكهم من لدن
 الإسكندر إلى وثوب أردشير بن بابك وقتله أردوان واستواء الأمر له ،
 مائتين وستاً وستين سنة .

• • •

قال : فن الملوك الذين ملكوا الجبال ثم تهيأت لأولادهم بعد ذلك الغلبة

(١) ت : « الماهات » . س : « المهان » .

٧٠٩/١ على السواد أشك بن حره بن رسيان^(١) بن أرتشاخ بن هرمز بن ساهم بن رزان^(٢) بن إسفنديار بن بشتاسب . قال : والفرس تزعم أنه أشك بن دارا . وقال بعضهم : أشك بن أشكان الكبير ، وكان من ولد كيبييه بن كيقباد ، وكان ماكه عشر سنين . ثم ملك من بعده أشك بن أشك بن أشكان ، إحدى وعشرين سنة . ثم ملك سابور بن أشك بن أشكان ، إحدى وعشرين سنة . ثم ملك سابور بن أشك بن أشكان ، ثلاثين سنة . ثم ملك جودرز الأكبر بن سابور بن أشكان ، عشر سنين . ثم ملك بيرن بن جودرز ، إحدى وعشرين سنة . ثم جودرز الأصغر بن بيزن ، تسع عشرة سنة . ثم نرسه بن جودرز الأصغر ، أربعين سنة . ثم هرمز بن بلاش بن أشكان ، سبع عشرة سنة . ثم أردوان الأكبر وهو أردوان بن أشكان ، اثنتي عشرة سنة . ثم كسرى بن أشكان ، أربعين سنة . ثم بهافرید الأشكاني ، تسع سنين . ثم بلاش الأشكاني ، أربعاً وعشرين سنة .

ثم أردوان الأصغر وهو أردوان بن بلاش بن فيروز بن هرمز بن بلاش بن سابور بن أشك بن أشكان الأكبر ، وكان جدّه كيبييه بن كيقباد . ويقال : إنه كان أعظم الأشكانية ملكاً ، وأظهرهم عزاً ، وأسناهم ذكراً ، وأشدّهم قهراً لملوك الطوائف ، وأنه كان قد غلب على كورة إصطخر لاتصالها بأصبهان ، ثم تخطى إلى جور وغيرها من فارس ، حتى غلب عليها ، ودانت له ملوكها لهيبة ملوك الطوائف كانت له ، وكان ملكه ثلاث عشرة سنة . ثم ملك أردشير .

• • •

وقال بعضهم : ملك العراق وما بين الشام ومصر بعد الإسكندر تسعون ملكاً على تسعين طائفة كلهم يعظم من يملك المدائن ، وهم الأشكانيون . قال :

(١) كذا في س . (٢) كذا في ن ، وف في ز : « زران » وفي س : « زرام » .

فلک من الأشکانیین أفقور شاه بن بلاش بن سابور بن أشکان بن أرش الجبار بن سیاوش بن کیکاوس الملك ، اثنتین وستین سنة .

ثم سابور بن أفقور - وعلى عهده كان المسيح ويحيى عليهما السلام - ثلاثا وخمسين سنة .

ثم جودرز بن سابور بن أفقور الذي غزا بني إسرائيل طالبا بثأر يحيى ابن زكرياء ، ملك تسعا وخمسين سنة .

ثم ابن أخيه أبزان بن بلاش بن سابور ، سبعا وأربعين سنة .

ثم جودرز بن أبزان بن بلاش ، إحدى وثلاثين سنة .

ثم أخوه نرسی بن أبزان ، أربعاً وثلاثين سنة .

ثم عمته الهرمزان بن بلاش ، ثمانياً وأربعين سنة .

ثم ابنه الفيروزان بن الهرمزان بن بلاش ، تسعاً وثلاثين سنة .

ثم ابنه كسرى بن الفيروزان ، سبعاً وأربعين سنة .

ثم ابنه أردوان بن بلاش ، وهو آخرهم ، قتله أردشير بن بابك ، خمسا وخمسين سنة .

٥٨٤/١

قال : وكان ملك الإسكندر وملك سائر ملوك الطوائف في النواحي خمسمائة

وثلاثاً وعشرين سنة .

ذكر الأحداث التي كانت في أيام ملوك الطوائف

فكان من ^(١) ذلك - فيما زعمته الفرس - لمضى خمس وستين سنة من غلبة الإسكندر على أرض بابل ، وإحدى وخمسين سنة من ملك الأشكانيين - ولادةُ مريم بنت عمران عيسى بن مريم عليه السلام .

فأما النصارى فإنها تزعم أن ولادتها إياه كانت لمضى ثمانمائة سنة وثلاث سنين من وقت غلبة الإسكندر على أرض بابل . وزعموا أن مولد يحيى بن زكرياء كان قبل مولد عيسى عليه السلام بستة أشهر . وذكروا أن مريم حملت بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة ، وأن عيسى عاش إلى أن رُفِعَ اثنتين وثلاثين سنة وأياما ، وأن مريم بقيت بعد رفعه ست سنين ، وكان جميع عمرها نيفًا وخمسين سنة .

قال : وزعموا أن يحيى اجتمع ^(٢) هو وعيسى بنهر الأردن وله ثلاثون سنة ، وأن يحيى قتل قبل أن يرفع عيسى . وكان زكرياء بن برخيا ^(٣) أبو يحيى بن زكرياء وعمران بن ماثان أبو مريم متزوجين بأختين ؛ إحداهما عند زكرياء وهي أم يحيى ، والأخرى منهما عند عمران بن ماثان ، وهي أم مريم . فمات عمران بن ماثان وأم مريم حامل بمريم ، فلما ولدت مريم كفلها زكرياء بعد موت أمها ، لأن خالتها أخت أمها كانت عنده . واسم أم مريم حنة بنت فاقود ابن قبيل ، واسم أختها أم يحيى الأشباع ^(٤) ابنة فاقود . وكفلها زكرياء ، وكانت مسماة بيوسف بن يعقوب بن ماثان بن اليعازر بن اليوذ بن أحين بن صادق بن عازور بن الياقيم بن أبيوذ بن زربابل بن شلتيل بن يوحنيا بن يوشيا بن أمون بن منشا بن حزقيا بن أحاز بن يوثام بن عوزيا بن يورام بن يهوشافاظ بن أسا بن أبيا بن رحبعم بن سليمان بن داود ، ابن عم مريم .

وأما ابن حميد ، فإنه حدثنا عن ساحة ، عن ابن إسحاق ، أنه قال :

(١) ح : « ف » . (٢) ن : « صبغ » .

(٣) ن : « برخنا » . (٤) ن : « الأشباع » .

مریم۔ فیما بلغنی عن نسبها۔ ابنة عمران بن یاشهم بن أمون بن منشا بن حزقیا ابن أحرزق بن یوثام بن عزریا بن أمصیا بن یاوش بن أحرزیو بن یارم بن یهشافاظ بن أسا بن أبیا بن رُحُبُعُم بن سایمان. فولد لذكریاء یحیی ابن خالة عیسی بن مریم ، فنبی صغیراً ، فساح ، ثم دخل الشام یدعو الناس ، ثم اجتمع یحیی وعیسی ، ثم افترقا بعد أن عمّد یحیی عیسی .

٧١٣/١

وقیل : إن عیسی بعث یحیی بن زکریاء فی اثنی عشر من الخواریین یعلّمون الناس : قال : وكان فیما نهوهم عنه نکاحُ بنات الأخ ، فحدثنی أبو السائب ، قال : حدثنا أبو معاویة ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعید بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : بعث عیسی بن مریم یحیی بن زکریاء ، فی اثنی عشر من الخواریین یعلّمون الناس ، قال : فكان فیما نهوهم عنه نکاحُ ابنة الأخ . قال : وكان لملكهم ابنة أخٍ تُعجبه ، یرید أن یتزوجها ، وكانت لها كلّ يوم حاجة یقضیها ، فلما بلغ ذلك أمّها قالت لها : إذا دخلت علی الملك ، فسألك حاجتك فقولی : حاجتی أن تذبح لی یحیی بن زکریاء . فلما دخلت علیه سألتها حاجتها ، قالت : حاجتی أن تذبح لی یحیی بن زکریاء ، فقال : سلیني غیر هذا ، قالت : ما أسألك إلاّ هذا ، قال : فلما أتت علیه دعا یحیی ، ودعا بطست فذبحه ، فندرت قطرة من دمه علی الأرض فلم تنزل تغلی حتی بعث الله بختنصر علیهم ، فجاءته عجوز من بنی اسرائیل ، فدلته علی ذلك الدم ، قال : فألقى الله فی قلبه أن یقتل علی ذلك الدم منهم حتی یسکن ، فقتل سبعین ألفاً منهم من سنّ واحدة ، فسکن .

٧١٤/١

حدثنا موسى بن هارون الهمدانی ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدی ، فی خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمدانی ، عن ابن مسعود - وعن ناسٍ من أصحاب النبی صلی الله علیه وسلم ، أن رجلاً من بنی اسرائیل ، رأى فی النوم أن خرابَ بیت المقدس وهلاكَ بنی اسرائیل علی یدئ غلام یتیم ، ابن أرملة من أهل بابل ، یدعی بختنصر ، وكانوا یصدقون فتصدق رؤیاهم ، فأقبل یسأل عنه ، حتی نزل علی أمه وهو یحتطب ، فلما جاء وعلى رأسه حزمة

حطب ألقاها ، ثم قعد في جانب البيت ، فكلّمه ، ثم أعطاه ثلاثة دراهم ، فقال : اشترِ بهذه طعاماً وشراباً ، فاشترى بدرهم لحماً ، وبدرهم خبزاً ، وبدرهم خمراً ، فأكلوا وشربوا ؛ حتى إذا كان اليوم الثاني فعل به ذلك ، حتى إذا كان اليوم الثالث فعل ذلك ، ثم قال : إني أحب أن تكتب لي أماناً إن أنت مُلِكْت يوماً من الدهر ؛ قال : تسخر بي ! قال : إني لا أسخرُ بك ؛ ولكن ما عليك أن تتخذ بها عندي يداً ! فكلّمته أمه ، فقالت : وما عليك إن كان ؛ وإلا لم ينقصك شيئاً ! فكتب له أماناً ، فقال : أرايت إن جئت والناسُ حولك ، قد حالوا بيني وبينك ! فاجعل لي آيةً تعرفني بها ، قال : ترفع صحيفتك على قصبته فأعرفك بها . فكساه وأعطاه .

ثم إن ملك بني إسرائيل كان يكرم يحيى بن زكرياء ، ويُدني مجلسه ، ويستشيره في أمره ، ولا يقطع أمراً دونه ، وإنه هوى أن يتزوج ابنة امرأة له ، فسأل يحيى عن ذلك ، فنهاه عن نكاحها ، وقال : لست أرضاها لك ، فبلغ ذلك أمها فحققت على يحيى حين نهاه أن يتزوج ابنتها ، فعمدت إلى الجارية حين جلس الملك على شرابه ، فألبستها ثياباً رفاقاً حمرأ ، وطيببتها ، وألبستها من الحلبي ، وألبستها فوق ذلك كساء أسود ، فأرسلتها إلى الملك ، وأمرتها أن تسقيه ، وأن تعرض له ، فإن أرادها على نفسها أبت عليه ، حتى يعطيها ما سألته ، فإذا أعطاها ذلك سألته أن تؤتي برأس يحيى بن زكرياء في طست ، ففعلت فجعلت تسقيه وتعرض له ، فلما أخذ فيه الشراب أرادها على نفسها ، فقالت : لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك ، قال : ما تسأليني ؟ قالت : أسألك أن تبعث إلى يحيى بن زكرياء ، فأوتي برأسه في هذا الطست ، فقال : ويحك ! سليني غير هذا ! قالت : ما أريد أن أسألك إلا هذا . قال : فلما أبت عليه ، بعث إليه فأتى برأسه ، والرأسُ ينكلم ، حتى وضع بين يديه ، وهو يقول : لا تحلُّ لك ، فلما أصبح إذا دمه يغلي ، فأمر بتراب فألقى عليه ، فرقى الدم فوق التراب يغلي ، فألقى عليه التراب أيضاً ، فارتفع الدم فوقه ، فلم يزل يُلقى عليه التراب حتى بلغ سور المدينة ،

٧١٦/١ وهو في ذلك يغلي ، وبلغ صيحاتين^(١) فنادى في الناس ، وأراد أن يبعث إليهم جيشاً ، ويؤمّر عليهم رجلاً ، فأتاه بختنصر ، فكلمه ، وقال : إن الذي كنت أرسلت تلك المرة ضعيف ، فإني قد دخلت المدينة ، وسمعت كلام أهلها ، فابعثني ، فبعثه فسار بختنصر ؛ حتى إذا بلغوا ذلك المكان تحصنوا منه في مدائنهم ، فلم يُطْفئهم ، فلما اشتدّ عليه المقام ، وجاع أصحابه أراد الرجوع ، فخرجت إليه^(٢) عجوز من عجائر بني إسرائيل ، فقالت : أين أمير الجند ؟ فأتى به إليها ، فقالت : إنه بلغني أنك تريد أن ترجع بجندك قبل أن تفتح هذه المدينة . قال : نعم ، قد طال مقامي ؛ وجاع أصحابي ، فلست أستطيع المقام فوق الذي كان مني ، فقالت : أرايتك إن فتحت لك المدينة ، أتعطيني ما أسألك ؛ فتقتل من أمرتك بقتله ، وتكف إذا أمرتك أن تكف ؟ قال لها : نعم ، قالت : إذا أصبحت فأقسم جندك أربعة أرباع . ثم أقيم على كل زاوية ربعاً ، ثم ارفعوا بأيديكم إلى السماء ، فنادوا : إنا نستفتحك يا الله بدم يحيى بن زكرياء ؛ فإنها سوف تتساقط . ففعلوا ، فتساقطت المدينة ، ودخلوا من جوانبها ، فقالت له : كف يدك ، اقتل على هذا الدم حتى يسكن . فانطلقت به إلى دم يحيى وهو على تراب كثير ، فقتل عليه حتى سكن ، فقتل سبعين ألف رجل وامرأة ، فلما سكن الدم ، قالت له : كف يدك ، فإن الله عز وجل إذا قتل نبي لم يرص حتى يقتل من قتله ومن رضي قتله . فأتاه صاحب الصحيفة بصحيفته ، فكف عنه وعن أهل بيته ، وخرّب بيت المقدس ، وأمر به أن تطرح فيه الجيف ، وقال : من طرح فيه جيفة فله جزية تلك السنة ، وأعانه على^(٣) خرابه الروم من أجل أن بني إسرائيل قتلوا يحيى بن زكرياء ، فلما خربته بختنصر ذهب معه بوجوه بني إسرائيل وسرّاتهم ، وذهب بدانيال وعليا وعزريا^(٤) وميشائيل ؛ هؤلاء كلهم من أولاد الأنبياء ، وذهب معه برأس الجالوت ، فلما قدم أرض بابل

(١) ت : « صنحابين » ، ن : « صنحابي » .

(٢) ح : « إليهم » .

(٣) ح : « عليه » .

(٤) ت : « وعزوبا » ، ن : « وعزوزيا » .

وجد صيحاتين قد مات ، فلك مكانه ، وكان أكرم الناس عليه دانيال وأصحابه . فحسدوهم المحجوس ، فوشوا بهم إليه ، فقالوا : إن دانيال وأصحابه لا يعبدون إلهك ، ولا يأكلون من ذبيحتك ، فدعاهم فسألهم فقالوا : أجل إن لنا رباً نعبده . ولسنا نأكل من ذبيحتكم : وأمر بخدّ فخدّ ، فألقوا فيه وهم ستة : وألقى معهم سبع ضار لياً كلهم . فقالوا : انطلقوا فلنأكل ولنشرب ، فذهبوا ، فأكلوا وشربوا ، ثم راحوا فوجدوهم جلوساً ، والسبع مفترش ذراعَيْه بينهم لم يخذش منهم أحداً ، ولم ينكأه شيئاً ، فوجدوا معهم رجلاً . فعدهم فوجدوهم سبعة : فقال : ما بال هذا السابع ؟ إنما كانوا ستة ! فخرج إليه السابع - وكان مآكاً من الملائكة - فلطمه لطمه فصار في الوحش . فكان فيهم سبع سنين (١) .

• • •

قال أبو جعفر : وهذا القول - الذي روى عن ذكر في هذه الأخبار التي رويت وعمّن لم يذكر في هذا الكتاب ، من أن بختنصر . هو الذي غزا بني إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكرياء - عند أهل السير والأخبار والعلم بأمور الماضين في الجاهلية . وعند غيرهم من أهل الملل غلظت : وذلك أنهم بأجمعهم مجمعون على أن بختنصر إنما غزا بني إسرائيل عند قتلهم نبيهم شعيا في عهد إرميا بن حاتميا . وبين عهد إرميا وتخریب بختنصر بيت المقدس إلى مولد يحيى بن زكرياء أربع مائة سنة وإحدى وستون سنة في قول اليهود والنصارى . ويذكرون أن ذلك عندهم في كتبهم وأسنانهم مبين . وذلك أنهم يعدّون من لدن تخریب بختنصر بيت المقدس إلى حين عمرانها في عهد كيرش بن أخشويرش أصهبند بابل من قبيل أردشير بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب . ثم من قبيل ابنته خماني سبعين سنة ، ثم من بعد عمرانها إلى ظهور الإسكندر عليها وحيازة مملكتها إلى مملكته ثمانين سنة . ثم من بعد مملكة الإسكندر لها إلى مولد يحيى بن زكرياء ثلثمائة سنة وثلاث سنين ، فذلك على قولهم أربع مائة سنة وإحدى وستون سنة .

(١) الخبر إلى هنا في التفسير ١٥ : ٢٥ ، ٢٦ (بولاق) .

وأما المجوس فلإنها توافق النصارى واليهود في مدّة خراب بيت المقدس ، وأمر بختنصر ، وما كان من أمره وأمر بني إسرائيل إلى غلبة الإسكندر على بيت المقدس والشام وهلاك^(١) دارا ، وتخالفتهم في مدة ما بين ملك الإسكندر ومولد يحيى ، فتزعم أن مدة ذلك إحدى وخمسون سنة . فبين المجوس والنصارى من الاختلاف في مدّة ما بين ملك الإسكندر ومولد يحيى وعيسى ما ذكرت . والنصارى تزعم أن يحيى ولد قبل عيسى بستة أشهر ، وأنّ الذي قتله ملك لبني إسرائيل يقال له هيردوس ، بسبب امرأة يقال لها هيروديا ، كانت امرأة أخ له ، يقال له فيلفوس ، عشيقها فوافقت^(٢) على الفجور ، وكان لها ابنة يقال لها دمنى^(٣) فأراد هيردوس أن يبطأ امرأة أخيه المسماة هيروديا ، فنهاه يحيى وأعلمه أنه لا تحلّ له ، فكان هيردوس معجباً بالابنة ، فألهته يوماً ، ثم سألته حاجة فأجابها إليها ، وأمر صاحباً له بالنفوذ لما تأمره به ، فأمرته أن يأتيها برأس يحيى ، ففعل ، فلما عرف هيردوس الخبر أسقط في يده ، وجزع جزعاً شديداً .

٧١٩/١

•••

وأما ما قال في ذلك أهل العلم بالأخبار وأمور أهل الجاهلية فقد حكيتُ منه ما قاله هشام بن محمد الكلبي .
وأما ما قال ابن إسحاق فيه ، فهو ما حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : عمرت بنو إسرائيل بعد ذلك - يعني بعد مرجعهم من أرض بابل إلى بيت المقدس - يُحدثون الأحداث ، ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل ، ففريقاً يكذبون وفريقاً يقتلون ؛ حتى كان آخراً من بعث فيهم من أنبيائهم زكرياء ويحيى بن زكرياء وعيسى بن مريم ، وكانوا من بيت آل داود عليه السلام . وهو يحيى بن زكرياء بن أدي ابن مسلم بن صدوق بن نحشان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن برخية بن شفاطية بن فاحور بن شلوم بن يهافاشاط بن أسا بن أبيا بن رُحُبم

٧٢٠/١

(١) ح : « وإهلاك » .

(٢) ح : « فوافقت » .

(٣) ت : « دمنى » ، س : « دمنه » ، ن : « دمنى » .

ابن سليمان بن داود .

قال : فلما رفع الله عيسى عليه السلام من بين أظهرهم ، وقتلوا يحيى بن زكرياء عليه السلام - وبعض الناس يقول : وقتلوا زكرياء - ابتعث الله عليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له خردوس ، فسار إليهم بأهل بابل ، حتى دخل عليهم الشام ، فلما ظهر عليهم أمر رأساً من رموس جنوده يدعى نبوزراذان ، صاحب القتل ، فقال له : إني كنت حلفت بإلهي :

لئن أنا ظهرت على أهل بيت المقدس لأقتلنهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري ؛ إلى ألا أجد أحداً أقتله ، فأمره أن يقتلهم ، حتى يبلغ ذلك منهم . وإن نبوزراذان دخل بيت المقدس ، فقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم ، فوجد فيها دمًا يغلي ، وسألهم ، فقال : يا بني إسرائيل ؛ ما شأن هذا الدم يغلي ؟ أخبروني خبره ولا تكتُموني شيئاً من أمره ، فقالوا : هذا دم قربان كان لنا كنا قربناه فلم يقبل منا ، فلذلك هو يغلي كما تراه ، ولقد قربنا منذ ثمانمائة سنة القربان ، فيقبل منا إلا هذا القربان . قال : ما صدقتموني الخبر ، قالوا له : لو كان كأول زماننا لقبيل منا ؛ ولكنه قد انقطع منا الملك والنبوة والوحي ؛ فلذلك لم يقبل منا . فذبح منهم نبوزراذان على ذلك الدم سبعمائة وسبعين روحاً من رموسهم فلم يهدأ ، فأمر فأتى بسبعمائة غلام من غلمانهم ، فذبحوا على الدم فلم يهدأ ، فأمر بسبعة آلاف من بنيهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يبرد ، فلما رأى نبوزراذان الدم لا يهدأ قال لهم : يا بني إسرائيل ، ويلكم ! أصدقوني واصبروا على أمر ربكم ؛ فقد طالما ملكتم في الأرض تفعلون فيها ما شئتم ، قبل ألا أترك منكم نافخ نار ؛ أنثى ولا ذكراً إلا قتلته ! فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر فقالوا : إن هذا دم نبي

منا كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله ، فلو أطعناه فيها لكان أرشد لنا ، وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدقته فقتلناه ، فهذا دمه . فقال لهم نبوزراذان : ما كان اسمه ؟ قالوا : يحيى بن زكرياء ، قال : الآن صدقتموني ، لمثل هذا ينتقم ربكم منكم . فلما رأى نبوزراذان أنهم قد صدقوه خسر ساجداً ، وقال لمن حوله : أغلقوا أبواب المدينة ، وأخرجوا من كان هنا من جيش خردوس

وخلا في بني إسرائيل . ثم قال : يا يحيى بن زكريا ، قد علم ربى وربك ما قد أصاب قومك من أجلك ، وما قتل منهم من أجلك ، فاهدأ بإذن الله قبل ألا أتى من قومك أحداً ، فهدأ دم يحيى بإذن الله ، ورفع نبوزراذان عنهم القتل ، وقال : آمنتُ بما آمنت به بنو إسرائيل ، وصدقتُ به وأيقنتُ أنه لا ربَّ غيره ، ولو كان معه آخر لم يصلح ، لو كان معه شريك لم تستمسك^(١) السموات والأرض ، ولو كان له ولد لم يصلح ، فتبارك وتقدس وتسبح وتكبر وتعظم ! ملك الملوك الذى يملك السموات السبع بعلم وحكم^(٢) وجبروت وعزة . الذى بسط الأرض وألقى فيها رواسي لا تزول ، فكذلك ينبغي لربى أن يكون ويكون ملكه . فأوحى إلى رأس من رؤوس بقية الأنبياء أن نبوزراذان حبور صدوق - والحبور بالعبرانية حديث الإيمان - وأن نبوزراذان قال لبني إسرائيل : إن عدو الله خردوس أمرنى أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكريه . وإنى فاعل : لست أستطيع أن أعصيه . قالوا له : افعل ما أمرت به ، فأمرهم فحفروا خندقاً ، وأمر بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والإبل فذبحها ، حتى سال الدم فى العسكر . وأمر بالقتلى الذين كانوا قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من مواشيهم : حتى كانوا فوقهم ؛ فلم يظن خردوس إلا أن ما كان فى الخندق من بني إسرائيل .

٧٢٣/١

فلما بلغ الدم عسكريه أرسل إلى نبوزراذان : ارفع عنهم : فقد بلغنى دماؤهم ، وقد انتقمتم منهم بما فعلوا . ثم انصرف عنهم إلى أرض بابل ، وقد أفنى بنى إسرائيل أو كاد ؛ وهى الواقعة الأخيرة التى أنزل الله بنى إسرائيل ؛ يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا حَتَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَصِيرًا ﴾^(٣) . و« عسى »^(٤) من الله حتى . فكانت الواقعة الأولى . بعد رزق نوح ، ثم ردة

(١) ط : « يستمسك » . وما أنسته من ت

(٢) ن : « وحكمة » .

(٣) سورة الإسراء ٤ - ٨ .

(٤) من قوله تعالى فى آية ٨ : « عسى ربكم أن يرحمكم » .

الله لم الكرة عليهم ، ثم كانت الواقعة الأخيرة خردوس وجنوده ، وهي كانت
أعظم الوقعتين ، فيها كان خراب بلادهم وقتل رجالهم وسبي ذراريهم ونسأهم ؛
يقول الله عز وجل : ﴿ وَليَتَّبِعُوا مَا عَلَّمُوا تَتَّبِعُوا ﴾^(١) .

•••

رجع الحديث إلى حديث عيسى بن مريم وأمه عليهما السلام .
قال : وكانت مريم ويوسف بن يعقوب ابن عمها يلبان خادمة الكنيسة ،
فكانت مريم إذا نفذ ماؤها - فيما ذكر - وماء يوسف أخذ كل واحد منهما
قلته ، فانطلق إلى المغارة التي فيها الماء الذي يستعذبانه ، فيملاً قلته ، ثم
يرجعان إلى الكنيسة . فلما كان اليوم الذي لقيها فيه جبرئيل - وكان أطول
يوم في السنة وأشدّه حرّاً - نفذ ماؤها ، فقالت : يا يوسف ، ألا تذهب بنا
نستقي ! قال : إن عندي لفضلاً من ماء أكتفي به يومى هذا إلى غد ، قالت :
لكنى والله ما عندى ماء ، فأخذت قلته ، ثم انطلقت وحدها ، حتى دخلت
المغارة ، فتجد عندها جبرئيل ، قد مثله الله لها بشراً سوياً : فقال لها :
يا مريم ، إن الله قد بعثني إليك لأهب لك غلاماً زكياً ، قالت :
﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً ﴾^(٢) ، وهي نحسبه رجلاً من بنى
آدم فقال : إنما أنا رسول ربك ، قالت : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ
يَمَسَّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً . قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ قَهْرَيْنِ
وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمراً مَقْضِيّاً ﴾^(٣) ، أى أن الله قد
قضى أن ذلك كائن . فلما قال ذلك استسلمت لقضاء الله ، فنفخ في جيبها ،
ثم انصرف عنها ، وملاّت قلته .

قال : فحدثني محمد بن سهل بن عسكر البخارى ، قال حدثنا إسماعيل
ابن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، ابن أخى وهب ،

(١) سورة الإسراء ٧ .

(٢) سورة مريم ١٨ .

(٣) سورة مريم ٢٠ ، ٢١ .

قال : سمعت وهباً قال : لما أرسل الله عز وجل جبرئيل إلى مريم ، تمثل لها
بشرا سويّاً . فقالت : ﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيّاً ﴾ ،
ثم نفخ في جيب درعها حتى وصلت النفخة إلى الرحيم ، واشتملت
على عيسى .

قال : وكان معها ذو قرابة لها يقال له يوسف النجار ، وكانا منطلقين
إلى المسجد الذي عند جبل صهيون ؛ وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم
مساجدهم ، وكانت مريم ويوسف يخدمان في ذلك المسجد في ذلك الزمان ،
وكان لخدمته فضل عظيم ، فرغباً في ذلك ، فكانا يلبيان معايلته بأنفسهما
وتجميره وكناسته وطهوره ، وكل عمل يعمل فيه ، فكان لا يعلم من أهل
زمانهما أحدٌ أشدَّ اجتهاداً وعبادة منهما ، وكان أول من أنكر حمل مريم
صاحبها يوسف ، فلما رأى الذي بها استعظمه ، وعظم عليه ، وفضح به ، ولم
يلد على ماذا يضع^(١) أمرها ! فإذا أراد يوسف أن يتهمها ذكر صلاحها وبراعتها ،
وأنها لم تغيب عنه ساعة قط ، وإذا أراد أن يبرئها رأى الذي ظهر بها . فلما
اشتد عليه ذلك كلمها ، فكان أول كلامه إياها أن قال لها : إنه قد وقع في
نفسى من أمرك أمر قد حرصت على أن أميتتم ، وأكتمه في نفسى ، فغلبتني
ذلك ، فرأيت أن الكلام فيه أشنى لصدرى ، قالت : فقل قولاً جميلاً ،
قال : ما كنت لأقول إلا ذلك ، فحدثيني : هل ينبت زرع بغير بذر ؟
قالت : نعم ، قال : فهل تنبت شجرة من غير غيث بصيبتها ؟ قالت : نعم ،
قال : فهل يكون ولد من غير ذكر ؟ قالت : نعم ، ألم تعلم أن الله أنبت
الزرع يوم خلقه من غير بذر ، والبذر إنما كان من الزرع الذى أنبته الله
من غير بذر ! أو لم تعلم أن الله أنبت الشجر من غير غيث ، وأنه جعل بتلك
القلرة الغيث حياة للشجر بعد ما خلق كل واحد منهما وحده ! أو تقول لم
يقدر الله على أن ينبت الشجر ، حتى استعان عليه بالماء ، ولولا ذلك لم يقدر
على إنباته ! قال لها يوسف : لا أقول ذلك ، ولكنى أعلم أن الله بقدرته على
ما يشاء يقول لذلك : كمن فيكون . قالت له مريم : أو لم تعلم أن الله عز وجل

(١) ت ، ن : « يصنع » .

خلق آدم وامرأته من غير ذكرٍ ولا أنثى ؟ قال : بلى ، فلما قالت له ذلك وقع في نفسه أن الذي بها شيء من الله عز وجل ، وأنه لا يسعه أن يسألها عنه ؛ وذلك لما رأى من كثابها لذلك . ثم تولى يوسف خدمة المسجد ، وكفأها كل عمل كانت تعمل فيه ؛ وذلك لما رأى من رقة^(١) جسمها واصفرار لونها ، وكلف وجهها ، وتواء بطنها ، وضعف قوتها ، ودأب نظرها ؛ ولم تكن مريم قبل ذلك كذلك ؛ فلما دنا نفاسها أوحى الله إليها أن اخرجي من أرض قومك ؛ فإنهم إن ظفروا بك عيسروك وقتلوا^(٢) ولدك . فأفضت عند ذلك إلى أختها - وأختها حينئذ حبلى ، وقد بشرت بيحيى - فلما التقيا وجدت أم يحيى ما في بطنها خيراً لوجهه ساجداً معترفاً بعيسى ؛ فاحتملها يوسف إلى أرض مصر على حمار له ، ليس بينها حين ركبت الحمار وبين الإكاف^(٣) شيء ، فانطلق يوسف بها ؛ حتى إذا كان متاخماً لأرض مصر في منقطع ٧٢٧/١ بلاد قومها أدرك مريم النفاس ، وألجأها إلى آرى حمار - يعنى ميزود الحمار - في أصل نخلة ؛ وذلك في زمان الشتاء ، فاشتدت على مريم المخاض ؛ فلما وجدت منه شدة التجأت إلى النخلة ، فاحتضنتها واحتوشتها الملائكة ، قاموا صفوفاً محدقين بها^(٤) .

فلما وضعت وهي محزونة ، قيل لها : ﴿ أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ إلى ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾^(٥) ، فكان الرطب يتساقط عليها ؛ وذلك في الشتاء .

فأصبحت الأصنام التي كانت تُعبَد من دون الله حين ولدت بكل أرض مقلوبة منكوسة على رعوسها ، ففرغت الشياطين وراعها ، فلم يدروا ما سبب ذلك ، فساروا عند ذلك مسرعين ، حتى جاءوا إبليس ، وهو على عرش له . في لُجّة خضراء ، يتمثل بالعرش يوم كان على الماء ويحتجب ، يتمثل بحجب النور التي من دون الرحمن ، فأتوه وقد خلا ست ساعات من النهار ؛ فلما

(١) ت : « دقة » . (٢) ن : « وقتلوك وولدك » .

(٣) الإكاف ، ككتاب وغراب : برذعة الحمار .

(٤) الخبر في التفسير ١٥ : ٤٩ ، ٥٠ (بولاق) .

(٥) سورة مريم ٢٤ - ٢٦ .

رأى إبليسُ جماعتهم ، فرزع من ذلك ، ولم يرمهم جميعاً منذ فرقتهم قبل تلك الساعة ؛ إنما كان يراهم أشتاتاً ، فسألهم فأخبروه أنه قد حدث في الأرض حدث أصبَحَت الأصنام منكوسة على رؤوسها ، ولم يكن شيء أعونٌ على هلاك بني آدم منها ؛ كنا ندخلُ في أجوافها فنكلّمهم ، وندبّر أمرهم فيظنون أنها التي تكلمهم ، فلما أصابها هذا الحدث صغرتَها في أعين بني آدم ، وأذلتها وأدناها ، ذلك وقد خشينا ألاّ يعبدوها بعد هذا أبداً . واعلم أنّا لم نأتك حتى أحصينا الأرض ، وقلبنا البحار وكلّ شيء قوينا عليه ؛ فلم نزد بما أردنا إلا جهلاً . قال لهم إبليس : إنّ هذا لأمر عظيم ، لقد علمت بأني كتّمته ، وكونوا على مكانكم هذا . فطار إبليس عند ذلك ، فلبث عنهم ثلاث ساعات ، فرّ فيهنّ بالمكان الذي وُلد فيه عيسى ؛ فلما رأى الملائكة محدّقين بذلك المكان ، علم أنّ ذلك الحدث فيه ، فأراد إبليس أن يأتيه من فوقه ؛ فإذا فوقه رؤوس الملائكة ومناكبهم عند السماء . ثم أراد أن يأتيه من تحت الأرض ؛ فإذا أقدام الملائكة راسية أسفل مما أراد إبليس . ثم أراد أن يدخل من بينهم فنحوه عن ذلك .

٧٢٨/١

ثم رجع إبليس إلى أصحابه فقال لهم : ألم بجنتكم حتى أحصيت الأرض كلّها مشرقها ومغربها ، وبرّها وبحرها ، والخافقين ، والجوّ الأعلى ؛ وكلّ هذا بلغت في ثلاث ساعات ؛ وأخبرهم بمولد المسيح ، وقال لهم : لقد كتّمته شأنه ، وما اشتملت قبله رحم أنثى على ولد إلا بعلمي ، ولا وضعته قطّ ، إلاّ وأنا حاضرها ؛ وإني لأرجو أن أضيلّ به أكثر مما يهتدي به ، وما كان نبيّ قبله أشدّ علىّ وعليكم منه .

وخرج في تلك الليلة قوم يتؤمنونه من أجل نجم طلع أنكروه ، وكان قبل ذلك يتحدثون أنّ مطلع ذلك النجم من علامات مولود في كتاب دانيال . فخرجوا يريدونه ، ومعهم الذهب والمرّ واللّبان ، فرّوا بملك من ملوك الشام ، فسألهم : أين يريدون ؟ فأخبروه بذلك ، قال : فما بال الذهب والمرّ واللّبان أهديتموه له من بين الأشياء كلّها ؟ قالوا : تلك أمثاله ؛ لأنّ الذهب هو سيّد المتاع كلّّه ، وكذلك هذا النبيّ هو سيّد أهل زمانه ، ولأنّ المرّ يُجبرُ به

٧٢٩/١

الجرح والكسر ، وكذلك هذا النبي يشق به الله كل سقيم ومريض ؛ ولأن اللبان يمال دخانه السماء ولا ينالها دخان غيره ، كذلك هذا النبي يرفعه الله إلى السماء لا يرفع في زمانه أحد غيره.

فأما قالوا ذلك لذلك الملك حدثت نفسه بقتله . فقال : اذهبوا ، فإذا علمتم مكانه فأعلموني ذلك ، فإني أرغب في مثل ما رغبت فيه من أمره . فانطلقوا حتى دفعوا ما كان معهم من تلك الهدية إلى مريم ، وأرادوا أن يرجعوا إلى هذا الملك ليعلموه مكان عيسى ، فلقيتهم ملك فقال لهم : لا ترجعوا إليه ، ولا تعلموه بمكانه ، فإنه إنما أراد بذلك ليقته ؛ فانصرفوا في طريق آخر ، واحتملته مريم على ذلك الحمار ومعها يوسف ، حتى وردا أرض مصر ، فهي الربوة التي قال الله :

﴿ وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ^(١) ﴾ .

فكثت مريم اثنتي عشرة سنة تكتمه من الناس ، لا يطلع عليه أحد ؛ وكانت مريم لا تأمن عايه ولا على معيشته أحداً ، كانت تلتقط السنبيل من حيث ما سمعت بالحصاد ، والمهد في منكبها والوعاء الذي تجعل فيه السنبيل في ٧٣٠/١١ منكبها الآخر ، حتى تم لعيسى عايه السلام اثنتا عشرة سنة ؛ وذلك أول آية رآها الناس منه أن أمه كانت نازلة في دار دِهقان من أهل مصر ، فكان ذلك الدهقان قد سرقت له خزانة ، وكان لا يسكن في داره إلا المساكين ، فلم يتهمهم ، فحزنت مريم لمصيبة ذلك الدهقان ، فلما أن رأى عيسى حزناً أمه بمصيبة صاحب ضيافتها ، قال لها : يا أمه ، أتحبتين أن أداته على ماله ؟ قالت : نعم يا بني . قال : قولي له يجمع لي مساكين داره ، فقالت مريم للدهقان ذلك ، فجمع له مساكين داره ، فلما اجتمعوا عمداً إلى رجلين منهم : أحدهما أعمى والآخر مقعد . فحمل المقعد على عاتق الأعمى ، ثم قال له : قم به ، قال الأعمى : أنا أضعف من ذلك . قال عيسى عايه السلام : فكيف قويت على ذلك البارحة ؟ فلما سمعوه يقول ذلك . بعثوا الأعمى ، حتى قام به ، فلما استقل قائماً حاملاً هوى المقعد إلى كوة الخزانة . قال عيسى : هكذا احتل للمالك البارحة ، لأنه استعان الأعمى بقوته ، والمقعد بعينيه ، فقال

المقعد والأعمى : صدق ، فرداً على الدهقان ماله ذلك ، فوضعه الدهقان في خزانته ، وقال : يا مريم خذي نصفه ، قالت : إني لم أخلق لذلك ، قال الدهقان : فأعطيه ابنتك ، قالت : هو أعظم مني شأنًا ، ثم لم يلبث الدهقان أن أعرض ابنه له فصنع له عيداً فجمع عليه أهل مصر كلهم ، فلما انقضى ذلك زاره قوم من أهل الشام لم يحذروهم الدهقان ، حتى نزلوا به ، وليس عنده يومئذ شراب ، فلما رأى عيسى اهتمامه بذلك دخل بيتاً من بيوت الدهقان ، فيه صفتان من جرار ، فأمر عيسى يده على أفواهها . وهو يمشي ، فكلما أمر يده على جرة امتلأت شراباً ، حتى أتى عيسى على آخرها ، وهو يومئذ ابن اثني عشرة سنة ، فلما فعل ذلك عيسى فرح الناس لشأنه وما أعطاه الله من ذلك ؛ فأوحى الله عز وجل إلى أمته مريم ، أن اطلعي به إلى الشام ، ففعلت الذي أمرت به ، فلم تزل بالشام حتى كان ابن ثلاثين سنة ، فجاءه الوحي على ثلاثين سنة ، وكانت نبوته ثلاث سنين . ثم رفعه الله إليه ، فلما رآه إبليس يوم لقيه على العقبة لم يطيق منه شيئاً ، فتدثّل له برجل ذي سن وهيئة ، وخرج معه شيطانان ماردان متدثّلين كما تمثّل إبليس ، حتى خالطوا جماعة الناس .

٧٣١/١

. . .

وزعم وهب أنه ربما اجتمع على عيسى من المرضى في الجماعة الواحدة خمسون ألفاً ، فمن أطاق منهم أن يبلغه بلغه ، ومن لم يطيق ذلك منهم أتاه عيسى عليه السلام يمشي إليه ؛ وإنما كان يُداويهم بالدعاء إلى الله عز وجل ، فجاءه إبليس في هيئة يتبهر الناس حسناتها وجمالها ، فلما رآه الناس فرغوا له ، ومالوا نحوه ، فجعل يخبرهم بالأعاجيب ؛ فكان في قوله : إن شأن هذا الرجل لعجيب^(١) ؛ تكلم في المهدي ، وأحيا الموتى ، وأنبأ عن الغيب ، وشقّى المريض ؛ فهذا الله . قال أحد صاحبيه : جهلت أيها الشيخ ، وبش ما قلت ! لا ينبغي لله أن يتجلّى للعباد . ولا يسكن الأرحام ، ولا تسعه أجواف النساء ؛ ولكنه ابن الله . وقال الثالث : بش ما قلتما ، كلا كما قد أخطأ وجهل ؛ ليس ينبغي لله أن يتخذ ولداً ؛ ولكنه إله معه ؛ ثم غابوا حين فرغوا

٧٣٢/١

(١) ت : « لعجيب » .

من قولهم ، فكان ذلك آخر العهد منهم .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : خرجت مريم إلى بجانب المحراب لحيض أصابها فاتخذت من دونهم حجاباً من الجدران ، وهو قوله : ﴿ فَأَتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ . فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا ﴿ في شرق المحراب ، فلما طهرت إذا هي برجل معها ، وهو قوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ فهو جبرئيل ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ . فلما رآته فرغت منه وقالت : ﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾ . قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا . قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿ - تقول زانية - ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ وَلِنَجْمَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ (١) . فخرجت . عليها جلبابها ، فأخذ بكميتها ، فنفع في جيب درعها - وكان مشقوقاً من قدامها - فدخلت النفخة في صدرها ، فحملت ، فأنتها أختها امرأة زكرياء ليلة تزورها ، فلما فتحت لها الباب التزمتها ، فقالت امرأة زكرياء : يا مريم أشعرت أنى حبلى . قالت مريم : أشعرت أنى أيضاً حبلى . قالت امرأة زكرياء : فإنى وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك ، فذلك قوله : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ (٢) . فولدت امرأة زكرياء يحيى ، ولما بلغ أن تضع مريم ، خرجت إلى جانب المحراب الشرقى منه ، فأنت أقصاه : ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ يقول : أبلأها المخاض إلى جذع النخلة ، ﴿ قَالَتْ ﴾ : وهى تطلق من الحبل استحياء من الناس : ﴿ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴾ .

(١) سورة مريم ١٦ - ٢١ .

(٢) سورة آل عمران ٣٩ .

تقول : نسيًا : نسيَ ذكرى ، ومنسيًا ، تقول : نسيَ أثرى ، فلا يرى لى
 أثر ولا عين . ﴿ فَنَادَاهَا ﴾ ، جبرئيل : ﴿ مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ
 تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ ، والسرى هو النهر . ﴿ وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ ﴾ ،
 وكان جدعًا منها مقطوعًا فهزته ، فإذا هو نخلة ، وأجرى لها فى المحراب نهرًا
 فتساقطت النخلة رطبًا جنبًا ، فقال لها : كُلِّي واشربى وقرى عينًا ، ﴿ فَأَمَّا
 تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ
 الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ ، فكان من صام فى ذلك الزمان لم يتكلم حتى يمسي ، فقيل لها :
 لا تزيدى على هذا ، فلما ولدته ذهب الشيطان فأخبر بنى إسرائيل أن
 مريم قد ولدت ، فأقبلوا يشتمون ، فدعوها ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِيلُهُ قَالُوا
 يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ - يقول عظيمًا - ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ
 أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴾ ، فما بالك أنت يا أخت هارون!
 وكانت من بنى هارون أخى موسى ؛ وهو كما تقول : يا أخا بنى فلان ؛
 إنما تعنى قرابته . فقالت لهم ما أمرها الله ، فلما أرادوها بعد ذلك على الكلام ،
 أشارت إليه - إلى عيسى - فغضبوا وقالوا : لَسُخْرِيتُهَا بِنَا حِينَ تَأْمُرُنَا
 أَنْ نَكَلِّمَ هَذَا الصَّبِيَّ أَشَدُّ عَلَيْنَا مِنْ زَنَاهَا! ﴿ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ
 فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ فتكلم عيسى فقال : ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ
 وَجَعَلَنِي نَبِيًّا . وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ ﴾ ^(١) فقالت بنو إسرائيل : ما أحبلها
 أحد غير زكرياء ، هو كان يدخل إليها ، فطلبوه ففرّ منهم فتشبه له
 الشيطان فى صورة راع ، فقال : يا زكرياء ، قد أدركوك ، فادعُ الله
 حتى تنفتح لك هذه الشجرة فتدخل فيها ، فدعا الله فانفتحت له الشجرة ،
 فدخل فيها وبقي من رذائه هُدَبٌ ، فرت بنو إسرائيل بالشيطان ، فقالوا :
 يا راعى ، هل رأيت رجلاً من ها هنا قال : نعم سحر هذه الشجرة ،

(١) سورة مريم ٢٣ - ٢١ .

فانفتحت له ، فدخل فيها ، وهذا هُدب رداثه ، فعمدوا فقطعوا الشجرة ، وهو فيها بالمنشير ، وليس تجد يهودياً إلا تلك الهدبة في رداثه ؛ فلما ولد عيسى لم يبق في الأرض صنم يعبد من دون الله إلا أصبح ساقطاً لوجهه .

٧٣٥/١

حدثني المشي ، قال : حدثنا إسحاق بن الحجاج ، قال : حدثنا إسماعيل ابن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهباً يقول : إن عيسى بن مريم عليه السلام لما أعلمه الله أنه خارج من الدنيا جزع من الموت ، وشقّ عليه ، فدعا الحواريين ، فصنع لهم طعاماً ، فقال : احضروني الليلة ، فإن لي إليكم حاجة ، فلما اجتمعوا إليه من الليل ، عشاهم وقام يخدمهم ، فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويوضئهم بيده^(١) ، ويمسحُ أيديهم بثيابه ، فتعاضموا ذلك وتكأروه ، فقال : ألامن ردّ عليّ شيئاً الليلة مما أصنع فليس مني ولا أنا منه ! فأقروه حتى إذا فرغ من ذلك قال : أمّا ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام ، وغسلت أيديكم بيدي ، فليكن لكم بي أسوة ؛ فإنكم ترون أني خيركم ، ولا يتعظم بعضكم على بعض ، وليبذل بعضكم نفسه لبعض ؛ كما بذلت نفسي لكم . وأما حاجتي التي أستعينكم عليها ، فتدعون الله لي ، وتجتهدون في الدعاء أن يؤخر أجلي ، فلما نصبوا أنفسهم للدعاء ، وأرادوا أن يجتهدوا ، أخذهم النوم ؛ حتى لم يستطيعوا دعاء ، فجعل يُوقظهم ، ويقول : سبحان الله ! ما تصبرون لي ليلة واحدة تعينوني فيها ! قالوا : والله ما ندرى ما لنا ! لقد كنا نسمُرُ فنكثِرُ السّمَرَ ، وما نطبق الليلة سَمَراً ، وما نريد دعاءً إلا حيلَ بيننا وبينه ! فقال : يذُهب بالراعي وتتفرق الغنم . وجعل يأتي بكلام نحو هذا ، ينعي به نفسه ، ثم قال :

الحقُّ ليكفرنَّ بي أحدكم ، قبل أن يصيحَ الديكُ ثلاثَ مراتٍ ؛ وإبيعتني أحدكم بدراهم بسيرة ، وليأكلنَّ ثمنِي . فخرجوا فتفرّقوا ؛ وكانت اليهود تطلبه ، فأخذوا شمعون ، أحد الحواريين ، فقالوا : هذا من أصحابه ، فجحده وقال : ما أنا بصاحبه ، فركوه ، ثم أخذه آخر فجحده كذلك ، ثم سمع صوت ديك ،

٧٣٦/١

(١) ت ، ح : « ويوصيهم » .

فبكتي ، فلما أصبح أتى أحدُ الحواريين إلى اليهود ، فقال : ما تجعلون لي إن دلتكم على المسيح ؟ فجعلوا له ثلاثين درهماً ، فأخذها ودلّهم عليه - وكان شُبّه عليهم قبل ذلك - فأخذوه ، فاستوثقوا منه ، وربطوه بالحبل ، فجعلوا يقودونه ، ويقولون : أنت كنت تحيي الموتى ، وتنتهر الشيطان ، وتبرئ المجنون ، أفلا تفتح نفسك من هذا الحبل ! ويبصقون عليه ، ويلقون عليه الشوك ، حتى أتوا به الخشبة التي أرادوا أن يصلبوه عليها ، فرفعه الله إليه ، وصلبوا ماشبّه لهم ، فكث سبعا . ثم إن أمه والمرأة - التي كان عيسى يداويها فأبرأها الله من الجنون - جاءتا تبكيان عند المصلوب ، فجاءهما عيسى عليه السلام ، فقال : علي من تبكيان ؟ فقالتا : عليك ، فقال : إني قد رفعني الله إليه ، ولم يُصنبي إلا خيراً ، وإنّ هذا شيء شُبّه لهم ، فأمرنا الحواريين أن يلقونني إلى مكان كذا وكذا ، فلقوه إلى ذلك المكان أحدَ عشر ، وفقد الذي كان باعه ، ودلّ عليه اليهود ، فسأل عنه أصحابه : فقالوا : إنه ندم على ما صنع ، فاختنق وقتل نفسه ، فقال : لو تاب تاب الله عليه ! ثم سألمهم عن غلام يتبعهم يقال له يحيى ، فقال : هو معكم ، فانطلقوا فإنه سيصبح كل إنسان منكم يحدث بلغة قوم^(١) فلينذرهم وليدّ عنهم .

٧٣٧/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لا يتهم ، عن وهب بن منبّه اليماني ، قال : توفي الله عيسى بن مريم ثلاث ساعات من النهار ، حتى رفعه الله إليه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : والنصارى يزعمون أنه توفاه الله سبع ساعات من النهار ؛ ثم أحياه الله ، فقال له : اهبط ، فأنزل على مريم المجدلانية في جبلها ، فإنه لم يبك عليك أحد بكاءها ، ولم يحزن عليك أحد حزنها ؛ ثم لتجمع^(٢) لك الحواريين ، فبشّهم في الأرض دُعاةً إلى الله ، فإنك لم تكن فعلت ذلك . فأهبطه الله عليها ، فاشتعل الجبل حين

(١) ح : « قومه » .

(٢) ن : « ثم ليجمع لك الحواريون » .

هبط نوراً ، فجمعت له الحواريتين ، فبشتم وأمرهم ، أن يبلغوا الناس عنه ما أمره الله به ، ثم رفعه الله إليه ، فكساه الريش ، وألبسه النور ، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب ، فطار في الملائكة وهو معهم حول العرش ، فكان إنسياً ملكياً سمائياً أرضياً ، وتفرق الحواريون حيث أمرهم ؛ فتلك الليلة التي أهبط فيها الليلة التي تدخن فيها النصارى .

وكان ممن وجّه من الحواريين والأتباع الذين كانوا في الأرض بعدهم ، فطرس الحوارى ومعه بولس—وكان من الأتباع ، ولم يكن من الحواريين— إلى رومية ، ٧٣٨/١ وأندراييس ومثى^(١) إلى الأرض التي يأكل أهلها الناس — وهي فيما نرى للأساود — وتوماس إلى أرض بابل من أرض المشرق ، وفيلبس إلى القيروان وقرطاجنة ؛ وهي إفريقية ، ويوحنا إلى دفسوس^(٢) ؛ قرية الفتية أصحاب الكهف ، ويعقوبس إلى أوريشليم ، وهي إيليا بيت المقدس ، وابن تادما إلى العرابية ، وهي أرض الحجاز ، وسيدن إلى أرض البربر دون أفريقية ، ويهوذا — ولم يكن من الحواريين — إلى أريوبس^(٣) ، جعل مكان يوذس زكريا يوطا ، حين أحدث ما أحدث .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمر ابن عبد الله بن عروة بن الزبير ، عن ابن سليم الأنصارى ، ثم الزرقى ، قال : كان على امرأة منا نذرٌ ؛ لتظهرن على رأس الجماء — جبل بالعقيق من ناحية المدينة — قال : فظهرت معها ، حتى إذا استويينا على رأس الجبل ، إذا قبرٌ عظيم ، عليه حجران عظيمان ؛ حجر عند رأسه ، وحجر عند رجله ؛ فهما كتاب بالمسند ، لا أدري ما هو ! فاحتلت الحجريين معى ؛ حتى إذا كنت ببعض الجبل منهبطاً ثقلاً على ، فألقيت أحدهما وهبطت

(١) ت : « ومثى » ، ن : « ومثى » .

(٢) كذا في ط ؛ وفي ياقوت : « أفسوس ، بضم الهمزة وسكون الفاء والسينان مهملتان والواو ساكنة : بلد بثغور طرسوس ؛ يقال إنه بلد أصحاب الكهف » .

(٣) ت : « أرميقس » ، ن : « أربويس » .

٧٣٩/١ بالآخر ، فعرضته على أهل السريانية : هل يعرفون كتابه^(١) ؟ فلم يعرفوه ، وعرضته على مَنْ يكتب بالزبور من أهل اليمن ، ومن يكتب بالمسند فلم يعرفوه . قال : فلما لم أجد أحداً ممن يعرفه ألقيته تحت تابوت لنا ، فكث سنين ، ثم دخل علينا ناس من أهل ماه من الفرس يبتغون^(٢) الخرز ، فقلت لهم : هل لكم من كتاب ؟ فقالوا : نعم ، فأخرجتُ إليهم الحجر ، فإذا هم يعرفونه ، فإذا هو^(٣) بكتابهم : هذا قبر رسول الله عيسى بن مريم عليه السلام إلى أهل هذه البلاد ؛ فإذا هم كانوا أهلها في ذلك الزمان ، مات عندهم فدفنوه على رأس الجبل .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم عدوا على بقية الخواريين يشتمسونهم ويعذبونهم ، وطافوا بهم ، فسمع بذلك ملك الروم - وكانوا تحت يديه ، وكان صاحب وثن - فقيل له : إن رجلاً كان في هؤلاء الناس الذين تحت يدك من بني إسرائيل عدواً عليه فقتلوه ، وكان يخبرهم أنه رسول الله ، قد أراه العجائب ، وأحياهم الموتى ، وأبرأ لهم الأسقام ، وخلق لهم من الطين كهيئة الطير ، ونفخ فيه فكان طائراً^(٤) بإذن الله ، وأخبرهم بالغيوب . قال : ويحكم ! فما منعكم أن تذكروا هذا لي من أمره وأمرهم ! فوالله لو علمت ما خلّيتُ بينهم وبينه . ثم بعث إلى الخواريين ، فانتزعهم من أيديهم ، وسألهم عن دين عيسى وأمره ، فأخبروه خبره ، فتابعهم على دينهم ، واستنزل سرجس^(٥) فغيّبه ، وأخذ خشبته التي صلب عليها ، فأكرمها وصانها لما مسّها منه ، وعدا على بني إسرائيل ، فقتل منهم قتلى كثيرة ؛ فمن هنالك كان أصلُ النصرانية في الروم .

• • •

وذكر بعض أهل الأخبار أن مولد عيسى عليه السلام كان لمضي اثنتين وأربعين سنة من ملك أغوستوس ، وأن أغوستوس عاش بعد ذلك بقية ملكه ،

(١) ن : « كتابته » . (٢) ت : « يبتغون » .

(٣) ح : « فيه » . (٤) ح : « طيراً » .

(٥) ح : « سرجين » .

وكان جميع ملكه ستا وخمسين سنة - قال بعضهم : وأياما .

قال : ووثبت اليهود بالمسيح ، والرياسة ببيت المقدس في ذلك الوقت لقيصر ، والملك على بيت المقدس من قبَل قيصر هيردوس الكبير الذي دخلت عليه رُسُل ملك فارس الذين وجَّههم الملك إلى المسيح ، فصار إلى هيردوس غاطا ، وأخبروه أن ملك فارس بعث بهم ليقرَّبوا إلى المسيح أطفافاً معهم من ذهب ، ومرَّ وليبان ، وأنهم نظروا إلى نجمه قد طلع ، فعرفوا ذلك بالحساب ، وقرَّبوا الأطفاف إليه ببيت لحم من فلسطين . فلما عرف هيردوس خبرهم كاد المسيح ، فطابه ليقتله ، فأمر الله الملك أن يقول ليوسف الذي كان مع مريم في الكنيسة ما أراد هيردوس من قتله ، وأمره أن يهرب بالغلام وأمه إلى مصر ، فلما مات هيردوس قال الملك ليوسف وهو بمصر : إن هيردوس قد مات ، وملك مكانه أركلاوس ابنه ، وذهب مَنْ كان يطلب نفس الغلام ، فانصرف به إلى ناصرة من فلسطين ليتمَّ قول شعيا النبي : من مصر دعوتك . ومات أركلاوس ، وملك مكانه هيردوس الصغير ، الذي صُلب شبهُ المسيح في ولايته ، وكانت الرياسة في ذلك الوقت للملك اليونانية والروم ، وكان هيردوس وولده من قبَلهم ؛ إلا أنهم كانوا يلقَّبون باسم الملك ، وكان الملوك الكبار يلقَّبون بقيصر ، وكان ملك بيت المقدس في وقت الصلب هيردوس الصغير من قبل طيباريوس بن أغوستوس دون القضاء ، وكان القضاء لرجل رومي يقال له : فيلاطوس من قبَل قيصر ، وكانت رياسة الجالوت ليونن بن بهوثن .

قال : وذكروا أن الذي شُبِّهَ بعيسى وصُلب مكانه رجل إسرائيل ، يقال له : أيشوع بن فنديرا . وكان ملكُ طيباريوس ثلاثا وعشرين سنة وأياما منها إلى وقت ارتفاع المسيح ثمانى عشرة سنة وأيام ، ومنها بعد ذلك خمس سنين .

ذكر من ملك من الروم أرض الشام بعد رفع

المسيح عليه السلام

إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم في قول النصارى

قال أبو جعفر : زعموا أن ملك الشام من فلسطين وغيرها صار بعد
طيباريوس إلى جايوس بن طيباريوس ، وأن ملكه كان أربع سنين .
ثم ملك بعده ابن له آخر ، يقال له : قلوديوس أربع عشرة سنة .
ثم ملك بعده نيرون ، الذي قتل فطرس وبولس ، وصلبه منكتسا ، أربع
عشرة سنة .

ثم ملك بعده بوطلايوس ، أربعة أشهر .
ثم ملك بعده أسفسيانوس أبو ططوس الذي وجهه إلى بيت المقدس عشر
سنين . ولمضى ثلاث سنين من ملكه وتمام أربعين سنة من وقت رفع عيسى
عليه السلام وجه أسفسيانوس ابنه ططوس إلى بيت المقدس ، حتى هدمه وقتل
من قتل من بني إسرائيل غضباً للمسيح

٧٤٢/١

ثم ملك بعده ططوس بن أسفسيانوس ، سنتين .
ثم من بعده دو مطيانوس ، ست عشرة سنة .
ثم من بعده نارواس^(١) ، ست سنين .
ثم من بعده طرايانوس^(٢) ، تسع عشرة سنة .
ثم من بعده هدريانوس ، إحدى وعشرين سنة .
ثم ملك من بعده ططورس^(٣) بن بطيانوس ، اثنتين وعشرين سنة .
ثم من بعده مرقوس وأولاده ، تسع عشرة سنة .
ثم من بعده قودوموس^(٤) ، ثلاث عشرة سنة .

(١) ت : « باذاوس » ، س : « نادواس » . (٢) ن : « طرطانوس » .

(٣) س : « طرطوس » . (٤) ح : « قودوموس » ، س : « قوروموس » .

- ثم من بعده فرطناجوس ، ستة أشهر .
 ثم من بعده سبروس (١) ، أربع عشرة سنة .
 ثم من بعده أنطيناوس (٢) ، سبع سنين .
 ثم بعده مرقيانوس ، ست سنين .
 ثم بعده أنطيانوس ، أربع سنين .
 ثم الحسنديروس ، ثلاث عشرة سنة .
 ثم عسيمانوس (٣) ، ثلاث سنين .
 ثم جورديانوس ، ست سنين .
 ثم بعده فليفوس ، سبع سنين .
 ثم داقبوس ، ست سنين .
 ثم قالوس ، ست سنين .
 ثم بعده والرييانوس وقاليونس (٤) ، خمس عشرة سنة .
 ثم قلوديوس ، سنة .
 ثم من بعده قريطاليوس ، شهرين .
 ثم أورليانوس ، خمس سنين .
 ثم طبقطوس ، ستة أشهر .
 ثم فولوريوس ، خمسة وعشرين يوماً .
 ثم فرايوس ، ست سنين .
 ثم قوروس وابناه ، سنتين .
 ثم دوقلطيانوس ، ست سنين .
 ثم محسيمانوس ، عشرين سنة .
 ثم قسطنطينوس ، ثلاثين سنة .
 ثم قسطنطين ، ثلاثين سنة .
 ثم قسطنطين عشرين سنة .

(١) ت : « شيروس » ، ن : « سريوس » . (٢) ت ، ن : « أنطيناوس » .

(٣) ح : « عسانوش » ، س : « عسانوس » ، ن : « عسانوس » .

(٤) ت : « فاليوس » .

ثم اليانوس المنافق ، سنتين .
 ثم يويانوس ، سنة .
 ثم والمطيانوس وخرطيانوس ، عشر سنين .
 ثم خرطانوس ووالنطيانوس الصغير ، سنة .
 ثم تياداسيس الأكبر ، سبع عشرة سنة .
 ثم أرقديوس وأنوريوس ، عشرين سنة .
 ثم تياداسيس الأصغر ووالنطيانوس ست عشرة سنة .
 ثم مرقيانوس ، سبع سنين .
 ثم لاون ، ست عشرة سنة .
 ثم زانون ، ثماني عشرة سنة . ثم أنسطاس ، سبعا وعشرين سنة .
 ثم يوسطنيانوس ، سبع سنين .
 ثم يوسطنيانوس الشيخ ، عشرين سنة .
 ثم يوسطينس^(١) اثنتي عشرة سنة .
 ثم طيباريوس ، ست سنين .
 ثم ريقيس وتاداسيس ابنه ، عشرين سنة .
 ثم فوقا الذي قُتل ، سبع سنين وستة أشهر .
 ثم هيرقل الذي كتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثلاثين سنة .
 فن لادن عمير بيت المقدس بعد تخريبه^(٢) بختنصر إلى الهجرة—على قولهم—
 ألف سنة ونيف ، ومن ملك الإسكندر إليها تسعمائة سنة ونيف وعشرون سنة ،
 من ذلك من وقت ظهوره إلى مولد عيسى ثلاثمائة سنة وثلاث سنين . ومن مولده
 إلى ارتفاعه اثنتان وثلاثون سنة ، ومن وقت ارتفاعه إلى الهجرة خمسمائة وخمس
 وثمانون سنة وأشهر .

• • •

وزعم بعض أصحاب الأخبار أن قتل بني إسرائيل . . . زكرياء كان
 في عهد أردشير بن بابك لثماني سنين خلت من ملكه ، وأن بختنصر إنما صار
 إلى الشام لقتال اليهود من قبيل سابور الجنود ابن أردشير بن بابك

(١) ت ، ح ، ن : « بوسطين » ، س : « بوسطيس » .

(٢) ابن الأثير : « بعد أن أخربه بختنصر » .

نزول قبائل العرب الحيرة والأنبار أيام ملوك الطوائف

وكان من الأحداث أيام ملوك الطوائف إلى قيام أردشير بن بابك بالملك
— فيما ذكر هشام بن محمد — دنو من دننا من قبائل العرب من ريف
العراق ونزول من نزل منهم الحيرة والأنبار وما حوالى ذلك .

فحدثت عن هشام بن محمد، قال : لما مات بختنصر انضم الذين كان
أسكنهم الحيرة من العرب حين أمر بقتالهم إلى أهل الأنبار وبقية الحيرة
خرابا ، فغبروا بذلك زمانا طويلا ، لا تطلع عليهم طالعة من بلاد العرب ،
ولا يقدم عليهم قادم ، وبالأخبار أهلها ومن انضم إليهم من أهل الحيرة من
قبائل العرب من بنى إسماعيل وبنى معد بن عدنان ؛ فلما كثر أولاد معد
ابن عدنان ومن كان معهم من قبائل العرب ، وملثوا بلادهم من تيهامة وما يليهم ،
فرقتهم حروب وقعت بينهم ، وأحداث حدثت فيهم ، فخرجوا يطلبون المتسع
والريف فيما يليهم من بلاد اليمن ومشارف الشام ، وأقبلت منهم قبائل حتى
نزلوا البحرين ، وبها جماعة من الأزدي كانوا نزلوها في دهر عمران بن عمرو ،
من بقايا بنى عامر ، وهو ماء السماء بن حارثة^(٢) ، وهو الغطريف بن ثعلبة بن
امرئ القيس بن مازن بن الأزدي^(٣) .

وكان الذين أقبلوا من تيهامة من العرب مالك وعمرو ابنا فهيم بن تيم الله
ابن أسد بن وبيرة بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ،
ومالك بن زهير بن عمرو بن فهيم بن تيم الله بن أسد بن وبيرة ، في جماعة من

(١) ح ، وابن الأثير : « وبقية الحيرة » . . . (٢) ت « حارية » .

(٣) في معجم البلدان ٣ : ٢٧٨ : « ومازن هو جماع غسان ، وغسان ماء شرب منه بنومازن
فسموا غسان ، ولم تشرب منه خزاعه ولا أسد ولا بارق ولا أزد عمان ؛ فلا يقال لواحد من هذه القبائل
غسان ، وإن كان من أولاد مازن » .

قومهم ، والحيفقار^(١) بن الحيق^(٢) بن عمير بن قنص بن معد بن عدنان ،
في قنص كلها . ولحق بهم غطفان بن عمرو بن الطمّثان بن عوذ مناة بن يقدم
ابن أفصى بن دغمي بن إياد بن نزار بن معد بن عدنان ، وزهر^(٣) بن
الحارث بن الشلل^(٤) بن زهر بن إياد وصبح ، بن صبيح^(٥) بن الحارث بن
أفصى بن دغمي بن إياد .

٧٤٦/١

فاجتمع بالبحرين جماعة من قبائل العرب ، فتحالفوا على التّنوخ - وهو
المقام - وتعاقدوا على التوازر والتناصر ، فصاروا بدأ على الناس ، وضمّتهم
اسم تنوخ ، فكانوا بذلك الاسم ، كأنهم عمارة من العمائر .

قال : وتَنَخ عليهم بطون من نُمارة بن لحم . قال : ودعا مالك بن زهير
جدّ يمة الأبرش بن مالك بن فهم بن غانم بن أدوس الأزدي إلى التّنوخ معه ،
وزوجه أخته لميس ابنة زهير ، فتَنَخ جدّ يمة بن مالك وجماعة ممن كان بها
من قومهم من الأزدي ، فصار مالك وعمرو ابنا فهم والأزد حلفاء دون سائر
تنوخ ، وكلمة تنوخ كلها واحدة .

٧٤٧/١

وكان اجتماع من اجتمع من قبائل العرب بالبحرين وتحالفهم وتعاقدهم أزمان
ملوك الطوائف الذين ملكهم الإسكندر ، وفرّق البلدان بينهم عند قتله دارا بن
دارا ملك فارس ، إلى أن ظهر أردشير بن بابك ملك فارس على ملوك الطوائف ،
وقهرهم ودان له الناس ، وضبط له الملك .

قال : وإنما سُمّوا ملوك الطوائف ؛ لأن كل ملك منهم كان ملكه قايلا من
الأرض ، إنما هي قصور وأبيات ، وحولها خندق وعدوه قريب منه ، له من
الأرض مثل ذلك ونحوه ، يُغيّر أحدهما على صاحبه ثم يرجع كالخطفة .

قال : فتطلعت أنفس من كان بالبحرين من العرب إلى ريف العراق ،

(١) ابن الأثير ١ : ١٩٦ ومعجم البلدان : « الحيقاد » ، وابن خلدون ٢ : ٤ : « الحيفقار » .

(٢) معجم البلدان : « الحيوّة » .

(٣) ابن خلدون : « زهير » .

(٤) ح : « السلل » وفي ابن خلدون : « الليل » .

(٥) في ط من غير فقط ؛ وما أثبتته عن ابن خلدون .

وظمعوها في غلبة الأعاجم على ما يلي بلاد العرب منه أو مشاركتهم فيه ، واهتبلوا ما وقع بين ملوك الطوائف من الاختلاف ، فأجمع رؤسائهم بالمسير^(١) إلى العراق ، ووطن جماعة ممن كان معهم على ذلك ؛ فكان أول من طلع منهم الحيقار بن الحيق في جماعة قومه وأخلاق من الناس ، فوجدوا الأرمانيين - وهم الذين بأرض بابل وما يليها إلى ناحية الموصل - يقاتلون الأردوانيين ، وهم ملوك الطوائف ؛ وهم فيما بين نيفر^(٢) - وهي قرية من سواد العراق إلى الأبلّة وأطراف البادية - فلم تدن لهم ، فدفعوهم عن بلادهم .

قال : وكان يقال لعاد إرم ، فلما هلكت قيل لشمود إرم ، ثم سموا الأرمانيين ؛ وهم بقايا إرم ، وهم نبط السواد . ويقال لدمشق : إرم .

قال : فارتفعوا عن سواد العراق وصاروا أشلاء بعد في عرب الأنبار وعرب الحيرة ، فهم أشلاء قنص بن معد ، وإليهم ينسب عمرو بن عدى بن نصر ابن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سعود بن مالك بن عمم بن نمار بن لحم . وهذا قول مضر^(٣) وحماد الرواية ؛ وهو باطل ، ولم يأت في قنص ابن معد شيء أثبت من قول جبير بن مطعم : إن النعمان كان من ولده . قال : وإنما سميت الأنبار أنبار لأنها كانت تكون فيها أنابير الطعام ، وكانت تسمى الأهراء^(٤) ، لأن كسرى يرزق أصحابه رزقهم منها .

قال : ثم طلع مالك وعمرو ، ابنا فهيم بن تيم الله ، ومالك بن زهير بن فهيم بن تيم الله ، وغطفان بن عمرو بن الطمّثان ، وزهر بن الحارث وصبح ابن صبيح ؛ فيمن تنخ عليهم من عشائهم وحلفائهم على الأنبار ، على ملك الأرمانيين ، فطلع نمار بن قيس بن نمار ، والنجدة - وهم قبيلة من العماليق يدعون إلى كندة - وملكان بن كندة ، ومالك وعمرو ابنا فهيم ومن حالفهم ، وتنخ معهم على نيفر على ملك الأردوانيين ؛ فأنزلهم الحير الذي كان بناه

(١) ابن الأثير ١ : ١٩٦ : « على المسير » .

(٢) كذا ضبطها ياقوت : « بكسر أوله وتشديد ثاويه وزاء » .

(٣) ابن خلدون : « عند نسبة مضر » .

(٤) قال ياقوت : « فلما دخلتها العرب عربتها فقالت الأنبار » .

بختنصر لتجار العرب الذين وُجدوا^(١) بحضرته حين أمر بغزو العرب في بلادهم ، وإدخال الجيوش عليهم ، فلم تزل طالعة الأنبار وطالعة نيفر على ذلك ، لا يدينون للأعاجم ، ولا تدين لهم الأعاجم ؛ حتى قدمها تبع - وهو أسعد أبو كرب بن ملكيكرب - في جيوشه ، فخلّف بها من لم تكن به قوة من الناس ، ومن لم يقوَ على المضيّ معه ، ولا الرجوع إلى بلاده ، وانضموا إلى هذا الحير ، واختلطوا بهم ؛ وفي ذلك يقول كعب بن جُعيل بن عُجْرَةَ بن قُمير بن ثعلبة بن عوف بن مالك بن بكر بن حُيَيْب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل :

وَغَزَا تُبَعُّ فِي حَمِيرٍ حَتَّى نَزَلَ الْحَيْرَةَ مِنْ أَهْلِ عَدَنَ

وخرج تبع سائراً ثم رجع إليهم ، وأقاموا فأقرتهم على حالهم ، وانصرف راجعاً إلى اليمن ، وفيهم من كل القبائل من بني ليحيان ، وهم بقايا جرهم ؛ وفيهم جُمُعَى ، وطِيء ، وکلب ، وتميم ؛ وليسوا إلا بالحيرة - يعنى بقايا جرهم . قال ابن الكلبي : ليحيان بقايا جرهم .

ونزل كثير من تنوخ الأنبار والحيرة وما بين الحيرة إلى طفّ الفرات وغربيته ، إلى ناحية الأنبار وما والاها في المظال والأخبية ، لا يسكنون بيوت المدّر ، ولا يجامعون أهلها فيها ، واتّصلت جماعتهم فيما بين الأنبار والحيرة ، وكانوا يسمّون عرب الضاحية ؛ فكان أول من ملك منهم في زمان ملوك الطوائف مالك بن فهّم ، وكان منزله مما^(٢) إلى الأنبار . ثم مات مالك ، فملك من بعده أخوه عمرو بن فهّم . ثم هلك عمرو بن فهّم ، فملك من بعده جديمة الأبرش بن مالك بن فهّم بن غنم^(٣) بن أدوس الأزدي .

قال ابن الكلبي : أدوس بن عدنان بن عبد الله بن نصر بن زهران ابن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزدي بن

(١) كذا في ح ، وفي ط : « وجد »

(٢) ت ، ح : « فيما » .

(٣) في ط « غانم » ، والصواب ما أثبتته من جمهرة الأنساب ٣٥٨ .

الغوٲ بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا .

• • •

قال ابن الكلبي : ويقال إن جديمة الأبرش من العاربة الأولى ، من بني وبّار بن أميم بن لوذ بن سام بن نوح . قال : وكان جديمة من أفضل ملوك العرب رأيا ، وأبعدهم مغاراً ، وأشدّهم نيكابة ، وأظهرهم حزماً ، وأول من استجمع له الملك بأرض العراق ؛ وضمّ إليه العرب ، وغزا بالجيوش ، وكان به برّص ، فكنت العرب عنه ، وهابت العرب أن تسديّه به وتنسبه إليه إعظاماً له ، فقيل : جديمة الوضّاح ، وجديمة الأبرش ؛ وكانت منازلها فيما بين الحيرة والأنبار وبقّة وهيت وناحيتها ، وعين التّمّر ، وأطراف البرّ إلى الغويّر (١) والقُطْقُطانة وخفّية وما والاها ، وتُجسبيّ إليه الأموال ، وتنفد إليه الوفود ، وكان غزا طسما وجديسا في منازلهم من جنّ وما حولهم ؛ وكانت طسم وجديس يتكلمون بالعربية ، فأصاب حسان بن تبع أسعد أبي كرب ، قد أغار على طسم وجديس باليمامة ، فانكفاً جديمة راجعاً بمن معه ، وتأتى خيول تبع على سريّة لجديمة فاجتاحتها ، وبلغ جديمة خبرهم ، فقال جديمة (٢) :

رُبّما أوفيتُ في علمٍ ترَفَعَن بُرْدِي شمالات (٣)
في فتوّ أنا كالثهم في بلايا غزوة باتوا (٤)
ثمّ أبنا غانمي نعم وأناسٌ بعدنا ماتوا
نَحْنُ كُنّا في تمرهم إذ مرّ القوم خوات
ليت شعري ما أماتهم نحنُ أدلجنا وهمُ باتوا (٥)

(١) ط : « الغمير » وانظر معجم البلدان .

(٢) وردت أبيات من هذه القصيدة في سيبويه ٢ : ١٥٤ ، وابن سلام ٣٢ ، ٣٣ ، والأغاني

١٤ ، ٧٣ ، والمؤتلف للآمدي ٣٤ . والحزاة ٤ : ٥٦٧ ؛ مع اختلاف في الرواية .

(٣) أوفيت : أشرفت ، والعلم : المرتفع من الأرض ، والشمالات : جمع الشمال ؛ من الرياح

والنون في « يرفعن » ، تأكيد للفعل ضرورة .

(٤) فتو : جمع فتى ، وكالثهم : حافظهم . (٥) الإدلاج : سير الليل كله .

وَلَنَا كَانُوا وَنَحْنُ إِذَا قَالَ مِنَّا قَائِلٌ صَاتُوا
 وَلَنَا أَلْبِيدُ أَلْبِمَادُ الَّتِي أَهْلَهَا السُّودَانُ أَشْتَاتُ
 ثُبَّةُ الْأَخْيَارِ شَاهِدَةٌ ذَا كُمْ قَوْمِي وَأَهْلَاتِي (١)
 قَدْ شَرِبْتُ الْخَمْرَ وَسَطَّهْمُ نَاعِمًا فِي غَيْرِ أَصْوَاتِ
 فَعَلَى مَا كَانَ مِنْ كَرَمٍ فَسَتَّبِكِنِي بُنْيَاتِي
 أَنَا رَبُّ النَّاسِ كُلِّهِمْ غَيْرَ رَبِّي الْكَافِتِ الْفَاتِ

يعنى بالكافت الذى يكفت أرواحهم ، والفات الذى يفيتهم (٢) أنفسهم ؛
 يعنى الله عز وجل .

قال ابن الكلبي : ثلاثة أبيات منها حق ، والبقية باطل .
 قال : وفي مغازيه وغاراته على الأمم الحالية من العاربة الأولى يقول الشاعر
 في الجاهلية :

أَضْحَى جَذِيمَةٌ فِي يَبْرِينَ مَنَزِلِهِ قَدْ حَارَ مَا جَمَعَتْ فِي دَهْرَهَا عَادُ ٧٥٢/١

فكان جذيمة قد تنبأ وتكهن ، واتخذ صنمين ، يقال لهما : الضيزنان -
 قال : ومكان الضيزنين بالحيرة معروف - وكان يستسقى بهما ويستنصر بهما
 على العدو ، وكانت إياد بعين أباغ ، وأباغ رجل من العماليق ، نزل بتلك
 العين ، فكان يغازيهم ؛ فذكر لجديمة غلام من لحم في أخواله من إياد
 يقال له عدى بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سعود بن مالك بن
 عم بن نُمارة بن لحم . له جمال وظرف ، فغزاهم جذيمة ، فبعث إياد قومًا
 فسقوا سدنة الصنمين الحمر ، وسرقوا الصنمين ، فأصبحا في إياد ، فبعث
 إلى جذيمة : إن صنميك أصبحا فينا ، زهداً فيك ورغبة فينا ؛ فإن أوثقت لنا
 ألا تغزونا رددناهما إليك .

قال : وعدى بن نصر تدفعونه إلى . فدفعوه إليه مع الصنمين ، فانصرف

(١) ط : « ثبوة » . وفي البيت وما بعده إقواء . وانظر حواشى ط .

(٢) ط : « يفيتهم » .

عنهم ، وضمّ عديّاً إلى نفسه ، وولاه شرابه ، فأبصرته رقاش ابنة مالك
أخت جذيمة ، فعشمته وراسلته ، وقالت : يا عدى ، اخطبني إلى الملك ،
فإن لك حسباً وموضعاً ، فقال : لا أجتري على كلامه في ذلك ، ولا أطمع
أن يزوجنيك ، قالت : إذا جلس على شرابه ، وحضره ندماءؤه ، فاسقيه
صيرفاً ، واسق القوم مزاجاً ، فإذا أخذت الخمره فيه ، فاخطبني إليه ، فإنه
لن يردك ، ولن يمتنع منك ؛ فإذا زوّجك فأشهد القوم ؛ ففعل الفتى ما أمرته
به ، فلما أخذت الخمره مأخذها خطبها إليه ، فأملكه إياها ، فانصرف
إليها ، فأعرس بها من ليلته ، وأصبح مضرباً بالخلوق ، فقال له جذيمة
- وأنكر ما رأى به : ما هذه الآثار يا عدى ؟ قال : آثار العرس ، قال
أى عرس ! قال : عرس رقاش ! قال : من زوّجكها ويحك ! قال :
زوّجنيها الملك ، ففرضب جذيمة بيده على جبهته ، وأكب على الأرض ندامة
وتلهفاً ، وخرج عدى على وجهه هارباً ، فلم ير له أثر ، ولم يُسمع له
بذكر ، وأرسل إليها جذيمة ، فقال :

حَدَّثْنِي وَأَنْتِ لَا تَكْذِبِينِي أَبْحَرُّ زَنْيْتِ أُمِّ بَهَجِينِ !
أُمِّ بَعْبِدِ فَأَنْتِ أَهْلُ لِعَبْدِ أُمِّ بَدُونِ فَأَنْتِ أَهْلُ لِدُونِ
فَقَالَتْ : لَا بَلْ أَنْتِ زَوْجَتِي امْرَأَ عَرَبِيًّا ، مَعْرُوقًا حَسِيْبًا ، وَلَمْ تَسْتَأْمِرْتِي
فِي نَفْسِي ، وَلَمْ أَكُنْ مَالِكَةً لِأَمْرِي ؛ فَكَفَّ عَنْهَا ، وَعَرَفَ عَذْرَاهَا .
ورجع عدى بن نصر إلى إياد ، فكان فيهم ، فخرج ذات يوم مع فتية
متصيديين ، فرمى به فتى منهم من لُهب فيما بين جبلين ، فتنكس فمات ،
واشتملت رقاش على حبَل (١) ، فولدت (٢) غلاماً ، فسَمَّته عمرًا ورشحته (٣) ؛
حتى إذا ترعرع عطّرتّه وألبسته وحلته ، وأزارته نخاله جذيمة ، فلما رآه أعجيب
به ، وألقبت عليه منه مِقة ومِجة ، فكان يختلف مع ولده ، ويكون معهم .
فخرج جذيمة متبدياً بأهله وولده في سنة خصبة مكلّثة ، ففرضبت له أبنية
في روضة ذات زهرة وغدُر (٤) ، وخرج ولده وعمره معهم يجتنون الكمأة ،

(١) ح : « حمل » . (٢) كذا في ابن الأثير ، وفي ط : « فتلك » .

(٣) رشحته ، أى ربه . (٤) غدر : جمع غدير .

فكانوا إذا أصابوا كماءً جيّدةً أكلوها ، وإذا أصابها عمرو خبأها في حُجْرَتِهِ (١) فانصرفوا إلى جذيمة يتعادون ، وعمرو يقول :

هَذَا جَنَائِي وَخِيَارُهُ فِيهِ إِذْ كَلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ

فضمّه إليه جذيمة والبتزمه ، وسرّ بقوله وفعله ، وأمر فجعل له حلّ من فضة وطوق ، فكان أولَ عربيّ ألبس طوقاً ، فكان يسمّى عمرّاً إذا الطوق ، فبينما هو على أحسن حاله ، إذ استطارته الجنّ فاستهوته ، فضرب له جذيمة في البلدان والآفاق زماناً لا يقدر عليه . قال : وأقبل رجلان أخوان من بَلْتَقِينِ - يقال لهما : مالك وعقيل ، ابنا فارح بن مالك بن كعب بن القيس بن جسر ابن شيع الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة - من الشام يريدان جذيمة ، قد أهدبا له طرُفاً ومتاعاً ، فلما كانا ببعض الطريق نزلا منزلاً ، ومعهما قبينة لهما يقال لها : أمّ عمرو ، فقدّمت إليهما طعاماً ، فبينما هما يأكلان إذ أقبل فتى عُرِيَانِ شاحب ، قد تلبّد شعره ، وطالت أظفاره ، وساءت حاله ، فجاء حتى جلس حَجْرَةَ (٢) منهما ، فدّ يده يريد الطعام ، فناولته القبينة كُرَاعاً (٣) ، فأكلها ثم مدّ يده إليها ، فقالت : وتعطي العبد كُرَاعاً فيطعم في الذراع ، فذهبت مثلاً ، ثم ناولت الرجلين من شراب كان معها ، وأوكت زِقْمًا (٤) ، فقال عمرو بن عدى :

صَدَدْتُ الْكَأْسَ عَنَّا أُمَّ عَمْرٍو وَكَانَ الْكَأْسُ مَجْرَاهَا الْيَمِينَا (٥)

وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أُمَّ عَمْرٍو بِصَاحِبِكَ الَّذِي لَا تَصْحَبِينَا (٦) ١

فقال مالك وعقيل : من أنت يا فتى ؟ فقال : إن تنكّراني أو تنكرا نسي ، فإني أنا عمرو بن عدى ، ابن تنوخية ، اللخمي ، وغداً ما تربياني في نمارة غير معصيّ .

(١) الحجزة : مفرد الإزار ، وفيت : حبرته . (٢) الحجرة : الناحية .

(٣) الكراع : مستند الساق من البقر الغنم .

(٤) الزق : السقاء ، وأوكتي الزق : ربطه وشد عليه .

(٥) البيتان ينسبان إلى عمرو بن كلثوم ، وهما في مملته ص ٢١١ - بشرح التبريزي .

(٦) في المملقات : لا تصحبينا .

فنهضا إليه فضماه وغسلا رأسه، وقلما أظفاره، وأخذنا من شعره وألبسناه
 بما كان معهما من الثياب وقالا : ما كنا لنُهدِيَ بلحديمة هدية أنفسنا
 عنده، ولا أحب إليه من ابن أختيه، قد رده الله عليه بنا. فخرجا به، حتى
 دفعا إلى باب جنديمة بالحيرة، فبشراه، فسر بذلك سرورا شديداً، وأنكره
 لحال (١) ما كان فيه، فقالا : أبيت اللعن ! إن من كان في مثل حاله يتغير .
 فأرسل به إلى أمه، فكث عندها أياماً ثم أعادته إليه، فقال : لقد رأيتُه يوم
 ذهب وعليه طوق، فما ذهب عن عيني ولا قلبي إلى الساعة، فأعادوا عليه
 الطوق، فلما نظر إليه قال : « شب عمرو عن الطوق »، فأرسلها مثلاً، وقال
 لمالك وعقيل : حُكْمَكُمَا ، قالا : حُكْمُنَا منادمتك ما بقينا وبقيت !
 فهما ندما نا جنديمة اللذان ضربا مثلاً في أشعار العرب، وفي ذلك يقول
 أبو خراش الهذلي :

لَعَمْرُكَ مَا مَلَّتْ كَبِيْشَةُ طَلْعَتِي وَإِنْ ثَوَانِي عِنْدَهَا لَقَلِيلُ (٢)
 أَلَمْ تَعْلَمِي أَنْ قَدْ تَفَرَّقَ قَبْلَنَا نَدِيهَا صَفَاءُ مَالِكٍ وَعَقِيلُ

وقال مُتَمِّمُ بْنُ نُوَيْرَةَ :

وَكُنَّا كَدَدِمَانِي جَدِيْمَةَ حِقْبَةَ مِنْ الدَّهْرِ حَتَّى قَبِيلٍ لَنْ يَتَّصِدَّعَا (٣)
 فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لِطُولِ اجْتِمَاعِ لَمْ نَبِتْ لَيْلَةً مَعَا

وكان ملك العرب بأرض الجزيرة ومشارف بلاد الشام عمرو بن ظرب
 ابن حسان بن أذينة بن السَّمِيدَع بن هوبر العمليّ - ويقال العمليّ، من

(١) ن : « بحال » .

(٢) ديوان الهذليين ٢ : ١١٦ . والثواء : المقام ، وبعد البيت الأول وقبل الثاني :

تَقُولُ أَرَاهُ بَعْدَ عُرْوَةَ لَاهِيَا وَذَلِكَ رُزْءٌ أَوْ عَلِمْتَ جَلِيلُ
 وَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَنَاسَيْتُ عَهْدَهُ وَلَكِنَّ صَبْرِي يَا أُمِيمَ جَمِيلُ

(٣) من قصيدة مفضلية ص ٢٦٧ .

عاملة العماليق ، فجمع جنديمة جموعاً من العرب ، فسار إليه يريد غزاته ، وأقبل عمرو بن ظرب بجموعه من الشام ، فالتقوا ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل عمرو بن ظرب ، وانفضت جموعه ، وانصرف جنديمة بمن معه سالمين غانمين ، فقال في ذلك الأعور بن عمرو بن هناة بن مالك بن فهم الأزدي :

كَانَ عَمْرُو بْنُ ثَرْبِي لَمْ يَعْشْ مَلِكًا وَلَمْ تَكُنْ حَوْلَهُ الرَّايَاتُ تَخْتَفِقُ (١)
لَاقَى جَذِيمَةَ فِي جَاوَاءَ مُشْعِلَةٍ فِيهَا حَرَّاشِفُ بِالنَّيْرَانِ تَرْتَشِقُ (٢)

فلكت من بعد عمرو ابنته الزباء واسمها نائلة ، وقال في ذلك القعقاع بن الدرماء الكلبي :

أَتَعْرِفُ مَنْزِلًا بَيْنَ الْمُنَقَى وَبَيْنَ مَجْرٍ نَائِلَةَ الْقَدِيمِ

وكان جنود الزباء بقايا من العماليق والعاربة الأولى ، وتزيد وسليح ابني حُلوان ابن عمران بن الحاف بن قضاة ، ومن كان معهم من قبائل قضاة ، وكانت للزباء أخت يقال لها زبيبة ، فبنت لها قصرأ حصيناً على شاطئ الفرات الغربي ، وكانت تشتو عند أختها ، وتربع ببطن النجار . وتصير إلى تدمر . فلما أن استجمع لها أمرها ، واستحكمت لها ملكها ، أجمعت لغزو جنديمة الأبرش تطلب بثأر أبيها ، فقالت لها أختها زبيبة - وكانت ذات رأي ودهاء وإرب : يا زباء ؛ إنك إن غزوت جنديمة فإنما هو يوم له ما بعده ؛ إن ظفرت أصبت ثارك ، وإن قتلت ذهب ملكك ، والحرب سبجال ، وعثراتها لا تستقال (٣) ، وإن كعبك لم يزل سامياً على من ناواك وساماك ، ولم ترى بؤساً ولا غيراً ، ولا تدرين لمن تكون العاقبة ، وعلى من تكون الدائرة ! فقالت لها الزباء : قد أدت النصيحة ، وأحسنت الروية ، وإن الرأي ما رأيت ، والقول ما قلت . فانصرفت عما كانت أجمعت عليه من غزو جنديمة ، ورفضت ذلك ، وأنت

(١) البيان في شرح المقامات للشريشي ٢ : هـ

(٢) الجأواء : الكتيبة . والحريش : الرجال ؛ شهبوا بجماعة الجراد .

(٣) ح : هـ تنال .

أمرها من وجوه الختل^(١) والخذع والمكر. فكتبت إلى جذيمة تدعوه إلى نفسها وملكها، وأن يصل بلادها ببلادها. وكان فيما كتبت به: أنها لم تجد ملك النساء إلا إلى قبيح في السماع، وضعف في السلطان، وقلة ضبط المملكة، وإنما لم تجد لملكها موضعاً، ولا لنفسها كفتاً غيرك، فأقبل إلى، فاجمع ملكي إلى ملكك، وصل بلادى ببلادك، وتقلد أمرى مع أمرك.

فلما انتهى كتاب الزباء إلى جذيمة، وقدم عليه رسلها استخفه ما دعته إليه، ورغب فيما أطمعته فيه، وجمع إليه أهل الحجى والنهى، من ثقات أصحابه، وهو بالبقعة من شاطئ الفرات، فعرض عليهم ما دعته إليه الزباء، وعرضته عليه، واستشارهم في أمره، فأجمع رأيهم على أن يسير إليها، ويستولي على ملكها. وكان فيهم رجل يقال له قصير بن سعد بن عمر^(٢) بن جذيمة بن قيس بن ربي^(٣) بن نمارة بن لخم. وكان سعد تزوج أمةً لجذيمة، فولدت له قصيراً، وكان أريباً حازماً، أثيراً عند جذيمة، ناصحاً، فخالفهم فيما أشاروا به عليه، وقال: «رأى فاتر، وغدر حاضر»، فذهبت مثلاً. فرادوه الكلام ونازعوه الرأي، فقال: «إني لأرى أمراً ليس بالخسا ولا الزكا»^(٤)، فذهبت مثلاً. وقال لجذيمة: اكتب إليها، فإن كانت صادقةً فلتقبل إليك؛ وإلا لم تمكنها من نفسك، ولم تقع في جبالها، وقد وترتها، وقتلت أباهما. فلم يوافق جذيمة ما أشار به عليه قصير، فقال قصير:

إِنِّي أَمْرٌ لَا يُمِيلُ الْعَجْزُ تَرْوِيَّتِي إِذَا أَتَتْ دُونَ شَيْءٍ مِرَّةً الْوَدَمَ

فقال جذيمة: لا ولكنك امرؤ رأيتك في الكين لا في الضح، فذهبت مثلاً. فدعا جذيمة ابن أخته عمرو بن عدى فاستشاره، فشجعه على المسير،

(١) ح: «الحيل».

(٢) في الأغاني وابن خلدون والشريشي: «عمرو».

(٣) كذا في س وفي ابن خلدون: «إربي».

(٤) من قول العرب للزوج زكا وللغرد خسا؛ ومنه: «ما أدري كم حدثني أبي عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم: أخسا أم زكا». وانظر اللسان - خسا.

وقال : إن^(١) نُمارة قومي مع الزبباء ، ولو قدروا لصاروا معك ، فأطاعه وعصى قصيراً ، فقال قصير : « لا يطاع لقصير أمر » ، وفي ذلك يقول نهشل بن حرتي ابن ضمرة بن جابر التميمي :

وَمَوْلَى عَصَانِي وَاسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ كَمَا مَأَمَّ يُطْعَمُ بِالْبَقْتَيْنِ قَصِيرٌ^(٢)
فَلَمَّا رَأَى مَا غِيبَ أَمْرِي وَأَمْرِهِ وَوَلَّتْ بِأَعْجَازِ الْأُمُورِ صُدُورٌ^(٣)
تَمَى تَنْيِشًا أَنْ يَكُونَ أَطَاعَنِي وَقَدْ حَدَّثَتْ بَعْدَ الْأُمُورِ أُمُورٌ

وقالت العرب : « ببقة أبرم الأمر » ، فذهبت مثلاً ، واستخلف جذيمة عمرو بن عدى على ملكه وسلطانه ، وجعل عمرو بن عبد الجين الجرمي معه على خيوله ، وسار في وجوه أصحابه ، فأخذ على الفرات من الجانب الغربي . فلما نزل الفرصة دعا قصيراً ، فقال : ما الرأي ؟ قال : « ببقة تركت الرأي » ، فذهبت مثلاً ، واستقبلته رُسُلُ الزبباء بالهدايا والأطاف ، فقال : يا قصير . كيف ترى ؟ قال : « خَطَرٌ يسيرٌ في خَطْبِ كبيرٍ »^(٤) ، فذهبت مثلاً ، وستلقاك الخيول ؛ فإن سارت أمامك فإن المرأة صادقة ؛ وإن أخذت جنبيك وأحاطت بك من خلفك ؛ فإن القوم غادرون ، فاركب العصا - وكانت فرساً بلحذية لا تجاري - فإنني راكبها ومسايرك عليها . فلقيته الخيول والكتائب ، فحالت بينه وبين العصا . فركبها قصير ، ونظر إليه جذيمة مولياً على متنها ، فقال : « ويل أمه حزمًا على ظهر العصا ! » ، فذهبت مثلاً ، فقال : يا ضل ما تجرى به العصا ! وجرت به إلى غروب الشمس ثم ذفقت ، وقد قطعت أرضاً بعيدة . فبني عليها بُرجًا يقال له برج العصا . وقالت العرب : « خير ما جاءت به العصا » ، مثل تضربه .

وسار جذيمة . وقد أحاطت به الخيول ، حتى دخل على الزبباء ، فلم

(١) ح : « إنما » ، وكذا في ابن الأثير .

(٢) الأبيات في اللسان ٨ : ٢٤١ ، وياقوت ٢ : ٢٥٣ .

(٣) في ط : « فلما تبين » ، وأثبت ما في ياقوت واللسان .

(٤) في مجمع الأمثال ن ١ : ٢٣٣ : « خطب يسير » .

رأته تكشفت فإذا هي مصفورة الإسب^(١)، فقالت: يا جذيمة « أدأب عروس ترى ! »^(٢)، فذهبت مثلاً، فقال: بلغ المدى، وجف الثرى، وأمر غدر أرى، فقالت: « أما وإلهي ما بنا من عدم مَوَّاس، ولا قلة أواس؛ ولكنه شيمة ما أناس »^(٣). فذهبت مثلاً، وقالت: إني أنبت أن دماء الملوك شفاء من الكلب، ثم أجلسه على نطع، وأمرت بَطَسْتُ من ذهب، فأعدته له وسقته من الحمر حتى أخذت مأخذها منه، وأمرت براهشيه فقطعا، وقدّمت ٧٦١/١ إليه الطَّسْتُ، وقد قيل لها: إن قَطَرَ من دمه شيء في غير الطَّسْتُ طلب بدمه - وكانت الملوك لا تُقتل بضرب الأعناق إلا في قتال، تَكْرِمَةً للملك - فلما ضعفت يداه سقطتا، فقَطَرَ من دمه في غير الطست، فقالت: لاتصيتوا دم الملك، فقال جذيمة: « دعوا دما ضيَّعه أهله »، فذهبت مثلاً، فهلك جذيمة واستبقت^(٤) الزباء دمه، فجعلته في بئرس^(٥) قطن في ربعة لها، وخرج قصير من الحى الذى هلكت العصا بين أظهرهم؛ حتى قدم على عمرو ابن عدى وهو بالحيرة، فقال له قصير: أدائر أم نائر^(٦)، قال: لا، بل نائر سائر، فذهبت مثلاً، ووافق قصير الناس وقد اختلفوا، فصارت طائفة منهم مع عمرو بن عبد الجنّ الجرمي، وجماعة منهم مع عمرو بن عدى؛ فاختلف بينهما قصير حتى اصطالحا؛ وانقاد عمرو بن عبد الجنّ لعمرو بن عدى، ومال إليه الناس، فقال عمرو بن عدى في ذلك:

- (١) ت، س: « الاست »، ح: « السوة ». والاسب: شعر الاست .
(٢) كذا في الطبرى وابن الأثير وتجارب الأمم ٩: وفي المغتالين من الأشراف ١١٤:
« أذات عروس »، وفي المسعودى ٢: ٩٤: « أى متاع - بس »؛ وبعدها في الأغاني ١٤: ٧٤:
« بل أرى متاع أمة لكما غير ذات خفر » .
(٣) في الأغاني: « شيمة من أناس » .
(٤) كذا في ح، وفي ط: « واستشفت »، وفي المسعودى: « استصفت » .
(٥) كذا في ط، وفي المسعودى: « وجعلته في برنية » .
(٦) في الميداني: « أثار أنت » .

دَعَوْتُ ابْنَ عَبْدِ الْحَنِ لِّلْسَلْمِ بَعْدَ مَا تَتَابَعَ فِي غَرَبِ السَّفَاهِ وَكَلَّمَا (١)
فَلَمَّا ارْعَوَى عَن صَدَّنَا بِاعْتِرَامِهِ مَرَيْتُ هَوَاهُ مَرِيَّ آمٍ رَوَائِمَا

فقال عمرو بن عبد الجحى مجيباً له :

أَمَّا وَدِمَاءَ مَائِرَاتٍ تَخَالِهَا عَلَى قَلَّةِ الْعُزَّى أَوْ النَّسْرِ عِنْدَمَا
وَمَا قَدَّسَ الرَّهْبَانُ فِي كُلِّ هَيْكَلٍ أَبِيلَ الْأَبِيلِينَ الْمَسِيحِ بَنَ مَرِيَمَا ٧٦٢/١

— قال : هكذا وجد الشعر ليس بتام ؛ وكان ينبغي أن يكون البيت الثالث :
« لقد كان كذا وكذا » —

— فقال قصير لعمر بن عدى : تهباً واستعدت ، ولا تطيل دم خالك .
قال : وكيف لي بها وهي أمنع من عقاب الجوى ؟ فذهبت مثلاً ، وكانت
الزباء سألت كاهنة لها عن أمرها وملكها ، فقالت : أرى هلاكك بسبب
غلام مهين ؛ غير أمين ، وهو عمرو بن عدى ؛ ولن تموتى بيده ، ولكن حتفك
بيدك ، ومن قبله ما يكون ذلك . فحدرت عمراً ، واتخذت نفقاً من مجلسها
الذى كانت تجلس فيه إلى حصن لها داخل مدينتها ، وقالت : إن فجأتني
أمر دخلت النفق إلى حصنى . ودعت رجلاً مصوراً أجود أهل بلادها تصويراً ،
وأحسنهم عملاً لذلك ، فجهزته وأحسنته إليه ، وقالت له : سر حتى تقدم
على عمرو بن عدى متكرراً ، فتخلو بحشمه ، وتنضم إليهم ، وتخالطهم وتعلمهم
ما عندك من العلم بالصور . والثقافة له ؛ ثم أثبت عمرو بن عدى معرفة ،
وصوره جالساً وقائماً ، وراكباً ومتفضلاً ، ومتسلحاً بهيئته ولبسته وثيابه ولونه ؛
فإذا أحكمت ذلك ، فأقبل إلى .

فانطلق المصور حتى قدم على عمرو ، وصنع الذى أمرته به الزباء ،
وبلغ ما أوصته به ، ثم رجع إليها بعلم ما وجهته له من الصور على ما وصفت
له ، وأرادت أن تعرف عمرو بن عدى ، فلا تراه على حال إلا عرفتته وحدرتة ،

(١) التتابع : الإسراع فى الشر ، واللجاجة ، وفح : «تابع» . وكلم : ذهب فى سرعة .

وعلمت علمته . فقال قصير لعمر بن عدى : اجندع أنى واضرب ظهري ،
ودعنى وإياها . فقال عمرو : ما أنا بفاعل وما أنت لذلك بمستحق منى !
فقال قصير : « ختل عنى إذا وخلاك ذم » . فذهبت مثلاً .

قال ابن الكلبي : كان أبو الزبئاء اتّخذ النفق لها ولأختها ، وكان الحصن
لأختها في داخل مدينتها ، قال : فقال له عمرو ، فأنت أبصر . فجدع
قصير أنفه ، وأثر بظهره . فقالت العرب : « لمكر ما جدع أنفه قصير » ،
وفي ذلك يقول المتلمس :

وَمِنْ حَذَرِ الْأَوْتَارِ مَا حَزَّ أَنْفَهُ قَصِيرٌ وَخَاضَ الْمَوْتَ بِالسَّيْفِ بَيْهَسٌ^(١)

ويروى : « ورام الموت » . وقال عدى بن زيد :

كَقَصِيرٍ إِذْ لَمْ يَجِدْ غَيْرَ أَنْ جَدَّ دَعَّ أَشْرَافَهُ إِشْكَرٍ قَصِيرٌ

فلما أن جدع قصير أنفه وأثر تلك الآثار بظهره ، خرج كأنه هارب ،
وأظهر أن عمراً فعل به ذلك ، وأنه يزعم أنه مكر بخاله جذيمة ، وغره من
الزبئاء ، فسار قصير حتى قدم على الزبئاء ، فقيل لها : إن قصيراً بالباب ،
فأمرت به فأدخل عليها ، فإذا أنفه قد جدع ، وظهره قد ضرب . فقالت :
ما الذى أرى بك يا قصير ؟ فقال : زعم عمرو بن عدى أنى غررت خاله ،
وزيئت له السير إليك . وغششته ومالاتك عليه ؛ ففعل بي ما ترى ! فأقبلت
إليك ، وعرفت أنى لا أكون مع أحد هو أثقل عليه منك . فألطفته وأكرمته .
وأصابته عنده بعض ما أرادت من الحزم والرأى والتجربة والمعرفة بأمور الملوك ؛

(١) من أبيات فى الحماسة ٢ : ٦٤٨ - بشرح المرزوق . وبيس : رجل من فزارة كان
يحمق ؛ فقتل له سبعة إخوة ، فجعل يلبس القميص مكان السراويل ، والسراويل مكان القميص ،
فإذا سئل عن ذلك قال :

الْبِسْ لِكُلِّ عَيْشَةٍ أَبْوَسَهَا إِمَّا نَعِيمَهَا وَإِمَّا بُوسَهَا

فتوصل بما صدره من حاله عند الناس إلى أن طلب بدماء إخوته .

فلما عرفت أنها قد استرسلت إليه ، ووثقت به ، قال لها : إن لي بالعراق أموالاً كثيرة ، وبها طرائف وثياب وعطر ؛ فابعثني إلى العراق لأحمل مالي وأحمل إليك من بزوزها وطرائف ثيابها ، وصنوف ما يكون بها من الأمتعة والطيب والتجارات ، فتصيبين في ذلك أرباحاً عظيماً ، وبعض ما لا غنى بالملوك عنه ؛ فإنه لا طرائف كطرائف العراق ! فلم يزل يزين لها ذلك حتى سرتحتة ، ودفعت معه عيراً ، فقالت : انطلق إلى العراق ، فبع بها ما جهزناك به ، وابتع لنا من طرائف ما يكون بها من الثياب وغيرها . فسار قصير بما دفعت إليه حتى قدم العراق ؛ وأتى الحيرة متنكراً ، فدخل على عمرو بن عدى ، فأخبره بالخبر ، وقال : جهزني بالبز والطرف (٢) والأمتعة ؛ لعل الله يمكن من الزبَاء فتصيب (١) ثارك ، تقتل عدوك . فأعطاه حاجته ، وجهزه بصنوف الثياب وغيرها ، فرجع بذلك كله إلى الزبَاء ؛ فعرضه عليها ، فأعجبها ما رأت ، وسرها ما أتاها به ، وازدادت به ثقة ، وإليه طمأنينة ؛ ثم جهزته بعد ذلك بأكثر مما جهزته في المرة الأولى ، فسار حتى قدم العراق ، ولقي عمرو بن عدى ، وحمل من عنده ما ظن أنه موافق للزبَاء ؛ ولم يترك جهداً ، ولم يدع طرفة ولا متاعاً قدر عليه إلا حمّله إليها . ثم عاد الثالثة إلى العراق فأخبر عمراً الخبر ، وقال : اجتمع لي ثقات أصحابك وجندك ، وهبني لهم الغرائر والمسوح - قال ابن الكلبي : وقصير أول من عمل الغرائر - واحمل كل رجلين على بعير في غرارتين ، واجعل معقد رؤوس الغرائر من باطنها ، فإذا دخلوا مدينة الزبَاء أقتك على باب نفقها ، وخرجت الرجال من الغرائر ، فصاحوا بأهل المدينة (٣) فن قاتلهم قتلوه ، وإن أقبلت الزبَاء تريد النفق جلتلتها بالسيف .

٧٦٥/١

ف فعل عمرو بن عدى ، وحمل الرجال في الغرائر على ما وصف له قصير ، ثم وجه الإبل إلى الزبَاء عليها الرجال وأسلحتهم ، فلما كانوا قريباً من مدينتها ، تقدم قصير إليها ، فبشرها وأعلمها كثرة ما حمل إليها من الثياب والطرائف ، وسألها أن تخرج فتنظر إلى قطرات تلك الإبل ، وما عليها من الأحمال ؛ فإني

(١) « فتدرك » . (٢) ح : « والطرائف » . (٣) ح : « يا أهل المدينة » .

جئت بما صاء وصمت فذهبت مثلاً . وقال ابن الكلبي : وكان قصير
يكمن النهار^(١) ويسير الليل وهو أول من كمن النهار وسار الليل . فخرجت
الزباء فأبصرت الإبل تكاد قوائمها تسوخ في الأرض من ثقل أحمالها ، فقالت :
يا قصير :

مَا لِلْجَمَالِ مَشِيهَاً وَثِيدًا ! أَجْنَدَلًا يَحْمِلُنَ أُمَّ حَدِيدًا !
أُمَّ صَرَفَانًا بَارِدًا شَدِيدًا !

فدخلت الإبل المدينة ، حتى كان آخرها بعيراً مرّ على بواب المدينة
وهو نبطى بيده منخسة ، فنخس بها الفرائر التي تليه ، فتصيب خاصرة الرجل
الذى فيها ، فضرط . فقال البواب بالنبطية « بشتابسقا »^(٢) يعنى بقوله :
« بشتابسقا » : فى الجوالق شرّ وأرعِب^(٣) قلباً ؛ فذهبت مثلاً ، فلما توسطت
الإبل المدينة أنيخت ، ودلّ قصير عمرا على باب النفق قبل ذلك ، وأراه إياه ،
وخرجت الرجال من الفرائر ، وصاحوا : بأهل المدينة ! ووضعوا فيهم السلاح ،
وقام عمرو بن عدى على باب النفق ، وأقبلت الزباء مولية مبادرة تريد النفق
لتدخله ، وأبصرت عمرا قائماً ، فعرفته بالصورة التي كان صورها لها المصور
فصت خاتمها ، وكان فيها سم - وقالت : « بيدي لا بيدك يا عمرو » ، فذهبت
مثلاً ، وتلقاها عمرو بن عدى ، فجلتها بالسيف فقتلها ، وأصاب ما أصاب من
أهل المدينة ، وانكفاً راجعاً إلى العراق ، فقال عدى بن زيد فى أمر جذيمة
وقصير والزباء وقتل عمرو بن عدى إياها قصيدته :

أَبَدَلْتِ الْمَنَازِلُ أُمَّ عُفِينَا تَقَادِمَ عَهْدَهَا أُمَّ قَدْ بَلِينَا
إلى آخرها .

وقال المخبل ، وهو ربيعة بن عوف السعدى :

يَا عَمْرُو إِنِّي قَدْ هَوَيْتُ جِمَاعَكُمْ وَلِكُلِّ مَنْ يَهْوَى الْجِمَاعَ فِرَاقُ

(١) ح : « بالنهار » .

(٢) ت ، ح : « بستا » .

(٣) ت ، س : « وراعب » .

بَلْ كَمْ رَأَيْتُ الدَّهْرَ زَائِلَ بَيْنَهُ
طَابَتْ بِهِ الزَّبَاءُ وَقَدْ جَمَّتْ لَهَا
حَمَلَتْ لَهَا عَمْرًا وَلَا بِخُشُونَةٍ
حَتَّى تَفْرَعَهَا بِأَبْيَضٍ صَارِمٍ
وَأَبُو حَذِيفَةَ يَوْمَ ضَاقَ بِجَمْعِهِ
وَلَهُ مَعْدُ وَالْعَبَادُ وَطَبِي
يَهَبُ النَّجَائِبَ وَالزَّائِعَ حَوْلَهُ
فَأَتَتْ عَلَيْهِ سَاعَةٌ مَا إِنْ لَهُ
فَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ حُمِّ قِضَاؤُهُ

مَنْ لَا يُزَايِلُ بَيْنَهُ الْأَخْلَاقُ
دُورًا وَمَشْرَبَةً لَهَا أَنْفَاقُ^(١)
مِنْ آلِ دُومَةَ رَسَلَةَ مِغْنَاقُ
عَضْبٍ يَلُوحُ كَأَنَّهُ مِخْرَاقُ^(٢)
شِعْبُ الْفَيْطِ فَحُومَةٌ فَأَفَاقُ
وَمِنْ الْجُنُودِ كِتَابٌ وَرِفَاقُ
جُرْدًا كَانَ مُتُونَهَا الْأَطْلَاقُ^(٣)
يَمَّا - أَفَاءَ وَلَا أَفَادَ عَتَاقُ
رَفْدٌ أَمِيْلٌ إِنْ أَوْهُ مُهْرَاقُ

وقال بعض شعراء العرب :

نَحْنُ قَتَلْنَا قَقَحَلًا وَابْنَ رَاعِنٍ
فَلَمَّا أَتَبَهَا الْعَيْرُ قَالَتْ أَبَارِدُ
وَنَحْنُ خَتْنَا نَبْتَ زَبَا بِمِنْجَلٍ^(٤)
مِنْ التَّمْرِ هَذَا أُمُّ حَدِيدٍ وَجَنْدَلٍ

وقال عبد باجر^(٥) - واسمه بهرا من العرب العاربة ؛ وهم عشرة أحياء : عاد ،
ثمود ، والعماليق ، وطسم ، وجديس ، وأميم^(٦) ، والمود^(٧) ، وجرهم ، ويقطن ،
والسلف قال : والسلف دخل في حمير - :

٧٦٨/١

(١) ح : « طلبت » .

(٢) س : « تفرعها » .

(٣) الزنايع : جمع نزيمة ؛ وهي الناقة تنزع إلى وطنها ، والأطلاق : جمع طلق ، وهو
الحبل ؛ وفي ط : « البرائع » ، وما أثبت من س .

(٤) ط : « خنينا » ، وما أثبت من ت .

(٥) ت : « ذاجر » .

(٦) قال السهيلي : « يقال : بفتح الهمة وكسر الميم وبضم الهمة وفتح الميم ؛ وهو أكثر ؛

ووجدت بخط بعض المشاهير : « أميم » بتشديد الميم » .

(٧) س : « والنود » .

لَا رَكِبْتَ رَجُلًا مِنْ بَيْنِ الدُّلَى لَقَدْ رَكِبْتَ مَرْكَبًا غَيْرَ الْوَطِيِّ
عَلَى الْعِرَاقِيِّ بِصَفَا مِنْ الطُّوِيِّ (١) إِنْ كُنْتَ غَضِبِي فَأَغْضِبِي عَلَى الرَّكِيِّ
• وَعَاتِي الْقَيْمِ عَمْرُو بْنُ عَدِي •

فصار الملك بعد جديمة لابن أخته عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة بن الحارث بن مالك بن عمرو بن نُمارة بن نَلم، وهو أول من اتخذ الحيرة منزلاً من ملوك العرب، وأول من تجده أهل الحيرة في كتبهم من ملوك العرب بالعراق، وإليه ينسبون؛ وهم ملوك آل نصر، فلم يزل عمرو بن عدى ملكاً حتى مات وهو ابن مائة وعشرين سنة، منفرداً بملكه، مستبداً بأمره، يغزو المغازي ويصيب الغنائم، وتفد عليه الوفود دهره الأطول؛ لا يدين للملوك الطوائف بالعراق، ولا يدينون له؛ حتى قدم أردشير بن بابك في أهل فارس.

• • •

ولأنما ذكرنا في هذا الموضع ما ذكرنا من أمر جديمة وابن أخته عمرو بن عدى لما كنا قدمنا من ذكر ملوك اليمن؛ أنه لم يكن لملكهم نظام، وأن الرئيس منهم إنما كان ملكاً على مخالفه ومحجره، لا يجاوز ذلك؛ فإن نزع منهم نازع، أو نبغ منهم نابغ (٢) فتجاوز ذلك - وإن بعدت مسافة سيره من مخالفه - فإنما ذلك منه عن غير ملك له موطن، ولا آباءه؛ ولا لأبنائه، ولكن كالذي يكون من بعض من يشرّد من المتلصّصة، فيُغير على الناحية باستغفاله أهلها، فإذا قصده الطلب لم يكن له ثبات؛ فكذلك كان أمر ملوك اليمن؛ كان الواحد منهم بعد الواحد يخرج عن مخالفه ومحجره أحياناً فيصيب مما يمرّ به ثم يتشمّر (٣) عند خوف الطلب، راجعاً إلى موضعه ومخلافه، من غير أن يدين له أحد من غير أهل مخالفه بالطاعة، أو يؤدى إليه خراجاً؛ حتى كان عمرو

(١) ت : « الوطى » .

(٢) ح : « تابع » .

(٣) ح : « يشمر » .

ابن عدى الذى ذكرنا أمره، وهو ابن أخت جدِّ يمة الذى اقتصصنا خبره ، فإنه اتصل له ولعقبه ولأسبابه الملك على ما كان بنواحي العراق وبادية الحجاز من العرب باستعمال ملوك فارس إياهم على ذلك ، واستكفأهم أمرَ مَنْ وليتهم من العرب ؛ إلى أن قتل أبرويز بن هرمز النعمان بن المنذر ، ونقل ما كانت ملوك فارس يجعلونه إليهم إلى غيرهم ، فذكرنا ما ذكرنا من أمر جدِّ يمة وعمرو ابن عدى من أجل ذلك ؛ إذ كنا نريد أن نسوق تمام التاريخ على ملك ملوك فارس ، ونستشهد على صحة ما روى من أمرهم بما وجدنا إلى الاستشهاد به عليها سبيلاً . وكان أمر آل نصر بن ربيعة ومَنْ كان من ولاة ملوك الفرس وعمَّالهم على ثغر العرب الذين هم ببادية العراق عند أهل الحيرة متعلماً مثبتاً عندهم في كنائسهم وأسفارهم .

٧٧٠/١

وقد حدثت عن هشام بن محمد الكلبي أنه قال : إني كنت أستخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ، ومبالغ أعمار مَنْ عمل منهم لآل كسرى وتاريخ سنيهم من بيع الحيرة ، وفيها ملكهم وأمورهم كلها .

فأما ابن عميد ، فإنه حدثنا في أمر ولد نصر بن ربيعة ومصيرهم إلى أرض العراق غير الذى ذكره هشام ؛ والذى حدثنا به من ذلك عن سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم : أن ربيعة بن نصر اللخمي رأى رؤيا نذرها بعدُ - عند ذكر أمر الحبشة ، وغلبتهم على اليمن وتعبير سَطِيح وشِقْ وجوابهما عن رؤياه - ثم ذكر في خبره ذلك أن ربيعة بن نصر لما فرغ من مسألة سَطِيح وشِقْ وجوابهما إياه ، وقع في نفسه أن الذى قال له كائن من أمر الحبشة ؛ فجهز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يُصلحهم ، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاذ ، فأسكنهم الحيرة . قال : فن بقيت ربيعة ابن نصر كان النعمان ملك حيرة ، وهو النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر ابن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر . ذلك الملك في نسب أهل اليمن وعلمهم .

٧٧١/١

• • •

[ذكر طسم وجديس]

قال أبو جعفر : وندكر الآن أمر طسم وجديس إذ كان أمرهم أيضاً كان في أيام ملوك الطوائف ، وأن فناء جديس كان على يد حسان بن تبع ، إذ كنا قدّمنا فيما مضى ذكر تبابعة حمير ، الذين كانوا على عهد ملوك فارس .

وحدّثت عن هشام بن محمد . وحدّثنا ابن حميد : قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق وغيرهما من علماء العرب ، أن طسماً وجديساً كانوا من ساكني اليمامة ؛ وهي إذ ذاك من أخصب البلاد وأعمرها وأكثرها خيراً ، لهم فيها صنوف الثمار ومعجبات الحقائق والقصور الشامخة ، وكان عليهم ملك من طسم ظلوم غشوم ، لا ينهاه شيء عن هواه ، يقال له عمّلق ، مضرّاً بجديس ، مستذلاً لهم .

وكان مما لقوا من ظلّمه واستذلاله ؛ أنه أمر بالآتهدّي بكتر من جديس إلى زوجها حتى تدخل عليه فيفترعها ، فقال رجل من جديس ، يقال له الأسود بن غفار لرؤساء قومه : قد ترون ما نحن فيه من العار والذل الذي ينبغي للكلاب أن تعافه وتمتعض منه ؛ فأطبعوني فإني أدعوكم إلى عزّ الدهر ، ٧٧٢/١ ونبيّ الذل . قالوا : وما ذاك ؟ قال : إني صانع للملك ولقومه طعاماً ، فإذا جاءوا نهضنا اليهم بأسيافتنا وانفردتُ به فقتلته ، وأجهز كل رجل منكم على جلسه ، فأجابوه^(١) إلى ذلك ، وأجمع رأيهم عليه فأعدت طعاماً ، وأمر قومه فانتصروا سيوفهم ودفنوها في الرمل ، وقال : إذا أتاكم القوم يرفلون في حلّهم ، فخذوا سيوفهم ، ثم شدوا عليهم قبل أن يأخذوا مجالسهم ، ثم اقتلوا الرؤساء ؛ فإنكم إذا قتلتموهم لم تكن السفلة شيئاً ؛ وحضر الملك فقتل وقتل الرؤساء ، فشدوا على العامة منهم ، فأفنوهم ، فهرب رجل من طسم يقال له رباح^(٢) بن مرة ، حتى أتى حسان بن تبع ، فاستغاث به ، فخرج حسان في حمير ،

(١) ح : « فأجابوا » .

(٢) ابن خلدون وياقوت : « رباح » .

فلما كان من اليمامة على ثلاث ، قال له رياح : أبيت اللعن ! إن لي أختًا متزوَّجة في جَدَيْس ، يقال لها : اليمامة ، ليس على وجه الأرض أبصرُ منها ، إنها لتبصيرُ الراكب من مسيرة ثلاث ، وإني أخاف أن تنذر القوم بك ، فرأى أصحابك ، فليقطع كلُّ رجلٍ منهم شجرةً فليجعلها أمامه ويسير وهي في يده ، فأمرهم حسان بذلك ، ففعلوا ، ثم سار فنظرت اليمامة ، فأبصرتهم ، فقالت لجديس : لقد سارت حَمِير . فقالوا : وما الذي ترين ؟ قالت : أرى رجلاً في شجرة ، معه كَتِيفٌ يتعرقها^(١) ، أو نعلٌ يخصفها . فكذبوها ؛ وكان ذلك كما قالت ، وصبَّحهم حسان فأبادهم وأخرب بلادهم وهدم قصورهم وحصونهم .

٧٧٣/١

وكانت اليمامة تسمى إذ ذاك جَوًّا والقرية ؛ وأتى حسان باليمامة ابنة مرة ، فأمر بها ففقت عينها ؛ فإذا فيها عروق سود ، فقال لها : ما هذا السواد في عروق عينيك ؟ قالت : حُجَيْرٌ أسود يقال له الإثمَد ، كنت أكتحل به . وكانت فيما ذكروا أولَ من اكتحل بالإثمَد ، فأمر حسان بأن تسمى جو اليمامة^(٢) .

وقد قالت الشعراء من العرب في حسان ومسيره هذا ، فمن ذلك قول الأعشى^(٣) :

كُونِي كَمِثْلِ الَّذِي إِذْ غَابَ وَافِدُهَا أَهَدَتْ لَهُ مِنْ بَعِيدٍ نَظْرَةَ جَزَعَا
مَا نَظَرَتْ ذَاتُ أَشْفَارٍ كَنَظَرِهَا حَقًّا كَمَا صَدَقَ الذَّنْبِيُّ إِذْ سَجَعَا^(٤)
إِذْ قَلْبَتْ مُقَلَّةً لَيْسَتْ بِمُفْرَقَةٍ إِذْ يَرْفَعُ أَلَالَ رَأْسِ الْكَلْبِ فَارْتَفَعَا^(٥)

(١) يتعرقها : يأخذ ما عليها من اللحم بأسنانه نهشاً .

(٢) انظر القصة في شرح ديوان الأعشى ٧٤ .

(٣) ديوانه ٧٢ - ٧٤ ؛ من قصيدة مظلما :

بَانَتْ سَعَادٌ وَأَمْسَى حَبْلُهَا انْقَطَعَا وَاحْتَلَّتِ الْعَمْرَ فَأُجِدَّيْنِ فَالْفَرَعَا

(٤) الذنبي : أحد الكهنة .

(٥) الديوان :

• إِذْ نَظَرَتْ نَظْرَةَ لَيْسَتْ بِكَاذِبَةٍ •

ورأس الكلب : جبل باليمامة .

قَالَتْ أَرَى رَجُلًا فِي كَفِّهِ كَيْفٌ ۖ أَوْ يَخْصِفُ النَّعْلَ، لَهْفَى آيَةً صَنَعًا ۖ
فَكَذَّبُوهَا بِمَا قَالَتْ فَصَبَّحَهُمْ ۖ ذُو آلِ حَسَّانٍ يَزُجِي الْمَوْتَ وَالشَّرَّهَا
فَأَسْتَنْزَلُوا أَهْلَ جَوْءٍ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ ۖ وَهَدَّمُوا شَاخِصَ الْبُنْيَانِ فَأَتَضَعَا ۖ

ومن ذلك قول النمر بن تولب العُكْلِيُّ :

هَلَّا سَأَلْتَ بِعَادِيَاءَ وَبَيْتِهِ ۖ وَالخَلُّ وَالخَمْرُ الَّتِي لَمْ تُتَمَنَّعْ (١)
وَفَتَاتِهِمْ عَزَّ عَشِيَّةَ آنَسَتْ ۖ مِنْ بَعْدِ مَرَأَى فِي الْفَضَاءِ وَمَسْمَعِ
قَالَتْ أَرَى رَجُلًا يُقَلِّبُ كَفَّهُ ۖ أَصْلًا وَجَوْءٍ آمِنٌ لَمْ يَفْزِعْ (٢)
وَرَأَتْ مُقَدِّمَةَ الْخَمِيسِ وَقَبْلَهُ ۖ رَقِصَ الرَّكَّابِ (٣) إِلَى الصِّيَاحِ بِتُبَّعِ
فَكَانَ صَالِحَ أَهْلِ جَوْءٍ غُدُوَّةً ۖ صُبْحُوا بِذَيْفَانِ السَّمَامِ الْمُنْفَعِ
كَانُوا كَأَنَّمِ مَنْ رَأَيْتَ فَأَصْبَحُوا ۖ يَلْوُونَ زَادَ الرَّأْيِ كِبِ الْمَتَمَّعِ
قَالَتْ يَمَامَةٌ أَحْمِلُونِي قَائِمًا (٤) ۖ إِنْ تَبَعْتُوهُ بَارِكَا بِي أَصْرِعِ

٧٧٥/١ وحسان بن تُبَّعِ ، الذي أوقع بجديس ، هو ذو معامر ، وهو تُبَّعِ بن تُبَّعِ
تُبَّانِ أسعد أبي كرب بن ملكي كرب بن تُبَّعِ بن أقرن ؛ وهو أبو تُبَّعِ بن حسان
الذي يزعم أهل اليمن أنه قديم مكة ، وكسا الكعبة ، وأن الشعب من المطابخ
إنما سمي هذا (٥) الاسم لنصيبه المطابخ في ذلك الموضع وإطعامه الناس ؛ وأن
أجياداً إنما سمي أجياداً ، لأن خيله كانت هنالك ؛ وأنه قدم يثرب فنزل منزلاً
يقال له منزل الملك اليوم ، وقتل من اليهود مقتلة عظيمة بسبب شكايته من
شكاهم إليه من الأوس والخزرج بسوء الجوار ، وأنه وجه ابنه حسان إلى السند

(١) ذكر ابن بدرون في شرح الرائية ٦٨ من هذه الأبيات البيتان : الثاني والثالث .

(٢) ابن بدرون :

أَرَى رَجُلًا يُقَلِّبُ نَعْلَهُ ۖ تَقْلِيْبَ ذِي وَصْلِ لَهُ وَمُسْمَعُ

(٣) ابن بدرون : « ركض الجياد » .

(٤) ح : « إجماع » .

(٥) ت : « جهلاء » .

وسميرا ذا الجناح إلى خراسان، وأمرهما أن يستبقا إلى الصين، فرّ سمير بسمرقند فأقام عليها حتى افتتحها، وقتل مقاتلتها، وسبي وحوى ما فيها ونفذ إلى الصين، فوافى حسّان بها، فن أهل اليمن من يزعم أنهما ماتا هنالك، ومنهم من يزعم أنهما انصرفا إلى تبغ بالأموال والغنائم.

• • •

وما كان في أيام ملوك الطوائف ما ذكره الله عز وجل في كتابه من أمر الفتية الذين أوا إلى الكهف فضرب على آذانهم.

تم الجزء الأول من تاريخ الطبرى، ويليه الجزء الثانى
وأوله : ذكر الخبر عن أصحاب الكهف

٤

فهرس الموضوعات

صفحة	
٩	القول فى الزمان ما هو
	القول فى كم قدر جميع الزمان من ابتدائه الى انتهائه وأوله
١٩ - ١٠	الى آخره
٢١ - ٢٠	القول فى الدلالة على حدوث الأوقات والأزمان والليل والنهار.
	القول فى هل كان الله عز وجل خلق قبل خلقه الزمان والليل
٢٦ - ٢٢	والنهار شيئاً غير ذلك الخلق
	القول فى الإبانة عن فناء الزمان والليل والنهار والآن شىء يبقى
٢٧	غير الله تعالى ذكره
	القول فى الدلالة على أن الله عز وجل القديم الأول قبل كل
٣١ - ٢٨	شىء وأنه هو المحدث كل شىء بقدرته تعالى ذكره
٣٦ - ٣٢	القول فى ابتداء الخلق ما كان أوله
٤٦ - ٣٧	القول فى الذى نى خلق القلم
	القول فيما خلق الله فى كل يوم من الأيام السنة التى ذكر
٦٠ - ٤٧	الله فى كتابه أنه خلق فىهن السموات والأرض وما بينهما
	القول فى الليل والنهار أيهما خلق قبل صاحبه وفى بدء خلق
٨٠ - ٦١	الشمس والقمر وصفتهما، إذ كانت الأزمنة بهما تعرف
	ذكر الأخبار الواردة بأن إبليس كان له ملك السماء الدنيا
٨٢ - ٨١	والأرض ما بين ذلك
	ذكر الخبر عن غمط عدو الله نعمة ربه واستكباره عليه
٨٣	وادعائه الربوبية

صفحة

٨٤	القول في الأحداث التي كانت في أيام ملك إبليس وسلطانه والسبب الذي به هلك وادعى الربوبية
٨٥ - ٨٨	ذكر السبب الذي به هلك عدو الله وسوّلت له نفسه من أجله الاستكبار على ربه عزّ وجلّ
٨٩ - ١٠٥	القول في خلق آدم عليه السلام
١٠٦ - ١١٢	القول في ذكر امتحان الله تعالى أبانا آدم عليه السلام
١١٣ - ١١٦	القول في قدرة مدة مكث آدم في الجنة ووقت خلق الله عزّ وجلّ إياه ووقت إهباطه إياه من السماء إلى الأرض
١١٧ - ١٢٠	ذكر الوقت الذي خلق فيه آدم عليه السلام من يوم الجمعة والوقت الذي أهبط فيه إلى الأرض
١٢١ - ١٣٦	القول في الموضع الذي أهبط آدم وحواء إليه من الأرض حين أهبطا إليها
١٣٧ - ١٥١	ذكر الأحداث التي كانت في عهد آدم عليه السلام بعد أن أهبط إلى الأرض
١٥٢ - ١٥٤	ذكر ولادة حواء شيئاً
١٥٥ - ١٦٤	ذكر وفاة آدم عليه السلام
١٦٥ - ١٧٨	ذكر الأحداث التي كانت في أيام بني آدم من لدن ملك شيث بن آدم إلى أيام يرد
١٧٩ - ١٩٣	ذكر الأحداث التي كانت في عهد نوح عليه السلام
١٩٤ - ٢١٥	ذكر بيوراسب، وهو الازدهاق
٢١٦ - ٢٣٢	ذكر الأحداث التي كانت بين نوح وإبراهيم عليهما السلام

٢٣٣ - ٢٥٠	ذکر إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام وذكر من كان في عصره من ملوك العجم
٢٥١ - ٢٧١	ذکر أمر بناء البيت
٢٧٢ - ٢٧٨	ذکر الخبر عن صفة فعل إبراهيم وابنه الذي أمر بذبحه فيما كان أمر به من ذلك ، والسبب الذي من أجله أمر إبراهيم بذبحه
٢٧٨ - ٢٨٧	ذکر ابتلاء الله إبراهيم بكلمات
٢٨٧ - ٢٩٢	أمر نمرود بن كوش بن كنعان
٢٩٢ - ٣٠٧	ذکر لوط بن هاران وقومه
٣٠٨ - ٣١١	ذکر وفاة سارة بنت هاران وهاجر أم إسماعيل وذكر ، أزواج إبراهيم عليه السلام وولده
٣١٢ - ٣١٣	ذکر وفاة إبراهيم عليه السلام
٣١٤ - ٣١٥	ذکر خبر ولد إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام
٣١٦ - ٣٢١	ذکر إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام وذكر نسائه وأولاده
٣٢٢ - ٣٢٩	ذکر أيوب عليه السلام
٣٣٠ - ٣٦٤	ذکر يعقوب وأولاده
٣٦٥ - ٣٧٦	قصة الخضر وخبره وخبر موسى وقتاه يوشع عليهم السلام
٣٧٧ - ٣٨٤	منوشر وأسبابه والحوادث الكائنة في زمانه
٣٨٥ - ٤٣١	ذکر نسب موسى بن عمران وأخباره وما كان في عهده وعهد منوشر بن منشخور فر الملك من الأحداث

واقع الترمذ المسمى

تاريخ الترمذ

شرح الأعمش وسلك

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٩٧٢ - ٩١٠ هـ

المجلد الأول